بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك سعود
عمادة الدراسات العليا
كلية التربية
قسم الثقافة الإسلامية – عقيدة

حوار الحضارات

«دراسة عقدية في ضوء الكتاب والسنة»

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة – قسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية – جامعة الملك سعود

أعدها الطالب

فهد بن عبد العزيز بن عبد الله السنيدي

(٤٢٦١٢١٦٥٧)

إشراف الدكتور

مازن بن صلاح مطبقاني

الأستاذ المشارك بقسم الثقافة الإسلامية

الفصل الدراسي الثاني

سنة ١٤٢٩/ ١٤٣٠هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وتشتمل على:

- مشكلة البحث.
- حدود الدراسة.
- مصطلحات البحث.
- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- الدراسات السابقة.
- أهداف البحث.
- أسئلة البحث.
- منهج البحث.
- إجراءات البحث.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. â **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**á [آل عمران: آية ١٠٢]. â **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**á[النساء:آية ١].

أما بعد،

فمن المعلوم أن الله U خلق الخلق على الحنيفية السمحاء، ففي الحديث القدسي «وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا»[١] قال I : â **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**á [البقرة: آية ٢١٣]. أي كان الناس أمة واحدة على الدين الحنيف فكفروا في عهد نوح واختلفوا فظهر الكفر[٢]، فكان لكل أمة عقيدتها، وثقافتها، التي تحكم تصرفاتها، وتشرع قوانينها، وأعظم هذه الأمم هي الأمة الإسلامية، كما قال جل وعلا: â **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** á [آل عمران، آية ١١٠]، وعقيدتها أكمل العقائد قال سبحانه: â**الْيَوْمَ**

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة ونعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، ح (٢٨٦٥).

(٢) ينظر: أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ط١ (١٤١٥هـ). (١٥٥/١).

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا á [المائدة، آية ٣]، تلك العقيدة التي يميزها عن غيرها من عقائد الأمم أنها عقيدة ربانية المصدر، عالمية الرسالة، قال تعالى: â وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَá [الأنبياء، آية ١٠٧]. وقال سبحانه: â إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَá [التكوير، آية ٢٧]، ورغم ربانية مصدر العقيدة الإسلامية وعالميتها، إلا أن ذلك لا يعني أنها الوحيدة في الأرض – من حيث الوجود- بل لكل أمة حضارتها، ولكل أمة ثقافتها، قال تعالى: â لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا á [المائدة، آية ٤٨].

والمتأمل في تاريخ الحضارات الغربية يجد أنها قد مرت بثلاث مراحل، القديمة والوسطى والحديثة، وقسم بعض علماء التاريخ حضارات الغرب إلى اليونانية الرومانية، واليهودية النصرانية، ثم أوروبا الحديثة، مسترجعة تاريخها الوثني الأسطوري القديم مستفيدة من المصدر اليوناني الروماني، والمصدر اليهودي النصراني، في تشكيل لحضارتها الحديثة، والتي تبنت في العقود الأخيرة نموذج صراع الحضارات الذي أدى إلى بروز عقدة عظمة لدى الغرب؛ والعمل على زرع عقدة النقص لدى الحضارات غير الأوروبية بحجة أنها ناقلة ومقلدة وتابعة ومتعلمة، وأنها تعيش على هامش المركز وليس في محيطه.

ولما انبثق نور الإسلام من جزيرة العرب وأسس المسلمون حضارة جديدة هي الحضارة الإسلامية التي كان لها تصورها الخاص لنموذج الحوار بين الإسلام والنصرانية وبين الإسلام واليهودية، في مقابل نموذج الحضارة الغربية التي جنحت إلى منطق صراع الحضارات، ظهرت عندئذ دعوات مختلفة ومناهج متباينة، ودراسات متعددة رسم بعضها منهجاً للصراع والخلاف ودعت أخرى إلى التسامح والتعايش والتقارب، وتبنت أخرى دعوة حوار الحضارات وتلاقيها، إلا أن تحديد وقت معين لمثل هذه الدعوات قد يصعب خصوصاً إذا علمنا أن أصل الحوار ومنهجه قديم قدم الدهر، في حين أن الدعوة إلى حوار الحضارات بأسلوبها المعاصر ظهرت مؤخراً وازدادت حدتها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة.

وهناك تباينت الرؤى حولها بين مؤيد لكل صورها حتى ولو كان وراء ذلك دعوة إلى تقارب الأديان، وبين رافض لها خائف من كل صورها وأشكالها.. وبين هؤلاء وأولئك تتردد وجهات نظر وتبرز دعوات.

وفي بحثي هذا حاولت التركيز على حوار الحضارات بما فيه من جوانب إيجابية وسلبية، دارساً له في ضوء العقيدة الإسلامية، مبيناً أصوله وضوابطه ومجالاته وآثاره على الحضارتين الإسلامية والغربية، لغاية سامية هي التعريف بالإسلام ودعوة غير المسلمين إليه وبيان فضائله ومزاياه والدفاع عنه وكشف الشبهات التي تثار حوله.

مشكلة البحث:

تنبع مشكلة هذا البحث من محاولة بيان وتوضيح مفهوم حوار الحضارات والعمل على كشف المواقف المتنوعة تجاهه تبعاً للاختلاف في تحديد مفهومه، حيث تباينت الرؤى حوله بين معتقد أن حوار الحضارات هو نفسه الدعوة إلى تقارب الأديان، وبين مسطح للموضوع مناد به دون أي ضوابط أو احترازات، وفي المقابل تغيب عند كثير من الباحثين ضوابط هذا الحوار ومجالاته وأسسه وفق العقيدة الإسلامية المستنيرة بالكتاب والسنة وما صح من الآثار وأقوال العلماء المعتمدين وهذا ما سعى الباحث إلى رصده وضبطه.

حدود الدراسة:

اقتصر البحث على تحرير مفهوم حوار الحضارات، ومن ثم بيان حقيقته، وإزالة كثير مما يحيط بهذا المفهوم من شبهات ولبس، وذلك من خلال بيان أصوله وضوابطه ومجالاته، ثم آثاره، وفق دراسة عقدية موضوعية، مستعرضا أبرز المراكز والمؤتمرات التي عقدت من أجله خلال الفترة الزمنية من عام ١٩٨٠م وحتى عام ٢٠٠٧ م، باعتبارها المراكز المؤثرة من حيث القرارات والمطبوعات والانتشار مع الاقتصار على الحضارتين الإسلامية والغربية.

مصطلحات البحث:

<u>الحوار</u>: مادة (حَ وَ رَ) في اللغة متعدد المعاني، وتدور في مجموع ما وردت فيه حول معنى الرجوع والمراجعة والرد، ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ** ﴾ [الانشقاق: آية (١٠)] ومنه المجاوبة والمحاورة، قال تعالى: ﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ**﴾ [الكهف: آية (٣٤)]، وحاور فلان فلاناً إذا حدثه وجاوبه. فهي مستوعبة لكل أنواع وأساليب التخاطب، سواء كانت منبعثة من خلاف المتحاورين أو عن غير خلاف؛ لأنها إنما تعني المجاوبة والمراجعة في المسألة موضوع التخاطب[١].

(١) ينظر: لسان العرب، محمد بن منظور، مكتبة الرشد، الرياض، ط٦ (١٤١٧هـ) (٣٨٧/٣).

وبعبارة أخرى: فإن الحوار لا يكون إلا بين أطراف متكافئة تجمعها رغبة مشتركة في التفاهم[١]، ولا يكون نتيجة ضغط أو ترهيب أو ترغيب، ولذلك كان الحوار أعم من الاختلاف ومن الجدل، وصار له معنى حضاري بعيد عن الصراع؛ إذ الحوار كلمة تتسع لكل معاني التخاطب والسؤال و الجواب[٢].

الحضارة: يقصد بالحضارة أو التمدن الإنتاج الفكري والمادي والسلوك العام لمجموعة معينة من الناس في حقبة زمنية معينة. ويشمل الإنتاج الفكري كافة النشاطات العلمية والأدبية والفلسفية، بينما يشمل الإنتاج المادي إنشاء البُنى التحتية والفوقية وتحقيق الثراء المادي للفرد والمجتمع، أما السلوك العام فيمثل العادات والتقاليد والقيم الفكرية والأخلاقية والمفاهيم الاجتماعية للمجتمع والسلطة الحاكمة لهذا المجتمع.

فالحضارة: نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وتتألف الحضارة من العناصر الأربعة الرئيسة: المواد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون[٣].

حوار الحضارات: المقصود به أن يكون بين ممثلي الحضارات المختلفة لقاءات وتعاون وتفاعل ليستمع بعضهم إلى بعض؛ وليستفيد بعضهم من بعض في شؤون الحياة المختلفة، وليبلغ كل طرف رسالته الحضارية للآخر بالجدال والإقناع والبرهان، فهو بهذا يعد عملا فكريا[٤].

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

بالرغم من التعدد والتنوع الكبير داخل كل ما يسمى بالبلاد الإسلامية والبلاد الغربية، فإن الحديث يتجه إلى الصراع وضرورة مواجهته بالحوار ما بين الغرب الذي تمثله النصرانية واليهودية

---

(١) ينظر: (مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي)، محمد سماك، دار النفائس، الأردن، ط١ ص(٧٩).

(٢) أدب الحوار في الإسلام، مداخلة للمحامي محمد القدوري في مؤتمر الإيسيسكو حول أدب الاختلاف في الإسلام، موقع الإيسيسكو على شبكة المعلومات.

(٣) ينظر: ((الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل))، جمع: علي الشحود، المركز الثقافي، الدوحة، وهي مجموعة من الكتابات في سبعة مجلدات (١/ ١٣٠).

(٤) ينظر: حوار الحضارات أو العلاقة بين أمة الإجابة وأمة الدعوة، د. إبراهيم بن ناصر الناصر.التقرير الاستراتيجي الثاني مجلة البيان ص ٧٢.

بالرغم من الفروق الكبيرة والخلافات التاريخية المريرة بينهما من جانب وبين الإسلام من جانب ثان. ومهما حاولت الأطراف الحديث عن حوار ثقافي عام بين حضارات مختلفة فإن الجدل محكوم بهاجس ما إذا كان الإسلام يمثل تحديا للحضارة الغربية في قيمها وواقعها.

بل إن الحديث عن إجراء حوار مع الحضارات الآسيوية المختلفة التي تدور حول البوذية أو الهندوسية لا يحظى بنفس الدرجة من الاهتمام والجدية سواء من جانب الحضارة الغربية أو من جانب الحضارة الإسلامية على وجه الخصوص، وهو الأمر الذي إن حدث سيخفف من الاستقطاب الحاد ما بين «الإسلام» و«الغرب» على ساحة حوار الحضارات[(١)].

ولعل أهمية الموضوع وأسباب اختياره تتضح من خلال النقاط الآتية:

١- جدة الموضوع وقلة المصادر المفردة فيه، حتى لا نكاد نجد دراسة شاملة له، في حدود علم الباحث واستقصائه لمادة بحثه.

٢- غياب العمق الفكري والمفهوم العلمي لحوار الحضارات لدى كثير من المثقفين، مع كثرة تردد هذا المصطلح في المحاضرات والندوات والكتابات ووسائل الإعلام بصفة عامة.

٣- يمكن من خلال هذا البحث الرد على كثير من الشبهات التي ألصقت بالإسلام.

٤- من خلال تفعيل حوار الحضارات سنساهم في إيجاد بديل ينضبط بالضوابط الإسلامية ويكون في مواجهة ما يسمى بصراع الحضارات.

٥- أن فيه تصحيحاً لمفاهيم باطلة كحوار الأديان ودعاوى التقريب.

٦- أن الأحداث السياسية المعاصرة تدعو وبشكل ملحّ للحوار، فكان لزاماً على الباحث أن يبرز الجانب العقدي في حوار الحضارات حماية ودفاعاً عن الدين.

---

(١)مسارات وخبرات في حوار الحضارات، أحمد محمد عبد الله وآخرون، طبع برنامج حوار الحضارات، جامعة القاهرة (٢٠٠٤م) ص١٠٢.

الدراسات السابقة:

بعد بحث ليس بالقصير حول الدراسات التي تناولت موضوع حوار الحضارات، لم يصل الباحث لدراسة أكاديمية تناولت هذا الموضوع من جميع جوانبه، كما لاحظ أن الكتب التي تناولت هذا الموضوع لا تتحدث سوى عن بعض جوانب الموضوع، وتشترك جميعها في أنها لم تعالجه من الناحية العقدية، وحتى البحوث التي حاولت عرض الرؤية الشرعية لهذا الموضوع لم تخرج عن باب (الولاء والبراء)، ومن هذه الكتب:

١- كتاب (**حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل، دراسة تحليلية على ضوء مفهوم الولاء والبراء في الإسلام**)، للدكتور موسى إبراهيم البراهيم، أصله رسالة دكتوراه في الدعوة الإسلامية من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية في السودان عام ١٤١٨هـ، وفيه تحدث الباحث عن حوار الحضارات من عدة أوجه، بين في أولاها طبيعة الصراع بين الحق والباطل، وجعل العقل ميزاناً يُفَرَّقُ به بين الحق والباطل وكذا الفطرة السليمة، ثم تحدث عن حتمية انفصال العالم الإسلامي عما عداه من العالم الكافر انفصالاً في الثوابت والملبس والعادات والشعائر والسلوك، ثم تحدث عن الولاء والبراء من الناحية التأصيلية بذكر الأدلة والآثار حوله، وبيَّن الفرق بين التعايش وبين الحوار، وأوضح أن هناك فرقاً بين التعايش وبين الزيارة والتجارة وبين الولاء والبراء. ثم تحدث الباحث عن مظاهر الخلل في تطبيق الولاء والبراء في هذا العصر منطلقاً منه إلى الحديث عن أهمية العهود والمواثيق وموقف اليهود والنصارى من هذه العهود والمواثيق عبر التاريخ، ثم تحدث عن الحوار مع الحضارات مبيناً تعريف الحوار الحضاري وأهميته وأهدافه وكذا طبيعة العلاقة بين الحضارات وضوابط هذا الحوار وأهميته في انتشار الإسلام، واعتبر أن اليهود والنصارى والعلمانيين يقفون عائقا دون انتشار الإسلام، وأشار إلى دورهم في إفشال كل ما له علاقة بالشريعة السمحاء، ثم تحدث عن وجوب إعداد القوة في حال فشل الحوار، مختتماً حديثه بالحديث عن الجهاد وأخلاق الجهاد في الإسلام.

ويلاحظ المطلع على هذا الكتاب اشتراكه مع رسالتي في تحديد المفهوم وفي الضابط الأول من ضوابط بحثي حول حوار الحضارات، وهو مراعاة جانب الولاء والبراء،

وبعض الفصل الأول والثاني من الباب الأول في حديثي عن ضوابط وأصول حوار الحضارات وبعض الآثار المترتبة عليه، ولكنه يختلف مع رسالتي في أنها أكثر تفصيلاً وشمولية من ناحية الحديث عن المفهوم والضوابط والآثار والمجالات والأصول.

كما أن الباحث ركز في رسالته السابقة على جانبي الولاء والبراء والجهاد، وكان البحث بأسره ينطلق من هذين الأمرين، بينما يختلف مسار بحثي عنه في الحديث عن القضايا المعاصرة في جانب حوار الحضارات وما يحصل من العلاقات الدولية، وما يدور في دائرة الآثار والضوابط، فضلاً عن الحديث عن المؤتمرات والمراكز المتخصصة في حوار الحضارات.

والرسالة المذكورة قدمت قبل أكثر من عشر سنوات مما يعني أنها لم تشر إلى شيء من الدراسات الجديدة في الموضوع لأن طبيعته متجددة، والدراسات التي صدرت بعد ذلك أو الدعوات العالمية كثيرة لابد من الاعتناء بها.

٢- كتاب (**الحوار الإسلامي المسيحي**)[١]، لبسام داود عجك، وأصله رسالة ماجستير قدمت لكلية الدعوة الإسلامية في طرابلس عام ١٩٩٣م، واستعرض فيها الباحث مفهوم الحوار والفرق بينه وبين الجدال والمناظرة، كما بين موقف القرآن الكريم والسنة النبوية من (المسيحية والمسيحيين)، مستعرضاً تاريخ الحوار معهم من بداية بعثة النبي ﷺ إلى الوقت الحاضر، ثم بين موضوعات الحوار الإسلامي النصراني سواء ما يتعلق بالديانة (المسيحية) أو ما يتعلق بالإسلام، مبينا أبرز الأهداف المرجو تحقيقها لدى كلا الطرفين، ويلاحظ اشتراك هذه الدراسة مع جزء من دراستي وذلك في حديثي عن مجالات حوار الحضارات، وكذا حديثي عن أصول الحوار، إلا أن بقية الرسالة مختلفة اختلافاً كاملاً من حيث العناصر والأسلوب.

٣- كتاب (**حوار الحضارات: إشكالية التصادم وآفاق الحوار**)، للمؤلف عطية فتحي الويشي، وهو كتاب قسّمه مؤلفه إلى أربعة أبواب، فتحدث في الباب الأول عن تعريف وبيان المفاهيم المقصودة بالبحث. وفي الباب الثاني تحدَّث عن تصادم الحضارات جاعلاً

(١) يختار الباحث في هذه الرسالة المسمى الشرعي لهم وهو (النصرانية) لكن في حال النقل من مصدر كما هو الآن أقوم بنقله دون تدخل، وأحياناً أضعها بين قوسين.

العقيدة والاقتصاد هما الأساس في كل تصادم حصل ويحصل بينها. ثم تحدث في الباب الثالث عن دور العلمانية في إذكاء هذا الصراع. وفي الباب الرابع أوضح أهمية الحوار بين الحضارات من خلال بيان آثاره على الإسلام وانتشاره، وأن النبي صلى الله عليه وسلم تعايش مع اليهود وجاورهم ومات ودرعه مرهونة عند يهودي، ثم تحدث عن بعض الضوابط في هذا الحوار وهي التكافؤ والاحترام المتبادل والتعاون والتفاهم، ولكن البحث في مجمله ركز على الصراع بين الحضارات وإمكانية التعايش بينها، ولم يتحدث عن حوار الحضارات بشكل محوري تام، ولذا فإن أوجه التشابه بين هذا الكتاب وبين رسالتي قليلة جداً منها: حديثه عن أثر حوار الحضارات على الحضارة الإسلامية. أما ما عداها فيظهر الفرق واسعا بين البحثين.

٤- وهناك عدد من الكتب تشترك مع ما سبق في أنها تناولت حوار الحضارات من زوايا محددة، والجامع بينها أنها لم تدرس حوار الحضارات دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، ولم تبين آثارها ومجالاتها وضوابطها، وهذه مثل:

أ- حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين: رؤية إسلامية، عبد الله علي العليان، ٢٠٠٤هـ.

ب- الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان، علي حسين الجابري، ١٩٨٥م.

ج- الحضارات صدام أم حوار، محمد خاتمي.

د- تعايش الثقافات: مشروع مضاد لهنتنغتون، هارالد موللر؛ ترجمة إبراهيم أبو هشهش.

٥- ومن الكتب أيضاً ما نشر جامعاً لأبحاث ندوة عقدت عن حوار الحضارات، ولعل من أبرزها:

أ- كتاب (**الإسلام وحوار الحضارات**)، الذي صدر في ثلاثة مجلدات عن مكتبة الملك عبد العزيز، والذي جُمع فيه ما يزيد على الخمسة والأربعين بحثاً، وما يهمنا هنا هو بحث الدكتور صالح الطيار بعنوان: الإسلام والحضارة صراع أم حوار، وركز حديثه عن أثر الإسلام في الحضارة الغربية، مبيناً حق الإنسان وتكريمه في الإسلام ومقارناً ذلك بوثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م، ثم

تحدث عن بدايات الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، حيث حدّد ذلك ببداية الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام، ثم تحدث عن الديمقراطية وأثر طريقة الحكم في الصراع، ويلاحظ أن هذا البحث يشترك مع رسالتي في الفصل الثاني من الباب الثالث في حديثي عن أثر حوار الحضارات على الحضارة الغربية فقط.

ب- البحث الثاني هو بحث الدكتور سفيان محمد سلام بعنوان: (**سماحة الإسلام ودوره في تقدم الحضارات**)، والذي ركز فيه على الحديث عن الأثر الإسلامي في الحضارة الغربية، منطلقاً في حديثه عن سماحة الإسلام وأثر هذه السماحة في انتشاره وحفظه لحقوق الآخرين من يهود ونصارى، كما ركز على تأثر اليهود والنصارى باللغة العربية والأدب العربي والفلسفة العربية، بل حدد أن التوارة والإنجيل لم ينقطا إلا بعد نقط المصحف، كما تحدث عن الأثر الحضاري للإسلام في الغرب موضحا أن هذا الأثر لم يكن ليتم لولا حركة الترجمة للعلوم الإسلامية إلى اللغات الأوروبية. ويلاحظ أن هذا البحث لا يشترك مع بحثي إلا في جزئية الآثار التي تعود على الحضارة الغربية من حوار الحضارات، لكن فيما عداه يبقى لرسالتي تميزها وشموليتها.

ومثله أيضاً بحث الدكتور مانع الجهني بعنوان (**الإسلام والحوار الحضاري**)، وكذا بحث الدكتور خالد محمد زيادة بعنوان (**الإسلام والحضارة المعاصرة من التاريخ إلى الحاضر**)، حيث تم التركيز على بيان الأثر الحضاري للإسلام في الحضارات الأخرى. أما بقية البحوث، فالعلاقة الجامعة بينها وبين بحثي هي علاقة جزء من كل، ويلاحظ أنها في مجملها تتحدث عن حوار الحضارات بحديثها عن صراع الحضارات، أو عن علاقة الإسلام بالغرب.

٦- أما بحوث الندوات التي عقدها برنامج حوار الحضارات التابع لكلية الاقتصاد والسياسة في جامعة القاهرة، والتي نشرت في عدة كتب، كان من أهمها سلسلة محاضرات حول حوار الحضارات، والتي صدرت في جزءين، وكذا كتاب من خبرات حوار الحضارات، والتي تناولت حوار الحضارات من زوايا عديدة تختلف باختلاف توجهات أصحابها الفكرية والعقدية، إلا أنها تفتقر وبشكل واضح للمعالجة الإسلامية العقدية، أو حتى بيان الأثر الذي يعود على الحضارة الإسلامية من حوار الحضارات، فهي تركز بشكل خاص على

حتمية الحوار بين الإسلام والغرب والتقارب فيما بينهما دون بيان لضوابط أو كيفية الحوار، ولا شك أن هذا قصور واضح سعيت من خلال دراستي إلى استكماله وسده.

- كما عقدت الاسيسكو عدداً من المؤتمرات حول حوار الحضارات كان من أهمها مؤتمر طهران الذي عقد في الفترة ما بين ١٧- ١٩ محرم ١٤٢٠هـ، والذي صدر في ختامه بيان يحمل اسم: ((إعلان طهران حول حوار الحضارات))، اشتمل على الالتزام بتعزيز مبدأ الحوار والتفاهم بين الحضارات.

كما تناولت كثير من الكتب والدراسات الحوار بشكل عام مثل:

١- **الحوار، آدابه، وتطبيقاته في التربية الإسلامية**، رسالة ماجستير ١٤٢٣هـ، للباحث خالد محمد المغامسي.

٢- **الحوار في القرآن الكريم، معالمه وأهدافه**، رسالة ماجستير ١٤٢٠هـ، للباحثة سناء عابد.

٣- **الحوار في دعوة النبي r** ، رسالة دكتوراه ١٤٢١هـ، للباحث عبد الرحمن الملاحي.

وكذا دراسات تناولت الحوار بين الأديان، أو التقارب بينها، وهذه مثل:

١- **دعوة وحدة الأديان عند الصوفية والفلاسفة**، رسالة دكتوراه ١٤٢٥، للباحث سعيد معلوي.

٢- **دعوة التقريب بين الأديان، دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية**، رسالة دكتوراه ١٤٢٠هـ، للباحث أحمد بن عبد الرحمن القاضي.

٣- **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، ماجستير ١٤٠٢هـ، للباحث محماس الجلعود.

والمتتبع لما سبق عرضه من كتب ومؤتمرات وندوات يجد أنها لم تتناول حوار الحضارات من جميع جوانبه، بل لم نجد من تناول حوار الحضارات في دراسة نقدية فاحصة في ضوء العقيدة الإسلامية، وهذا ما حاول الباحث بيانه في رسالته مع جمع شمل الموضوع.

أهداف البحث:

١- بيان مفهوم حوار الحضارات، وكذا الفرق بينه وبين حوار الأديان، وتقاربها.
٢- بيان الأهداف المرجو تحقيقها من الدعوة إلى حوار الحضارات.
٣- بيان الأصول العقدية لحوار الحضارات.
٤- بيان الضوابط العقدية لحوار الحضارات.
٥- بيان مجالات حوار الحضارات.
٦- بيان الآثار الناتجة عن حوار الحضارات على الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية.
٧- بيان أبرز مراكز حوار الحضارات في العالمين الإسلامي والغربي.
٨- بيان لأبرز المؤتمرات التي عُقدت حول حوار الحضارات في العالمين الإسلامي والغربي.

أسئلة البحث:

١- ما هو مفهوم حوار الحضارات؟، وما الفرق بينه وبين حوار الأديان أو تقاربها ؟
٢- ما هي أهداف الدعوة إلى حوار الحضارات؟
٣- ما هي الأصول العقدية لحوار الحضارات؟
٤- ما هي ضوابط حوار الحضارات؟
٥- ما هي مجالات حوار الحضارات؟
٦- ما هي الآثار الناتجة عن حوار الحضارات على الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية؟
٧- ما هي أبرز مراكز حوار الحضارات؟
٨- ما هي أبرز المؤتمرات التي عقدت حول حوار الحضارات؟

منهج البحث:

١- المنهج الوصفي التحليلي في بيان حقيقة حوار الحضارات، وذلك من خلال دراسة الحضارات محل البحث.

٢- المنهج النقدي، وقد أخذ جانباً مهما في تحليل أصول وضوابط حوار الحضارات وأهدافه ومجالاته، وبيان آثاره على الحضارات الإسلامية وغير الإسلامية.

٣- المنهج الاستقرائي في تتبع الأدلة الشرعية المتعلقة بالموضوع، لبيان المنهج الإسلامي الصحيح في الحوار مع الحضارات الأخرى.

إجراءات البحث:

١- قام الباحث بجمع ورصد أهم الدراسات الصادرة حول الموضوع ومن ثم تحليل مضمونها من الناحية العقدية.

٢- قام الباحث بترجمة بعض الدراسات الغربية التي لها علاقة وثيقة بمحور البحث والتي كانت من أهم أسباب الخلاف والخلط في مفاهيم حوار الحضارات ودراستها دراسة عقدية.

٣- رصد الباحث أهم المؤتمرات ومراكز حوار الحضارات، وذلك لمعرفة الوسائل والأساليب المتبعة عندهم في الموضوع محل البحث.

٤- اطلع الباحث على أهم مواقع الانترنت التي خصصت لحوار الحضارات وحاول رصد أثارها سلبا أو إيجاباً في تحديد وصياغة مفهوم حوار الحضارات.

٥- راسل الباحث بعض الجهات ذات العلاقة مثل الكراسي العلمية الإسلامية في الجامعات الغربية لرصد مدى الأثر الذي أحدثه مفهوم حوار الحضارات.

٦- أجرى الباحث بعض اللقاءات والحوارات والمكاتبات مع شخصيات مؤثرة في هذا الجانب ممن عرف عنهم تبني الموضوع والكتابة فيه.

٧- اعتمد الباحث الطرق المعروفة في البحث العلمي.

ولقد حرصت كل الحرص على استقصاء الموضوع بقدر المستطاع، وعرضه عرضاً علمياً، والبعد عن مناقشة الفرعيات، أو الإطالة والاستطراد فيما سبق بحثه في رسائل علمية،

أو كتب مطبوعة، كما حرصت على مكاتبة المهتمين من المفكرين والباحثين في العالم الإسلامي، والعالم الغربي، وحصلت على حصيلة كبيرة من آرائهم، ضمنت الرسالة ما يفيد البحث منها، فضلاً عن زياراتي لبعض المراكز والمؤسسات المتخصصة في العالم، وحضوري أكثر المؤتمرات المتعلقة بموضوع حوار الحضارات.

وإن من باب رد الفضل إلى أهله، وإزجاء الشكر إلى مستحقه، أن أشكر الله تعالى على ما يسّر، وأحمده على ما سهّل، فإنه للحمد أهل، وهو الجدير بالمنّة والفضل، فله الحمد أولاً وآخراً، وأدعوه تعالى أن يتم النعمة، وأن يسهل الأمر.

ثم أخصّ بالشكر والتقدير المشرف على هذه الرسالة سعادة الدكتور/ مازن بن صلاح المطبقاني الأستاذ المشارك بقسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية، فقد كانت له اليد الطولى في توجيهي وإرشادي، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أشكر اللجنة المناقشة على تفضلهم بقبول المناقشة، وإبداء التوجيه والنصح لي، مما سيكون له أبلغ الأثر في خروج البحث بشكل علمي.

كما أتقدم بالشكر لجامعة الملك سعود ممثلة في ـ كلية التربية ـ قسم الثقافة الإسلامية، على ما تقدمه من رعاية وخدمة وتسهيل لطلاب العلم والباحثين، وأخص بالشكر فضيلة رئيس القسم، ومقرر شعبة العقيدة، وعموم الأساتذة الأفاضل أعضاء القسم.

كما أشكر مركز البحوث بكلية التربية الذي قدم دعماً مالياً لإتمام هذا البحث.

كما أزجي الشكر لجميع من أسهم في هذا البحث من المفكرين في العالمين الإسلامي والغربي ممن أجاب عن أسئلة الباحث، وفتح صدره ومكتبه لقبول مناقشاتي.

ومنهم:

- معالي الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الذي زودني بجميع أبحاث المؤتمرات في هذا الجانب.
- سماحة الدكتور/ يوسف بن عبد الله القرضاوي.
- معالي الأستاذ الدكتور/ علي البراهيم النملة.
- سعادة الأستاذ الدكتور/ سيف الدين عبد الفتاح أستاذ السياسة والفكر الإسلامي بجامعة القاهرة.
- سعادة الأستاذ الدكتور/ خالد بن منصور الدريس، الأستاذ بقسم الثقافة الإسلامية

بالكلية.

- سعادة الأستاذة الدكتورة/ نادية مصطفى رئيس مركز حوار الحضارات بجامعة القاهرة.

وختاماً، فهذا جهد المقلّ، اجتهدت فيه ما استطعت، فإن أحسنت فمن الله، وإن أسأت فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه براء.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بالجهد، وأن يتجاوز عن الزلل، وأن يغفر لي ولوالدي وللمسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

فهد بن عبد العزيز بن عبد الله السنيدي

التمهيد

ويتضمن:

أولاً: تعريف الحوار لغة واصطلاحاً.

ثانياً: تعريف الحضارة لغة واصطلاحاً.

ثالثاً: حوار الحضارات:

أ- في الثقافة الإسلامية.

ب- في الثقافة الغربية.

ج- في دوائر المعارف.

د- لدى الفلاسفة والمفكرين الغربيين.

هـ- تاريخ حوار الحضارات والفرق بينه وبين تقارب الأديان.

رابعاً: آداب الحوار.

خامساً: مقاصد الحوار.

تمهيد

تردد في الآونة الأخيرة مصطلح (صدام أو صراع الحضارات)، وأخذ هذا المصطلح يطفو على سطح الوسائل الإعلامية، وتروج له الدوائر السياسية، وبخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة بين الغرب والاتحاد السوفييتي وانهيار المعسكر الشيوعي، حيث ساد الفراغ العسكري والنظري المؤثران على الأوضاع العالمية، وظهرت محاولات لوضع أسس وقواعد جديدة بعد نهاية الحرب الباردة.

ومع بداية التسعينات دخل العالم مرحلة جديدة، وبدأت صراعات فكرية تطفو على سطحه بشكل كبير، من ذلكم ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، وبدأت بعض القوى تبحث عن سياسات جديدة تحكم بموجبها العالم، وظهرت تبعاً لذلك حروب فكرية وأثنية دينية وحروب طائفية قومية في عدد من الدول[(١)].

ومع هذه الظروف وترداد مصطلح الصراع، وكأن العالم على شفا حرب كونية ثالثة، كان لا بد من أطروحة تناهض هذه الفكرة، وهي أطروحة (حوار الحضارات) والتي كانت وليدة هذه التحولات التي عرفها العالم[(٢)].

ويرى أصحاب هذا المصطلح أن الحضارات لا تتصارع ولا تتصادم بذاتها، بل هي تتكامل وتتبلور بحيث تعتمد كل حضارة على ما عند الأخرى من معارف وثقافة وشؤون حياة.

إن الصدام إنما يقع حينما يحاول كل طرف أن يخرج عن المسار الصحيح، ويقهر الآخر ويفرض عليه حضارته بقوة السلاح، ويمنع عنه كل وسائل الاختيار، فعندئذ يقع الصراع بسبب أتباع الحضارات، وليس بسبب الحضارات ذاتها.

ولقد كان لأتباع هذه الحضارات، وبخاصة السياسيين منهم الأثر في تأجيج هذا الصراع، وإقناع الشعوب والحكومات بالعداء بين الأطراف، والجرأة الشديدة التي ينطق بها هؤلاء في إعلان

---

(١) مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، محمد سعدي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١ (٢٠٠٦م)، ص (٨٨).

(٢) أزمة الحضارات في القرن العشرين روبرت جرين، ترجمة: عمر ديوب، مجلة المجتمع، يوليو (١٩٩٥)، ص(٣٥).

مخططات الغرب السرية، وإشهار العداء الواضح لما يسمونه (الإسلام الأصولي)[1].

عندها بدأت الدعوات المتعقِّلة للمنصفين في الشرق والغرب التي تنادي بضرورة قيام الحوار، وعدم الالتفات إلى دعوات الصراع والتأجيج التي يتبناها الأعداء أو المغرر بهم من الطرفين، ومن هذه الدعوات المتعقلة ما نادى به المفكر الفرنسي (روجيه جارودي).حيث دعا إلى الجمع بين الحضارات المختلفة والمتنوعة، على أساس أرض مشتركة للتفاهم بين الشعوب، وسمى ذلك: «بحوار الحضارات» ومع شدة ما أثير حول هذه النظرية عند ظهورها إلا أنها لم تأخذ حظا كافيًا على المستوى النظري أو العملي، خاصة مع ظهور القطب الواحد في العالم وهيمنته على مجرى الأحداث وتأثيره الشديد في مستوياتها.

ثم ما لبث العالم إلا وقد كانت نظرية «نهاية التاريخ» للمفكر الأمريكي الياباني الأصل (فرانسيس فوكو ياما)، قد ظهرت وبدأ الناس يتأملون على مضمونها القائم على أنه طالما وصل العالم الغربي إلى قمم الحضارة بل أقصى مستوياتها ؛ فلابد أن يكون ذلك علامة على نهاية التاريخ وأن الإنسان الأمريكي هو من وصل إلى هذه القمة، فلابد من حدوث التداعي وفق ما عرف بأن الحضارات إذا وصلت قمتها ما تلبث إلا وتعود أدراجها إلى بدايتها البسيطة.

وخلاصة نظرته أنه من الضروري وجود الدولة المتجانسة الجامعة التي تحتوي على ديمقراطية ليبرالية في المجال السياسي؛ مقترنة بوفرة كبيرة من الاقتصاديات الليبرالية المتقدمة، والثقافة الاستهلاكية بأشكال متعددة.

ثم تلا هذا الحدث ظهور نظرية مفكر أمريكي أيضًا هو (صمويل هنتنجتون) وفق ما أسماه «صدام الحضارات»، والتي قدم فيها قراءة مستقبلية من وجهة نظره لمستقبل العالم المعاصر، وأن الصدام الحضاري واقع لا محالة وليس مجرد صراع فكري أو اقتصادي، بل الصراع سيشتد حتى تزول حضارات وتبقى أخرى، تحت هيمنة المنتصر، وأن ليس أمام الحضارات فرص للبقاء سوى ثلاث حضارات هي: الإسلامية والغربية والصينية. وحذّر(هنتنجتون) العالم الغربي من احتمالات حدوث

---

(١) وهناك من المسلمين من يرى استحالة التزاوج أو الاستفادة بين الحضارة الغربية والإسلامية لاختلاف الأساس بينهما، وأنه لا بد من المواجهة. ينظر: ((المواجهة بين الإسلام والغرب))، د. محمد مورو، الدار المصرية للنشر، القاهرة، ط١ (١٩٩٣م) (١٢- ٤٠).

تحالف بين الحضارة الإسلامية مع نظيرتها الصينية[١] ، ولقد قام كثير من المفكرين في العالم الإسلامي وغيره بطرح بديل لنظرية صراع الحضارات- التي لم تأخذ قبولاً قويًّا بين مفكري العالم - بطرح نظرية حوار الحضارات والتي هي الوسيلة التي قد تكون الوحيدة دون خيار للتواصل العالمي ولاستمرار النشاط الفكري والاقتصادي، كما سيأتي.

كانت وظيفة (هنتنجتون) في هذه الأثناء هي التنظير للحرب الباردة فأصبح عليه أن يبحث عن موقع ودور تنظيري جديد يستجيب للمتغيرات التي يعيشها العالم وربما كان تقريبًا هو إيجاد محددات جديدة وسهلة التصنيف للسلوك الدولي المعاصر الذي تخيم عليه ظلال الفوضى[٢] .

في الوقت نفسه حدث تحول في طبيعة ومصادر الصراع في العلاقات الدولية حيث أدى انهيار الاتحاد السوفيتي إلى إحداث تحولات جذرية على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية عالميًا، فلقد أفرز انتهاء الحرب الباردة ظاهرة تعدد وتداخل مصادر وطبيعة الصراعات الدولية وبالتالي تغير أنماط وجذور الصراع في المستقبل[٣] .

كما أن الانقسام الاقتصادي بين عالم الشمال المتقدم وعالم الجنوب الفقير والمتخلف اقتصاديًا وماديًّا له دور عام في جعل المجال الاقتصادي هو التحدي الحقيقي خلال السنوات القادمة حيث المنافسات والحروب الاقتصادية العالمية وإذا كان النزاع خلال الحرب الباردة له مصدر استراتيجي هو المواجهة بين الشرق والغرب فإن نهاية الصراع الأيديولوجي أحيا مرة أخرى الهويات القومية والإثنية ولهذا يرى الكثير من الباحثين أن تكون الصراعات القومية هي بؤرة التوتر الأساسية في المسرح السياسي العالمي[٤] .

---

(١) صدام الحضارات، صموئيل هنتنجتون، الدار الجماهيرية، ليبيا، ط١ (١٩٩٩م). نقله إلى العربية: د. مالك أبو شهيوة، د. محمود خلف، ويرى بعض المفكرين أن هذه النظرية جزء من اللعبة السياسية الغربية.

وهو رأي الدكتور علي النملة الذي يؤكد أن النظرية أخذت قوتها بدعم استخباراتي، وليس بقوة الطرح (لقاء مسجل معه بتاريخ ١٣/ ٢/ ١٤٢٩هـ).

وقد بدأت فكرة الصراع عند هنتنجتون لأول مرة في مقال نشره عام (١٩٩٣م) في مجلة (فورن أفيرز) ثم في الكتاب المذكور.

(٢) ألبرت ويكس: هل تثبت الحضارات ؟ مجلة الحرس الوطني، عددا ١٦٤ و١٦٥ أبريل ١٩٩٦، ص ٩٣.

(٣) محمد السعدي: مرجع سابق ص ٨٩.

(٤) نفسه ص ٩٠.

وفي الوقت الذي يشهد فيه العالم ثورة علمية متسارعة وتنافسية في وقت واحد فإننا نلاحظ عودة قوية لتأثير الأديان ؛ وهذه الصحوة الدينية نابعة من صميم الواقع التاريخي الإنساني وسيكون لعامل الدين دور مؤثر في الصراع العالمي ؛ لأن التأثير المتزايد للأديان العالمية من الإسلام وحتى الأرثوذكسية الروسية سيكون لاعبًا أساسيًا في النظام العالمي للقرن الحادي والعشرين[١]، وإن كان التأثير الفعلي للإسلام ما زال والحمد لله تأثيرًا فعّالاً في الحياة، وإن اختفى أثره في أحيان كثيرة عن سلوك المسلمين، وهو ما يجعله يبدو ضعيف التأثير.

إلا أن ظهور فكرة صدام الحضارات أثارت ردود فعل حادة منها أطروحات تقوم على أن الحضارات لا يشترط أن تتصادم لتبقى ولكن من الممكن أن تتواصل وتتحاور استنادا على مبدأ التعاون الثقافي والعلمي، وهذا ليس بجديد، فقد عاشت الثقافات على مر العصور في ظل حوار دائم بين البشر.

من هنا أصبح حوار الحضارات بمثابة القضية الكبرى التي تشغل العالم بعد نهاية الحرب الباردة وانهيار القطبية الثنائية وعلى العكس من مقولة (هنتنجتون) بشأن صدام الحضارات أكد أنصار الحوار على أن استمرار الحوار ضرورة حتمية لبقاء تعاون البشرية بدلاً من صدام يدمرها ويعود بها للخلف.

وقد قامت الأمم المتحدة بدور كبير في طرح ورعاية حوار الحضارات وهذا الدور يعود إلى عام ١٩٤٩ عندما بدأ اليونسكو بدعم حوار الحضارات وأصدرت لجنة الخبراء في الدراسات المقارنة للحضارات تقريرا يحدد أهداف الحوار[٢].

توالى نشاط اليونسكو في مجال حوار الحضارات مثل المشروع الرئيسي لليونسكو الذي استمر من ١٩٥٧م حتى ١٩٦٦م، وقد صدر عن اليونسكو عام ١٩٦٦م إعلان المبادئ للتعاون الثقافي الدولي، وينص على أن كل حضارة لها اعتبارها وقيمتها التي يجب المحافظة عليها واحترامها، وأن كل الحضارات بكل ما فيها من تنوع واختلافات عميقة وتأثير متبادل بعضها على بعض، جزء من

---

(١) النظام العالمي في القرن ٢١، ألفين توفلر وهايدي توفلر: ترجمة: عصام الشيخ، مجلة الثقافة العالمية، السنة ١٢ العدد ٧٠ مايو ١٩٩٥ ص ٢١

(٢) الأمم المتحدة وعام حوار الحضارات من خبرات حوار الحضارات، زينب عبد العظيم وآخرون، صادر عن برنامج حوار الحضارات – كلية الاقتصاد – جامعة القاهرة، ص٣٨.

الإرث العام للبشرية[1]، خاصة في ظل ظهور ما يسمى بالعولمة – نسبة إلى العالم – ظهورًا شديدًا الآن، حيث تتم الدعوة إلى كون العالم قرية واحدة تتعانق مصالحها وتتفق أهدافها المعنوية والمادية كما يرى أصحاب هذا المذهب، وهو مذهب يدعو إلى البحث عن الحقيقة الواحدة التي تكمن وراء المظاهر المتعددة في الخلافات المذهبية السياسية والخلقية المتباينة من أجل جمع الناس على مذهب واحد تزول معه سائر الخلافات الدينية والعنصرية لإحلال السلام في العالم محل الخلاف – على حد زعمهم[2].

وسيأتي تفصيل ذلك في مقاصد الحوار – ولكن لابد من التنبيه على فارق هام بين هذا المذهب ودعوته الممتدة الآن وبين عالمية الإسلام، والتي كنت وما زالت وستظل – إن شاء الله – عالميتها متميزة ومتفرقة لكونها مع دعوتها إلى السلام العالمي والتعارف الإنساني محافظة على قواعد ذلك من شرع الله تعالى القائم على إفراد الله الواحد بالعبادة والتشريع والانقياد، وفق هدي رسوله الخاتم r المبعوث رحمة للعالمين، فهناك فرق كبير بين عالمية الإسلام والعولمة المتوحشة التي تجعل قطاعًا كبيرًا من البشر عبيدًا لأصحاب رأس المال والهيمنة العسكرية والاقتصادية التي تميز بين البشر وفق الأهواء والأغراض والمصالح، بخلاف الإسلام الذي تسع رحمه سائر الخلق إنسهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم، وذلك بالعدل والإحسان والقسط، وقد قال الله تعالى: **[وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ]** [المائدة: ٢].

فعولمة الغرب اليوم تمسح كل الحضارات، وتلغي كافة المفاهيم والقيم والأديان، وتحطم جميع طرق الاقتصاد ووسائل الثقافة، وتبقي على مفهوم واحد ألا وهو حضارة وقيم وثقافة واقتصاد الغرب لا غير، لتكون العولمة «حركة تستهدف تحطيم الحدود الجغرافية والجمركية، وتسهل نقل الرأسمالية عبر العالم كله كسوق كونية»[3].

(١) المرجع السابق، ص ٣٨.

وينظر: حول حوار الحضارات والثقافات من أين يبدأ؟ وكيف؟ د. سعيد عبد الله سلمان، مجلة الجامعة الإسلامية، لندن، العدد الرابع، (١٤١٥هـ) (ص ٦٩- ٨٠).

(٢) سيأتي الحديث عن العولمة وأثرها في حوار الحضارات.

(٣) آفاق الحضارة العربية الإسلامية، د. فاضل محمد الحسيني، دار الشروق، الأردن، ط١ (٢٠٠٦م)، ص ٢١٤.

ومما لا يخفى أن الصراع بين الناس من طبائع النفس البشرية منذ خلق الله تعالى آدم فكان الصراع الأول بين الحق والباطل وبدء التدافع البشري على الأرض بين ابني آدم وهذا يدل على مقدار الخيال الذي يعتقده دعاة العولمة من تحويل العالم إلى قرية واحدة لا يختلف فيها أحد ، و إن كنا لا نستبعد حدوث السلم– على الأقل – بين الدول المتجاورة أو الثقافات المتقاربة المداخل والمخارج كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ولتقريب ذلك علينا أن نتأمل ما حدث بين ابني آدم من صراع ، وبيان أنه لا يجوز وزن شيء إلا بميزان الشرع الحنيف كما سبق بيانه.

نظرية التدافع

الدفع : الإزالة بقوة. وتدافع القوم : أي دفع بعضهم بعضاً[1].

والدفع إذا عُدّي بـ(إلى) اقتضى معنى الإنالة كقوله تعالى: â**فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ** á [النساء: ٦]، وإذا عدي بـ(عن) اقتضى معنى الحماية ، نحو: â**إِنَّ اللّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**á [الحج : ٣٨][2]، ويميل بعض الكتاب المسلمين إلى تسمية العلاقة بين الحضارات بـ(التدافع) بدلاً من (الصراع) مستندين إلى الآية الآتية من سورة البقرة، فغاية التدافع هي عمارة الأرض والإبقاء على الأنفع والأحسن والأكثر فائدة للبشرية ، وليس الغرض الصراع والتصادم كما يقول (هنتنجتون) :

يقول الله تعالى: [**وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**] [البقرة:٢٥١]، فقد ذيلت هذه الآية الجليلة كل الوقائع العجيبة، التي أشارت إليها الآيات التي حكت ما حدث بين الخلائق جميعًا، كالذي حدث بين الأنبياء وأقوامهم، وبين أهل الحق وأهل الباطل.. إلخ.

ولكون مضمون هذه الآية عبرة من عبر الأكوان، وحكمة من حكم التاريخ، ونظم العمران الذي لم يهتد أحد قبل نزول الآية إليه ؛ فإنه يحسن الإشارة إلى معناها.

---

(١) لسان العرب، مرجع سابق (٨/ ٨٨).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، ط١ (١٤١٨هـ)، تحقيق: محمد عيتاني، ص ١٧٧.

فمعنى الآية : أنه لولا وقوع دفع بعض الناس بعضًا آخر بتكوين الله وإبداعه قوة الدفع وبواعثه في الدافع ، لفسد مَن على الأرض ، واختل نظام الحياة فوقها : وذلك أن الله تعالى لما خلق الموجودات التي على الأرض من أجناس وأنواع وأصناف ، خلقها قابلة للاضمحلال ، وأودع في أفرادها سننًا دلت على أن مراد الله بقاؤها إلى أمد أراده ولذلك نجد قانون الخَلَفية منبثًا في جميع أنواع الموجودات فما من نوع إلا وفي أفراده قوة إيجاد أمثالها لتكون تلك الأمثال أخلافًا عن الأفراد عند اضمحلالها ، وهذه القوة هي المعبر عنها بالتناسل في الحيوان ، والبذر في النبات ، والنضح في المعادن ، والتولد في العناصر الكيماوية. ووجود هذه القوة في جميع الموجودات أول دليل على أن موجِدها قد أراد بناء الأنواع ، كما أراد اضمحلال الأفراد عند آجال معينة ، لاختلال أو انعدام صلاحيتها ، ونعلم من هذا أن الله خالق هذه الأكوان لا يحب فسادها. ثم إن الله تعالى كما أودع في الأفراد قوة بها بقاء الأنواع ، أودع في الأفراد أيضًا قوى بها بقاء تلك الأفراد بقدر الطاقة ، وهي قوى تطلُّب الملائم ودفع المنافي ، أو تطلُّب البقاء وكراهية الهلاك ، ولذلك أودع فى جميع الكائنات إدراكات تنساق بها ، بدون تأمل أو بتأمل ، إلى ما فيه صلاحها وبقاؤها ، كانسياق الوليد لالتهام الثدي ، وأطفال الحيوان إلى الأثداء والمراعي ، ويسمى ذلك بالقوة الشاهية. وأودع أيضًا في جميع الكائنات إدراكات تندفع بها إلى الذب عن أنفسها ، ودفع العوادي عنها ، عن غير بصيرة ، كتعريض اليد بين الهاجم وبين الوجه ، وتعريض البقرة رأسها بمجرد الشعور بما يهجم عليها من غير تأمل في تفوق قوة الهاجم على قوة المدافع ثم تتوسع هاته الإدراكات فتتفرع إلى كل ما فيه دفع المنافر من ابتداء بإهلاك من يُتوقع منه الضر ، ومن طلب الكِن ، واتخاذ السلاح ، ومقاومة العدو عند توقع الهلاك ، ولو بآخر ما في القوة. وهو القوة الغاضبة ولهذا تزيد قوة المدافعة اشتدادًا عند زيادة توقع الأخطار حتى في الحيوان. وما جعله الله في كل أنواع الموجودات من أسباب الأذى لمزيد السوء به أدل دليل على أن الله خلقها لإرادة بقائها ، وقد عَوَّضَ الإنسان عما وهبه إلى الحيوان العقلَ والفكرة في التحيل على النجاة ممن يريد به ضررًا ، وعلى إيقاع الضُر بمن يريده به قبل أن يقصده به ، وهو المعبر عنه بالاستعداد. ثم إنه تعالى جعل لكل نوع من الأنواع ، أو فرد من الأفراد خصائص فيها منافع لغيره ولنفسه ليحرص كل على بقاء الآخر. فهذا ناموس عام. وجعل الإنسان بما أودَعه من العقل هو المهيمن على بقية الأنواع. وجعل له العلم بما في الأنواع من الخصائص ، وبما في أفراد نوعه من الفوائد.

فخلق الله تعالى أسباب الدفاع بمنزلة دفع من الله يدفع مريد الضر بوسائل يستعملها المراد إضراره ، ولولا هذه الوسائل التي خولها الله تعالى أفراد الأنواع ، لاشتد طمع القوى في إهلاك

الضعيف، ولاشتدت جراءة من يجلب النفع إلى نفسه على منافع يجدها في غيره، فابتزها منه، ولأفرَطتْ أفراد كل نوعٍ في جلب النافع الملائم إلى أنفسها بسلب النافع الملائم لغيرها، مما هو له، ولتناسى صاحب الحاجة، حين الاحتياج، ما في بقاء غيره من المنفعة له أيضًا. وهكذا يتسلط كل ذي شهوة على غيره، وكل قوي على ضعيفه، فيهلك القوي الضعيف، ويهلك الأقوى القويَّ، وتذهب الأفراد تباعًا، والأنواع كذلك حتى لا يبقى إلا أقوى الأفراد من أقوى الأنواع، وذلك شيء قليل، حتى إذا بقي أعوزته حاجات كثيرة لا يجدها في نفسه، وكان يجدها في غيره: من أفراد نوعه، كحاجة أفراد البشر بعضهم إلى بعض، أو من أنواع أخر، كحاجة الإنسان إلى البقرة، فيذهب هدرًا.

وبهذا الدفاع حصلت سلامة القوي، وهو ظاهر، وسلامة الضعيف أيضًا لأن القوي إذا وجد التعب والمكدرات في جلب النافع، سئم ذلك، واقتصر على ما تدعو إليه الضرورة. وإنما كان الحاصل هو الفساد، لولا الدفاع، دون الصلاح، لأن الفساد كثيرًا ما تندفع إليه القوة الشاهية بما يوجد في أكثر المفاسد من اللذات العاجلة القصيرة الزمن، ولأن في كثيرة من النفوس أو أكثرها الميل إلى مفاسد كثيرة، ولأن طبع النفوس الشريرة ألا تراعي مضرة غيرها، بخلاف النفوس الصالحة، فالنفوس الشريرة أعمد إلى انتهاك حرمات غيرها، ولأن الأعمال الفاسدة أسرع في حصول آثارها، وانتشارها، فالقليل منها يأتي على الكثير من الصالحات، فلا جرم لولا دفاع الناس بأن يدافع صالحهم المفسدين، لأسرع ذلك فى فساد حالهم، ولعم الفساد أمورهم في أسرع وقت.

وأعظم مظاهر هذا الدفاع هو الحروب ؛ فبالحرب الجائرة يطلب المحارب غصب منافع غيره، وبالحرب العادلة ينتصف المحق من المبطل، ولأجلها تتألف العصبيات والدعوات إلى الحق، والإنحاء على الظالمين، وهزم الكافرين.

ثم إن دفاع الناس بعضهم بعضًا يصد المفسد عن محاولة الفساد، ونفس شعور المفسد بتأهب غيره لدفاعه يصده عن اقتحام مفاسد جمة[١].

التأصيل النظري للصراع

قلما يجد الباحثون عدم احتواء أي ظاهرة كونية في أي مجال من مجالات المعرفة ظاهرة الصراع في داخلها: البيولوجيا، علم النفس، الأنثروبولوجيا، الاجتماع، علم الاقتصاد، علم السياسة.

---

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ط الدار التونسية للنشر، (٢/٥٠١- ٥٠٣).

وهو أمر يجعلنا نقول: إن جزءاً كبيراً من التاريخ هو سجل لظاهرة الصراع، خاصة وأن الصراع هو عملية تبادلية مستمرة في التأثير والتأثر[١].

في معنى الصراع:

إن الصراع المنخفض الحدة هو صراع سياسي وعسكري محدود لتحقيق أهداف سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية أو سيكولوجية، وغالباً ما يكون ممتداً، يتراوح بين الضغوط الدبلوماسية، والاقتصادية، والنفسية، والإرهاب، والتمرد المسلح، سواء للحكومة التي تتعرض لهجوم المتمردين، أو لقوى تسعى للتحرر من حكومة معادية؛ وبعبارة أخرى: دعم من الخارج للعمليات الانقلابية والتمرد والثورة ضد الحكومات غير الصديقة، ولذا فإن هذا النوع من الصراعات يستخدم فيه عمليات خاصة وأنشطة خاصة، حرب غير تقليدية[٢].

وإذا ما انتقلنا إلى تعريفات مختلف المدارس التي تعرضت لتعريف الصراع، فإننا سوف نجد أن كل مدرسة انطلقت من الفكرة، أو الأيديولوجيا، أو المنهج الذي آمنت به واقتنعت أنه يعطي تفسيرًا واضحًا وأشمل لمفهوم الصراع، وكذا معرفة أسبابه وربما نتائجه. وتعتبر المدرسة الاقتصادية والسيكولوجية – النفسية – من أكثر المدارس تصدياً لمحاولة فهم أسباب وأبعاد الصراع، سواء كان ذلك على المستوى الأدنى – الفرد – أو الأعلى - النظام الدولي. وعلى الرغم من ذلك، فإن تلك المدرستين لم تتفقا على مفهوم واحد أو محدد للصراعات. فهم يعرفونه بأنه تنافس بين أفراد، أو جماعات، وأنه يحدث في الغالب عندما تتنافس الأطراف المختلفة حول أهداف غير متوافقة – حقيقية أو متصورة – من الموارد المحدودة[٣].

أما أنصار المدرسة السيكولوجية – النفسية – فهم يعتقدون بأنهم الوحيدون المتفردون في تفسير السلوك التصارعي، سواء كان ذلك على مستوى الفرد أم على مستوى وحدات النظام الدولي، فهم يعتقدون أن أصل المشكلة تكمن في الفرد ذاته؛ حيث الدافع العدواني موجود وبشكل

---

(١) Marrin patchen, resolving disputes between nations, duke press, Doticy studies duke university. Press, London 1988 P30.

(٢) جهاد عودة، وأشرف راضي، نزاعات غير تقليدية أشكال جديدة للعنف في الشرق الأوسط، كراسات استراتيجية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد ٣٧، ١٩٩٦، ص ص ٣ ـ ٧.

(٣) حسن بكر، مرجع سبق ذكره، ص ص ٣٨١ – ٣٨٢.

دائم داخل الإنسان ويتحين الفرصة ليعبر عن نفسه – الصراع – والذي يتخذ شكل المشاكسة والرغبة في الصدام والانتقام مع الآخرين، وحب التسلط والتوسع والمخاطرة ويصبح أكثر فاعلية عندما يثار بمحفزات خارجية[١].

ويُعتبر (فرويد)[٢] واحداً من ضمن من أخضعوا تلك الحالة – النفسية – للدراسة والتحليل، فهو يرى أن مختلف الظواهر السياسية بما فيها ظاهرة الصراع الدولي هي نتاج السلوك والنزعة العدوانية الكامنة في أعماق النفس البشرية، وهذه الطاقة العدوانية المكبوتة داخل الإنسان سببها العديد من الضغوط والضوابط الاجتماعية، التي لا تجد متنفساً لها إلا بالتسلط والعداوات، والرغبة في الانتقام، وإخضاع الآخرين؛ بمعنى أن السلوك العدواني يهيئ مخرجاً للطاقات التدميرية الكامنة بتحويلها وتوجيهها نحو الآخرين ليحافظ بها الفرد على ذاته، كما تحافظ الجماعة على ذاتها القومية[٣].

ورغم ذلك التوسع في التحليل، إلا أن هذه المدرسة لم تستطع أن تعطي تعريفاً واحداً شاملاً لظاهرة الصراع، وربما يرجع ذلك أيضاً إلى تنوع هذه المدرسة، وكذا تنوع تياراتها، والبعد أو المدى الذي يأخذه التحليل النفسي.

كما أن أنصار العامل الاجتماعي لهم رأيهم الخاص في مسألة الصراع، فهم في تحليلهم لظاهرة الصراع يدرسونها من خلال المستويات المتعلقة بالأفراد أو الجماعات على حدٍّ سواء، واتسع نطاق اهتمامهم ليشمل المتغيرات المتنوعة التي تمثل روافد لظاهرة الصراع، كالإدراك والقيم والأصول العرقية والأثنية والأيديولوجية والثقافة والمعتقدات القومية والمصالح، وحجتهم في ذلك أن إلقاء

---

(١) the ordre A: columbis and somes H. wolfe, introduction to international relations N/. J. Printice hall 1988P.157.

(٢) هو: سيجموند فرويد (١٨٥٦- ١٩٣٩): طبيب نمساوي، له مجموعة من النظريات النفسية التي سببت ضجة في العالم، له عدة كتب أقام فيها دراساته على السلوك الشاذ عند المصابين، مما جعلها مجال رفض عند كثير من النقاد.

(٣) الذات والغرائز، سيجموند فرويد، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (١٩٥٤م) ص ص ٨- ١٣.

وينظر: (تحليل وحل الصراعات: الإطار النظري)، عبد المنعم المشاط، المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط، القاهرة (١٩٩٥م). ص- ص (٤- ٨) حيث ساق مجموعة من التعريفات.

الضوء على تلك المتغيرات يلقي الضوء على الاختلافات التي تسبب الصراع بين الذات والآخرين، مما يعني في النتيجة النهائية أن الصراع يحصل نتيجة لإدراك أحد أطرافه لخصومه أو أعدائه بشكل لا يتوافق مع مصالحه، مما يسهم بدوره في تبني الطرفين لسبل غير متوافقة لتحقيق أهدافهم، ويبدو أن أنصار هذا العامل لا يأخذون أو لا يُحَمِّلون العامل الخارجي أيَّ دور في نشوب الصراع أو استمراره[(١)].

وقد ركزت أغلب التعريفات على جانب القوة والتدمير والغلبة[(٢)].

ومع الدعاوى الغربية التي نادت بنهاية التاريخ وأطروحة الصراع الحضاري، علت الأصوات خوفا من الهيمنة الحضارية الغربية أو من الصدام الحضاري بين الحضارات المختلفة، ومن هنا ارتفعت الأصوات مطالبة بالحوار بين الحضارات، وكان من أبرز هذه الأصوات تلك المبادرة التي أطلقها الرئيس الإيراني السابق خاتمي- كما سيأتي بيانه - وقد استجابت الجمعية العامة للأمم المتحدة ووافقت على مبادرته وتم اعتبار عام ٢٠٠١ عام حوار للحضارات[(٣)]، بالإضافة إلى ما سبق من دعوات الحوار الحضاري، مثل دعوة المفكر الفرنسي (روجيه جارودي) –كما سبق– إلى قيام حوار حضاري مع نقد للتوجه الغربي وسلطته وهيمنته[(٤)].

وعلى هذا اعتمد هنتنجتون مقولة: (الصدام The clash) كتعبير عن لحظة الصراع الذي يجري وسيستمر في أرض الواقع، ولكي تكون هذه المقولة ذات دلالات عامة وشمولية، فقد حقنها بقوة دلالية مضافة لتصبح أكثر تعبيراً عن جوهرية هذا الصدام، واتساع شموليته، فمن الصدام الحضاري إلى الصدام الكوني، ومن الصدام الجزئي بين طرفين أو ثلاثة، إلى صدام كلي تشترك فيه

(١) التقرير الاستراتيجي العربي ٢٠٠٠، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٠١، ص٤٧.

(٢) ينظر: تسويات المنازعات الدولية دراسة لبعض مشكلات الشرق الأوسط، محمد نصر مهنا، خلدون ناجي، مكتبة أبو غريب، القاهرة، (ب.ت) ص٩. الاستراتيجية والسياسة الدولية، المفاهيم والحقائق الأساسية، إسماعيل صبري مقلد، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥م ص١١٧، القائد وإدارة الصراع، أنمار لطيف نصيف جاسم، دار الجيل والمكتبة الثقافية، بيروت (٢٠٠٠م)، ص ٨٦.

(٣) العنصرية وصدام الحضارات، مرجع سابق، وموقع الأمم المتحدة ستأتي الإشارة إليه، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن الندوي، مطبعة التقدم، القاهرة، ط٣، (١٣٩٧هـ).

(٤) حوار الحضارات، روجيه جارودي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط٥ (٢٠٠٣م).

مجمل القوى البشرية على اختلاف تشكيلاتها[1].

ويروج صاحب الأطروحة لتأكيداته الصراعية، أن العدو الحقيقي هو الإسلام، وأكد هذه النظرة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ليردد أن بذور صدام عام بين الحضارات باتت منثورة، وبالذات بعد موقف التوافق الغربي- الأمريكي والأوروبي —ضد هذه القضية.

ومع كل التجني الذي تمثل في نظرية هنتنجتون إلا أنه لا يمكن ردها مطلقاً، فمن سنن التاريخ التداول بين الحضارات، ومن أسباب الإدالة الصراع والصدام بينها؛ وهذا الصدام في بعض أحيانه صدام ديني لأن أهم مكونات الحضارة هي الثقافة، وأهم مكونات الثقافة هو الدين، والباعث الرئيس في كل حضارة هو الدين.

ولا بد من ملاحظة أن هنتنجتون استعمل الدين كمقياس للتمييز بين الحضارات فقط مع الإسلام وحده، أما الحضارات الأخرى فهو ينسبها إلى شيء آخر غير الدين، وهو أيضاً يغض الطرف عن الروح الصدامية الصراعية الموجودة في بنية الفكر الغربي الحديث التي غذّت نظرة الصراع عند الغرب في تعامله مع الحضارات الأخرى[2].

لكن لا يعني الإقرار بسنية الصراع (التدافع) الإقرار بصدام بين الحضارات، والكن المراد أن تداولاً يقع بينها هو من سنة الله في هذا الكون، وليس كما صوره هنتنجتون من عداوة الإسلام للحضارات، وبالذات الحضارة الغربية لأنها تمثل الحداثة العلمانية.

---

(١) العنصرية وصدام الحضارات، صبري سعيد، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١ (٢٠٠٧م) ص (٧٠- ٧١ بتصرف).

(٢) الأطروحات الغربية في توصيف علاقة الغرب بالإسلام، د. إبراهيم الناصر، ضمن التقرير الإستراتيجي السنوي، مجلة البيان، الرياض، (١٤٢٩هـ)، وينظر: الإسلام والآخر، حمدي شفيق، جريدة النور الإسلامية المصرية، بحث مطول على موقع الجريدة.

وقد صدرت كتب وأبحاث ودراسات في نقد أو دراسة نظرية (صراع الحضارات)، وقد أعرضت عن الإسهاب فيها؛ لأنه مما سبق بحثه، وليس من صلب بحثنا، فنكتفي بالإشارة إليه.

أولاً: تعريف الحوار لغة واصطلاحاً

الحوار في اللغة:

الحوار لفظ لغوي شائع الاستعمال في اللغة العربية منذ الجاهلية بمصدريه اللغويين وهما: الحوار (بكسر الحاء) والمحاورة، وما اشتق منهما من ألفاظ، فنجد في الشعر الجاهلي قول عنترة مثلا يصف فرسه في معلقته:

لو كانَ يَدْرِي ما المحاورَةُ اشتكى   أَو كانَ لو عَلِمَ الكلامَ مُكلِّمي(١).

وقد ذُكر في القرآن الكريم كقول الله تعالى: **[.... فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً]** [الكهف آية ٣٤]، وقوله تعالى: **[قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ]** [المجادلة: ١].

وأصل معنى الحوار: الرجوع عن الشيء وكذلك الرجوع إلى الشيء. ومن هنا فسروا الحوار والمحاورة بأنهما: «مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة» وقالوا في معنى «يتحاورون»: أي «يتراجعون الكلام»، والمقصود بالتراجع هنا تبادل الكلام بين شخصين أو جماعتين[(٢)].

ويؤكد بعضهم ذلك بالقول إن الحوار في اللغة تدور معانيه بين معنيين رئيسيين: الرجوع والمراجعة، والرد والارتداد، فالحوار: هو الرجوع عن الشيء والارتداد عنه، وحار عن الأمر وإليه: رجع عنه أو إليه.

والحور هو النقصان، أي الرجوع من حال إلى حال – وأحار الجواب: والمجاوبة ومراجعة

---

(١) ديوان عنترة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط١ (٢٠٠١) ص (٢٠٢).

وعنترة هو الشاعر الجاهلي: عنترة بن شداد بن عمرو، من فرسان العرب في الجاهلية وشعرائهم، من أهل نجد، عرف بمحبته وغزله لمحبوبته، وفيها كتب شعراً كثيراً، مات قبل الهجرة (٢٢ ق. هـ=٦٠١م).

ينظر: شرح المعلقات العشر المذهبات، ابن الخطيب التبريزي، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، (د.ت) ص (١٨٥- ١٩١).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، مادة (حور)، والمفردات للأصفهاني (حور)، ص (٢٦٢)؛ والصحاح للجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مادة (حور) (٢/ ٦٤٠).

الكلام، ويتحاورون: يتراجعون الكلام[1].

وكلمة حوار قد وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات – في سورة الكهف: [...فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً] [الكهف آية: ٣٤] - كما تقدم الذكر – وفي سورة المجادلة [الآية: ١].

الجدال

[وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] [العنكبوت: ٤٦].

وقد وردت في نحو تسعة وعشرين موضعا منها: **[هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]** [النساء١٠٩] – **[قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا]**[هود- ٣٢] - **[وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ]** [الكهف - ٥٦] - **[وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ]** [الحج- ٦٨].

قال الإمام الطبري في تفسيره: يقول تعالى ذكره: (ولا تجادلوا) أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى، وهم (أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)، يقول: إلا بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حججه[2].

علم الجدل

هو علم باحث عن الطرق التي يقتدر بها على إبرام أي وضع أريد نقضه، وهو من فروع علم النظر، ومبنى لعلم الخلاف، مأخوذ من الجدل الذي هو: أحد أجزاء مباحث المنطق، لكنه خص بالعلوم الدينية وله استمداد من علم المناظرة المشهور بآداب البحث، والغرض منه: تحصيل ملكة

---

(١) حوار الحضارات تحرير المصطلح والمنهج، د / ناصر الدين الأسد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤ م، ص ٢٠، نحن والأخر وإشكالية المصطلح والحوار، د/ حامد بن أحمد الرفاعي، سلسلة إصدارات (لتعارفوا)، العدد ٢٣ – ط٢١ ص ٤٣، كذلك ينظر الإسلام والحوار الحضاري، منتديات الإسلام وحوار الحضارات، : د / مانع بن حماد الجهني، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، (٢٠٠٤)، (٣/ ١٣٢).

(٢) تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط١ (١٤٢٢هـ) (١٨ / ٤١٨). والطبري هو إمام المفسرين وشيخهم، ولد في آخر سنة (٢٢٤هـ)، ذكي ألمعي، كثير التصانيف، توفي سنة (٣١٠هـ) ببغداد.

النقض، والإبرام، والهدم، والأحكام. وفائدته كثيرة في الأحكام العلمية والعملية من جهة الإلزام على المخالفين، ودفع شكوكهم، والإنصاف أن الجدل لإظهار الصواب على مقتضى قوله تعالى: **[وجادلهم بالتي هي أحسن]** [(١)].

الحوار في الاصطلاح:

الحوار في الاصطلاح أو المصطلح هو غير «الدعوة» التي هي أهم مداخل الانطلاق للآخر عند المسلمين[(٢)]، ولكن قد تشتمل الدعوة والبلاغ حوارًا مع الآخر بل هو الغالب، حيث يتوقع من المدعو إلى استفهام أو سؤال أو رد أو اعتراض؛ فكل هذا غالبًا يدخل تحت المحاورة، وكل دعوة تشمل غالبًا حوارًا وليس كل حوار هو دعوة، ولو نظرنا إليها باعتبار أن الداعي المسلم على قناعة تامة بأن ما يدعو إليه هو الحق، وأن الآخر وإن كان على باطل لا يمنع من المحاورة معه.

والمقصود من الحوار هنا بصفة أدق «حوار الحضارات»، ونعني به الوصول إلى فهم متبادل بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب، اليهود والنصارى، أو حتى أصحاب الملل الأخرى، وفق ما يراه أولي الأمر بما يتفق مع الشرع ويحقق مصالح المسلمين، وهذا يؤدي إلى تفاهم مشترك بين أتباعهم. وليست كذلك «الدعوة» ولا «التبشير»: فهما قد يكونان من شخص واحد عالم يشرح لآخر يستمع لا يعرف شيئا ذا بال عما يسمع ولا عما يقابله أو يناقضه من فكر، فيصادف كلام محدثه عقلا خاليا يملؤه ذاك الحديث فيميل إليه ويقتنع به ويكون حاله كحال شاعرنا القائل:

أتـاني هواهـا قبـل أن أعـرف الهـوى ... فـصادف قلبًـا خاليًـا فتمكنـا[(٣)]

---

(١) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزأبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٣٩٨هـ) (٣/ ٥٤)، وأبجد العلوم لصديق حسن خان، مكتبة لبنان، ط١ (٢٠٠١م) (٢/٢٠٨).

(٢) لفظة: الآخر موضع إشكال عند الباحثين ما بين رافض لها ومؤيد، فقد أكد بعضهم أنه لا يمكن قبول لفظ الآخر إذا كانت تعني فئات دينية معينة، مثل: اليهود، والنصارى دون قيد في السياق، أو بقصد تخفيف الفارق بين المسلمين والكفار، وهذا من أخطر آثار هذا المصطلح؛ حيث إن من أطلقه، أو أشاع استعماله عن قصد إنما أراد إلغاء أو إضعاف عقيدة الولاء والبراء (هذا رأي د. عبد الرحمن المحمود، ود. ناصر العمر في لقاء مسجل معهما ستأتي الإشارة إليه).

بينما يتجاوز آخرون هذا اللفظ، ويعتبرونه مصطلحاً عادياً إذا لم يكن القصد منه إلغاء المصطلح الشرعي. (د. سلمان العودة، ومحمد الأحمري، في نفس سياق الأسئلة المسجلة معهما).

(٣) د / ناصر الدين الأسد، المرجع السابق، ص ٢٢، والبيت ينسب لمجنون ليلى، ديوانه، تحقيق عبد الستار فراج، مكتبة القاهرة (١٩٧٩م)، وينسب ليزيد بن الطثرية، ديوانه، جمع وتحقيق ناصر بن سعد الرشيد، دار =

كما عُرّف الحوار في الاصطلاح بعدة تعريفات نذكر منها :

- المحادثة بين شخصين أو أكثر مباشرة بشكل عام.
- المحادثة بين شخصين أو فريقين بغية الوصول إلى حقيقة مسألة مختلف بشأنها.
- المحادثة بين شخصين أو أكثر لتحقيق فهم مشترك حول مسألة ما.
- المحادثة بين شخصين أو أكثر لاكتشاف المشترك بينهما في إطار التنوع الديني أو المذهبي، أو الثقافي أو السياسي أو المصلحي، على أساس من العلمية والموضوعية والاحترام المتبادل[١].

إذًا يمكن اعتبار الحوار تواصلا بين جماعات وأفراد من خلال عمليتين هما: الإرسال (التحدث)، والاستقبال (الاستماع).

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الحوار لا يكون إلا بين أهل الحضارات والثقافات المختلفة، ولا يكون بهذا الاسم بين أهل الحضارة والثقافة الواحدة، ولذلك لا يدخل في مضمون هذا المصطلح الحوار بين أتباع المذاهب الإسلامية، ولعل الصواب خلافه، فإذا كان الحوار بين غير المسلمين مطلبا لاستقرار الحياة الإنسانية؛ فكيف لا يكون كذلك بين المسلمين؟

ثانيًا: تعريف الحضارة لغة واصطلاحاً:

- الحضارة لغة حسب ما أورد صاحب القاموس: والحَضر – محركة- والحضرة والحضارة والحِضَارة – ويُفتح – خلاف البادية، والحضارة الإقامة في الحضر[٢]. وقال الجوهري[٣]: والحضَر خلاف البدو.. والحاضر خلاف البادي، والحضارة خلاف البادية، وهي المدن، والقرى والريف والبادية خلاف ذلك. والحضارة الإقامة في الحضَر[٤].

= مكة، ط الأولى (١٤٠٠هـ).

(١) د/ حامد بن أحمد الرفاعي، المرجع السابق، ص ص ٤٣، ٤٤؛ الإسلاميون والحوار مع العلمانية والدولة والغرب، هاشم العوضي، ط١، بدون تاريخ، ص ١٤.

(٢) القاموس المحيط (حضر) ١٠/٣، مرجع سابق.

(٣) الجوهري هو إمام اللغة إسماعيل أبو نصر الجوهري، لغوي ونحوي مشهور، تتلمذ في العراق، وطاف الأرض تعلماً وتعليماً، من أشهر كتبه اللغوية (الصحاح)، توفي في أواخر القرن الرابع الهجري.

(٤) الصحاح، مرجع سابق، مادة (حضر) (٦٣٢/٢).

ومن الاستعمالات الأولى للحضارة في معنى مقابل للبداوة قول القطّامي التغلبي[١] :

فمـــن تكُـــنِ الحـــضارةُ أعجبتـــه ... فـــأيّ رجـــال باديـــةٍ ترانـــا!

وقد أبرزتْ ميسون زوج معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما بعض المظاهر البسيطة في مقارنتها الطريفة بين التحضّر والتبدّي في قولها :

لَبيـــــت تخفـــق الأرواح فيـــه ... أحَـــبُّ إليَّ مـــن قـــصر منيـــف
وكلـــب ينـــبح الطـــراق عنـــي ... أحَـــبُّ إليَّ مـــن قـــط ألـــوف
ولُـــبسُ عَبـــاءة وتقـــرَّ عينـــي ... أحَـبّ إليَّ مـن لـبس الـشُّفُوف
وأكـــلُ كُـــسَيْرةٍ في قعـــر بيتـــي ... أحَـــبُّ إليَّ مـــن أكـــل الرغيـــف
وأصـــواتُ الريـــاح بكـــلّ فَـــج ... أحـــبُّ إليَّ مـــن نَقْـــر الـــدُّفوف[٢]

أما الحضارة اصطلاحًا:

فتطلق على كل ما يخترعه الإنسان في سائر جوانب أنشطته العقلية والخلقية ، المادية والنفسية[٣] .

وإن كنت أرى التنبيه على أن ليس لتعريف الحضارة لغة واصطلاحًا تميزًا أخلاقيًا أو نفسيًا لأهل الحضر على أهل البداوة ، بحيث يُرى أهل الحضر أفضل وأعلى منزلة في عين كثير من المتأملين في التعريف ، بل نجد الأمر ليس كذلك حيث أننا نرى في أهل البداوة من التميز وقوة الشخصية والاعتماد على النفس ورعاية الرابطة الأسرية والقبلية والالتحام العائلي وبروز أفعال الخير

(١) الكامل للمبرد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط.دار الفكر العربي (القاهرة) ، (١٤١٧هـ/١٩٩٧ م) (١/ ٥٥).

والقطامي هو عمير بن شيم التغلبي ، من شعراء قبيلة تغلب في العصر الأموي ، توفي سنة (١٠١هـ). ينظر : القطامي التغلبي حياته وشعره ، عبد التواب الهواري ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، (١٩٧٤م) ، مختصرة على موقع الكلية.

(٢) هي ميسون بنت بحدل الكلبية ، وخبر أبياتها في خزانة الأدب للبغدادي ٥٠٣/٨ ـ ٥٠٦ ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط. مكتبة الخانجي.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد محمد حسين ، دار الإرشاد ، بيروت ، ط١ ، ١٣٨٨هـ ، ص ١٦١. وينظر : الإسلام والحضارة الغربية ، محمد كرد علي ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٠م.

والشجاعة مما لا نراه في كثير من أهل الحضر[١].

وهنا لابد أن نذكر فضل السبق لعالم الاجتماع المسلم ابن خلدون الذي سبق هؤلاء جميعا في وضع تصور وتعريف لمفهوم الحضارة منذ خمسة قرون حيث يرى أنها باختصار شديد مرحلة متقدمة من مراحل الرقي الاجتماعي تتطلع إليها الجماعات البشرية بطبعها وإن كانت في أول أمرها متخلفة ضاربة في البداوة والبدائية، وذلك لما يكون في ظل الحضارة عادة من يسر في العيش ورغد، ولما يتاح فيها من فرص تنمية ملكات الناس العقلية والفنية والروحية وإشباع طموحاتهم الفردية والجماعية في تلكم المجالات جميعًا[٢].

ويذكر ابن خلدون في «مقدمته» حقيقة التاريخ ويعرفه بأنه « خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل: التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال»، ويرى أن « الاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدني بالطبع، أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم- وهو معنى العمران... فإذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من إعمار العالم بهم واستخلافه إياهم، وهذا هو معنى العمران». ثم يقرر ابن خلدون «أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش، فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله، والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجي الكمالي، فكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والسكن والدفء إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك. ثم إذا اتسعت أحوال المنتحلين للمعاش، وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك إلى السكوت والدعة، وتعاونوا

---

(١) مستفاد من مقدمة ابن خلدون، وهو المجلد الأول من كتاب التاريخ، دار البيان – بيروت (٨٥ – ٨٩).

(٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون (٨٦ – ٨٩)، ومدثر عبد الرحمن الطيب، الحضارة الأفريقية وتفاعلها مع الحضارات العالمية ، من كتاب حوار الحضارات المشهد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤، ص ٢٠٩.

وابن خلدون هو: عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي، عالم أديب مؤرخ اجتماعي حكيم، ولد سنة (٧٣٣هـ) بتونس، وتوفي سنة ٨٠٨هـ بالقاهرة. ينظر: شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر. ثم تزيد أحوال الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف بالغة مبالغها.. وهؤلاء هم الحضر، ومعناه الحاضرون أهل الأمصار والبلدان، ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع، ومنهم من ينتحل التجارة خلافًا للبدو؛ لأن أحوالهم زائدة على الضروري، ومعاشهم على نسبة وجدهم»[١].

ويقرر ابن خلدون أن الرئاسة المتسلطة أو «الدولة»، بما فيها من سلطة حاكمة ثابتة، هي من لوازم الجماعة المستقرة «فالآدميون بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض، ولابد أن يكون متغلبًا عليهم. وهذا التغلب هو الملك وهو أمر زائد على الرئاسة، وأما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر». ومن الظريف أن القانونيين المحدثين يعبرون بما يشبه ذلك، فيرون أن من خصائص الدولة « سلطة القمع » Contrainte، وهي تتفرد بهذه السلطة وتحتكرها دون الأفراد. ويرى ابن خلدون أن للمملكة عمرًا وأجلاً ودورة، وأن الملك دول بين الأقوام وفقًا لما ارتآه في شأن«العصبية»[٢].

وما قرره ابن خلدون من أن الحضارة أحوال زائدة على « الضروري من العمران» لا يسلّم به كثير من المفكرين والباحثين اليوم، كما لا يسلّمون بأن البدو أو حتى المجتمعات البدائية تخلو من الحضارة، بل يميلون إلى القول بأن الحضارة ظاهرة إنسانية عامة موجودة ما وجد الإنسان الذي أنعم الله عليه بالعقل والإرادة والبيان، فالإنسان دائمًا قادر على تجميع خبراته واحتوائها وتذكرها والإفادة منها – وهذا من دقة لفظ «العقل» في العربية ومعناه الذي يقبض على الشيء ويعقله[٣]. فالحضارة ميزة للإنسان عامة بفضل جهازه العصبي المركب الذي جعل لديه قدرات الاستدلال والاستنتاج والتذكر واستخدام اللغة كرموز كلامية ثم كتابتها، وهكذا لا نعرف جماعة إنسانية بلا حضارة؛ لأن المجتمع الإنساني ليس كقطيع من الحيوان أو الطير أو الحشرات تحكمه الغريزة مهما بلغ نتاجها من أحكام، ذلك أن عالم الحيوان على اختلاف أنواعه، إذ تحكمه الغريزة فإنها تسوقه إلى أعمال متكررة

(١) مقدمة ابن خلدون، (٨٦- ٨٩) بتصرف.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ٣٥، ٤١، ٤٣، ١٢٠- ١٢١. ويُراجع في ذلك كتاب (فكر ابن خلدون، العصبية والدولة) لمحمد عابد الجابري، ط. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١ (٢٠٠٢م).

(٣) الحضارة، حسين مؤنس– سلسلة «عالم المعرفة- الكويت، (١٣٩٨هـ)، ص (١٥).

ثابتة، ويفتقد الحيوان الذاكرة التي تختزن خبراته كما تعوزه القدرة على الاستدلال والابتكار. ومن هنا يمكن القول بأن الكائنات الإنسانية هي كائنات قادرة على صنع الحضارة ودعمها، ولكل جماعة إنسانية حضارتها المتميزة التي صنعتها وانتقلت من جيل لآخر[1]. والبدو ليسوا خلوًا من الحضارة، وهم في بلاد العرب، قبل الإسلام مثلاً، كان لهم عرفهم وقيمهم الأخلاقية، وهذه كلها نظم ترتكز في تقريرها ووسائل أعمالها وإنفاذها على فكر، وكان لهم شعر فيه تأمل وتخيل يدلان على قدرة عقلية، كما كانت لهم خبرات عن النجوم والرياح والمطر بنيت على الملاحظة والاستقرار. ولقد كان العرب يرون أن إرسال الطفل إلى البادية أنجب له وأكثر عونا على تنمية بدنه وحواسه وفكره ولسانه. وتتعدد الشواهد على وجود سرعة البديهة في الجواب والارتجال في الكلام عند العرب البادية قديمًا وحديثًا.

كذلك، فإن الترف ليس قرينًا حتميًا للحضارة أو نتيجة حتمية لرقيها. فالترف أسلوب معين في استعمال ما أتيح للإنسان من إمكانات وتيسيرات، وليس هو الأسلوب الوحيد أو النتيجة الحتمية لليسر، «فالترف ليس حالة من حالات الحضارة وإنما هو موقف منها»[2].

ولهذا يعد مفهوم الحضارة لغة واصطلاحا من المفاهيم التي اختلفت آراء كثير من المفكرين لتحديد معنى المفهوم بشكل أكثر دقة. ففي اللغة، كما تقدم تعني الحضارة التحضر أو التمدن أو التقدم. وهي أيضا كل إنتاج للإنسان مصدره العقل، سواء كان هذا الإنتاج ماديا أو أدبيا فالحضارة مجموعة الإنجازات المادية والمعرفية والقيمية في فترة تاريخية ما.

فمن التعريفات المختارة عند المفكرين المسلمين المعاصرين هي: «التجسيد العملي لتلك الاستجابات والمواقف التي ينزع إليها الأفراد، وهي بالتالي تنزع إلى العمومية خلافاً للثقافة التي تنزع للخصوصية، فهي (الحضارة) الطور الأرقى في سلم تقدم الإنسان»[3].

وهي «مجموعة المفاهيم الموجودة عند مجموعة من البشر، وما ينبثق عن هذه المفاهيم من مثل وتقاليد وأفكار ونظم وقوانين ومؤسسات تعالج المشكلات المتعلقة بإقرار هذه المجموعة البشرية، وما

---

(١) الحضارة، أحمد حمدي محمود: - سلسلة «كتابك» - القاهرة ١٩٩٧م- ص ٨- ١٠، أيضًا مؤنس، الحضارة، ص ١٥- ٢٨.

(٢) مؤنس: المصدر السابق ص ٥٥- ٥٦، ١٧٩- ١٨١ بتصرف.

(٣) التراث والمستقبل، محمد عمارة، دار الرشاد، القاهرة، ط٢ (١٤١٨هـ)، ص (٢١٥).

يتصل بهم من مصالح مشتركة، وبعبارة مختصرة (جميع مظاهر النشاط البشري الصادر عن تدبير عقلي))[١]، ولعل من أشمل التعريفات ما قيل: ((إن الحضارة تعني الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة، فهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية))[٢].

والحضارة في رأي رالف لنتون R. Linton هي السلوك الذي يتعلمه الإنسان في أي مجتمع من المجتمعات بالنقل عمن هم أكبر سنا، ثم يتعلمه منه الجيل الأصغر منه، وأن مهمة أي حضارة في مجموعها هي ضمان بقاء الجماعة التي تسود فيها تلك الحضارة واستمرار رفاهيتها[٣].

غير أن شبنغلر[٤] يرى أن الحضارة ظاهرة روحية لجماعة من الناس لها تصور واحد عن العالم ولكل كيان حضاري شخصية وخصائص ذاتية متميزة. فمفهوم الحضارة عنده هي فضاءات (spaces) منسجمة مستقلة بعضها عن بعض ومغلقة على ذاتها لكل منها روحها العميقة من الثقافات الكبرى توصلت للحديث بلغة سرية لا يمكن فهمها بشكل تام إلا من طرف الروح المنتمية إلى هذه الثقافات[٥].

ويرى المفكر الفرنسي جورج باستيد George Bastide من أنها «التدخل الإنساني الإيجابي لمواجهة ضرورات الطبيعة، تجاوبًا مع إرادة التحرر في الإنسان، وتحقيقًا لمزيد من اليسر في إرضاء

(١) الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، أحمد عبد الرزاق أحمد، دار الفكر العربي، القاهرة، (١٩٩٠م)، ص (١١).

(٢) قيم حضارية في القرآن الكريم: عالم ما قبل القرآن، توفيق محمد سبع، دار المنار، القاهرة (ب. ت) (١/ ٣١).

وينظر: ((الحضارات – صدام أم حوار))، د. هيثم محمد الكيلاني، ضمن كتاب: ((الإسلام وحوار الحضارات))، فقد ساق ثنتي عشرة نقطة حول المصطلح والخلاف فيه، والفرق بينه وبين الثقافة.

(٣) معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، د/ سيد توفيق، دار النهضة العربية، ١٩٩٠، ص١.

(٤) هوازفالد شبنغلر (Oswald Spengler) فيلسوف ومؤرخ ألماني اهتم بدراسة تاريخ الحضارات الإنسانية وكان متأثرًا بأفكار نيتشه، قادته دراسته حول الحضارات ومعاينته للحرب العالمية الأولى إلى كتابة مؤلفه الشهير "انهيار الغرب"، وهو بمثابة تحليل للتاريخ يتنبأ فيه بأن الحضارة الغربية في طريقها للانهيار.

(٥) Roger Mucchielli, Philosophie de l'action, guides pratiques Bordas Baccalauréat Nouveau entièrement remanié et conforme aux nouveaux Programmes (Paris) Bordas, ١٩٧٠, p ٢٥٧.

حاجاته ورغباته ولإنقاص العناء البشري»[1].

أما أرنولد توينبي[2]، فهو يرى أن الحضارات خلاصة التاريخ، وأنها تتقوى كلما كانت هناك تحديات كبيرة تفترض استجابة مناسبة لها[3] وثمة تقارب كبير في الرؤى بين شبنغلر وتوينبي، وكذلك مع صاموئيل هنتنجتون صاحب أطروحة (صراع الحضارات)، سواء على مستوى رؤيتهم للعالم أو من حيث مفهومهم للحضارة أو لوضعها كفاعل في الصيرورة التاريخية.

ويبدو أن هنتنجتون زج نفسه في التاريخ وتنبأ بحدوث صدام للحضارات، وكان متأثرا إلى حد كبير بفرنان بروديل[4]، ويرى الأخيران أن الحضارة تتميز بكونها تجسد الوقائع ضمن حقب تاريخية طويلة وهي تترسخ بعمق وقوة في فضائها الجغرافي. وقد طالب فرنان بروديل بضرورة تفهم الصراعات الثقافية الكبرى للعالم، فمستقبل البشرية لن يعرف مسارًا واحدًا مرتبطًا بالحضارة الغربية، بل إن العالم سيشكّل على أساس تعدد الحضارات.

فالحضارة عند بروديل هي استمرارية تاريخية مرتبطة بعمق التاريخ الواسع، وهي حصيلة التفاعلات الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية والتاريخية، والصدامات الحضارية العنيفة لم تشكل استثناء بل كانت طابعاً لجدلية التاريخ[5].

ويفرق شبنغلر بين مصطلح الثقافة (Culture) التي تمثل مرحلة الفتوّة والازدهار والإنتاج الروحي، وبين مصطلح الحضارة (Civilization) التي تمثل الإنتاج المادي، ويميل الفكر الألماني منذ

---

(١) المدينة، جورج باستيد، ترجمة: عادل العوا – طبع دمشق – ص ١٢ وما بعدها.

(٢) أرنولد توينبي (١٨٨٩ – ١٩٧٥) مؤرخ وعالم اجتماع بريطاني درس تاريخ الحضارات، وتوصل إلى نظرية الدورات الحضارية. ينظر له: (الحضارة في الميزان)، وزارة الثقافة السورية، دمشق، الطبعة الثانية (٢٠٠٦م)، ترجمة: أمين محمود الشريف.

(٣) أزمة الحضارات في القرن العشرين، روبرت غرين، ترجمة: عمر ديوب، مجلة المجتمع، ١٩٩٥، ص ٣٦.

(٤) فرنان بروديل (١٩٠٢- ١٩٨٥م) من رواد ومؤسسي مدرسة الحوليات (Ecole des Annales) التي أحدثت تغييرًا جذريًا في مجال مفهوم تناول وكتابة التاريخ، وقد حاول بروديل نزع التاريخ من الإطار الضيق للزمن القصير وتوظيف مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية في الدراسات التاريخية، من أهم مؤلفاته: ((البحر المتوسط والعالم المتوسط في زمن فيليب الثاني)). ترجمة: مروان أبي موسمرة، نشر المؤسسة العربية للجامعات، بيرت ١٩٩٣م.

(٥) Fernand Braudel, la Grammaire des civilisations, Paris: Gallimard 1987. pp 40–70.

القرن التاسع عشر إلى منحى الاعتبار لمفهوم الثقافة على حساب مفهوم الحضارة، هكذا نجد طونس (Tonnies) وألفرد فيبر (A.Weber)(❖) يعتبران الحضارة هي مجموع المعارف التقنية والتطبيقية ومجموع الوسائل للتحكم في الطبيعة. أما الثقافة، فهي القيم والمثل، أي أنها تُعتبر الروح العميقة للمجتمع. وعلى عكس ألمانيا، فإن مفهوم الحضارة في فرنسا وإنجلترا وأمريكا هو الأكثر شيوعا وتوظيفا لمفهوم الثقافة.

وإذا كانت «المدنية» هي الجانب المادي أو التكنولوجي في الحضارة؛ فإن أساس الحضارة المعنوي الفكري الذي تقوم عليه الحضارة بمعناه الشامل الجامع Culture هو وجود نظرة إلى العالم أو نظرة جامعة Weltanschaung كما يقول المفكرون الألمان. وهذه هي الحضارة بمعناها الأخص، وقد يطلق عليها في تعبيرنا العربي المعاصر لفظ «ثقافة»، وهو لفظ دائر عندنا بين مدلولات مختلفة، من زيادة المعرفة والصقل وما كان يقابل «الأدب» عندنا في عصر سابق حين كان يعني «الأخذ من كل معرفة بطرف»، وهو قريب مما يعنيه اللفظ Culture عند الفرنسيين إلى ما يقابل اللفظ Culture حين نقصد الحضارة عند الإنجليز والألمان والأمريكيين[1].

(❖) هذه الكلمة الألمانية تنطق (فيبر) حسب إفادة أ. د. محمد وقيع الله.

أما طونس فهو عالم الاجتماع الألماني، له كتاب ((الجماعة والمجتمع)).

(١) يرى باحث عربي معاصر أن نستعمل لفظ «الثقافة» لما يكون «من صنعنا ويبرز اختلافنا كأفراد، ولذا قلما تشابهت ثقافتان، ولا تتحقق الثقافة إلا باكتمال الشعور والوعي. بينما الحضارة وتراثها أشياء نرثها وتنتقل إلى وجداننا وعقولنا بطريقة لاشعورية في الأغلب. والثقافة هي التي خلفت الحضارة، فالحضارة تأتي إلى المجتمع عن طريق أفراد مميزين كانوا على وعي بروح العصر وتوفرت لهم القدرة النظرية والعملية (أحمد حمدي محمود: الحضارة ص ٢٨ – ٢٩). ويرى حسين مؤنس أن نستعمل الثقافة «لا في الدلالة على الإطلاع الواسع والمعرفة الغزيرة، إذ أن الفلاح والعامل لديهما حصيلة من المعلومات والمفاهيم الذاتية والقيم المحلية، ولا في معنى (الأدب) أي الأخذ من كل شيء بطرف كما قال الجاحظ، بل في (مجموع) المعلومات والمعارف والممارسات والقيم الخاصة بشعب، والتي يعيش بمقتضاها وهي التي تميزه عن غيره من الشعوب لأنها تعبير صادق عن شخصيته وملامح هذه الشخصية وطريقته الخاصة في الحياة. وهذا معنى جديد في كل اللغات عبر ثلاثين سنة.. «وعلى هذا تكون لنا حضارة يشترك معنا غيرنا وثقافة خاصة بنا» على أن حسين مؤنس يشير أيضًا إلى تكون ثقافة عالمية أو عامة Universal بفضل وسائل الاتصال الجماهيرية Mass Media إلى جانب الثقافة الخاصة بشعب ما، وما يتفرع عنها من ثقافات محلية أو تحتية Sub-Cultures (الحضارة ص ٣٧٠ – ٣٩٠). ويرى د. محمد الأحمري، أن كلام حسين مؤنس هو الأقرب للصواب، لأنه أصبح عرفاً معتمداً. ينظر: مخطوط اللقاء الكامل مع الدكتور بتاريخ ١٣/ ٣/ ١٤٢٩هـ.

=

ويمكن أن نلخص مجمل الأقوال مع ما ذكره هنتنجتون حول الحضارة والثقافة فيما يأتي:

- يضع المفكرون الألمان حداً فاصلاً بين الحضارة والثقافة، فالحضارة عندهم تشمل التقنية وسائر العوامل المادية، أما الثقافة فتشمل قيم المجتمع ومثله العليا وخصوصياته الفكرية والفنية والخلقية الكبرى، وهذا ما يميل إليه بعض المفكرين الإسلاميين.

- سائر المفكرين الغربيين خالفوا الألمان في هذا، فهم يرون أن الحضارة والثقافة — معاً — تشيران إلى منهاج حياة أمة من الناس، وأن الحضارة إنما هي الثقافة مكبرة، وأن الدين هو أهم عنصر مكون للحضارة[1].

وبالتالي فإن للحضارة أكثر من مكوّن، فهي تنشأ من تفاعل ثقافات متعددة المشارب، ويشارك في صياغة ملامحها وتشكيل خصائصها شعوب وأعراق شتى تنتمي إلى ثقافات متنوعة تصب جميعها في مجرى عام تتشكل منه الحضارة.

تصنيف الحضارات حسب المكان والزمان

يقابل تصنيف الحضارات حسب المكان (بأن يُقال مثلاً حضارة الصين أو حضارة اليونان)، صعوبات، منها ما قد يحدث من انتشار الحضارة خارج موطنها الأصلي، كالحضارة الهيلينية Hellenic في بلاد الإغريق التي امتدت إلى الشرق فغدت الحضارة الهيلينية Hellenistic مثلاً ولم تتخلّ عن طابعها الإغريقي وإن امتزجت بعناصر حضارية من الخارج. كما أن المكان المعين تعرض له دورات حضارية متباينة أحيانًا بحيث يتعذر النظر إليها باعتبارها وحدة حضارية. وقد يتبع المجتمع الواحد عدة حضارات في بعض الأحوال[2].

فمن التقسيم المكاني للحضارات ما تبعه هنتنجتون من جعل الحضارات كيانات ديناميكية تصعد وتسقط، وتنقسم وتندمج، وعليه فإن أهمية الهوية الحضارية ستزداد في المستقبل، وسيتشكل العالم إلى حد كبير نتيجة التفاعل بين سبع أو ثماني حضارات كبرى، هي: الغربية،

= وينظر تفصيل اتجاهات ترجمة الكلمة إلى (مدنية) أو (حضارة) كتاب: ((العنصرية وصدام الحضارات)) مرجع سابق (٧٦- ٨٠) فقد جمع هذه الاتجاهات في الترجمة.

(١) ينظر: ((الحضارة الإسلامية)) مرجع سابق، علي الشحود (١/ ٨٢).

(٢) الحضارة، أحمد محمود، مرجع سابق (٧، ٢٧، ٢٨ وغيرها).، ص ٧.

والكونفوشيوسية، واليابانية، والإسلامية، والهندوسية، والأرثوذكسية السلافية، والأمريكية اللاتينية، وربما الإفريقية.

وسيقع الصراع على امتداد خطوط الهوة الثقافية التي تفصل بين تلك الحضارات بسبب المكون الثقافي وبخاصة الدين، وزيادة التفاعل بين أصحاب هذه الحضارات مع قوة الغرب، وضعف الدولة القومية كمصدر للهوية(١).

وتصنيف الحضارات حسب الزمان (كأن يقال حضارة العصور الوسطى مثلاً) يفترض طابعًا حضاريًا موحدًا في الفترة الزمنية المعينة، في حين قد لا تكون وسائل الاتصال الحضاري بين مختلف الأماكن بهذا اليسر، وتقوم عوامل التميز في الأماكن المختلفة التي تدعو إلى التباين في الطابع الحضاري بين المجتمعات المتعاصرة، (ومن أمثلة ذلك تباين الحضارتين الإسلامية والبيزنطية، وحضارة أوربا الغربية في العصور الوسطى). كما يصعب القول بانحصار حضارة ما في فترة زمنية معينة وانقطاعها عما سبقها من حضارة نظرًا لخاصية الاستمرار الحضاري. وقد يمكن أن يؤدي اقتران تحديد المكان مع تحديد الزمان إلى تصنيف للحضارات أكثر توفيقًا، كأن يقال مثلاً حضارة اليونان في القرن الخامس قبل ميلاد المسيح.

وعلى هذا يمكن القول إن المفهوم الاصطلاحي للحضارة يعني النشاط الإنساني من جوانبه المادية والنفسية بصفة عامة، بحيث تكون الحضارة ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين أحواله المادية والخلقية والثقافية، ومن ثمَّ يتحول ذلك إلى خصائص لكل أمة في مرحلة زمنية ومكانية يميزها عن غيرها.

---

(١) الأطروحات الغربية، الناصر، مرجع سابق (١٣).

ثالثًا: حوار الحضارات:

في الثقافة الإسلامية:

لقد ساد شعور عام مؤداه أن الحديث حول موضوع حوار الحضارات تنامى بصورة ملحوظة في العقد الأخير ووصل درجة غير مسبوقة منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأن كثرة الحديث حول هذا الموضوع تزيده ضبابية وغموضا بدلاً من توضيحه. والسؤال هنا هو عن مصداقية وجود حوار للحضارات الآن والقول بأن الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية يرفضان الحوار وأن الفكر الليبرالي هو الذي يقبله، فمن الذي قال إن الثقافة الإسلامية ترفض الحوار؟

لا يمكن الجزم بأن كل روافد الثقافة وتياراتها ترفض الحوار، وذلك انطلاقًا من عدة أمور هامة وأساسية لفهم تأصيل معنى الحوار في المفهوم القرآني وفي السنة النبوية، فالحوار موجود بمعانيه([1]).

يذكر المستشرق الدنمركي «جوستاف فون جرونيباوم» G. Von Grunebaum أن الحضارة Culture في أساسها الفكري والروحي، أو الثقافة بمعنى الفكرة الجامعة عن العالم، يمكن أن توصف من بعض النواحي بأنها نظام محدد عن التساؤلات والأجوبة التي تتعلق بالكون وسلوك الإنسان فيه، ويقبله مجتمع بشري باعتباره نظامًا سائدًا حاكمًا حاسمًا. وهي تتضمن معيارًا للقيم يقرر الوضع النسبي لدرجة الأهمية التي تكون لموضوع السؤال والجواب. وليس يعني ذلك أن تكون هذه التساؤلات والأجوبة في حضارة ما محصورة محدودة لا تقبل زيادة على مر الزمن، وإنما يعني ذلك انحصارها وتحديدها في فترة معينة من الفترات تكون هي موضوع البحث والدراسة، ويأتي هذا الحصر والتحديد وفقًا لخبرات الجماعة في تلك الفترة.

والواقع أن ما يثير اللبس حول ما يشاع من كون الثقافة الإسلامية ترفض الحوار، هو أن هناك مقولات تعلن أن الآخر - أي الثقافة الغربية - يتجه إلينا بخطاب وسياسات صراعية، ونحن في ظل توازن قوى قد لا يكون الحوار معه مجديا قط. ولكن الأمر يقتضي أكثر من مجرد الاندفاع وراء حوارات فكرية فقط دون عمل جدي ملموس يساهم في إحداث تغيير في الواقع، وبالتالي أصبح قبول الحوار باعتباره عملية طبيعية ممتدة من التفاعل الإنساني على مستويات مختلفة من المفكرين والمثقفين والإنسان العادي أو الأكاديمي يمكن أن يحدث ويأتي بالثمار، وهو عملية طبيعية ومستمرة ولا يمكن أن ينقطع في ظل أي ظروف.

---

(١) قراءة نقدية في خطابات حوار الحضارات، السيد ياسين، دار السلام للطباعة والنشر / ٢٠٠٢ ص ٥٠.

والملاحظ أن موقف الثقافة الإسلامية من حوار الحضارات يتطلب عدة ملاحظات أولية للمفاهيم وسياقاتها التاريخية؛ ففي العقد الأخير بعد انهيار المعسكر الشرقي عام ١٩٩١م تسارع الغرب الذي أخذته العزة بالنصر والثقة بالرأسمالية إلى إبداع مفاهيم جديدة شغل بها العالم، وانشغل بها المثقفون العرب والإسلاميون وغيرهم من الشعوب في أفريقيا وأمريكا اللاتينية فانشغل العالم بشرحها وكتابة الحواشي والتعليقات عليها، ولما كان معدل إفراز المفاهيم والتصورات والمصطلحات في المركز أسرع من شرحها والتعليق عليها وتفسيرها في المحيط، لم تعد هناك فرصة لشعوب العالم لإبداع مفاهيمها وتصوراتها الخاصة التي تعبر عن رؤيتها للعالم، وتظل تلهث وراء فهم ما يُعطى كطعم لها، وهي مستبشرة بأنها تدخل في عصر الحداثة وتفكر فيما يفكر فيه الغرب فيقل الإحساس بالدونية أمامه[١].

ومن هذه المصطلحات المتداولة بكثرة عند المفكرين والكتاب في وسائل الإعلام «صراع الحضارات» و«حوار الثقافات» و«نهاية التاريخ» و«العولمة» و«الحكم» و«المجتمع المدني» و«حقوق المرأة» و«الخصخصة»....الخ، وكلها مفاهيم موجهة، غير بريئة، في ظاهرها الفكر وفي باطنها السياسة ولعل المراد بمثل هذه المصطلحات زعزعة ثقة الشعوب وإشغالها بثقافات دخيلة.

وربما يكون المقصود هو إشغال الشعوب بشيء عزيز عليها كانت مستمسكة به وترى فيه سبب بقائها في التاريخ واستقلالها وهويتها، وهو ما يعنيه مصطلح «الحضارة»، وبيان أن هذا الشيء العزيز في خطر يتهدده صراع تتمسك به الشعوب وتشغل نفسها بالدفاع عن هويتها حتى تشيح بوجهها عن الصراع الحقيقي وهو الصراع الاقتصادي في عصر العولمة واقتصاديات السوق والشركات المتعددة الجنسيات، وكأن العالم انقسم قسمين: المركز الاقتصادي والأطراف الحضارة.

ويبدو أن القصد الحقيقي هو إعلان ما كان الغرب يخفيه دائما من العنصرية والمركزية الحضارية كدافع دفين. فلم يكن دافع الاستعمار اقتصاديا سياسيا فقط بل قام أيضا على النظريات العنصرية في القرن الماضي، والتي كانت تنبني على التفرقة بين الأبيض والأسود، وبين السامي والآري، وبين المتحضر والمتوحش، وبين الحضر والبدو[٢].

وقد تنبأ هنتنجتون في كتاباته حول «صدام الحضارات» بمستقبل يتحد فيه الإسلام بالبوذية في

---

(١) تقييم تجارب حوار الحضارات، حسن حنفي، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط١ (٢٠٠٢) ص ٥٦.

(٢) حسن حنفي، المرجع السابق ٥٦.

الشرق في مواجهة النصرانية واليهودية في الغرب، وقد يكون الهدف هو إبعاد المسلمين عن الأخذ بأسباب القوة في الغرب وزيادة ثقافتهم ثقافة، وإيمانهم وروحانيتهم روحانية، بعيدا عن حضارة العقل والعلم والعالم.

وهكذا فإن الخوف من الإسلام واعتباره هو (العدو) للحضارة الغربية وللحضارات الأخرى أصبح قائماً على أساس نظرية متكاملة، لها جذور تاريخية قديمة، ودعم سياسي معاصر، وتخطيط استخباراتي متواصل، وهي نظرية أمريكية المولد والنشأة والظهور، وهي في حقيقتها ليست إلا تبريراً فلسفياً للحرب ضد الإسلام، وقد ينكر بعض الأمريكيين اعتقادهم صحتها، لكن التطبيق العملي من أمريكا يدل عليها.

أما نهاية التاريخ[1]، فتعني إيقاف الزمان، واكتمال التاريخ، وتحقيق النبوة، فالرأسمالية المنتصرة بعد هزيمة «الاشتراكية» في عام ١٩٩١ م هي نهاية المطاف، وعلى كل الأنظمة التكيف معها وتبنيها. وهي قادرة على تجديد نفسها، وتغيير أشكالها حتى لا تتحجر وتنهار كما حدث للاشتراكية

وتعنى «العولمة» نهاية عصر الاستقطاب، وبداية العالم ذي القطب الواحد، تحت شعار «العالم قرية واحدة»، اقتصاديات السوق مجموعة الثمانية، الشركات المتعددة الجنسيات، ثورة المعلومات، الثورة التكنولوجية الثانية، نهاية الأيديولوجية، ويعني الحكم نهاية الدولة الوطنية، وأنها في حاجة إلى إدارة عليا من موظفي بنوك قادرين على تحويل الأموال من الداخل إلى الخارج، فالبنك الدولي وصندوق النقد واتفاقية «الجات» والأمم المتحدة كلها حكومات بديلة عن الحكومات الوطنية، فلا جمارك ولا حدود ولا حماية، والتحالفات موجودة، وقوة الولايات المتحدة منتشرة في كل مكان تدخل كل العصاه والنشاز إلى بيت الطاعة[2].

---

(١) كما يراها طائفة كبيرة من المفكرين الغربيين. ينظر: إريك دولف (أوروبا ومن لا تاريخ لهم)، فاضل جتكر (٣٧٣ – ٣٩٧) بتصرف، وينظر: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، فرانسيس فوكوياما، مركز الإنماء، بيروت (١٩٩٣م)، ترجمة: حسين أحمد أمين.

(٢) صامويل هنتنجتون، الموجة الثالثة، ترجمة: د/عبد الوهاب علوب، دار سعاد الصباح، الكويت، ط ١، ص١٦٠: وفي نفس الوقت يتوقع أن الهيمنة الأمريكية آخذه في الانحسار وسيتبع ذلك تآكل الثقافة الغربية وتراجع قوتها، وهذا ما يعكس تراجع عدد الناطقين باللغة الإنجليزية في العالم وبقاء المسيحيين الغربيين على حالهم كأقلية بين ديانات العالم. للمزيد ينظر: محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات، ص ١٦٠، وينظر: جورج قرم، شرق وغرب: الشرخ الأسطوري، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى =

تعتبر هذه المفاهيم كلها مفاهيم أحادية الطرف لأنها تظهر جانبًا واحدًا من الحقيقة وتخفي الجانب الآخر عن قصد. فمثلا «صراع الحضارات» يقابلها «حوار الحضارات»، و«نهاية التاريخ» تقابلها «بداية التاريخ»، و«الحكم» تقابله «المشاركة الشعبية»، و«حقوق الإنسان» وجهها الآخر «حقوق الشعوب»، و«الخصخصة» «Privatization» تعني تحويل القطاع العام إلى القطاع الخاص، والخصوصية «Specificity» تعني الهوية، والأصالة في مقابل العولمة Globalization، ولا يقوم العلماء بإخراج هذه المفاهيم بدافع نظري خالص وبهم علمي صرف، بل تخرج من مراكز أبحاث تخطط للسيطرة على العالم اقتصاديا وسياسيا وثقافيا وفنيا، فهي مفاهيم موجهة، ومن الطبيعي في الغرب أن تتفاعل مراكز الأبحاث والجامعات والمؤسسات العلمية والفنية الخاصة مع مراكز إصدارات القرارات في الدول الكبرى كنوع من التنسيق بين العلماء والقادة بما في ذلك الاستشراق، ويتم تسويقها ونشرها على نطاق واسع ومن خلال أجهزة الإعلام ودور النشر والترجمة والرحلات وتجنيد كل وسائل الاتصال لذلك.

إذًا، مفهوم حوار الحضارات لدى الثقافة الإسلامية لا بد أن يقوم على الأخذ والعطاء على مستوى النِّدِّية بين الطرفين الإسلام والغرب، فلا توجد ثقافة غالبة عظمت ثقافات الشعوب المغلوبة قدر الثقافة العربية الإسلامية[(١)].

ويحرص المفكرون المسلمون المعاصرون على تأكيد هذه الحقيقة «فبناء الكيان الحضاري يقوم على أربع قواعد: الإيمانية الأخلاقية والجمالية الفنية، والتقنية الصناعية، والثقافية المعرفية، وباختلاف كنه هذه العناصر وترتيب قواعد الكيان الحضاري تختلف الحضارات الإنسانية ويكون تميزها عن سواها، والمنطلق الإيماني الأخلاقي في الحضارة الإسلامية هو مقومها الأول الذي يبرز مهيمنًا على بقية المقومات، من فنية جمالية وتقنية صناعية وثقافية معرفية، فهو الذي يعطيها صبغتها وسموها ويجعلها حضارة باسقة في الأرض موصولة بالسماء. وصفتها الربانية هذه هي التي تمدها بقدرة البقاء صاعدة وصامدة، فهي صاعدة في الظروف الملائمة للتألق الحضاري وصامدة في الحالات التي تقهر فيها على الانكماش والتوقف وتتميز الحضارة الإسلامية بهذه الخاصة.. فالحضارة الإسلامية لها خصائصها الجذرية الدائمة وشخصيتها الحركية الحية، فهي وجود واحد له في نمائه وتوقفه وفي ومضه وغمضه مراحل وأطوار من الازدهار والانحسار

= (٢٠٠٣م)، ترجمة: ماري طوق (٩٤- ٩٨).

(١) حوار الحضارات، منصور الحلو، منشأة المعارف بالإسكندرية، (٢٠٠٧)، ص ٣٠٨.

وليس من طبيعته أن يموت. وهذا هو سر المواجهة العارمة المحتدمة التي تعرض لها الإسلام ويتعرض لها في المعترك الحضاري»[1].

فالإسلام وثقافته أصبحا يرتكزان على أساس قوي، ولا ينقصه حتى يحرز تفوقا على الآخر في صورة حوارية دون صدام إلا إلى علماء يستطيعون تقديمه بطريقة عصرية[2]، بعيدة عن الانفعال والوقتية وامتلاك وسائل التغيير الصالحة للعصر، إذا كنا نريد تقديم الإسلام بديلا حضاريا يجب أن نستوعب التحديات الراهنة ونحسن تقديم هذا البديل إلى أبناء الحضارة الغربية الذين يشعرون بالهوة، ويتطلعون إلى عالم آخر أفضل من عالمهم المادي، ويقول الدكتور: مراد هوفمان — السفير السابق لألمانيا في المغرب والجزائر والذي اعتنق الإسلام ونذر نفسه لخدمة القضايا الدينية - : «إن الإسلام لأول مرة في العصر الحديث يكاد أن يصبح دينا عالميا بفضل هجرة المسلمين إلى مختلف أنحاء المعمورة، وبفضل القوة الاقتصادية الهائلة لدول النفط، وبسبب التوسع في شبكات الانترنت والقنوات الفضائية ومختلف وسائل الاتصال»، ويستشهد على ذلك بأن الولايات المتحدة بها ستة ملايين مسلم، وأوربا بها عشرون مليونًا، كما أن دولا عديدة مثل أسبانيا وفرنسا وبلجيكا والنمسا قد أبرمت معاهدات رسمية مع الجاليات المسلمة، وتعاملها في — براد فورد- في المملكة المتحدة تكاد لا تجد له نظيرا، وينبه د: هوفمان إلى خطر العلمانية على الهوية الإسلامية، وهو خطر مساو لفكرة الدين العالمي فيقول:

«إن النظرة التعددية التي جاء بها القرآن الكريم تختلف تماما عن أن يضحي المرء بهويته الإسلامية لصالح شعارات غامضة عن المحبة والسلام». ويقول أيضا: «إذا كان مشروع الحداثة أخذ في التفكك، وإذا كان الدين أخذ في العودة إلى العالم الغربي فلماذا لا يصبح الإسلام دين الغرب في

---

(١) الإسلام في المعترك الحضاري، عمر بهاء الأميري، بيروت (١٣٨٨هـ)، ص ١٤، ١٨، وينظر حديثًا للمؤلف نفسه منشور بعنوان: « الحق والخير والجمال في الشعر والأدب» بمجلة «الفيصل» - الرياض —ع ١٨- ذو الحجة ١٣٩٨ هـ ص ١٢٨- ١٢٩.

(٢) من حيث وسائل الاتصال العصرية وأسلوب تناول القضايا التي تهم الطرفين، مع مراعاة اختلاف ثقافة المخاطب من أهل الكتاب وغيره عما كان عليه منذ قرون. وقد أكد إدوارد سعيد أنه يستهوي قلوب الملايين في عصرنا، ينظر: (الاستشراق)، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الرابعة (١٩٩٥م)، ترجمة: كمال أبو ديب (٢٨٢- ٢٨٥).

القرن الحادي والعشرين؟»[1].

إن جمال وجلال الإسلام وروعته لتتجلى لأعين من لا يدينون به، في أنه الدين الذي كتبت له الصيانة من عبث العابثين لأنه ليس فيه كهنوت ؛ ولأنه بعيد عن —الإكليروس[2] - بقول شارل جان بيير— مدرس مقارنة الأديان في السوربون، ومؤلف كتاب «تطور الأديان»: «إن كل دين من الأديان يحمل في طياته عوامل تطوره وتحوله، والدين الوحيد الذي نجا من هذا التطور إنما هو دين الإسلام، والسر في ذلك أنه ليس فيه إكليروس»[3].

من هذا كله أصبح للثقافة الإسلامية جذور عميقة ترتكز عليها ومن ثم هي لا تخشى الحوار، بل على العكس ترحب بحوار الحضارات والتحاور مع الآخر بهدف إذابة جبال الثلج ومد جذور التفاهم وتصحيح كثير من المفاهيم والأغلاط التي نجمت من الصدام والجمود والاستكانة، فلا تجد الثقافة الإسلامية غضاضة من الحوار ما دام يؤتي ثماره بعيدا عن مهاترات لا تسمن ولا تغني من جوع.

وبهذا فإن حوار الحضارات في الثقافة الإسلامية ينطلق من مبدأ الإقرار بالتنوع الثقافي والتعدد اللغوي والفكري، وعدم المفاضلة بين الناس في اللون والجنس أو الأصل أو الفصيلة أو القبيلة.

وهذا المعطى الحضاري ليس نتيجة ضغط أو ضعف؛ بل هو سمة دائمة في هذه الثقافة التي لا تستعلي على أحد، ولا تستضعف الآخر فتفرض عليه بقوة السلاح ثقافتها.

والثقافة الإسلامية تعترف بسنة التدافع الحضاري وتداول الحضارات، وأن التطور متاح للجميع، وليس حكراً لأحد دون أحد.

---

(١) منصور الحلو المرجع السابق، ص ٣٠٩.

(٢) كلمة "إكليروس" مشتقة من كلمة "إكليرونوميا"، ومعناها "الميراث"، أي أن هؤلاء الناس اختاروا الرب نصيباً لهم، وأصبح الميراث الوحيد الذى يسعون إليه هو ميراث الملكوت، أى أنهم أصبحوا مكرسين لله تماماً، لا يعملون عملاً آخر سوى المساهمة فى بناء ملكوت الله فى القلوب، من خلال الخدمة والتعليم والرعاية. ينظر مقال: من هم الإكليروس؟ لنيافة الأنبا موسى، على هذا الرابط: http://www.youthbishopric.com/library/ArticlesLibrary/Arabic/church/ CH١ch/١٤htm.. وينظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، (٢٠٠٠م)، ص ٨٨.

(٣) تطور الأديان، ص ٩٤.

وحوار الحضارات في الثقافة الإسلامية هو كل حوار بين ممثلي الحضارات لقيام تعاون وتفاعل مشترك في شؤون الحياة المختلفة، ولتبليغ كل طرف رسالته الحضارية للآخر بالجدال والإقناع والبرهان وفق أصول وأهداف وضوابط لا يمكن المساس بها.

ب - فى الثقافة الغربية

ترتبط الثقافة الغربية بوجه عام بظروف الغرب التاريخية وتراث الشعوب الغربية والبيئة المرتبطة بها، وكل هذه الظروف التاريخية الموروثة إنما تصب في النهاية في عقلية الغرب ومفكريه لتؤسس نموذج الغرب الحديث ورؤيته للحوار بين الحضارات ويجدر بنا أن نتناول في البداية تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب.

لقد مر الغرب بثلاث مراحل هي المرحلة اليونانية الرومانية (المرحلة القديمة) ثم المرحلة اليهودية النصرانية (المرحلة الوسطى) وأخيرا مرحلة أوربا الحديثة التي استرجعت تاريخها الوثني والأسطوري القديم وهي نفس المصادر التي كونت الوعي الأوربي[١].

وفي العصر اليوناني الروماني، نظر الإغريق إلى غيرهم باعتبارهم برابرة غير متحضرين وظهرت عقدة التفوق اليوناني، وترجم الإسكندر ذلك في النهاية عندما قام بحملته لفتح الشرق وتكوين إمبراطورية تجمع بين الغرب والشرق، وانتشرت الثقافة اليونانية في مصر والشام وصارت اليونانية هي لغة الحكام. وأصبح من الضروري لدى الإسكندر الأكبر أن يجمع أولا بين شتات الثقافة الغربية فقام بتوحيد العالم اليوناني وقضى على التناقض بين فكر أثينا وإسبرطة من أجل التوحد في مواجهة البرابرة[٢].

استأنف الرومان ما بدأه الإغريق وقاموا بترسيخ الاستعلاء على غيرهم، وأسسوا إمبراطورية كبرى في البحر المتوسط، وسادت اللغة اللاتينية ثم انتشرت النصرانية مع اللغة اللاتينية وانتشرت في شمال أوربا بعد أن تحولت روما من عاصمة للإمبراطورية الرومانية إلى عاصمة الإمبراطورية النصرانية عندما تحول قسطنطين إلى بيزنطة في القرن الرابع الميلادي[٣].

وعندما انتشر الإسلام على شاطئ البحر المتوسط وأسس حضارة جديدة ورثت الحضارة

---

(١) مقدمة في علم الاستغراب، حسن حنفي، الدار الثقافية القاهرة، ط١ (١٩٩١) ص ١٠٧ وما بعدها.

(٢) الهلينية في مصر، إندرس بيل، ترجمة: عبد اللطيف وفريد (ط١ ، دار الندى، مصر، بدون تاريخ).

(٣) تقيم تجارب حوار الحضارات، (خطابات عربية) حسن حنفي، ص ٦٠.

اليونانية الرومانية والحضارة اليهودية النصرانية ودخلت المستعمرات الرومانية في الإسلام وساهمت في تكوين حضارته في العصور الوسطى، بدأ العداء الغربي للعالم الإسلامي وحرك الغرب عددا من الحملات الصليبية المتتالية حتى عرف هذا العصر بعصر الحروب الصليبية[١].

لم يكن الإسلام نفسه هو مصدر القلق، بل إن حركة التوسع الإسلامي وتقدم المسلمين في العلم والثقافة والحرب كان بمثابة الصدمة الحضارية للغرب الذي ظن أنه خلق ليسود المشرق دائما، وكان التقدم الإسلامي هو أحد مصادر النهضة الأوربية الحديثة عندما بدأت الترجمات من العربية إلى اللاتينية مباشرة أو عبر العبرية في طليطلة وصقلية[٢].

وفي مطلع العصر الحديث امتزج الدين بالدوافع الاقتصادية والسياسية. فبعد سقوط غرناطة فضّل الأوربيون الالتفاف حول العالم من الغرب بعد أن فشلوا في التسلل من الشرق وخلال حركة كشوف كبرى قامت بتشجيع من الحكومات الغربية تم الوصول إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح وكان ذلك ضربة موجهة ضد المسلمين واحتكارهم التجارة الآسيوية، وخلال التوجه إلى آسيا عن طريق الدوران غربا تم اكتشاف القارة الأمريكية ولاقى السكان الأصليون مصيرهم المحتوم ولبناء العالم الجديد تم التوجه نحو أفريقيا، وحدث أكبر نزح للسكان من أفريقيا إلى أمريكا بسبب العبودية والأسر والخطف، وعلى أيدي الرقيق الأفريقي تم تعمير القارة الجديدة[٣].

وما حدث في أفريقيا حدث في آسيا، حيث قضى الأوربيون على إمبراطورية المغول في الهند وشاركت في ذاك معظم القوى الغربية بهدف وضع العالم الإسلامي في آسيا بين شقي الرحى، وبدأت في إحلال الثقافة الغربية محل الثقافات المعروفة عند أصحاب الأرض الإسلامية والبوذية والهندوسية والكونفوشيوسية[٤].

وفي عالمنا المعاصر وتحديدا منذ مطلع القرن الواحد والعشرين، اتخذت العلاقة بين الشرق والغرب أشكالا مختلفة، حيث دار النقاش بعد ظهور مصطلح «العولمة» حول صدام الحضارات وحول الثقافات ومن المهم أن نعرف ماهية الفرق بين الصراع والحوار في أذهان الغرب.

---

(١) الحركة الصليبية في العصور الوسطى، سعيد عاشور، مكتبة الأنجلو، مصر، ط ٥، (١٩٩٩م) ، (١/ ٢٥٤).

(٢) تقييم تجارب حوار الحضارات، حسن حنفي، ص ٦١. وسيأتي تفصيل ذلك في الباب الثالث.

(٣) تقييم تجارب حوار الحضارات، حسن حنفي، ص ٦٢.

(٤) المرجع السابق.

يرى فريق من الباحثين أن الثقافات كائنات حية يحملها البشر وتخضع لنفس قوانين الحياة كالميلاد والوفاة والصراع والحوار، وفي عالمنا المعاصر تحاول الثقافة الغربية أن تنافس على الصراع وتدعو إلى الحوار، ولكنّ ذلك لا يزيد عن كونه كلاما إنشائيا بلا معنى(١).

وصحيح أن العولمة سمة سائدة لعصرنا لكن هذه الكلمة تشمل مفاهيم متنوعة؛ فعندما يكون معناها أن المشكلات أصبحت مطروحة على المستوى العالمي، وأن المعلومات والأفكار ورؤوس الأموال يمكن أن تنتقل في لحظات من أقصى الأرض إلى أقصاها فلا يستطيع أحد أن ينكر ذلك، ولكن عندما يكون المقصود بالعولمة أن الليبرالية الجديدة ينبغي أن تفرض في كل مكان، وأنه ما من طريق آخر إلا الذي ترضى عنه العولمة الكبرى، وأن فكرا واحدا ينبغي أن يسود، فإن هذه ولاشك إساءة لاستخدام اللغة لا تختلف في شيء عن إساءة استعمال السلطة(٢).

هذه إذن رؤية الثقافة الغربية لحوار الحضارات، وهي بلا شك رؤية غير معقولة في ظل محاولة فرض ثقافة جانب واحد وابتلاع الثقافات الأخرى، وصحيح أن هناك علماء ومفكرين في أوربا وأمريكا ممن يتحمسون للدفاع عن مصالح الشعوب المقهورة (العالم الثالث) إلا أنهم قلة قليلة لا تصل أفكارهم إلى أغلبية الناس داخل بلادهم، فكيف تصل إلينا في ظل شبكة الإعلام الكونية القادرة دائماً على إغراقنا بكل المعلومات والأفكار المؤدية إلى تزييف الوعي وإخفاء الحقيقة؟!

وعليه فقد انطلقت رؤية الغرب لحوار الحضارات من منطلقات عدة، فهو (الغرب) يبحث دائماً عن عدو، وفي فلسفته أن العداء مع الآخرين وبخاصة الإسلام عداء متجذر، كما أن هذا العداء يصبغ بصبغة تنصيرية سافرة كمحاولة لتدمير الإسلام، فرؤية الغرب اتضحت بجلاء من خلال مفكريه «فوكوياما، وهنتنجتون وغيرهما» ممن جعلوا الإسلام عدواً صريحاً للحضارة الغربية بكل منظوماتها وقيمها ومنجزاتها.

كما أن الحضارة الغربية ترى من الحوار صورة لفرض نمطها على العالم، وصبغه بنفس الصبغة الغربية –كما سيأتي بيانه - من هنا، أصبح من الممكن أن يتحول الحوار إلى صدام وصراع لأن الصراع يحدث عندما تجعل إحدى الثقافات من نفسها الثقافة العظمى – والقائدة - بينما كل

(١) المرجع السابق، ص ٥٥.

(٢) صراع الحضارات أو حوار الثقافات، أوراق ومداخلات المؤتمر الدولي ((حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات))، إيف جرينيه، القاهرة ١٠- ١٢ مارس ١٩٩٧م، تحرير فخري لبيب، ص ١٨٣.

الثقافات الأخرى ثقافات صغرى – تابعة - والعلاقة بينهما هي علاقة ميتافزيقية، علاقة بين الواحد والكثرة. إن ثقافة واحدة في سعيها إلى القوة تتجاوز كل الثقافات الأخرى وتتفوق عليها، وهذه هي حالة الثقافة الغربية التي ترى ضرورة إسقاط ما هو أصلي وإضافة ما هو خارجي، حتى تتحول الثقافات الصغرى من التأخر إلى التقدم ومن البدائية إلى الحداثة. ومن هنا تظل الثقافة الغربية هي مركز الثقافات الأخرى غير الغربية في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وهو ما يعني تفوق ثقافة الرجل الأبيض على ثقافات الشعوب السوداء والحمراء والصفراء، فأوربا هي المركز والقارات الثلاثة الأطراف[1].

فإذا حصل استجابة لهذه الشروط فإن ذلك يعني ضعفاً شديداً، كما يعني سيطرة الشمال (أوربا وأمريكا) على الجنوب (العالم الثالث) تكاد تكون كاملة، بما في ذلك الهيمنة الفكرية الحساسة[2].

وعلى المستوى الاقتصادي أيضا، تمثل العولمة محور الثقافة الغربية في السيطرة على الآخر حيث سيادة حضارة واحدة تتشكل حول الرأسمالية الاحتكارية، وعبادة الدولار، وتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، ومنذ اختفاء الاقتصاديات الاشتراكية لشرق أوربا يزعم البعض أن الحاضر والمستقبل ينتميان إلى الرأسمالية الاحتكارية على نحو ما هي قائمة في نهاية القرن العشرين، بل إن البعض يؤكد أن هذه الرأسمالية أبدية وكامنة في طبيعة الإنسان[3].

على أية حال، تمثل كتابات البروفسور صمويل هنتنجتون رؤية الثقافة الغربية لضرورة حوار الحضارات من منظور الغرب، ولأن صدام الحضارات هو الخطر الأعظم على السلام العالمي فيجب أن يقوم نظام عالمي قائم على أساس الحضارات ويعبر هنتنجتون عن ذلك بقوله: «إن الغرب سيبقى هو الحضارة ذات القوة الأعظم وفي أحسن أحوالها في العقود الأولى من القرن الحادي والعشرين، أما بعد ذلك يحتمل أن يظل لها دور قيادي أساسي في الموهبة العلمية وقدرات البحث والتطوير والابتكار التقني المدني والعسكري، ولكن السيطرة على مصادر القوة الأخرى تصبح على نحو يزداد يوما بعد

(١) حسن حنفي، الثقافات صراع أم حوار، ص ٥٥، ٥٦.

(٢) صدام أم حوار ؟ بعض الأفكار الاقتصادية للعصر الجديد، جومو سوندارام، ص ١٢٠.. وينظر أيضاً: (الغرب ضد العالم الإسلامي من الحملات الصليبية حتى أيامنا)، بوندار يفسكيدار التقدم، موسكو، الطبعة الأولى (١٩٨٥م)، ترجمة: إلياس شاهين (٣٦٢- ٣٧٨).

(٣) صراع الحضارات أم حوار الثقافات؟إيف جرينيه، ص ١٨٣، ١١٤

يوم موزعة بين الدول الجوهرية والقائدة للحضارات اللاغربية»[١].

جـ - في دوائر المعارف الغربية

في الموسوعة البريطانية:

من المفيد ملاحظة أن كلمة حضارة ليست قديمة، ويقول بوزول Boswell إنه حث صموئي جونسون[٢] - كاتب انكليزي عاش في القرن الثامن عشر وألف قاموسًا في اللغة في ذلك الوقت - على إدخال هذه العبارة في قاموسه سنة ١٩٧٢، ولكن جونسون رفض وفضلّ الكلمة القديمة: «سيفيليتي» «Civility». هذه الكلمة- مثل كلمة يوربانيتي «Urbanity» «تعكس الاحتقار» عند أهل المدن للريف»[٣].

يعرّف فاريك «Wahrig» - الحضارة في معجمه «Deutsches Wörterbuck» بأنها: « الصور الخارجية المهذبة والمتقدمة تقنيًا للحياة وأساليب العيش عند شعب ما»[٤].

وأمّا معجم وبستر فيفسّر الحضارة بأنها: « حالة من الثقافة في التربية بخاصة بمعنى التنور وسمو الذوق اللذين يُكتسبان بالمران العقلي، والنمط الكامل للسلوك الإنساني ونتائجه مجسدة في الفكر والكلام والعمل والفن، ويعتمد على قدرة الإنسان على التعلم ونقل المعرفة للأجيال المتعاقبة من خلال استعمال الأدوات واللغة ومناهج التفكير المجرد»[٥].

الحقيقة التي نجد أنفسنا أمامها وجهًا لوجه هي — أن «الحضارة» ليس لها — أو لنشوئها بتعبير أدق- توقيت محدد، بل الإنسان لا يفتأ، ولا يبرح يتفنن، ويبدع، ويكتشف، دون أن ندرك- بعبارة علمية غاية في الدقة والتحديد- أوّليةً لهذه النشاطات البشرية والإنسانية.

وفي معرض عرضها لهذه الحقائق، تقرر- الموسوعة البريطانية، في تعريفها بـ « الحضارة »

---

(١) صراع الحضارات وإعادة بناء النظام الدولي، صمويل هنتنجتون، ترجمة: عباس هلال كاظم، دار الأمل، ط ٢٠٠٦ ص ١١٨.

(٢) ولد في إنجلترا، ودرس في جامعة أكسفورد بين عامي (١٧٢٨- ١٧٢٩م)، لكنه اضطر إلى ترك الدراسة لظروف المعيشة، ألف كتباً عديدة وأصدر مجلة جنتلمان، وقاموساً في اللغة.

(٣) دائرة المعارف ٧/٤٥٨ مادة حضر.

(٤) المرجع المذكور، ص ٧/٢١٨.

(٥) معجم وبستر (ص ٥/ ١٦١) منقول من ((مستقبل العالم))، مرجع سابق.

«Civilization»، أنها- أي الموسوعة نفسها- ليست سوى تاريخ للحضارة. يقول كاتب المقالة:

« هذه الموسوعة هي في نفسها وصفٌ للحضارة الإنسانية؛ لأنها تحتوي على قصة المنجزات الإنسانية، بكل تصوراتها الباهرة. إنها تعرض ما كان الناس ولا يزالون خلال مئات الألوف من السنين يتعلمونه عن أنفسهم وعالمهم، والمخلوقات التي تشاركهم في هذا العالم »[١]، وتحت عنوان: (المفهوم الجديد للحضارة) يقول: ليس من الممكن أن يكون هناك فهم حقيقي لِلمميزات الرئيسية والأساسية للحضارة حتى تقام أو تثبت، وتضم حقيقة أنه إذا كان بإمكاننا تتبع سلالة الإنسان رجوعًا إلى مدى بعيد بشكلٍ كافٍ، إذن لأمكننا أن نجد أنها ممتزجة مع سلالات الحيوانات المتوحشة، بدون ملاجئ اصطناعية، ثياب، أو نطق، معتمدة في بقائها على بحثها اليومي عن الطعام. إنه يتطلب جهدًا كبيرًا من الخيال أن يتم تصور الجنس البشري بدون تلك الحاجات الظاهرة حتى للحضارة البدائية. بدون نار وأدوات، يفترض أن الناس كانوا يعيشون كما كانت تعيش فتاة متوحشة بالقرب من شالون سورمان (منطقة في فرنسا)، عام ١٧٣١». وينقل المقال- أن « علماء الأجناس الجدد، أشاروا إلى أن الشعوب التي هي بدون مدن مثل قبائل بولينيزيا والهنود الحمر في أمريكا الشمالية هم على درجة عالية من الحضارة، بمعنى أنه –لدى التدقيق –(الاختبار)- المتعاطف- وجد أنه كانت لديهم لغات (متضمنة معاني دقيقة)، فنون أصيلة (هذه الأشياء كلها)، مناسبة، بشكل يثير الإعجاب لظروفهم ومؤسساتهم المنظورة، وممارساتهم الاجتماعية والسياسية والدينية، وأساطيرهم- الوثيقة (للموثوق بها)- التي هي ليست بأحسن ولا بأسوأ من كثير من تلك التي تسود اليوم بين دول أوربا»[٢].

ويعد لفظ «الحضارة » هو الترجمة الشائعة للكلمة الإنجليزية (Civilization) والتي تعود إلى عدة جذور في اللغة اللاتينية (civiltes) بمعنى مدينة، وهي الكلمة المشتقة من المصدر الذي أصرَّ صمويل جونسون على وضعه في قاموسه (Civility).

ويبدو أن ما عناه غالبية من استخدموا الكلمة لأول مرة هو مزيج من الصفات الروحية

(١) الموسوعة البريطانية. cultural Areas, Theoyies About .365

(٢) المصدر السابق (٣٦٦).

والخلقية التي تحققت على الأقل بصورة جزئية في حياة البشر في المجتمع الأوربي[1].

إذًا، فقد شغل موضوع حوار الحضارات العديد من الأوساط الغربية، سواء على المستوى الفكري الأكاديمي أو على المستوى الشخصي لدى الكثير من المفكرين الغربيين الذين اعتنقوا فكرة «حوار الحضارات» كمذهب لهم، فظهر منهم المنصف، وجاء منهم المتعصب الرافض لفكرة الحوار وهؤلاء مفعمون بعنصرية شديدة اللهجة تولّد على يديهم «صراع الحضارات» وكان أشدهم على الإطلاق المفكر هنتنجتون صاحب أطروحة «صراع الحضارات».

لقد حث المجمع الفاتيكاني على ضرورة تجاوز خصومات الماضي من أجل التطلع للمستقبل والتحاور مع المسلمين، حيث أعلن أنه ((إذا كانت انشقاقات وعداوات كثيرة قد ظهرت بين المسلمين والنصرانيين على مر العصور، فإن المجتمع الفاتيكاني يحضُّهم جميعًا على نسيان الماضي وعلى بذل الجهد الصادق من أجل التفاهم المتبادل، وكذلك حماية وتشجيع العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية والسلام والحرية معًا ولكل البشر)). إن هذه الجملة التي استشهدت بها الصحافة الغربية ودوائر معارفها مرارًا وتكرارًا أثناء انعقاد المجتمع قد أثارت اهتمامًا عميقًا لدى المسلمين الذين رأوا فيها إعلانًا ببدء حِقبة جديدة في علاقات الشرق والغرب.

وعندما وصل الوفد العلمي السعودي في ٢٤ أكتوبر ١٩٧٤م إلى روما واستقبلهم السفير السعودي في إيطاليا/ أحمد عبد الجبار وأركان السفارة وشخصيات رسمية من الحكومة الإيطالية، ونيافة الكاردينال ((سيرجوس بينيادولي)) رئيس الأمانة العامة لغير النصرانيين في الفاتيكان، وهو من الشخصيات الدينية النصرانية المعروفة ومن المنفتحين على الديانات وبخاصة الإسلام.

وقد ذكر أن الكاردينال ((دولي)) كان له دور بارز في إعداد وثيقة المجتمع المسكوني الثاني التي أشادت بالشريعة الإسلامية وهو من المرحبين بالحوار مع الإسلام. وقد استقبل الوفد السعودي استقبالاً رائعًا، وكان ممثل البابا يعانق أعضاء الوفد فردًا فردًا، وكان المنظر مثيرًا في مطار روما، حيث وصفت مندوبة مجلة ((الإكسبريس)) الفرنسية هذا اللقاء: رأيت منظرًا لا يصدق، فقد كان يقف على أرض المطار الكاردينال بينيادولي الرجل الذي يحتمل أن يخلف قداسة البابا في منصبه.. رأيته يعانق

(١) صبري سعيد، مرجع سابق (٧٤ بتصرف).

الشيوخ العرب الذين هبطوا من الطائرة وكان يلوح على وجهوهم السرور العارم»[١].

وعقدت الندوة جلسة أولى يوم الجمعة ٢٥ أكتوبر ١٩٧٤ م بحضور الوفد العلمي السعودي والوفد النصراني من أقطاب رجال الفاتيكان، وكان موضوع الحوار «الثقافة كوسيلة لتكافل الإنسان ومساهمة المسلمين والنصارى في توطيد السلام وفي احترام حقوق الإنسان».

وافتتح الجلسة الكاردينال بينيادولي رئيس الأمانة العامة البابوية لغير (المسيحيين) حيث رحب بالوفد السعودي العلمي الإسلامي، ثم تحدّث الحبر روسانو في الجلسة عن «الثقافة الدينية سبيل الإنسان إلى النمو»، وقال: لكي نعي معنى الثقافة الدينية ودورها في ترقية الإنسان، يتوجب علينا أولاً أن ندرك صورته الحقيقة الكاملة ومكوناته الجوهرية... إننا مقتنعون حينما نفكر هكذا، أننا على اتفاق تّام مع مبادئ الإسلام الأساسية» وهذا ما يولد فينا نحن (المسيحيين) احترامًا خالصًا لكل الديانات التي تشهد في عمق أعماقها أن الإنسان يبحث عن الله. ولذا نطلب الحرية الدينية لكل الناس. تلك الحرية التي تتيح لهم أن يرفعوا أبصارهم نحو الله حسب معطيات ضمائرهم، ونرفض بعض مظاهر المدنية المعاصرة المادية والملحدة، ونعتبر الإلحاد ضررًا بالغًا للإنسانية، واسمحوا لي أن استشهد هنا بكاتب مسيحي عاش في ذروة العصور الوسطى هو «أوغو دي سان فكتور»، وشرح بتعبير تصويري بسيط مكانة الإنسان في العالم حسب الرؤية النصرانية[٢].

وقال رئيس الوفد السعودي العلمي الشيخ محمد الحركان وزير العدل[٣]: كنا سعداء بالدعوة التي وجهها الفاتيكان إلى وفدنا لإقامة ندوات حول حقوق الإنسان في الإسلام والنصرانية، وأن نرى اليوم هذا الترحيب الكبير بوفد علماء المملكة العربية السعودية، وأن نرد على ترحيبهم بالمثل والشكر، آملين أن تكون هذه الندوة حدثًا تاريخيًا في عالمنا الحديث الغارق في أوحال المادية، والذي أصبح في حاجة ماسّة إلى من يسمعه صوت السماء، وينقذه من الضياع، ويشق له الطريق إلى السلام الآمن من غير خوف، ضمن أسرة إنسانية واحدة، جعلهم الله سبحانه وتعالى شعوبًا وقبائل يتعارفوا

---

(١) حوار الحضارات بين المملكة العربية السعودية والفاتيكان، مطيع أحمد على النونو، «في إطار الحوار الإسلامي المسيحي» (١٩٧٢ – ١٩٧٤ م)، ط١ (٢٠٠٤ م)، ص ٣٤٢.

(٢) مطيع النونو، المرجع السابق، ص ٣٤٥.

(٣) هو الشيخ محمد بن علي الحركان، ولد بالمدينة المنورة عام (١٣٣٣هـ) ينتمي إلى أسرة من أهالي عنيزة بالسعودية، درس دراسة دينية ثم عُين مدرّساً بالمسجد النبوي الشريف للعلوم الشرعية، وقد كان أول وزير عدل في السعودية (١٣٩١- ١٣٩٦هـ) بعد تدرج في مناصب علمية وإدارية، توفي عام (١٤٠٣هـ).

ويتعاونوا على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، كما دعا إليه صريح القرآن حين نادى بالبشر قائلاً: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)** [الحجرات: ١٣].

وقال تعالى: **(وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)** [المائدة: ٢] لأن التعاون على الإثم والعدوان يمحو كل كرامة الإنسان.

إن ما قام به الوفد السعودي العلمي في مدينة الفاتيكان من تقارب الحوار مع الغرب ثم بعد ذلك في مدن جنيف وباريس وستراسبورج جعل الغرب يفكر ويعيد التفكير من جديد حول فكرة « حوار الحضارات » لا « صدام الحضارات » فقد نسوا جميعًا الدور الهام والبارز الذي لعبه الوفد العلمي السعودي، وما قام به من جهد لتغيير وتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة لدى الغرب عن الإسلام ووضعها في مسارها الحقيقي كي تتولد ثمرة « حوار الحضارات ». وأيضًا نصوص ندوة الرياض حول حقوق الإنسان في عام ١٩٧٢م التي وزعت على فريق من كبار رجال القانون والفكر في أوربا، وما أُلحق بها من مذكرة حكومة المملكة العربية السعودية حول شريعة حقوق الإنسان، وتطبيقاتها في المملكة، الموجهة في حينها للهيئات الدولية حينذاك، والتي اتُّخذت أساسًا للبحث في ندوة الرياض عام ١٩٧٢م[(١)].

وقد كشفت هذه الحوارات الحضارية قبول بعض دوائر الغرب الحوار الحضاري وإحجام البعض الآخر، فقد كان للصحافة الغربية في أوربا دور سلبي بسبب زيارة الوفد العلمي السعودي لكنيسة الفاتيكان، حيث لم تعط تلك الصحافة الزيارة حقها الإعلامي، بل عارضت الزيارة والمثل على ذلك ما أشارت إليه مندوبة مجلة «الإكسبريس» الفرنسية لهذا اللقاء – كما سبق بيانه – ثم تابعت الصحفية الفرنسية قولها بكل خبث عن الكاردينال دولي: «لو أن هذا الروماني كان يعرف خطورة الحادث والأحداث التي ستأتي بعده لطلب المغفرة من العذراء.. المغفرة لذنب ارتكبه بحضوره مثل هذا المشهد»[(٢)].

د – لدى الفلاسفة والمفكرين الغربيين

لا يخفى مدى انتعاش الدراسات الفلسفية السياسية التاريخية في السنوات الأخيرة، وذلك أمر

(١) مطيع النونو، المرجع السابق، ص ٣٥٩.

(٢) مطيع النونو، المرجع السابق، ص ٣٧٨.

طبيعي بالنظر إلى القلق والاضطراب الذي يعرفه حقل التنظير والتفكير في الوضع الدولي الراهن.

وهذا ما فتح الباب للفلسفة لتساهم في التنظير للمجال السياسي وللعلاقات الدولية. وقد تأكد ذلك مع أطروحة « نهاية التاريخ » لفوكوياما، وأطروحة (صدام الحضارات) لصامويل هنتنجتون، حيث ذكر أنه في العالم البادئ في الظهور لن تكون العلاقات بين الدول والجماعات التي تنتمي إلى حضارات مختلفة حميمة، بل غالبًا ما ستكون عدوانية إلا أن بعض العلاقات بين الحضارات أشد ميلاً للنزاع من العلاقات الأخرى. أما على المستوى الأصغر، فإن خطوط الصدع الأعنف تكون بين العالم الإسلامي وجيرانه من الأرثوذكس والهندوس والأفارقة والمسيح الغربي. أما على المستوى الأكبر، فإن الانقسام السائد يكون بين « الغرب والبقية » وذلك بنزاعات أشد ضراوة تقوم بين المجتمعات المسلمة والآسيوية من طرف والغرب من طرف أخر. ويرجّح أن تقع الصدامات الخطيرة في المستقبل نتيجة لتفاعل الغطرسة الغربية والتعصب الإسلامي والإصرار الصيني[١].

ويقول أيضًا إن الغرب هو الوحيد بين الحضارات الذي ما زال صاحب أثر كبير وأحيانًا يكون له أثر مدمر على أية حضارة أخرى.

ونتيجة لذلك، ستكون العلاقة بين قوة وثقافة الغرب، وقوة وثقافات الحضارات الأخرى هي سمة عالم الحضارات الطاغية. وكلما زادت القوة النسبية للحضارات الأخرى يضمحل الإعجاب بالثقافة الغربية وتزداد ثقة الشعوب غير الغربية بثقافتهم الأهلية، وتتعاظم قوة التزامهم بها. وتبعًا لذلك، تصبح المشكلة المركزية في العلاقة بين الغرب والبقية هي عدم وجود توافق بين محاولات الغرب – وعلى وجه الخصوص الأمريكية منها – لنشر ثقافة غربية كونية وبين قدرتها البادئة بالانحدار، للنهوض بذلك[٢].

إن خطورة أطروحة صراع الحضارات تكمن في كون التحليل الهانتنجتوني موجه للقارئ الأمريكي الغربي على وجه العموم، وهو بتكريسه مفهوم الصراع وتعزيزه بوقائع وأمثلة من التاريخ الحديث والقديم يكون قد ساهم في توجيه الرأي العام الغربي وجهة مغلوطة تبعده عن الرؤية الصحيحة للصراعات وأبعادها وعواملها الحقيقية، وفي الوقت نفسه تشحنه بمشاعر العنصرية والكراهية والعداء ضد الآخر غير الغربي.

(١) صامويل هنتنجتون، صراع الحضارات، (ص ٢٥٥).

(٢) صامويل هنتنجتون، المرجع السابق، ص ٢٥٥ .

ويتساءل المفكرون الغربيون في أوروبا وأمريكا: «هل سنشهد اقتسام العالم بين الإمبراطورية والبرابرة الجدد»؟ من دون أن يُعلَن عنها بشكل واضح، فإن هذه الفرصة كثيرة الانتشار عند الأنجلو ساكسونيين، وتفترض إقامة تحالف أكثر اتساعًا بين الغربيين، حيث سيكون احتكار التكنولوجيا العالية موزعًا فيما بينهم، وهذا ما سيضمن تفوقهم العسكري[١].

إن أطروحة صدام الحضارات لا تعير اهتمامًا كبيراً للتفاعل والحوار بين الحضارات، بل على العكس من ذلك يحكمها منطق البقاء للأصلح، والأصلح هو القادر على تحقيق الهيمنة والتفوق العسكري، فنحن نعيش في مجتمع دولي تسوده معايير القوة ويسيطر عليه الأقوياء. وهناك نوع من الاستسلام لهذه الظاهرة وعودة إلى الداروينية[٢] السياسية والاجتماعية التي تبشر الأقوياء بالبقاء والضعفاء بالاندثار، وهذا ربما ما لا يحذّر منه هنتنجتون بل يبشر به في أطروحته[٣].

ويعتقد الكثير من المحللين أن صدام الحضارات رؤية تاريخية فلسفية مأساوية وذات نزعة تشاؤمية بمصير الإنسانية عند نهاية الألفية الثانية. وقد نبه فرانسيس فوكوياما إلى ضرورة الوقوف ضد هذه الموجة الفكرية التشاؤمية الجديدة التي تجتاح الغرب، والتي يتزعمها مجموعة من الإعلاميين والأدباء والمفكرين الغربيين الذين لا يفهمون جيدًا واقع الوضعية الراهنة ويحاولون تضخيم خطورة المشكلات التي يواجهها العالم[٤].

وفي نفس الإطار نجد أن وزير الخارجية البريطانية (روبين كوك) يشير في محاضرته في المركز الإسماعيلي في لندن في ٨ أكتوبر ١٩٩٨م إلى أن جذور الثقافة الغربية ليست يونانية أو رومانية الأصل فحسب؛ بل هي إسلامية أيضاً، ويبين أن التحديات التي نواجهها تحديات عالمية، ويرفض مقولة صراع الحضارات، وأن الإسلام هو العدو الجديد للغرب ويقول: «إن البعض يقول: إن

---

(١) Bruno Colson, Le tiers – monde Dane la pensée stratégique americaine hautes etudes strategiques (Paris: Institut de stratégie comparée, Economica) – 1994, p 41.

(٢) الداروينية في التطور نسبة إلى داروين (١٨٠٩- ١٨٨٢م)، وهي أكثر المذاهب الفلسفية أثراً في القرن الماضي حيث تقوم على مبادئ الانتخاب الطبيعي وتنازع البقاء، والبقاء للأصلح. ينظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، (٢٠٠٠م).

(٣) المرجع السابق.

(٤) Francis Fukuyama " Contre le Nouveau Pessimisme Cemmentaire, No. 55Cété 1994, p273.

الغرب بحاجة إلى عدو، وبما أن الحرب الباردة قد ولت إلى غير رجعة، فإن الإسلام سيأخذ مكان الاتحاد السوفييتي القديم كعدو، ويقولون: إن صراع الحضارات قادم وأنه لا مفر منه، وأنا أقول: إنهم مخطئون، بل ومخطئون خطأً فادحاً، فنحن لسنا بحاجة إلى الإسلام كعدو، بل نحن بحاجة إلى الإسلام كصديق».

ويشير إلى أن «الغرب مدين للإسلام بالشيء الكثير، فالإسلام قد وضع الأسس الفكرية لمجالات عديدة مهمة وكبيرة في الحضارة الغربية، إن ثقافتينا قد تشابكتا مع بعضهما البعض عبر التاريخ والأجيال، وهي تتشابك أيضاً في وقتنا الحاضر».

ويبرز كوك أهمية الحوار بين الجانبين ويقول: «اليوم أريد أن أقترح بأن نبدأ حواراً جديداً جدياً بين أوروبا والعالم الإسلامي، فقد حان الوقت لكي يبدأ الاتحاد الأوربي ومنظمة المؤتمر الإسلامي بالحديث مع بعضهما البعض على أعلى مستوى ممكن»[1].

فإذا اتجهنا شطر أكبر دولة في أوربا، ونعني بها ألمانيا، فإننا نجد اتجاهاً مماثلاً رافضاً تماماً لفكرة صراع الحضارات، ومتبنياً أسلوب الحوار الحضاري، وقد ذهب الرئيس الألماني (رومان هيرتسوج) خطوة أبعد في هذا المجال بالدعوة إلى عقد مؤتمر في العاصمة الألمانية برلين للحوار بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

وقد وجه الدعوة إلى رؤساء خمس من الدول الإسلامية هي: مصر، والمغرب، والأردن، وإندونيسيا، وماليزيا، ورؤساء خمس من الدول الأوربية هي: إيطاليا، وإسبانيا، والنمسا، والنرويج، وفنلندا، بالإضافة إلى ألمانيا الدولة المضيفة، وتم اللقاء في ٢٣ أبريل ١٩٩٩م على مستوى المراكز البحثية المتخصصة.

وقد اشترك في المؤتمر أيضاً ممثلون لدول أخرى مثل إنجلترا وفرنسا وسويسرا والسويد ولبنان، وصدر عن المؤتمر (بيان برلين) الذي يمثل خطة للعمل المستقبلي، وقد تضمن البيان العديد من التوصيات التي تدعم الحوار الحضاري بين الشرق والغرب، وتستشرف مستقبل العلاقات بين المجتمعات الإسلامية والغربية[2].

وبالإضافة إلى ذلك صدر في شهر مايو ١٩٩٩م كتاب للرئيس الألماني بعنوان (الحيلولة دون

---

(١) مجلة منبر الإسلام، مصر، شعبان (١٤١٩هـ) (٥٥- ٥٨).

(٢) وستأتي الإشارة إليه في الباب الرابع.

صدام الحضارات – إستراتيجية السلام للقرن الحادي والعشرين)، وقد تضمن الكتاب آراء الرئيس الألماني التي أعلنها حول هذا الموضوع في الفترة من ١٩٩٥م حتى ١٩٩٩م، كما تضمن أيضاً تعقيبات لأربعة من المفكرين المعروفين.

ويؤكد الرئيس الألماني رفضه المطلق للزعم بأن الشرق والغرب يستعدان لمواجهة مزعومة بين الإسلام والنصرانية، ويحذر من خطورة الترويج لمثل هذه الأفكار، ويؤكد على ضرورة التركيز على القواسم المشتركة بين الحضارات.

ويشير الرئيس الألماني إلى ضرورة بناء جسور الثقة بين الجانبين لمواجهة تحديات المستقبل التي تعد تحديات لنا جميعاً، وتتطلب حلولاً دولية وتعاوناً مشتركاً بين الجميع، كما يدعو إلى ضرورة تعرف الشعوب والحضارات بعضها على بعض على نحو أفضل للوصول إلى فهم مشترك، واحترام متبادل وثقة متبادلة أيضاً، ويرى أن الحوار بين الحضارات والأديان يُعد أهم الواجبات الملقاة على عصرنا، وبصفة خاصة الحوار بين الإسلام و(المسيحية).

ومن خلال هذه التوجهات الصادرة في أوروبا من شخصيات لها وزنها يتضح لنا أن هناك تياراً أوربياً قوياً رافضاً فكرة صدام الحضارات، وهو تيار أقوى كثيراً من تيار صمويل هنتنجتون ومن يشايعه، ولكن الشيء المؤسف أنه قد تم تسليط الضوء على نحو مريب على أفكار هنتنجتون السلبية، وتم تضخيمها إعلامياً، وفي الوقت نفسه غابت عن الساحة الإعلامية تلك الأفكار الإيجابية والأصوات العاقلة التي ترفض صدام الحضارات وتتبنى حوار الحضارات[١].

وقد ظهرت أصوات غربية ترفض بشدة مقولة هنتنجتون حول صدام الحضارات، وبصفة خاصة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، ومن الأمثلة ما قاله ولي عهد بريطانيا (الأمير تشارلز) – كما سيأتي- .

فمعظم الفلاسفة والمفكرين الغربيين من أنصار الحضارات يفضلون لغة الحوار كبديل عن لغة الصدام بين الحضارات باعتباره عنصر بناء لا هدم. ويرفضون تمامًا نظريات هنتنجتون وخياله الواسع حول مستقبل العالم حتى لقبه باسكال بروكنر **(Pascal Brukner)** بالابن البار لهوليوود[٢]. حيث

---

(١) جريدة الأهرام المصرية في ١٣/ ٨/ ١٩٩٩م.

وينظر: ((الإسلام والآخر)) حمدي شفيق، بحث على موقعه الخاص في الشبكة المعلوماتية.

(٢) Pascal Bruckner " Samuel Hintington ou le retous de la fatalitec de =

أن السينما الأمريكية أصبحت في المدة الأخيرة تعرف نجاحًا كبيرًا بالأفلام الكارثية الزاخرة بالتضخم والتهويل، والتي تصور صراعات عنيفة هائلة بين البشر فيما بينهم، أو فيما بين البشر وقوى خارقة ضخمة طبيعية وغير طبيعية، ولعل الطابع الأوضح على هذه الأفلام هو تكريس مبدأ الصراع(١).

هـ- تاريخ حوار الحضارات والفرق بينه وبين تقارب الأديان:

يدعو الإسلام إلى مد جسور العلاقة والتواصل – بشكل أو بآخر – مع كل من يصله خطابه، إنها رسالة اتصالية من طبيعة خاصة تقوم على منهج تبادل الحجة والبرهان بين أبنائها من جهة، ومع من لم يعلم شيئًا عنها، ومن استغلق عليه شيء منها، أيًا كان موقعه، وأيًا كانت إقامته بين المسلمين أو خارج ديارهم.

من هنا كانت بلاغة عظمة التعبير عن هذا المنهج الدعوي في قوله تعالى: **(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)**[النحل: ١٢٥]. فلا إعلام بالإسلام ولا هدى إلى سبيل الله إلا بالدعوة إليه، ولا دعوة إلا بالحكمة والحكمة تستتبعها وتلتحم بها الموعظة، ولكنها ليست أية موعظة، إنها الموعظة الحسنة، ولا قيمة لكل ذلك إلا إذا امتد هذا الإحسان إلى الجدال حولها، والجدال عنها، والإحسان في القول، والإحسان في العمل والإحسان في أخلاق القول وأخلاق العمل(٢).

إن الحوار لبنة أساسية ومحورية في بناء الإسلام ونقله حضاريًا من نطاق التشريع والنصوص إلى نطاق التفعيل، ومن نطاق الأحكام إلى نطاق التشغيل، ومن نطاق الحق المنزل إلى نطاق الحقيقة المعاشة.

ولذلك تعددت أفاق الحوار في القرآن والسنة، وتعددت مجالات وجهته فيهما وتعددت من ثم قضاياه ومحاوره، وتنوع القائمون به. ويشهد عصر النبوة، بل تشهد أيضًا العصور التالية له تعددًا

= l'histoire.

(١) قراءة للصراع في أفلام هوليود، دراسة قام بها الزميل رجا بن ساير في جريدة الرياض – عدد (١٣٤٧٦) بتاريخ ٩/ ٤/ ١٤٢٦هـ، وينظر أيضاً باسكال يونيفاكس، (من يجرؤ على نقد إسرائيل) المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م)، ترجمة: أحمد الشيخ ص (٤٧- ٧٧).

(٢) يُراجع تفسير ابن كثير ٤/ ٦١٤، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

مماثلاً في الأفاق والمجالات والقضايا والمحاور والأطراف. وهكذا امتدت مساحة الحوار في تلك الآونة[1].

لقد دعت محافل ومنظمات كثيرة إلى حوار الحضارات منذ الستينيات من القرن المنصرم ثم انتهى الحوار إلى أوراق نُشرت في كتب وأذيعت في صحف لكنها لم تثمر نتائج ملموسة حتى الآن، وعندما ترددت في أرجاء العالم السياسية والفكرية نظرية (هنتنجتون) عن (صدام الحضارات) كان البديل المنطقي الذي تمت المسارعة إلى استدعائه هو (حوار الحضارات) الذي تمت الدعوة إليه بقوة في جميع المحافل والملتقيات، وعُملَ على إنجاحه قصد تجنيب العالم ويلات الصراع وكوارث الصدام الحضاري. وإذا كانت جهات غربية كثيرة قد دأبت على الدعوة إلى حوار الحضارات وفق شروط وضوابط معينة أملتها ظروف التفوق والاستعلاء الغربي، فإن الطرف الإسلامي لم يكن بعيداً عن فكرة تنظيم مؤتمرات وملتقيات دولية لترسيخ آليات الحوار الحضاري من طرف مؤسسات ومنظمات ثقافية، إيماناً بأن (حوار الحضارات) يعتبر مطلبًا إسلاميًّا مُلحًّا يدعو إليه القرآن الكريم وتبشر به السنة النبوية الشريفة.

وبقدر ما تعظم الحاجة إلى حوار جدي بين الثقافات والحضارات لإقامة جسور التفاهم بين الأمم والشعوب لبلوغ مستوى لائق من التعايش الثقافي والحضاري، تقوم الضرورة القصوى لتهيئة الأجواء الملائمة لإجراء هذا الحوار ولإيجاد الشروط الكفيلة بتوجيهه الوجهة الصحيحة. إن نقطة الانطلاقة الأولى لأي استجابة فعالة تبدأ من خلال فهم الذات وفهم الآخر، ففي البداية يجب أن نتعرف إلى واقعنا كما هو بالفعل من دون رهبة أو خجل ومن دون تهوين أو تهويل، ثم التعرف إلى الآخر وفهمه، وهو هنا الغرب وحضارته.

إن الانعزال والتقوقع والانغلاق على الذات في عالم اليوم الذي تحول إلى قرية صغيرة بحكم التطور التقني الهائل في تكنولوجيا الاتصال أمر مستحيل، كما أن الانسياق وراء الدعوة إلى حضارة عالمية واحدة هو بحد ذاته عملية تكريس لانتصار الحضارة الغربية الكاسحة، وهو طريق التبعية الحضارية الذي يُفقدنا خصوصيتنا الحضارية ويحولنا إلى نقطة على هامش حضارة الغرب.

والإسلام - دينا وحضارة - عندما يدعو إلى التفاعل بين الحضارات ينكر (المركزية

(١) من خبرات حوار الحضارات، د / مصطفى منجود، أعمال الندوة التي عقدت في القاهرة يومي ٣٠ و٣١ أكتوبر ٢٠٠٢م – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ص ٣٥١.

الحضارية) التي تريد صهر العالم في حضارة واحدة مهيمنة ومتحكمة في الأنماط والتكتلات الحضارية الأخرى، فهو يريد العالم (منتدى حضارات) متعدد الأطراف، ولكنه مع ذلك لا يريد للحضارات المتعددة أن تستبدل التعصب بالمركزية الحضارية القسرية، وإنما يريد الاسلام لهذه الحضارات المتعددة أن تتفاعل وتتساند في كل ما هو مشترك إنساني عام، بخلاف الهيمنة الغربية التي تسعى إلى قسر كل الحضارات لها.

ولمَّا كان الإسلام ديناً عالمياً وخاتم الأديان، فإنه في روح دعوته وجوهر رسالته لا يرمي إلى تسنم المركزية الدينية التي تجبر العالم على التمسك بدين واحد، إنه ينكر هذا القسر عندما يرى في تعددية الشرائع الدينية سنة من سنن الله تعالى في الكون، قال تعالى: **[لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ]** [المائدة: ٤٨]، وقال أيضاً: **[وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ* إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ]** [هود: ١١٨-١١٩](1).

وفي وقتنا الحاضر ومع تطور وسائل الإعلام وسيطرة الغرب عليها والتحكم فيما تنشره، يُشوّه الإسلام ويُرمى بالتهم الباطلة والأكاذيب المضللة، فلا يمكن اعتبار الحوار مجرد ترف فكري، لأنه أصبح ضرورة عالمية لا مفر منها طالما كان الإنسان جادًّا مخلصًا في سعيه نحو السلام والعدل والتعايش وتفادي أسباب القلق والحروب المدمرة، ولذلك فإن دواعي الحوار وضروراته في الزمن الحاضر كثيرة جدًا تتمثل في توجه العالم نحو التكامل في المجالات كلها، والخوف من الحروب الإقليمية والعالمية، والسعي من قبل الدول القوية المسيطرة على مقدرات الشعوب الضعيفة، وتنامي الصراع الأيدويلوجي بين الديانات والفلسفات المتعددة ومحاولة كل منها كسب أرضية جديدة وأتباعا كُثُرًا.

ثم أثارت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م رعبًا متزايدًا داخل الاتحاد الأوربي ومؤسساته المختلفة وتم الحديث عن ضرورة استبعاد مقولة «صراع الحضارات» والبدء فعليًا في إتباع سياسة فعلية ونشطة ومثمرة في مجال الحوار ما بين الثقافات والحضارات.

ومن هذا المنطلق، أعلن رؤساء دول وحكومات الاتحاد الأوربي في قمتهم المنعقدة عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م مباشرة ــ والذي اعتبروه عام « حوار الحضارات » ــ ضرورة منع أي إرهاب قادم من العالم العربي والإسلامي، وضرورة تشجيع الحوار بين المتساويين المتكافئين

(١) ينظر: أمريكا بين الهنود والعرب، د. نبيل خليل خليل، دار الفارابي، بيروت، ط١ (٢٠٠٣م) (١٧- ٣٢).

Dialogue of Equals في منطقة المتوسط في إطار صيغة برشلونة، وعبر تنشيط وسائل أخرى متعددة لإتباع سياسة ثقافية وقائية.

كما بادر البرلمان الأوربي بعقد لقاء غير عادي للمنتدى البرلماني الأوربي المتوسطي في ٨ نوفمبر ٢٠٠١م للتعهد أيضًا بضرورة تكييف الحوار ما بين الحضارات وتنويع أشكاله وتوسيع مجالاته لتحقيق التفاهم المتبادل بين الشعوب وتفادي الصدام.

واستجابة لهذا الاهتمام بضرورة إتباع مدخل حديث في التعامل مع الحوار ما بين الحضارات، نظمت الإدارة العامة للثقافة والتعليم بالمفوضية الأوربية، وبالتعاون مع برنامج «جان مونيه» التابع لمركز الدراسات الأوربية المتقدمة بفلورنسا، مؤتمرًا علميًا كبيرًا في مدينة بروكسل في الفترة من٢٠- ٢٢ مارس ٢٠٠٢م لمناقشة وإعلان الخطوط العريضة للمبادرة الجديدة بالاتحاد الأوربي، في حوار ما بين الثقافات والحضارات، والتي تم رفع نتائجه وتوصياته إلى مؤتمر وزراء خارجية الدول الأوربي المتوسطي، الذي انعقد في (فالنسيا) في الفترة من ٢٢ – ٢٣ إبريل ٢٠٠٢ م لتفعليها وإعلان الموافقة على إنشاء المؤسسة الأوربية المتوسطية لتنشيط التفاهم المتبادل والتعاون والتبادلات في القضايا الثقافية لتعزيز الحوار ما بين الثقافات والحضارات(١).

وترجع أهمية هذه الندوة التي تم خلالها رسم الخطوط العامة لما أطلق عليه «المبادرة الجديدة بالاتحاد الأوربي في حوار ما بين الثقافات والحضارات» إلى أربعة عوامل:

أولاً: الاهتمام من جانب المسئولين السياسيين في الاتحاد الأوربي بالحضور والمشاركة، فقد ألقى كل من رئيس المفوضية الأوربية ورئيس البرلمان الأوربي ومسئول الإدارة العامة للثقافة والتعليم كلمات في الجلسة الافتتاحية، كما حضره رؤساء اللجان الثقافية والتعليم والشباب والإعلام والرياضة بكل من المفوضين والبرلمان الأوربي، بالإضافة إلى عدد كبير من كبار موظفي الاتحاد الأوربي.

العامل الثاني: اهتمام وسائل الإعلام الغربية بإبراز هدا الحدث بدرجة لم يسبق لها مثيل في المؤتمرات أو الملتقيات الثقافية التي تم عقدها من قبل في إطار الحوار ما بين الثقافات، فقد أكدت على

(١) ملتقيات البعد الثقافي في الشراكة الأوربية المتوسطة، د/ وفاء الشربيني، ضمن كتاب ((من خبرات حوار الحضارات))، مكتبة كلية السياسة والاقتصاد بجامعة القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص ٩٣. وينظر: الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان، سامر رضوان أبو رمان، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط٢ (١٤٢٦هـ).

الطابع الشامل والجامع للمؤتمر، حيث شارك فيه بالإضافة إلى المسئولين الثقافيين والمنظمات غير الحكومية، مسئولون دينيون ودبلوماسيون، وممثلون عن المنظمات الدولية (اليونسكو – الأمم المتحدة) ومسئولون عن المؤسسات العلمية الأوربية.

العامل الثالث: محاولة إضفاء الطابع العلمي، من خلال إسناد تنظيمه لأساتذة جامعيين متخصصين في برنامج (جان مونيه) التابع لمعهد الدراسات الأوربية المتقدمة، والذين شكلوا لجنة علمية مكونة من المتخصصين في الحوار ما بين الحضارات، وقاموا بوضع برنامج علمي للمناقشات واستخلاص النتائج وترجمتها إلى توصيات قابلة للتطبيق سياسيًا.

العامل الرابع: الطابع العلمي للمؤتمر، فقد هدف هذا المؤتمر إلى إثارة التحليل العلمي للجوانب المتعددة للعلاقات ما بين الثقافات للتوصل إلى نتائج وتوصيات ذات طبيعة سياسية تُرفع إلى رئيس المفوضية الأوربية، الذي يقوم بدوره برفعها لمتخذي القرار السياسي والوزراء في اجتماعهم المقبل في إسبانيا لإقرارها[1].

وجملة القول: إن تاريخ حوار الحضارات ليس وليد عصرنا الحاضر، بل يعود إلى جذور قديمة مرورًا بالحضارة الإسلامية التي ظلت طيلة حقب تاريخية متلاحقة محط أنظار الغرب الذي ينظر بعين الريبة والقلق من الإسلام وحضارته العظيمة لأنها تشكل لهم بنظرهم له تهديدًا مستمرًا.

لقد طالب المفكرون المؤسسات المسئولة عن الحوار بين الأديان من كلا الطرفين (الإسلام – النصرانية) على وجه الخصوص بالانفتاح على الديانات الأخرى وبالمشاركة النشطة في الحوار الديني من خلال الدراسة المقارنة للأديان، وتطوير القرارات الدينية في النظم التعليمية والجامعية لإحداث تغيير في تصورات وسلوكيات الأفراد. فالمساهمات في تنشيط الحوار بين الأديان حتى ذلك الوقت، كانت مجرد مساهمات تطوعية، من خلال معاهد بحثية لا ينتمي أعضاؤها إلى مؤسسات دينية قوية، ولا يملكون سلطة تغيير المحتوى الديني للنظم التعليمية، أو التأثير في السياسة الدينية للدول بصفة عامة.

وهناك العديد من النماذج في حوار الحضارات والديانات، فالبرتغال تاريخيًا قد مارست نظامًا من التعايش السلمي بين الأديان والحضارات، وكان هذا التعايش مصدرًا لانتعاش الفنون والآداب

(١) د/ وفاء الشربيني، المرجع السابق ، ص ٩٣.

والعلوم[1].

ولكن رغم تأثير الحضارة الإسلامية على البرتغال وعلى الثقافة البرتغالية، فهناك – للأسف - تجاهل تام لهذا التأثير الإيجابي، بل هناك تشويه واضح في مناهج التعليم ووسائل الإعلام لصورة الإسلام. فهناك غياب صارخ في مناهج التعليم للتعرف على ثقافة الإسلام. والعجيب أن ثمانية قرون من التاريخ المشترك غابت في مناهج التاريخ، بل في المتاحف ووسائل الإعلام، وبدلاً من إظهار الجوانب الإيجابية لتأثير الحضارة الإسلامية في البرتغال، حدث استغلال للمظاهر والجوانب السلبية وترديد الأحكام بصورة قطعية مسبقًا على الديانة والحضارة الإسلامية.

وأود أن أشير إلى أنه رغم هذا التجاهل من البعض إلا أن الحوار لم ينقطع. ففي يوم الأربعاء ٧ صفر ١٣٩٢هـ الموافق ٢٢ مارس ١٩٧٢م، نظمت وزارة العدل في المملكة العربية السعودية ثلاث ندوات للحوار في مدينة الرياض مع وفد من كبار رجال القانون والفكر النصراني (الكاثوليكي) في أوربا. وتحاور الطرفان على مدار أسبوعين حول الكثير من المسائل والتساؤلات التي طرحها الوفد النصراني بلباقة وجرأة، وسُجلت وقائع تلك الندوات القيمة.

ورد الوفد السعودي الزيارة التي دعاه فيها رئيس الوفد الكاثوليكي عام ١٩٧٤م، وهي الزيارة التي ذكرت سابقاً، وفي نهاية اجتماع الفاتيكان أجمع الطرفان على أن «الغرض من هذه الندوات.. هو أن نعمل جميعًا على رفع مستوى موضوع الندوات في الحقوق الثقافية، وأن يضع كل منا ما عنده من تعاليم في سبيل ذلك.. وبالتعاون مع الأسرة البشرية جميعها لحماية كرامة الإنسان وواجباته العملية في تعاليمنا الإلهية.. ولحماية حقه في العيش بأمن وسلام وحقه في العدل والمساواة، من غير تمييز ما بين إنسان وإنسان، لا في الأعراق ولا في الأديان»[2].

وفي عام ١٩٩٢ م خرج وفد من رابطة العالم الإسلامي برئاسة أمينها العام يومئذ معالي الدكتور عبد الله بن عمر نصيف، وضم الوفد كلا من دولة الدكتور/ محمد معروف الدواليبي (رحمه الله) رئيس مؤتمر العالم الإسلامي[3]، وفضيلة الشيخ عبد الله بن بيَّه الأستاذ بجامعة الملك

---

(١) د/ وفاء الشربيني، المرجع السابق ، ص ٨٤.

(٢) نحن والآخر وإشكالية المصطلح والحوار، ا. د / حامد بن أحمد الرفاعي، ط ١ (٢٠٠٦ هـ)، ص٢٤٠.

(٣) ولد في حلب عام (١٩٠٩م)، وحصل فيها على الشريعة، ثم الدكتوراه من فرنسا في الحقوق، تدرج في المناصب الإدارية السورية حتى أصبح رئيساً للوزراء في سوريا، ثم غادرها إلى السعودية ليتدرج في العمل =

عبد العزيز بجدة وسعادة الدكتور حامد بن أحمد الرفاعي الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز والأمين العام المساعد لمؤتمر العالم الإسلامي.

وعقد الوفد ندوات للحوار في كل من باريس والفاتيكان ومدريد، وتم عقد لقاء مع البابا يوحنا بولس الثاني[1]، تم خلاله تبادل الكلمات الرسمية. وعقدت ندوات للحوار مع وفد جمعية (سانت إيجيديو) في روما، وكان الوفد يتكون من البروفيسور أنديريا ريكاردو، والمطران يوحنا إبراهيم، والمنسنيور فيتجينزو باليا، والأب فيتورو ياناري، والدكتور كلاوديو بيتي، ووقّع الطرفان اتفاقية للحوار فيما بينهما. وفي عام ١٩٩٣م نظمت رابطة العالم الإسلامي ندوة للحوار الإسلامي النصراني على هامش افتتاح المركز الثقافي الإسلامي في مدريد[2].

وفي عام ١٩٩٥م توجه وفد إسلامي عالمي مشترك لزيارة الفاتيكان يتكون من:

- د/ أحمد على / الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي.
- د/ عبد الله نصيف: رئيس مؤتمر العالم الإسلامي.
- أ/ كامل الشريف: الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة.
- د/ عبد العزيز التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.
- د/ حامد بن أحمد الرفاعي الأمين العام المساعد لمؤتمر العالم الإسلامي.

والتقى الوفد بزملائه من المجلس البابوي للحوار بين الأديان – الفاتيكان – ومنهم:

- نيافة الكاردينال/ فرانسيس أرينزي، رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان.
- غبطة المطران مايكل فيتزجيرالد، سكرتير المجلس البابوي.
- غبطة الأب الدكتور خالدي كشة، مسئول مكتب العلاقات الإسلامية في المجلس البابوي.

= الوظيفي، وله مجموعة من الكتب، توفي بالسعودية عام (٢٠٠٤م)، ودفن بالبقيع.

(١) هو البابا يوحنا بولس الثاني بابا الكنيسة الكاثوليكية، كان اسمه (كارول فوييتالا) ولد عام ١٩٢٠م في بولندا، وتوفي عام (٢٠٠٥م)، انتخب للفاتيكان ما بين [١٩٧٨- ٢٠٠٥م] ليصبح أول بابا للفاتيكان من أصل غير إيطالي [موقع الفاتيكان الرسمي].

(٢) حامد بن أحمد الرفاعي، المرجع السابق، ص ٢٤٢ .

واتفق الوفدان على تشكيل أمانة مشتركة ولجنة دائمة للحوار بين المسلمين والكاثوليك تحت مسمى : (لجنة الاتصال الإسلامي –الكاثوليكي) وقد أصدرت اللجنة العديد من البيانات ومنها :

- بيان صحفي صادر عن لجنة الاتصال الإسلامي – الكاثوليكي. من المركز الثقافي الإسلامي – روما في عام ١٩٩٠م، والذي جمع بين المجلس البابوي للحوار بين الأديان التابع للفاتيكان ووفد رفيع المستوى يمثل منظمات إسلامية عالمية هي (رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ومؤتمر العالم الإسلامي في باكستان والمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في القاهرة. وممثلين عن الأزهر الشريف بالقاهرة).

وقد تبادل الطرفان وجهات النظر حول مكانة المرأة في المجتمع، والاعتراف بمكانتها ودورها وحقوقها، كما أبدوا قلقهم حيال إغفال مسودة وثيقة الأمم المتحدة للقيم والمبادئ الدينية.

وهناك بيان في ٣٠ مايو ١٩٩٦م عقدته لجنة الاتصال الإسلامي – الكاثوليكي بالقاهرة لتدارس مسائل أساسية في ضوء القيم الدينية بقصد تشجيع التعاون بين المسلمين والنصارى لتحقيق أمال الشعوب في التنمية والعدل والسلام[١].

فتاريخ حوار الحضارات قديم يتجدد، أما تقارب الأديان فلا علاقة له بهذا الحوار، بل هي دعوة باطلة رفضها الإسلام وأهله، ورفضها بعض الغربيين.

وعندما نتحدث عن مشروعية الحوار في الإسلام، لا نقصد بأي حال من الأحوال الحوار الذي يقوم على وحدة الأديان، والتلفيق بينها، وصهرها في دين عالمي جديد قائم على الجمع بين المتناقضات كالكفر والإيمان، والتوحيد والوثنية، فتلك دعوة دسيسة يجب على المحاور المسلم أن ينأى بنفسه عنها، وأن يحذرها أشد الحذر.

وهذا لا شك في حرمته، وهو الحوار الذي يهدف إلى إزالة الفروق والاختلافات العقدية والشعائرية بين المتحاورين وتمييع خصائص الأديان والدعوة إلى وحدتها والتقريب بينها.

وعليه، نستطيع أن نقول بأن كل حوار يخدم الأهداف التي شرعها الله في مجادلة ومحاورة أهل الكتاب وغيرهم فهو مطلوب، وذلك مثل: دعوتهم للإسلام، وبيان ما هم عليه من الباطل، ورد شبهاتهم وطعنهم في الإسلام، وتثبيت المؤمنين بإظهار علو حجة الإسلام، وتحقيق مصالح مشروعة

(١) حامد بن أحمد الرفاعي، المرجع السابق، ص ٢٦٣.

للمسلمين عبر الحوار معهم مثل: تحييد بعضهم، والضغط عليهم، وكشف مؤامراتهم، وفضح طرقهم في التنصير ونحو ذلك.

وكل حوار يخدم أهدافًا نهى الله عنها فهو ممنوع، وذلك مثل: موالاة الكفار ومودتهم؛ أو التقارب معهم؛ أو التنازل عن شيء من دين الإسلام كإلغاء الجهاد أو تحوير معناه أو التنصل من أحكام أهل الذمة أو إبطال الرق؛ ونحو ذلك[1].

وهذه الدعوة انطلقت من الغرب النصراني، فيا ترى ما الهدف منها؟ وهل يريد الغرب أن يتنازل عن معتقده ويعتنق الإسلام؟ أم يريد أن يتنازل المسلم عن معتقده تنازلاً كليًا أو جزئيًا؟ وهل يستقيم الدين بالتنازل الجزئي؟ وهذه الدعوة لم تزل تتكرر منذ قرابة نصف قرن، حين أطلق المجمع الفاتيكاني الثاني المنعقد في الفاتيكان في الفترة ١٩٦٢- ١٩٦٥ الدعوة للتقارب بين الأديان، وتلته مئات المؤتمرات والملتقيات والندوات تحت اسم (التقارب الإسلامي النصراني) في حقبة السبعينيات والثمانينيات الميلادية، ثم (الحوار الإسلامي النصراني)، وبعد اتفاقية (أوسلو) والسعي للتطبيع مع اليهود سميت (حوار الأديان الإبراهيمية)، ثم في ظل العولمة توسع المدلول فقيل: (حوار الأديان) أو (حوار الحضارات) ليتم إدراج الديانات الوثنية من هندوسية وبوذية وكونفوشيوسية، وغيرها في سياق حوار عام ولو سمي «حوار الحضارات».

ومن ذلك دعوة البابا يوحنا بولس الثاني في اللقاء الذي عقد في أروقة ساحة الجامع الأموي بدمشق سنة ٢٠٠١م، حيث قال: (إنه من المهمّ أن يتابع المسلمون والنصرانيون البحث معًا في القضايا الفلسفية واللاهوتية، حتى يصلوا إلى معرفة المعتقدات الدينية بعضهم لدى بعض بشكل أكثر موضوعية وعمقًا. إن الفهم المتبادل الأفضل سوف يؤدي بالطبع على المستوى العلمي إلى أسلوب جديد لإظهار أنّ ديانتينا ليستا متعارضتين، كما حدث مرارًا كثيرة في الماضي، بل متفقتين من أجل خير العائلة الإنسانية)[2]. وهذه الدعوة التلفيقية قديمة متجددة، ترعاها مؤسسات من مختلف الملل والنحل، ولعل من أبرز من ينادي بالوحدة بين الأديان: الحركة الماسونية بمناشطها ومؤسساتها المختلفة وامتداداتها المعاصرة، يقول محمد رشاد فياض رئيس محفل الشرف الأعظم الماسوني محققًا

---

(١) «الحوار وآدابه»، د. صالح بن حميد، من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي. وينظر: «الحوار الإسلامي المسيحي»، بسام داود عجل، دار قتيبة، ط١ (١٤١٨هـ).

(٢) مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي، أحميدة النيفر وموريس بورمانس، طبع دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١٢٨.

هدف الماسونية المزعوم المتمثل في الإخاء الإنساني: (الميمات الثلاثة في الموسوية والنصرانية والمحمدية يجتمعون [كذا] في ميم واحدة هي ميم الماسونية، لأن الماسونية عقيدة العقائد.. وإن بائي البوذية والبرهمية يجتمعان في باء البناء، بناء هيكل المجتمع الإنساني[1].

ووصل هذا الاتجاه التلفيقي إلى المسلمين أول ما وصل عن طريق غلاة الصوفية من القائلين بالحلول والاتحاد، كابن سبعين وابن هود والتلمساني، حيث يجوزون التدين بمختلف الأديان، يقول ابن تيمية: (بل يجوزون التهود والتنصر، وكل من كان من هؤلاء واصلاً إلى علمهم فهو سعيد، وهكذا تقول الاتحادية منهم، كابن سبعين وابن هود والتلمساني ونحوهم، ويدخلون مع النصارى بيعهم، ويصلون معهم إلى الشرق، ويشربون معهم ومع اليهود الخمر، ويميلون إلى دين النصارى أكثر من دين المسلمين)[2].

ثم دَّبت الحياة من جديد في فكرة وحدة الأديان على أيدي البهائية الباطنية، ثم جمال الدين الأفغاني[3] ومدرسته العقلانية، فقد أسس محمد عبده، والقس الإنجليزي إسحاق تيلور، وجمال رامز بك (قاضي بيروت)، بمشاركة نفر من الإيرانيين، أسسوا جمعية سرية للتقريب بين الأديان في بيروت، وذلك عام (١٣٠١ هـ / ١٨٨٣م).

---

(١) ((دعوة التقريب بين الأديان: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية))، د. أحمد القاضي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، (١٤٢٠هـ) ١/ ٣٦٠.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن القاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، (١٤١٦هـ)، ١٦٤/١٤.

وابن سبعين هو: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلي، من القائلين بوحدة الوجود، وله كتب في التصوف والفلسفة، له أتباع يعرفون بالسبعينية، مات سنة (٦٦٩هـ).

وابن هود هو: الحسن بن علي بن يوسف بن هود، فيلسوف متصوف، ولد سنة (٦٣٣هـ) في مرسية، لكنه حج واستقر بالشام، من دعاة الاتحاد والحلول، وكان يُدرّس كتب اليهودية لهم، مات سنة (٦٩٩هـ).

والتلمساني هو: عفيف الدين سليمان بن عبد الله بن علي الكوفي التلمساني، ولد سنة (٦١٠هـ)، شاعر صوفي من القائلين بوحدة الوجود، توفي سنة (٦٩٠هـ).

(٣) جمال الدين الأفغاني هو محمد بن صفدر، ولد سنة (١٢٥٤هـ)، اختلف في مولده ونشأته، طاف البلاد الإسلامية، وكتب في الصحف العربية، شخصية غامضة، اتهم باتهامات كثيرة، توفي (١٣١٥هـ).

أما محمد عبده، فهو محمد عبده بن حسن خير الله التركماني، ولد عام (١٢٦٦هـ) في مصر، تعلم بالأزهر، ثم تصوف وتفلسف، اتصل بجمال الدين الأفغاني، وكانت له علاقة باللورد كرومر في مصر، توفي سنة (١٣٢٣هـ).

يقول جمال الدين الأفغاني: إن الأديان الثلاثة: الموسوية والعيسوية والمحمدية، على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، وإذا نقص في الواحد شيء من أوامر الخير المطلق استكملته الثانية.. وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير: أن يتحد أهل الأديان الثلاثة مثلما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها[1].

وفي هذا تجاهل للتحريف الذي وقع في اليهودية والنصرانية، وتجاهل لكون الإسلام ناسخًا للأديان السابقة.

وفي عام ١٩٨٧م دعا المفكر الفرنسي روجيه جارودي- عقب إعلانه اعتناق الإسلام – إلى الملتقي الإبراهيمي في قرطبة، واتخذ من (القلعة الحرة) مقرًا لمؤسسته ومتحفه ومناشطها التلفيقية التوحيدية.

يقول جارودي: (إنني عندما أعلنت إسلامي لم أكن أعتقد بأني أتخلى عن مسيحيتي ولا عن ماركسيتي، ولا أهتم بأن يبدوا هذا متناقضًا أو مبتدعًا). ويقول: (هذا النضال هو نضال كل أصحاب العقيدة أو المؤمنين بعقيدة، مهما يكن نوع إيمانهم، ولا يهمني ما يقوله الإنسان عن عقيدته: أنا مسلم، أو: أنا مسيحي، أو: أنا يهودي، أو: أنا هندوسي)[2].

ومن أبرز معالم هذه الدعوة:

اعتقاد كل طرف صحة إيمان الطرف الآخر،من غير أن يقتضي ذلك الخروج عن المعتقد الأصلي.

اعتقاد صحة جميع صور العبادات، فالكل يعتبرونه طريقًا موصلاً إلى رضا الله، لأنه تعظيم وعبادة له سبحانه، وعليه فلا يُحكم على شيء من صور العبادة المختلفة بالبطلان.

الاشتراك في صلوات وممارسات وطقوس تجمع بين أتباع الأديان في محل واحد، وذلك حرصًا على إزالة الفروق وتمييعها.

إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر.

---

(١) [الأعمال الكاملة، لجمال الدين الأفغاني، جمع: محمد عمارة، الناشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (٢٠٠٤م)، ٢٩٤- ٢٩٥].

(١) نقلاً عن: دعوة التقريب بين الأديان (٢/٩٣٥- ٩٣٧).

كسر حاجز الولاء والبراء بين المسلمين والكافرين.

ومن الخطأ في المنهج العلمي، بل من التدليس والتغرير أن يستدل بمشروعية الحوار لأجل الدعوة والتعايش على مشروعية الحوار لأجل التقارب.

ومهما تنازل المسلمون عن شيء من دينهم لأجل إرضاء أعدائهم فلن يرضوا عنهم، كما قال تعالى: **[وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ]** [البقرة: ١٢٠][1].

(١) مستفاد من الأحكام والضوابط العقدية للحوار مع غير المسلمين د/ سهل العتيبى – جامعة الملك سعود، بحث مقدم لمؤتمر الحوار في الأردن.

رابعاً: آداب الحوار:

قبل الحديث عن بعض آداب الحوار أشير إلى أهم صفات المحاور، وهي:

١- جودة الإلقاء وحسن العرض وسلاسة العبارة.

٢- حسن التصور، والمقصود به ألا تكون الأفكار عند المتحدث مشوشة أو متداخلة أو متضاربة.

٣- ترتيب الأفكار، وربط بعضها ببعض، وهذا مما يُثبت حجة المحاور ويقويها.

٤- جمع الفهم مع العلم.

٥- الإخلاص والتجرد في طلب الحق.

٦- التواضع.

أما آداب الحوار فكثيرة، ولكن يمكن الإشارة إليها من خلال استعراض الأمور الآتية:

أولاً: الحكمة في الحوار والتعامل:

بينَّ القرآن الكريم حكمة الحوار وأهدافه وشروطه في غير موضع، حيث وردت هذه المادة في القرآن في مواضع عديدة كما سبق، كما ان القرآن يحتوي على بدائع من أنواع الحوار التي تمثل القاعدة والمنهج الذي يُقتدى به[1].

١-حوار الرجلين (أصحاب الجنة)

قال تعالى: **[وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً﴿ وَكَانَ لَهُ**

(١) ينظر: ((الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية)) خالد المغامسي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ط(١٤٢٥هـ). وينظر: أدب الحوار في الإسلام، محمد الطنطاوي، نهضة مصر، القاهرة، (١٩٩٩م).

و((الحوار الفكري في القرآن الكريم))، أمين حلمي أمين، دار النهضة الإسلامية، ط١ (١٩٩٧م).

و((الجدل في القرآن الكريم))، محمد التومي، الشركية التونسية، تونس، ط١، (١٤٠٠هـ).

وينظر: ((أصول الحوار)) ابن حميد، مرجع سابق، و((آداب الحوار)) د. ناصر العمر، محاضرة مطبوعة، موقع المسلم شبكة المعلومات.

ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً❖ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً❖ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً❖ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً❖ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً] [سورة الكهف، آية ٣٢- ٣٨].

المستفاد من الحوار:

- بيان أن قيمة المرء في تقواه وطاعته لربه، لا ما يملكه وهو قائم على المخالفة لأمر الله.
- عدم التلهي بالدنيا وزينتها عن إتباع الحق وشكر المنعم.
- عدم الاغترار بالنفس والمال لطمس الحقائق وتزييف الباطل، مما يؤدي للصد عن سبيل الله.
- أن فقر أحد الطرفين وغنى الآخر ليس ميزانًا للحق، بل الميزان هو الحق الذي بيّنه الله تعالى والذي يتدبره العقل فيهتدي لصحته واستقامة منهجه.

كما أن علو قوم على قوم أو حضارة على حضارة ليست ميزان الحق في حال الحوار.

٢- حوار الأخوين ابني آدم

يقول الله تعالى: **[وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ❖ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ❖ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ❖ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ]** [المائدة٢٧: ٣٠].

فنحن أمام أخوين شقيقين لم يتأثرا بعدُ بشيء من البيئة المحيطة بهما من رفض سوء أو مشاهدة فساد أو ملمح ضلال، ومع هذا بدأ الأمر وكأنهما يعيشان في زماننا، وتأثر القاتل بما تأثر به أبناؤنا من مظاهر وصفات غير شرعية وأخلاق فاسدة تسود العالم بدعوى العولمة والشراكة المتوهمة.

فهما قد بدءا بطاعة أمر الله تعالى وقدما القربان، وإلى هنا لا ذنب للأخ الصالح الذي تقبل الله منه، ولكن ظهرت صفات النفس الإنسانية التي أُمرنا بنزعها لا بدسِّها، فقام الذي دسَّاها بالهجوم اللفظي على الأخ الصالح المسالم المشتمل على التهديد المباشر بالاعتداء على النفس بالقتل **[لأَقْتُلَنَّكَ]**، وهكذا ظلت هذه قاعدة التنافس بين الناس للحسد تارة وللحقد تارة وللسيطرة أخرى وهكذا فمع استعمال الأخ الصالح أسلوب التذكير والعظة من التسليم لأمر الله تعالى وتفصيل سعة

خلقه وسماحة صدره، قابل أخوه القاتل ذلك بأن قتله طاعة لما سولت له نفسه من هذا الجُرم الكبير[1].

إذًا، فالمحاورة قديمة منذ بدء ظهور أبناء آدم على الأرض، واستمرت إلى يومنا هذا.

٣- حوار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم لتوحيد الله وتعظيمه ونبذ الشرك:

وكلها تدور حول الدعوة وترك العادات السيئة من الظلم والفواحش ونقص الميزان، ونشر الفضائل عمومًا وترك الرذائل، وأمثلة هذا النوع من الحوار كثيرة، وهي مجال القدوة والاقتفاء كما قال سبحانه لنبيه: â **فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** á [الأنعام: ٩٠].

٤-حوار سيدنا رسول الله r

ما إن مَنَّ الله تعالى على رسولنا عليه الصلاة والسلام بالرسالة، إلا وقد رأينا ثاني السور الكريمة (المدثر) تأمره بالدعوة والحوار: [**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ❖ قُمْ فَأَنذِرْ❖ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ❖ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ❖ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ❖ وَلاَ تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ❖ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ❖ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ❖ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ❖ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ❖ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً**] [المدثر، الآيات ١- ١١].

ولما كان الله تعالى قد آتى رسوله r جوامع الكلم، وأقوم السبل وأحسن الأساليب منذ قام بما أمره الله تعالى إلى أن أتاه اليقين، فكان لرسول الله r حوادث عديدة مع قومه في مكة وهم مشركون تأصلت في قلوبهم عبادة الأوثان والأصنام والكبر.

٥-الحوار مع الساعي للمعاصي:

لما كان رسول الله r رحمة للعالمين ومبشرًا ونذيرًا، جعله الله تعالى ليّنًا مع الناس متسامحًا مع أفراد الأمة، ولم يكن هذا سلوكه صلى الله عليه وسلم مع أهل الطاعة فقط وإنما مع العصاة: وها نحن نستمع لهذا الحوار الدال على الحكمة العظيمة في علاجه لقضايا الناس النفسية والعصبية والمادية.

فعن أبي أمامة t أن شابًا أتى النبي r فقال: يا نبي الله، أتأذن لي في الزنا؟ فصاح الناس به، فقال النبي r «قربوه»، اُدْنُ، فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي r : «**أتحبه لأمك؟**» قال: لا،

(١) ينظر «التحرير والتنوير»، للطاهر بن عاشور (١٦٩/٦ إلى ١٧٩)، مرجع سابق.

جعلني الله فداك؛ فوضع رسول الله r يده على صدره، وقال: «**اللهم طهّر قلبه، واغفر ذنبه، وحصِّن فرجه**»، فكان ما يتمناه من الحرام أبغض شيء له(1).

فهذا الحوار يجعلنا نلمس مقدار استخدام الحكمة في علاج القضايا الفكرية والنفسية حتى يتعلم الناس عدم العجلة والرفض والتهديد لمجرد سماع خطأ أو مخالفة أو عدم فهم لموقف حق فيرده، كل هذا لا يمنع من الحوار المؤدي إلى ظهور الحق.

٦-حواره r مع أهل الكتاب

قال تعالى: **[قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ]** [آل عمران٦٤].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ t أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ r مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقَالَ: أَبُو سُفْيَانَ، فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟..... إلى أن قال: فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا؛ فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ r الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ وَ: **[يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ]**(2).

---

(1) رواه أحمد في مسنده (٢٢٢٦٥) والبيهقي (١٨٢٨٨) والطبراني في الكبير (٧٧٥٩)، وقال الهيثمي ١٢٩/١: (ورجاله رجال الصحيح)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(2) رواه البخاري في (صحيحه)، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله r ، ح (٦).

فالحكمة هي أول وأهم معايير الحوار، وهي التي جاءت بها النصوص القولية والعملية، لأن الحوار جسر ممتد لا يحمله شيء مثل الحكمة.

ثانياً: التزام القول الحسن وتجنب منهج التحدي والإفحام(١):

من أهم مبادئ أدب الحوار لكي يفهمنا غيرنا استخدام لغة الحوار الراقية القائمة على الأساليب السليمة المعنى الصحيحة التعبير، وذلك عن طريق الالتزام بالقول الحسن وتجنب أسلوب التهكم والتحدي حتى تتحقق الفائدة من الحوار، فالمحاور لا يجوز أن ينحرف عن طريقه بإتباع وسيلة مضللة وهي محاولة لاجتذاب الآخر بالخداع دون الإقناع، فلابد على المحاور أيضًا أن يتحرى الحق في كل ما يقول، وأن يتجرد من شهوة الغلبة والإفحام ولو بالباطل، وهذا يقتضي أن يذكر الحقيقة كاملة، وألا يقتصر على نصفها الذي قد يُرضي الفريق الآخر وقد يضمن للمحاور نفسه الفوز في حواره. ومن ذلك أننا دأبنا على القول في حوارنا إن الإسلام دين تسامح أو سماحة ودين رحمة وإحسان ومغفرة، وذلك صحيح بلا ريب، ولكننا - عند حوار الآخر – نحرص على استخدام لغة الإفحام والتحدي(٢).

فقد جعل القرآن الكريم للعلاقة بين المسلمين وغيرهم درجات، وذلك لأن الخلاف بين الناس أمر طبعي مشهور، فالأصل مع المسالم من الناس الطالب لسماع غيره دون اعتداء أن يعامل معاملة حسنة ويُسمَع كلامًا حسنًا، قال تعالى: **[وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً]**[البقرة:٨٣].

وهذا أصل عظيم في حسن المعاملة وإظهار خُلق المسلم وآداب الإسلام، وهو من أعظم أسباب إقبال الناس من شتى الأمم والبلاد على الدخول في دين الله تعالى.

والكلام الحسن: هو الكلام الطيب البعيد عن الإساءة، وهو أيضًا الكلام اللين غير الفظ أو الشديد القاسي، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك الحلم والعفو والصفح، وبالجملة فهو كل خلق حسن رضيه الله(٣).

فهذا خلق المسلم مع غيره من المخالف المسالم، فإن كان من أهل العدوان والمحاربة فيتغير الأسلوب إلى الغلظة كما قال تعالى: **[يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ**

(١) سيأتي مزيد بسط لهذه المسائل في الباب الثاني.

(٢) ناصر الدين الأسد، المرجع السابق، ص ٣١.

(٣) تفسير الطبري ٢٨٨/٢ وابن كثير ١/ ٣١٦.

جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] [التوبة: ٧٣]. وقوله تعالى: **[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ]** [التوبة: ١٢٣].

فإذا انتقلنا من المعاملة العامة القائمة على الخلق الحسن فعلاً وقولاً، إلى المحاور والمجادل: أمرنا الله تعالى كذلك بحسن الخلق فقال سبحانه: **[وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]** [العنكبوت: ٤٦].

وهذه الآية - على الراجح - ليست منسوخة، بل باقية على دلالتها لمن أراد الاستبصار في الدين فيحاور بالتي هي أحسن ليكون ذلك أنفع وأنجح، كما قال سبحانه: **[فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى]** [طه: ٤٤].

واستثنى الله تعالى من هذه المعاني الحسنة الظالمين منهم فقال: **[إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ]**، أي: مَن حاد عن الحق وأصر على الباطل مكابرًا معاندًا، فينتقل الأمر من حاله إلى أخرى وفق الموقف(١).

إذًا، لا حياد عن إظهار سماحة الإسلام وحسن خلق أتباعه عند التقاء المخالف ومحاورته. فإذا تدبرنا السنة المطهرة وجدنا أمثلة كثيرة للدلالة على هذا المنهج، كما سبق، ويتضح ذلك بما جاء في حديث إسلام عدي بن حاتم t ؛ وقدوم وفد نجران، وغير ذلك(٢).

ونلاحظ هذا الأدب الإسلامي في عدم إظهار الكبر والعجب على المحاور بل يتجنب كل ما يؤدي إلى إحداث التدابر والكراهية والإحراج، ومهما كان المخالف فلابد من احترامه لكونه إنسان أولاً.

بل على المحاور السعي لاستحقاق القلوب قبل الأبدان وتحريك العقول وتنشيطها قبل الجوارح.

ثم إن أسلوب الكبر والتحدي يمنع المحاور من التسليم للحقائق ويدفعه لرفضها بل والتمادي في العناد، والإصرار على الباطل، لأن الغرض من الحوار في الأصل الوصول إلى نقاط التقاء لتفادي صدام يدمر ولا يعمر، ويهدم ولا يبني، وهذا مجموع في قوله تعالى: **[وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً]** [البقرة: ٨٣].

---

(١) ابن كثير ٦/٢٣٨.

(٢) يراجع صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ح (٤٣٨٠).

ولنتأمل قوله تعالى: [قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ] [سبأ: ٢٤].

ثالثاً: الالتزام بموضوع الحوار

من أهم آداب وأسس الحوار الالتزام بالموضوع المراد التحاور فيه والنقاش بشأنه، فلا ينبغي الحيدة والابتعاد عن الموضوع الأصلي حتى تتحقق النتائج المرجوة من الحوار وتعم الفائدة، وينبغي أن نتجنب الاجتماع والتحاور من أجل الجدال العقيم. فعندما يتم عقد مؤتمر أو ندوة ما فلا بد أن تحمل عنوانا تدور حوله الندوة، ويلتزم جميع المحاضرين بموضوعها دون انحراف عن سياق الحوار وموضوعه.

ونرى ذلك جليًا في التزام موسى u ببيان ما أمره الله حين أرسله إلى فرعون، فأخذ يبين له أن الله أرسله لإخراج بني إسرائيل وعدم تعذيبهم، فإذا فرعون يخرج من مناقشة موسى فيما أرسل إليه بطلب الآيات، فلما أظهرها الله على يدي موسى إذا بفرعون يسفه كلام موسى أمام قومه ويتهمه بأنه يسعى للسلطة والمال والسيطرة، ثم يتهمه بالمهانة وعدم حسن التعبير، بل ويتمادى في كبره فيسأله عن ربه، فيما بيَّن موسى عظمة الله تعالى وقدرته واستحقاق للإلهية والعبادة، وينتهي المطاف بفرعون إلى اتهامه بالجنون وحشد جنوده للقضاء عليه وعلى أتباعه.

فنحن نلحظ إتباع موسى u للمنهج المرسل به في قوله تعالى: [فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى] [طه: ٤٤]. ولم يحد عنه، بخلاف هذا الجاهل المغرور.

رابعاً: حسن الاستماع وأدب الإنصات:

من الأسس المتبعة والقواعد المرعية التي يجب الالتزام بها في الحوار الاستماع الجيد للآخر، فالدين الإسلامي حث على الاستماع إلى الآخر عندما يتكلم، لا سيما وأن الاستماع الجيد للآخر يعطي الفرصة لتفحُّص كل ما يرد في نص حواره حتى تعم الفائدة، فربما يحاور شخصاً آخر ويقوم بتجريحه أو المساس بعقيدته وهو غافل، ومن هنا تأتي أهمية الإنصات حتى يأتي الرد والمشاركة في الحوار بصورة أكثر جدية، وهذا يتطلب من المتحاورين حسن الاستماع للمخالف وعدم المقاطعة والعجلة في الرد.

وكذلك يتطلب من المستمع تدبر ما يسمع وفهمه، وله أن يستفهم إن لم تكن المقاطعة ستخرج

الكلام عن موضوعه أو تشتت ذهن المتحدث.

وقد كان حوار الأنبياء يبدأ بحسن التعبير عن المقصد من إرسالهم، وغرض الرسالة، وبيان صفات وعظمة المرسل وهو الله تعالى، حتى إذا انتهوا استمعوا للمخالف على ما في كلامه من شدة وقوة بل وتسفيه في أحيان كثيرة، وهذا واردٌ في قصة هود، وصالح، وشعيب، ولوط وكذا موسى عليهم جميعًا صلوات الله وسلامه.

ثم على المستمع الصبر على ما قد يراه ماسًا بفكرته أو منهجه؛ لأن ذلك ليس دافعًا أو سببًا للمقاطعة، بل عليه الإنصات إلى انتهاء المُحاور.

خامساً: تقدير الخصم واحترامه

على المحاور أن يراعي في حواره مع أي طرف كان الاحترام والأخلاق الفاضلة والتقدير الواجب، سواء أكان الطرف الآخر من المسلمين أم غيرهم، فيعطي كل ذي حق حقه وينزل الناس منازلهم، فليس الكبير كالصغير وليس الرئيس كالمرؤوس وليس الشريف في قومه كغيره، مع الانضباط بالضوابط الشرعية والبعد عما يخالفها. وإن تعاملنا مع الآخرين بهذه الروح الواثقة المؤدبة يضفي علينا صفة الذوق والأدب وحسن التأني[(1)].

ومن إنصاف المخالف ذكر إيجابياته وموافقته فيما يصدر عنه من حق، ومن تأمل آيات القرآن الكريم التي ذكرت أهل الكتاب وصفاتهم الذميمة يجد أن الله U لم يبخسهم حقوقهم، بل أنصفهم غاية الإنصاف، ومن ذلك قول الله تعالى: **[وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً]** [آل عمران: ٧٥].

وقوله تعالى: **[لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ]**[آل عمران: ١١٣] .

والمسلم رائده الحق، والحكمة ضالته، فهو يأخذها ويقر بها بلا غضاضة، من أي طريق جاءت، فالرسول r قال لأبي هريرة عن الشيطان مصدر الشرور والآثام: «**صدقك، وهو كذوب،**

(١) ((الإسلام والحوار الحضاري)) ضمن كتاب ((الإسلام وحوار الحضارات))، د/ مانع بن حماد الجهني (٣/ ١٣٧).

ذاك شيطان»[1].

وعلى هذا الأدب درج أصحاب النبي r فأقروا لمخالفيهم ما عندهم من صور إيجابية، قال المستورد القرشي وهو عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله r يقول: «**تقوم الساعة والروم أكثر الناس**». فقال له عمرو: أبصر ما تقول! قال: أقول ما سمعتُ من رسول الله r ، قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالاً أربعًا: «**إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك**»[2].

وكذا أثنى النبي r على النجاشي بما فيه من خلال الخير، وهو يومئذ على الكفر، فقال لأصحابه: «**إن بالحبشة ملكًا لا يظلم عنده أحد، فلو خرجتم إليه حتى يجعل الله لكم فرجًا**»[3].

سادساً: التركيز على نقاط الاتفاق والانطلاق منها لتقرير نقاط الاختلاف

لابد من تحديد نقاط الاتفاق في الحوار بين الأطراف المتحاورة – لاسيما حوار أهل الأديان المختلفة – فعندما يحددون مثلاً أن الأديان جميعها تتفق حول نقاط بعينها مثل تحقيق العدل والسلام والمحبة والتعايش السلمي بين البشر والعدالة المطلقة، يتم تحديد نقاط الاختلاف بين هذه الأديان في سبيل تحقيق هذه الأهداف النبيلة[4].

ولا يجوز التنازل عن الرأي أو التفريط فيه ما دام المسلم على حق ودراية كاملة بصدق قضيته التي هي عنوانه وشخصيته، مهما كان الطرف الآخر.

فمن المصلحة ألا يبدأ الإنسان الحوار بقضية مختلف فيها، بل يبدأ بموضوع متفق عليه، أو بقاعدة كلية مسلَّمة أو بدهية، ويتدرج منها إلى ما يشبهها أو يقاربها، ثم إلى مواضع الخلاف.

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (٣٢٧٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس (٧١٧٩).

(٣) ذكره ابن إسحاق في سيرته، وينظر: فتح الباري ١٨٨/٧.

(٤) وسيأتي الحديث عنها في مجالات حوار الحضارات.

خامساً: مقاصد الحوار

١ - حوار الدعوة:

إن البشرية التي يغرق معظمها في طوفان العولمة، أو التغريب والهيمنة الغربية، تتطلع إلى حوار يدعوها إلى البحث عن مخرج وخلاص، وإلى رحمة تستنقذها من أمراضها، وترشد إبداعها الحضاري والتقني إلى ما فيه صلاح وخير البشرية، فإنها بقدر تقدمها التقني، تفقد من مقومات تكريم الله لها، وآدميتها الشيء الكثير.

ولا يجد المراقب المتأمل من سبب لهذا البعد والتخبط الذي تقع فيه المجتمعات إلا النكوص عن شريعته، والبعد عن اتباع هديه، وعن العمل وفق ما يرضيه... فهذا الشقاء أثار في المجتمعات الإنسانية جوعة التدين من جديد، وبخاصة أن التقنية الحديثة ووسائط الاتصال كرست وسهلت التواصل بين العقلاء الذين أكدوا على أهمية الدين في تهذيب ومواجهة التحديات المستجدة.

وأمام هذه الحالة تبرز حاجة البشرية إلى الإسلام، فهو الدين الوحيد الذي يملك مفاتيح أزماتها، بما يملك من تجربة حضارية رائدة تجعله قادراً على المسيرة الحقة، دون إغفال للمدنية الجديدة {**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(١٦)** }[المائدة ١٥- ١٦]، ويقول جل ذكره: â **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** á [البقرة ١٤٣]، فهذه الأمة هي خير الأمم، فهي تقع في مكان وسط بين العقائد الغالية، ولا يمكن أن تتخلص البشرية من تخبطها إلا إذا هي سارت مع الأمة الوسط، واتبعت منهج الإسلام، وطبقت شريعة الله تبارك وتعالى.

وقد اعترف بعض عقلاء الغرب بضرورة الرجوع إلى الإسلام للخلاص من التخبط الهائل الذي تعيشه البشرية... وهذا من أعظم وسائل حوار الدعوة، والتأكيد على دورنا في الحياة الراهنة.

وقد يكفي أن نذكر ما أورده الكاتب الكنسي الفرنسي ميشيل لولونغ في كتابه (الإسلام والغرب) حيث سرد عدداً من كبار الكتاب الذين انتقدوا جذور العقيدة النصرانية، وخاصة ما يتعلق بألوهية المسيح المزعومة، والذين أرادوا – حسب رأيه – تحرير المسيح من التفسيرات

الخاطئة، ووضعه في مسار التاريخ – ثم قال - : «وفي نهاية القرن العشرين، فالذي يبدو لنا نحن الغربيين أننا نحتاج إلى الإسلام، لأننا فقدنا الأساس بالألوهية، وأن إغراءات الثقافة الحديثة قد حولت إيماننا بالرجل (المسيح) أكثر من إيماننا بالله»[(١)].

«إن الصراع المرير في قلب المؤسسات الدينية اليهودية والنصرانية بين نور الله ووحي السماء من جهة، وبين دين الغلو والتحريف البشري من جهة أخرى، يوشك أن يعصف بالدينين، ويقوضهما من الجذور، مما يفتح باباً واسعاً أمام الإسلام باعتباره المهيمن والشاهد لكي يدعم الوحي الإلهي، ولن يتأتى ذلك إلا من خلال حوار علمي يديره رجال مؤمنون يلتزمون شريعة الله، ويلمون بالكتب السالفة والتيارات التي تدور حولها، والمواقف التي يجب أن يقفها المسلمون منها... ولا بد أن يدخل المسلم هذه الساحة مسترخياً، واثقاً من نفسه وعقيدته، فهو لا يحتاج إلى تنازلات أو تراجعات...»[(٢)].

إذاً الحوار بين الحضارات يعتبر نافذة مفتوحة للتعريف بالإسلام، وبيان محاسنه، والرد على الشبهات التي يثيرها أصحاب النفوس الضعيفة والأغراض الخفية، والذين يجهلون حقيقة الإسلام، وفيه كذلك تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة، والتأكيد على أن الحوار مبدأ عظيم يحقق للناس الخير إذا صحت النية، وأنه ليس هناك صراع حقيقي بين الأديان السماوية الصحيحة، ولا الحضارات المتعددة عبر التاريخ، بل هناك تفاهم وتعاون وتبادل للخبرات، وأن دين الإسلام هو دين العدل والأمن ودين الدعوة والوئام والعيش الكريم، وهو دين يحفظ للإنسان ماله ودينه، ويحقن دمه وعرضه.

ولقد أرسى الإسلام الأصول التي تنادي بها المنظمات والجمعيات العالمية المنصفة في زمننا الحاضر، وهي جزء من ميدان الحوار الحضاري، ومن تلكم الأصول[(٣)]:

- توحيد الله تعالى:

فمعظم الحضارات اليوم تؤمن بالرب الواحد الذي خلق الكون ويهيمن عليه، مع

---

(١) نقلاً عن (ربحت محمداً ولم أخسر المسيح)، د. عبد المعطي الدالاتي، مؤسسة الرسالة، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٢٤هـ)، وينظر: (الإسلام وحوار الحضارات)، كامل الشريف، بحث مقدم إلى مؤتمر مكة في دورته الخامسة، ٤- ٦ / ١٢/ ١٤٢٥هـ. وميشيل لولونغ هو مسؤول سابق في الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية عن الحوار مع العالم الإسلامي، وله آراء جريئة ضد الغرب بعامة، وإسرائيل بخاصة.

(٢) كامل الشريف، البحث السابق، ص ٩ بتصرف.

(٣) وسيأتي الحديث عنها مفصلاً في الباب الثالث.

اختلاف في وصفها لهذا الخالق، لكن التصور الإسلامي يبقى التصور الوحيد الذي يكمل ما دعا إليه الرسل السابقون، إضافة إلى تساويه مع المنطق الرشيد، فالخالق العظيم الذي أعطى الكون خلقه وهداه هو الرب الواحد الأحد المستحق للعبادة دون ما سواه: â **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** á [فاطر: ٣].

وإذا تقرر هذا المبدأ العظيم قامت عليه الدعوة المعاصرة من خلال امتثال أمر الله تعالى: â**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** á [آل عمران: ٦٤].

ولقد قامت جمعيات وهيئات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بدور بديع في هذا المضمار من خلال استغلال العلم الحديث ليكون مدخلاً لحوار الدعوة إلى الله، فإثبات وحدانية الله في الخلق، ثم العبادة إحدى بدهيات العقل الذي يستنكر فكرة الشرك والمشاركة في الهيمنة على الكون: â **أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)** á [الأنبياء: ٢١- ٢٢][(١)].

- تعظيم الأنبياء واتباعهم:

من تعظيم الله توقير أنبيائه وحملة رسالته الذين اختارهم لبيان دينه وهداية الناس إليه، فالرسول على قدر المرسل، وقد دل الله نبيه r والمؤمنين إلى التأسي بهؤلاء الأنبياء: â **أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (٩٠)** á [الأنعام: ٨٩- ٩٠].

وهذا التوقير والتعظيم والتأسي يشمل جميع أنبياء الله بلا تفريق بينهم: â**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ** á [البقرة: ٢٨٥].

---

(١) موسوعة تصحيح المفاهيم، أ. د. أحمد شوقي إبراهيم، نهضة مصر، القاهرة، ط١ (٢٠٠٨م) (١/ ٨٣).

وينظر: مجلة المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة بمصر، العدد السادس، ١٤٢٩هـ، الحوار الحضاري بين العالم الإسلامي والغرب، أ. د. محمود حمدي زقزوق (٣٥).

فالمسلمون يعظمون أنبياء الله جميعاً، ويرفضون أي لمز أو طعن فيهم أو بعضهم، ويدينون بذلك الحملات الآسنة التي تستهدف النيل من الأنبياء والإساءة إليهم.

وقد أقيم مؤتمر في مدينة سان باولو بالبرازيل تحت عنوان (نظرة الإسلام إلى أنبياء الله) بمشاركة ممثلين من عدد من المنظمات والهيئات والمراكز الإسلامية في أمريكا اللاتينية في المدة من (٣٠/ ٧ – ٣/ ٨ / ١٤٢٧هـ) أكدوا فيه أهمية تصحيح المفاهيم المغلوطة والخاطئة الموجودة في الكتب والمناهج الدراسية عن الإسلام والرسول الكريم ﷺ مع ضرورة عقد لقاءات صحفية وإعلامية مع المنصفين من غير المسلمين والتحدث عن نظرة الإسلام للأنبياء والرسل.

كما نظم برنامج التعريف بنبي الرحمة التابع لرابطة العالم الإسلامي مؤتمراً في العاصمة البريطانية بعنوان: (أثر معرفة النبي ﷺ على العلاقة وسبل التعايش بين العالم الغربي والعالم الإسلامي) بتاريخ ٥/ ١١/ ١٤٢٧هـ، والموافق ٢٦/ ١١/ ٢٠٠٦م، وقدم خلال المؤتمر مجموعة من الأوراق والأبحاث، وصدر عنه توصيات مهمة بشأن مكانة الأنبياء ومنزلتهم في الإسلام، والتأكيد على احترامهم ومنع الإساءة إليهم، وضرورة تزويد المكتبات العامة والجامعية في الغرب بالكتب والأشرطة التي تتناول نظرة الإسلام إلى أنبياء الله ورسله[١].

ومع اعتبار هذا الأصل حال الحوار الحضاري فلا بد من استحضار الجانب الآخر، وهو موقف المنصفين من الغرب تجاه الأنبياء والرسل، والتركيز على موقف بعضهم من التشكيك في طبيعة المسيح والتثليث والصلب وغيرها، حتى قال ميشيل لولونغ في كتابه (الإسلام والغرب): «إن العلاقات التي تربطني مع أصدقاء مسلمين، وتأملاتي في القرآن قد أدت بي إلى هذا الاقتناع، وهو أننا في نهاية القرن العشرين محتاجون إلى رسالة الإسلام، نحن الغربيين الذين فقدنا الكثير من معنى الربانية، ونحن النصرانيين بصفة خاصة الذين تأثرنا بالثقافة المعاصرة إلى درجة أن إيماننا بالمسيح يتعرض لخطر حقيقي هو التركيز على الإنسان لا على الله تعالى»[٢].

ومع أن مثل هذه الآراء لا تمثل إجماعاً بين الغربيين، إلا أنها تشير إلى ميدان مهم أصبح مفتوحاً للدراسة والبحث والدعوة إلى الحوار حوله.

- العدل ودفع الظلم:

تمثل قيمة العدل إحدى أهم القيم التي يتنادى إلى تحقيقها البشر على اختلاف أديانهم

(١) الموقـــع الخـــاص ببرنـــامج التعريـــف بـــنبي الرحمـــة:
www.mercyprophet.com

(٢) نقلاً عن كامل الشريف، مرجع سابق.

ونحلهم، وهي من القيم التي أكد الإسلام تطبيقها والقيام عليها حتى مع المخالفين: â **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** á [الممتحنة: ٨].

والبشرية اليوم أحوج ما تكون إلى العدل والتعاضد لرفع الظلم الذي تعاني منه البشرية.

ولهذا من أهم ما يتحاور فيه مع المنصفين من الغرب صور رفع الظلم عن إخواننا المظلومين في شتى بقاع الأرض، وبحث كافة السبل والآليات لمساعدتهم في استعادة حقوقهم، ولقد نص إعلان حقوق الإنسان على أن من حق الإنسان مقاومة الظلم، لكنه لم يرسم لذلك نظرية، ولا وضع لها الخطط والآليات، كما أنه يجعل ذلك مجرد حق، بينما يرتفع به الإسلام إلى مستوى الوجوب[1].

- التأكيد على القيم والأخلاق والفاضلة:

تغرق كثير من المجتمعات اليوم في بحور من الطيش والضياع والرذائل مما ينذر باندراس الأخلاق، وضياع دور الأسرة، وبخاصة مع سعي بعض الدول والمنظمات إلى تقنين هذا الفساد، وتحويله إلى ثقافة عالمية محمية بالاتفاقات الدولية، ولم يشفقوا على العالم الذي تنتشر فيه كل يوم الأمراض الفتاكة، والغصص الاجتماعية، فهذا وغيره نتاج متوقع، وطبيعي للفوضى الجنسية والانحلال الأخلاقي.

إن من أهم ما بعث الله لأجله الأنبياء، تزكية النفوس وتهذيبها بالأخلاق الفاضلة، فلقد دعا إلى ذلك رسل الله، ومنهم شعيب u : â **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** á [الأعراف: ٨٥].

ومن أعظم محاسن هذا الدين أنه دين الخُلُق... فنبيه r وصفه ربه بقوله: â **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** á [القلم: ٤]، وقال r : **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**[2].

---

(١) مقومات النظام السياسي الإسلامي وصياغة علاقاته مع الآخر، د. أحمد عامر، المكتبة العصرية، ص (٧٧).

(٢) رواه أحمد في المسند ح (٨٧٢٩)، واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد ح (٢٧٣)، قال الألباني: صحيح. صحيح الأدب المفرد، محمد الألباني، دار الصديق، الجبيل، ط٢ (١٤١٥هـ).

ولقد كان لمشاركة المسلمين في المؤتمرات والندوات التي تنادي بالأخلاق في العالم أثر كبير في إيصال رسالة هذا الدين والدعوة إليه بحوار حضاري راقٍ.

وهناك أصول أخرى – غير ما سبق – تنادي بها المنظمات المنصفة في العالم، وأقرها الإسلام، وهي من أبواب الحوار الحضاري الذي يدخل منه المسلمون إلى العالم لتبليغ دعوة الإسلام، فالحوار الحضاري مع الغرب الذي يعد تطبيقاً لمبدأ جهاد الدعوة، وهو أحد أنواع الجهاد التي ذكرها النبي r : **(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)**[1].

وفي المقابل فإن هناك دعوات أخرى من الغرب لتحقيق الحوار الفاعل البعيد عن التشنج والعنجهية، كما نادى به بعض السياسيين.

وقد انبرى العديد من مفكري ومسؤولي الغرب بالقول بضرورة الحوار بين الحضارات، ونبذ فكرة «صدام الحوارات» التي لا طائل للشعوب منها سوى العنف والحروب والدمار.

حيث صرح الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا في محاضرته الشهيرة بمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بأن: «العالمان الإسلامي والغربي قد وصلا الآن إلى ما يشبه مفترق طرق في علاقتهما، ولا يجوز أن ندعهما يفترقان، وأنا لا أوافق على مقولة أنهما يتجهان نحو صدام في عهد جديد من الخصومة والعداء، بل إنني على قناعة تامة بأن لدى عالمنا الكثير لكي يقدمان بعضهما إلى بعض»[2].

كما أكد الرئيس الأمريكي بيل كلينتون أمام البرلمان الأردني في ٢٦ أكتوبر ١٩٩٤م، وذلك في تعليقه على أطروحة «صدام الحضارات»: «إن هناك من يصر على أن بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط عقبات في طريق التوافق دينية لا يمكن تجاوزها، وبأن معتقداتنا وثقافتنا لا بد من أن تتصادم بشكل ما، ولكنني أعتقد أنهم مخطئون فأمريكا ترفض قبول المنطق القائل بأن حضاراتنا لا بد أن تتصادم»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٤/٣ ، رقم ١٢٢٦٨) ، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب ترك الغزو، ح (٢٥٠٤)، والنسائي، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، (٣٠٩٦)وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وقال الشيخ الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير، رقم (٣٠٩٠).

(٢) مجلة منبر الإسلام، العدد ٧ (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٣م) ص ٥٢ قطعة من محاضر الأمير تشارلز في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٩٣م، وصحيفة الشرق الأوسط العدد (٥٤٥٧) ١٦ نوفمبر ١٩٩٣م.

(٣) فواز جرجس الأمريكيون والإسلام السياسي تأثير العوامل الداخلية في صنع السياسة الخارجية الأمريكية – =

وقد تم في سنة ١٩٩٨م، وبمبادرة من إيران وبتوجيه من الجمعية العامة للأمم المتحدة، إعلان سنة ٢٠٠١ سنة الأمم المتحدة لحوار الحضارات، وتدعو التوصية: ((الحكومات ومنظمات الأمم المتحدة بما فيها اليونسكو، إلى إعداد وتنفيذ برامج ثقافية وتربوية واجتماعية، للنهوض بالحوار بين الحضارات، وبخاصة عبر تنظيم المؤتمرات والدورات الدراسية ونشر المعلومات والمؤلفات النظرية حول الموضوع)).

لهذا ينبغي تفعيل التفاهم بين الثقافات والبحث عن أفضل السبل لنشر قيم التسامح والحق في الاختلاف داخل المجتمعات وفيما بينها، بحيث تصبح الثقافات فاعلاً للنهوض الاجتماعي، وحافزاً على التنمية وترسيخ قيم المواطنة.

٢ - حوار التعاون والتعاقد العلمي:

إذا كان حوار الحضارات قد أصبح آلية أساسية في الوقت الحاضر لدعم الاتجاه إلى وحدة القرية الكونية، أو كما يرى البعض أيديولوجية جديدة في عصر بلا إيديولوجية، فلقد أصبح حوار الحضارات يحتل مكان الصدارة في قائمة الاحتمالات الفكرية للعلماء الاجتماعيين والساسة ومراكز البحوث والمؤسسات الدولية، ومن المؤكد أن بروز ظاهرة العولمة بكل تجلياتها السياسية والاقتصادية والثقافية، وما أحدثته من انقلاب في المجتمعات المعاصرة، وما أثارته من خلافات عميقة بين الساسة والمفكرين التي دارت حول قيم العولمة وصواب توجيهاتها وآثارها السلبية على أوضاع البشر وخصوصاً في دول الجنوب، حتى التي فتحت الطريق لضرورة قيام حوار بين الحضارات، وإذا كانت البحوث التي قدمت في مؤتمر (أوروبا — العالم) الذي عقد في لشبونة عام ١٩٩٠م يطرح أسئلة مهمة حول شروط حوار الحضارات وطريقة تنفيذه، كما أكدت على أن الحوار استخلف تغيرات كبرى في عصر العولمة، فإن من الأهمية بمكان حين دراسة موضوع حوار الحضارات لتحقيق التعاون والتعاقد العلمي، لا بد أن نحدد السياق التاريخي له، فإذا كان الحوار قد وجد دفعة قوية بعد انتهاء الصراع الأيديولوجي الحاد بين الرأسمالية والشيوعية، والذي استمر طوال القرن العشرين تقريباً، بالإضافة إلى بروز ظاهرة العولمة بكل آثارها الإيجابية والسلبية، مع ظاهرة العلاقات المتعددة الأطراف، فقد أصبح لزاماً محاولة فهم العالم المتغير الذي يقوم على أسس مفاهيم ثلاثة رئيسة هي: العولمة، والعلاقات الدولية، والقومية.

= مجلة المستقبل العربي — عدد ٢١٧، مارس ١٩٩٧م ص ٦٨.

إن المسألة الجديرة بالنظر هي : كيف نقدم أنفسنا في الحوار ، وما الذي نستطيع أن نضيفه إلى الفكر العالمي والرؤية النقدية المتماسكة التي ينبغي أن نصدر عنها في نقاش الأفكار المطروحة من قبل الآخرين ، وإذا كان الحوار لا يثمر إلا إذا توافرت الندية بين الأفراد المتحاورة ، فإن هذه الندية تنتزع ، ولا تمنح بمعنى أنها تعتمد على قدرة ممثلي الحضارات المختلفة خصوصاً الحضارات التي تحاول أن تتجدد في الوقت الراهن على عرض وجهات نظرهم ، بما يثبت متابعتهم لأدق تفاصيل الخريطة المعرفية العالمية ليس ذلك فقط ، بل يشير إلى فهمهم العميق لطبيعة التغيرات التي لحقت بالمجتمع العالمي والمنطق المتطور في العلاقات الدولية والاقتصادية والسياسية والثقافية بين الأمم ، وهناك شواهد على إنجازات مشهورة لممثلي العالم الإسلامي في مفاوضات دولية بالغة التعقيد ، وفي مجالات متعددة ، إنجازات تشهد بالقدرة على الحوار وعلى إقناع الأطراف الأخرى(١).

وتتضح صورة حوار التعاون والتعاقد العلمي بين العالم الإسلامي والعالم الغربي في مجموعة كبيرة من الوسائل المحدثة التي كان لبعضها أثر كبير في حياة المسلمين ، بل في وصول صوت الحق إلى غير المسلمين ، ومن تلكم الأمور :

- كراسي البحث العلمي في الجامعات العربية التي تستضيف من أساتذة البحث من الغرب من يكون لزيارتهم أثر في نقل الصورة الحقيقية عن الإسلام وأهله... وكذلك كراسي البحث العربية في جامعات الغرب ؛ بل إن الأثر الذي خلفه الأساتذة العرب أثناء تدريسهم في الجامعات الغربية لا يمكن إغفاله... وقد حكى بعضهم هذا الأثر من خلال المساهمة الفاعلة في تغيير المناهج الدراسية الغربية التي شوهت الإسلام وأهله ؛ لكن مشاركة هؤلاء الأساتذة غيرت هذا التشويه ، بل أسهمت في تصحيحه(٢).
- ترجمة الكتب العلمية ، ونقل التراث العلمي بين الفريقين ؛ وقد كان لهذا النوع أثره الواضح في سالف الزمن إذا كان النقل أميناً بعيداً عن التشويش محفوظاً بسياج العقيدة ، وها هو الآن يسهم في شيء من هذا الأمر ، بل إن الكتب التي تتحدث عن الإسلام في

(١) خبرات الحوار العربي الإيراني والمصري الإيراني ، محمد السعيد عبد المؤمن ، ضمن ((برنامج حوار الحضارات)) كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، القاهرة (٢٠٠٤م).

(٢) صورة الإسلام في المناهج الدراسية الغربية ، أ.د. محمد وقيع الله ، من مطبوعات جائزة نايف العالمية (١٤٢٧هـ). وينظر أيضاً : صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية ، د. مارلين نصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٩٩٥م).

المكتبات الغربية أصبحت من أكثر الكتب مبيعاً وآتت ثماراً طيبة على المتلقي.

- إقامة المؤتمرات العلمية التي يشارك في إعدادها فريق علمي متخصص ينقل رسالة دينه، وأخلاق أمته الإسلامية، وهذه المؤتمرات كانت فاتحة الخير في دخول عدد من علماء الغرب إلى الإسلام[1].

- إبرام الاتفاقات الدولية التي تضمن استمرار العلاقة الدولية وفق أطر معينة تحفظ للطرفين الحق في الحياة... إلا أن بعض هذه الاتفاقات قد تأخذ طريقاً آخر تخسر معه الأطراف الأضعف، وتكسب الأطراف الأقوى كما هو الحال في أكثر الاتفاقات الدولية، آخرها اتفاقيات منظمة التجارة العالمية[2].

- الابتعاث الطلابي، ولكن بشرط المحافظة على هؤلاء الطلاب من الذوبان من خلال تحقيق الشروط المطلوبة لهذا الابتعاث، وقد كان لحضور هؤلاء الطلاب أثر في نقل الإسلام إلى الغرب، وتوعية الجاليات الإسلامية[3].

- الاستفادة من مخرجات الحضارات الأخرى علمياً وإدارياً واقتصادياً، وهو مجال كبير جداً ما دام في دائرة المباحات، وهو الذي يستفيد منه كل الأطراف، وينقل خبرة الطرف الآخر إلى ميدانه العلمي.

وبالجملة فإن ميدان الحوار الحضاري الداخل تحت دائرة التعاون والتعاقد العلمي من أوسع هذه الميادين، وأكثرها انتشاراً، بل وأعظمها في إيصال رسالة الإسلام إلى الآخرين إذا ما أحسنا استغلالها.

ولعل السعي إلى إقامة المراكز الإسلامية في الغرب سيكون له الأثر الأكبر في هذا التواصل

---

(١) محاضرة صوتية للدكتور/ زغلول النجار: (حول الإعجاز العلمي في المؤتمرات الغربية)، وقد نقل أ. د. أحمد شوقي إبراهيم بعض هذه الأحداث في بعض كتبه.

(٢) من هذه الاتفاقيات: الاتفاقيات العمالية التي وقعت المملكة العربية السعودية كثيراً منها، وقد أكد معالي د. علي النملة أن المكاسب المحققة منها عظيمة، بل إننا نقلنا من خلال هذه الاتفاقيات نظرة الإسلام للعمل والعمال، وتحفظنا على بعض البنود مما أكسبنا ثقة الآخرين واحترامهم. (لقاء مسجل مع معاليه).

(٣) عقدت الندوة العالمية للشباب الإسلامي أكثر من مؤتمر حول تأثير الجاليات المسلمة في الغرب. وصدرت أبحاثها في مجلدات منها: (الجاليات الإسلامية – العوائق والطموحات) طبع دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي – ١٤٢٧هـ، وينظر: ((الدعوة بين المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية، دراسة تقويمية للعمل الدعوي في المراكز الإسلامية))، د. خالد القريشي (ب م).

بخاصة بعد النتائج العظيمة التي حصلت من إقامة المراكز الإسلامية سابقاً، والأثر العظيم الذي تحقق من وجودها[(١)].

٣ - حوار التقارب:

يطلق بعضهم هذا الاسم على حوار معين حقيقته (وحدة الأديان)، وهو الحوار الذي يهدف إلى إزالة الفروق والاختلافات العقدية والشعائرية بين المتحاورين، وتمييع خصائص الدين الإسلامي، وتجاوزها تجاه وحدة تلفيقية تدعو إلى التقارب بين الأديان، وصهرها في دين عالمي جديد قائم على الجمع بين المتناقضات: الكفر والإيمان، التوحيد والوثنية، فتلك دعوة دسيسة لا يمكن لمسلم قبولها بأي حال.

وهذا النوع من الحوار كفر، وصد عن سبيل الله، وهو من المداهنة المحرمة: â **وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** á [هود: ١١٣].

وهذه الدعوة وإن كانت قديمة إلا أنها تتجدد، وترعاها مؤسسات من مختلف الملل والنحل، ولعل من أبرز من ينادي بهذه الدعوة: الحركة الماسونية المعاصرة، يقول محمد رشاد فياض رئيس محفل الشرق الأعظم الماسوني: ((الميمات الثلاث في الموسوية والنصرانية والمحمدية يجتمعون في ميم واحدة هي ميم الماسونية، لأن الماسونية عقيدة العقائد...))[(٢)].

فعلى هذا نقول إن الحوار الذي يهدف إلى توحيد الأديان الباطلة مع دين الله الحق، أو حتى التقريب المزعوم، هذا الحوار مرفوض وباطل، ولو سمي بغير اسمه، أو عقدت له مؤتمرات براقة، لكن الحقيقة واحدة، وهي حقيقة التلفيق والعبث بدين الله تعالى.

أما الدعوة الغربية الملفقة لهذه الفكرة، فهي من أساسها انطلقت من مبدأ صراع الحضارات الذي تبناه هينتجتون، ولكن قراءة التقارب عندهم مختلفة، فهؤلاء تحكمهم قيم من نوع خاص فيها نظرة دونية إلى الآخر، وفيها رغبة للتسلط، وفيها اجتهادات تقرأ فترى رائحة العنصرية بجذورها المختلفة، وترى رائحة غطرسة القوة، ولدينا العديد من النماذج الصارخة على هؤلاء المفكرين الغربيين البعيدين كل البعد عن الموضوعية، والمفعمين بالفكر التعصبي

---

(١) المراكز الإسلامية في الخارج، معالي د. عبد الله التركي، بحث مطبوع بمكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٤هـ.

(٢) دعوة التقريب للقاضي، مرجع سابق (١/ ٣٦٠)، وقد أفاض الباحث حول هذا الموضوع، وساق الأدلة والبراهين بما يغني عن الإطالة في هذا المقام.

تجاه الآخر، وأشهرهم على الإطلاق الأمريكي هنتنجتون[١].

وقد قام هذا المفكر من خلال أطروحته السابقة باعتبار الإسلام ديناً دموياً، وانتقى من الدلائل الظالمة ما قوى أطروحته، وجعلها تسير في الغرب على أنها لا تقبل النقاش.

إننا أمام انتقائية واضحة تنطلق من وقائع وأدلة جزئية متفرقة يتم تعميمها بشكل تعسفي بهدف الخروج بحقيقة شاملة عامة، مفادها أننا على ضوء هذه الوقائع سندخل عصر الصدامات الحضارية، ولذلك يشخص رؤية لطبيعة العلاقات بين الغرب والعالم في مرحلة ما بعد الحرب الباردة[٢].

وعندما وضع هنتنجتون تقارباً بين الغرب والإسلام وضعه في ثنائية غير متكافئة على المستوى النظري، فالإسلام قبل كل شيء عقيدة ودين، أما الغرب فهو إطار شامل يجمع بين الدين والثقافة والجغرافيا والأيديولوجيا والاقتصاد.

ولعل أكبر خلل نظري تعاني منه أفكار ونظريات هنتنجتون يتعلق بمعايير وطبيعة تصنيفه للحضارات حيث يتسم تصنيفه بالخلط الشديد بين مفاهيم متميزة كالحضارة والدين والانتماء الجغرافي أو الإثني، وهو لا يلتزم مقياساً واحداً في التصنيف، فبالنسبة إلى الحضارة الغربية يصنفها نسبة إلى الموقع الجغرافي، والحضارة الكونفوشيوسية والحضارة الإسلامية نسبة إلى الدين، والحضارة الهندية واليابانية نسبة إلى معيار إقليمي قطري، والحضارة السلافية الأرثوذكسية نسبة إلى الدين والعرق معاً، أما الحضارة الإفريقية والأمريكية اللاتينية فنسبة إلى معيار جغرافي قاري، لهذا يقول إنغمار كارلسون (Ingmar Karlsoon): ((إن لائحة هنتنجتون جد غريبة، فيضع الحضارة محدودة حسب معايير دينية وثقافية، في حين أنه في حالات أخرى يكون الجغرافي هو العامل المفتاح))[٣].

صحيح أن فكرة التقارب التي يراها بعض المحليين لنظريته ليست ما نؤمن بها، ولكن مع

---

(١) حوار الحضارات بين الواقع والطموح، أحمد صدقي الدجاني، مراجعة وتحقيق: خالد الكركي، المؤسسة العربي للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م، ص ٤٠.

(٢) (صدام الحضارات أم نقار ديكة عمياء؟)، خلدون الشمعة ص ١٠، مجلة الشرق الأوسط ٢١/ ١/ ١٩٩٥م، ص ١. وينظر: بحث ((الأطروحات الغربية))، د. إبراهيم الناصر، مرجع سابق.

(٣) Ingmar Karlsso, "El-Choqe de civilizaciones unsenario?" politica exterid, vol, 8, No. 40cagost setember 1994), pl 161.

وينظر ترجمة كاملة لهذا النقد في بحث ((الإسلام والآخر))، حمدي شفيق، مرجع سابق.

ذلك فإن نظرة هنتنجتون إلى الإسلام بهذا الرفض هو ما لا يمكن قبوله إطلاقاً، فهو اتهام للإسلام بالدموية ورفض الآخر والقيام على الصراع.

لكن القول بالتقارب لرفض الصدام أيضاً مرفوض ((فالصراع بين الإسلام والكفر قائم، فالإسلام بتوحيده وعبوديته لله والإيمان بأركان الإيمان الستة وما ينبثق عن ذلك من شريعة ونظام حياة، لا بد أن يصطدم بالغرب الصليبي الكافر العابد لغير الله، والخاضع لشريعة الطاغوت.

والحضارة والثقافة الإسلامية بأسسها وثوابتها تصطدم بحضارة الغرب بأسسها وثوابتها... وهذا الصراع والصدام هو حكم رباني، جاءت به الأنبياء جميعاً ونصوص الكتاب والسنة قائمة على هذا الفرقان بين الحق والباطل ... ثم إن الإيحاء بأن الصراع والصدام إنما هو مع حضارة الغرب في جانبها المادي والتقني، والزعم بأن الإسلام يعادي الحضارة لأنها تقدم وحضارة، هذا كذب وفرية على الإسلام... كما أن استغلال هذه النظرية لشن حملة على الإسلام والمسلمين، وتصويرهم على أنهم إرهابيون معادون للحضارة، هو أمر ظاهر من قبل الأعداء ... وقد استغلت هذه النظرية، واستخدمت لتأجيج الصراع، فحالت دون نوع من المقاربة للعالم الإسلامي مع الغرب))(١).

٤ - حوار التعامل والتعايش:

أي البحث عن سبل التعايش والبحث عن القواسم الحياتية المشتركة، وهذا النوع من الحوار بعيد عن أصول الدين والمعتقدات، فلا يمس بها ولا يزعزعها، بل هو تعايش بشري، وتعامل حياتي دون التنازل أو التهاون بالأصول والمعتقدات، وقد ظهر هذا اللون من الحوار في المدينة المنورة حيث عقد رسول الله r عقوداً مع اليهود، وأبرم صلحاً مع كفار قريش، فيركز هذا النوع على النقاط المشتركة التي يتفق عليها المحاورون، فيهدفون إلى تعميقها، والتكاتف في سبيلها، وغالباً ما تصطبغ بالصبغة الأخلاقية أو المصلحية، كالحوار حول القضايا الدولية العامة، والتعايش بين الأمم ومعالجة قضايا الفقر، ودعم المشاريع الإنمائية.

((وعلى هذا فقضية عيش بني الإنسان، وتعامل بعضهم مع بعض سنة كونية، فإذا ما أطلق التعايش بين الأمم على اختلاف أديانهم مقصوداً به هذا المعنى فهو حق، ومنذ عهد

---

(١) لقاء مع فضيلة الدكتور/ عبد الرحمن المحمود أجراه الباحث بتاريخ ٧/ ١١/ ١٤٢٨هـ، ونشرته مجلة البيان عدد شوال ١٤٢٩هـ.

الرسول r لم تزل أكثر المأكولات والمصنوعات والملبوسات والآلات الحربية ونحوها تتبادل بين المسلمين وغيرهم، وهذا ظاهر معلوم...

لكن أن يحمل هذا المعنى مدلولات أخرى مثل إلغاء الفارق العقدي والشرعي والسلوكي بين المسلمين والكفار أو إضعافه، والخطورة في هذا المصطلح الظرف الزماني والآني الذي يرفع اليوم وهو طغيان الحضارة الغربية بعقائدها ونظمها وأخلاقها، حتى وصفت بأنها الأعلى والقدوة التي يسعى كل شعب للحاق بها... فهنا يكون التعايش خطيراً مرفوضاً»(١).

«إن معنى التعايش هو قبول التصالح الدنيوي والوجود والحوار في الاتفاق على جملة من الأخلاق الإنسانية التي تتيح فرصة لتبادل الحوار والإقناع، والمؤمن مصلح آمر بالمعروف والخير، ناهٍ عن المنكر والشر، حريص قدر المستطاع على دفع الباطل بالحق، والجهل بالعلم ... فالتعايش نوع من التعاون والتعارف في المشترك الحضاري والإنساني، وتبادل الخبرات التي تعين الإنسان على عمارة الأرض، ونشر قيم الخير التي يتفق الناس على الاعتراف بها، وذلك كله نوع من فتح المجال لنشر الإسلام ودعوته، وذلك كله لا يعني الدعوة لأفكار المختلف أو شرعيته دينياً، بل القبول بالتعايش الدنيوي لفتح الحوار دينياً ودنيوياً»(٢).

إن المقصود بحوار التعامل والتعايش أن يعيش المسلم مع غيره في هذه الأرض على أسس الالتزام بدينه، وثوابت عقيدته، لكن مع تعامل وتعايش رسمه هذا الدين، فهو يأخذ مال له، ويعطي ما عليه، وفق أخلاق عالية عظيمة يرسم بها منهج دينه، ويدعو من خلالها إلى هذا الدين ليكون مثالاً يحتذى به في الأخلاق والتعامل.

إن النموذج العظيم للتعايش هو أنموذج المدينة المنورة، عاصمة الإسلام، ومنطلق دعوة آخر الأنبياء r، ففي مرحلتها الأخيرة، شاء الله تعالى أن يعيش في المدينة مع الصحابة الكبار والسابقين الأولين والأنصار، نفر من اليهود والمنافقين... بل سافر جمع من هؤلاء الصحابة للتجارة عن طريق المهاجرين للحبشة في تعامل وتعايش عظيم كان له أثره على القارة حتى وقتنا الحاضر.

قال الله تعالى: â **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ**

---

(١) د. عبد الرحمن محمود، لقاء سابق، ويتفق معه د. إبراهيم الناصر، ود. ناصر العمر في نفس الفكرة.

(٢) التعايش الحضاري، مقال د. سلمان العودة، موقع الإسلام اليوم، وهو من ضمن الأسئلة التي أجاب عنها الدكتور مقدمة من الباحث بتاريخ ٢٠/ ٨/ ١٤٢٨هـ. www.islamtoday.net

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ á [الحجرات: ١٣]. «إن معنى تعارفوا هنا – في نظري – معنى بعيد ... أبعد من مجرد التعارف، بل هو يتعدى إلى تحقيق المعروف ونشره والتعاون والتعايش المبني على بذل المعروف للجميع»[١]، وها هم المسلمون في بلاد الغرب يتعاملون مع أهل تلك البلاد ويعيشون معهم دون أن يتنازلوا عن دينهم أو يسقطوا واجباتهم الدينية، ولهذا نلحظ انزعاجاً من هجرة العرب والمسلمين إلى الغرب، وهاهي الأحزاب اليمينية في أوربا تريد طرد العرب والمسلمين، وهو أمر كان يمكن أن يحدث لو نجح اليمين المتطرف في فرنسا في الانتخابات الأخيرة، وقس على ذلك ما حدث في ألمانيا، وفي المجمل هناك تصورات أن الحضارة الإسلامية تمثل تهديداً للثقافة العالمية ونظام المعيشة.

من هنا انبرى الكثيرون من مفكري الغرب إلى نبذ فكرة التعامل والتعايش مع الشعوب الإسلامية التي تمثل تهديداً للغرب، بل يذهب البعض لأبعد من هذا حيث وضع هنتنجتون الحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية في تحالف واحد مضاد للغرب، وليس هذا منطقياً فما يفصل بين الحضارة الإسلامية وثقافات الشرق الأقصى أعمق وأوسع بكثير مما يفصل بين الحضارة الغربية والإسلامية، ولا بد من الإشارة هنا إلى وجود قلق متصاعد لدى الحكومة الصينية من تصاعد الحركات والتيارات الإسلامية في إقليم سنكيانغ (Xinjiang) (تركمنستان الشرقية) ذي الأغلبية المسلمة والإرث التركي في آسيا الوسطى، وتعرف المنطقة اضطرابات دموية عنيفة بسبب التهميش والاضطهاد الثقافي لمسلمي تركمنستان، وهذا دليل آخر على عدم واقعية الرابطة الكونفوشيوسية[٢].

والخلاصة العامة من كل هذا هي أنه لا يوجد تهديد حقيقي للإسلام، أو العالم الإسلامي ضد الغرب الذي عليه التوقف عن شيطنة الإسلام، ووصفه بالإرهاب، فلا يوجد في العالم شعب أو دين عنيف بطبيعته، فالإرهاب لا وطن له، ولا دين له، لا ينتمي إلى ثقافة أو عقيدة دون غيرها.

---

(١) حوار مع د. سلمان العودة، مسجلاً بصوته بتاريخ ٢٠/ ٨/ ١٤٢٨هـ.

(٢) ينظر: «الشراكة الإستراتيجية الصينية –الروسية »، نبيل زكي، جريدة الشرق الأوسط في ٢١/ ٤/ ١٩٩٧م.

الباب الأول

الأصول والضوابط العقدية لحوار الحضارات

الفصل الأول: الأصول العقدية لحوار الحضارات:

المبحث الأول: الأصل العقدي.

المطلب الأول: جواز الحوار مع الكافر.

المطلب الثاني: عدم الإكراه في الدين.

المبحث الثاني: الأصل القيمي.

المطلب الأول: وحدة الأصل الإنساني.

المطلب الثاني: الحق في الحرية.

المبحث الثالث: الأصل العملي:

المطلب الأول: تكامل البشرية.

المطلب الثاني: نشر العلم والثقافة.

المطلب الثالث: حق المواطنة.

الفصل الثاني: الضوابط العقدية لحوار الحضارات.

المبحث الأول: الولاء والبراء.

المطلب الأول: تعريف الولاء والبراء في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: مشروعية الولاء والبراء.

المطلب الثالث: أهمية الولاء والبراء في حوار الحضارات.

المبحث الثاني: إقامة العدل.

المطلب الأول: تعريف العدل في اللغة، والاصطلاح.

المطلب الثاني: مشروعية العدل في الإسلام

المطلب الثالث: أهمية العدل في حوار الحضارات.

المبحث الثالث: الأخوة الإيمانية.

المطلب الأول: التأصيل العقدي للأخوة الإيمانية.

المطلب الثاني: أهمية الأخوة الإيمانية في حوار الحضارات

المطلب الثالث: العزة والمداهنة وعلاقتهما بحوار الحضارات.

الفصل الأول

الأصول العقدية لحوار الحضارات

تمهيد:

الأصول: جمع أصل، وهو الشيء الثابت المحكم الراسخ، وهو الأساس الذي يرتكز إليه البناء، سواء أكان البناء حسيًا أو معنويًا[1].

فالمراد هنا الحديث عن الأصول التي يبنى عليها الحديث في مسألة حوار الحضارات، فينطلق الحوار مع الطرف الآخر بناء على تأسيس أصول يتفق عليها من الجميع، فتكون بمثابة المرتكزات الأساسية التي يعتمد عليها الحوار، وقد تكون الأصول حقًا، وقد تكون باطلاً، كما هي الأصول التي ينطلق منها أهل الكفر والضلال، أو أصول المبتدعة ومن في حكمهم، فإنهم يؤصلون أصولاً تناقض الحق، ومع ذلك يسيرون عليها ويعتبرونها عمدتهم.

أما هنا فإن الأصول المتفق عليها بين الطرفين ستكون أساسًا لانطلاق الحوار من حيث الأصل العقدي والقيمي والعملي.

المبحث الأول: الأصل العقدي

المطلب الأول: جواز الحوار مع الكافر

مما لا يخفى أن كلمة ((حوار)) من المفاهيم الجديدة الطارئة على الحياة السياسية والثقافية المعاصرة.. ومما يدل على جدة هذا المفهوم وحداثته أن جميع المواثيق والعهود الدولية التي صدرت في الخمسين سنة الأخيرة بعد نشأة الأمم المتحدة تخلو من الإشارة إلى كلمة ((حوار)) بينما تعتمد مفردات إنسانية أخرى مثل: التسامح، التعاون، التعايش، إنماء العلاقات الودية بين الأمم، تحقيق التعاون الدولي.. إلخ.

ولا يوجد للحوار ذكر في القانون الدولي العام، ولا في الصكوك الدولية الأخرى؛ كميثاق الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية

---

(١) ينظر: الصحاح للجوهري ٤/ ١٦٢٣، والقاموس المحيط (١٤٤٢).

والاجتماعية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، ولا في إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي..

فقد يُظَنُّ من هذا أن الحوار ليس له أي جذور في ثقافتنا، خاصة إذا أضفنا إلى ما تقدم أن الحوار بمفهومه ودلالته المعاصرة كان الغرب هو السابق إلى الدعوة إليه، واستند في أول الأمر إلى الهدف الديني؛ حيث وقع التركيز على الحوار الإسلامي النصراني، وكانت الكنيسة الغربية هي التي وجهت الدعوة إلى هذا الحوار، وذلك في أعقاب نشوء أزمة حضارية جديدة في العالم العربي الإسلامي نتيجة التصادم بين إرادتين: الإرادة العربية الإسلامية والإرادة الغربية، وبلوغ حدة الصراع بين الجانبين مبلغًا قدر الجانب الغربي أنه بات يهدد مصالحه؛ فكانت الدعوة إلى الحوار في المجال الديني في صيغة الحوار الإسلامي النصراني، ثم في المجال السياسي في صيغة الحوار الأوروبي العربي، في مرحلة أولى أعقبتها مرحلة ثانية نشطت فيها الدعوة إلى حوار الشمال والجنوب، وكان الغرب في كل الأحوال وفي جميع الظروف هو صاحب المبادرة إلى هذا الحوار في أشكاله المتعددة وبصيغه المتنوعة، سعيًا منه إلى أهداف رسمها وإلى غايات حددها، يكتنفها جميعًا قدر من الغموض الذي لم تنفع وسيلة في إخفائه؛ لأن المسلمين وجدوا أنفسهم بإزاء دعوة صادرة من جهة تملك شروط القوة الاقتصادية والنفوذ السياسي والقدرة على صنع الحدث والتحكم في مساره[(١)].

ومما لا يخفى أن الحوار مطلب إسلامي مع كونه مطلبًا إنسانيًا، وسوف نبين جواز هذا بما يوضح المراد:

يقول الله تعالى: â**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**á[الممتحنة: ٨].

لا ينهاكم الله تعالى أن تبروا الذين لم يقاتلوكم في الدين وهذا يدل على أن المعنى: لا ينهاكم الله عن بر الذين بينكم وبينهم عهد ودليل ذلك قوله:

â**وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**á أي: وتعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد[(٢)].

---

(١) د. عبد العزيز التويجري، الحوار الحضاري والثقافي: أهدافه ومجالاته، ص ٥، بحث مقدم لمؤتمر مكة الخامس الذي انعقد بنفس العنوان ١٤٢٥ هـ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، طبع بيروت (١٥٧/٥- ١٥٨).

أقول والله أعلم: إن عدم النص على مقاطعة الكفار الذين لا يحاربون المسلمين فيه دعوة لفتح باب الحوار بين المسلم والكافر ليعرض المسلم عليه دعوة الحق، وعرض دعوة الحق على الكافر هو من أبر البر به وأولى أنواع البر به أن ندعوه إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة أو الجدال بالتي هي أحسن.

وقد قال الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي إننا «نشعر إذًا بحاجة مستمرة إلى الحوار مع الآخرين، بما يخدم القضايا المشتركة بيننا في الدين والحضارات التي قامت على أساسه. ولسنا نذهب إلى الاعتقاد بأن الحوار بديل عن غيره من الوسائل في التعامل مع الغير، ولا أنه أسلوب يُناسب حالة معيّنة تقضيها الظروف الطارئة، بل هو أسلوب أصيل مقعّد بقواعده الخلقية في ديننا وحضارتنا. على أننا نريد لهذا الحوار أن يبلغ أسمى أهدافه بنشر دعوة الحق إلى الناس»[1].

أهداف الحوار الحضاري في الإسلام:

لابد لكل قضية من هدف والهدف يتناسب في العادة مع حجم القضية كمًّا وكيفًا وقضية الحوار الحضاري تعد من الأمور ذات الخصوصية المتميزة، كيف لا وهي تعنى بشأن الأمة وبنائها وارتقائها، بل إن هذا الحوار ليسمو أكثر من ذلك ليكون من شأنه البحث في العلاقات الحضارية العالمية ومن خلاله تصل الأمم والشعوب إلى إدراك المسارات التي تؤمن لها الحياة السعيدة الفاضلة.

ولذلك يجب أن تكون الأهداف متناسبة مع هذه المكانة السامية للحوار الحضاري، وعليه فسوف أتكلم هنا عن أهم أهداف الحوار الحضاري في المفهوم الإسلامي وهي:

١ - الوصول إلى الحق:

إن معرفة الحق ثم الوصول إليه تعد من أهم الأهداف التي يسعى إليها العقلاء، ولابد من التأكيد هنا على أن من أهم وسائل الوصول إلى الحق أسلوب الحوار بأصوله وضوابطه.

والمسلم الذي تربى على المنهج الرباني هو طالب حق وباحث عن الحقيقة يتقبلها ويرضى بها أينما وجدها، وقد رُوي عن الرسول ﷺ: «**الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها فهو أحق**

---

(٣) من كلمة له في ندوة أدب الحوار: القيادة الإرشادية ومهارة الاتصال بالآخرين، نُظمت بإشراف وزارة الأوقاف الأردنية.

الناس بها»[1]، وقد بين r أن كتمان الحق وتلبيسه بالباطل هو شأن اليهود والنصارى.

وقد نهاهم الله عن ذلك فقال تعالى: â**وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**á [البقرة: ٤٢].

وقال تعالى: â**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** á البقرة: ١٤٦].

وقد تكلم أبو حامد الغزالي[2] عن آفات الحوار والجدل والمناظرة وأدبه فقال: التعاون على طلب الحق من الدين، ولكن له شروط وعلامات منها: أن يكون في لب الحث كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه يرى رفيقه معينا لا خصماً، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق[3].

حقا إنه هدف نبيل ووسيلة شريفة، فهل يوجد في أدبيات الآخرين ما يضاهي هذه الأخلاق؟

٢ - إعلاء كلمة الحق على الباطل:

لئن كان الحق هو ميزان العدل الذي تقوم عليه السماوات والأرض والحياة والأحياء، فيجب أن يكون هذا الحق غالبا ويجب أن يكون عليه من البراهين والحجج ما يجعله عقيدة حية في النفوس والقلوب، عقيدة تحمل صاحبها على الالتزام بالحق والدفاع عنه بالنفس والنفيس؛ قال تعالى: â**وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** á [الإسراء: ٨١]، وقال تعالى: â**قُلْ جَاء الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ** á [سبأ: ٤٩]، وقال تعالى: â**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ**

---

(١) رواه الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ح (٢٦٨٧)، وقال عقبه: ((هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه))، ورواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحكمة، ح (٤١٦٩) [نشرة مشهور بن حسن]، وقال الألباني في (المشكاة): ضعيف جداً، وضعفه الأرناؤوط، وينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢/ ٤٨٥).

(٢) هو محمد بن محمد الطوسي، اشتغل بعلم الكلام والفلسفة، ثم اختار طريقة الصوفية، أما آخر حياته فأقبل على الحديث وأهله، مات سنة (٥٠٥هـ).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي، مطبعة الحلبي، القاهرة، تحقيق: د. بدوي طبانة (٤٢/١). وينظر: ((الحوار وآدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية)) خالد محمد المغامسي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، (١٤٢٥هـ).

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَá [التوبة: ٣٣].

وهكذا يطمئن الله رسوله r إلى إعلاء كلمته وهو في أشد الحاجة إلى العون والاطمئنان، وهو خارج مهاجر إلى المدينة المنورة، وهو يحاور صاحبه في الغار مختفيا، وفي تلك الأثناء ينزل عليه قوله تعالى: â**إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**á [التوبة: ٤٠] وحياة الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام– كلها، ومِنْ بعدِهم الدعاة الربانيون إنما هي دعوة وحوار وحجج وبراهين تؤدي إلى انتصار الحق، وإعلاء كلماته الخالدات؛ ولا يصلح للحق إلا أن يكون عالياً؛ والفطرة السليمة تأبى الإذعان إلى الدون من كل شيء، و«إن لصاحب الحق مقالاً»، ومن هنا كان إعلاء كلمة الحق من أهم أهداف الحوار والمناظرة، وخصوصاً عندما يكون الحوار على مستوى حضاري عالمي.

٣- دعوة العالم إلى قيم الحق العليا(١):

إن المسلم يملك المنهاج الرباني الذي عليه تقوم الحياة الفاضلة، وهو أيضا حامل أمانة ورسالة، لا يسعه بحال أن ينام عنها أو يحجبها عن الخلق، وليس هذا بمَلكه ولا باختياره؛ وإن منهج الرسل – عليهم الصلاة والسلام– في دعوة أقوامهم هو خير دليل على أن من أهداف الحوار هداية الخلق إلى الله وتعريفهم على المنهج الذي يصلحهم ويزكيهم، والأمثلة كثيرة جدا في هذا الباب.

ولتمعن النظر والفكر في قصة نوح u مع قومه كما يحكي الله U لنا جانبا منها فيقو ل سبحانه وتعالى على لسان نوح: â**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً{٥} فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً{٦} وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً{٧} ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً{٨} ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً**á [نوح: ٥ – ٩].

وهكذا حال مؤمن آل فرعون مع قومه وحواره إياهم الحوار الذي يظهر الحرص العميق على هدايتهم لقيم الحق العليا في هذه الحياة، قال الله تعالى: â**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ**

---

(١) أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٨هـ، وينظر: حوار مع أهل الكتاب، محمد عبد الرحيم أبو الوفاء، دار هاني الخراز، مكة المكرمة، ط١ (١٤٢٢هـ).

أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ{٢٨} يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ{٢٩} وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ{٣٠} مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ{٣١} وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ{٣٢} يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍá [غافر: ٢٨ – ٣٣]، إنه الحوار الهادف المخلص الذي يحرص على رفع الخلق إلى مستوى الحق فأكرم به من حوار.

٤ - المعذرة إلى الله في أداء الأمانة والشهادة على الخلق:

إن أهم ما يميز المؤمن في الحياة أنه يعمل ولا يريد به إلا وجه الله تعالى، ولا يضر المؤمن ألا يجد أثرا لعمله في هذه الحياة الدنيا، لأنه واثق بأن الله تعالى لن يضيع له عملا، وأنه سيجزيه ثواب ما قدم يوم القيامة، ولا يظلم ربك أحدا؛ ومن هنا، فالمسلم يدعو الآخرين للخير والحق والهدى ويبذل من جهده ما يستطيع، ويحاور هذا ويجادل ذاك طمعا في الهداية وحبا في إشاعة الخير والمعروف بين الناس، حتى لو كان المسلم على يقين بأن أحدا لن يستجيب له ولن يلتفت إلى ما يدعو إليه، فإنه لا يقف عن دعوته وأداء رسالته؛ لأنه يؤدي واجبا يعذر بأدائه أمام الله رب العالمين، وهذا ما يوضحه ربنا تبارك وتعالى بقوله: â**وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**á [الأعراف: ١٦٤]، ويقول الرسول r : «**لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى، من أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين**»[(١)].

وبهذا؛ يتميز سلوك المسلم الحضاري الذي لا يريد بعمله جزاء ولا شكورا، ولا تحركه المصلحة الشخصية ولا الربح المادي، ولا يدور في فلك عصبية ولا قومية ولا حزبية، وإنما هو صاحب فكر ومبدأ ورسالة يعمل لها بإخلاص، ولا يرجو على عمله ثوابا إلا من الله عز وجل.

وحري بمثل هذا السلوك المخلص المتجرد للحقيقة أن يؤتيَ أكله وثماره، وحري برسالة يحملها

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي r : ((لا شخص أغير من الله)) ح (٦٨٦٦)، ورواه مسلم، كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، ح (٢٧٥٥) اللفظ للبخاري.

رجال مخلصون أوفياء متجردون أن يكتب لها الحياة والبقاء بإذن الله.

٥ - إظهار سماحة الإسلام وتقبله للرأي الآخر(١):

ومن أهم أهداف الحوار الإسلامي الكشف عن سماحة الإسلام وإظهار عظمة هذا الدين الرباني، فالإسلام، رغم كونه دين الله الخاتم، وقد قامت على صحته وسلامته من العوج البراهين والمعجزات الخارقات، وخضعت له العقول السليمة والأفكار المتجردة عبر قرون متتالية، فهو لا يُفرض بالقوة والإكراه فـ â**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** á [البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالى: â**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ**á [الكهف: ٢٩]، وقال: â**لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**á [الغاشية: ٢٢]، **وقال: âقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ{١} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ{٢} وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ{٣} وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ{٤} وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ{٥} لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**á [الكافرون: ١ ـ ٦].

وإنه عبر المسيرة التاريخية الإسلامية لم يحدث أن أكره المسلمون أحداً على الدخول في الإسلام.

الحوار الحضاري ضرورة لانتشار الدعوة الإسلامية:

الإسلام رسالة الله إلى الخلق، وهو منهج هداية ورشد يحفل بتكريم الإنسان والرقي به إلى أعلى مستويات الإنسانية الكريمة الفاضلة؛ ومن طبيعة هذا الدين أن يأخذ طريقه إلى العقول والقلوب من خلال الحجة والبرهان وأنه يصل إلى غاياته الكبرى من خلال الإقناع وغرس القيم في النفوس بشكل اختياري بعيداً عن القهر والإكراه ومن هنا فإننا نجد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومناهج العلماء الربانيين في الدعوة إلى الله نجد ذلك كله حافلا بأساليب الحوار والجدال بالتي هي أحسن مع الأقوام الذين يراد هدايتهم إلى هذا الدين الرباني العظيم أو إقامة الحجة عليهم لإثبات أية حقيقة كونية كما مر معنا في التمهيد.

وقد مر معنا حوار بين الأنبياء وأقوامهم، وبين المسلمين والكفار، بل إن مواضع الحوار في القرآن والسنة تشهد بأمثلة لحوار دار بين المسلمين والكفار كان هدفه نشر الحق وإعلائه، والمعذرة إلى الله تعالى.

وقد حاور النبي r اليهود والنصارى، وكاتب الملوك والزعماء، ودعا المشركين إلى الإسلام بالحوار الحسن، فقد جاء أن عتبة بن ربيعة كان سيداً، فقال يوما وهو جالس في نادي

(١) عالمية الإسلام، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، (١٩٩٩م).

قريش ورسول الله r جالس في المسجد وحده؛ يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد وأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل فنعطيه أيها شاء ويكف عن ذلك (حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله يزيدون ويكثرون) فقالوا: بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه فقام إليه عتبة فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب (وعرض عليه أمورا من المال والجاه والنساء والطيب مقابل أن يتخلى عن دعوته ورسالته)، وما كان من رسول الله r إلا أن استمع له حتى انتهى، ثم قرأ عليه القرآن الكريم من أول سورة «فصلت» ثم قال له: **قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك** (١).

والنصوص الدالة على جواز الحوار مع الكافر أكثر من أن تحصر في هذا المقام، لكن جملة من الكتاب والكاتبات يتحفظون على فكرة الحوار مع الغير، ممن يختلفون عنا في الدين، بل إن أحد المؤلفين قد وصل به الرأي إلى تحريم التعامل مع فئة أولئك الناس من المستشرقين.

والخطأ هنا ليس في الحوار ذاته، ومن حكم بالحكم السابق إنما انطلق في الغالب من نظرته للمتحاورين، وبخاصة الجانب الإسلامي منه، الذي ظهر ضعفه وهوانه، فحكم على الحوار بناء على هذه النظرة، والله تعالى يدعونا بقوله: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٩]، والعلو هنا مربوط بالإيمان، لا العلو المربوط بالغطرسة والعرقية والجنس البشري، بل العالي هنا هو المؤمن أين يكون، وكيف يكون، ومتى يكون؟ وإذا تحقق الإيمان لدى الشخص تحقق لديه العلو، الذي يفرض نفسه على الآخرين(٢).

بل لقد مدح النبي r حواراً حضره قبل البعثة؛ لأنه تحقق بموجبه نفع للآخرين، ذلكم هو حلف الفضول، وهو تحالف بين بني هاشم وبني أمية وبني زهرة وبني مخزوم، وكان في دار عبد الله بن جدعان، على التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم، ورد الفضول على أهلها، قال فيه رسول الله r : (**لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أُدعى في الإسلام لأجبت**)(٣)، فظهراعتزاز الرسول r وفخره بالمشاركة في تعزيز مبدأ

---

(١) سيرة ابن هشام، مطبعة الحلبي، مصر، (١ /٣٢٢) والحديث رواه ابن أبي شيبة (١٤/ ٢٩٥)، والحاكم (٢/ ٢٥٣)، قال محقق تفسير ابن كثير: في سنده رجل ضعيف.

(٢) الشرق والغرب، محددات العلاقات ومؤثراتها، د. علي النملة، الرياض، ط١ (١٤٢٥هـ)، ص (٢٠٥-٢٠٦)، وينظر: "الإسلام والآخر"، د. صابر طعيمة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤٢٨هـ) [٤٥٧].

(٣) مسند أحمد (١/ ١٩٣)، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وينظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٨٢).

العدل ورفع الظلم حتى لو صدر من الكفار.

فالحوار أحد قيم هذه الشريعة موجهة نحو إقرار العدل والرحمة، ونشر قيم الدين، وبيان محاسنه، وإقامة الحجة على الناس، وتصحيح التصورات، والرد على الشبهات، ومعرفة الآخرين، والاستفادة منهم في أمور الدنيا، ودرء ضررهم عن المسلمين[١].

المطلب الثاني: عدم الإكراه في الدين

معنى الإكراه:

المتأمل لمعنى الكره: يجدها تدور حول المنافاة للمحبة والرضا، وتدور كذلك حول معاني التعسير والصعوبة والإجبار والقهر والإلزام[٢].

وفي الشرع: فعل ما يوجد من المكره فيحدث في المستكره معنى يصير به مدفوعًا إلى الفعل الذي طُلب منه[٣].

وينقسم الإكراه إلى: إكراه بحق وإكراه بغير حق، والإكراه بغير حق ينقسم إلى إكراه ملجئ، وإكراه غير ملجئ.

أولاً: الإكراه بحق:

تعريفه: هو الإكراه المشروع، أي الذي لا ظلم فيه ولا إثم. وهو ما توافر فيه أمران:

الأول: أن يحق للمكره التهديد بما هدد به.

الثاني: أن يكون المكره عليه مما يحق للمكره الإلزام به.

وعلى هذا فإكراه المرتد على الإسلام إكراه بحق، حيث توافر فيه الأمران، وكذلك إكراه المدين القادر على وفاء الدين، وإكراه المولي على الرجوع إلى زوجته أو طلاقها إذا مضت مدة الإيلاء.

---

(١) التعامل مع الآخر شواهد تاريخية من الحضارة الإسلامية، د. إبراهيم المزيني، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ط١ (١٤٢٧هـ).

(٢) القاموس المحيط (١٦١٦).

(٣) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدي أبو جيب، دار الفكر، بيروت، ط١ (١٩٨٢م) (٣١٧).

أثره:

والعلماء عادة يقولون: ((إن الإكراه بحق، لا ينافي الطوع الشرعي – وإلا لم تكن له فائدة))، ويجعلون من أمثلته إكراه العنين على الفرقة، ومن عليه النفقة على الإنفاق، والمدين والمحتكر على البيع، وكذلك من له أرض بجوار المسجد أو المقبرة أو الطريق يحتاج إليها من أجل التوسيع، ومن معه طعام يحتاجه مضطر.

ثانيًا: الإكراه بغير حق:

تعريفه: الإكراه بغير حق هو الإكراه ظلمًا، أو الإكراه المحرم، لتحريم وسيلته، أو لتحريم المطلوب به، ومنه إكراه المفلس على بيع ما يترك له[1].

الإكراه في الدين:

وضع الإسلام للأمم التي تدخل تحت حمايته حقوقًا تضمن لهم الحرية في ديانتهم، والقيام بشعائرهم وفق الضوابط التي وضعها الإسلام، والمبيَّنة في كتب الأحكام، وأشهرها "أحكام أهل الذمة" لابن القيم[2] - رحمه الله تعالى- .

والقضاء بينهم يكون بالعدل والقسط في حالة النزول على القضاء الإسلامي، لقوله تعالى: **﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [المائدة: ٤٢].

فجعل من يدخل في ظلِّ الإسلام باقيًا على شريعته وعاداته عين الحرية والعدالة.

يقول ابن القيم - رحمه الله- في قوله تعالى: **﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ**

---

(١) ينظر: ((الإكراه وأثره في التصرفات)) للدكتور عيسى شقرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ (١٩٨٧م)، وله رسالة ماجستير بعنوان "أحكام الإكراه في الفقه الإسلامي"، إشراف: محمد عبد الرحمن مندور، مخطوطة، الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة، ١٩٨١م.

(٢) هو الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي الحنبلي، المشتهر بابن قيم الجوزية، وقيم الجوزية هو والده، كان قيماً على المدرسة الجوزية بدمشق، ولد سنة (٦٩١هـ)، وهو من أشهر تلاميذ ابن تيمية، له تصانيف كثيرة، مات سنة (٧٥١هـ).

عَلِيمٌ) [البقرة: ٢٥٦][1] : ((هذا نفي في معنى النهي، أي لا تُكرهوا أحدًا على الدّين.. نزلت هذه الآية في رجال من الصحابة كان لهم أولاد قد تهودوا وتنصروا قبل الإسلام؛ فلما جاء الإسلام، أسلم الآباء وأرادوا إكراه الأولاد على الدّين، فنهاهم الله سبحانه عن ذلك. حتى يختاروا الدخول في الإسلام))[2]. والصحيح أن الآية على عمومها في حق كل كافر، وهذا ظاهر - على قول من يجوِّز أخذَ الجزية من جميع الكفار- فلا يكرهون على الدخول في الدين؛ بل إما أن يدخلوا في الدين، وإما أن يعطوا الجزية كما يقوله أهل العراق وأهل المدينة - وإن استثنى هؤلاء بعض عبدة الأوثان- ومن تأمل سيرة النبي e تبين له أنه لم يكره أحدًا على دينه قط، وأنه إنما قاتل من قاتله، وأما من هادنه فلم يقاتله مادام مقيمًا على هدنته لم ينقض عهده. بل أمره الله تعالى أن يفيَ لهم بعهدهم ما استقاموا له، كما قال تعالى: **(كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)** [التوبة: ٧]، ولما قدم المدينة، صالح اليهود وأقرَّهم على دينهم؛ فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال قاتلهم، فمنَّ على بعضهم، وأجلى بعضهم، وقتل بعضهم. وكذلك لما هادن قريشًا عشر سنين، لم يبدأهم بقتال حتى بدأوا هم بقتاله ونقضوا عهده؛ فعند ذلك، غزاهم في ديارهم - وكانوا هم يغزونه قبل ذلك- كما قصدوه يوم أحُدٍ ويوم الخندق، ويوم بدر أيضًا هم جاؤوا لقتاله، ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم.

والمقصود أنه e لم يكره أحدًا على الدخول في دينه البتة، وإنما دخل الناس في دينه اختيارًا وطوعًا. فأكثر أهل الأرض دخلوا في دعوته لما تبين لهم الهدى، وأنه رسول الله حقًا؛ فهؤلاء أهل اليمن كانوا - أو كان أكثرهم- على دين اليهودية كما قال النبي e لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: ((**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**))[3]، وذكر الحديث: ثم دخلوا في الإسلام من غير رغبة ولا رهبة؛ وكذلك من أسلم لا رغبة في الدنيا ولا رهبة من السيف، بل أسلموا في حال حاجة المسلمين وكثرة أعدائهم،

(١) ويضاف كذلك قوله تعالى: **(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)** [يونس: ٩٩].

(٢) ينظر في هذا تفسير الطبري، (٤/ ٥٤٦).

(١) البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ح (١٣٩٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ح (١٩).

ومحاربة أهل الأرض لهم من غير سوط ولا نوط، بل تحملوا معاداة أقربائهم، وحرمانهم نفعهم بالمال والبدن، مع ضعف شوكة المسلمين وقلة ذات أيديهم؛ فكان أحدهم يعادي أباه وأمه وأهل بيته وعشيرته، ويخرج من الدنيا رغبة في الإسلام، لا لرياسة ولا مال، بل ينخلع من الرياسة والمال، ويتحمل أذى الكفار من ضربهم وشتمهم وصنوف أذاهم، ولا يصرفه ذلك عن دينه))[1].

ومن هنا، جعل الإسلام أسباب الدخول فيه اختيارية دون إكراه أو إجبار، وجعل الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة أعلى درجات الإقبال على دين الله تعالى، وهذا ما وضحه ابن القيم فيما سبق ذكره.

وجعل الإسلام المناظرة مع المخالف خير وسيلة إقناع لفهم الإسلام، يقول الله تعالى: **﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** [العنكبوت: ٤٦].

وجعل ترك سبِّ معبودات الكفار وسيلة لحماية حقوق المخالف، وحتى لا يوقع في حق المسلمين كذلك. يقول الله تعالى: **﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأنعام: ١٠٨][2].

إذن لا يصح الإيمان بالإكراه، وطالما كان المخالف حراً في دخول الإسلام فعليه الالتزام بشرائعه وقواعده، وألا يكون عضواً شاذاً في المجتمع، بل عليه الحفاظ على حق المسلمين، والعمل على سلامة المجتمع والسعي لوحدة صفه، والمشاركة النافعة لنصرة المسلمين قولاً وفعلاً.

وعند التأمل في مكاسب الحوار الحضاري نجد أن أعظمها تحقيق الدعوة إلى الإسلام دون إكراه، فالمحاور المسلم الذي يسلك طرق الحوار الحضاري الصحيح، ويشارك في فعالياته؛ ينقل صورة الإسلام، ويدعو إليه، ويفتح بابه مشرعاً لمن أراد ولوجه والدخول إليه، وهذا من

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، المكتبة القيمة، مصر، ط٤ (١٤٠٧هـ)، تحقيق: أحمد حجازي، ص (٣٧- ٣٨).

(٢) وللموضوع فروع كثيرة في أحكام المقاتلين والخارجين والمحاربين مذكورة في كتب الفقه.

أعظم المكاسب وأكبرها â**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**á [فصلت: ٤٣].

جاء في كتاب النبي r لأهل نجران في عقد الصلح معهم: «**ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم، وأرضهم وملتهم، وغايبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيَعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته**»(١).

فهذا الاتفاق يشمل كل الرعايا النصارى كهنة ورهباناً وراهبات، وهو يضمن لهم الحماية والأمن، ويضمن الحماية لكنائسهم ومساكنهم وأماكنهم(٢).

وفي عهد عمر بن الخطاب t ، كتب إلى أهل إيلياء (بيت المقدس): «هذا ما أعطى عبد الله عمر — أمير المؤمنين — أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم»(٣).

وهذا العهد يدل على حسن معاملة المسلمين لأهل الديانات الأخرى، وعدم إكراههم على دين الإسلام، بل لقد تكاثرت الأحداث والعهود والقصص التي دلت على مر تاريخ المسلمين أنهم تركوا البيع والكنائس في الشام وغيرها لم تهدم، وسطروا أروع الأمثلة في

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج، باب أخذ الجزية (٣٠٤١)، قال محقق زاد المعاد الأرناؤوط: "ضعيف"، (٣/ ١٤١)، وينظر مفصلاً: البداية والنهاية لابن كثير، دار هجر، مصر، ط١ (١٤١٨هـ)، تحقيق: د. عبد الله التركي (٧/ ٢٦٢- ٢٧٢).

(٢) الإسلام في العقل العالمي، د. توفيق الواعي، دار الوفاء، مصر، ط١ (١٤١٠هـ)، ص (١٠٦). وينظر: غير المسلمين في المجتمع المسلم، د. منقذ بن محمود السقار، مطابع رابطة العالم الإسلامي، بحث مقدم للملتقى الأول لعلماء المسلمين (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م)، وينظر: الإسلام وأهل الذمة، حسن الخربوطلي، دار المعارف، مصر، ١٩٩٠م.

(٣) تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، دار سويدان، بيروت، (ب ت)، (٣/ ٦٠٩).
وينظر: (الفتوح الإسلامية عبر العصور)، د. عبد العزيز العمري، دار إشبيليا، الرياض، ط١ (١٤١٨هـ)، ص (١٣٩)، وينظر: (فتوح البلدان)، أبو الحسن أحمد البلاذري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ، ص (١٤٥).

التسامح والعفو، وعدم الإكراه في الدين.

أما في الغرب فإن غالب دساتير دولهم تنص على مبدأ الحرية، وتقوم على أساس العلمنة، فكل فرد له أن يعتقد ما يريده، ويتعبد بالطريقة التي تحلو له.

ومن الإنصاف أن نقول: لقد استفاد المسلمون من تلك الحرية في بلاد الغرب، وفتح أمام الجاليات الإسلامية أو الأقليات المسلمة في بلاد الغرب الطريق أمام العمل لهذا الدين والدعوة إليه ونشر مبادئه حتى صاروا مصدر خير وبركة في انتشار الإسلام في أرجاء أوربا وأمريكا... بل لقد دعت المنظمات الخيرية وهيئات العمل الإسلامي في العالم العربي إلى استغلال وجود هؤلاء لنشر دين الإسلام، وأقيمت لذلك المؤتمرات، وأنشئت المراكز الإسلامية[١].

وهنا يبدو سؤال: هل يصح القول باحترام المعتقدات والمبادئ الأساسية لأصحاب الأديان من كل طرف من منطلق قوله تعالى: â**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** á [الأنعام: ١٠٨]؟.

الجواب[٢]:

تنقل كتب التفسير وأسباب النزول أكثر من رواية في سبب نزول الآية، لكن لعل أصحها وأقربها للسياق أن المسلمين كانوا يسبون أوثان الكفار، فيردون ذلك عليهم، فنهاهم الله أن يستسبوا لربهم[٣].

---

(١) الدعوة في الغرب، ضمن: المسلمون في أمريكا، بواسطة (لاري أي)، تحرير: أيفون يزبك حداد، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مصر (١٩٩٤م)، وينظر: "توصيات المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي" الأقليات المسلمة في العالم، طبع دار الندوة، الرياض (١٤٢٠هـ)، وينظر: ((الأقليات المسلمة في الأمريكيتين والبحر الكاريبي))، سيد عبد المجيد بكر، (ب ت).

(٢) أجاب عنه مجموعة من المفكرين الذين أجرى الباحث معهم لقاءات مختلفة، ومنهم: د. عبد الرحمن المحمود، د. ناصر العمر، د. سلمان العودة، د. صالح بن حميد وغيرهم، وفي حال اختلاف الرأي بشكل واضح أثبت صاحب الرأي المختلف.

(٣) تفسير الطبري، مرجع سابق (٩/ ٤٨٠)، وابن كثير (٣/ ٣١٥)، وينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار هجر، القاهرة، ط١ (١٤٢٤هـ)، تحقيق د. عبد الله التركي (٦/ ١٧٠)، والجامع لأحكام القرآن، محمد بن أبي بكر القرطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٢٧هـ)، تحقيق د. عبد الله التركي (٨/ ٤٩١).

والسب في أصل كلام العرب يدل على التحقير، ويمكن أن نستنتج الإجابة من أمور:

أولاً: هناك فرق بين احترام المعتقدات والسب، والآية إنما جاءت بالنهي عن السب لآلهة المشركين دفعاً لمفسدة سبهم لله تعالى.

ثانياً: النهي عن سب آلهة المشركين لا ينفي وجوب بيان بطلان عبادتها بالأدلة النقلية والعقلية، ويدخل في هذا بيان التوحيد وعظمته، وأنه سبب النجاة.

ثالثاً: لا يجوز أن يفعل بالكفار ما يزدادون به بعداً عن الحق ونفوراً، فكل ما من شأنه – قولاً كان أو فعلاً – أن يُبغض الكفار بدين الإسلام، وينفرهم منه، ويبعدهم عن قبوله، ينبغي على المسلم أن يتجنبه، ويتحرز من الوقوع فيه، حفاظاً على نفسه ودينه.

رابعاً: الاحترام هنا له شقان، أحدهما مطلوب في مراحل الدعوة وهو السكوت عن إهانتها واحتقارها، كما فعل النبي r مع آلهة المشركين، حيث طاف بالكعبة والأصنام تحيط بها، ولكنه حطمها في الفتح لتغير الحال. وأما الشق الثاني فهو المنهي عنه، وهو احترامها المقتضي الإقرار بها، والاعتراف بأحقيتها، أو مدحها والثناء على أصحابها.

ومن تأمل التاريخ وجد الفرق بين تعامل المسلمين مع متعقدات الآخرين، وتعامل غيرهم.

& & &

المبحث الثاني: الأصل القيمي

المطلب الأول: وحدة الأصل الإنساني

أولا: مراحل الخلق في القرآن الكريم

(إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ) [الصافات: ١١].

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) [الحجر: ٢٦].

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) [الحج: ٥].

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) [المؤمنون: ١٢- ١٦].

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [غافر: ٦٧].

(فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ❖ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ❖ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ) [الطارق: ٥- ٦].

(خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)[الزمر: ٦].

(وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَفْقَهُونَ) [الأنعام: ٩٨].

وقال تعالى: â **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً** á[النساء/١]، وقال سبحانه: â **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** á [الأعراف: ١٨٩].

وقد اتفق العلماء على أن النفس الواحدة هي آدم u ، وأن (زوجها) المقصود حواء عليها السلام.

فمن هنا يتقرر أن أصل الإنسان واحد، وأن البشر من أب وأم هما آدم وحواء، فالأصل البشري واحد.

والإنسان هو حامل الأمانة في الكون كما قال تبارك وتعالى:

(إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَاوَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً) [الأحزاب: ٧٢].

استئناف ابتدائي أفاد الإنباء على سنة عظيمة من سنن الله تعالى في تكوين العالم وما فيه وبخاصة الإنسان ليرقب الناس في تصرفاتهم ومعاملاتهم مع ربهم ومعاملاتهم بعضهم مع بعض بمقدار جريهم على هذه السنة ورعيهم تطبيقها فيكون عرضهم أعمالهم على معيارها مشعرا لهم بمصيرهم ومبينا سبب تفضيل بعضهم على بعض واصطفاء بعضهم من بين بعض.

وأن الحكمة اقتضت أن يكون الإنسان مستودع العقل من بين الموجودات العظيمة لأن خلقته ملائمة لأن يكون عاقلا فإن العقل يبعث على التغير والانتقال من حال إلي حال ومن مكان إلى غيره، فلو جعل ذلك في سماء من السماوات أو في الأرض أو في جبل من الجبال أو جميعها لكان سببا في اضطراب العوالم واندكاكها. وأقرب الموجودات التي تحمل العقل أنواع الحيوان ما عدا الإنسان فلو أودع فيها العقل لما سمحت هيئات أجسامها بمطاوعة ما يأمرها العقل به. فلنفرض أن العقل يسول للفرس أن لا ينتظر علفه أو سومه وأن يخرج إلى حناط يشترى منه علفا، فإنه لا يستطيع إفصاحا ويضيع في الإفهام ثم لا يتمكن من تسليم العوض بيده إلى فرس غيره. وكذلك إذا كانت

معاملته مع أحد من نوع الإنسان[1].

وبعد تأكيد الأصل الواحد للإنسان تأتي الإشارة إلى قيمة التكريم له في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾** [الإسراء: ٧٠].

هذه الآية الكريمة بيان لتعداد نعم الله تعالى على جميع الناس فإن هذا الإنسان الذي خلقه بيده ونفخ فيه سبحانه من روحه أنعم عليه نعما لا تحصى تكريما له، ومن أعظم التكريم أنه خلق آدم بيده سبحانه وخلق غيره بطريق كن فيكون، فدل هذا على أنه سبحانه خلقه بأعظم عناية وأتمها وأحسنها، وأكملها، وميزه عن بقية خلقه بأهم صفة، وهي العقل، مع تكريم الخلق، وإحسان التصوير.

فإذا علم هذا تبين أن هذا الإنسان بهذه الصفة هو أفضل مخلوقات الله تعالى الذي ميزها بهذه القوة العاقلة، التي بها يتطور، ويبني الحضارة والعمران كما سيأتي، وحيث جعله مميزا عن سائر الحيوان بالمظهر والمخبر.

وهذه الصفة لا توازيها صفة أخرى في مخلوقات الله تعالى المشاهدة والتي سخرها الله تعالى لبنى آدم.

ومن عجائب خلق الله تعالى لهذا الإنسان تكريما: قدرته على التعبير عما يصيبه من فرح أو ترح مع الوصف الدقيق لما يعتريه وقدرة سامعيه على فهمه.

تكريمه بصفة النطق التي بها يُفْهِمْ غيرَه مراده ويَفْهَمُ غَيرُهُ عنه، حتى يدخل في هذه الميزة الأخرى حيث يعبر بالإشارة، والكتابة.

حسن الصورة: **﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾** [غافر: ٦٤].

ومن تكريم الله تعالى لخلق هذا الإنسان تعليمه الكتابة والقراءة: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم﴾** [العلق: ١- ٤][2].

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون معلومات)، ص (٢٦٠ وما بعدها).

(٢) ينظر: مفتاح دار السعادة، مرجع سابق، (١/٢٦٨)، وينظر التبيان، لابن القيم، دار المعرفة، بيروت، (٤١).

كما أكرمه سبحانه بتسخير ما في الأرض له، وتذليلها ليمشي فيها طالباً الحياة، ساعياً في الرزق، وهذا من تمام التكريم.

وفي قوله تعالى: **﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾** [الإسراء: ٧٠].

زيادة على التكريم يأتي التفضيل،فالتكريم ما أنعم به سبحانه عليه بالمميزات السابقة على سائر المخلوقات، وهذا الذي وضعه في ذاته ابتداء، ثم كمله بأسباب الاكتساب بواسطة العقل والتدبر والنظر لاكتساب الفهم لما أنزل إليه من وحي لاستقامة حياته، وتدبير معاشه بما جعله فوق غيره، فهذا هو التفضيل.

بهذا يتبيَّن خطأ كثير من الفلاسفة والدهريين القائلين بجهل وضلال الإنسان الأول، وأنه كان لا يعرف سوى شريعة الغاب وهذا من وجوه:

أولاً: أن الله تعالى ما أهبطه إلى الأرض إلا بعد أن علمه الأسماء كلها.

ثانياً: كيف يكون خليفة في الأرض، وهو من يخلف غيره ويقوم مقامه فيلزم من هذا أن يكون أول هؤلاء الخلفاء وهو آدم، ذا علم وحكمة وفهم لتدبير أمره وأمر زوجته وذريته.

ثالثاً: بيان منهج الحياة على الأرض المبين في قوله تعالى: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾** [العلق: ١- ٥].

فبالنظر بين التناسب بين الآيات والسور:

أنه تعالى ذكر أول حال الإنسان كونه علقة، مع أنها أحسن الأشياء، وآخر حاله وهى صيرورته عالما، وهو أجل المراتب.

فكأن المعنى: أيها الإنسان قد كنت في أول أحوالك في تلك الدرجة (العلق) وهى في غاية الضعف والمهانة، فصرت في أخر حالك في هذه الدرجة التي هي غاية الشرف.

ثم وصف نفسه بالأكرمية _ سبحانه_ لأنه أعطى العلم، فلولا أنه أشرف عطاء ما ذكره في موضع المنة، فكيف يكون الإنسان المعلم على حالة أشبه بالحيوان في الغابة[1].

(١) تفسير ابن كثير ٤٣٧/٨ والتحرير والتنوير ٤٣٩/٣٠ ـ ٤٤١.

وقد وصف الإنسان في القرآن بأوصاف عدة منها:

الظلم والجهل كما في قوله تعالى: â **وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً** á [الأحزاب/٧٢]، ومنها الضعف: â **وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا** á [النساء: ٢٨]، ومنها العجلة: â **وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا** á [الإسراء: ١١]، ومنها الهلوع: â **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا** á [المعارج: ١٩]، ومنها المكابدة والكدح والكنود وغيرها من الصفات.

وبعد هذه الإشارات في كتاب الله تعالى لصفات الإنسان تقرر حقيقة مهمة، وهي أن الإسلام يكرم الإنسان على إطلاقه، دون تحقير بسبب جنس، أو تصغير بسبب لون، أو امتهان بسبب دين، أو تعصب بسبب قومية أو جنسية ما، وهذه المساواة الإسلامية الإنسانية قاوم بها الإنسان كل نزعات التعصب في النفس الإنسانية، فليس للإنسان ميزة في جوهر طبيعته تجعله أكرم من غيره[(١)].

وعلى هذا فوحدة الأصل الإنساني أصل في الحوار الحضاري، ومنطلق للوصول إلى الآخرين، وإن تعددت انتماءاتهم ما داموا مسالمين لنا، نلتقي معهم على الإيمان بمطلق الكرامة لبني البشر، كما قال علي t: ((الناس صنفان: إما أخ لك في الإسلام، وإما نظير لك في الخلق))[(٢)].

والتوراة والإنجيل متفقان على أن الله خلق آدم أبا البشر أول الخلق، وخلق منه حواء، فالبشر جميعاً ينتمون إلى أصل واحد، وتناسل الخلق منه جميعاً كما جاء في التوراة: (ثم جَبَل الرب الإله آدم من تراب الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية)[(٣)].

وقد أكد بعض أتباع الكنيسة هذا المبدأ عندهم وكرروه، ونقله عنهم مجموعة من الباحثين... فمنهم من قال: ((يكمن في الوحدة الجوهرية للجنس البشري، والوعي بأن البشر

(١) التواصل الحضاري مع الآخر خصوصية إسلامية، رأفت غنيمي، مقال على شبكة المعلومات: WWW.ALmotamar.net.

(٢) د. عصام البشير، تعدد الخلق ووحدة الخالق، مقال على شبكة المعلومات: www.iqraa TV. Net.

(٣) سفر التكوين (٢ : ٧) نقلاً عن تسامح الغرب مع المسلمين، عبد اللطيف بن إبراهيم الحسين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١ (١٤١٩هـ) (١١٣).

مهما اختلفت انتماءاتهم الدينية والوطنية يكونون أسرة إنسانية واحدة، خلقها إله واحد، وتعيش في عالم واحد، ومآلها الأخير واحد، وهذه الوحدة تستلزم وحدة الأصل الإنساني وكرامته، ونبذ الاختلافات بين أعضاء الأسرة الإنسانية))[1].

ورغم تقرير حقيقة وحدة الأصل الإنساني عند القوم إلا أنه يصطدم بمعتقدات أخرى عندهم تناقضها، فقد حكى المولى Y في كتابه الكريم اختيار بني إسرائيل وتفضيلهم على العالمين â**وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** á [الدخان/٣٢]. وهذا التكريم تكريم وقتي لمن آمن منهم فقط، ومع ذلك فقد أصبح اليهود يتشبثون دائماً بعهد الاصطفاء الأول، ويتشدقون به، ويغضون الطرف عما أحدثوا بعده من كفر وعناد، بل إنهم يزعمون أنهم لا يزالون شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، ويستندون إلى ما جاء في التوراة المحرفة من استعلائهم على الجنس البشري، وأن الدنيا بما فيها ملك لهم، ويحق لهم التسلط على من عداهم بالتسخير والاسترقاق، وأن سائر الناس غيرهم حيوانات في صورة إنسان[2].

وأما النصارى فإنهم لم يغالوا كغلو اليهود إلا أنهم تأثروا نتيجة الثقافة الرومانية وتنكس الكنيسة وتنكرها للمبادئ الأساسية لتعاليم المسيح u ؛ حيث اصطبغت الكنيسة بالفكر الروماني في تقسيم البشر إلى سادة وعبيد بحكم الأصل والخلقة، وصارت هذه النظرة نظرة دينية قامت على فكرة الخطيئة، وهي أن آدم وحواء أكلا من الشجرة التي نهينا عنها، وارتكبا بذلك خطيئة لا تغتفر، وبهذا فليس للإنسان بسبب ذلك كرامة ذاتية ما دام وارثاً لهذه الخطيئة، وليس يخلصه منها إلا الإيمان بالمسيح[3].

ومهما قررت المجامع الدينية والمؤتمرات الكنسية عندهم من وحدة الأصل الإنساني، فالواقع والمشاهد يخالف ما قرروه، فالاستعلاء على الشعوب الضعيفة عبر الاستعمار الحديث،

---

(١) نقلاً عن ((الحوار الإسلامي المسيحي))، حسن صعب، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، بيروت، (١٤١١هـ) (١- ٤).

(٢) نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، عمر الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ (١٤٠٣هـ)، فقد ساق نصوصاً كثيرة في هذا المجال، وينظر: "في ظلال القرآن"، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٢ (١٤٠٦هـ)، (٢/ ٦٧٩- ٦٨٣).

(٣) نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، مرجع سابق (٦٠- ٦٢).

وسحق ملايين البشر البائسين، كل ذلك وأشباهه شاهد على مخالفة تلك القرارات المزعومة[١].

إذن وحدة الأصل الإنساني تعتبر منطلقاً عظيماً، وأصلاً مهماً في أي حوار حضاري، لا بد أن يصبح سمة لجميع المتحاورين، يدفعهم إلى عدم الاستعلاء والترفع أو احتقار الآخرين بسبب لونهم أو جنسهم أو موطنهم[٢].

المطلب الثاني: الحق في الحرية

الحرية لغة: الحرية اسم، تقول: حَرار: مصدر حَرَّ، يَحَرُّ: إذا صار حرا... والحر نقيض العبد، والجمع أحرار وحرار، والحرَّةُ نقيض الأمة، وحرره أعتقه، يقال حر العبد: يحر حرارة أي صار حرا، وتحرير الرقبة: عتقها، وتحرير الولد: إفراده لطاعة الله عز وجل، وخدمة المسجد، قال تعالى: **﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾** [آل عمران: ٣٥] أي خادما يخدم في متعبداتك[٣].

والحر: كل شيء فاخر من شِعْر أو غيره.. والحر من الناس: أخيارهم وأفاضلهم..

يقال: هو من حرية قومه أي من خالصهم. والحر الفعل الحسن. والحرة: الكريمة من النساء.

وتحرير الكتابة: إقامة حروفها وإصلاح السقط. وتحرير الحساب: إثباته مستويا لا غلط فيه ولا سقط ولا محو.

إذًا نحن نرى مدلولات الحرية تدور حول الكرامة، التقدير، العفة، الشرف، الاستقامة، الخيرية، الفضل، الفعل الحسن، وكل شيء فاخر وقيم.

---

(١) وقد قام الباحث بزيارة المتحف الوطني بالبرازيل وشاهد من التقارير المذهلة التي أثبتت ما فعله الجنود البرتغال بالعبيد السود، وخصص لذلك برنامجاً متكاملاً، كما أنتجت السينما الغربية سلسلة فلم (الجذور) للروائي الأمريكي ألكس هايلي. ينظر: ((الفرق المعاصرة المنتسبة للإسلام في أمريكا وأثرها العقدي)) رسالة ماجستير، فهد السنيدي، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، الرياض (١٤٢٦هـ).

(٢) الشرق والغرب، علي النملة، مرجع سابق، ص (٥٥) وما بعدها، فقد تحدث عن نظرة الغرب إلى الآخر غير الغربي، وأنها قائمة على الفوقية والاستعلاء.

(٣) تفسير الطبري (٣٣١/٦)، وابن كثير (٣٣/٢). مصدر سابق.

فها هي اللغة: تجعلنا نتحرر من مدلولات باطلة وضعنا فيها أهل الزيغ والضلال حيث (في الواقع) حولوها إلى دعوة للفجور والخروج عن الطاعة واتباع الأهواء.

والحرية في الشرع لا تبتعد عن المعنى اللغوي؛ لأن المسلم ينظر إلى معناها من منطلق النصوص الشرعية، لا من منطلق تخبط أهل الأهواء.

ولذا فإن الحديث عن الحرية هنا من منطلق الواقع لا من مجرد النظريات.

والحرية في حقيقتها إكرام للإنسان إذ فضيلة الاختيار والتقرير لا يكون إلا له؛ حتى يتمكن من القيام بالخلافة، وأداء ما عليه تجاه حمله للأمانة، وهنا تلحظ معنى ((تسخير المخلوقات لهذا الإنسان))، وحتى يتمكن من عبادة ربه وطاعته، فهذه هي الحرية التي هي التكليف الحقيقي.

ودعاة الحرية بمفهومها الغربي يقسمونها أقساما حتى يُخيل إليك أنها المنقذ من كل هم وغم والمفرجة عن كل كرب، حتى تراهم لا يتركون ناحية من نواحي الحياة إلا حشروا فيها أنف الحرية وأطلقوا سراحها.. لأن أي لجام لمنع أي سلوك فاسد أو قول ضال فهو عندهم ضد الحرية وما هذا إلا نتاج لفطام عقولهم وأهوائهم على ثدي الغرب الملحد ((اللاديني واللاعقلي معًا)).

فإذا استقر في نفوس بعض القوم أن الحرية تعني الانفلات التام، ونظروا إليها من جانبها البراق الذي يأخذ نظر المحروم من الحرية حين يراها تمارس في مختلف صورها وألوانها، وفي أوسع حدودها، فيظن أنها المخلص لحياته، ولكنه لم ينظر إليها إلا بعين حرمانه، ولم يلحظ فيها أسباب الردى والتفكك العظيم لهذه المجتمعات.

ومن هنا يجب أن نفهم أن الحرية بمفهومها الغربي (الأوروبي أو الأمريكي) يجب أن توضع في ميزان شريعة الإسلام، لا أن نضع شريعة الله تعالى في ميزان الحرية.

والحرية في الغرب تجعلهم لا يمتنعون عن شرب المسكرات وأكل المحرمات وإقرار أفعال قوم لوط..الخ هذه المنكرات التي يرونها من الحرية الشخصية وتحميها الدساتير والقوانين الوضعية. هذا عندهم...

لأنهم ينطلقون من دساتير وضعها بشرٌ لبشر، ويستمدون مصادرها من عقولهم ووفق

مصالحهم مهما خالفت الفطرة والعقل.

ومن هنا جاء ما يسمى مصدر السيادة، وحق التشريع، ففي حين يرون أن مصدر السيادة، وحق التشريع من خصائص مجالس الشعب، ومجالس النواب..بصرف النظر عن كونها موافقة لشرع الله أم لا.. لأنهم في الأصل لا يؤمنون بألوهية الله تعالى.. لكن المسلم يختلف عن ذلك تمامًا... فهو يعلم أن مصدر السلطة والسيادة هي: الشريعة، والشريعة هي التي رضيها الله تعالى للخلق..

يقول سبحانه: **(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)** [الشورى: ١٣]، ويقول سبحانه: **(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)** [المائدة: ٤٨]، يقول سبحانه: **(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ)** [الجاثية: ١٨].

فالشريعة الإسلامية تجعل السلطة التشريعية حقاً لله تعالى لمنع استبداد الخلق، وضمان عدم الحيف والخطأ، وهنا نضمن أن تكون الحرية منضبطة بضوابط الشريعة، فأي حرية تتحقق للإنسان إذا كان هو من يصدر التشريعات، ويحكم بها ويطبقها؟.

إن الحرية لا تعني الانفلات التام، ولا تعني إعطاء الإنسان الحق في التشريع الذي هو من حقوق الله تعالى، فهو الحاكم **Y**، وهو المشرع لعباده ما يصلحهم، ويضبط أمورهم[1].

يقول الله تعالى: â **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ** á [النساء/١٠٥]. فالجميع تحت حكم الله، وهو الضمانة التي جعلت استقلال القضاء في الإسلام لا نظير له في الأنظمة الوضعية، وحفظت المجتمعات المسلمة من استبداد مفهوم الحرية المنفلت،

---

(١) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤١٥هـ، وينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، بدون معلومات نشر.

لكن مفهوم الحرية المعاصر اتسعت دائرته، وأخذ المطالبون به يدخلون فيه مواضيع براقة، جعلت الحرية التي يتصورونها هي الحرية الحقيقية، وهي التي افتقدها الإسلام (حسب زعمهم)، فأدخلوا في هذا المفهوم (الشورى والديمقراطية).

ولطالما سمعنا دعاة الحرية – بمفهومها الغربي – يقولون أن الديمقراطية هي حامية حمى التقدم والحضارة، وأن أساسها الحرية، حيث هي حقوق الإنسان.

وأن الحرية هي وقود الإبداع والتنوير..الخ هذه المصطلحات التي يزيفون بها الحقائق، لترويج سلعتهم.

والمتأمل للحياة الغربية لا يرى أبدًا الشعوب هناك حرة بلا قيد وإلا تحولت الحياة إلى عبث، ولا يوجد شعب على الأرض ليس عليه قيود شرعية أو وضعية.

لكن أصحاب هذه الدعاوى لا يقصدون الحرية إلا في جانب الاعتقاد من أجل تفتت العقيدة، وحرية السلوك لتدمير الأخلاق، فلا ينادون بالحرية كما بينها الإسلام مثلاً للشعوب المقهورة المغتصبة أرضها كفلسطين.

فمهما يرون من ظلم وإجرام، فهذا لا شأن لهم به فلليهود مطلق الحرية في التصرف للحفاظ على دولتهم الديمقراطية المزعومة.

فنحن أمام تميز ديني، ولغوي، وعرقي.. يجعلون المسلمين ودينهم آخر السطر... وينسبون سبب كل رذيلة وتخلف – بحق أو بباطل – يرونه بيننا إلى الإسلام، ولولا الإسلام لعمت الديمقراطية والحرية..هكذا، وهم أنفسهم الذين احتلوا الشعوب سنين طويلة، أذاقوهم فيها الذل والهوان، ونهب الثروات، والاستبداد، ثم تركوا بلاد المسلمين في أيدي من لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة من المنافقين الذين حكَّموا شرع أوربا لا شرع الله تعالى.

إذن فالحرية والديمقراطية لها مقاسات تتسع وتضيق وفق الهوى[(١)].

ولهذا نراهم يزينون الديمقراطية، لفظًا ومعنى، فإذا جئنا إلى الشورى والمساواة، اللذين

---

(١) ينظر: بيتر سكادت، أمريكا الكتاب الأسود، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١ (٢٠٠٣م)، وينظر: أمريكا طليعة الانحطاط، روجيه غارودي، دار عطية للنشر، بيروت، ط١، (١٩٩٨م)، ترجمة: صباح الجهيم وميشيل خوري.

هما أساس الحكم الإسلامي، رأيتهم يصدون عنها صدودًا، ويمنعون الناس عنها منعًا.

ولِمَ لا والفرد عندهم مقدس قبل الجماعة، فهو أكسيد أولاً وأخيرًا.. فلننظر كيف دحض الإسلام هذه المزاعم:

الحق في حرية الاعتقاد:

يقول الله تعالى: **(وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً** á [الكهف: ٢٩].

فالإسلام دين الرحمة بالخلق، وهو الدين الخاتم، ورسالته آخر الرسالات، يقول الله تعالى: **(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)** [الأحزاب: ٤٠].

ويقول رسول الله **e** : ((**مثلي ومثل النبيين قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون به، ويتعجبون له، ويقولون: هلا وضعت اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**))[١]... هذا أمر أول.

والأمر الثاني: بين الإسلام عالميته في غير موضع من الكتاب والسنة حيث يقول الله تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)** [سبأ: ٢٨].

ويقول تعالى: **(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)** [الأعراف: ١٥٨].

وقال **e** : ((**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي – فذكر منها– وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة..**))[٢].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، ح (٣٥٣٥)، ورواه مسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه **r** خاتم النبيين، ح (٢٢٨٦)،

(٢) رواه البخاري، كتاب التيمم، باب (دون ترجمة)، ح(٣٣٥)، ورواه مسلم، كتاب الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة، ح(٥٢١)

مع القطع بهذين الأمرين: ختم الرسالات برسالة سيدنا محمد e ، وعالمية الإسلام، لا يوجد دليل واحد، يجيز للمسلمين إجبار غيرهم على اعتناق الإسلام، لأن مدار أمر الإيمان قائم على الرضى بالإيمان، والقيام بأمره والانتهاء عن نهيه بالحب لا بالجبر.

والدارس للتاريخ الأصلي من لدن بدء تكوين الدولة المسلمة في المدينة، وظهور قوة المسلمين وتكوين الجيش، وانتهاء لعصرنا الحاضر، لا يقف الدارس على حالة واحدة أكره فيها أحد على الإسلام. بخلاف ما حدث مع المسلمين في كثير من نواحي العالم: في الأندلس (إسبانيا) ومحاكم التفتيش وإجبار المسلمين على ترك دينهم، والتنصير، وكذا في كثير من البلاد التي احتلها الغرب في أفريقيا وآسيا))[1].

وقد قال معالي رئيس مجلس الشورى الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد إن الإسلام قد كفل لغير المسلمين ((الحرية في اعتناق ما يشاؤون من الديانات في غير ما موضع من القرآن، يقول الله تعالى: â **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** á[البقرة: ٢٥٦] ، ويقول سبحانه: â**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** á [الكافرون: ٦] ، وأمر بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن â **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** á [النحل: ١٢٥]. فهذه الآيات وغيرها هي المستند في حفظ كرامة الإنسان وحقه في انتمائه إلى ما يشاء من الديانات الأخرى))[2].

الحق في الحرية الفكرية

وهي حرية التعبير عن الآراء، وهي من الأمور التي تأخذ الحكم الشرعي حسب حالها ووضعها، حيث تحمل في طياتها عدة أنواع من الحريات مثل حرية الصحافة، وحرية وسائل النشر والإعلام، وحرية التعلم، وغيرها من الحريات الفكرية وفق ضوابطها وأسسها الشرعية.

وقد كفل الإسلام هذه الحرية منذ فجر الدعوة، بل وجعلها من أوجب الواجبات في

---

(١) التبشير وقوى الاستنارة في مصر، د. عبد الرحمن جيرة، نشر دار المحدثين، مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٨هـ. وينظر: "العيش المشترك الإسلامي المسيحي في ظل الدولة الإسلامية، شهادة من التاريخ"، د. محمد منير سعد الدين، المكتبة البولسية، لبنان، ط١، (٢٠٠١م).

(٢) من أجوبة أجاب بها الشيخ على أسئلة الباحث ١٤٢٩/٣/١٤هـ.

ممارسة المسلم لحقه، والوقوف بصلابة إلى جانب العدالة والمساواة، منطلقاً بذلك من عدد من النصوص الشرعية التي تأمر المسلم بأن يصدع بالحق، ويؤدي واجب الكلمة بكل حرية كما قال تعالى: (**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) [آل عمران/١٠٤]، وقوله تعالى: (**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ**) [الحج/٤١]، ولقوله ﷺ: (**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**)[(١)]، والحديث: (**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**). وفي لفظ: (**كلمة عدل**)[(٢)].

ولقد كان رسول الله ﷺ مع تأكيده على هذا الأمر قولاً يمارسه فعلاً، إذ كان يحث أصحابه على ممارسة حرية الرأي معه باستطلاع آرائهم في الشؤون العامة ليبين لهم أهمية هذه الحرية واعتناء الإسلام بها[(٣)].

وبهذا يتبين كيف حمى الإسلام حرية الرأي التي تكفل تبادل الأفكار والآراء، وتلافي الأخطاء والسلبيات، ووضع لهذه الحرية ضوابط تسهل ممارستها، وتضمن تأديتها بشكل لا يؤثر على الفرد المسلم أو الجماعة المسلمة، ومن هذه الضوابط:

أ- أن يكون المقصود منها هو النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، كما صح بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ: (**الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله، قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**)[(٤)].

أما أن يكون الرأي لمجرد التشهير بصاحبه، أو الإساءة إليه أو الانتقام منه، أو حمل الناس

---

(١) رواه مسلم، باب الإيمان، حديث (٨٧)، ورواه الترمذي في الفتن، واللفظ له.

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح(٤٠١١)، وصححه الألباني، ورواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، ح (٢١٧٤)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه (ولفظه عنده: (كلمة عدل))) وصححه الألباني بهذا الفظ أيضاً، ورواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ح (٤٣٤٤) وهو في السلسلة الصحيحة، ح(٤٩١).

(٣) مبادئ النظام السياسي، د. محمد محمد إسماعيل فرحات، دار الشروق، مصر، ط٣، ١٩٩١م وينظر ((حرية الفكر في الإسلام))، عبد المتعال صعيدي، دار الفكر العربي، ط٣، (د.ت).

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، ح (٥٥).

على التجرؤ عليه، فذلك ليس من الدين في شيء بل هو وقوع في أعراض الناس[(١)] .

ب- يجب استمرار التماس الأعذار للمخالف فيها وهو مجال للاختلاف، لأن مسائل الاجتهاد في الشريعة مبنية على هذا الأصل العظيم، فصاحب الرأي أو المخالف لرأيه فرداً كان أو حزباً كلاهما على اجتهاد وفي خير ما دام الأمر في دائرة المقبول المسموح به شرعاً، وعلى كل واحد منهما أن لا يعنف على الآخر[(٢)].

ج- أن يبدي الإنسان رأيه وهو متخلق بأخلاق الإسلام وآدابه، فلا يستعمل الكلمات السيئة ولا يتعرض للآخرين ولا ينتقصهم، فالإنسان حر في إبداء رأيه ما لم تتحول حريته إلى فساد وإضرار، حتى تكون الحرية بناءة، وليترتب على تبليغها منافع عظيمة.

الحق في الحرية السياسية:

ويدخل فيها الشورى وبيعة ولي الأمر، وما يتعلق بالأمور السياسية، والأحزاب وما في حكمها، وقد تحدث علماء السياسة الشرعية في هذا الباب، وساقوا من الدلالات الشرعية بنصوص الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح ما يؤكد كفالة الإسلام لحق الحرية السياسية، وهي جزء من حرية إبداء الرأي السابقة، والتي كفلها الإسلام لأتباعه[(٣)] .

لكن هذه الحرية السياسية كغيرها من الحريات، لا يمكن فهمها فهما صحيحاً في الإسلام إلا بربطها بمفهوم العبودية لله الذي هو الأصل، فهو سبحانه المشرع لعباده وهو الأعلم لما يصلحهم وينفعهم، فلا يمكن لأحد أن يأتي بشيء من أصول السياسة والحياة العامة، وفيه مخالفة صريحة لما أمر الله تعالى به، أو أمر به رسوله r .

فالقرآن تبيان لكل شيء من حيث إنه قد أحاط بجميع الأصول والقواعد التي لا بد منها

(١) محمد فرحات، مرجع سابق (٦٥).

(٢) نعمان الخطيب، موقف الفكر السياسي الإسلامي من الأحزاب السياسية، مجلة الإسلام اليوم، عدد إبريل ١٩٨٦م، تصدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ص١٥.

(٣) ينظر الشورى وأثرها في الديمقراطية دراسة مقارنة، د. عبد الحميد الأنصاري، ط٣، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٠هـ، و((حرية الفكر في الإسلام))، محمد الصادق عرجون، الأزهر، القاهرة ١٣٧٥هـ، وينظر: ((حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في النظام الإسلامي بالنظم المعاصرة)) عبد الوهاب الشيشاني، مطابع الجمعية العلمية الملكية، عمان الأردن، (١٤٠٠هـ).

في كل قانون ونظام، مثل وجوب العدل والشورى ورفع الحرج ورفع الضرر، ورعاية الحقوق لأصحابها وأداء الأمانات إلى أهلها، والرجوع بمهام الأمور إلى أهل الذكر والاختصاص، وما إلى ذلك من المبادئ العامة التي لا يستطيع أن يشذ عنها قانون يراد به صلاح الأمة، كما أحاط القرآن بما يحفظ مصالح ومقاصد أمور الدين والدنيا، ويحقق للإنسان حياة كريمة محفوظة من عبث العابثين أو تلاعب المرجفين.

كما جاءت السنة موافقة لما جاء من أحكام القرآن ومبينة وموضحة له، أو موجبة لما سكت القرآن عنه وفيه مصلحة للبشرية، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده[1].

الحق في الحرية الاقتصادية:

جاء الإسلام بمذهب وسط في مجال الحرية الاقتصادية، فأعطى الإنسان مساحة يتحرك فيها ويمارس نشاطه الاقتصادي الذي يحقق له عبودية ربه و إعمار الأرض، فلم يعان الإنسان في ظله من مساوئ الانفلات الموجود في بعض الأنظمة الوضعية، أو الكبت والتقييد الموجود في أنظمة وضعية أخرى[2].

فالحرية في النظام الإسلامي ليست مقصودة لذاتها، بل هي وسيلة لمساعدة الإنسان على تحقيق الهدف الذي خلق من أجله، فالوسيلة تعطى بقدر ما يحقق الهدف، ولهذا فهي مضبوطة بضوابط شرعية من أجل الوصول إلى تحقيق ذلك الهدف الأسمى لضمان جلب المصالح ودرء المفاسد للفرد والمجتمع في دينه ودنياه، لأن المسلم لا يفصل دنياه عن آخرته، وهذا ما يجعل تفكيره مؤثراً في سلوكه لنفع نفسه ونفع الآخرين، فلا يقوم بالعمل الاقتصادي من أجل الكسب فقط، حتى لو أدى ذلك إلى الإضرار بالآخرين، لأن هذا مما يمنعه الإسلام.

وعلى هذا فالحرية الاقتصادية في الإسلام مضبوطة بعدد من القيود نذكر منها إجمالاً[3]:

---

(١) السياسة الشرعية والفقه الإسلامي، عبد الرحمن تاج، دار التأليف، القاهرة، ط١ (١٣٧٣هـ)، وينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، د. محمد سعد اليوبي، دار الهجرة، الدمام، ط١، (١٤١٨هـ).

(٢) ينظر: ((مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام))، د.سعيد بن سعد مرطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٩ه، و((أصول الاقتصاد الإسلامي)) د.رفيق يونس المصري، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ.

(٣) مستفاد من ((النظام الاقتصادي في الإسلام)) د.عمر المرزوقي وآخرون، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، =

أ- تطبيق أحكام الإسلام في الحلال والحرام، فيحرم إنتاج أو استهلاك السلع والخدمات الخبيثة المضرة بالإنسان، مع وجوب المحافظة على الضروريات التي لا تستقيم حياة المجتمع إلا بها، إضافة إلى تحريم طرق الكسب غير المشروع بكل صورة لقوله تعالى: **﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾** [الأعراف: ١٥٧][(١)].

ب- الالتزام بعدد من الواجبات الشرعية الاقتصادية من الإنفاق الواجب على من يعول، وأداء الزكاة الواجبة وما في حكمها، لأن المال مال الله تعالى، وقد استخلف الإنسان فيه، فلا تكون حريته مطلقة؛ بل هي مقيدة بقيود الشرع؛ وهذا ما يجعل الحرية الاقتصادية في الإسلام مثالاً رائعاً ومخرجاً سليماً للأزمان التي تعصف بالأمم حيناً بعد آخر، بسبب الانفلات الذي وقعت فيه تلك الأمم، والحرية المطلقة التي يملكها أصحاب المال والمؤسسات والبنوك، بدون أي ضوابط أو حقوق مما أدى إلى تفاقم هذه الأزمات.

ج- تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة حال التعارض، فإذا تعارضت مصلحة الفرد المالية مع مصلحة المجتمع يقدم المجتمع على الفرد، كحال الاحتكار مثلاً الذي يقصد به الامتناع عن بيع سلعة أو خدمة مما يؤدي إلى الإضرار بالناس لقوله ﷺ: **(من احتكر فهو خاطئ)**[(٢)].

فالأصل أن الإنسان في الاقتصاد حر إلا إذا أدى ذلك إلى الإضرار بالناس، فيمنع من هذا الإضرار، ويقدم حق المجتمع على حق الفرد[(٣)].

= ١٤٢٧هـ (١١٥ – ١٢٨).

(١) وقد استثنت المملكة العربية السعودية عدداً من البنود عند توقيع اتفاقية منظمة التجارة العالمية لتعارضها مع الإسلام، وهذا جزء من الحوار الحضاري الفاعل، ينظر: ((مفهوم العولمة بلغة مفهومة تجربة المملكة في منظمة التجارة العالمية))، د. فواز العلمي، دار المريخ، الرياض، (٢٠٠٨م)، وكذلك بحث مقدم من د. فواز لمنتدى الرياض الاقتصادي، طبع المنتدى، (٢٠٠٨م).
وينظر: ((القطاع الزراعي في ظل انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية))، د. عبد الله العبيد، من مطبوعات وزارة الزراعة السعودية، الرياض، ١٤٢٧هـ.

(٢) رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات، (٣٠١٢).

(٣) أحكام المال الحرام وضوابط الانتفاع والتصرف به، د. عباس الباز، دار النفائس، الأردن، ط٢، ١٤٢٠هـ، وينظر: ((مقدمة في أصول الاقتصاد الإسلامي))، محمد علي القري، دار حافظ، جدة ط١، (١٤١١هـ).

الحق في الحرية الاجتماعية:

الحرية الاجتماعية تشمل كل فعل اجتماعي لا يتعارض مع الشريعة، وهي باب المباحات الكبير، وهو التخيير بين الفعل والترك، والقاعدة الأصولية المعروفة تقول: «الأصل في الأشياء الإباحة»، وهي تعني أن الإنسان حر مسموح له بالتصرف في الحياة كيفما يشاء ما لم يرتكب محظوراً شرعياً، ومن المعلوم أن المسلم يثاب على المباح إذا اقترن بنية صالحة، كما قال سبحانه: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [البقرة: ٢٩]، فقد أخبر سبحانه أنه خلق جميع ما في الأرض للناس، مضافاً إليهم باللام، واللام حرف إضافة، وهي توجب اختصاص المضاف بالمضاف إليه، واستحقاقه إياه من الوجه الذي يصلح له، فيجب إذاً أن يكون الناس مملكين ممكنين لجميع ما في الأرض فضلاً من الله ونعمة، وخص من ذلك بعض الأشياء وهي الخبائث، لما فيها من الإفساد لهم في معاشهم أو معادهم، فيبقى الباقي مباحاً بموجب الآية[١].

والأصل في الحرية الاجتماعية قوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة/٢]، فكل فعل اجتماعي لا يتعارض مع الشريعة فهو حق من حقوق الإنسان، ويدخل في ذلك السلوك الاجتماعي في طبيعة حفلات الأعراس، واللباس، والأكل والشرب، وطرق البناء للمنازل والأسواق وغيرها[٢].

لكن الأمر الأهم في الحرية الاجتماعية أنها في الإسلام تقوم على حفظ كيان المجتمع، وتقديم مصلحة الفرد، وتؤصل لمبدأ الأخلاق، والقيم، والمحافظة على وحدة وبناء الأسرة الصغيرة، والمجتمع الكبير الذي يعيش فيه الإنسان، خلافاً للحرية المزعومة في الفلسفات الوضعية، والتي أعطت الفرد مساحة كبيرة يتحرك فيها دون قيود ولا ضوابط، ودون احترام للآخرين أو المجتمع، فهو بداعي الحرية الاجتماعية يمارس كل أمر يراه مناسباً في بيته أمام الناس، ولا يمتنع عن الوقوع في مساوئ الأخلاق بدعوى الحرية الاجتماعية، وهذا هو المزلق الخطير الذي جعل أغلب بلدان الغرب تعيش تفككاً هائلاً ومستوى متدنياً من الأخلاق

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢١/ ٥٣٥).

(٢) حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية، د. عبد السلام الترمانيني، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

الاجتماعية بسبب فشو ما يسمونه (الحرية الاجتماعية).

ثم إن المسئولية الاجتماعية التي تحدد ضوابط الحرية الاجتماعية ليست للأفراد فحسب، بل هي لوسائل الإعلام التي يجب عليها أن تضبط مفهوم الحرية الاجتماعية، فضلاً عن الأنظمة والقوانين التي تصدرها الدول لحفظ الأخلاق والممارسات العامة.[1]

وعند الرجوع إلى معنى الحرية في اللغة الإنجليزية: **Liberty**، **Freedom** نجدها تطلق على «المتسامح، والمتحرر، والمتساهل، في التزام السنن والأشكال التقليدية»[2]، وربما عرف الغرب شعار الحرية - بشكل واضح - لأول مرة في الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) بشعارها الثلاثي: الحرية، والإخاء، والمساواة. والمقصود بالحرية في هذا الشعار المزعوم الحرية المطلقة في أن يعتقد الإنسان فيما يرغبه ويعمل ما يحلو له فليس هناك قيم أو أخلاق مرتبطة بالدين والتقاليد .. بل كان أهم أهداف هذه الثورة تغيير الأوضاع السائدة ولا سيما طغيان رجال الكنيسة التي حاربت العلم والتقدم، مما جعل أول اهتمامات الثورة التحرر من كل ما له صلة بالدين[3]، وبهذا يتبين أن الحرية في الغرب ما هي إلا ردة فعل لما حصل من الكنيسة، وليست ذات جذور دينية، فأي دين ذلك الذي يدعو إلى الانفلات بدافع الحرية، ويدعو إلى ممارسة الرذيلة ويدفعُ الناس إلى الإباحية والإلحاد ... فكيف يقوم المجتمع الغربي ويتعاون مع الآخرين وهو يدعو إلى هذا النوع من الحرية؟ إن الحرية الحقيقية هي التي كفلها الإسلام لأصحابها وقيدها بقيود الذين ورفعة شأن الحياة[4].

---

(١) بناء المجتمع الإسلامي، د. عبد الرحمن بن مبارك الفرج، دار الفرقان، الرياض، ط١ ١٤١٨هـ، وينظر «المجتمع الإسلامي»، د. مصطفى عبد الواحد، دار البيان العربي. جدة، ط٢، ١٤٠٤هـ.

(٢) نقلاً عن «تسامح الغرب» مرجع سابق (١١٧).

(٣) النظام السياسي في الإسلام، د. سعود بن سلمان آل سعود وآخرون، مدار الوطن، الرياض، ط٣ (١٤٢٩هـ) (١٦٣- ١٦٩) وينظر: «الحوار مع أهل الكتاب» للقاسم، مرجع سابق (٩٣).

(٤) العلمانية، د. سفر الحوالي، دار الهجرة، جدة (ب ت) (٢٣٠- ٢٣١)، وينظر: «أوربا في العصور الوسطى» سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، (١٩٦٤م).

المبحث الثالث

الأصل العلمي

وفيه مطالب:

المطلب الأول: تكامل البشرية.

المطلب الثاني: نشر العلم والثقافة.

المطلب الثالث: حق المواطنة.

المطلب الأول: تكامل البشرية

جعل الإسلام غاية الإنسان في الحياة هي أن يحقق الخلافة في الأرض، ومن أعظم مهمات الخلافة عبادة الله، فتلك هي المهمة التي من أجلها خلق، والتي بها كلف، وعليها يحاسب يوم الدين، وذلك ما يتضمنه قوله تعالى في قصة خلق آدم u مبيناً مهمة هذا المخلوق الجديد: â**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** á [البقرة: ٣٠]، وليس المقصود بالخليفة شخص آدم فقط، بل المقصود به نوع الإنسان عامة، وذلك من أجل تنفيذ مراد الله في إقامة الحياة على الأرض، إذ من معاني الاستخلاف التكليف بتنفيذ الأوامر، فالخليفة آدم، وخلفيّته قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض[١].

إن غاية حياة الإنسان إذن أن يقوم بحركة تعمير في الأرض وفق أوامر الله ونواهيه، بحيث يكون في كل منشط مادي أو معنوي متجهاً إلى الله تعالى، يستجلي مراده ويتحراه، ويبتغي مرضاته، ويجد في الفوز بها.

وبهذا المعنى تكون حركة الإنسان على الأرض في كل اتجاهاتها الفردية والجماعية، والمادية والمعنوية حركة عبادة لله تعالى، ويصبح بالتالي مفهوم التحضر الذي هو الطور الراقي من حركة الإنسان مفهوماً مشرباً معنى العبادة لله؛ إذ هو وجه من وجوه الإنجاز لمهمة الخلافة، والخلافة في جوهرها قائمة على العبادة، كما يبينه قوله تعالى: â **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** á [الذاريات: ٥٦]، وليست عقيدة الخلافة قائمة على معنى التعبد المحض (بالمعنى الخاص)[٢] المتمثل في الشعائر المعروفة، وإنما هي قائمة على العبادة بمفهوم عام تصير به كل حركة الإنسان المادية والمعنوية عبادة لله تعالى، فإذاً مهمة الخلافة بذلك تدفع الإنسان إلى الاستثمار المادي للكون في أعلى درجاته لتحقيق الرفاه وإحكام السيادة على الأرض، وهذا

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٣٩٩) مرجع سابق.

(٢) لأن أصل عمل المسلم كله عبادة لله إذا أخلص النية كما قال سبحانه: â قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ á [الأنعام: ١٦٢]، لكن المراد الشعائر المحضة والعبادات المفروضة.

المعنى يعطي للتحضر الإسلامي بعداً خاصاً به يميزه عن سائر أنماط التحضر الأخرى، إذ هو يدرجه في إطار العبودية لله، فهو إذن في كل عناصره ومظاهره مسيرة إنسانية نحو الله تعالى، وهو تبعاً لذلك يقاس في ارتقائه وهبوطه بمقياس الاقتراب من الله والبعد منه ... ولا نعلم حضارة أخرى تشارك الحضارة الإسلامية في هذا المعنى، فهي إما حضارات مقطوعة الصلة بالله أصلاً، وإما هي ترتبط به في جزء روحي منها دون سائر المجالات الأخرى[1].

والفرد في هذا الكون لا يمكن أن يستقل بحياته منفرداً، صحيح أن في فطرة الإنسان منزع فردي يدفعه إلى إثبات الذات وتحقيق الفردية، لكن في فطرته منزع آخر، وهو الاجتماعي الذي يدفعه إلى التآلف مع الآخرين لحفظ ذاته وحفظ نوعه، ولا يكون هذا إلا بالتآلف والتكامل البشري الذي يدفع الفرد إلى التعاون مع الآخرين، فيقوم كل فر د وكل مجموعة في المجتمع مقام الكفيل لكل الأفراد والمجموعات الأخرى على قدر الوسع، فيكمل بعضهم بعضاً، ويحسن بعضهم إلى بعض ، ويقدم بعضهم خبرته ونتاج عمله إلى الآخرين ليكملوا مسيرته، فيكون المجتمع بأسره مستنفراً طاقاته التكميلية في بناء المشروع الحضاري الإسلامي بمنهج (النفير العام) الذي يعيش أصحابه الاستشعار الدائم لخطورة المهمة المدعو إليها، واستنفار القوى كلها لتحقيق المصلحة والحشد الجماعي للإنجاز، مع أعمال القوة[2].

والتكامل البشري ظاهر في حياة الناس بدءًا بالجنسين (الذكر والأنثى) فقد قال الله تعالى: â **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** á [النساء: ١]
فمسؤولية الإنسان عظيمة ممتدة في الحياة لا يستطيع الرجل أن يحققها وحده ولا المرأة وحدها، وإنما هي مسؤولية مشتركة بين الرجل والمرأة، حين يقوم الرجل بالتكاليف المنوطة به، وتقوم المرأة بالتكاليف المنوطة بها، وتظل المرأة امرأة، ويظل الرجل رجلاً، لكلٍ منهما طبيعته ووضعه وخلقته التي لا يستغني بها عن الآخر[3].

---

(١) فقه التحضر الإسلامي، د. عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ (١٩٩٩م) (٥١ – ٥٤) بتصرف.

(٢) المرجع السابق (٧٦ – ٧٧).

(٣) ينظر المرأة بين نهجين الإسلام أو العلمانية، د. عدنا النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، =

وقد وهب الله الرجل فضلاً يتناسب مع ما كلفه به من القوامة والحماية والعمل والبذل والسعي في طلب الرزق، ووهب المرأة طبيعة تناسبها للإنجاب والتربية والقيام على الأسرة، وهما يكملان بعضهما، وتقوم الحياة على هذا التكامل، فهما كالجسد الواحد لا يستغني بعضه عن بعض، وبينهما مساواة تكامل لا تماثل، فبعضهما يكمل حياة الآخر، وبهما تتكامل الحياة قال تعالى: â **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ** á [النساء: ٣٢]، وتكامل البشرية يحصل أيضاً بالتربية العظيمة التي يتلقاها البشر على يد أنبيائهم، فكل نبي يبعث إلى قومه ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويكمل مشوار النبي الذي قبله، حتى إذا وصلت البشرية إلى كمال استحقاقها بعث فيهم نبينا محمداً r الذي أكمل الله به الرسالات، وكمل به الملة، ونسخ به الشرائع قبله، يقول r: **(مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، فجعل الناس يطيفون به يقولون: ما رأينا بنياناً أحسن من هذا إلا هذه اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة)**[1].

وجاء الإسلام ليؤكد حقيقة عظيمة وهي أن البشر يكمل بعضهم بعضاً، ويستفيد بعضهم من بعض؛ ولذا تكاثرت النصوص الشرعية الحاثة على التعاون على البر والتقوى وترك التعاون على الإثم والعدوان، كما قال سبحانه: â **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** á [المائدة: ٢]، ((فالاجتماع الإنساني ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع، وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفية له بمادة حياته منه، ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه، وهو قوت يوم واحد من الحنطة مثلاً، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ، وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار

= ١٤٢٠هـ، وينظر: ((المرأة المسلمة بين غرائز البشر وهداية الإسلام))، د.جابر طعيمة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، (١٤٢٨هـ) (١٧٦ بتصرف).

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي r وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (٢٢٨٧)، وسبق حديث بلفظ مقارب في الحديث عن حرية الاعتقاد، ص ١٠٧.

وفاخوري، وهب أنه يأكل حباً من غير علاج، فهو أيضاً يحتاج في تحصيله حباً إلى أعمال أخرى أكثر من هذه الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل، ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير، ويستحيل أن تفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد، فلا بد له من اجتماع القُدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف، وكذلك يحتاج كل منهم أيضاً في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه))[١].

فلا يمكن للإنسان أن يعيش معزولاً عن الحياة، ولا يمكن لأمة أن تغلق على نفسها دون أن تستفيد من غيرها؛ فالتكامل البشري صفة ملازمة للحياة ... فالعامل بيده والعامل بعقله والعامل بلسانه، والباذل بماله كل يكمل صاحبه، بل الأمة الزارعة تحتاج إلى الأمة الصانعة، والأخرى لا غنى لها عن مالكة الأرض أو الأموال، وهكذا هي الحياة سلسة في التكامل والعطاء المستمر إلى يوم القيامة.

ومن أعظم صور التكامل، التكامل العلمي، وهو بذل العلم ونشره لمن يملكه؛ لأن من عنده فضل علم بذله لمن ليس له علم؛ ليتحقق تكامل البشرية ويستفيد بعضهم من بعض قال ﷺ: **(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)**[٢].

وقد سطرت الحضارة الإسلامية أروع الأمثلة في مجال تكامل البشرية، ونفع الآخرين بما لا يسع المجال لذكره، بل لقد جعل الإسلام بذل المعروف والنفع للغير من أعظم الصدقة[٣]، وفي ذلكم يقول النبي ﷺ: **(على كل مسلم صدقة، فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر، فإنها له صدقة)**[٤].

---

(١) مقدمة ابن خلدون (٤١ – ٤٣) مرجع سابق.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ح (٥٠٢٧).

(٣) ينظر: موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، خديجة النبراوي، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ) (٥/ ٢٧٠٧ – ٢٩٠٠) ففيها نصوص عظيمة وكثيرة في هذا المجال، وينظر: ((موسوعة نضرة النعيم)) إعداد مجموعة من المختصين، دار الوسيلة، جدة، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ) (٣/ ١٠٠٨ – ١٠٤٩).

(٤) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب على كل مسلم صدقة فمن لم يجد فليعمل بالمعروف، ح (١٤٤٥)، =

همـــوم رجـــال في أمـــور كـــثيرة وهمـــي مـــن الـــدنيا صـــديق مـــساعدُ

نكـون كـروحين بـين جـسمين قـسمت فجـسماهما جـسمان والـروح واحـد[1]

ويقول ﷺ موصياً أصحابه على بذل التكامل: (**إنه سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فرحبوا بهم، وحيوهم وعلموهم**)[2].

لقد أصبحت سمة العصر الحاضر هي سمة التكامل البشري التي تؤكد أن العالم لا يمكن أن يستغني بعضه عن بعض، وإن الفرد يرتقي به عطاؤه إلى الجماعة، ليلتقي الجميع في ثقافة التلاقي المشترك التي يكمل بعضها بعضاً.

ولقد باتت اليوم مؤسسات البحث والتوثيق ومراكز الدراسات ودور النشر ومنتديات الثقافة وروابط الكتاب والعمل المؤسسي والصلة الجماعية هي سمة المجتمعات.

إن الإسلام ينظر إلى الكون والحياة والبشر نظرة شمولية عظيمة، يحدد لكل إنسان دوره ويدعو إلى التكامل في الحياة، ويؤكد عالمية هذا الدين الذي يصلح لكل زمان ومكان، بل ويُصلِح كل زمان ومكان، ولا يحتقر أحداً من البشر لمجرد عمله أو لونه أو جنسه، بل يؤكد على أخذ الفائدة من كل أحد، (**والحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها**)[3]. وهو بهذا ينفي أن أصحابه هم الكمل وأن غيرهم ناقص، وأن حاجتهم لغيرهم منقطعة، بل إنه يجعل من البشر مكملين بعضهم لبعض، متعاونين في حياتهم، وهذا هو الفرق بين الإسلام في نظرته لتكامل البشرية، ونظرة الأديان المحرفة لغيرهم من البشر.

يقول منوني الكاتب المتخصص بنفسية الاستعمار: «إن الأوربي يحب عالماً دون بشر»[4]، بل إن مصطلح التفرقة العنصرية إنما ظهر من أقوام ترى التمييز بين الأجناس في

= واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ح (٢٣٣٣).

(١) أدب الدنيا والدين، الماوردي، دار الريان للتراث، بيروت، ط١ (١٤١) (١/ ٢٧٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب الوصاة بطلبة العلم (٢٤٧)، وقال في الزوائد: إسناده ضعيف، وضعفه الألباني «ضعيف الجامع الصغير وزياداته» ح (٢٠٧٠).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) قراءة في فكر مالك بن بني، محمد العبدة، مجلة البيان، العدد ١٧، شعبان (١٤٠٩هـ) ص ٤٢.

القوانين والمعاملات على أساس الدم والخصائص البيولوجية وما يتبع ذلك من الحياة الفكرية ومظاهر السلوك والعمل والعطاء، فمن كان ناقصاً لا يمكن أن يكون مكملاً لغيره من البشر في العمل وعمارة الأرض.

قال الله تعالى: â **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ** á[المائدة: ١٨]، واستمر هذا الاستعلاء في حياتهم حتى قسموا البشر إلى طبقة عليا ودنيا، وإلى خدم عاملين وحكماء مخدومين، بل إن الكنيسة نفسها شاركت في إقرار هذا الظلم، فجعلت للزنوج كنيسة خاصة بهم، ولا يصح لهم أن يعبدوا ربهم في كنائس البيض)[١].

إن من الأصول المهمة لقيام حوار الحضارات أن يوقن المتحاورون أن البشرية يكمل بعضها بعضاً، ويستفيد بعضها من بعض، فلا غنى لأحد عن أحد، ومن اعتقد استعلاءه على الآخرين، وأنه الأحق بالحياة وبما أودعه الله في الكون، وأن بقية الشعوب والأمم ما هم إلا عبيد وخدم عنده، فإن هذا الاعتقاد سيقطع كل تواصل، ويمنع كل صورة من صور الحوار المثمر.

# # #

(١) أعمدة الاستعمار الأمريكي ومصرع الديمقراطية في العالم الجديد، فيكتور بيرلر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ترجمة: أحمد فؤاد (٨٢).

المطلب الثاني

نشر العلم والثقافة

العلم جملة من المعارف المتنوعة التي يحصل عليها المتعلم، والثقافة تأخذ بهذه المعارف إلا أنها تتميز بالتنوع والشمول، فمن أخذ شيئاً من كل شيء فقد أصبح مثقفاً، وأما العلم فيتميز بالتخصص، فمن أخذ كل شيء تقريباً من شيء واحد فقد أصبح عالماً، ولذا يطلق على الثقافة أنها جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحِذقُ فيها[١].

وثمة علاقة بين الثقافة والحضارة، إذ تتناول الحضارة جملة من مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي التي تنتقل من جبل إلى آخر في جوانب الحياة المادية، أما الثقافة فهي جملة العلوم والمعارف التي يطلب الحذق فيها، فهي تهتم بالجوانب المعنوية، وهي لصيقة بكل أمة حسب حالها وثقافتها، وإن كانت بعض الأمم تعتبرها هي الحضارة، أما الحضارة فهي أكثر التصاقاً بالجوانب المادية، هذا من باب الفرق النظري، وإلا فهما في الجانب العملي مرتبطان ارتباطاً وثيقاً؛ لأن ثقافة كل أمة هي أساس حضارتها ونهضتها وتفكير أبنائها وأسلوب حياتهم، وما يتشربونه منذ أن تتفتح عيونهم على الحياة[٢].

والثقافة بمدلولها الواسع منها الصالح ومنها الطالح، منها ما يصلح المجتمعات ومنها ما يفسده، ولهذا يسعى المخلصون إلى نشر الثقافة السليمة التي تبني العقول، وتحترم المبادئ العامة، وتفيد الأمم في نهضتها وبناء حياتها، وتبعدها عن الرزايا ومساوئ الأمور. وهنا يبدو سؤال: هل يمكن أن يكون بين الثقافات المختلفة صراع؟ ولماذا يحصل الصراع بين الثقافات إن وجد؟.

تنطلق نظرية هنتنجتون – كما أسلفنا- من فكرة الصدام بين الثقافات، وأن الثقافة الغربية ستلاقي صداماً مع ثقافات أخرى لا يمكن أن تسمح لها بالانتشار، وهذا التأطير للصراع

---

(١) المعجم الوسيط، د.إبراهيم أنيس وآخرون، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط١، ١٩٧٣م.

(٢) لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ (ص ٤٢) بتصرف، وينظر: ((نحو ثقافة إسلامية أصيلة)) د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط٣، ١٤١٢هـ).

الحضاري هو عمل خطير وخاطئ، فهو خاطئ لأنه يتجاهل الحقيقة التاريخية والواقعية التي تؤكد بوضوح شديد وبشواهد لا حصر لها أن الصراع كان ومازال قائماً ومتجدداً بين البشر، لكن ليس سببه الاختلاف الثقافي، وإنما القوى والعوامل السياسية في كل ثقافة تستغل هذا الاختلاف وتستخف الأتباع بالخداع والتلبيس وبالترهيب والترغيب، وبحجب الحقائق أو إساءة تفسيرها، وتدفع الجموع المخدوعة الواهمة إلى الموت وهم يجهلون أنهم يعملون لتحقيق المآرب الانتهازية لقادة الكره والعدوان، وليس دفاعاً عن الحق والعدل.

إن الدارس للتاريخ والمتأمل للأوضاع البشرية، والمهتم بالتعرف على مختلف الثقافات سوف يتوصل إلى أن الثقافات لا تتصادم بحافز من داخلها، لأن القيم الإنسانية العظيمة هي قيم مشتركة بين كل الثقافات، فالبشر يؤمنون جميعاً بأنهم من آدم، وهم يتماثلون في تكوينهم الفطري، ولا يوجد في الدنيا ثقافة إلا وهي تدعو إلى العدل وتنهى عن الظلم، وتهتم بمعايير الأخلاق وتنهى عن مساويها[1].

لقد حث الإسلام أتباعه على العلم تلقياً ونشراً، لما فيه من الإسهام العظيم لنهضة حياتهم ونفع غيرهم، وهي مهمة لا يمكن أن تصطدم بها ثقافة أو ترفضها فكرة بشرية، بل يكفي العالم كله أن يعلم أن أول آيات نزلت في القرآن العظيم هي قوله تعالى: â**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)**á [العلق: ١ - ٥].

فافتتحت الآيات بالأمر بالقراءة الناشئة عن العلم، ثم خصت ذكر الإنسان من الخلق لشرفه مذكراً سبحانه في الآية أنه هو الذي علمه ما لم يعلم، فاشتملت هذه الكلمات على أنه معطي الموجودات كلها بجميع أقسامها، فإن الوجود له مراتب أربع:

إحداها: مرتبتها الخارجية المدلول عليها بقوله: (**خلق**).

الثانية: الذهنية المدلول عليها بقوله: (**علم الإنسان ما لم يعلم**).

---

(١) خطاب إلى الغرب رؤية من السعودية، إعداد مجموعة من العلماء والمثقفين السعوديين، دار غيناء للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ (٣١ – ٣٦) بتصرف.

وينظر في هذا: ((مبادئ التعايش السلمي في الإسلام)) د. عبد العظيم المطعني، دار الفاروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

الثالثة والرابعة: اللفظية والخطيَّةُ، فالخطيّة مصرح بها في قوله (**علم بالقلم**)، واللفظية من لوازم التعليم بالقلم، فإن الكتابة فرع النطق، والنطق فرع التصور[١].

فالإسلام يأمر بالعلم ويحث عليه ويدعو إلى نشره، بل يجعل العلم والسعي إليه جهاداً يتحقق معه للإنسان مرتبة عظيمة، ولذا يروى في الأثر مرفوعاً: (**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**)[٢].

وقد سطر التاريخ الإسلامي صوراً عظيمة في نشر العلم وتسهيل أمره وإنشاء المكتبات ودعم مرتاديها بما يحقق لهم نيل العلم والحصول عليه، وهذا من أعظم الدلالة على حرص المسلمين على العلم ونشره ونفع أهله، وهذا لكل علم نافع من علوم الدين والدنيا، بل لقد عرف التاريخ نهضة كبيرة في نشأة المكتبات العامة والخاصة، حتى صار بعض الناس يوقف أمواله على الكتب والمكتبات[٣].

كما برز في الثقافة الإسلامية الاهتمام بنشر الكتب ونقلها إلى الغير، والإفادة من ثقافات الغير القائمة إبّان قيام الحضارة الإسلامية، مما رأته مناسباً لها ومبادئها ومنطلقاتها.

وقد شجع الخلفاء المسلمون حركة النقل والترجمة، وكان معظمهم يُعَدُّ في مصاف العلماء، فأغدقوا على النقلة والمترجمين والمؤلفين والوراقين، وقربوهم واستعانوا بهم في أمور الخلافة، فكان لهذا أثره على العلم نقلاً وتوليفاً، ولم يقف الدور عند النقل فحسب؛ بل طبعوا ما نقلوه بما لديهم من علم، وأخضعوه لما لديهم من خلفية إسلامية، فجاء مصقولاً منقحاً، ندرك فيه اللمسات الإسلامية، من حيث التأصيل الإسلامي للعلوم[٤].

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، مرجع سابق (١/ ٨٢).

(٢) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب فضل طلب العلم، ح(٢٦٤٧)، وضعفه الألباني، ورواه الطبراني في المعجم الصغير (١/ ١٣٦)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ١٧)، وهو ضعيف.

(٣) ينظر: الفهرست، محمد بن إسحاق بن النديم، دار المعرفة، بيروت، ط٢ (١٤١٧هـ) اعتنى به: إبراهيم رمضان، وينظر: ((الكتب والمكتبات بين القديم والحديث)) عبد الستار الحلوجي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٢ (١٤٢٢هـ)، وينظر: ((دراسات في الكتب والمكتبات))، عبد الستار الحلوجي، مكتبة مصباح، ط١ (١٤٠٨هـ) ص ١٥.

(٤) مراكز النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، د. علي إبراهيم النملة، الرياض، ط٢، (١٤٢٤هـ) (١٦٩ — ١٧٣) بتصرف.

وعليه يمكن القول: إن نشر العلم والثقافة أصبح معتركاً كبيراً في عصرنا الحاضر، وبخاصة مع انتشار وسائل الاتصال الحديث التي أصبحت أداة لنقل العلوم والمعارف بين الأمم، فما يكتبه الواحد في أقصى الشرق يطلع عليه الآخر في أقصى الغرب في نفس وقت كتابته، مما يعني ثورة هائلة في مجال الاتصالات أسهمت في نقل العلم والثقافة بين الشعوب، وهذا يحتم على المسلمين وهم يدخلون في حوار حضاري مع الأمم الأخرى أن يستغلوا هذه الفتوحات العصرية لنقل ثقافتهم وإيصالها إلى الآخرين بكل قوة، وألا يكون همهم الانهزام أو تقديم صورة مشرقة عن الإسلام على حساب الانهزامية، أو إخفاء الحقائق الشرعية؛ لأن هذا منزلق خطير قد يقود البعض إلى إهدار كثير من القواعد العلمية والقضايا الفقهية[1].

وكما قدم المسلمون صوراً من ثقافتهم للآخرين، فإنهم عايشوا ثقافة الآخرين، وذلك بقبول كل مواقف الإنسان الحياتية التي تعبر عن الرقي في حياة الأفراد والجماعات، مما يخدم حياتهم ويصلح شؤونهم ... وأدل الأمور على ذلك ما فعله عمر بن الخطاب t من تنظيمات حياتيه للمسلمين أدخلها عليهم من ثقافات الأمم الأخرى لما رأى t أن المصلحة فيها للناس، وهذا لعمر الله من فقهه t [2].

وإذا كانت الثقافة هي التعبير عن ما توصلت إليه الأمم في شؤون حياتها، فإن آداب العرب وثقافات المسلمين وسلوكيات الأفراد والجماعات جسدت ثقافة حية متنوعة وعالمية، كونت مزيجاً رائعاً في تحرير الإنسان وتحريك عقله ونفسه وتعليقه بربه، الأمر الذي جعل المنصفين من الغرب يقرون بحضارة العرب[3]، ويكتبون عنها بكل إنصاف، بل يصفون الإسلام بأنه: (الدين الثقافي العظيم)، وما ذاك إلا بسبب هذا التواصل الحضاري الذي تبنته الثقافة الإسلامية، ولعل أبرز دليل على هذا الأمر أن الإسلام والمسلمين وصلوا بأنفسهم وثقافتهم إلى كل الدنيا، ومثلوا خمس العالم عدداً، وناهزوا المليار ونصف المليار مسلم، وغطوا نحو ٥٨

---

(١) أزمة الحوار الديني، جمال سلطان، دار الوطن، الرياض، ١٤١٢هـ، وهو رأي معالي د. على النملة في اللقاء الذي أجريته معه.

(٢) عصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، (١٤١٩هـ).

(٣) حضارة العرب، جوستاف لوبون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، (١٣٩٩هـ) نقله إلى العربية: عادل زعيتر، وينظر: ((جوستاف لوبون وإنصافه للحضارة العربية)) فهد السنيدي، بحث مقدم لمؤتمر (الاستشراق) المنية، (١٤٢٧هـ).

دولة كأكثرية، وكل دول العالم الأخرى كأقلية، كما استقبلوا وتعايشوا مع الآخرين ونشروا ثقافتهم دون تزعزع عن دينهم أو تنازل عن مبادئهم[١] .

ومع هذا فإن المسلمين لم يجبروا أحداً على ثقافتهم، ولم يجعلوها مقايضة بأمور أخرى يقدمونها للشعوب، بل إنهم لم يقدموا ضمن ثقافتهم ما يعتبر هدماً للقيم وخراباً للأمم، وهذا ما شهد به الأعداء قبل الأصدقاء[٢].

أما الطرف الآخر فقد ركز الاستعمار الغربي على تسيير المجتمعات الإسلامية نحو الوجهة التي هيمن عليها، فقام أساتذته وباحثوه بوضع مناهج مدروسة، وخطط إستراتيجية متعددة، وفتح مدارس على كافة المستويات، من رياض الأطفال حتى الجامعات، بالإضافة إلى التفاته إلى البعثات التي تفد إلى دياره، وذلك بغية فرض لغة المستعمر وعلومه، وثقافته، بل ومدنيته، تيسيراً له في التعامل مع المسلمين، وتمهيداً لتغيير صورة الاستعمار بالجيش والعتاد والقوة والسلاح إلى أسلوب جذاب يعتمد حراسة مصالحه[٣].

ولسان حال القوم يقول: يجب على المسلمين باسم العلم والتطور أن يكونوا غربيين في موقفهم من الحياة، وفي فهمهم للإسلام ديناً، وهم ليسوا بحاجة إلى أن يكونوا نصارى باعتناق النصرانية ديناً وعقيدة، بل يجب أن يكون سلوكهم وتحديد موقفهم من أحداث الحياة المتجددة سلوكاً غربياً صرفاً ... وأن يكون عندهم من التسامح الذي يدعوهم إلى مسايرة ركب الحضارة والمدنية والتطور – حسب تصور الغرب – مهما كان في هذا التسامح من تنازل أو دنو أخلاقي أو انحطاط فكري، وهذا ما يدعو إليه بعض منظري الحضارة الغربية بوجهها اللاأخلاقي[٤].

وقد صرح بها بعض قيادات الغرب في أقوال لهم تدل على أن نشر ثقافتهم في البلاد الإسلامية تهدف إلى مسخ عقول أبناء الإسلام وإخراجهم عن دينهم، وتغييب الجوانب

---

(١) رأفت غنيمي، مقال سابق على شبكة المعلومات.

(٢) الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب، أحمد بن حجر آل بوطامي، مكتبة الثقافة، الدوحة، ط٣ ١٣٩٨هـ، وينظر: ((الإسلام منقذ الإنسانية)) محمد عطية الأبراشي، المكتبة العصرية، القاهرة، (ب.ت)..

(٣) لمحات في الثقافة الإسلامية، مرجع سابق (١٦١ – ١٦٤) بتصرف.

(٤) ينظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلة بالاستعمار الغربي، ، د. محمد البهي، دار الفكر، بيروت ط٦، ١٣٩٣هـ، وينظر: ((في الحضارة وأمراضها والتقدم والتخلف)) د. نعمان السامرائي، مكتبة المعارف، الرياض، (١٤٠٨هـ).

الأخلاقية في حياتهم ... فمن أقوالهم[١]، ما أكده اللورد لويد[٢] – المندوب السامي السابق لبريطانيا في مصر – حيال نشر ثقافتهم إذ قال: ((إن التعليم الوطني عندما قدم الإنجليز إلى مصر كان في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين، والتي كانت أساليبها الجافة القديمة تقف حاجزاً في طريق أي إصلاح تعليمي. وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون معهم قدراً عظيماً من غرور التعصب الديني ... فلو أمكن تطوير الأزهر لكانت هذه خطوة جليلة الخطر)).

ويقول القائد الفرنسي الجنرال بيير كيللر[٣]: ((إن انتشار لغتنا، وإشعاع ثقافتنا وأعمالنا الإنسانية، وعظمة الأفكار والعبقرية الفرنسية، هي الأعمال المكملة لنا وسوف لن نهملها أبداً)).

وليس للباحث موقف معين من أي جهة تريد نشر ثقافتها وما تملكه من مقومات حياة؛ لأن واقع الحياة يفرض الاستفادة من الجميع، لكن الباحث يضع مقارنة يسيرة بين ما قام به المسلمون من نشر العلم والثقافة بالإحسان إلى الآخرين، وعدم إذلالهم وعدم إفساد أخلاقهم، وما قام به الغرب المستعمر من نشر ثقافته؛ بل فرضها على المسلمين من خلال استيلائه على بلادهم ومصادر ثرواتهم، ونشر القيم البعيدة عن الأخلاق من خلال المدارس المختلطة وتدريس المواد التي تمسخ قيم الثقافة الإسلامية، وتزدري اللغة العربية، وتقصيها من بلاد المسلمين، بل إنهم يمكنون لمن يكون في ركابهم ويحمي قيمهم، ويسير مع الانحلال الأخلاقي حيث سار ... وهذا هو البون الشاسع بين نشر العلم والثقافة في تاريخنا الإسلامي ونشر العلم والثقافة على يد المستعمر الغربي.

ومع ذلك فإن من الإنصاف أن لا ننكر إسهام الغرب في تأسيس المدارس الحديثة، ونشر

---

(١) مستفادة من كتاب: ((الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر))، د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، (١٤٠٧هـ) (٢/ ٢٨٥ – ٢٨٦).

(٢) اللورد لقب يضاف لاسم شخص، أو لمركزه في بريطانيا، وقد أطلق على عدد من الذين شغلوا مناصب أثناء الاستعمار في البلدان العربية، ومنهم اللورد لويد الذي كان مندوباً سامياً لبريطانيا في مصر أثناء حكم الملك فاروق، وهو أول مندوب سامي مدني، وكل من قبله كانوا عسكريين.

(٣) الجنرال كيللر: قائد فرنسي كان له وجود في الاحتلال الفرنسي في لبنان، وهو الذي وقع المعاهدة الفرنسية في لبنان، وقد أكد أن التربية بين عامي ١٩١٤- ١٩١٨م كانت بأيديهم.

الثقافة العلمية التي خدمت البشرية، وإدخال الأساليب المتقدمة في الحياة ... وهي أمور كثيرة لا يغفلها إلا جاحد، ولكن دول الغرب مع ذلك استغلت تفوقها المادي في السلب والنهب، وحرصت ألا تهب الشعوب المغلوبة قسطاً من المعرفة، وألا تنتقل إليها مظاهر حضارتها إلا بمقدار ما تعلم أنه ينفعها وحدها، وتبقى الأرض المفتوحة، وسكانها في أغلال رق مؤبد(١).

وعلى ذلك فإنه يجب على المسلمين أن يسلكوا جميع السبل التي توصل ثقافتهم إلى الآخرين، وتبرز صورة الحضارة الإسلامية، ومن هذه السبل على سبيل الذكر فقط(٢):

أولاً: إنشاء المؤسسات العلمية والبحثية التي يشرف عليها المتخصصون، وتضم في عضويتها الجامعات ومؤسسات البحث المهتمة بهذا الشأن.

ثانياً: إنشاء الجوائز العلمية العالمية لتاريخ العلوم عند المسلمين، تمنح للباحثين والمؤسسات العلمية عبر العالم ممن يقدمون أفضل الخدمات الفكرية والعلمية في إبراز التراث العلمي للحضارة الإسلامية.

ثالثاً: الاهتمام بالثقافة الإسلامية في المدارس والجامعات في العالم الإسلامية، وتحصين الشباب المبتعثين للخارج ليكونوا عوناً في نشر الثقافة والدفاع عنها.

رابعاً: الاهتمام بمواقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) الناطقة بعدد من اللغات العالمية لتكون مهمتها الأساسية التعريف بتراثنا وحضارتنا العلمية والإسلامية.

خامساً: التركيز على الجوانب الإعلامية الأخرى، مثل إنشاء ودعم القنوات الفضائية الهادفة والصحف والمجلات والإذاعات، بل وتوجيه هذه الوسائل الإعلامية إلى الغرب ومخاطبتهم بنفس لغتهم.

سادساً: إنتاج سلسلة من الأفلام الوثائقية وعلى درجة عالية من الاحتراف، توزع على

---

(١) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، ط٢، (١٤١٣هـ) ص (١٢٦). وينظر: ((تسامح الغرب مع المسلمين))، عبد اللطيف الحسين، مرجع سابق (١٣٠ – ١٣٦).

(٢) مستفادة من توصيات المؤتمر الدولي الأول في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، جامعة الشارقة، من ١٦ – ١٩ ربيع الأول ١٤٥٩، وورقة عمل ((دورنا في نشر ثقافتنا)) فهد السنيدي، مؤتمر الثقافة العربية، جامعة الظهران، ١٢ – ١٤ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ.

محطات التلفزة الفضائية للتعريف بمنجزاتنا الثقافية.

سابعاً: إنشاء المتاحف والمعارض والمهرجانات الدولية للتعريف بتراثنا الحقيقي، وليس بنهضة يسيرة لم نسهم أصلاً في بنائها.

ثامناً: التعاون مع المنظمات الدولية والمؤسسات العلمية المعنية على وضع معاجم ومراجع عالمية كبرى تهتم بالمصطلحات العلمية التي وردت في التراث العربي والإسلامي وتسربت إلى الفكر الإنساني.

تاسعاً: الاهتمام بالمجلات العلمية المحكمة والعالمية منها، والتي تحفظ هذا الجهد وتصل إلى أهل الاختصاص في كل مكان.

عاشراً: العمل على إعادة استخراج المكنون العلمي والفكري الكبير للحضارة الإسلامية، والتعريف بدوره في تأسيس الحضارة العالمية.

حادي عشر: العمل على تخصيص عدد من المنح الدراسية في الجامعات العالمية لدراسة تاريخ العلوم عند المسلمين، ودعم البحوث ذات الصلة بالموضوع.

ثاني عشر: الاهتمام بكراسي البحث العلمية ومراكز البحث في الجامعات العربية، وحث الجامعات على نشر ثقافة الحضارة الإسلامية بكل الوسائل المتاحة.

ثالث عشر: التأكيد على فهم التفريق بين المشترك الإنساني الذي ينبغي التعاون وتبادل المصالح مع الآخرين فيه، وبين الخصوصيات الثقافية التي يجب المحافظة عليها كثوابت الأمة العقدية والاجتماعية وهويتها.

رابع عشر: إنشاء آلية للتنسيق مع المعارضين لبعض أوجه الانحراف البشري والأخلاقي (الإباحية) في العالم من غير المسلمين، وقد أثمرت جهود يسيرة في هذا الشأن ثماراً كبيرة بإيصال ثقافتنا إلى المؤتمرات الدولية.

خامس عشر: التواصل مع المفكرين الغربيين الذين يكونون أكثر إنصافاً مع قضايا المسلمين الفكرية والسياسية، من خلال المنتديات واللقاءات والمؤتمرات.

سادس عشر: استثمار وجود الجاليات الإسلامية أو الأقليات الإسلامية في الغرب بالمشاركة والتعاون المثمر لنقل الثقافة الإسلامية، وبخاصة أنهم أقدر على معرفة أفضل الوسائل

للتعامل الحواري مع هذه المجتمعات [1].

هذه بعض الوسائل التي تسهم بشكل كبير في نقل وتوسيع دائرة الثقافة الإسلامية في العالم من خلال حوار حضاري متزن.

ولكن هل يمكن اعتبار الحاجز النفسي الذي تقيمه الأديان لحماية اتباعها من الذوبان في غيرهم يعد عائقاً لنشر الثقافة والعلم بشكل كبير؟[2]

الجواب: في الجملة: نعم، والأمر طبيعي، خاصة في ظل حوار الحضارات القائم على عولمة الغرب في ثقافته وأخلاقه ونظمه.

ومع التلاقي السياسي والعسكري والاستراتيجي بين أوربا وأمريكا مثلاً إلا أن بعض دول أوربا ترفض عولمة أمريكا، وهذا مشاهد .. فإذا كان هذا حال من يسير في ركب الغرب وسياسته فكيف بالأمم الأخرى التي لا ترى من الغرب إلا استعماراً وتدخلاً في شؤونها.

ومع ذلك لا يلزم أن يكون وجود الحاجز النفسي من الذوبان مانعاً وعائقاً عن الحوار، إلا إذا كان الحوار حول أصول وثوابت هذا الدين المحاور حوله.

والإسلام يختلف عن الأديان والملل الأخرى، لأن تلك الأديان والملل محرفة، ولا ضير عندها في أن تغير وتبدل في شريعتها، أما الإسلام فهو دين محفوظ قائم على الكتاب والسنة، وعلى ذلك فلا بد من حماية أتباعه من الذوبان في الثقافات الأخرى.

# # #

(١) حوار الحضارات، د. إبراهيم الناصر، بحث في التقرير الاستراتيجي السنوي لمجلة البيان، الإصدار الثاني ١٤١٥هـ، (٥١ — ٥٧). وينظر: ((حوار الحضارات: الإسلام والغرب)) د. أحمد كمال أبو المجد، ضمن كتاب ((حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي)) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١ (٢٠٠٤م) (٥١ — ٦٧).

(٢) سؤال وجهه الباحث إلى عدد من المفكرين السعوديين ورصد إجاباتهم في مواطنها.

المطلب الثالث: حق المواطنة

أولاً تعريف المواطنة لغة واصطلاحاً:

المواطنة لغة: من أصل واطن، وهي بمعنى الموافقة، يقال واطنته على الأمر وافقته، وواطن على الأمر أضمر فعله معه.

والوطن محركة ويسكن: منزل الإقامة، ومربط البقر والغنم والجمع أوطان، وأوطن أقام، وأوطنه ووطنه واستوطنه، اتخذه وطناً.

ومنه قوله تعالى: â**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**á [التوبة: ٢٥]، وهي جمع موطن: أي مقامات الحرب وأماكنه[١].

ويمكن أن نحقق المعنى اللغوي للوطن في الجوانب الآتية:

١- الإقامة في مكان ما، سواء كانت إقامة دائمة أم مؤقتة، ومنه موطن الولادة الأصلي ولو لم يقم فيه، ومنه موطن الإقامة أو العمل.

٢- المكان الذي يقيم فيه الإنسان ويشعر فيه بالمحبة له والعاطفة إليه [٢].

٣- مكان إقامة الإنسان ومقره، وإليه انتماؤه ولد به أم لم يولد.

المواطنة اصطلاحاً: لم يتفق المعرفون لها على معنى دقيق، وإن كان يدور في فلك المعنى اللغوي، فمن التعريفات: ((الوطن هو المكان الذي تنتسب إليه ويحفظ حقك فيه، ويعلم حقه عليك، مؤمن فيه على نفسك وأهلك ومالك))[٣].

أما دائرة المعارف البريطانية فتعرف المواطنة بأنها: علاقة بين فرد ودولة يحددها قانون تلك

---

(١) لسان العرب، مادة وطن (١٣/ ٤٥١)، ومعجم تهذيب اللغة الأزهري (٤/ ٤٢٤)، وينظر: ((فتح القدير)) محمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب، بيروت (ب ت) (٢/ ٣٤٧).

(٢) أساس البلاغة، محمود الزمخشري، مكتبة لبنان للنشر، بيروت، ط١ (١٩٩٩م) ص (٤٨٧).

(٣) المواطنة، إبراهيم ناصر، مكتبة الرائد العلمية، عمان، (١٩٩٤م) ص (٥) وينظر: ((المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية)) بشير نافع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (٢٠٠١م) وينظر: ((القاموس السياسي)) أحمد عطية الله، مادة (موطن) ص: ١٢٦٨، دار النهضة العربية، ط٣.

الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة [1].

ثانياً: حدود الوطن والهوية الثقافية:

وأما حدود الوطن في وعي الإنسان فهي بين ثلاث دوائر متداخلة[2]:

الدائرة الأولى: الانتماء العقدي، وهو ما يعبر عنه بالهوية الثقافية عند بعضهم، فمثلاً الأمة الإسلامية أمة واحدة بهذا الاعتبار لقوله تعالى: â**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**á [الأنبياء: ٩٢]، وقد كان المسلمون يعيشون هذا المفهوم العقدي في السابق قبل حصول الدولة الحديثة، والتمزق بين دول المسلمين.

الدائرة الثانية: الكيان السياسي: حيث يعيش كل إنسان ضمن دولة يحمل جنسيتها وترتبط قضايا حياته ومستقبله ومصيره بهذا الكيان، وإذا كان الإنسان المسلم يتمنى أن تندمج هذه الكيانات الإقليمية ضمن كيان إسلامي واحد كبير، فإن ذلك لا يعني أن لا يتحمل مسؤولية تجاه هذا الكيان الذي يعيش ضمنه.

الدائرة الثالثة: الوطن العرفي وهو البلد أو المنطقة التي ولد الإنسان فيها ونشأ، وإليها عادة تنشد مشاعر الإنسان ويتركز حنينه وشوقه دون أن ينقص ذلك من ولائه لبقية الدوائر.

أما حب الوطن فأمر فطري لا ينكره الإسلام[3]، وهو مشروع يؤجر عليه إذا كانت الأرض أرض توحيد يقام فيها شرع الله، ويزداد حب الوطن في صورتين: إذا سافر الإنسان أو غادر أرضه، فهنا تهيج المشاعر وتتحرك النفوس لهذا الوطن، فيجد الإنسان في نفسه حنيناً لا يدري من أين أتى، وهو إنما أتى من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والصورة الثانية: إذا مست بلد الإنسان فعلاً أو قولاً، فإن مشاعر الحب تندفع من أجل هذا الوطن ... والنصوص

---

(١) مرجع سابق: (٤٨٥).

(٢) الوطن والمواطنة، حسن الصفار، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية: WWW.alhikmeh.com/arabic/mktba.

(٣) حب الوطن، د.عبد السلام بن برجس العبد الكريم، منشور في موقعه كاملاً، وتم نشره في جريدة الرياض، عدد ١٢٧١٩، ١٦/ ٢/ ١٤٢٤هـ، وينظر: ((حب الوطن، منظور شرعي)) د. زيد بن عبد الكريم الزيد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض (١٤١٧هـ).

التي ساقها العلماء والأدباء حول هذا الموضوع أكثر من أن تحصى [(١)].

ويعتقد بعضهم أن هذا المصطلح تم أخذه من التجربة الأوربية، وأن الهدف منه إخماد روح النظرة العظيمة من المسلمين لدولتهم الإسلامية الواحدة، وأن تواطئ الاستعمار ومن سار في ركبهم من أتباعهم داخل بلاد المسلمين هو الذي هيأ فرض المصطلح لمسح فكرة الدولة الإسلامية والخلافة، ولإيجاد رابطة جديدة تسمى الوطن بدل رابطة الإسلام، ولإيجاد مصطلحات تخالف مصطلح الشرع[(٢)].

لكن هذه النظرة في ظل الواقع المعاش، وظهور الدول الحديثة أصبحت مغرقة في التفاؤل، وبخاصة إذا قررنا أن الوطن الذي ينتسب إليه المواطنون ليس هو من يحدد لهم نوع الهوية التي ينتسبون. فالوطن الواحد قد تتعاقب عليه نظم مختلفة بل ومتناقضة. فالروس كانوا مواطنين روساً، حين كانوا ينتمون إلى الاتحاد السوفييتي، وحين كان نظامهم الاقتصادي اشتراكياً، وكان نظام حكمهم دكتاتورياً، وهم الآن مواطنون روس بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، وبعد حلول الرأسمالية محل الاشتراكية والديمقراطية محل الدكتاتورية [(٣)].

وقد جعل القرآن الكريم الإخراج من الوطن (الديار) مثل القتل سواء بسواء، يتضح ذلك من قوله تعالى: **âوَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْá** [البقرة: ٨٤] .. بل في القرآن الكريم الكثير من النصوص التي توجب القتال عند تعرض الإنسان للإخراج قسراً من دياره وموطنه، من ذلك قوله تعالى: **âأَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَá** [البقرة: ٢٤٦]، وقال سبحانه: **âلا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ**

---

(١) ينظر: ((الحنين إلى الأوطان)) محمد بن سهل بن المرزبان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، تحقيق: جليل العطية، وآخر للجاحظ نشر مكتبة الآداب، بيروت، ط١، (١٩٩٨م).

(٢) مفهوم الوطن، موسى عبد الشكور، صحيفة الوطن الالكترونية، تصدر من فلسطين WWW.alwatanvoice.com.

(٣) المواطنة والهوية، أ. د. جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، العدد ٢١١، ربيع الأول، ١٤٢٦هـ.

وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ❖ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨- ٩].

ولعل السبب في ذلك مع ما فيه من تفويت مصالح الحياة هو أن إقامة الدين لا تتأتى إلا في واقع ووطن ومكان وجغرافيا، ولذا يصبح الانتماء الوطني بعداً من أبعاد الانتماء الإسلامي العام، فالوطن ضرورة لإقامة الدين، وبناء الحياة وتحقيق عمارة الأرض(١).

أما الهوية فهي الانتساب الثقافي لهذا الوطن، وليس الانتساب الجغرافي، وهذا أهم فارق بينهما، إذ لا بد للمواطنين في أي بقعة جغرافية من انتساب ثقافي ينظرون به إلى واقعهم وحياتهم.

ولكن ماذا إذا كان المواطنون في البلد الواحد منقسمين إلى ثقافات، وهويات مختلفة؟

هنالك عدة احتمالات(٢):

- أحسنها من حيث الاستقرار وعدم التنازع: هو أن تكون إحدى هوياتهم هذه هي الغالبة من حيث عدد المنتسبين إليها.
- وإذا لم تكن هناك هوية غالبة، فقد يكون المنتمون إلى إحدى الهويات أقوى من غيرهم، فيفرضون على البلد هويتهم، وينظمون أمره على أساسها كما هي الحال في الصين، ومن قبله الاتحاد السوفييتي.
- وإذا لم يحدث هذا ولا ذاك، وكانت الهويات والثقافات المتعددة متساوية في قوتها، فأمام مواطنيها خيارات:
- فإما أن يحلّوا نزاعهم بتقسيم وطنهم، كما حدث للهند حين خرجت منها باكستان، ثم خرجت بنجلاديش من باكستان.
- وإما أن يبحثوا عن صيغة تعايش يرتضونها، رغم صعوبة وجود نظام محايد بين هويات

---

(١) معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، محمد عمارة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٣، (٢٠٠٦) ص (١٩٤ – ١٩٥).

(٢) المواطنة والهوية، مقال د. جعفر شيخ إدريس، (مع تصرف واختصار).

مختلفة اختلافاً أساسياً، إذ إن النظام الذي سيختارونه يعبر عن هوية معينة حتى لو كان علمانياً بحتاً، ومن المستحيل عقلاً أن يوجد نظام توافقي يرتضيه الجميع.

فما الحل إذن؟

الحل هو أن يجتمع المختلفون ويبدأون بتقرير المبدأ الذي هم متفقون عليه: أنه من مصلحتهم جميعاً أن يبقوا في وطن واحد، ثم ينظروا إلى الكيفية التي يحققون بها هذا الهدف، من غير تقيّد سابق بديمقراطية أو علمانية أو أي أيديولوجية، وهذا ما حاول فعله واضعو الدستور الأمريكي، فبالرغم من أن الولايات المتحدة تعد اليوم مثالاً للديمقراطية عند كثير من المهتمين بهذا الشأن، إلا أن من وضع دستورها لم يكن ملتزماً بتجربة ديمقراطية معينة ... فها هي مكونة من أجناس متعددة وديانات متباينة ولغات مختلفة وثقافات متناقضة، لكنها لم تصر أمة واحدة إلا حين صهرت هذه المكونات في إطار واحد، وأخرجت منها تجانساً دستورياً ليثبت هذا النموذج صورة معينة، وهي أن تعدد الهويات في الوطن الواحد قد يؤدي إلى تمزيقه ما لم يصهر في هوية موحدة، وفي المقابل: اتحاد الهويات في أوطان متعددة قد يؤدي إلى توسيع للحدود الوطنية، يضم بعض الأقطار إلى بعض بالتعاون الوثيق بينها مما يجعلها كالوطن الواحد، كما هو الحال في الاتحاد الأوربي الذي أكد واضع الدستور له اعتراضه على دخول تركيا للاتحاد حتى لا تؤثر على الهوية (المسيحية) للاتحاد، فهل يمكن أن يقول أحد بعد ذلك، المواطنة في الغرب لا دعوى لها بالهوية، فتركيا هويتها مختلفة برغم كونها دولة علمانية [1].

إن عالم اليوم مع ترابطه واعتماد أجزائه بعضها على بعض، لا يمكن أن يقبل بحال أن تفرد ثقافة معينة في صياغة هويته وتقصي الآخرين، لأن هذا يعني صياغة نظام يقصي الأنظمة الأخرى، ويدعو إلى الظلم والتهميش، وبالتالي إلى النزاع والحروب [2].

بل الأدهى من ذلك من يأتي ليقترح أن العلمانية هي الحل لمشكلات الغرب مع العالم الإسلامي، مؤكداً أن المواجهة مجرد خرافة ومحدداً أبعاد هذه الخرافة في مسح أجراه لأهم بؤر

---

(١) ينظر لقاء مع د. جعفر شيخ إدريس، موقع إسلام أون لاين، أجراه: مصطفى عاشور WWW.islamonline.net.

وينظر: ((حوار الدين والدولة)) برهان غليون، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١ (١٩٩٦م).

(٢) ينظر: ((حوار الحضارات .. نظرات وخطرات)) الأمير الحسن بن طلال، ورقة بحث مقدمة لمؤتمر المشاهير بدبلن، إيرلندا، ٣٠ – ٣٠ مايو / ٢٠٠١م، وهي على موقع منتدى الفكر العربي.

الصراع التي تجري فيها صراعات بين المسلمين وغيرهم، والتي تشكل دعماً لنظرية العداء المتأصل ضد المسلمين عند من يقول بها، فما كان منه إلا أن اقترح العلمانية لتصبح هوية ثقافية تستبعد الدين، وتعمل العقل في الحياة الاجتماعية والقانونية مؤكداً: ليست القضية المركزية إيجاد تأويل للتفكير الإسلامي أكثر ليبرالية أو توافقاً، بل هي إبعاد المناقشة حول الحقوق عن دعاوى الدين نفسه[1].

ثالثاً: الوطن والمواطنة بين الإسلام والنظريات الغربية:

وبناء على ما سبق يمكن الحديث عن المواطنة في الإسلام وفي النظريات الغربية الحديثة، حيث قررنا أن الإسلام يقر الوطن ويؤكد عليه، بل يجعل العودة إليه مطلباً إذا قضى الإنسان نهمه من سفره، يقول ﷺ: (**السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله**)[2].

فإذا كان هذا في السفر أنه يمنع الإنسان من الإتيان بالطاعات على وجه الكمال، أو ينقص من حاجاته الحياتية فكيف تكون الحال إذا أُخرج الإنسان من وطنه قهراً وغصباً !! فقد قال ﷺ وهو واقف بالحَزْوَرَةَ في سوق مكة: (**والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ﷻ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت ...**)[3].

ويقسم الفقهاء رحمهم الله الدار (الإقليم) إلى قسمين:

---

(١) الإسلام وخرافة المواجهة، فريد هاليداي، مكتبة مدبولي، القاهرة ط١ (١٩٩٧م) ترجمة: محمد مستجير، وهذا الكتاب يطرح رؤية مناقضة لهنتنجتون مع اتفاقهما، ونظرية فوكوياما على أن العلمانية هي التي يمكن أن يتعامل بها الغرب في العالم الإسلامي، لتكون هوية مكان الإسلام، وأن استبعاد الدين عن الحياة هو الذي يحقق السلم الاجتماعي ويمنع الصدام.

(٢) رواه البخاري، كتاب الحج، باب السفر قطعة من العذاب، ح (١٧١٠)، ومواضع أخرى، ورواه مسلم، كتاب الإمارة، باب السفر قطعة من العذاب واستحباب تعجيل المسافر إلى أهله بعد قضاء شغله، ح(١٩٢٧)، وفي لفظ: (إذا قضى أحدكم حجه)، فإذا كان هذا في الحج وهو سفر عبادة فكيف بغيره!.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري، ح (١٨٧١)، وقال المحقق: إسناده صحيح، ينظر: (مسند الإمام أحمد)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، (١٤٢٩) بإشراف: د. عبد الله التركي. وأخرجه الترمذي في الجامع، كتاب المناقب، باب في فضل مكة، ح (٣٩٢٥)، وقال: حديث حسن غريب صحيح، ورواه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب فضل مكة، ح (٣١٠٨)، وصححه الألباني في تعليقه عليهما.

١- دار الإسلام: وهي كل بقعة تكون فيها أحكام الإسلام ظاهرة، وهي التي رتب عليها الفقهاء أكثر الأحكام المتعلقة بالوطن أو الدار.

٢- دار الكفر: وهي التي تكون أحكام الكفر فيها ظاهرة، ويغلب عليها حكم الكفر، وهي إما دار حرب لا تجمعها مع المسلمين أي عهود ومواثيق، بل بينهما نزاع وحرب قائمة، وتعدٍ على بلاد المسلمين وممتلكاتهم، وإما دار عهد وهي الدار التي ترتبط مع دار الإسلام بعهود ومواثيق مع تفصيلات ذكرها الفقهاء رحمهم الله في كتبهم(١).

والحديث عن تقسيم العلماء الدار إلى دار إسلام ودار كفر يسوقنا للحديث عن حكم المواطنة في غير ديار الإسلام، وهذه القضية من أكثر القضايا التي اختلف فيها العلماء على نحو يبدو فيه التعارض بين من يرى أن المواطنة في غير ديار الإسلام كفر صراح وردة عن دين الله تعالى، أو هي السبيل إليه، ومنهم من يرى أنها فسق وفجور وجرأة على المعاصي وانسياق وراء الهوى، وهناك من يرى كراهيتها، ومن يراها جائزة، وهناك من يفصل في الحكم بين الوجوب والتحريم(٢).

ولأن بحثنا هذا لا يتسع لبسط القول في هذه المسألة الفقهية، فقد اختار الباحث أن يرجح القول الأقرب إلى بحثه، وهو:

١- أن من كان مسلماً في أرض إسلامية وخرج من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفار لغير حاجة، وإنما لأنه لا يطيق العيش مع المسلمين بسبب تطبيق أحكام الدين وانتشار الإسلام، ورغب في معاونتهم، فهو خارج عن الملة.

٢- من كان من أبناء المسلمين لكنه أخرج من أرضه ولم يستطع البقاء فيها، ففر بدينه وأقام مع الكفار، لكنه يتبرأ من دينهم ويصرح لهم بالبراءة وأنهم على الباطل، فلا حرج عليه في الإقامة بين ظهرانيهم.

٣- من كان من أهل تلك البلاد أصلاً، فهو مسلم من جنسية بلاد كافرة، فهذا لا شك في

---

(١) الأحكام السلطانية، أبو يعلى الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٣هـ)، تعليق: محمد حامد الفقي.

(٢) المواطنة في غير ديار الإسلام بين النافين والمثبتين، د. صلاح الدين سلطان، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ، وينظر: ((نحو فقه جديد للأقليات)) جمال الدين عطية، دار السلام، مصر، ط١ (٢٠٠٧م) (٨٠- ٨٦).

جواز بقائه في ظل قيام الدولة الحديثة التي لا يمكن معها الانتقال من بلد إلى آخر إلا وفق شروط وضوابط، وهؤلاء المسلمون في تلك البلاد عليهم الوفاء بمقتضيات بقائهم واحترام أنظمة بلادهم بما لا يتعارض مع عقيدة الإسلام وشريعته.

٤- من خرج من بلاد المسلمين لمجرد طلب المعيشة الأكثر رفاهية، أو طلب مزيد علم من علوم الدنيا وتجنس بجنسية بلاد كافرة، فهذا هو محل النزاع الأكبر في المسألة[١].

٥- أن الحكم العام يحدث له تخصيص واختلاف حسب الأحوال والأزمنة، فقد تغيرت الحقوق المدنية في بعض الدول حتى أدى ذلك إلى منع إظهار الإسلام فيها، بينما كان الحكم عليها في زمن ما يختلف عن زمن تغير حالها، ولذا فإن الحكم على هذه المسائل يجب أن يكون وفق الحال بناء على دراسة علماء الأمة الثقات لأحوال البلاد التي سيصدر الحكم عنها.

وإذا قررنا حق المواطنة في الإسلام، فإن ثمة واجبات على الإمام في بلاد المسلمين وحقوقاً يجب عليه وعلى الشعب أن يقوموا بها لتتحقق المواطنة، ويحصل الخير، ويقوم للناس ما يريدون من دينهم ودنياهم.

وقد تحدث الفقهاء الذين بحثوا في الولايات عن واجبات الإمام بشكل مفصل[٢]، وجماع حديثهم أن واجب الإمام هو: حراسة الدين وسياسة الدنيا، فعليه أن يحافظ على أصول الدين المستقرة، وأن يسعى في نشر العلم والمعرفة بكل سبيل، مع العمل على توفير الحياة الكريمة لأبناء الدولة، وإقامة حدود الله وتطبيق شرعه، وتحصين الثغور عن الأعداء، وتجهيز الأمة بالعدة والعتاد والقوة للحفاظ على الدولة الإسلامية من أن يحل بها أي سوء، أو يداهمها عدو وكذلك اختيار الأكفاء لوظائف الدولة، وتحقيق الأمن والحرية، والمشاركة الفاعلة لكل شخص دون استثناء ودون وصاية لبناء مواطنة حقيقية تسبغ أو تضفي على المواطن حقوقاً

(١) أفتى بالتحريم عدد من علماء الأمة مثل: اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية، الشيخ محمد بن سبيل، الشيخ محمد بن سعيد البوطي، الشيخ محمد القحطاني، وهناك من يرى الجواز في هذه المسألة من أمثال: د. يوسف القرضاوي، الشيخ جاد الحق، المجلس الأوربي للإفتاء ... ينظر: ((المواطنة)) د. صلاح الدين سلطان، مرجع سابق، فقد بسط أقوالهم وأدلتهم.

(٢) الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب ت) (ص ١٨ – ٣٥).

وتلزمه بالواجبات[1].

أما الحقوق التي للإمام على رعيته فهي[2]:

١- **الطاعة:** تجب طاعة ولي الأمر في غير معصية الله لقوله تعالى: â**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**á [النساء: ٥٩].

٢- **النصرة:** لابد للإمام حتى يقوم بواجبه من نصرة رعيته له، كتأديب البغاة والخارجين، ومكافحة أعداء الدين ونحو ذلك مما لا يستغني فيها الإمام عن نصرة رعيته له.

٣- **النصيحة:** وهي أن يبذل الناس جهدهم في إيصال النصح قولاً وعملاً للحاكم، وهي مقررة في قوله r: **(الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم)**[3].

وعلى هذا يتضح أن الإسلام جعل للوطن قدراً معيناً، وأوجب على أهله حقوقاً له وللوالي من المسلمين، كما أوجب على الوالي أموراً لا يجوز له بحال أن يحيد عنها في حق أمته وأرضه أرض المسلمين، ويزداد الأمر ويتأكد إذا كانت الأرض مكة والمدينة لما لهما من منزلة عظيمة في دين الإسلام، ولأن لهما من الخصائص ما ليس لغيرهما.

أما المواطنة في الغرب فقد مرت بمراحل مختلفة، إذ قرر الباحثون أن العقد الذي كان يجمع الأمم النصرانية في السابق، أي قبل القرن الخامس عشر الميلادي، هي الكنيسة بنفوذها وقوتها، حتى إذا ما حدثت حركة التغيير بعد ذلك القرن، وتم القضاء على نفوذ الكنيسة، تحطمت الوحدة الدينية والسياسية، وظهرت قوميات مستقلة، انفصل بعضها عن بعض.

ففي الجانب السياسي بلغ طغيان الكنيسة مداه حيث كانت سلطة البابا مهيمنة تماماً على

---

(١) ((مبدأ المواطنة))، ياسر خالد بركات، بحث محكم منشور في موقع مركز المستقبل للدراسات والبحوث: WWW.mcsr.net.

وينظر: ((الوطنية كائن هلامي)) سلسلة كتاب المعرفة، مجلة المعرفة، الرياض، ط١، (١٤٢١هـ)، بحث معالي الأستاذ محمود سفر (٨٧ – ٩٨).

(٢) النظام السياسي في الإسلام، د. سعود بن سلمان وآخرون، مرجع سابق (٩٢ – ٩٧).

(٣) رواه مسلم، سبق تخريجه.

السلطة السياسية، لدرجة أن البابا نقولا الأول[1] أصدر بياناً جاء فيه: «إن البابا ممثل الله على ظهر الأرض يجب أن تكون له السيادة والسلطان الأعظم على جميع النصرانيين حكاماً كانوا أو محكومين»[2]، وكانت الكنيسة هي مصدر السلطة، وتتويج الحاكم أو خلعه، ولها نفوذها على جميع الأراضي الأوربية وما في حكمها.

وعندما قامت الثورة الفرنسية (١٧٨٩م) بتحولاتها السياسية والاجتماعية، وتقلص النفوذ الديني الكاثوليكي للكنيسة، بدأت نظرية المواطنة تأخذ شكلاً مغايراً عن المفهوم السابق الذي ظل مسيطراً على الأمم النصرانية ردحاً من الزمان.[3]

وكان من نتائج هذه الثورة حل الجمعيات الدينية وتسريح الرهبان وإلغاء جميع امتيازات الكنيسة، وتبع ذلك قيام أول دولة في أوربا على أساس العلمانية وهي فرنسا ثم تبعها على الطريق سائر الغرب بما فيه الولايات المتحدة الأمريكية، وبناء عليه ظهرت المواطنة في المجتمعات الجديدة فكرياً بنسق جديد حيث تعد أحد المفاهيم الرئيسية للفكر الليبرالي والتي تعامل الفرد بمواطنته المتبادلة أخذاً وعطاءً، فهي تضع الفرد وقدرته الشخصية على المبادرة والإبداع معياراً أساساً للمواطنة [4].

وقد شهد هذا المفهوم تغيرات عديدة في مضمونه واستخدامه ودلالته، فلم يعد يصف العلاقة بين الفرد والدولة في شقها السياسي القانوني، بل تدل القراءة في الأدبيات والدراسات السياسية الحديثة على عودة الاهتمام بمفهوم «المواطنة» في حقل النظرية السياسية، بعد أن طغى الاهتمام بدراسة مفهوم الدولة مع نهاية الثمانينيات، ويرجع ذلك لعدة عوامل، أبرزها الأزمة التي تتعرض لها فكرة الدولة القومية التي مثلت ركيزة الفكر الليبرالي لفترة طويلة، وذلك نتيجة عدة تحولات منها: تزايد المشكلات العرقية والدينية في أقطار العالم، وبروز فكرة العولمة

---

(١) هو أحد البابوات الكاثوليك، أصدر مجموعة من التعاليم التي جعلت الأباطرة والحكام طوع أمر الكنيسة، وقد تولى ما بين (٨٥٨ – ٨٦٧م)، ويعتبر ممن أسسوا المسيرة الكنسية التي تدهورت بعده.

(٢) نقلاً عن قصة الحضارة، دي يورانت، مطابع الدجوي، القاهرة (ب ت)، ترجمة: محمد بدران (١٤/ ٣٥٢)، وينظر: العلمانية، محمد قطب، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٢، (ص٣٢)، وهي جزء من كتابه (مذاهب فكرية معاصرة).

(٣) الثورة الفرنسية والفكر العربي، جلال السيد، مجلة الهلال المصرية، عدد سبتمبر ١٩٨٩م.

(٤) بحث بعنوان: «المواطنة والوطن» هشام بنحنزار، على شبكة المعلومات:

WWW.tanmia.ma/article.

التي تأسست على التوسع الرأسمالي العابر للحدود، وثورة الاتصالات والتكنولوجيا من ناحية أخرى، مع الحاجة لمراجعة المفهوم الذي قام على تصور الحدود الإقليمية للوطن والجماعة السياسية وسيادة الدولة القومية ... هذه الأمور أدت إلى تركيز بعض الدراسات على ظواهر وأحداث كان لها أكبر الأثر في تغيير مفهوم المواطنة ليشمل أبعاداً جديدة. حيث صارت رابطة «المواطنة» منافع وحقوقاً مادية محددة يطالب بها المواطن في مجالات الصحة والتعليم، تهبط بالحقوق العامة السياسية لتفاصيل منافع مادية مباشرة. أي تم التركيز على الحقوق وليس الواجبات ... ومن ناحية أخرى كان هذا يعني مزيداً من سلطة الدولة، في الوقت الذي كانت تحولات الاتصال والعولمة ترشحها فيه للتآكل والذبول، فاستردت دورها في التوزيع السلطوي للقيم – المادية والمعنوية – وما لبثت أن بدلت هذا الدور شكلاً – في ظل تنامي الحديث عن الإدارة والسياسة عبر الحديث عن الشراكة بين الدولة والمجتمع المدني ورجال الأعمال، رغم أن سلطتها لا تقارن بالطرفين الآخرين، ونفوذها يخترقها على شتى المستويات[1].

ومع هذا فقد ساد في الغرب أن الشعب والأمة والوطن فوق كل شيء، وأفضل من كل شيء، وأن الله لم يخلق أفضل من الشعوب الغربية، ولا أنجب منها ولا أذكى ولا أقوى ولا أحق بالحكم والسيادة والولاية على الأمم، والرعاية للعالم منها، ولا شك أيضاً أن للوطنية والقومية عندهم جذور دينية، فالقومية البروتستانتية جزء لا يتجزأ من القومية الهولندية والإنكليزية، بينما الأرثوذكسية جزء أصيل من القومية اليونانية والبلغارية، وهكذا كانت القومية عندهم متعصبة للدين في غالب حالاتهم[2].

# # #

(١) المواطنة بين مثاليات الجماعة وأساطير الفردانية، د. هبة رؤوف عزت، موقع إسلام أون لاين، سبق ذكره، تم نشره (٢٠٠٢م).

(٢) تسامح الغرب مع المسلمين، مرجع سابق (١٢٣)، وينظر: «التبشير والاستعمار في البلاد العربية» د. مصطفى خالدي و د. عمر فروخ، المكتبة العصرية، بيروت (١٤٠٦هـ).

الفصل الثاني

الضوابط العقدية لحوار الحضارات

المبحث الأول: الولاء والبراء.

المطلب الأول: تعريف الولاء والبراء في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: مشروعية الولاء والبراء.

المطلب الثالث: أهمية الولاء والبراء في حوار الحضارات.

المبحث الثاني: إقامة العدل.

المطلب الأول: تعريف العدل في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: مشروعية العدل في الإسلام.

المطلب الثالث: أهمية العدل في حوار الحضارات.

المبحث الثالث: الأخوة الإيمانية.

المطلب الأول: التأصيل العقدي للأخوة الإيمانية.

المطلب الثاني: أهمية الأخوة الإيمانية في حوار الحضارات.

المطلب الثالث: العزة والمداهنة وعلاقتهما بحوار الحضارات.

تمهيد:

الضوابط: جمع ضابط، وهو **لغة**: من ضبط الشيء حفظه بالحزم، وبابه ضرب، ورجل ضابط، أي حازم لزوم الشيء وحبسه.

فالضبط لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء ، وضبط الشيء حفظه بالحزم، والرجل ضابط أي حازم، ورجل ضابط وضبطي: قوي شديد والضابط: اسم فاعل من ضبط الذي يحكم الشيء ويتقنه ويحسن الإمساك به[1].

فيكون المراد بالضوابط هنا الأمور الملازمة للحوار، والتي تلزمه ولا تفارقه وتضبط أداء المتحاورين، فكما كان الأصل هو الأساس الذي ينطلق منه الحوار، فيكون الضابط بمثابة الملازم للحوار، فهما يتفقان في كونهما من أصول الحوار وأسسه، لكن الضابط يكون ملازماً دائماً للحوار، أما الأصل فقد يوجد حال الحوار، وقد لا يكون مجالاً للبحث أصلاً لعدم الحاجة إليه.

وهذه الضوابط التي نتحدث عنها تظهر وبقوة في الحوار مع الآخر، إذ يجب أن ينضبط المحاور المسلم بولائه للمسلمين وبراءته من الكافرين، وأن يقيم العدل حال حواره مع إثبات الأخوة الإيمانية التي يقدمها على أي مصلحة.

# # #

(١) لسان العرب (٧/ ٣٤١)، مرجع سابق، معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار الجيل، بيروت، تحقيق: عبد السلام هارون (٣/ ٣٨٦).

المبحث الأول

الولاء والبراء

المطلب الأول: تعريف الولاء والبراء في اللغة والاصطلاح

أولاً: الولاء والبراء لغة:

١- **الولاء لغة:** الوَلْيُ: القرب والدنو، والوَلِيُّ المحب والصديق والنصير، والولاء الملك[١].

والولي: ضد العدو، والموالاة ضد المعاداة، من والى القوم، والموالي: اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو: الرب والمالك، والسيد والمنعم، والمعتق، والناصر، وغيرها من المعاني التي تقوم على النصرة والمحبة[٢].

والوَلاية –بالفتح- ، والوِلاية –بالكسر- : النصرة، يقال: هم على ولاية أي مجتمعون في النصرة[٣]، وفي الحديث: **(من كنت مولاه فعلي مولاه)**[٤]، يعني بذلك ولاء الإسلام، كما في قوله تعالى: **{ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا }** [مريم: ٤٥]، فيكون الولي هنا بمعنى المفعول في حق المطيع، فيقال: المؤمن ولي الله، أي مطيع له، والكافر ولي الشيطان أي مطيع متبع له، ووالاه موالاة وولاء أي تابعه[٥]، ويفهم من مجموع ذلك: أن الولاء هو حال بين طرفين يحمل أحدهما أو كلاهما على الحب والصداقة والمودة والنصرة للآخر والقرب منه في التفكير والتوجه والاعتقاد .

(١) القاموس المحيط (٣/ ٣٤٦) مرجع سابق.

(٢) لسان العرب (٣/ ٩٨٥)، والقاموس المحيط (٣/ ٣٤٧).

(٣) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٥٣٠) مرجع سابق.

(٤) رواه أحمد في المسند عن عدد من الصحابة، منهم جابر، وابن عباس وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب وغيرهم، بأسانيد مختلفة بعضها صحيح، ورواه بهذا اللفظ الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي، ح (٣٧١٣)، وصححه الألباني ((صحيح الجامع الصغير)) (٦/ ٣٥٣، ح ٦٣٩٩).

(٥) المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٣٩٨ هـ) ٣/ ٨٤١).

٢ - البراء لغة:

البراء: - بالفتح – اسم يطلق على أول ليلة من الشهر، سميت بذلك لتبرؤ القمر من الشمس[(١)].

وبرئ منه إذا تخلص، وبرئ إذا تنزه وتباعد، وبرئ: أعذر، وأنذر، ومنه قوله تعالى: { بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [التوبة: ١]، أي إعذار وإنذار، وبرأ من التبري والتقصي مما يكره مجاورته، ومنه برأت من المرض وبرأت من فلان وتبرأت[(٢)].

ويفهم منه أن البراء يعني المفاصلة والمباعدة، فكأنه يفصله أو يبعده عن الطرف الآخر أمر حسي أو معنوي؛ لأنهما لا يلتقيان أبداً، فمتى حصل بينهما لقاء فيما وجب فيه البراء فهذا خلل، كحال المرض مع الشخص، فلا يحصل البرؤ إلا بزوال المرض.

ثانياً: الولاء والبراء اصطلاحاً:

١ - الولاء اصطلاحاً: مما سبق في اللغة يتضح أن معنى الولاء المأمور به شرعاً النصرة والمحبة والإكرام والاحترام، وأن يعيش مع المحبوبين عقيدة ظاهراً وباطناً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والتقرب ... والولي القريب .. فإذا كان ولي الله هو المتابع له فيما يحبه ويرضاه، ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، كان المعادي لوليه معادياً له))[(٣)].

((ومسمى الموالاة (لأعداء الله) يقع على شُعب متفاوتة، منها ما يوجب الردة وذهاب الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات، ولما عقد الله الأخوة والموالاة والنصرة بين المؤمنين، ونهى عن موالاة الكافرين كلهم من يهود ونصارى وملحدين ومشركين وغيرهم، كان من الأصول المتفق عليها بين المسلمين: أن كل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك وجب التقرب إلى

(١) الصحاح (١/ ٣٦)، القاموس المحيط (١/٨).

(٢) مفردات القرآن، للراغب (٣٨) مرجع سابق.

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أحمد بن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، (١٣٩٧م) تعليق: زهير شاويش (ص١٣).

الله ببغضه ومعاداته .. وحيث إن الولاء والبراء تابعان للحب والبغض، فإن أصل الإيمان أن تحب في الله أنبياءه وأتباعهم، وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسله))[1].

فعلى هذا يكون الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وهو أن يحب الله ورسوله ويحب المؤمنين وينصرهم، ويعتقد مؤاخاتهم والعمل معهم لنصرة دين الله.

أما ولاء الشيطان وحزبه فهو الذي يوقع الإنسان في درجات الكفر أو الفسق أو المعصية، وهو خطير بحسب حال هذا الولاء.

٢ - البراء اصطلاحاً: هو البعد والخلاص والعداوة للكفر وأهله وما هم عليه بعد الإعذار والإنذار.

فيكون البراء أن يعتقد بطلان الكفر وأهله، وأنهم على غير الصراط السوي، وأنهم على خطر، ويبتعد عن أفعالهم وأقوالهم ومعتقداتهم، وألا ينصرهم في عمل ضد المسلمين، وألا يقف معهم بأي حال من أحوال التولي التي تكون على حساب الدين أو الإضرار بالمسلمين، مع ضرورة الإعذار والإنذار لما هم عليه من الباطل، وأما موالاتهم التي تدفع إلى محبتهم ونصرتهم على المسلمين، فهذه هي التي يكفر بها الإنسان ... فيجب على المسلم أن يتبرأ من الكفار وعملهم وأن يكره ما هم عليه[2].

# # #

(١) الفتاوى السعدية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢ (١٤٠٢) ص(٩٨) والكلام اللاحق منقول بتصرف من ((الولاء والبراء في الإسلام)) محمد بن سعيد القحطاني، دار طيبة، الرياض، ط١٢، (١٤٢٧هـ) (ص٩١).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع أحمد الدويش، دار العاصمة، الرياض، ط٣، (١٤١٩هـ) (٢/ ٦٤).

المطلب الثاني: مشروعية الولاء والبراء[1]

وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تؤصل للولاء والبراء، وتؤكد أهميته، وتبين حدوده وضوابطه، ومن هذه الأدلة:

١- قوله تعالى: â**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**á [المائدة: ٥٥- ٥٦].

٢- قوله تعالى: â **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**á [التوبة: ٧١].

٣- قوله تعالى: â**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**á [آل عمران: ٢٨]، والمعنى: ((لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فقد برئ من الله، وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، إلا أن يكون هذا الفعل منكم بسبب كونكم في سلطانهم فتخافون على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل))[2].

٤- قوله تعالى: â**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ**

(١) ألفت كتب كثيرة في الموضوع، لذا اكتفينا هنا بالإشارة إلى مشروعيته ببعض الأدلة، ينظر: (الولاء والبراء) للقحطاني، مرجع سابق، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس الجلعود، دار اليقين، حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة، سيد سعيد عبد الغني.

(٢) تفسير الطبري، مرجع سابق (٥/ ٣١٥)، وينظر: الكشاف، للزمخشري (١/ ١٨٣)، وينظر: القرطبي (٤/ ٥٧).

تَعْقِلُونَá [آل عمران: ١١٨]، هذه الآية تحذير وبلاغ عظيم للمسلمين أن لا يتخذوا من أعدائهم الذين يتظاهرون لهم في ساعة قوتهم وغلبتهم بالمودة والصداقة، وهم لا يريدون للمسلمين في الحقيقة إلا الاضطراب والخبال، ولا يقصرون في زرع الفرقة بين المسلمين كلما واتتهم الفرصة في الإساءة والتشويش، فهم يسعون جاهدين في ذلك، فالآية تحذر المسلمين من موالاتهم والاطمئنان إليهم.

٥- قوله تعالى: â**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**á [المائدة: ٥١]. فمن يعاضدهم أو يناصرهم على المسلمين، فحكمه حكمهم في الكفر والجزاء، وهذا الحكم باق إلى يوم القيامة، وهو قطع الموالاة بين المسلمين والكافرين[١].

٦- والآيات الدالة على وجوب موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين كثيرة جداً.

أما الأحاديث النبوية فيمكن اختيار بعض هذه الأحاديث الدالة على مشروعية الولاء والبراء منها:

١- عن النعمان بن بشير **t** : قال رسول الله **r** : (**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى**)[٢].

٢- عن جرير بن عبد الله البجلي، عندما جاء ليبايع على الإسلام، قال: يا رسول الله، اشترط علي، فقال **r** : (**أبايعك على أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتنصح المسلم، وتفارق المشرك**)، وفي رواية: (**وتبرأ من الكافر**)[٣].

٣- عن عبد الله بن مسعود **t** أن النبي **r** قال: (**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**)[٤].

---

(١) الإيمان، أركانه حقيقته نواقضه، د. محمد نعيم ياسين، دار الفرقان، القاهرة، ص (١٥٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ح (٦٠١١)، وورواه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح (٢٥٨٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند في مواضع، قال المحقق: صحيح، ح (١٩١٥٣)، وأخرجه النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة على فراق المشرك، ح(٤١٨٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

(٤) أخرجه أحمد في المسند من حديث البراء بن عازب (١٨٥٢٤)، وقال المحقق: حسن بشواهده، وابن أبي شيبة =

فهذا الحديث ظاهر بين في إيضاح مشروعية وأهمية الحب في الله المقتضي الموالاة، وكذلك البغض في الله المقتضي المعاداة والبراء من المبغض وما هو عليه من باطل، فالولاء والمحبة ثنائي مجموع لا ينفك أبداً بحيث يتعذر بينهما الفصل أو الافتراق؛ لأن من المحال أن يعمد أحد إلى تولي غيره دون أن يسوقه إليه سائق الحب والود، قال تعالى: â **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ** á [الممتحنة: ١]، وقد شدد السلف رحمهم الله في الكلام على عدم موادة أهل البدع والحذر منهم، مع أن ضلالة بعضهم لا تخرجه عن الملة، فما الظن بكلامهم حول الكفار المعاندين؛ حيث حذر السلف من توليهم تولياً عاماً، أو محبتهم ومودتهم أو الركون القليل إليهم أو مداهنتهم ومداراتهم أو طاعتهم فيما يقولون وفيما يشيرون من أمر فيه إضرار بالمسلمين أو غيرها من الأمور التي يظهر منها التولي والمحبة[١].

كما تحدثوا رحمهم الله عن تأصيل هذا المعنى الشرعي[٢]، وبيان أبعاده والتأكيد على أن أصل الموالاة الحب، وأصل المعاداة والبراءة، البغض وينشأ عنهما من أعمال القلب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة، كالنصر والأنس والمعاونة والجهاد والهجرة والرضا بأفعالهم، فأمر الولاء والبراء أمر لاشك فيه أجمعت الأمة عليه، لكونه حكماً مقطوعاً به، ولكونه قطعي الثبوت والدلالة، وهو دليل على حرص الإسلام على بناء صلة الترابط بين أتباعه، وتقوية جسر الود بينهم، ومع ذلك فإنه لا يعني نفي الآخر ولا طرده ولا عدم العيش معه، بل إنه يعني وسطية الإسلام وسماحته التي قال الله تعالى فيها عن نبيه محمد r â**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** á [الأنبياء: ١٠٧]، فلا تعارض بين معتقد الولاء والبراء ومبادئ الوسطية والسماحة والرحمة، وذلك يظهر من خلال النقاط الآتية التي تبين أمثلة عدم

= في كتاب الإيمان (١١٠).

وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٢١٥) بلفظ: (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٢٨)، وتعليقه على كتاب الإيمان لابن أبي شيبة، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢١هـ، ص (٤٥)، وينظر: ((صحيح الجامع الصغير)) (٢/ ٣٤٣، ح ٢٥٣٦).

(١) أوثق عرى الإيمان (مجموع الرسائل)، سليمان بن عبد الله آل الشيخ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، (١٤٢٠هـ)، تحقيق الوليد الفريان، ص (٢٥ وما بعدها).

(٢) الموالاة والمعاداة للجلعود، مرجع سابق (١/ ٣٤ – ٦٠).

التعارض[1] :

١- لا يجبر أحد من الكفار على اعتناق الإسلام، بل الأصل â**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**á الآية.

٢- أن أهل الذمة في الإسلام لهم أحكام خاصة، منها أنهم يعيشون في بلاد الإسلام ويتنقلون فيها إلا ما خصه الدليل: (الجزيرة العربية)، ويتعاملون مع المسلمين في أعمال حياتهم بيعاً وشراء.

٣- أن لهم عهداً يحفظ حال إبرام العهود والمواثيق معهم كما قال تعالى: â **إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**á [التوبة: ٤].

٤- بل وصل الأمر إلى حرمة دماء أهل الذمة والمعاهدين، إذا وفوا بذمتهم وعهدهم، قال r : (**من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً**)[2].

٥- تجوز معاملة من له عهد فيما لم يتحقق تحريم التعامل فيه مع عدم المودة والركون إليه، بل لم يزل المسلمون منذ عهد النبي r يتعاملون مع الكفار بيعاً وشراءً وخدمة ونحو ذلك.

٦- برُّ أهل الذمة مأذون فيه، لقوله تعالى: â **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**á [الممتحنة: ٨]. فنصوص الولاء والبراء لا تعزل الأمة الإسلامية عزلاً تاماً عن بقية العالم، فعندها ألوان من التعايش بالمصطلح اللغوي، فالعلاقات التجارية والاستفادة مما عند الأمم الأخرى من التجارب والأمور النافعة والعلاقة بأهل الذمة داخل البلاد الإسلامية، كل هذا لا تلغيه عقيدة الولاء والبراء[3].

٧- ثبات حقوق ذوي القربى من غير المسلمين دليل على أن الولاء والبراء له مفهومه الذي لا يلغي التسامح والوسطية في دين الإسلام، فمثلاً في قوله تعالى: â **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ**

---

(١) الولاء والبراء بين الغلو والجفاء، حاتم بن عارف الشريف، المكتبة العصرية، ط١ (١٤٢٧هـ).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، ح(٣١٦٦).

(٣) إجابات د. المحمود و د.العمر على أسئلة الباحث.

تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا [لقمان: ١٥]، وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: قالت: قدمت عليّ أمي، وهي مشركة، في عهد قريش إذ عاهدوهم، فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قدمت عليّ أمي وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال: (صلي أمك)[1].

بناءً على ما سبق، فإن الولاء والبراء عقيدة ثابتة في شريعة الإسلام، بل هي من الأصول العظيمة في تعامل المسلم مع إخوانه، وتعامله مع غير المسلمين، لكن لا يعني هذا أنها هي الفاصل والمبعد عن إقامة العلاقات والتواصل بين المسلمين وغيرهم، بل هي دافع حقيقي إذا نظر إليها المسلم حسب مراد الشرع منها، هي الدافع للوصول إلى دعوتهم وإخراجهم مما هم فيه، وهي الدافع إلى بذل الخير بين المسلمين والتواصل معهم ليصلوا بدينهم إلى العالمية، ويوصلوا رسالتهم إلى كل مكان، وهو السياج العظيم الذي يحمي المسلمين من الذوبان في الأديان والمعتقدات الأخرى، مع التأكيد على المسلمين حال ترسيخه أنه لا يعارض آداب التعامل بالرفق واللطف، كما أنه ليس عاراً تخجل منه، بل هو عقيدة نواجه غيرنا به، لأنه يبني في نفوسنا الولاء لبعضنا، كما هو الحال عند غيرنا.

# # #

(١) أخرجه البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهدية للمشركين، ح (٢٦٢٠)، ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين، ح(١٠٠٣).

المطلب الثالث: أهمية الولاء والبراء في حوار الحضارات

إن العقيدة الإسلامية قيم ومبادئ تستقر في القلب فتثمر فيه من المفاهيم اليقينية ما يتسق مع النظرة الربانية التي فطر الله الناس عليها، كما تثمر تلك العقيدة سلوكاً حياتياً منسجماً مع تلك المفاهيم، ومن أبرز القيم التي لا بد أن تثمر في السلوك الحياتية، قضية الولاء والبراء وهي جزء من تحقيق العبودية التي أساسها «**لا إله إلا الله**» والتي تعني أن يعيش المسلم منقاداً لأمر الله في كل شؤون حياته، فالإسلام دين سلام، وعقيدة حب ووئام، ونظام يستهدف أن يعيش العالم كله بظله، وأن يقيم فيه منهجه، وأن يجمع الناس تحت لوائه، وليس من عائق يعيق ذلك سوى عدوان الأعداء وصدهم عن الإسلام، فكيف يتم لقاء أو محبة مع من صد عن ذكر الله وطمس معالم الحق؟

فلننظر بعين الإنصاف لجميع الأمم والملل والمذاهب كيف تؤكد على أتباعها أن يكونوا يداً واحدة على من سواهم، وأن ينصر بعضهم بعضاً، مع أن بعض هذه الملل لا تحترم غيرها ولا ترى لغيرها قدراً ولا منزلة، فكيف لا يعاب عليهم؟

إن الناظر للمجتمع الإسلامي منذ بدء الدعوة يجد أن أتباع النبي r انخلعوا في مكة من الولاء لأُسرهم، وعشيرتهم، وقبيلتهم أو لقيادتهم الجاهلية، وأعطوا ولاءهم لمحمد r وللتجمع الصغير الناشئ الذي قام بقيادته ... وبعد الهجرة آخى الرسول r بين المهاجرين والأنصار، تلك المؤاخاة التي تقوم على الدين مقام رابطة الدم، مما حقق للمسلمين عبر التاريخ أعظم النتائج والآثار، سواء في مجال التناصح والتناصر والتراحم والتكافل بين المسلمين، أو في مجال الدعوة ورحمة الخلق ودلالتهم إلى الخير، بل لقد قامت على أساس هذا التوالي العقدي حضارة لم يعرف لها التاريخ مثالاً من قبل ولا من بعد، وما تزال آثارها وبصماتها شاهداً حياً على عظمتها وأصالتها ... فهي تحقق الولاء والبراء وتدعو إلى الله ويتدافع الناس للدخول في دين الله، وتنشئ الحوار مع غير المسلمين، وتعقد معهم العهود والمواثيق، ولم تتراجع هذه الأمة عن مكانتها الرائدة إلا يوم ضعفت وتخلت عن عقيدتها وقيمها التي تجمع المسلمين على رباط واحد وهو الدين، فنتج للأمة مجتمع الحب والإيثار الذي يسطر صفحات من الأخلاق العظيمة التي ليس لها نظير، كما قال سبحانه: â **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ**

تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَá [الحشر: ٨- ٩].

لقد كان التكافل الاجتماعي الإسلامي ثمرة طبيعية وحقيقية لعقد الأخوة بين المسلمين، فليست القضية قضية مشاعر باردة ولا عواطف جياشة فحسب، بل إنه التكافل الذي لم يعرف التاريخ مثله من قبل، مما جعل المجتمع المسلم مجتمعاً منتجاً عاملاً باذلاً متسامحاً معطياً الحق لأهله مطالباً بالعدل .... فهل يمكن لمجتمع هذه صفاته أن يفشل في الحوار، أو أن لا يحسن في حواره مع غيره؟(١).

لكن هل يمكن أن نؤسس لأهمية الولاء والبراء في حوار الحضارات استشهاداً بما سبق من النصوص؟.

الجواب:

١- نعم: إذ لا تعارض البتة بين الولاء والبراء والحوار، فإن أعظم سورة ذكرت الولاء والبراء هي سورة الممتحنة –كما سبق –وهي سورة مدنية –، ومع ذلك يقول الله تعالى فيها: â**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**á [الممتحنة: ٨]. فلا يمكن لأحد أن يعتقد في شخص ما أنه لن يهتدي، فالهداية بيد الله وحده I .

٢- قضية الولاء والبراء عقيدة إيمانية قلبية أولاً، ثم لا بد أن تنعكس آثارها السلوكية على الشخص، وهذا السلوك لا بد فيه من التفريق بين القضايا المتعلقة بالشخص بذاته، وبين ما يتعلق بالمجتمع المسلم، فعليه لا بد أن يكون المسلم متميزاً بشخصيته الإسلامية التي كان النبي r وصحابته عليها، ومع ذلك كانوا يتعاملون مع الكفار في كل شؤون حياتهم، بل دخلوا معهم في حوارات طويلة –كما سبق- .

٣- وجود الولاء والبراء في حوار الحضارات يعطي المسلم قوة ودافعاً لينطلق في حواره منطلق العزة والتمكن، فالحوار هو لغة الأقوياء وعلامة قوة وثقة بالنفس بما لدى المسلم من ثوابت ومسلمات شرعية لا يمكن أن يتنازل عنها.

(١) ينظر لما سبق: ((في ظلال القرآن))، سيد قطب، دار العلم للطباعة، جدة، الطبعة ١٢، (١٤٠٧هـ) (٣/ ١٥٥٨، ١ / ٢٩٣)، وينظر: حوار الحضارات، موسى الإبراهيم، مرجع سابق (١٢٤ وما بعدها).

٤- هذه العقيدة هي التي تدفع المسلم إلى التعامل مع غيره تعاملاً حضارياً راقياً عنوانه البر والإحسان والتكريم الذي يحبب الناس بالإسلام، ويعطيهم المثل على رحمته وتسامحه حتى مع أعدائه.

وأعظم مثال على ذلك ما ضربه القرآن الكريم لنا من المثل الأعلى في الولاء والبراء، وأمرنا أن نتخذ منه أسوة حسنة في هذا الشأن، ذلكم هو الخليل إبراهيم u فقال سبحانه: â **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**á [الممتحنة: ٤]، بل إنه خاطب والده بعبارات التودد والاحترام من أجل دعوته إلى الحق وحواره عما هو فيه من باطل، كما جاء ذلك في سورة ((مريم)).

٥- لا يمكن أن يقول مسلم إن الولاء والبراء يتصادم مع الحوار مع الكفار، وإلا لاتُّهِم رسول الله r —وحاشاه ذلك- فهو أعظم من يطبق الولاء والبراءُ، وهو الأسوة الحسنة والمرجع في كل شؤون ديننا، ومع ذلك حاور الكفار وكاتبهم ودعاهم، فهل في هذا العمل منه نقص لمبدأ الولاء والبراء؟ بالطبع: لا.

٦- التعامل مع الآخر والنظر في مواقفه لا يتعارض مع ما هو متقرر في أصول دين الإسلام من الولاء والبراء والاعتزاز بالدين، بل إنه يقوى به ويشتد، وتزداد به صور الثقة والاعتزاز، فثمة فرق واضح بين التعامل والتعايش أو تبادل المصالح وبين الاستلاب أو الانسلاخ، بل إن المنهج السليم يقضي بفهم ذلك الآخر والتعامل معه وفق منطق الاعتزاز والثقة بالحق دون تذبذب في الرؤية أو انحراف في الهدف[١].

٧- قضية الولاء والبراء من القواعد المحكمة في دين المسلمين، لكن في أزمنة الانكسار يرق هذا الحاجز ويضعف، ويحدث فقه التبرير الذي تنشئه عوامل الوهن، التي تمر بها الأمة من ناحية، ومفاهيم الاختراق الوافدة من ناحية أخرى، ويحسن التنبيه إلى أن الولاء والبراء يعقده القرآن الكريم والسنة النبوية لا غير، فمن كان مؤمناً بالله ورسوله بذلت له حقوق

(١) د. صالح بن حميد، لقاء مجلة الدعوة، العدد (٢١٢٤) ٢٤- ذو الحجة ١٤٢٨هـ.

الموالاة كاملة، ومن كان كافراً حجبت عنه، وإذا عجز المسلمون عن تقديم النفع للأمة مادياً، فلا أقل من أن يبقوا على صفاء مبادئه، ويورثوها للأجيال، ومنها الولاء والبراء[1].

٨- البر والقسط هما أساس العلاقة في التعامل مع المسالمين من غير المسلمين، - كما جاء في الآيات السابقة — ومن صور البر التعاون المثمر والعادل مع غير المسلمين، في كل ما يمثل مصلحة مشتركة للفريقين[2].

٩- اعتبار عقيدة البراء التي جاءت في الشريعة حسب ما سبقت له، فبعض النصوص اقتصر على النهي عن موالاتهم، وبعضها اقتصر على بيان سلبيات غير المسلمين دون ذكر النهي عن موالاتهم، وبعضها جمع بين بيان السلبيات وترتيب النهي عن الموالاة بسبب ذلك، وبعضها الرابع صرح بما كان يمكن استنباطه بطريقة مفهوم المخالفة، وهو أن النهي عن الموالاة، يرتفع إذا ارتفعت أسبابه[3].

١٠- بناءً على النقطة السابقة يمكن تحقيق القول في مسألة الحوار أن الغرب ليس واحداً، وأن اصطحاب الولاء والبراء في الحوار ينبغي أن يختلف من غرب إلى غرب، فالغرب المحارب ليس كالغرب المسالم، والغرب الذي به أكثرية إسلامية ليس كغيره ممن يقصي المسلمين ولا يحترمهم[4].

وعلى هذا نقول: إن الولاء والبراء من أهم ضوابط حوار الحضارات، ولا يمكن أن يتنازل عنه المسلمون أو يعتبروه منقصة، وفي المقابل هو ليس طريقاً إلى رفض الآخر وظلمه وعدم التعاون معه.

# # #

(١) د. صلاح الصاوي، لقاء على شبكة المعلومات في موقع مفكرة الإسلام.

(٢) د. صلاح الصاوي، لقاء على شبكة المعلومات في موقع مفكرة الإسلام.

(٣) نحو فقه جديد للأقليات، مرجع سابق (٨٠- ٨٤).

(٤) حوار مع د. على النملة، مسجل ((سبق ذكره)).

المبحث الثاني

إقامة العدل

المطلب الأول: تعريف العدل في اللغة والاصطلاح

<u>أولاً: العدل لغة:</u> مادة (ع. د. ل) أصلان صحيحان، أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج، فالأول العدل من الناس: المرضي المستوى الطريقة، يقال هذا عدل، وهما عدل، والعدل: الحكم بالاستواء، والمشرك يعدل بربه كأنه يساوي به غيره وهو المعنى الأعوج[١].

والعدل ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلاً وهو عادل، ومن أسماء الله تعالى: العدل، وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم ... والعدل كلمة تطلق ويراد بها التوسط في الأمور كلها بقدر الطاقة والإمكان[٢].

والعدل والمعادلة: لفظ يقتضي معنى المساواة، ويستعمل بمعنى المضايفة[٣].

<u>ثانياً: العدل اصطلاحاً:</u>

العدل هو ما تحرى به الحق من غير ميل إلى طرف من الطرفين أو الأطراف المتنازعة فيه أو المتعلقة به.

والعدل قوام الدين والدنيا، وهو في الإسلام عام لكل زمان ومكان وأشخاص، فقد أمر الله تعالى عباده بالعدل في قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾ [النحل: ٩٠] وهو عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وهو الاستقامة على طريق الحق باجتناب ما هو سيئ وظلم[٤].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٤٧).

(٢) لسان العرب (١١/ ٤٣٠).

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (٣٢٥) مرجع سابق.

(٤) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار المعرفة، بيروت، (٢٠٠٧م)، اعتنى به: عادل أنور خضر =

فيكون مدار معنى العدل في الاصطلاح، الاستقامة التامة قولاً وفعلاً وحكماً.

وقد عرفه الباحثون في القانون: ((القواعد القائمة إلى جانب قواعد القانون الأصلي مؤسسة على وحي العقل والنظر السليم وروح العدل الطبيعي بين الناس)) والشرائع القديمة استقت مبادئ العدالة من هذا المصدر الذي هو العقل وشعور العدل في النفس، ولكن هذا المصدر اتخذ صوراً مختلفة تبعاً لاختلاف الشعوب، فكان مصدر العدالة عند الرومان (قانون الشعوب)، وعند اليونان (قانون الطبيعة)، وعند الإنكليز (ضمير الملك). أما مصدر العدالة في شريعة القرآن هو العقل وحكمة الاشتراع في الإسلام[1].

والعدل يعني تمكين صاحب الحق من الوصول إلى حقه من أقرب الطرق وأيسرها، وهو من القيم التي تنبثق من عقيدة الإسلام في المجتمع، مما يجعله مختلفاً عن دعوى إقامة العدل في مجتمعات أخرى، فهو في الإسلام: معاملة الناس بالحق الموافق للشرع، وعدم الجور أو التعدي على حقوقهم بسبب الهوى أو نحوه[2].

وبالتالي فالعدل إعطاء كل ذي حق حقه من غير تفرقة بين المستحقين، وبدون نظر إلى الأمور العارضة التي ينظر إليها الناس، ويعتبرها بعضهم معياراً للتفرقة كالحسب أو النسب أو المال أو القوة أو الضعف أو العداوة أو الموالاة[3].

# # #

= ص(١٩١).

(١) مصطفى صادق الرافعي، الإسلام والعدالة، WWW.belagh.com .

(٢) النظام السياسي في الإسلام، د. سليمان العيد، دار الوطن، الرياض ط١، (١٤٢٢هـ) ص (٢٠٠)، وينظر: ((المجتمع الإسلامي، دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم)) محمد نجيب أبو عجوة.

(٣) ينظر: ((مفهوم المساواة في الإسلام)) د. رشاد خليل، دار الرشيد، الرياض (ب ت).

المطلب الثاني : مشروعية العدل في الإسلام

العدل من الغايات الكبرى التي اتفقت عليها الشرائع السماوية، ومن أجله أرسل الله رسله، وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، قال تعالى: â **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**á [الحديد: ٢٥]. وقال تعالى: â **اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ** á [الشورى: ١٧].

فالمطلع على شريعة الإسلام يجد أنه لا عدل فوق عدل الإسلام، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، فكل أمر أمرت به ففيه الخير والمصلحة وهو أساس العدل، بل ميز الإسلام المؤمنين بالعدل والالتزام به في منهج حياتهم كما قال سبحانه: â**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**á [الأعراف: ١٨١]، ووصف أمة محمد r بأنها أمة العدل، فقال عز من قائل: â**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**á [البقرة: ١٤٣] أي جعلناكم خياراً عدولاً يرتضي الناس شهادتكم في الدنيا والآخرة، ويرضى عنكم رسوله، فيشهد لكم بأنكم أديتم الأمانة، وأقمتم الحجة، وبينتم للناس المحجة، فالمعنى، وكما أن الكعبة وسط الأرض، كذلك جعلناكم أمة وسطاً، أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم[1].

ولبيان مشروعية العدل في الإسلام نختار بعض النصوص من الكتاب والسنة:

١- قوله تعالى: â**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**á [النحل: ٩٠].

٢- قوله تعالى: â **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**á [الشورى: ١٥].

٣- قوله تعالى: â**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ**

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٥٣٦).

تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًاá [النساء: ١٣٥].

٤- قوله تعالى: â**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا**á [النساء: ٥٨].

أما الأحاديث النبوية فكثيرة أيضاً منها:

١- عن أنس بن مالك **t** قال: قال رسول الله **r**: (**إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله U محسن يحب المحسنين**)[1].

٢- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله **r**: (**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن U، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**)[2].

٣- عن أبي سعيد الخدري **t** قال: قال رسول الله **r**: (**إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**)[3].

وقد طبق النبي **r** مبدأ العدل في حياته ومع المسلمين وغير المسلمين، وأصبح العدل سمة للمجتمع المسلم، لا يتأثر بحب أو بغض، ولا يفرق بين مسلم وغير مسلم، به يؤخذ للضعيف حقه، وينصف المظلوم ممن ظلمه، ولذا جاء في سبب نزول آيات من كتاب الله ما يؤكد ذلك، وهي قوله تعالى: â**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ**

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الديات، وابن عدي في الكامل (٣٢٨/٢)، وذكر صاحب مجمع الزوائد (١٩٧/٥) أنه في الطبراني الأوسط، وقال: رجاله ثقات، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة، ح(٤٦٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ح(١٨٢٧).

(٣) سبق تخريجه.

عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًاá [النساء: ١٠٥- ١١٣].

جاء في سبب نزولها أن نفراً من الأنصار غزوا مع النبي **r** في بعض غزواته، فسرقت درع لأحدهم فأظن بها رجلاً من الأنصار (أي اتهمه)، فأتى صاحب الدرع رسول الله **r** فقال: إن طعمة بن أُبيرق سرق درعي، فأتى به رسول الله **r** فلما رأى السارق ذلك، عمد إليها فألقاها في بيت رجل بريء (وهو يهودي)، وقال لنفر من عشيرته: إني غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان، وستوجد عنده فانطلقوا إلى نبي الله ليلاً، فقالوا: يا نبي الله، إن صاحبنا بريء، وإن سارق الدرع فلان، وقد أحطنا بذلك علماً. فأعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه، فإنه إلا يعصمه الله بك يهلك. فقام رسول الله **r** فبرأه وعذره على رؤوس الناس، فأنزل الله: â**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**á [النساء: ١٠٥][(١)].

فما أعظم العدل وأروعه ... فالمسألة لم تكن مجرد تبرئة بريء -وهو يهودي- تآمرت عليه عصبة لتوقعه في الاتهام- وإن كانت تبرئة بريء أمراً هائلاً ثقيل الوزن في ميزان الله- إنما كانت أكبر من ذلك، كانت هي إقامة العدل والميزان الذي لا يميل مع الهوى، ولا مع العصبية، ولا يتأرجح مع المودة والشنآن أياً كانت الملابسات والأحوال[(٢)].

فانظر إلى العدل الذي أمر الإسلام به كيف يكون قيامه مع قيام غيره من مقتضيات الشرع مثل الولاء والبراء، ومع ذلك أمر الله تعالى المؤمنين بالعدل مع الكفار وإن كانوا يبغضونهم وهذا دليل على مبلغ أهمية العدل في الدين.

أما مجالات العدل في الإسلام فكثيرة منها:

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ١٨٣ وما بعدها).

(٢) في ظلال القرآن (٢/ ٧٥٢) بتصرف.

١ - العدل في الأقوال[١]:

والعدل في الأقوال يكون في كل ما يتفوه المرء به من كلام يحسب له أو يحسب عليه، فيشمل بعمومه إنصاف المرء من نفسه، والإدلاء بالشهادة، والإتيان بالأخبار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك مما تكون الأقوال مصدراً له أو طرفاً فيه.

والعدل في الأفعال تابع في الأقوال، أو كائن في طريقها، فلا يكاد قول يخلو من فعل، بل إن القول يعدّ فعلاً في اللغة، لأنه حركة من حركات اللسان تتبعها حركات أخرى، تتعاون معها في حمل السامع على تصديقه أو تكذيبه.

والعدل في الأحوال لا يخرج عن العدل في الأقوال والأفعال، فهو تعبير صادق عنهما، ودليل كاشف عما ينطوي عليه كل منهما.

فمن العدل أن ينطق القائل صدقاً في كل أقواله، فهذا عدل مع نفسه.

ومن العدل أن يكون المسلم صادق الحكم على الآخرين، ناقلاً للحق قابلاً له مهما كان مصدره، لا يمنعه بغضه لفئة أو طائفة أن يقبل الحق إذا جاء منهم مهما كان الأمر بالنسبة له، لأن العدل لا يزيده إلا رفعة وقوة.

٢ - العدل في الأفعال:

أما العدل في الأفعال، فهو يسير جنباً إلى جنب مع العدل في الأقوال، بدليل قوله تعالى: â **لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ** á [الصف: ٢].

ومنحنى العدل في الأفعال أن يجرد المرء من نفسه رقيباً على تصرفاته كلها؛ فيحكم عليها بالموازين الشرعية، ويعدل مسارها إذا انحرفت عن السوية وفق هذه الموازين، ويزيل من طريقه كل ما يعوقه عن تأدية الواجبات المنوطة به، ويصرف همته إلى الوظيفة التي خلق

---

(١) مستفاد من ((العدل مبدأ وغاية)) د. محمد بكر إسماعيل، دار المنار، مصر، ط١ (٢٠٠٤م) وجل هذا المبحث مستفاد منه.

وينظر: ((العدل في القرآن الكريم)) بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير قدمه/ صادق قاسم حسن مصطلح، جامعة الإيمان، صنعاء، (٢٠٠٦م).

وهو منشور على موقعهم WWW.Jamea+aleman.org.

لأجلها، ويبعد عن ساحة قلبه كل ما يحمله على المعاصي: صغيرها وكبيرها.

فمن العدل في الأفعال أن تصدر أفعال الأفراد أو الدول تجاه الآخرين من منطلق العدل، يبتعدون بها عن الجور والظلم، فلا يحصل حال إبرام عقد أو اتفاق، ولا حال مطالبة أو تحاكم أن يحيف المسلم فرداً أو دولة، بل يلزم العدل في الأفعال، لأن العدل يحقق للأمة الخيرية.

٣ - العدل الاقتصادي:

وهو من العدل في الأفعال، لكن الحاجة إليه ماسة في زمن كثرت فيه مظالم المال وأهله، فإن كل عدل لا يقوم على اقتصاد منظم، فهو عدل ناقص، بل عدل ظالم فلن نكون عمليين ولا عادلين حين نبني اقتصاداً محارباً لله ولرسوله، أو حين نجعل الأموال دولة بين الأغنياء، أو حين نحرم الفقراء من حقهم الذي شرعه الله لهم؛ فكيف تكون حال الحياة إذا لم نحقق العدل الاقتصادي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق، وإن لم تشترك في إثم، ولهذا قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام... إن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل، قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة))[١].

ومع الإشارة إلى بعض مجالات العدل نؤكد أن العدل يدخل في كل نواحي الحياة: السياسية منها والاقتصادية والاجتماعية، وإنما أردت الإشارة فقط إلى مشروعية العدل في الإسلام للتأكيد على أهميته.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٤٦).

المطلب الثالث

أهمية العدل في حوار الحضارات

يقيم الإسلام العلاقة بين المسلمين وغيرهم ممن لم يقاتلونا في الدين، أو يخرجونا من ديارنا على البر والعدل والإحسان والتسامح، كما سبق بيان معنى قوله تعالى: â **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** á [المائدة: ٨].

قال شيخ المفسرين الطبري: ((وأما قوله: â**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا**á فإنه يقول: ولا يحملنكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتهم بينكم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة... وقد قيل إن هذه الآية نزلت على رسول الله **r** حين همت اليهود بقتله))[١]، ((وفي هذا دليل على نفوذ حكم العدو على عدوه في الله تعالى، ونفوذ شهادته عليه، لأنه أمر بالعدل وإن أبغضه، ولو كان حكمه عليه وشهادته لا تجوز فيه مع البغض له لما كان لأمره بالعدل فيه وجه.

ودلت الآية أيضاً على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه، وأن يقتصر بهم على المستحق من القتال والاسترقاق، وأن المثلة بهم غير جائزة وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا وغمونا بذلك، فليس لنا أن نقتلهم بمُثلةٍ قصداً لإيصال الغم والحزن إليهم))[٢].

والناظر في حوار الحضارات يجد تباين الرؤى والأطروحات بين المسلمين وغيرهم، ولعل ذلك يرجع إلى كونها ردود أفعال على ما طرحه هنتنجتون أو فوكوياما، وبالتالي فإن مرتكزات الحوار تكون انفعالية في الرفض التام والقبول التام لإيصال رسالة معينة.

أما المرتكز الأساس الذي ينبغي أن ينطلق منه المسلمون في حوارهم الحضاري مع غيرهم مهما كانت ملته، فهو (الكلمة السواء) التي يجتمع عليها المسلمون، وينبغي أن يجتمع حولها غيرهم تحقيقاً لأبسط قواعد التكامل والتعاون، قال الله تعالى: â**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**

(١) تفسير الطبري (٨/ ٢٢٣)، مرجع سابق، بتحقيق د. التركي.

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ٣٧٢)، مرجع سابق.

تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ á [آل عمران: ٦٤]. فكلمة (سواء) من الاستواء وهو العدل: أي تعالوا إلى كلمة فيها إنصاف من بعضنا لبعض، لا ميل فيه لأحد على صاحبه، فإذا آمنا بها نحن وأنتم كنا على السواء والاستقامة، وهو العدل الذي لا مناص عنه(١).

بل لقد قرأ بعضهم: (**تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ عَدْلٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**)(٢).

وهذا (السواء) في لغة عصرنا: ما يشمل جميع الناس، ولا يمكن أن يحرم منه أحد مهما كان المبرر أو السبب من المبادئ العامة، ولعل من أهم مقتضيات هذا التعارف والتعاون والتكامل حسن الخطاب، وحسن توجيهه â**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**á [النحل/١٢٥]، فيندرج في هذا المفهوم من مفاهيم الحوار، إقامة سلم عالمي يكفل إشاعة مفهوم مركزي في الإسلام وهو (العدل) في جميع حالات الحياة ومجالاتها، وفي مختلف صنوف العلاقات الإنسانية مهما ضاقت أو اتسعت دوائرها إذ يمثل العدل أهم أسس بعثة النبي ‌**r** ، وذلك بإقامة العدل بين الناس في شتى المجالات، وحماية حقوق الناس، وتحرير الإنسان من عبودية العباد ورفع الظلم عنهم(٣).

ولقد اتضح للعالم كله أن الإسلام بتعاليمه وتطبيقاته في العصور الإسلامية المتقدمة هو النموذج الأمثل للعدل الذي تنتظره الدنيا، ولا يمكن أن يكون الحوار الحضاري مثمراً بدون وجود العدل، وهو ما حققه الإسلام... أما تطبيقات بعض أبنائه المتأخرين أو تصرفاتهم، فهي لا تؤخذ على أنها تمثل الإسلام، ولا يقول منصف بذلك، وإلا لأخذت الأمم والشعوب والثقافات بتصرفات بعض أبنائه الشاذة.

---

(١) التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار إحياء التراث، بيروت، ط ١ (١٤١٥هـ) (٣/ ٢٥٢).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٤٧٨)، قال المحقق: ونسب الفراء القراءة إلى ابن مسعود. ينظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٢٢٠).

(٣) ما غاية المسلمين في حوارهم مع الآخر وحضارته؟ مقال: هشام منور، مجلة أدباء الشام على شبكة المعلومات www.odabasham.net.

إن المشارك في حوار الحضارات يبحث عن العدل بكل صوره، ويجد فيه مدخلاً عظيماً لمكاسب حوارية له، ولمن أرسله لهذا الحوار ليكون نائباً عنه، فبالعدل يحصل الطرفان على المكاسب ويصلان إلى كلمة سواء، ولا يمكن أن يقوم حوار مع ظلم، ولا أن يضمن الناس معاهدات أو محاكمات دون عدل ولو سموا المحكمة بـ((محكمة العدل الدولية))، فالاسم لا يغني شيئاً ما لم يتحقق العدل فيها، وفي غيرها من المنظمات والهيئات والجهات العالمية، وكذلك المطالب العادلة للشعوب والأمم التي تنشد حواراً حضارياً.

((إن غالب المؤسسات الدولية أصبحت فيما آلت إليه – مرفوضة من عموم المسلمين إلا القليل، وسبب ذلك معلوم ومشاهد، وأصبحت لا يوثق بها، بل الأمر أدهى وأمرّ، أصبحت سيفاً مصلتاً على رقاب المسلمين وبلدانهم في أية قضية من قضاياهم.

وهذه المؤسسات العالمية منذ تأسيسها إنما قامت من أجل مصالح الغرب وهيمنته على ما يسمونه بدول العالم الثالث وعلى رأس هذا العالم الثالث العالم الإسلامي... غزو أفغانستان والعراق وغيرهما تباركه المنظمات الدولية... أنظمة التعليم العالمي يدار بنظم غربية علمانية، ويرغم المسلمون على تطبيقها في تعليمهم... مؤتمرات السكان والمرأة وغيرها حرب على الفضيلة ونشر للرذيلة... ومن ثم إرغام الدول الإسلامية في السير في هذا الركب القذر...

وفضيحة الكيل بمكيالين وعدم العدل أصبحت على كل لسان: ... هذا ما جعل عموم المسلمين يرفضون هذه المؤسسات لأنها لا تقيم العدل ... ولا شك أن هذا الرفض سيعيق حوار الحضارات، وسبب الإعاقة أولاً جاء من الغرب))[1].

كما تكمن أهمية العدل في الصورة التي ينتجها للمجتمعات في جميع مجالات الحياة، فإذا كان المجتمع ملتزماً العدل في منهجه السياسي، أثمر هذا مجتمعاً متماسكاً مترابطاً منتجاً، وبمجرد دخوله في أي حوار حضاري فإن الغلبة تكون له، لأن آثار العدل تظهر في هذا المجتمع، وتشد الناس إليه، حتى يردد الواحد منهم إذا رأى الحاكم المسلم: ((عدلت فأمنت فنمت))[2]، وفي العدل يطمئن الناس إلى حقوقهم خاصة إذا كان الحاكم يعلن مبادئ العدل ويطبقه، فإن

---

(١) د. المحمود، أسئلة مقدمة من الباحث، سبقت الإشارة إليها.

(٢) قالها لعمر بن الخطاب رسول قيصر روما، ينظر: التبر المسبوك في تاريخ الملوك، إسماعيل أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، ط١ (١٩٩٦م)، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي (ص ١٧).

هذا سيكون سبيلاً لحوار حضاري منصف.

كان الصديق t يعلن في افتتاح توليه الخلافة هذا المبدأ قائلاً: ((إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق))[1]، فإذا اطلع الناس على هذه النماذج كان لها الأثر في قبول أي صورة من صور الحوار التي تأتي من مجتمعات تعيش العدل وتطبقه.

ثم إذا التزم المجتمع العدل الاجتماعي، أو العدل الاقتصادي، أو غيرها من صور العدل، كان لهذا أثره في حوار الحضارات، ودخل أصحابه بقوة لا مثيل لها، لأن العدل قوة، والقوة لا تغلب، وهذا الميزان هو الضمان الوحيد للبشرية من العواصف والزلازل والاضطرابات والخلخلة التي تحيق بها في معترك الأهواء ومضطرب العواصف، ومصطخب المنافسة وحب الذات، يثوب إليه البشر فيجدون عنده الحق والعدل والنصفة بلا محاباة[2].

ومن صور العدل التي ينادي بها الإسلام في الحوار[3]:

- اتباع طريقة القرآن في محاورة أهل الكتاب بالتي هي أحسن كما قال: â**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)** á [آل عمران: ٦٤]. وقوله تعالى: â**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** á [العنكبوت: ٤٦].
- عدم تكذيب ما عندهم تكذيباً عاماً لمجرد كونه من كتبهم بل ينبغي السكوت عن ذلك فلا يصدقون ولا يكذبون.
- عدم التجني عليهم أو تقويلهم ما لم يقولوا به، بل الواجب توثيق كلامهم من مصادرهم المعتبرة، والتأكد من صحة النقل أو الحكم قبل إطلاقه.

---

(١) صفة الصفوة، عبد الرحمن بن الجوزي، دار المعرفة، بيروت، ط٢ (١٣٩٩هـ)، تحقيق: محمد فاخوري. وينظر: ((سير أعلام النبلاء)) محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ (١٤٢٢هـ)، حققه: بشار عواد معروف (٢٨/ ٢٦).

(٢) في ظلال القرآن، مرجع سابق (٦/ ٣٤٩٤).

(٣) الأحكام والضوابط العقدية المتعلقة بالحوار مع غير المسلم، د. سهل بن رفاع، بحث مؤتمر، مرجع سابق.

- التجرد للحق والبعد عن الهوى والحظوظ الشخصية كما قال تعالى: â**فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**á [النساء: ١٣٥].

- ومن الإنصاف ذكر إيجابيات الطرف الآخر وموافقته فيما يصدر عنه من حق، وإبراز هذا الحق أثناء الحوار[١].

- ومن العدل الاعتراف لهم بما يحسنونه ويستفاد منهم فيه، من أمور الحضارة الدنيوية التي سبقوا المسلمين إليها.

- الاتفاق معهم على المشتركات الإنسانية، فإن هذا يدفع إلى التعاون ويقلل الهوة في الانفصال، وينفع البشرية في أمور الحياة[٢].

- ومن العدل الوقوف مع المظلوم وإنصافه والمساهمة في التخفيف عنه إذا لم يكن محارباً مخرجاً للمسلمين من ديارهم.

- ومن العدل الوفاء بالعهود والمواثيق، وإعطاؤهم حقوقهم كاملة غير منقوصة من خلال المشاركة في الأعمال التجارية والمناقصات الدولية.

- ومن العدل عدم الإضرار بهم أو المساهمة في الإضرار بهم في ديارهم مما تكون آثاره السلبية على المسلمين أعظم.

---

(١) كان لإبراز جوانب الحق مع المخالفين في مؤتمر السكان والمرأة أثر كبير في اتفاقهم مع المسلمين على رفض الأمور المخالفة للآداب العامة عند الطرفين.

(٢) ما سيأتي مستفاد من لقاء أجراه الباحث مع د. سلمان العودة.

المبحث الثالث

الأخوة الإيمانية

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: التأصيل العقدي للأخوة الإيمانية

المطلب الثاني: أهمية الأخوة الإيمانية في حوار الحضارات.

المطلب الثالث: العزة والمداهنة وعلاقتهما بحوار الحضارات.

المطلب الأول: التأصيل العقدي للأخوة الإيمانية

١ - الأخوة لغة واصطلاحاً:

الأخ من النسب معروف، وهو من جمعك وإياه صلب أو بطن، وقد يكون الصديق أو الصاحب... ويطلق على إخوة النسب أو الصداقة إخوة وإخوان، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿**فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ**﴾ [الأحزاب: ٥].

قال بعض النحاة: سمي الأخ أخاً لأن قصده قصد أخيه، وأصله من وخى أي قصد، فقلبت الواو همزة. وآخى الرجل مؤاخاة وإخاء ووخاء[١].

أما الاصطلاح: فقيل: هو مشاركة شخص لآخر في الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع، ويستعار لكل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة أو غير ذلك من المناسبات.

٢ - التأصيل العقدي للأخوة الإيمانية[٢]:

تستمد القيم الإسلامية روعتها وجلالها من كونها صادرة من لدن حكيم خبير، وتكتسب قوتها وفعاليتها من ارتباطها بالعقيدة، وتفيض بركتها بسبب توافر الإخلاص واليقين في نفوس المسلمين المتحلين بها الناهلين من نبعها. وقد حاول كثير من الفلاسفة وضع تصور للقيم الأخلاقية، ورسم صورة للمجتمعات الفاضلة، فجاءت محاولاتهم مرتبطة بما جبل عليه الإنسان من جهل وظلم وضعف من ناحية، ومن ناحية أخرى لم تجد التطبيق على الواقع – على قصورها – لانعدام الدافع والمحفز للتحلي بهذه القيم.

---

(١) لسان العرب، مرجع سابق (١٤/ ٢٣١٩).

(٢) ألفت كتب كثيرة، وقد أشرت هنا إلى الموضوع إشارة مستفيداً من المراجع الآتية: ((أخوة الإسلام فوق مستوى الخلاف))، محمد بن عبد الله الحكمي، دار المجتمع، جدة، ط١. ((إنما المؤمنون أخوة))، حسن زكريا، مكتبة الإيمان، دمشق، ط١ (١٤١٠هـ)، و((الحب في الله وحقوق الأخوة))، أحمد مزيد، دار ابن حزم، بيروت، ط١ (١٤٢٤هـ).

كما ألف الأولون مجموعة من الكتب حول الموضوع، منها: ((أدب الدنيا والدين)) للماوردي، و((كتاب الإخوان))، لابن أبي الدنيا.

ومن المعاني العظيمة التي دعا إليها الإسلام ورعاها، معنى الأخوة... فقد قرر سبحانه وتعالى هذا المبدأ في القرآن الكريم في قوله: â**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**á [الحجرات: ١٠]، فهذا رابط يجب أن يستشعره كل من اتصف بصفة الإيمان وتمتع بعقد الإسلام نحو بقية المسلمين؛ رابط يستجيش عاطفته الدفاقة تجاه إخوانه المؤمنين في كل عصر ومصر بكل ما تحمله كلمة الأخوة من سلامة صدر ونقاء سريرة، وما يتبعه بالضرورة من محبة وانسجام ورحمة ووئام، وما يقتضيه من إغاثة عند العوز، وإعانة عند الحاجة وتفريج همّ عند الضرورة... فهذه الأخوة منّة ينعم الله بها على عباده الصالحين، فتتألف قلوبهم وتتوثق روابطهم، كما أنعم على الجيل الأول والرهط المبارك من الصحابة **y** : â**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**á [الأنفال: ٦٣]، فارتفع صرح الجماعة الإسلامية عالياً متيناً بهذه الأخوة، واستعصى على محاولات الهدم والتخريب[١].

وقد جاء تأصيل هذه الأخوة في القرآن الكريم والسنة النبوية القولية والعملية لتأكيد أحد أهم أنواع الأخوة[٢]، وهي الأخوة الإيمانية، أخوة الدين والمتابعة التي قال الله تعالى عنها: â**فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**á [آل عمران: ١٠٣]، وفي قوله: áâ**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**á [الحجرات: ١٠]، وجاء التصريح بها في قوله تعالى: â**ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**á [الأحزاب: ٥].

فالأخوة الإيمانية تشمل كل فئات المجتمع، فليس هناك فئة من الناس أعلى من تؤاخي الآخرين، ولا فئة أهون من أن يؤاخيها الآخرون، فلا يجوز أن يكون المال أو المنصب أو النسب أو أي وضع آخر سبباً لاستعلاء المسلم على أخيه.

فالحاكم أخو المحكوم، والراعي أخو الرعية، فقد قال **r** : (**خيار أئمتكم الذين تحبونهم**

---

(١) الأخوة في الله، مقال: حسن عبد الحميد، شبكة المشكاة الإسلامية: .www.meshkat.net/new

(٢) قسم بعضهم الأخوة إلى خمسة أنواع، ولكل نوع دليله، وبعضها مثار خلاف، مثل: ((الأخوة الإنسانية))، وهذا ليس مجال بحثنا. ينظر: ((مجموع فتاوى ومقالات ابن باز)) جمع: د. محمد الشويعر، طبع الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض (٦/ ٤٩٣).

ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم...)[1]. الحديث.

والسيد أخ لعبده (خادمه)، وإن أوجبت ظروف خاصة أن يكون تحت يده؛ ففي الحديث: (**إخوانكم خولكم [أي خدمكم] جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**)[2].

ولقد كان أول عمل قام به رسول الله ﷺ حين وصل المدينة بعد هجرته — بعد بناء المسجد هو مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، إذ بهذه المؤاخاة شد لبنات المجتمع الإسلامي إلى بعضها[3].

وقد نهى الإسلام عن الإتيان بأسباب التنازع والفرقة بين الإخوان، بأي صنف من أصناف النزاع، سواء كانت قولية أو فعلية، كالسخرية والهمز واللمز، قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)**﴾ [الحجرات: ١١- ١٢].

وأمر سبحانه بسلوك درب الإصلاح بين الإخوة لبقاء رابطة الأخوة الإيمانية قوية متينة فقال سبحانه: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٠]، كما أمرهم بالتناصح والتواصي بالحق وبذل النصح لبعضهم كما قال سبحانه: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)**﴾ [التوبة: ٧١].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة وشرارهم، ح (١٨٥٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، ح(٣٠)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه، ح(١٦٦١)، واللفظ للبخاري.

(٣) أحاديث المؤاخاة كثيرة، منها في صحيح مسلم، باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه، وفي البخاري، باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه.

كما أسس الإسلام لمجموعة من الحقوق التي تضمن التماسك والترابط في المجتمع الإسلامي، حيث تربط الأخوّة بين الأفراد، وتشد من أواصر الصلة والمحبة والتعاون، كما قال r : (**حق المسلم على المسلم ست: قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**)[1] .

هذه هي الأخوة الإيمانية القائمة على الدين والعقيدة الصحيحة المستلزمة محبة المؤمن، ونصرته، وموالاته، والقيام بحقه، والكف عن كل ما يؤذيه لينعم المجتمع المسلم بروابط الإيمان التي تجعل منه مجتمعاً قوياً متماسكاً لا تهزه العواصف، ولا توقعه الأزمات.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الأدب، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، ح (٥٦٥١)، ورواه البخاري بلفظ: (حق المسلم على المسلم خمس)، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، ح (١٢٤٠).

المطلب الثاني: أهمية الأخوة الإيمانية في حوار الحضارات[1]

الذين عاشوا الأخوة في الله، وجدوا الطمأنينة والسلام في عالم يعاني من القلق والتوتر، وتيقنوا أن الأخ الحقيقي ليس بالضرورة أن تلده أمك، فنعموا بإخوة لهم في مشارق الأرض ومغاربها يقفون معهم وإن لم يروهم أو يعرفوهم، وهذه أعظم ثمرات هذه الأخوة في ظل حضارة ساهمت في تفكيك علاقات الناس، وجزأت الأوطان والأرواح، وأثرت في صياغة الأخلاق.

ولعلنا نسوق بعض النقاط التي تبين أهمية الأخوة الإيمانية في حوار الحضارات:

١- مع التمزق الذي يشهده العالم نتيجة الانغماس في الحضارة بكل صورها، لا بد من البحث عن رباط يخفف هذا التمزق، ولا يمكن أن يوجد هذا الرباط أو أن يفرضه بشر، بل هو رباط الدين الذي أنعم الله به على المؤمنين، حيث يشعرون بالجسد الواحد والتداعي إلى سد الثغرات وإزالة التشوهات، فكلما عصفت المادية بالإنسان، وجد معه أخوة يعيشون لحظات حياته، ويذكرونه بهدف وجوده في هذه الدنيا.

٢- الأخوة الإيمانية تحمي المجتمع من أشكال الانحراف ومن أمراض الضعف الحضاري بحيث يستمر هذا المجتمع في قوته وعطائه، وبخاصة أن المجتمعات المعاصرة ما عادت تأبه إلا بالقوي، أما الضعيف فليس له في ميدان الحضارات مقام. والأخوة الإيمانية أوثق السبل لتحقيق هذا المطلب، وخدمة قضايا الحوار الحضاري وإحداث النهضة الاجتماعية التي ننشدها لمجتمعاتنا الإسلامية.

٣- الأخوة الإيمانية تدفع جميع الطبقات في المجتمع الإسلامي إلى العطاء وصنع الحضارة والمساهمة في حوار حضاري بناء، فهم يشعرون أنهم جزء من المجتمع، لا فرق بينهم وبين غيرهم، تجمعهم جميعاً رابطة الأخوة، ويدفعهم الإيمان إلى البذل والتضحية... إذ لا يوجد في المجتمع الإسلامي طبقات، كما عرف ذلك في المجتمع الغربي في العصور الوسطى.

٤- الأخوة الإيمانية تحقق نصرة المظلوم والوقوف معه، وهذا يسهم في أن تكون الدول

---

[1] مستقاة من عدد من المقالات المتخصصة في هذا الجانب، وبعضها على شبكة المعلومات، ينظر ((الإسلام وحوار الحضارات))، مكتبة الملك عبد العزيز، مرجع سابق، نضرة النعيم (١١٦/٢) مرجع سابق.

الإسلامية معنية بهذه النصرة، فتقف مع بعضها من منطلق هذه الأخوة، فيتحقق لها مع وحدتها القوة والمنعة، وتدلف إلى الحوار الحضاري بكل تمكين.

يقول النبي r : (**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**)، قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: (**تأخذ فوق يديه**)[1]، بل إن الأخوة الإيمانية تتعدى جانب النصرة إلى جانب منع قطع العلاقة مع الإخوان مهما كانت المبررات، وهذا سبيل لتقوية الأواصر والقوة في مواجهة أي مطالب أو حوارات مقابلة.

يقول النبي r : (**لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**)[2].

وفي هذا تحقيق لحماية الفرد المسلم أو الأمة المسلمة من نقاط الضعف التي جبل عليها الإنسان حيث يجد من إخوانه من يكون عوناً له على تجاوز هذا الضعف وتكميل النقص.

٥- تحقيق التوازن الاجتماعي، بتحقيق معنى الأخوة الإسلامية السامي، فلا يستشعر الفرد المسلم ألم الفوارق بين المسلم وأخيه المسلم سواء كان ذلك الفارق في المال أو الحياة أو في غير ذلك، مما يحقق توازناً بين الفئات الاجتماعية، وبالتالي توفير مهاد اجتماعي سليم للعلاقات الاجتماعية الإسلامية باعتبار أن شبكة العلاقات الاجتماعية هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم المجتمع، ومن أجل ذلك فإن الأخوة هي الميثاق الذي يربط بين الأفراد كما ربط بين المهاجرين والأنصار.

٦- توفير اشتراك أفراد المجتمع كلهم في اتجاه واحد، من أجل القيام بأعمالهم بدافع إيماني وعقيدة سليمة، تجعل هدفها الأسمى «**الله**»، وغايتها طلب مرضاته، فينطلق أفراد المجتمع في حياتهم، وعملهم، وعلاقتهم، بل وفي سلوكهم مع الآخرين ومشاركتهم لغير المسلمين، ينطلقون من مبدأ قوله تعالى: â **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** á [الأنعام: ١٦٢].

٧- توفير الفرصة الكاملة للابتكار والأداء الممتاز في قلب المجتمع بالانسجام بين أفراده، إذ لا يمكن أن يكون هناك أداء حضاري ممتاز للمجتمع في مجتمع فاقد خاصية الانسجام، لأن

---

(1) رواه البخاري، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ح(٢٤٤٤).

(2) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الهجرة، ح(٦٠٧٧)، واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب الأدب، باب تحريم الهجر فوق ثلاثة أيام بلا عذر شرعي، ح(٢٥٦٠).

أفراده يتفرقون إلى ذرات متنافرة، ويتحلل في النهاية عجزاً تاماً عن أداء النشاط المشترك، أي أنه يفقد خاصة المجتمعية التي أساسها الأخوة. ولقد حقق الإسلام نموذج المجتمع المنسجم، حيث كان كل فرد مرتبط ارتباطاً واقعياً بكل الآخرين من أعضاء المجتمع، بوساطة علاقة الأخوة، ولذا بلغ ذروة الأداء الحضاري[١].

٨- تتيح الأخوة الإيمانية الفرصة لتناول أمور ومشكلات المجتمع من أجل علاجها، كما تحقق للمجتمع جواً مناسباً للحوار الحضاري، حيث لا تتضخم الذوات الإنسانية على حساب الإيمان ومصلحة الأمة، ولا تقدم المصالح الفردية على المصالح الجماعية.

٩- الحديث في المؤتمرات العالمية والهيئات الدولية لأي طرف إسلامي يعني الحديث عن المسلمين، وذلك في حال تحقق الأخوة الإيمانية، لأن الهدف يكون واحداً، والمرجعية واحدة، ولا يبقى إلا التطبيقات الفردية التي تختلف المجتمعات في سلوكها.

١٠- الأخوة الإيمانية تمكن من صياغة تفاصيل الحوار الحضاري مع الآخرين على أساس تبادل المصالح والمنافع البشرية، وإبعاد شبح التدمير والويلات لصالح هذه الأخوة[٢].

# # #

(١) نضرة النعيم، مرجع سابق (١١٧/٢).

(٢) الإسلام وحوار الحضارات، مكتبة الملك عبد العزيز، مرجع سابق، ينظر فيه مبحث د. عبد الله بن بيه (١٧٩/١).

المطلب الثالث: العزة والمداهنة وعلاقتهما بحوار الحضارات

١ - العزة لغة:

هي مصدر قولهم: عز يعز عِزة وعِزاً، وذلك مأخوذ من مادة (عزز) التي تدل على شدة وقوة... والعزيز هو الذي يقهر ولا يقهر، ومنه قوله تعالى: â**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ** á [فصلت: ٤١]، أي يصعب مناله ووجود مثله.

والعز خلاف الذل، فيقال: تعزّز الرجل: صار عزيزاً[١].

أما في الاصطلاح: فهي حالة مانعة للإنسان من أن يغلب[٢].

أما العزة المنسوبة لله U ولرسوله وللمؤمنين في قوله تعالى: â**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ** á [المنافقون: ٨]، فإن عزة الله قهره من دونه، وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها، وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم[٣].

وقيل المعنى: ولله الغلبة والقوة ولرسوله وللمؤمنين [٤].

وقد جاءت العزة في القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: العظمة، ومنه قوله تعالى: â**وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ**á [الشعراء: ٤٤]، وفي قوله تعالى: â **فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** á [ص: ٨٢].

والثاني: المنعة ومنه قوله تعالى: â**أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**á [النساء: ١٣٩].

والثالث: الحمية، ومنه قوله تعالى: â**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ**á [البقرة:

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٤/٣٨) مرجع سابق، ولسان العرب (٥/٣٧٤).

(٢) المفردات للراغب (٣٣٥) مرجع سابق.

(٣) معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، دار الفكر، بيروت، ط١(١٤٠٥).

(٤) الطبري، مرجع سابق (٢٢/٦٦١).

٢٠٦]، وقوله تعالى: â**بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ**á [ص: ٢][(١)] .

٢ - علاقة العزة بالحوار:

العزة الإسلامية، والشعور باستعلاء الإيمان مطلب عظيم حال الحوار ـ كما أسلفنا ـ والعزة مبدأ وعقيدة لا يجوز للمسلم أن يغفل عنها، أو أن يطلبها من الكفار، أو أن يلتمسها في رضاهم، فهذا خطر عظيم على عقيدة المسلم كما قال سبحانه: â**الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**á [النساء: ١٣٩]، فهذه العبودية لله هي التي ترفع النفس المؤمنة، وتجعلها تعيش الاستعلاء والعزة والانطلاق، وأما عبودية العباد فهي ذلة وأغلال... فتمدح العزة تارة وتذم تارة، ووجه ذلك أن العزة التي لله ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة الباقية، لأنها هي العزة الحقيقية، والعزة التي هي للكافرين هي التعزز وهو في الحقيقة ذل، كما قال سبحانه: â**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا**á [مريم: ٨١، ٨٢]، ومن هذا المبدأ والمعتقد يجب على المسلم المحاور أن يشعر باستعلاء الإيمان، وأنه هو الحق ويفخر به، لأن العزة دلالة الثقة بالله تعالى وهي مظهر من مظاهر رسوخ اليقين والقوة في الدين، وبها يستجلب العون من الله.

ومن صور إظهار العزة في الحوار: الصدع بالحق والجهر به وعدم المواربة أو التخفي منه مخافة أن يوصم الإنسان بما يطلقه بعض المحاربين للدين من أوصاف التخلف والرجعية والإرهاب وغيرها من التهم التي تلصق بكل من التزم بدين الله، وأظهر شعائره واعتز بها، قال سبحانه لرسوله r: â**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**á [الحجر: ٩٤].

وإن من نواقض هذه العزة أن يشارك المسلم غير المسلمين في طقوسهم أو مجالسهم الباطلة بدعوى محاباتهم للحوار، وربما وقع في الكفر وهو لا يدري، وهذا كله من تركه لجانب الاعتزاز بالدين، وهذا لعمر الحق من أسباب تخلف الأمة وضعفها، حيث ضعفت جوانبها الحضارية يوم تخلت عن عزة دينها ومنهجها القويم.

---

(١) المفردات، مرجع سابق (٣٣٦). وينظر: ((شأن الدعاء)) أبو سليمان الخطابي، دار الفكر، بيروت، ط١ (١٤٠٤هـ)، تحقيق: أحمد الدقاق.

ولله در القائد الملهم والخليفة الراشد عمر بن الخطاب t يوم قال: ((إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله))[1].

ثم إن الصدع بالحق والشعور بالعزة الإيمانية لا يعني ترك أدب الحوار الذي أمرنا به: âوَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُá [النحل: ١٢٥]، ولا يعني التخلي عن أخلاق الإسلام وآداب الحوار، بل العزة رفعة يعيشها المسلم تدفعه إلى القوة والسعي في إيصال الحق، لأنه يعلم أنه على الحق، وعزة تدفعه إلى الثقة بمنهجه وتحقيق هذا المنهج في كل صغيرة وكبيرة[2].

والعزة مظهر من مظاهر الرجولة والشهامة وهي تورث العفة والنزاهة، وهي صمام أمان للمجتمع من الشرور والأخطار، بل إنها تنمي الفضيلة وتمحق الرذيلة، وبها تستجلب المكارم وتستدفع المكاره، لأنها من مكارم صفات الإسلام[3].

٣- المداهنة لغة واصطلاحاً:

مأخوذة من دهن: دهَنَ المطر الأرض بلها بللاً يسيراً كالدهن الذي يدهن به الرأس، والإدهان في الأصل مثل التدهين، لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة، وترك الجد[4].

هذا هو المعنى اللغوي، أما **التعريف الاصطلاحي**: فلا يتفق معناها مع اللغة، فمن تعريفاتها الاصطلاحية: إظهار خلاف ما يبطن أو ما يضمر وهي معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه[5].

قال الله تعالى: âوَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَá [القلم: ٩]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((ودوا لو ترخص لهم فيرخصون))[6]، فالآية تبين توجيه الله سبحانه لرسوله r ، وتحذيره له من مصانعة كفار قريش، وذلك بالسكوت عن عيب دينهم وآلهتهم، لأن هذا الفعل يناقض المبدأ الأول الذي بعث الرسول r من أجله، وهو الدعوة إلى توحيد الله وعبادته، ولا ينبغي هنا

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٦٢/١) وصححه الذهبي.

(٢) عزة المسلم، محاضرة د. ناصر العمر، موقع المسلم.

(٣) نضرة النعيم، مرجع سابق (٢٨٤٨/٧).

(٤) المفردات، مرجع سابق (١٨٠) وينظر لسان العرب (١٦٢/١٣).

(٥) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار الكبت العلمية، بيروت (١٠/ ٥٢٨).

(٦) تفسير الطبري (٢٦٢/٢٣).

المداراة حيث يخدش الدين، ويرتكب المنكر، وتسيء الظنون[1].

٤ - علاقة المداهنة بحوار الحضارات:

جاءت النصوص الشرعية آمرة المؤمنين بالصدع بالحق وعدم كتمانه، وتحذيرهم من الوقوع في المحذور الذي وقع فيه بنو إسرائيل: â**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**á [آل عمران: ١٨٧]، فالمداهنة ليست من شيم المسلم ولا سمته، قال تعالى: â**وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ**á [المائدة: ٤٩].

فالمشاركة في الحوار مع غير المسلمين قد تدفع بعض المسلمين إلى المداهنة والسكوت عن الحق وعدم بيانه، أو المشاركة في الباطل والرضا به، أو تسمية ما هم عليه من الباطل بأسماء إسلامية، كتسمية معابدهم وكنائسهم بالمساجد، وهي بيع يكفر فيها بالله، فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها كفار، فهي بيوت عبادة الكفار[2].

لكن ليس معنى ذلك أن يكون المسلم غليظاً، بل عليه أن يسلك الرفق واللين، بل المداراة أحياناً من فضائل المعاملة مع المخالف، وفرق بين المداراة والمداهنة إذ المداراة بذل الدنيا لصلاح الدين أو الدنيا، وقد فعلها النبي r مع أساطين الكفر وصناديد الشرك، حيث كان يبسط لهم الوجه عند اللقاء، ويحسن الكلام معهم، ويختار أفضل العبارات في مناداتهم، كل هذا لكسب ودهم، واستمالة قلوبهم إلى الإسلام[3].

# # #

(1) روح المعاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤ (١٩٨٥م)

(2) مجموع فتاوي ابن تيمية (٢٢/ ١٦٢).

(3) ينظر (المداراة في الإسلام: دراسة تأصيلية) د. وليد محمد السعد، صفحة خاصة بالدكتور على موقع جامعة الملك سعود.

الباب الثاني

أهداف حوار الحضارات

١-الفصل الأول: الأهداف الدينية.

المبحث الأول: تعزيز مفهوم الولاء والبراء.

المبحث الثاني: الدعوة إلى الإسلام وإبراز محاسنه ودفع الشبهات عنه.

المبحث الثالث: بيان مفهوم الجهاد في الإسلام.

المبحث الرابع: مواجهة الحملات التنصيرية.

٢-الفصل الثاني: الأهداف الثقافية.

المبحث الأول: نشر ثقافة الحوار الصحيح بين المسلمين وغير المسلمين.

المبحث الثاني: توجيه الثقافة والسلوك.

٣-الفصل الثالث: الأهداف الاجتماعية.

المبحث الأول: المحافظة على بنية المجتمع الإسلامي.

المبحث الثاني: دفع الشبهات حول الأسرة عموماً والمرأة خصوصاً.

٤-الفصل الرابع: الأهداف السياسية.

المبحث الأول: منع تولي غير المسلم المناصب القيادية.

المبحث الثاني: تعزيز مفهوم الدولة الإسلامية.

٥-الفصل الخامس: الأهداف الاقتصادية.

المبحث الأول: تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي.

المبحث الثاني: التحرر من التبعية الاقتصادية، وتعزيز الاستقلال الاقتصادي في العالم الإسلامي.

الفصل الأول: الأهداف الدينية

تمهيد:

الأهداف جمع هدف: يقال لكل شيء دنا منك وانتصب لك واستقبلك، والإهداف الدنو منك والاستقبال لك والانتصاب، ويطلق الهدف على الشيء المشرف من الأرض البارز لك[1] ... فالأهداف أمور ترغب في تحقيقها والوصول إليها، وهي بمعنى الغاية التي تريد أن تنالها، فلكل فعل في الحياة هدف وغاية إما أن يكون حسناً أو قبيحاً، ومن تلكم الأعمال في الحياة ما يفعله الإنسان من حوار مع الآخرين، فهو يهدف من حواره إلى أمور ومكاسب يسعى لتحقيقها والحصول عليها.

وهذا هو موضع حديثنا، فثمة أهداف كبرى في حوار الحضارات ينبغي أن نحققها، منها ما هو ديني، ومنها ما هو ثقافي، ومنها ما هو اجتماعي أو سياسي، وآخر اقتصادي - حسب التقسيم الموضوعي- .

وسأحاول هنا أن أبرز أهم هذه الأهداف في إشارة سريعة؛ لأن هذا البحث لا يقصد التوسع في هذه الأهداف، فلها مجالاتها وأماكنها، بل نكتفي هنا بالإشارة إليها من حيث إبراز نظرة الإسلام لهذا الهدف، ونظرة غير المسلمين له فيما يخصهم أو فيما يخص الإسلام، مع توجيه الأهداف إلى ما يخدم المسلمين في الحوار.

ولذلك يجب أن تكون الأهداف متناسبة مع المكانة السامية للحوار الحضاري الذي يُعنى بشأن الأمة وبنائها وارتقائها، وهذا يؤمن لها إدراك المسارات الصحيحة لمواصلة الرسالة، وهو هدف عظيم يسعى المسلم لتحقيقه من خلال أهداف ترتقي إلى أهمية هذا الأمر.

# # #

---

(1) لسان العرب (٩/٤٣٥).

المبحث الأول: تعزيز مفهوم الولاء والبراء

في الباب السابق ورد الحديث عن الولاء والبراء ومشروعيته في الإسلام وأهميته في حوار الحضارات، حيث تبين أن الإسلام يسعى لجعل مفهوم الولاء والبراء عقيدة راسخة ثابتة لا تتبدل مهما تغير الزمان والحال.

وإذا دخل المسلمون في حوار الحضارات مع الأمم الأخرى فإنهم يعيشون سلوكاً وطريقاً سلكه قبلهم الأنبياء والمرسلون والصالحون، ولكن بأسس وضوابط لا يمكن بحال أن يتنازل عنها المسلم، ومن أعظمها تعزيز مفهوم الولاء والبراء لدى المسلم المحاور.

وإن من أخطر الأمور ما يسعى إليه الغرب من إحكام الخطط الإستراتيجية لضرب هده الأمة في مقتلها، وهو ضربها في عقيدتها التي تميزت بها عن سائر الملل والأمم، بل ورفع شعارات براقة تدعو إلى تمييع الفوارق، وإذابة جسور الدين، ورفع شعار دين عالمي جديد، وهذا هدفه ضرب الولاء والبراء والمساومة لهدم الإسلام.

وقد أطلق بعض نصارى الغرب دعوات تزعم أن الأديان كلها واحدة، وتؤدي إلى غاية واحدة، وبهذا يمكنهم إسقاط مفهوم الولاء والبراء، وسعى خلفهم من سعى من أبناء المسلمين في هذه الدعوة التلفيقية[1].

ويحرص بعض المستشرقين أو المثقفين في الغرب على مد جسور العلاقة مع العالم الإسلامي من أجل بناء علاقات جديدة - وهذا في ظاهره مطلب لا يرفضه المسلمون - لكن الحقيقة تدل على أن هذه الدعوة هدفها إسقاط هذه العقيدة العظيمة التي تعتبر فيصلاً بين الحق والباطل، وهي عقيدة الولاء والبراء، وهز قيمتها في نفوس المسلمين، بل إن بعضهم يستدل بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية ليجعلها مدخلاً لزعزعة هذا المفهوم العظيم؛ ومن أولئكم المستشرق الألماني (روديغر) حيث قال: «لقد عد محمد ﷺ النصارى مؤمنين،

---

(1) ينظر: «دعوة التقريب بين الأديان»، للقاضي، مرجع سابق، وينظر: «العلاقات الإسلامية المسيحية»، مجموعة من الباحثين، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ط1 (1415). وينظر: «الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان» د. بكر أبو زيد، دار المسلم، الرياض، ط1 (1417).

واستدل بقول المولى جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]»[١]، بل وصل الأمر أن يقوم السفاح القاتل باعتبار عمله تسامحاً يدعو إليه الإسلام، كما صرح شمعون بيريز (رئيس وزراء إسرائيل السابق) بقوله أمام الصحفيين: «إن القرآن الكريم يشجع التسامح والتعددية والسلام»[٢]، وقبله أطلق الرئيس الأمريكي الأسبق (بيل كلينتون) دعوة شبيهة بقوله: «مادام اليهود يقتلون لمجرد أنهم يهود، أو لأنهم مواطنو إسرائيل، فإن بلاء معاداة السامية مازال حياً يرزق..، وإن ما نعيشه اليوم هو بداية السلام الموعود، هذا اليوم الذي يعيش فيه أحفاد إبراهيم وأحفاد إسحاق وأحفاد إسرائيل جنباً إلى جنب في سلام ووئام...»[٣].

وهذا الكلام يتضمن حقاً، لكنه يحمل في طياته الباطل؛ فالأنبياء والمرسلون اجتمعوا على أصل الدين وهو توحيد العبادة لله، والإسلام يدعو إلى التسامح والسلام، وهو دين الرحمة والعدل؛ كل هذا حق، لكنه جاء في سبيل تبرير دعوة إقصاء الولاء والبراء من نفوس المسلمين.

إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يعترف بحق اليهود والنصارى في الحياة وكرامة العيش والحماية، وتوفير الأمن والعدل والسلام، بينما لا تعترف هذه الأديان المحرفة بأي حق لأحد سواها: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

فدعوى التسامح التي ينادون بها ليست هي ما قرره الإسلام، بل إنها دعوى تهدف إلى وحدة الأديان، وإبطال الولاء والبراء الشرعيين.

---

(١) تسامح الغرب، مرجع سابق (٩٨). والمستشرق هو هرمان روديغر، والده هو إميل روديغر من مشاهير المستشرقين، درس الآداب العربية وألف فيها، مات سنة (١٨٧٧م).

(٢) جريدة القدس العربي، عدد (١٧١٤) في ١٤١٥/٧/١٢هـ، وهي موجودة على موقع الجريدة على الشبكة.

(٣) مقال «خطاب الرئيس» بقلم: أحمد منصور، مجلة المجتمع، عدد (١١٢٦) في ١٩/ ١٤١٥/٦هـ.

إن المفاصلة بين المسلمين وغيرهم لا تعني إلغاء المصالح وعدم الاعتداد بها في بناء العلاقات مع الآخرين، وإنما يجب التمييز دائماً بين المصالح والمبادئ، فنحن - المسلمين - قد نقيم علاقات مع غيرنا على أساس المصالح، وهذا المبدأ يعطي المسلم - والأمة المسلمة - مجالاً واسعاً لحرية المناورة وتقدير الظروف والواقع والبيئة، وبناء العلاقات مع الآخرين من خلال تأمين أكبر قدر ممكن من المصالح العامة مقابل مصالح أخرى قد يستفيد منها الطرف الآخر، أما المحذور والخطر أن تبنى العلاقات مع الغير على أساس مقولة (مصالح بمبادئ)، بمعنى أن نسعى لتأمين بعض المصالح من الآخرين مقابل أن نتخلى عن بعض مبادئنا ومعتقداتنا[1].

ويمكن الإشارة إلى جملة أمور تسهم في تعزيز مفهوم الولاء والبراء، وهذا هدف عظيم أثناء الحوار:

- المفاصلة بين الإسلام والكفر قضية لا تقبل الجدال â**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ❖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ❖ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ❖ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** á [الكافرون: ١- ٦].

فلا بد أن يعيش المسلم في كل لحظة وهو يستشعر أن الإسلام دين حق وأن ما سواه باطل، وأن الله لن يرضى لعباده الكفر: â**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**á[آل عمران: ٨٥].

فمن يحاول تمييع عقيدة الولاء والبراء باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية يخطئ فهم معنى الأديان، فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله تعالى، والتسامح يكون في التعاملات الشخصية لا في التصور الاعتقادي، وفي القرآن كلمة الفصل، فليحذر المسلم من تميع المتميعين وتمييعهم لهذا اليقين[2].

- الحذر من الخلط بين مفهوم التسامح الصحيح مع غير المسلمين، وهو ما جاءت النصوص بحدوده وضوابطه، وبين التعامل معهم في أمور العبادات والعقائد بدعوى التسامح،

---

(١) (حوار الحضارات) د. موسى الإبراهيم، مرجع سابق، ص (٩٠).

(٢) في ظلال القرآن، مرجع سابق (٩١٢/٢ وما بعدها) بتصرف.

بل السعي إلى بناء معابدهم وإعمارها في بلاد المسلمين من أموال المسلمين، أو الوقوف معهم بالباطل ضد المسلمين [1] .

فلا يجوز للمسلم أن يشاركهم في عباداتهم، ولا أن يرضى بها، ولا أن يظهر الموافقة على بعض ضلالهم، كالقول بقتل عيسى والإقرار بالصليب ونحوها من المعتقدات الخاصة بهم [2].

- تعزيز مفهوم الولاء ببيان حقيقته وأهدافه وطرق الوصول إليه، مع التأكيد على أن سماحة الإسلام مع غير المسلمين شيء واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين الذين لا تتضح في نفوسهم الرؤية العاقلة لهذا الدين... إن هؤلاء الذين تختلط عليهم تلك الحقيقة ينقصهم الحس النقي بحقيقة العقيدة، كما ينقصهم الوعي الذكي لطبيعة المعركة وطبيعة السلم وطبيعة التعامل مع غير المسلمين، فهم يغفلون ويخلطون بين دعوة الإسلام إلى السماحة في التعامل مع أهل الكتاب، وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله ولرسوله وللجماعة المسلمة [3].

- المفاصلة مع المشركين في كل ما من شأنه أن يعلق المسلم بهم، أو أن يكون لهم فيه خصوصية عن غيرهم، لأن هذا قد يكون ذريعة أو سبباً قريباً إلى نوع ما من الموالاة والموادة، ولذا جاءت النصوص الشرعية التي تنهى عن التشبه بالكفار، وتحذر من مغبة الوقوع في هذا الأمر، قال ﷺ : **(من تشبه بقوم فهو منهم)** [4].

---

(1) ينظر: ((أحكام أهل الذمة))، لابن قيم الجوزية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، (١٤١٤هـ) تحقيق د. صبحي الصالح، وينظر: ((أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام)) د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٢هـ)، وينظر: ((غير المسلمين في المجتمع الإسلامي)) د. يوسف القرضاوي، دار المعارف، القاهرة (د.ت)، وينظر: ((حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين)) إسماعيل الأنصاري، طبع الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض، (١٤٢٤هـ)، وليس مجال بحثنا النظر في حكم بناء المعابد والكنائس، فقد جاءت مفصلة في المراجع السابقة، لكن القصد الإشارة إلى خطورة بنائها بأموال المسلمين على أرض المسلمين.

(2) ((اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم)) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، (١٤١١هـ) تحقيق: د. ناصر العقل (١/ ١٦٦- ١٧٩).

(3) في ظلال القرآن (بتصرف) (٢/٩٠٩_٩١٥).

(4) رواه أبو داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، ح (٤٠٣١)، وقال الألباني: ((حسن صحيح)) في تعليقه =

وقد كتب عمر t إلى المسلمين المقيمين في بلاد فارس: (إياكم وزي أهل الشرك)[1]، بل يتعدى الأمر أحياناً إلى أن نقوي جانب العزة بالولاء للمسلمين في المأكل والملبس والهيئة واللغة واستخدام التاريخ، وكل ما من شأنه أن يعيش المسلم في دائرة الولاء، ويعزز عنده مفهوم البراء.

- تحذير المسلمين من الهزيمة النفسية التي تدفع إلى التسابق في تقليد الغرب وأعداء الإسلام في فكرهم ومعتقداتهم ومظاهرهم ونظام حياتهم، فهذه الهزيمة إنما تأتي وتتسلل إلى النفوس عند ما يشاهد المسلم البون الشاسع بين المسلمين والغرب في شؤون الحضارة والتقدم المادي، فتخبو في نفسه صور العزة بدينه، وتشتعل عنده درجات الإعجاب بالغرب، فيسير في ركبهم، ويتشبه بهم من منطلق الإعجاب أولاً، ثم الاتباع، وهنا تكمن الخطورة، ولذا حذر النبي r أمته من هذا الأمر فقال: (**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى فقال: فمن؟**)[2].

- تعزيز مفهوم الولاء من خلال التعليم، ولكن وفق الضوابط الشرعية التي تعزز المفهوم في نفوس المتلقين دون إخلال ببقية النصوص الدالة على حسن المعاملة والبر والإحسان إلى الآخرين.

لقد وجد في بداية القرن العشرين رجالات من أبناء أمتنا تربّوا على موائد الغرب وثقافته من خلال البعثات العلمية والمدارس الغربية في الأوطان العربية، فكان لهؤلاء دور بارز في تحويل التفكير في الأمة إلى إضعاف مفهوم الولاء والبراء، بل التمكين لتقوية الولاء للغرب وحضارته، من خلال العبث في ميادين التعليم في الوطن الإسلامي، واقتلاع الجذور الإسلامية من المناهج أو التوجهات الفكرية، وقطع صلة الجيل المعاصر بالأجيال الإسلامية السابقة التي سطرت أمجاد الأمة، وحفظت تراثها، وهذا يعني الانقضاض على مفهوم الولاء والبراء

= على سنن أبي داود، وفي السلسلة الصحيحة (١/٧٠٦)، وقال ابن حجر في الفتح: ((سنده حسن))، فتح الباري (١٢/٤٠٨).

(١) رواه البخاري، كتاب اللباس، ح (٥٣٢٨)، ورواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم لبس الحرير وغير ذلك للرجال، ح (٥٤١١)، واللفظ له.

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي: ((لتتبعن سنن من كان قبلكم))، ح (٧٣٢٠)، ورواه مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ح (٢٦٦٩)، واللفظ للبخاري.

لإضعافه أو إماتته[1].

- تعزيز مفهوم الولاء والبراء من خلال وسائل الإعلام، وهي من أقوى الوسائل المساهمة في الحوار الحضاري، والتي سعى الغرب جاهداً أن يسخرها للفت الأنظار إليه وإلى حضارته، حتى يجعل من العالم عشاقاً ومحبين له، بل إن وسائل الإعلام أصبحت تحسن تصرفات الغرب وتدعو إلى موالاة الكفار.

إن الحوار الحضاري مطلب ملح في هذا العصر، وله أسلحته التي تقوي جانب المحاور، ومن أهمها الإعلام الذي يرسم توجه المتلقي، ويغير قناعاته وربما وصل الأمر به إلى التشكيك في الوطنية، وزعزعة أمن بلد ما، ليصبح أبناء البلد مسيرين من جهات خارجية تملك زمام الأمور في بلدهم عن طريق الإعلام... وهذا هو السلاح الخطير في الحوار الحضاري.

- تعزيز مفهوم الولاء من خلال التحاكم إلى أحكام الشريعة ونبذ غيرها، واتحاد الأمة الإسلامية على قول فصل لا يقبل مشرعاً إلا الله I ، بل إن الصد عن حكم الله يعني اتباع حكم غيره، وهذا من الولاء لغير الله ورسوله.

يقول سبحانه: â**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ**á [المائدة: ٤٨].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله[2]: ((من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنه يحصر في علاقة المرء بربه، دونه أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى. ويدخل فيه أيضاً - أي في نقض الإيمان - من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن، لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما - وإن لم يعتقد أن

(1) ينظر: ((حصوننا مهددة من الداخل)) محمد محمد حسين، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٩٧٩م).

(2) هو الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، عالم فاضل، ولد في الرياض عام (١٣٣٠هـ)، حفظ القرآن وهو صغير، وتلقى العلم على يد عدد من علماء الجزيرة، من أقربهم إليه محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية في وقته، تدرج في الوظائف حتى أصبح مفتياً عاماً للسعودية، توفي (١٤٢٠هـ).

ذلك أفضل من حكم الشريعة - لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرمه الله إجماعاً، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنا والخمر، والربا، والحكم بغير شريعة الله، فهو كافر بإجماع المسلمين»[1].

ولذا فإن على المسلمين حال دخولهم الحوار الحضاري أن يكونوا مسلحين بالعزة لدينهم، والولاء لله ورسوله والمؤمنين، فلا يتنازلون عن حكم الله، ولا يسقطون في مغبة الخذلان التي دعت بعض المنتسبين للإسلام أن يوقع المعاهدات التي تبيح الزنا والخمر والمحرمات في المجتمعات الإسلامية بدعوى الحوار الحضاري، ومن ذلك نقل هذه القوانين والأنظمة إلى البلاد الإسلامية تحت وطأة الضعف والاستكانة.

- إن تعزيز مفهوم الولاء والبراء في الحوار يصل إلى كل المستويات، حتى على المستوى الشخصي في مجرد سماع أو حضور الباطل، فإن المسلم مأمور أن يعيش الولاء والبراء في كل لحظة، حتى إذا سمع لغواً أو باطلاً يطال دين الله فلا يقبل به ولا يرضاه â**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**á [النساء: ١٤٠].

إن تعزيز مفهوم الولاء والبراء في نفوس المسلمين هو من أعظم الأهداف التي يجب أن نحققها حال دخولنا معترك حوار الحضارات، فإذا شعرنا أننا سنخسر هذا الجانب فمعنى ذلك أن أهم أهداف الحوار قد سقطت من حسابنا.

# # #

---

[1] مجموع فتاوى ومقالات بن باز (١٣٧/١) مرجع سابق.

المبحث الثاني: الدعوة إلى الإسلام وإبراز محاسنه ودفع الشبهات عنه

- الإسلام في اللغة معناه: الاستسلام والمذلة والخضوع والتسليم بما يؤمر به الإنسان أو ينهى عنه[1].

وفي الشرع: يأتي على حالين: **الأول:** يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان فحيثما أطلقت كلمة الإسلام، ولم يقترن بها لفظ الإيمان فحينئذ يراد بها الدين كله.

أما إذا أطلق الإسلام مقترناً بالإيمان فينصرف فقط إلى الأعمال والأقوال الظاهرة.

فالإسلام هو الاستسلام لله **U** بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك. وقد دلت النصوص الشرعية على أن الإسلام له معنيان:

١- **المعنى العام:** وهو الدين الذي بعث الله به جميع الأنبياء، كما قال **I** عن نبيه نوح: â**وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**á [يونس: ٧٢]، وقال عن إبراهيم: â**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**á[البقرة: ١٣١، ١٣٢].

٢- **المعنى الخاص:** وهو ما بعث الله به نبيه محمداً **r** من الشريعة التي خصه بها، وخص أمته بها من القرآن والسنة، حيث أصبح الدين حقيقة عرفية يطلق على مجموع عقائد وأعمال جاء بها رسول الله **r**، كما قال سبحانه: â**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**á [آل عمران: ١٩] فهذا التعبير يدل على صيغة الحصر، أي لا دين إلا الإسلام، ثم إنه قال: (عند الله)، فهو لا يعتبر عند الله ديناً إلا إذا كان ذلك المتَّبَع هو دين الإسلام[2].

وهذا الدين الإسلامي هو الدين الخاتم، وهو الدين العالمي لجميع الخلق، كما قال **I**: â**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**á [الفرقان: ١]، والعالمون هنا هم

---

(1) لسان العرب (٢٩٣/١٢).

(2) التحرير والتنوير، مرجع سابق (١٨٨/٣- ١٩٢).

الإنس والجن، لأن النبي r أرسل إليهما، ويقول سبحانه: â**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** á [سبأ: ٢٨].

وهذه العالمية هي العولمة الحقيقية بمفهومها الصحيح، حيث وضع الإسلام مفهوماً للعولمة مبنياً على أسس عظيمة ومبادئ سامية انطلقت من رسالة السماء، هدفها نفع الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومبناها على المساواة بين الناس، ونبذ التمييز وعدم الإكراه في الدين، ولا إلغاء حضارات الآخرين، أو نهب ثرواتهم.

لقد بلغ المسلمون أصقاعاً عدة من الأرض وأمماً مختلفة في لغاتها وأجناسها وثقافاتها وحتى دياناتها، لم يكره أحداً أو يفرض على أحد لغة معينة أو ثقافة معينة، بل شهدت العصور الإسلامية المتعددة انضواء ثقافات شتى تحت خيمة الإسلام دونما تصارع أو اصطدام، ودونما احتقار أو إلغاء لشعب أو ثقافة.

وبعد هذا كله، أليست العولمة المزعومة إقصائية، وظالمة، ومستبدة، ألا يحق لنا أن نقرر أن العولمة الصحيحة هي الإسلام بمفهومه الأصيل للعولمة (العالمية).

العالمية الإسلامية هي عالمية دعوته ومنهجه وتاريخه وتعاملاته، هذه العالمية تحتاج منا إلى جهد في إيصالها على شتى الأوجه والمجالات [١].

بينما لابد من الوقوف في وجه من يصور الإسلام على أسس ظالمة باطلة، وينشر وسائل المعرفة في العالم لتشويه صورة الإسلام بإصدار الكتب أو عبر وسائل الإعلام ليقرر الثقافة الخاطئة المبغضة للإسلام[٢].

وقد حقق النبي r هذه العالمية في دعوته من خلال القول والعمل، ففي أقواله ما يدل على إرساله للناس كافة، كما في الحديث: (**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي...[ومنها]:**

([١]) آفاق الحضارة العربية الإسلامية، د. فاضل الحسيني، مرجع سابق (٢١٦_٢١٧) وينظر: ((تاريخ الحضارة الإسلامية)) د. سلامة النعيمات، وآخرون، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، ط١(٢٠٠٠م) [٣٧١].

([٢]) التربية الخاطئة للغرب: كيف يشوّه الإعلام الغربي صورة الإسلام، جوكينشلو وَ شيرلي شتايبنرغ، إصدار دار الساقي، بيروت، ط١(٢٠٠٥) ترجمة: حسان بستاني بالتعاون مع مركز البابطين للترجمة، الكويت. (٣٦ - ٣٩).

وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)[1].

ولتحقيق هذه الرسالة، بعث r الرسل وأرسل الكتب إلى جميع الأقطار، شرقاً وغرباً ممن عرفهم العرب في وقته، واستطاعوا الوصول إليهم، فدعاهم إلى الإسلام، مؤكداً لهم أنه طريق نجاتهم في الدنيا والآخرة.

فعن أنس بن مالك t أن النبي r كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي r[2].

وهذا الأسلوب منه r هدفه الدعوة إلى الإسلام وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهو ما استخدمه قبله جميع الأنبياء في دعوتهم، حيث حاوروا أقوامهم وهاجروا من مكان إلى آخر في سبيل الدعوة إلى دينهم.

وهذه الأساليب القرآنية والأساليب النبوية تؤكد أهمية محاورة الكفار ومن يرجى إسلامهم، وإقامة الحجة عليهم، فالدعوة إلى الإسلام من أسمى الأسباب التي تدعو إلى قيام حوار مع الآخرين، بل إن هدف الدعوة إلى الإسلام من أسمى الأهداف وأعلاها، لأن فيه تبليغ دعوة الله إلى الناس، وإنقاذهم مما هم فيه من الشرك والجهل، وقيام عالمية الإسلام التي لابد أن نستشعر المسؤولية تجاهها، وهي مسؤولية البلاغ المبين، رغبة في أن يسعد الناس جميعاً بدين الله الذي ارتضاه لعباده، والذي يحمل في مبادئه وقيمه مناهج الوسطية والاعتدال، ويتسع نطاقه لمختلف الألوان والألسنة والثقافات التي نجدها في الشعوب التي تنضوي تحت لوائه، وينشر دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة[3].

فالمسلم يعمل العمل ولا يريد به إلا وجه الله تعالى، ولا يضير المؤمن ألا يجد أثراً لعمله في هذه الحياة، لأنه واثق بالله تعالى، فالمسلم يدعو الآخرين إلى الإسلام، الدين الحق العظيم، ويبذل ما في وسعه، ويحاور هذا ويجادل ذاك طمعاً في الهداية وحباً في إشاعة الخير والمعروف بين

---

(1) رواه البخاري ومسلم، سبق تخريجه.

(2) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب كتب النبي r إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الإسلام، ح (١٧٧٤). وينظر: ((مراسلات النبي r وبعثاته الدبلوماسية: دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر))، سهيل حسين الفتلاوي، دار الضياء، عمان، الأردن، ط١ (٢٠٠١).

(3) من كلمة معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي د. عبد الله التركي، حفل افتتاح مؤتمر مكة الخامس، بعنوان: (الحوار الحضاري والثقافي... أهدافه ومجالاته) مكة المكرمة ٤ - ١٤٢٥/١٢/٦هـ.

الناس، حتى لو كان المسلم على يقين بأن أحداً لن يستجيب له، ولن يلتفت إلى ما يدعو إليه، فإنه لا يقف عن دعوته وأداء رسالته، لأنه يؤدي واجباً يعذر بأدائه أمام الله رب العالمين، قال سبحانه: â**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**á [الأعراف: ١٦٤].

ويقول **r**: (**لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى، من أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين**)[١].

وبهذا يتميز سلوك المسلم الحضاري الذي يريد بعمله وجه الله، ويبتغي نفع البشرية بدعوتهم إلى الإسلام، وإيصال رسالته إليهم مهما كلفه الأمر[٢].

- ومن أهم أهداف الحوار الإسلامي الكشف عن محاسن هذا الدين وإظهار عظمته، وأنه دين يجمع بين حاجات الروح والجسد، وأنه دين العدل والوسطية والشمول، وهو الدين الذي احترم الإنسان على مر التاريخ، وهو الدين الذي سينقذ العالم من تخبط المادية والارتفاع بقيمة الإنسان من مجرد ((حيوان متطور)) كما تصوره بعض المذاهب إلى كائن مكرم مكلف مسؤول، مخلوق في أحسن تقويم، مستخلف في الأرض، مغبوط من الملأ الأعلى، يعيش بإيمانه بالله لينمو عنده حافز الخير وكراهية الشر، يملأ الإيمان ما بين جنبيه شوقاً إلى التزكي، ورغبة في الترقي عن جاذبية الطين الأدنى إلى أفق الروح الأعلى، وهذه الصورة لا بد أن تصل إلى العالم كله بالحوار، ليعلموا عن محاسن دين الإسلام وعظمته[٣].

وقد كان لإبراز محاسن الإسلام في المحافل الدولية والمؤتمرات العالمية أثره في إعجاب الكفار بالإسلام واحترامهم له، بل ودخول بعضهم إلى الإسلام متأثرين بهذه المحاسن العظيمة التي تمثلها المسلمون قولاً وعملاً.

وقد بث التلفزيون الألماني تقريراً أكد فيه دخول أكثر من أربعة آلاف إنسان دين الإسلام متأثرين بمحاسنه وعظمته[٤].

---

(١) رواه البخاري ومسلم، سبق تخريجه.

(٢) ينظر: ((حوار الحضارات)) موسى الإبراهيم، مرجع سابق (٢١٣ وما بعدها).

(٣) ((الإسلام حضارة الغد)) د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٢١هـ).

(٤) قناة (AYL) في تقرير بثته في نهاية عام (٢٠٠٧م) في برنامج (AKTUELI) وهو موجود كاملاً على شبكة =

وفي عاصمة عربية واحدة دخل الإسلام أكثر من ستة آلاف وأربعمائة شخص خلال عام أعلنوا إسلامهم متأثرين بما شاهدوه من الناس في تمثلهم الإسلام وحسن معاملتهم وإبراز محاسن هذا الدين... هذا في عاصمة واحدة فكيف بغيرها[1].

كما أكدت مجلة الإعلام العربية التونسية تزايد أعداد الذين يدخلون في الإسلام بسبب لقاءاتهم مع المسلمين وتأثرهم بهم وبأخلاقهم وتعاملهم[2].

- لكن بعض الكفار يحمل في نفسه شبهاً عن الإسلام تكون حائلاً دونه ودون الاقتناع بمحاسنه، وهنا يكون للحوار معهم هدف عظيم، وهو الرد على شبهاتهم وطعنهم في الإسلام، وذلك لإظهار الإسلام كما هو من كمال وجمال، فيظهر الحق ويدحض الباطل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما المجادلة فقد تكون لظالم، إما طاعن في الدين بالظلم، وإما من قامت عليه الحجة الظاهرة فامتنع من قبولها، وقد تكون لمسترشد طالب حق لم يبلغه، أما من بلغه بعض أعلام نبوة محمد ﷺ ودلائل نبوته ولكن عورض ذلك عنده بشبهات تنافي ذلك، فاحتاج إلى جواب تلك المعارضات، وإما طالب لمعرفة دلائل النبوة على الوجه الذي يعلم به ذلك، فإذا كان القتال الذي لا يكون إلا لدفع ظلم المقاتل مشروعاً، فالمجادلة التي تكون لرفع ظلمه ولانتفاعه وامتناع غيره مشروعة بطريق الأولى»[3].

وقد اهتم القرآن الكريم برد شبهات الكفار والمعاندين، لأن هذه الشبهات تقع في قلوب المتلقين، وتكون سبباً لصدهم عن قبول الحق وأهله.

وكم بليت الأمة الإسلامية في هذا العصر بإلصاق الشبه والتهم بها - ديناً وأفراداً - وأصبح المسلم نهباً لأفكار أهل الأهواء والشبه، وصاروا يلاحقونه في كل مكان، ويشوهون صورة الدين في كل محفل، فهو دين الإرهاب وهو دين احتقار المرأة، وهو دين العداء للآخرين ورفض الحضارة... إلخ

= اليوتيوب.

(1) جريدة الجزيرة عدد (١٣٢٠٤) ١٤٢٩/١١/٢٤هـ.

(2) www.moheet.com وينظر «رجال ونساء أسلموا» عرفات كامل العشي دار القلم الكويت، ط٣ (١٩٨٣م).

(3) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن تيمية، مطبعة المدني، مصر، (ب ت) (٧٦/١).

إنها شبه تزداد يوماً بعد يوم، ويحاط بها الإسلام حتى حيل بينه وبين الناس، فتنكر الناس لهذا الدين لكثرة ما يسمعون من الشبه والتشويه له.

وهنا يجب على المسلمين - أفراداً وجماعات - أن يتصدوا لهذه الشبه، وأن يسعوا جاهدين لبيان الحقيقة، ولكن بإحكام الرد وقوة الحجة ووضوح الدليل، لأن بعض الذين دخلوا في حوارات مع الملاحدة وغيرهم قد أوردوا شبهات وشكوكاً ومطاعن على الإسلام، لكنهم لما أجابوا عنها، أجابوا بأجوبة لا تصلح ولا تقوى للرد على الشبه[1].

ويمكن لنا أن نقرر بعض الأمور العملية التي تسهم في بناء مشروع متكامل للأمة يضمن بإذن الله المشاركة في الرد على الشبهات:

١- تربية النشء المسلم على العلم الشرعي والبصيرة بالدين، وذلك لأن من أسباب الانحراف أو الزيغ أو الوقوع في حبائل أهل التشكيك الجهل بالدين وشرائعه ومقاصده، فترى المنحرف يحسب أنه على الحق وهو على الباطل.

٢- الاهتمام بجمع الشبهات المثارة على الإسلام والتأليف فيها رداً قوياً، وتضمينها المناهج الدراسية ليتشرب الطلاب رفضها والرد عليها.

٣- المساهمة في وسائل الإعلام المختلفة للرد على الشبهات المثارة ضد الإسلام، وتخصيص مواقع على شبكة الإنترنت بلغات مختلفة تتحدث إلى المجتمعات كل حسب ما يناسبه، وإنشاء قنوات فضائية متخصصة.

٤- إقامة المؤتمرات والندوات وتشجيع البحث العلمي ومكاتبة المنصفين من أبناء الغرب وإيضاح الحق لهم بكل الوسائل.

٥- الاهتمام بالجاليات الإسلامية والمراكز الإسلامية في الغرب، وبناء مشروع حضاري من الأقليات الإسلامية في الغرب[2].

٦- التؤدة وعدم العجلة مع الالتفات إلى العلماء والقيادات الإسلامية في دفع الشبهات لأن

---

(١) المرجع السابق (١/ ٧٧).

(٢) كيف تكون الأقليات المسلمة مصدر إشعاع حضاري، د. مهدي بن عبود، ضمن: مؤتمر الأقليات المسلمة في العالم، دار الندوة العالمية، الرياض، (١٤٢١) [٣/ ١٢٦٠].

الانفعال غير المنضبط يؤدي إلى خسائر فادحة ولا يفيد في دفع مخاطر هذا الاعتداء[١].

٧- إبراز دور الإسلام في بناء الحضارات مع حاجة الحضارة المعاصرة إليه من خلال تلمس مواضع العطش العالمي، ورغبة الناس في إيجاد مخرج من سعار الحضارة المادية التي أطاحت بالناس وجعلتهم آلة صماء تسعى للمال، وتغفل جوانب الروح عندهم[٢].

٨- محاولة إسقاط حاجز ((الخوف من الإسلام)) لدى الغربيين بالتعاون مع المنصفين والعقلاء من الغربيين الذين تحرروا من العجب الغربي، والحقد الصليبي، والكيد الصهيوني، والذين خلعوا المنظار الأسود من فوق أعينهم، ونظروا إلى الإسلام نظرة موضوعية محايدة، فهؤلاء لابد من التعاون معهم لإزاحة الشبهات من طريق الآخرين[٣].

٩- تبادل الأساتذة والباحثين المنصفين بين الجامعات العربية والأوربية، للاحتكاك المتبادل والتعرف على حقيقة الإسلام ودفع الشبهات عنه.

١٠- المطالبة بتفعيل المؤتمرات العالمية التي تجرم المساس بالأديان، أو النيل من الأنبياء ودعم المطالبات القانونية لملاحقة المعروفين بمثل هذا التوجه داخل بلادهم.

١١- تقوية أدوار وزارات الدعوة والشؤون الإسلامية ومراكز الفتوى وجمعيات العلماء المسلمين في العالم الإسلامي وخارجه لتقوم بدورها الفاعل والكبير المؤمل منها في الحوار الحضاري.

١٢- مطالبة الهيئات العالمية وبخاصة الإسلامية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي والبنك الإسلامي ومنظمة (اليونسكو) وغيرها من الهيئات والمنظمات لمضاعفة الجهد ومواصلته والقيام بالواجب المناط بها.

# # #

---

(١) وقد كان لحكمة المسؤولين من المسلمين بعد حادثة الاستهزاء بالنبي ﷺ من الرسام الكاريكاتوري الدانمركي، كان لها أثر كبير في جني الأرباح الكبيرة وتقليل الخسائر.

(٢) ((تعريف موجز بدين الإسلام مع دفع شبهات المغرضين))، عبد الوهاب طويلة، دار السلام، القاهرة، ط١ (٢٠٠٤).

(٣) الإسلام حضارة الغد، القرضاوي، مرجع سابق (٢٠٨ - ٢١٣)، وينظر: ((فوبيا الإسلام في الغرب))، سعيد اللاوندي، دار أخبار اليوم، القاهرة، ط١ (٢٠٠٦م).

المبحث الثالث: بيان مفهوم الجهاد في الإسلام

أولاً: الجهاد لغة: مادة جهد: الجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقة، وقيل الجَهْد: المشقة، والجُهْد: الطاقة، فالأصل الاشتقاقي لمادة هذه الكلمة يرجع إلى المشقة، لقوله تعالى: â**وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ**á [التوبة/٧٩][١]، والجهاد - بكسر الجيم - : مقاتلة العدو ومحاربته، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل... واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شيء[٢].

ثانيا: الجهاد اصطلاحاً: بذل الوسع في نصرة الدين الإسلامي لا غير وحفظه، إما بالدعوة وتوضيح الحق وبعد ذلك يكون بالسيف[٣].

والجهاد في الإسلام يطلق على معانٍ:

أولها: جهاد النفس لحملها على الالتزام بشرع الله كما قال r : (**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله**)[٤].

وثانيها: الجهاد بالكلمة الصادقة، كما قال r : (**أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر**)[٥].

وثالثها: جهاد الشيطان لقوله تعالى: â**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**á [فاطر: ٦]، والأمر باتخاذه عدواً تنبيه على استفراغ الوسع في محاربته ومجاهدته، كأنه عدو لا يفتر.

ورابعها: جهاد العدو من غير المسلمين أو البغاة من المسلمين، وهذا النوع «جهاد غير

---

(١) لسان العرب (١٣٤/٣)، ومعجم مقاييس اللغة (٤٨٦/١).

(٢) لسان العرب (١٣٥/٣)، القاموس المحيط مادة (جهد).

(٣) «الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفع» صالح بن سعد اللحيدان، دار الصميعي، الرياض، ط٥ (١٤١٨هـ).

(٤) أخرجه أحمد في المسند من حديث فضالة بن عبيد، قال محقق المسند: إسناده صحيح (٣٨١/٣٩)، وصححه ابن حبان، والحاكم (١١/١) ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح (١٠٩٩).

(٥) حديث صحيح سبق تخريجه.

المسلمين)) هو المراد بالحديث هنا[1].

وهذا النوع من الجهاد وإن كان يتضمن القتال، فإنه يختلف اختلافاً جذرياً عن الحروب الأخرى في الدافع إلى القتال، والغاية منه، وفي القوانين التي تحكمه.

كل الدول الحديثة دون استثناء، وحتى الدول المعترف لها بالحياد كسويسرا تبذل جزءاً كبيراً من ميزانيتها، ونصيباً أعظم من جهودها في تصنيع أو حيازة وسائل الموت والتدمير، وفي التدريب على القتل والإفناء.

والمصلحة الأنانية للدولة سواء كانت مصلحة حقيقية أم زائفة هي مع القوة مما يشكل الدافع الرئيس للحرب، ولا يمنع الدولة الحديثة من شن الحرب على دولة أخرى أن تكون هذه الأخيرة مسالمة للأولى، أو عاجزة عن تهديدها، وفي الممارسة العملية للحرب لا تلتزم الدولة المحاربة بأي قانون أو خلق، ولا تشكل الضرورة الحربية تحديداً لسلوكها الحربي.

بخلاف ذلك فإن الجهاد الحقيق بهذا الاسم والذي هو ذروة سنام الإسلام، والذي هو فرض عين أو فرض كفاية - حسب الأحوال - على المسلم القادر عليه - والذي وعد المشترك فيه بالنصر أو الشهادة، قال تعالى: **â إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ á** [التوبة: ١١١] الجهاد الموصوف بما سبق هو ما تحكمه ثلاثة مبادئ أساسية تضمها مجتمعة الآية الكريمة **â وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ á** [البقرة: ١٩٠].

المبدأ الأول: الدافع الأخلاقي والغاية النبيلة بأن يكون القتال في سبيل الله لا لمصلحة نفسية أو دافع الحقد أو البغضاء.

المبدأ الثاني: أن يكون قتال المسلمين ضد من يقاتلهم، أما المسالم فلا يقاتل.

المبدأ الثالث: عدم تجاوز ضرورات الحرب، بل عليه الالتزام بالأخلاق العظيمة التي تمنع التجاوز وبناء على ما سبق فإنه بمقارنة الحروب المعاصرة بالجهاد الإسلامي، فإنه من الصعب

---

(1) ينظر ((زاد المعاد في هدي خير العباد)) ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣ (١٤١٨هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط (٦/٣- ١٠) بتصرف.

أن نجد منها ما يماثل الجهاد في نبل الدافع والغاية وتحكيم قواعد العدل ورعاية الاعتبارات الإنسانية[1].

وهنا نطرح سؤالاً يطرحه الآخرون في كل صعيد! هل انتشر الإسلام بالسيف؟[2].

- من المزاعم التي تخيف الآخرين وتعرقل الحوار والتعارف، تلك الأكذوبة التي يتداولها كثير من المستشرقين، وخلاصتها: أن الإسلام انتشر بالسيف.. ويمكننا الرد على هذه الفرية فيما يأتي:

- عاش الرسول r قرابة ثلاثة عشر عاماً في مكة يدعو إلى الإسلام سراً وعلانية، وتعرض للأذى هو ومن معه، ومع ذلك لم يرفع سيفاً ولم يقاتل أحداً، بل حتى عندما تمكن من هؤلاء عام الفتح عفا عنهم وقال لهم قولته المشهورة: (**اذهبوا فأنتم الطلقاء**)[3].
- أن استمرار وجود الملايين من غير المسلمين في معظم دول العالم الإسلامي حتى الآن بكنائسهم ومعابدهم هو الدليل القاطع على أن الإسلام لا يكره أحداً بالدخول في دينه، بل يحفظ أهل الذمة ويرعاهم، وقارن هذا التسامح بالإبادة الجماعية للمسلمين في إسبانيا بعد انتهاء الحكم الإسلامي فيها، وإبادة الهنود الحمر في الولايات المتحدة، أو الأفارقة في أمريكا الجنوبية - كما مر معنا - .
- في عصرنا الحاضر اعتنق الملايين من الأوربيين والأمريكان الإسلام، ومازال عدد كبير منهم يدخل الإسلام دون سيف أو قوة أو صراع[4].

---

(1) (التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب) صالح بن عبد الرحمن الحصين، طبع كرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1 (1429هـ) [167- 173] بتصرف. وينظر: ((تعليق على التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي)) تعليق: محمد العبدة، دار طيبة، الرياض، ط1 (1416هـ).

(2) ينظر الإسلام والآخر، حمدي شفيق، مرجع سابق ص(45)، وفتاوى ابن باز، مرجع سابق (3/118)، ومن أواخر من أثار هذه الشبهة البابا بنديكت السادس عشر في كلمة له بثتها الفضائيات في أكتوبر (2006م)، وينظر: رد د. القرضاوي عليه في موقعه ص (نحن والغرب).

(3) من رواية ابن إسحاق من حديث الزهري بسند فيه جهالة، سيرة ابن هشام (4/ 78)، وضعفه الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي (382). ينظر أيضاً: ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)).

(4) سبق ذكر مواقع وبعض الإحصائيات لهؤلاء، وينظر أيضاً: www.thetruereligion/converts. وموقعي صيد الفوائد، وطريق الإسلام (سبق ذكرهما).

- دخل الإسلام معظم أنحاء آسيا وإفريقيا عن طريق التجار المسلمين العزّل من أي سلاح، حيث جذبوا أنظار الناس إليهم بحسن تعاملهم، حتى دخل الناس في الإسلام، ويكفي للدلالة على ذلك إحدى أكبر الدول الإسلامية سكاناً وهي إندونيسيا التي لم تطأها أقدام المجاهدين.
- القتال في الإسلام لأجل الحِرَاب لا لأجل الكفر، وذلك لأنه لو كان الكفر هو الموجب للقتل أو المبيح له لم يحرم قتل النساء ومن في حكمها، كما أن من تاب قبل القدرة عليه وهو ممتنع، فإنه يعصم دمه وماله، وأيضاً يجوز المنّ على الكفار والفداء كما قال سبحانه: â**فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً**á [محمد: ٤]، ولو كان الكفر موجباً للقتل لما جاز المنّ[١].
- أن المنصفين من غير المسلمين اعترفوا ببطلان هذه الفرية، وكتبوا في التدليل على أن الجهاد في الإسلام كان من أنبل أخلاق الأمم حال القتال - وأن تصرفات الأفراد وأخطاءهم من المنتسبين إلى الإسلام أو من أبناء الإسلام لا تدل على حقيقة الإسلام - بل هي تصرفات فردية - كما هو الحال في كل الأديان والمعتقدات، فتصرفات المخطئين لا يحتملها أتباعه أو أبناء ملته[٢].
- اعتبر الإسلام السلام مبدأ قدمه على كل أمر، وبنى عليه جذوره، بل الإسلام مشتق من السلام، وتحية المسلمين هي السلام، والإسلام هو الرحمة للإنسان والحيوان والجماد، يأمر بالرحمة حتى في أبسط الأمور عند الناس، فكيف يكون الحال بالنسبة للإنسان.
- موقف الإسلام بعد الانتصار موقف عظيم بديع، فهو يحرم قتل كل من لم يحارب وينهى عن المثلة - التمثيل بالجثة - كما قال **r** : (**اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً**)[٣]، ويحرم الإسلام

---

(١) (قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم) شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله الزير آل حمد، ط١ (١٤٢٥هـ) [١٨٨- ٢٠٧] بتصرف.

(٢) ((انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء)) نبيل لوقابباوي، دار بباوى للنشر، القاهرة، ط١ (٢٠٠٣م). وينظر: ((التسامح والعدوانية)) للحصين، مرجع سابق (١٧٥- ١٨٥)، فقد ساق أمثلة كثيرة لهذا الأمر.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب تأمير الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، ورواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين واللفظ له، ح(٢٦١٣)، ورواه ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب =

قطع شجرة أو عقر نخلة أو ذبح شاة أو غير ذلك من أشكال التخريب والدمار مع الأمر بالإحسان إلى الأسرى[1].

- محاولة دفع هذه الشبهة لا تعني بحال إبطال شعيرة الجهاد العظيمة التي جاءت النصوص الشرعية الكثيرة بإثباتها وبيانها وتحديد واقعها وأحكامها. فالإسلام دين السلم والسلام ولكن على أساس إنقاذ البشرية كلها من عبادة غير الله، وإخضاع البشرية كافة لحكم الله، فالإسلام انتشر بالحجة والبيان بالنسبة لمن استمع البلاغ واستجاب له، وكان للسيف والقتال أثر في إيصاله لمن عاند وكابر ووقف في وجه الدعوة إلى الله.
- إطلاق هذه الشبهة من أعداء الإسلام هدفه إسقاط مفهوم الجهاد، وأن الناس أكرهوا على الدخول في الإسلام بالقوة وهدفهم تفسير نصوص الإسلام حسب أهوائهم ورفع شعارات الدفاع من أجل الوطنية والقومية والثورية لمحاولة نشر شعارات براقة باسم الإنسانية والتعايش والمحبة والتعاون، وهي في غالبها لا ينكرها الإسلام وفق الضوابط المعلومة، لكن مرادهم بنشرها تقرير أن الإسلام عدو لها لاتخاذه الجهاد شعيرة[2].
- لم يعرف على مر التاريخ أن ديناً انتشر بالسيف ورضي أتباعه به بالقوة، ومن ذلكم الإسلام الذي انتشر بالدعوة، بل بلغ الإسلام من الانتشار في الهند وغيرها مما لم يكن العرب يحكمونها - بل كانوا عابري سبيل فيها - ما زاد عدد المسلمين إلى أكثر من مائة مليون... فكيف نقول لمثل هذه الدول إن الإسلام انتشر فيها بالقوة[3].
- لا يقتصر مصطلح الفتح الإسلامي على القتال فقط، ولكنه مصطلح واسع يعني نشر الدعوة والخير، والرسل كانوا يدعون ربهم: â**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**á [الأعراف: ٨٩]. فالفتح فتح القلوب للهداية، وفتح العقول للمعرفة، وفتح

= وصية الإمام، ح(٢٨٥٨).

(١) فتوى د. كمال المصري بعنوان: (انتشار الإسلام بالسيف شبهة لا محل لها) في ٢٠٠١/٢/٤م، موقع إسلام أون لاين.

(٢) (أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها) عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط٦ (١٤١٠هـ) [٢٦٥-٢٧٠] فقد أفاض في الرد على هذه الفرية.

(٣) حضارة العرب، جوستان لوبون، مرجع سابق ص(١٤) بتصرف.

المجتمعات للوعي والحوار والتغيير الإيجابي الرشيد، وهذا يمكن أن يتم بطرائق كثيرة، فالإعلام فتح، والتعليم فتح، وزوال المؤثرات السلبية فتح، والدعوة الصادقة فتح، ولكن هذا المصطلح ظل يتقلص حتى تم قصره على بعض أفراده، وصار رديفاً للانتصار العسكري، مع أنه مفهوم واسع[1].

- الإسلام يقدم الدعوة إلى الله في علاقته بالآخرين، فإذا رفضوا الدعوة عرضت عليهم الجزية من خلال الجيش مقابل الحماية، فإذا رفضوا قاتلهم الجيش الإسلامي، وهذه العلاقة علاقة جيش بجيش، وليست علاقة الأفراد، إذ علاقة المسلمين بالأمم الأخرى أوسع من ذلك بكثير، فهي علاقة دعوة ورغبة في إيصال الخير - كما سبق - وبناء على ذلك، فإن من أهم أهداف الحوار الحضاري بيان مفهوم الجهاد في الإسلام، إذ لا يعقل في أي أمة أو ملة أن تربي أفرادها على الدعة والخمول، وأن لا تقوي فيهم جانب الدفاع والمنعة، فليس في الأمم أمة إلا وهي تهتم بجانب بناء جيشها وتقوية أفرادها على الصمود والحفاظ على أوطانهم وممتلكاتهم من أن يسطو عليها ظالم أو غادر.

وفرق كبير بين الحرب المشروعة التي جاءت بها نصوصنا الشرعية، وبين الحرب المقدسة كما شاعت في الأوساط الغربية[2]، والتي يراد بها إكراه أهل ملة على الدخول في ملة أخرى عنوة وتحت بارقة السيوف، أو طمس هوية هذه الشعوب واستنزاف قوتهم وسلب أموالهم ومدخراتهم وثرواتهم، زعماً أن هذه الحروب جاءت بها كتبهم المقدسة بتحديد أماكن وأهل القتال.

((فالجهاد في الإسلام ليس هو ما يُطلق عليه ببساطة مصطلح (الحرب المقدسة) ... بل الجهاد هو التأهب واليقظة الدائمة للأمة الإسلامية للدفاع بردع كل القوى المعادية التي تقف في وجه تحقيق ما شرعه الإسلام من نظام اجتماعي إسلامي في ديار الإسلام... بخلاف الحرب الدينية التي مارسها الصليبيون ضد المسلمين عندما احتلوا القدس، فكان البطريرك الصليبي

---

(1) الجهاد، د. سلمان العودة، مقال في موقع الإسلام اليوم.

(2) (الحرب المقدسة) علي الريس، وهو كتاب إلكتروني على موقع الجامعة الإسلامية www.aljame3.net وينظر: ((حرب أبدية لسلام أبدي، كيف أصبح الأمريكيون مكروهين)) جورفايدال، ترجمة د. سعود البشر، غيناء للدراسات والإعلام، الرياض، ط(١٤٢٤هـ) من ص(٢٨- ٣٦) حيث ساق حروباً شاركت فيها الولايات المتحدة.

يعدو في أزقة بيت المقدس وسيفه يقطر دماً، حاصداً به كل من وجده في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح فأخذ في غسل يديه تخلصاً من الدماء، مردداً كلمات المزمور: ((يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم))، ثم أخذ البطريرك في أداء القداس قائلاً: إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من ذلك ليرضي الرب))[١].

- كما أن من أهداف الحوار الحضاري الوقوف في وجه من يحاول تحريف معنى الجهاد وتبرير النصوص لإظهار نفسه أمام الآخرين بالمتسامح الرافض للقتال - وهي دعوى باطلة كما سبق - وقد قامت بعض الفرق المنتسبة للإسلام إلى إسقاط فرضية الجهاد في الوقت الحاضر تمشياً مع مطالب المستعمر[٢].

وكذلك تلك التفسيرات الهزيلة التي تحاول أن تقصر الجهاد على جهاد النفس والشيطان، وتستحي من القول بوجوب الدفاع عن النفس، وربما بررت للمستعمر ورفضت دفاع المقاوم عن نفسه الاحتلال، فهذه النظرة الانهزامية لا تخدم الحوار الحضاري في شيء. وتحت مسمى التعايش السلمي ونبذ العداوات التاريخية وعهود السلام، تم تغيير مناهج التربية والتعليم في بعض البلاد الإسلامية، وذلك بحذف الآيات الدالة على الجهاد وتحريف معانيها، مع أن الجهاد فريضة إسلامية، والمسلمون بحاجة شديدة إليه، مما فوّت على المسلمين مصالح كثيرة، فخسروها وجنى عليهم في الوقت ذاته كوارث ومصائب لا حصر لها، حيث أفسحوا المجال لأعداء الإسلام يتلاعبون بالشعوب الإسلامية وشعوب العالم بعامة، ويذلونها ويفرقون بينها[٣].

---

(١) المستشرقة الألمانية (سيجريد هونكة) نقلاً عن مقال بعنوان (الفارق بين الجهاد والحرب المقدسة) د. محمد عمارة، موقع الشروق الإسلامي: www.alshorok.net ، وينظر: ((تاريخ الحروب المقدسة في المشرق، المدعوة حرب الصليب)) مكسيموس مونروتد، مطبعة دير الرهبان، أورشليم (١٨٦٥) ترجمة: مكسيموس مظلوم، مودع مكتبة الجامعة برقم (م م ت ٩٤٠,١) .

(٢) هي طائفة القاديانية أتباع أحمد القادياني الهندي الذي كان عميلاً للاستعمار الإنجليزي، واعتبر الجهاد (عقيدة نجسة). ينظر: (القاديانية دراسة وتحليل) إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور [ص: ٨٧-٩٠].

(٣) تسامح الغرب مع المسلمين، عبد اللطيف الحسين، مرجع سابق (٣٢٧ وما بعدها بتصرف).

فالجهاد شريعة عظيمة ماضية إلى قيام الساعة، تقوم على أسس دينية وتعاليم شرعية، وليست تقوم على أهواء فردية، ومصالح أممية، كما هو حال حروب هذا الزمان، فكل دولة أو أمة أو قبيلة ترى من نفسها قوة، ومن عدوها أو من جاورها ضعفاً، فإنها تبادر إلى غزوه واحتلال أرضه وشعبه وممتلكاته بأبشع الصور، كما هي الحال في الحربين العالميتين [الأولى (١٩١٤- ١٩١٨م)، الثانية (١٩٣٩- ١٩٤٥م)]، والتي راح ضحيتهما ملايين البشر، فأين هي من الحروب في الإسلام.

إذن هي حالة عالمية، تشبه ما يجري بين الناس من اعتداء وسرقة وانتهاك أعراض، وغصب وظلم، ما لم يضبطه دين وشريعة أو قانون.

وعليه فليس مفهوم الجهاد هو أساس التصادم - بالمفهوم الغربي المعاصر - الذي هو الحرب المدمرة التي لا تبقي ولا تذر دون أن يكون له غاية إلاّ حب التسلط والقضاء على الآخرين وإذلالهم.

وإنما مفهوم الجهاد هو أساس التوحيد والإيمان والرحمة بالخلق ونشر الأمن والحياة المستقرة وإسعاد البشر في الدنيا والآخرة[١].

يقول رسول الله ﷺ : **(لن يبرح هذا الدين قائماً، يقاتل عليه عصابة من المسلمين، حتى تقوم الساعة)**[٢]، وفي حديث آخر: **(لا تزال طائفة من أمتي، يقاتلون على الحق، ظاهرين، إلى يوم القيامة)**[٣].

وهذه النصوص تبين أن الطائفة المنصورة لم تقف عند حد جهاد الكلمة ببيان الحق، والدعوة إليه بالحسنى أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين المسلمين، بل تميزت - مع ذلك - بالقيام بواجب الجهاد الشرعي في سبيل الله، وقتال أعداء الله من الكفار والمنافقين وغيرهم، وهذا يعني استمرار الجهاد والمواجهة العسكرية مع أعداء الدين إلى يوم القيامة، ولكن هذا يستدعي الاستعداد بكل وسائل الاستعداد للأمة[٤].

---

(١) د. عبد الرحمن المحمود، من أجوبته على أسئلة الباحث.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين...)، ح(١٧٢).

(٣) رواه مسلم، في نفس الكتاب والباب، ح(١٧٣).

(٤) ((صفة الغرباء)) د. سلمان العودة، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١ (١٤١١هـ) [١٧٦- ١٧٧ بتصرف].

إن الحوار الحضاري لا يعارض القوة ولا يناقضها، وليس أحدهما خصماً للآخر، بل إن الحوار وحتى يكون مظنة النجاح يجب أن يكون قوياً مستنداً إلى قوة تحميه وتحمله إلى الآخرين، وهذه القوة هي القوة الإيمانية وقوة البصيرة والوحدة، وقوة الساعد والسلاح... هذه المعاني جميعها كانت بارزة في حياة النبي r ، وفي منهجه الدعوي والتربوي، حيث بدأ مع قريش في تبليغ دعوته وواجه صنوف الأذى ولم يستطع نصرة أصحابه وأتباعه لضعفه، لكن لما هيأ الله له دولة قوية تحميه، استطاع أن يكون القوي في صف الحوار، وفرض رأيه، وإيصال ما يريده إلى الآخرين.

وكان منهجه r يتمثل في الدعوة والحوار الذي تدعمه القوة، وبهذا المنهج فتح الله القلوب لهذا الدين قبل أن يفتح للمسلمين الأرض، ففي يوم خيبر يوصي النبي r علياً t - وهو القائد - فيقول له علي t : أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال النبي r : **انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فو الله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**))[1].

ولابد من بيان مفهوم الجهاد الإسلامي من مصادر الشريعة وأقوال أهل العلم المعتبرين، وليس من تصرفات الأفراد أو تهور المتهورين الذين يقتلون أبناء المسلمين في ديار الإسلام أو يقتلون أهل الذمة والعهد والأمان بدعوى الجهاد، وهذا ليس بجهاد، بل هو أضر بصورة الجهاد وحقيقته، وليس من العيب أن نصرح ببراءة الدين من هذا الكلام، وأن أهل هذه الأفعال لا يمثلون الصورة الحق من الجهاد ولا يطبقون قواعده لنكون في بيان مفهوم الجهاد منطلقين من أصول الدين لا أفعال العابثين.

# # #

(1) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح(٤٢١٠)، ورواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب t ، ح(٢٤٠٦).

المبحث الرابع: مواجهة الحملات التنصيرية

التنصير: دعوة الناس للدخول في النصرانية. فإن لم يدخلوا فيها فليخرجوا عن دينهم وبخاصة (المسلمون)[1].

وهي حركة دينية سياسية نصرانية بدأت في الظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم بعامة، وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب؛ ويساعدهم في ذلك انتشار الفقر والجهل والمرض في معظم بلدان العالم الإسلامي مع وجود النفوذ الغربي في هذه البلدان وضعف القيادات السياسية فيها[2].

وبعض الباحثين يرى أن التنصير في مفهومه العام ظاهرة بدأت مع ظهور رسالة عيسى u [3]. وليس هناك تعارض بين الرأيين، إذ أصل الدعوة إلى النصرانية كأي نحلة أو مذهب له دعاته الذين يدعون إليه، أما التنصير في العصر الحاضر فلم تكن حقيقته الدعوة المجردة إلى النصرانية - كما يفعل ذلك الدعاة سابقاً - بل كانت دعوة إلى النصرانية تستهدف من وراء ذلك بسط الهيمنة النصرانية، والاستحواذ الاستعماري على الأمة الإسلامية وعلى غيرها[4].

أما تعريف التنصير في كتب النصارى فمنها: ((القيام بدعوة الناس إلى تعليم الكتاب المقدس حتى القبول بفكرة خلاص المسيح المخلص بواسطة المؤمنين رجالاً ونساءً دون كلل أو ملل تنفيذاً لأمر الرب العلي القدير))، وهو ((المهمة الربانية التي كلفنا الله الرب بنشرها وتوسعتها لكونها ضرورة الحياة الأبدية))[5].

---

(1) أصول التنصير في الخليج العربي، هـ. كونوي زيجلر، ترجمة د. مازن مطبقاني، طبع الندوة العالمية للشباب، مكتبة المدينة المنورة، ط٢(١٤١٢هـ) ص٩.

(2) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط ٤(١٤٢٠هـ) [٢/٦٦٥].

(3) ((التنصير، مفهومه- أهدافه- وسائله- سبل مواجهته)) د. علي النملة، ط٤ (١٤٢٦هـ) ص(١٧).

(4) ((التنصير - تعريفه، أهدافه، وسائله، حسرات المنصرين)) د. عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، دار الكتاب والسنة باكستان، ط١ (١٤٢٠هـ) ص(١٠).

(5) نقلاً عن: تسامح الغرب مع المسلمين، مرجع سابق (١٥١ + ١٥٢).

- وقد طرحت الكلمة ترجمة للمصطلح الأوربي (missions) بديلاً عن كلمة «**التبشير**» التي ينكرها بعض أهل العلم، ويعتبرها من ألفاظ النصارى المحببة إليهم، ويعتبر أن من الخطأ استخدام لفظة (تبشير) لأن فيها دلالة على أن هؤلاء القوم يدعون إلى البشارة وإلى الخير، ويبشرون الناس بالسلام وبالرحمة والبر، وهم ليسوا كذلك، والأولى بلفظة التبشير هو المسلم، فهو المبشر حقاً، ذلك أن لفظة التبشير من صفات النبي r كما قال تعالى: â**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**á [الفتح: ٨]، وهكذا من سار على دينه فهو المبشر حقاً، كما قال النبي r لمعاذ وأبي موسى عندما بعثهما إلى اليمن: (**بشرا ولا تنفرا**)[١]، فالتبشير هو اسم الدعوة إلى الإسلام، وليس الدعوة إلى النصرانية بحال، لأن الذين يبشرون بالخيرات وبالسلام هم حملة هذا الدين، أما النصارى الذين يزعمون أنهم دعاة سلام فهم أهل الوحشية باسم السلام، ويمارسون ألوان الحرب باسم التبشير[٢].

ويرى بعضهم خلاف ذلك، لأن الترجمة للكلمة المذكورة هي (التبشير)، ولأن كلمة التبشير قد ترد للأمر الحسن الطيب، وقد ترد للأمر السيئ والشر، كما في قوله تعالى: â**فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**á [آل عمران: ٢١]، وقوله تعالى: â**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ❖ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** á [النحل: ٥٨- ٥٩]، فالعبرة بمضمون البشارة وليس بظلال المصطلح[٣]. لكن الحق هو الالتزام باللفظ الشرعي وهو (التنصير)، لأنه نسبة إلى دينهم النصراني، وهذا هو الأسلم.

ولما كان الإسلام قد أثبت صدق دعواه بأنه الدين الحق الخاتم، وقدرته على قيادة الإنسانية باختلاف أجناسها وشعوبها وتطلعاتها وآمالها، وذلك بما أنجزه في حيز التطبيق

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ح(٤٣٤٤)، ورواه مسلم، كتاب الجهاد، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، ح(١٧٣٢).

(٢) وسائل المنصرين، محاضرة د. سلمان العودة، مفرغة في موقع الإسلام اليوم.

(٣) «الغارة التنصيرية على أصالة القرآن» د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، بحث مقدم لندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه - المدينة المنورة في الفترة من ٣- ١٤٢١/٧/٦هـ، وهو موجود على موقع شبكة الدعوة الإسلامية. وينظر: «النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير: دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات» محمد عثمان صالح، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، ط١ (١٤١٠هـ).

العملي، إذ جمع في قرن ونصف تحت رايته أكثر من ثلثي المعمورة، سوّى بينهم وصهرهم في بوتقة ألّفت أزهى عصور التاريخ: حضارة وعلماً وأخلاقاً. فإن تلك القدرة الهائلة للإسلام قد أذهلت أهل الكتاب الذين قعدت بهم دياناتهم عن تبوئ تلك المنزلة أو ما يدانيها مما جعلهم يدركون خسارتهم بسبب فقدهم قيادة الإنسانية - دينياً - مما جعلهم يواجهون الإسلام إما عسكرياً عبر حروب مدمرة، أو عبر حرب العقيدة والفكر التي تسعى للنيل من الإسلام وزعزعة عقيدة المسلمين: â**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**á [البقرة: ١٠٩](١).

وقد أضافت حقبة الاستعمار مجالات جديدة من العداوة، إذ فقد النصارى الأمل في السيطرة على المسلمين مما جعلهم يفكرون في طريقة أخرى للاستعمار، فما كان منهم إلا أن بدؤوا في إرسال البعثات التنصيرية إلى بلاد المسلمين، وأسسوا إرسالياتهم بهدف تحويل المسلمين إلى النصرانية(٢).

بل إن التنصير شريك الاستعمار، وهذا ما جعل الأفارقة يقولون التعبير الشائع عندهم ((إن بندقية الجندي الأوربي كانت تختفي تحت عباءة القسيس))، مما يدل على أن التنصير قد مهد للغزو الاستعماري في البلاد الإسلامية وفي إفريقيا على وجه الخصوص، ثم اعتمد على مؤسساته في الانتشار(٣).

فإن حقق التنصير هدفه في إدخال المدعوين إلى النصرانية، وإلا فإن من أهدافهم جلب العلمانية إلى بلاد المسلمين، والترويح لها وإخراج أبناء المسلمين من دينهم وجعلهم يعيشون بلا هوية مع نزع الدين من نفوسهم(٤).

كما أن من أهدافهم الحيلولة دون دخول النصارى أو الأمم الأخرى - غير النصرانية- في الإسلام، مع السيطرة الغربية على الأمم وبث سمومهم وأفكارهم وتغريبهم

---

(١) ((الغارة التنصيرية)) د. عبد الراضي المحسن، بحث سابق (٨- ١٢) بتصرف.

(٢) صراع الغرب مع الإسلام، آصف حسين، ترجمة د. مازن بن صلاح مطبقاني، مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مكتبة المدينة المنورة، ط١ (١٤٢٠هـ) ص١٠٥.

(٣) الإسلام وحوار الحضارات، كامل الشريف، بحث سابق (١٢).

(٤) المرجع السابق (١٢- ١٣)، وينظر: التنصير، د. النملة، مرجع سابق (٥٥- ٥٩).

للمجتمعات، وفرض النصرانية بالقوة والسياسة ومساندة الحكومات مستغلين فقر شعوب العالم وضعف قوتهم وتخاذل بعض حكوماتهم.

وقد استغل المنصرون كل وسيلة ممكنة لنشر دينهم، والصد عن سبيل الله، وترويج الاعتقادات الباطلة المحرفة عندهم؛ وسنذكر هنا بعض هذه الوسائل بإيجاز[1]:

١- استغلال الهيئات العالمية والمنافذ السياسية والمنظمات الدولية مع دراسة أحوال العالم الإسلامي وأوضاعه الداخلية والتمكين لرؤوس الفساد في هذه الأوطان ممن يفتحون لهم المجالات، ويسهلون لهم الطرق، وينفذون توجهاتهم في المطالبة بالحريات الدينية والسياسية والفكرية، وهدفهم من هذه المطالبة نشر أفكارهم وبث سمومهم وهدم قيم الإسلام.

٢- البعثات الدبلوماسية «السفارات وما في حكمها» والتي تقوم بأعمال كثيرة تغطيها بالجانب السياسي، مثل فتح المدارس التنصيرية، وإقامة المنتديات وطبع الكتب واللقاء بعدد من الشخصيات الثقافية والمؤثرة في هذه المجتمعات، وشراء الذمم بسحب بعض هذه الرموز لتصبح يداً مساندة لهؤلاء.

٣- بناء أكبر عدد من الكنائس في العالم، والاهتمام بمظهرها لتؤثر في عقول من يشاهدها، ولتكون عنصر جذب للآخرين، مع إقامة المناسبات الدينية والحفلات ودعوة الناس لها.

٤- التركيز على المرأة المسلمة وإجراء الدراسات والأبحاث حول كيفية التأثير عليها ومحاولة مسخ شخصيتها، وفك ارتباطها بدينها وقيمها، وهم يعلمون أن تأثيرها على المجتمع أكبر، فهي الأم المعلمة الأولى في الأسرة.

٥- استغلال الظروف الصعبة التي تعيشها الأوطان الفقيرة، فيدخل التنصير باسم التطبيب أو الإغاثة أو معالجة الفقر أو التدريب المهني، وإنشاء مراكز التدريب التي تستقطب الشباب

---

(١) ينظر: «الزحف إلى مكة: حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي» عبد الودود شلبي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١ (١٤٠٩هـ) وينظر: «حقائق ووثائق: دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي»، عبد الودود شلبي، الدار السعودية للنشر، جدة، (١٤٠٩هـ). وينظر: «التبشير والاستعمار» مصطفى الخالدي وعمر فروخ، مرجع سابق، وينظر: «التنصير» د. النملة، مرجع سابق، وينظر: التنصير، د: الصالح، مرجع سابق، وقد أجريت حلقات متلفزة عن التنصير في إفريقيا بصحبة د. عبد الرحمن السميط بعنوان: (القارة المنسية)، وهي موجودة على موقع اليوتيوب.

الراغبين في العمل والحصول على حرفة.

٦- التعليم بكل وسائله وأساليبه، ويشمل ذلك إقامة المدارس التنصيرية - كما سبق - أو التدخل المباشر في المدارس الحكومية وتفريغ مناهجها من مضامينها الإسلامية، أو استغلال هذه الوسيلة من خلال إيجاد فرص الابتعاث لأبناء المسلمين الذين تعذرت عليهم مواصلة دراستهم في بلدانهم، ومن ثم محاولة تنصيرهم في البلاد التي تم ابتعاثهم إليها.

٧- الإعلام بكل وسائله - المطبوعات والبث المباشر وشبكة الانترنت[١] - وهذه الوسيلة من أقوى الوسائل المعاصرة وأكثرها تأثيراً، بل إن بث الإذاعات التنصيرية أصبح يلتقط في عدد من دول العالم بكل يسر، ويتم التواصل مع المستمعين الذين يتأثرون بشكل واضح مع هذه الإذاعات من خلال المشاركة في البرامج والمراسلات[٢].

٨- الدعم المالي الكبير الذي يلقاه المنصرون من الحكومات والهيئات والمؤسسات العالمية النصرانية، وذلك بفتح المؤسسات والجمعيات التنصيرية التي تجاوزت ربع مليون مؤسسة تنصيرية، ودعم هذه المؤسسات والإرساليات بالأموال والتجهيزات، إذ تتجاوز ميزانية التنصير السنوية في العالم أكثر من أربعمائة مليار دولار، ومئات الآلاف من الأجهزة والكتب والبعثات والطائرات وغيرها من التجهيزات[٣].

٩- العاملون والتجار في الأوطان الإسلامية، وتتضح هذه الوسيلة جيداً في مجتمع الخليج الذي يفد إليه ملايين العاملين في شتى المجالات والتخصصات، وقد تم اكتشاف أماكن العبادة لهم في الخليج بالإضافة إلى دورهم في التنصير وتوزيع الكتب وإقامة الأعياد

---

(١) الفضائيات العربية التنصيرية، تركي بن خالد الظفيري، مطبوعات مجلة البيان، ط١(١٤٢٨هـ).

(٢) ((الإذاعات الدينية)) فهد عبد العزيز السنيدي، دار الوطن، الرياض، ط١(١٤٢٤هـ)، وينظر: دراسة لواقع بعض القنوات العربية التي تدعم التنصير ببرامجها، وهي مملوكة لبعض تجار الخليج، الدراسة ضمن ((الفضائيات العربية)) تركي الظفيري، مرجع سابق [٤٦- ٦٠].

(٣) نشرة تصدرها المجلة الدولية لأبحاث التنصير (IBMR)، وهي موجودة على موقعهم. ينظر مواقع تترجم هذه النشرة، مجاة آفاق، العالم الإسلامي، شبكة الحقيقة الإسلامية، وهذه النشرة لعام (٢٠٠٤م)، وينظر مقال: (ظهور الأصولية الإنجيلية) د. سفر الحوالي، الموقع الخاص بالدكتور، حيث أشار إلى بعض هذه المعلومات.

والمناسبات الدينية.

١٠- عقد المؤتمرات العالمية في مسائل مختلفة تخص العالم، وظاهرها دفع عجلة التنمية والتطور لدى هذه الدول والمساهمة في الحلول، بينما حقيقتها البحث في وسائل التنصير واستغلال هذه الفرصة للولوج إلى المجتمعات.

١١- الحوار وهي وسيلة استغلها المنصرون لتحقيق آمالهم وما تصبو إليه أنفسهم من زعزعة عقائد المسلمين وصرفهم عن دينهم وإثارة الشكوك وبعث الشبه من خلال اجتماعات سبق الإعداد والترتيب لها بين نفر من المنصرين من ذوي الخبرة في هذا الباب، وبين بعض المنتسبين إلى الإسلام وبيّن القائمون على هذه المؤتمرات «أنه عبر الحوار يتمكن الإنسان من معرفة الفرد المحاور ومن ثم فهمه، مما يمكن المنصر من الشهادة على محاوره وتبليغ الإنجيل إليه في سياق علائقي مقنع. هذا الطرح تم تأكيده في التقرير الذي صاغه المشاركون في اجتماع مؤتمر نيودلهي عام (١٩٦١م) أعيدت صياغته في المكسيك عام (١٩٦٣م)، وأعلن فيه «أن المحاور المسيحي يجب عليه في محاورته لأتباع الأديان الأخرى التبشير بالإنجيل، وأن يستحضر نيته في زحزحة الآخر ليستمع إلى ما أوحى الرب في المسيح u ويستجيب له»، وأكد التقرير أنه لا يكون الحوار والتنصير منفصلين، بل يتعلقان بعضهما ببعض، ففي أي لحظة أو مكان في أثناء العملية التحاورية هناك متسع زمني للدعوة إلى البشارة.. فالتبشير يكون دوماً جنباً إلى جنب مع الحوار»[1].

١٢- دعم الاستشراق «وهو دراسة الغربيين لعلوم الشرق بهدف التشكيك فيها»، وذلك من خلال استغلال المؤسسات العلمية التي تقدم دراسات عن العالم الإسلامي والعرب والشرق الأوسط، فهؤلاء المستشرقون في غالبهم يخدمون انتماءاتهم الدينية والثقافية وينالون الدعم المعنوي والمادي، بل عرف التاريخ المعاصر عدداً كبيراً من المستشرقين المنصرين الذين هدفوا من دراستهم للشرق إلى تعميق فكرة التنصير في هذا المجتمع،

---

(١) دعاء محمود فينو، مقال: «الحوار المسيحي الإسلامي: قراءة في كتاب: التصورات اللاهوتية المسيحية عن المسلمين منذ مجلس الفاتيكان الثاني» د. محمود إيدن، مجلة إسلامية المعرفة، العدد (٤٤) السنة الحادية عشرة، ربيع ١٤٢٧هـ [١٨٠- ١٨٧] بتصرف.

وحاولوا بطريقتهم العلمية تحقيق مفهوم التنصير[١] ويدخل في هذا المفهوم ما يقومون به من الترجمة والنقل للعلوم، بل إن أخطرها ترجمة الأناجيل إلى العربية.

١٣- استغلال مناطق الالتهاب العسكري والحروب الإقليمية والصراعات الطائفية للتدخل العسكري أو التدخل السياسي ليكون هذا التدخل غطاء لفرض التنصير والتمكين له، كما حصل في مناطق مختلفة من العالم، مثل أفغانستان وبعض دول إفريقيا.

١٤- إذكاء الحملة ضد الإسلام ووصمه بالإرهاب من أجل التنصير والوصول إلى الآخرين، وازداد الأمر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة، حيث تحدث الرئيس الألماني (وولف غانغ تيرزه) عن الائتلاف الدولي للدفاع عن الحرية ضد الإرهاب الإسلامي[٢].

وكذلك ما صرح به رئيس الحكومة الإيطالية - برلسكوني – بقوله: «ينبغي أن يكون لدينا وعي بتفوق حضارتنا... إنه نظام قيم يمنح كل الدول التي تبنته رفاهية واسعة، ويضمن احترام حقوق الإنسان والحريات الدينية، وهذا الاحترام بالتأكيد لا يوجد في الدول الإسلامية»[٣].

كما استغل اليمين المتطرف بأوربا الأحداث المذكورة للمطالبة بالحد من الهجرة وإغلاق المساجد... بل وزعت بعض الأحزاب المتطرفة حال فوزها في الانتخابات قمصاناً عليها مسجد محاط بدائرة حمراء[٤].

هذه بعض أساليب المنصرين في الوصول إلى الناس ودعوتهم إلى النصرانية واستغلال فقرهم وحاجتهم وما حل بهم من نكبات، فضلاً عن استخدام أساليب سيئة لإخراج المسلمين من دينهم وبث الشبهات والتغرير بالناس ونشر الرذيلة في المجتمعات.

---

(١) المستشرقون والتنصير، د. علي بن إبراهيم النملة، مكتبة التوبة، الرياض، ط١ (١٤١٨)، وينظر: «الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس» مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١ (١٤١٦هـ).

(٢) مستقبل العلاقات الدولية، محمد سعدي، مرجع سابق (٣٣١)

(٣) (جريدة الليموند الفرنسية). Lemonde 29/9/(2001p.5)

(٤) Lemonde 2/9 (2001p. 4).

ولا بد من مواجهة هذه الحملات التنصيرية بكل الوسائل والسبل، ولعلنا نشير إلى بعضها إجمالاً:

١- إيضاح الحقيقة في أي حوار حضاري أو مناسبة مشتركة بين الدعوة الإسلامية والتنصير، فالدعوة الإسلامية - كما سبق - تقوم على التسامح والرحمة وعدم الإكراه، كما أنها تستند إلى الأصول الثابتة في الكتاب والسنة، أما التنصير فيقوم على استغلال ظروف المجتمعات واحتياجاتهم ويمارس أتباعه الضغط على الفقراء والمرضى، بل يرفضون علاجهم إلا إذا تنصروا، ويقوم بعضهم بخطف الأحداث وتربيتهم علي يد الكنيسة أو تعذيبهم[1].

وقد اعترف النصارى أنفسهم أن الدين الإسلامي أسرع انتشاراً وأكبر تأثيراً، رغم أنه لا يستخدم ما يستخدمه المنصرون من الوسائل، يقول البابا يوحنا الثاني: «الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتحدى انتشار المسيحية، وهناك تزايد في الإقبال على الإسلام، وانحسار في المناطق المسيحية في الشرق الأدنى وإفريقية، وهناك جسور للإسلام تتزايد في جنوبي أوروبا»[2] لا بد حال إيضاح الحقيقة السابقة أن نؤكد الرفض التام للتنصير بكل صوره، وأنه لا يجوز قبوله ولا السماح لأهله أن يمارسوا أنشطتهم في بلاد الإسلام، بل الواجب على المسلمين - حكومات وشعوباً - أن يقفوا من المعابد والكنائس والبعثات والجمعيات التنصيرية، الوقفة الشرعية، وليعلموا أن التوقيع على اتفاقيات تسمح بالتنصير بوسائله الحالية يعد خيانة عظمى للدين الإسلامي[3].

٢- محاولة إصلاح ما نستطيع إصلاحه من المناهج الغربية التي تتحدث عن الإسلام، والمتأثرة بصورة أو بأخرى بنفوذ وتأثير الكتابات القديمة للمنصرين والمستشرقين الذين دأبوا على تصوير الإسلام بصورة منفرة، وزجوا لأجل ذلك بالكثير من المعلومات المغلوطة في إطار دراسة الإسلام في الغرب. ولذلك فإن كثيراً ممن يقبلون على دراسة أو تدريس الإسلام في الغرب ينقلبون بأذهان مشوشة بأباطيل المستشرقين القدامى، ويكون هذا حاجزاً في سبيل

---

(١) تسامح الغرب، مرجع سابق (١٦٨).

(٢) أضواء على مواقف المستشرقين، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط١ (١٤١٥هـ) [٦- ٧].

(٣) فتوى د. أحمد عمر هاشم رئيس لجنة الشؤون الدينية بمجلس الشعب المصري، بعد توقيع الأزهر على وثيقة دولية تدعو لحرية التنصير في مصر في إبريل عام (٢٠٠٥م)، ينظر: جريدة المصري اليوم، ٢/٤/٢٠٠٦م.

قبولهم للإسلام، بل إنهم يرون صورة النصرانية الصحيحة مقابل الإسلام المشوه[١].

٣- مواجهة التنصير بالدعوة إلى الله على بصيرة، وهي المواجهة الحقيقية، وأن نقدم للآخرين من مسلمين وغير مسلمين البديل الذي نعتقد أنه الحق وهو الإسلام الصافي كما جاء من عند الله تعالى.

والدعوة إلى الله تعالى هي مهمة الرسل، وهي أعظم وسيلة لإيصال الإسلام: â**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**á [يوسف/١٠٨]، وقد سطر الدعاة - بحمد الله - على مر الزمان أروع الأمثلة في الدعوة إلى الله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً بأبسط الوسائل وأيسرها، لأنها تخاطب العقول والأرواح، ولا تجبر الناس ولا تهينهم، ولذا قبل الناس هذه الدعوة[٢].

كما يجب على الدعاة أن يبذلوا جهدهم في تصحيح العقيدة مما لحق بها من البدع والممارسات الخاطئة، حيث ثبت أن التنصير ينهش في الدول الإسلامية أو الجماعات الإسلامية التي تعيش البدع والضلالات والخرافات أكثر من مثيلاتها ممن هم على منهج عقدي صحيح[٣]... وعليهم أن يلجوا إلى المجتمعات ويخالطوا أهلها ليتصدوا لأي دعوة باطلة.

٤- تبني الحكام لمشروع حضاري ثقافي ينهض بالأمة ويعمل على نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية، ويؤسس لدراسة وتدريس العلوم الشرعية، ويتبنى الجامعات والمدارس والمراكز الثقافية، ويسهم هذا المشروع في رصد الجوائز للتأليف والأبحاث والترجمة لإيصال الإسلام إلى كل مكان.

٥- أن تقوم الحكومات الإسلامية بالتصدي للتنصير ومنع إقامة البعثات، وعدم تقديم التسهيلات للمنصرين، والتركيز على الوافدين إلى بلاد المسلمين من غير المسلمين، باحترام

---

(١) صورة الإسلام في المناهج الغربية، أ.د. محمد وقيع الله، مرجع سابق (ص٣٧٣) بتصرف.

(٢) أطلعت على نماذج هؤلاء الدعاة من خلال زيارة إفريقيا وعلى رأسهم خادم الدعوة د. عبد الرحمن السميط، حيث أسلم على يديه ومن معه في لجنة مسلمي إفريقيا أكثر من خمسة ملايين شخص على مدى عشرين عاماً، برنامج القارة المنسية، موجود على اليوتيوب، وكذلك كتب د. السميط فهي تتحدث عن هذا الجانب بإسهاب، بالإضافة إلى أنشطة د. أحمد ديدات رحمه الله وكتبه وأشرطته.

(٣) ((التنصير إفريقيا... جهد كاسح ونتائج كسيحة)) أيمن شبانة، مقال على شبكة إسلام أون لاين.

دين البلاد، وعدم اتخاذهم أي إجراء عام يتعارض مع هذا الدين أو يتناقض معه، بالإضافة إلى متابعة البعثات الدبلوماسية الأجنبية للمطالبة بالاقتصار على مهمتها الرسمية فقط.

وعلى سفارات الدول الإسلامية أن تقوم بدورها الرسالي في دول الغرب بالأساليب التي تراها مناسبة، بحيث تحد من المد التنصيري في المجتمعات الإسلامية، وتقوم بالدور المطلوب منها وأن تكون صورة مشرفة عن الإسلام وأهله[1].

٦- دور الهيئات والمنظمات والجمعيات الإسلامية، ومن أهمها وأكبرها دوراً، رابطة العالم الإسلامي [أنشئت في ذي الحجة ١٣٠٨هـ بمكة المكرمة]، والتي تهدف إلى تبني قضايا المسلمين وتبليغ دعوة الإسلام ومبادئه وتعاليمه متخذة الوسائل المناسبة، ومنها أيضاً: منظمة المؤتمر الإسلامي [أنشئت في ١٧/محرم ١٣٩٠هـ ومقرها جدة]، والتي تهدف إلى تعزيز التضامن الإسلامي ودعم التعاون بين الدول، وينبثق منها مجموعة من الهيئات والمجالس والمنظمات وهي جميعاً مطالبة بالقيام بدورها.

وقد ظهرت على الساحة الإسلامية مجموعة من الهيئات الإغاثية والجمعيات الخيرية واللجان والمؤسسات، والتي نطالبها بتكثيف أعمالها وضرورة توسيع نطاقها وتنويع توجهاتها وأشكال العطاء والعمل فيها، والتعاون فيما بينها من أجل الوصول إلى هدف منشود واحد، ونبذ الفرقة والطائفية والخلافات، وأن يكون الهدف الأسمى والأعظم هو نصرة هذا الدين، بغض النظر عن جنسية الجمعية أو الجهة التي تشرف عليها.

٧- دور التجار ورجال الأعمال وأهل اليسار من المسلمين، والذين لهم أنشطة تجارية في كل مكان في العالم، بل إن بعضهم أصبحت له يد طولى في تسيير التجارة في دول عالمية، وهؤلاء دورهم كبير، والمأمول منهم عظيم، فما قيمة المال إن لم يكن لك فيه تقديم لما ينفعك في أخراك، وأعظم النفع وأكثره فضلاً أن تكون لك اليد في هداية الناس إلى الحق، كما قال ﷺ: **(لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)**[2].

وعلى أصحاب العمل أن يكون لهم دور في العمال الذين قدموا إلى بلادهم الإسلامية

---

(1) التنصير، د. النملة بتصرف وإضافات، وما سيأتي لاحقاً مستفاد منه [١٨٠- ٢٢٦]، وينظر: ((التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي)) عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، مكتبة العبيكان، الرياض، ط(١٤١٤هـ).

(2) متفق عليه (سبق تخريجه ص).

وهم على دينهم، إذ يجب عليه أن يبذل لهم النصيحة في دعوتهم إلى الإسلام ودلالتهم على الخير وتسهيل وصول الحق إليهم، وذلك بالاتصال بالدعاة والمكاتب المسؤولة عن دعوة الجاليات.

٨- الدور الإعلامي... وهذا الدور من أهم الأدوار وأكثره تأثيراً، إذ رأينا كيف اهتم المنصرون بالإعلام وأنشؤوا المحطات الفضائية والإذاعات وشبكات الإنترنت والصحف والمجلات وطبعوا الكتب والمنشورات، ونحن المسلمون أولى بهذا منهم، فعلى المسلمين أن يتكاتفوا في سبيل نشر إعلامي صادق لخدمة دين الله.

٩- دور الجهات التعليمية في العالم الإسلامية من خلال المدارس والجامعات، وإقامة المؤتمرات وكراسي البحث داخل وخارج العالم الإسلامي، واستضافة المنصفين من الغرب لزيارة البلاد الإسلامية.

كما أن على الجهات التعليمية أن تتبنى الدوريات العلمية والمجلات الثقافية التي يكون لها قوة في الانتشار وبلغات مختلفة لتصل إلى العالم كله، وتتبنى إقامة مؤسسات علمية بحثية لرصد ودراسة الغزو التنصيري ومواجهة حملاته، وإصدار الدراسات المستمرة حوله.

١٠- المشاركة في الحوار الحضاري بقوة وثبات منهج، وحمل سلاح العلم والإيمان واليقين، وإيصال رسالة الإسلام والدعوة إليه، وإبراز محاسنه ودفع الشبهات عنه، وأن يختار لهذه المهمة من يملك مقومات الحوار ويجيد لغة القوم مع تسلحه بالعلم والحكمة. ولا بد لنا من الابتعاد عن ردود الأفعال والاستعداد لكل نائبة متوقعة، فلا يصلح أن يكون حوارنا رد فعل لما يحصل منهم من إساءة أو تجنٍ فقط، بل لا بد من استشراف المستقبل والتخطيط المسبق والنظرة بعيدة المدى.

١١- إصرار الأمة الإسلامية على تميزها وانتمائها العقدي الذي يفرض عليها الانتقاء في الأفكار والمفهومات والثقافات المستوردة فيعرضها على ميزان الكتاب والسنة، فلا يقبل منها إلا ما كان موافقاً لهما، حتى لا تكون الأمة إمعةً تأخذ من الآخرين كل شيء وتصبح متلقية دون تمحيص، مستكينة مستسلمة، يُفرض عليها من أعدائها كل شيء في حياتها، وهي لا تحرك ساكناً... وهنا ستكون مسألة التنصير أبسط الأمور بالنسبة للمنصرين لأمة هذا شأنها وحالها؛ ولكنها متى كانت أمة متميزة متيقظة عجز عنها أعداؤها.

١٢- إيجاد البدائل التي تخفف دائماً من الاعتماد على الآخرين في مجالات العلوم المختلفة، حتى لا تصبح الأمة الإسلامية أمة مستهلكة تعيش عالة على الآخرين، وإنما تصير أمة ناهضة معتمدة على نفسها وجيلها وشبابها وعطائها مستلهمة التوفيق من ربها سبحانه وتعالى.

# # #

الفصل الثاني

الأهداف الثقافية

المبحث الأول

نشر ثقافة الحوار الصحيح بين المسلمين وغير المسلمين

لقد انفرد الإسلام بتفعيل وتحديد المبادئ الثابتة التي ينبغي أن يقوم عليها أي حوار ناجح، يؤدي إلى تحقيق الأهداف المطلوبة منه، ولا سيما الحوار السياسي الذي يختص بشؤون المجتمع والدولة، ويشمل أمور الدين والدنيا، وإن كان أغلب هذه المبادئ موجوداً في الأديان السماوية الأصلية قبل تحريفها، لكن الإسلام أصّلها وأكّدها وكمّلها.

وعند الحديث عن نشر ثقافة الحوار الصحيح بين المسلمين في المجتمعات الإسلامية لابد أن نعترف أن هذه المجتمعات غير ناضجة تجاه الحوار، وأن مشكلة التحاور فيما بين أتباعها كبيرة، ولابد من الإسهام المتواصل لإعادة نشر ثقافة الحوار الصحيح، وهي ثقافة أصيلة من الكتاب والسنة وتراثنا الإسلامي الكبير، فليست ثقافة وافدة أو مستنسخة، وإنما هي ثقافة ديننا العظيم.

ويمكن نشر ثقافة الحوار الصحيح بين المسلمين من خلال مجموعة من الأسس[1]:

١- التأكيد للناشئة على أن الآخر موجود في هذه الحياة، فإذا أراد محاورة طرف آخر، فلابد أن يؤمن أن له وجوداً ورأياً وكياناً مختلفاً عن غيره، إذ إنه من الاستهانة أن يتعامل الإنسان مع شخص آخر أو جهة على أساس أنها تمثل ثقلاً معيناً، وهو يشعر في قرارة نفسه بعكس ذلك، ومهما حاول إخفاء هذا الشعور السلبي، فسوف يبرز بشكل إرادي أو غير

---

(1) في التمهيد ذكرت بعضها وهي عامة في كل حوار، وهنا أشير إلى بعضها إشارة، ويمكن الرجوع إلى ((آداب الحوار والمناظرة)) على جريشة، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١ (١٤١٠هـ)، ((كيف تحاور)) د. طارق الحبيب، دار المسلم، الرياض، ط٢ (١٤١٦هـ)، ((منهج الجدل والمناظرة)) عثمان حسن، دار إشبيليا، الرياض، ط١ (١٤٢٠هـ)، وينظر: ((أصول الحوار)) د. بن حميد، و((آداب الحوار)) د. العمر، و((الحوار)) المغامسي، مراجع سابقة.

إرادي، وعند ذلك سيؤدي إلى ردة فعل سلبية لدى الطرف الآخر، وربما يؤدي إلى القطيعة، فضلاً عن أن التعامل مع الناس بهذا الأسلوب يتنافى مع مبادئ الأخلاق الإسلامية، بل ومع الطبيعة البشرية التي أوجدها الله سبحانه وقررها في كتابه العظيم: â**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ❖ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** á [هود: ١١٨- ١١٩].

وإذا تعود النشء أن الاعتراف بهذا الأمر واختلاف طبيعته هو من أهم أسس الحوار، نأتي لنؤكد له أن هذا الاعتراف لا يعني بحال التسليم بمبادئه ومواقفه وآرائه، فيكون الطرف الآخر نسخة مكررة من المقابل له !!.

وعندئذ يلتزم المسلم في حواره القول الحسن: â**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**á [البقرة: ٨٣]، ويتجنب أسلوب التحدي والتعسف في الحديث أو إيقاع الخصم في الإحراج لذات الإحراج - إذ الإحراج لا يعني الإقناع - فالحرص على القلوب واستلال السخائم أهم وأولى عند المنصف العاقل من استكثار الأعداء واستكفاء الإناء.

كما أن على المحاور أن يلتزم القول الحسن بعدم رفع الصوت - أكثر من الحاجة - وانتفاخ الأوداج لأن هذا لا يقوي حجة ولا يجلب دليلاً ولا يقيم برهاناً.

وعلى المحاور أن يختار من الألفاظ أحسنها وأفضلها - بما يوافق الشرع - فالكلمات الجافة والقاسية توصد أبواب الاستجابة وتغلق طريق الحوار، ولعل هذا من معاني قوله تعالى في حق نبيه r : â**وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**á [آل عمران: ١٥٩].

٢- خلق الله لك لساناً واحداً وأذنين، وفي ذلك دلالة عظيمة على أهمية وخطورة الاستماع، بل لقد قدم الله السمع على غيره من الحواس في قوله تعالى: â**إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**á [الإسراء: ٣٦]، وهذا يدعونا أن نؤكد على حسن الاستماع وأهميته حال الحوار، بخاصة الاستماع الذي يدفع إلى تفهم الآخر لضبط كلامه وإيجاد الرد الصحيح عليه المبني على أسس شرعية.

فينبغي أن يستقر في ذهن المحاور ألا يستأثر بالكلام، ويستطيل الحديث، ويسترسل بما يخرج به عن حدود اللباقة والأدب والذوق الرفيع، فالثرثرة لها ضجيج يذهب معه الرشد، والمرء حين يريد أن يستجمع أفكاره ويراجع أعماله يجنح إلى الصمت، بل إنه حين يريد أن

يبصر نفسه ويرتب ذهنه، يفر من البيئة الصاخبة إلى ريف صامت أو ضاحية هادئة، فلا جرم أن الإسلام يوصي بالصمت، ويعده وسيلة ناجحة من وسائل التربية المهذبة، فاللسان السائب حبل مُرخَى في يد الشيطان يصرف صاحبه كيف شاء[١] .

ويمكن أن يحدد المتحاوران وقتاً معيناً للحوار، فيأخذ كل فرد نصيبه في الكلام حسب المتفق عليه ليكون السامع في راحة واطمئنان لوقته، فيركز على جوانب الحديث، ويلتقط منها الحق، ويؤصل للرد على الباطل وهذه المهارة هي التي يسميها علماء التربية: ((مهارة الإنصات الفعال)) لما لها من أثر كبير في المتلقي[٢] ((إن عدم المعرفة بأهمية الاستماع تؤدي بدورها لحدوث الكثير من سوء الفهم، الذي يؤدي بدوره إلى تضييع الأوقات والجهود والأموال والعلاقات التي كنا نتمنى ازدهارها... إن الاستماع ليست مهارة فحسب، بل هي وصفة أخلاقية يجب أن نتعلمها، إننا نستمع لغيرنا لا لأننا نريد مصلحة منهم لكن لكي نبني علاقات وطيدة معهم)).

روى أهل السير عن جابر بن عبد الله t قال: اجتمعت قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولينظر ماذا يرد عليه. فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد. فأتاه عتبة فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله r ، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله r ، فقال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة (مولود الضأن والمعز) قط أشأم على قومه منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في مكة كاهناً، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى، أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة، جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة، فاختر أي نساء قريش شئت، فلنزوجك عشراً، فقال رسول الله r :

---

(١) ((خلق المسلم)) محمد الغزالي، نهضة مصر، القاهرة، ط١٤ (٢٠٠٧م) ص(٤٢).

(٢) (تأملات في عادات النجاح السبع) د. أيمن عبده، وهج الحياة للإعلام، ط٢ (١٤٢٩هـ)، وأصل الكتاب مترجم من د. ستيفن كوفي، والنص الآتي من كلامه ص(١٨١.) وينظر: ((الإنصات فهم ما وراء الكلمات)) مادلين بيرلي، ترجمة: هالة صدقي، مركز الخبرات المهنية (بميك)، القاهر، ط١ (٢٠٠١م) ص٣٨.

(**فرغت؟**) قال: نعم، فقال رسول الله **r** : â**بسم الله الرحمن الرحيم [❖ حم ❖ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❖ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**á إلى أن بلغ: â**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**á [فصلت: ١- ١٣]، فقال عتبة: حسبك، حسبك، ... إلخ»[1].

٣- إياك وبنيات الطريق، فلا تشتت نفسك أثناء الحوار، ولا تقبل من خصمك ذلك، فعلى المتحاورين أن يلتزما موضوع الحوار، وأن لا يخرجا منه إلى غيره لأن ذلك دليلاً على فشل الحوار، أو ضعف المتحدث الذي خرج من الموضوع، ومن أسوأ أنواع عدم الالتزام بموضوع الحوار، أن تخرج من أصوله وثوابته إلى الحديث عن المتحدثين في أشكالهم وألوانهم وأجناسهم، وهذا أسلوب فرعوني استخدمه أمام موسى **u** عندما فشل فرعون في مقارعة الحجة، عمد إلى الخروج من الموضوع إلى القدح في صفات موسى الخَلْقية، فقال: â**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**á [الزخرف: ٥٢].

وينبغي تقدير الخصم واحترامه وإعطاء كل ذي حق حقه، والاعتراف بمنزلته ومقامه، فيخاطب بالعبارات اللائقة والألقاب المستحقة والأساليب المهذبة حتى لو كان كافراً، كما قال النبي **r** في الحديث السابق لخصمه: (يا أبا الوليد)، ولكن يلتزم المسلم بالألفاظ الشرعية فهي ما يحفظ الحق للآخر[2].

٤- المسلم مطالب حال حواره أن يلتزم آداب الإسلام في الحديث والإنصات وأن يخلص النية لله وأن يصبر على الأذى وأن يكون حليماً يلتمس الحق ويدعو إليه ويسعى لإظهاره

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، ح (١٨٤٠٩). قال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٠): فيه الأجلح الكندي، وثقة ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٢٠٢)، كما عزاه السيوطي في الدر المنثور لعبد بن حميد، وإلى أبي يعلى وغيرهما (٥/ ٣٥٨)، وهو في سيرة ابن هشام (١/ ٢٩٣) وغيره بألفاظ متعددة، ساقها جميعاً ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ١٥٢- ١٦٠)، وسبق تخريج أحد الألفاظ.

(2) مثل قول: (سيدي) للكافر، فقد ورد النهي عنها لحديث: (لا تقولوا للمنافق سيداً فإنه إن يكن سيداً فقد أسخطتم ربكم **U**) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك ربي وربتي، ح (٤٩٧٧)، وصححه الألباني.

حتى لو كان مع الآخرين، يسأل ربه سبحانه أن يهديه إلى سواء السبيل، فهو يقرأ في كل ركعة من الصلاة **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾** [الفاتحة: ٦]، وعليه التثبت في الكلام والنقل والصدق في الحديث وأن يسعى لتأهيل نفسه بأسس وضوابط الحوار، وأن يستعد لأي طارئ يحصل.

- هذه بعض الأمور التي تسهم في نشر ثقافة الحوار الصحيح، وإيجاد جيل مسلم يحمل هم الحوار ويتعامل معه تعاملاً صحيحاً.

أما ما يتعلق بالضوابط والأسس التي تعين على نشر ثقافة الحوار مع غير المسلمين ونعتبرها هدفاً من أهداف الحوار الثقافي فيمكن الحديث عنها ضمن النقاط الآتية:

أولاً: ما الذي يعوق الحوار الصحيح؟

يمكن أن نشير إلى بعض معوقات الحوار الحضاري فيما يأتي[1]:

١- معوقات سياسية تاريخية نتجت عن صراعات وحروب بين طرفي الحوار: الإسلام والغرب، وزاد من تأجيجها الموقف الغربي غير المنصف من قضايا المسلمين المعاصرة، حتى أصبح المسلم يربط بين الماضي الصليبي والحاضر الماثل أمامه والذي لا يبشر بمستقبل يبعث على التفاؤل، مما يجعل ثقافة الحوار في هذا الجانب ضعيفة أو مشكوكاً فيها أصلاً.

٢- معوقات دينية لدى الطرفين تمنع الحوار بدعوى تحريمه تارة، أو بدعوى عدم الجدوى منه، لارتباط الحوار بالتنصير كما يقولون - كما سبق - وارتباطه بالتهيئة للاستعمار، هذا من طرف فئة من المسلمين، أما الغرب فهناك هيئات وجمعيات تحرم الدخول في الحوار مع المسلمين.

هذا المعوق يقف حاجزاً أمام الحوار، ويزيده تعميقاً ذلك الموقف المتساهل للطرف الآخر الذي يرى جواز الحوار مع الغرب مطلقاً دونما أهداف معلومة، وضوابط مشروعة، وهؤلاء جعلوا الطرف الرافض للحوار يزداد في الرفض لما رآه من جلبتهم في الحوار وسعيهم إليه دونما ضوابط[2].

---

(١) مستفاد من بحث: ((الإسلام وحوار الحضارات)) كامل الشريف، بحث سابق، و((الإسلام والغرب: شقاق أم وفاق)) نصر بن محمد الصنقري، بحث في موقعه على الشبكة، ((الإسلام والآخر)) حمدي شفيق، مرجع سابق، ((فقه الأقليات)) د. يوسف القرضاوي مرجع سابق.

(٢) ((الحوار في القرآن والسنة وأهدافه)) د. سعد بن على الشهراني، ضمن أبحاث المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، =

٣- معوقات فردية تتعلق بمدى أحقية الشخص المشارك في الحوار ليتحدث باسم دينه ومجتمعه، وهو ما يطلق عليه مفهوم - التهيئة للحوار - فهل جميع المشاركين في الحوارات على درجة كافية من التمكن والاقتدار؟

وهذا المعوق ربما يكون من أهم أسباب عدم ظهور نتائج الحوار، لأن المشاركين فيه من هذه الفئة لن يصلوا إلى هدف، فهم عند الغرب غير مقبولين لعدم تمكنهم، وهم عند أهلهم من المسلمين مرفوضون لأنهم لا يمثلونهم، وهذا جعل نتائج الحوار سلبية وأعاق تقدمها.

٤- معوقات الإساءة من الأطراف المنفلتة بين الطرفين، والتي قد تجد القبول أو الرعاية عند بعض الحكومات والمؤسسات، فمن أساء إلى الإسلام ونبي الإسلام في الغرب لقي حماية من بعض الحكومات، فكان هذا عائقاً عن قبول الحوار، ومن أساء إلى الإسلام من المسلمين بدعوى جهاد الكفار وجد قبولاً من بعض الفئات، فكان سبباً لرفض المسلمين في الغرب.

ثانياً: المنطلقات الإسلامية الداعمة للحوار الحضاري

- يمكن أن أوجز أهم المنطلقات التي تدعم الحوار الحضاري، وتسهم في نشر ثقافته في المجتمعات:

١- إيمان المسلم بصدق نبوة الأنبياء الذين تلقوا الوحي الإلهي، وأن من عقيدتنا الإيمان بجميع الرسل إيماناً مجملاً، وهو أن الله تعالى بعث رسلاً إلى أقوامهم لتبليغ رسالة ربهم ودعوة الناس إلى توحيد الله تعالى.

وأما الإيمان المفصل فهو الإيمان بمن أخبرنا الله عنهم في كتابه الكريم وقص علينا قصصهم: â**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**á [النساء: ١٦٤]، ويقول تعالى: â**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**á [البقرة: ٢٨٥].

ولدينا نحن - المسلمين - مشتركات كثيرة تجمعنا بأهل الأديان الأخرى ممن لم يقبلوا

= مكة المكرمة ٣٠/٥- ١٤٢٩/٦/٢هـ (٢٣/١). وينظر: ((الشرق والغرب)) د. النملة، مرجع سابق (١٩٨).

تحريف الأديان، من أهمها وأعظمها ما جاء في آية مجادلة أهل الكتاب قوله تعالى: âوَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَá [العنكبوت: ٤٦].

- وقيمة العدل قيمة مهمة ومشتركة لدى الجميع وكذلك المساواة والحرية، وهذه القيم المشتركة إذا أبرزت عززت مفهوم الحوار ووجهته الوجهة الصحيحة[١].

٢- يعتبر الإسلام كل عمل نافع في الدنيا لا ينتج عنه أي ضرر لفاعله أو لغيره من البشر جزءاً من عبادة المسلم لربه، بل إن الخطأ إذا وقع من المسلم في مجال الاجتهاد ثم تاب منه فله به أجر، وكذلك يكون حال المسلم في السعي لنفع الناس والكون، ومن ذلك الحوار الحضاري، الذي ينتج عنه نفع البشرية وقطع دابر الخلاف، ودلالة الخلق إلى الحق .

٣- التأكيد على أن الإسلام كان ومازال منفتحاً على الحضارات الأخرى، يسمح بأخذ النافع من كل أحد، ومازال المسلمون منذ عصورهم الأولى يتعاملون ويتفاعلون مع الآخرين باستمرار، وكان الخلفاء والأمراء يقربون العلماء والمفكرين والمبدعين والنافعين للناس من كل الأجناس والملل، وذلك للمساهمة في إظهار الحضارات القديمة لتكون بداية للجانب المادي من الحضارة الإسلامية، وليسهم هؤلاء في بناء حوار حضاري راقٍ [٢].

٤- يستند الحوار المثمر مع غير المسلمين على البساطة في اللفظ، والوضوح في المعنى، واليسر في الدين، ولهذا لم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس، وأحيا القلوب، ورفع من شأن الفضيلة كما فعل نبينا محمد r ، من خلال نشاط تبين لنا من خلاله أن فهم الدعوة الإسلامية لا يحتاج إلى فلسفة معقدة، أو تعقيد للأمور بمتطلبات عقلية غامضة، وإنما يرجع ذلك إلى طبيعة هذا الدين الذي يخاطب فطرة الإنسان، ويتعامل مع ظروفه ويلبي رغباته ويعالج قضاياه، ويرد على أسئلته، ويربط في تناسق وانسجام بين ما يتضمنه من حقائق وواقع حياة، ليجد الناس في هذا الدين، وبأسلوب حواري رائع كل ما يحتاجون إليه، وهذا ما يسهم فعلاً في نشر ثقافة الحوار.

---

(١) العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، الدار القومية للنشر، القاهرة، (١٩٦٤م) ص٢٩.

(٢) ((الحضارة الإسلامية وأثرها في الغرب)) د. إسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢ (١٤٢٢هـ) ص٦.

لكن لا يعني ذلك أن الحوار لا يستند إلى منطق عقلي ويقوم على الحجة البالغة؛ كلا! فهي أمور جعلها الإسلام مطلباً في حوار المسلم مع غيره، فالحوار يجب أن يحترم العقل الإنساني، ويقدر الفكر البشري، ويضع الحجج العقلية والأساليب المنطقية على رأس طرق التفاهم والنقاش والجدل المفيد، وما أكثر الآيات التي تطلب من الإنسان أن يفكر ويتدبر: â**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**á [يونس: ٢٤]، â**ذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**á [الروم: ٢٨]، â**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**á [الأعراف: ٣٢].

وتشير كافة الأدلة والبراهين على أن الإسلام دين يقوم على المنطق، ويستند إلى البرهان في مخاطبة الناس جميعاً، ومن ذلك الحوار مع غير المسلمين الذي يجب فيه استبعاد الإثارة والتهييج، لأن هذا الأسلوب وإن أجدى لدى بعض المسلمين مؤقتاً إلا أنه لا يصلح لمخاطبة غير المسلمين[1].

فمن المهم جداً أن تكون لغة الحوار واضحة، فوجود أي غبش في لغة الحوار سيعيق الرسالة التي يراد نقلها، ومن هنا لابد أن تكون الوسائل والمصطلحات والأساليب واضحة ومتفقاً عليها، وأن يكون المترجمون حال وجودهم ـ على درجة من التمكن في اللغة [2].

ثالثاً: وسائل نشر ثقافة الحوار الصحيح بين المسلمين وغير المسلمين:

هناك مجموعة من الوسائل تشترك في كونها تسهم في نشر الثقافة الحوارية، أو تسهم في نشر العلوم وتسهل عملية التواصل، ويمكن أن نذكر بعضها:

١- تأليف الكتب والدراسات والمراجع العلمية التي تؤسس لهذا العلم، وتبين أهم أهدافه وسبل الوصول إلى الغاية المنشودة منه.

٢- إدخال هذا المبحث ضمن المناهج الدراسية في العالم مع ضرب الأمثلة الصحيحة للحوار وسبل تقويتها لدى الطلاب، وزرع العدل كقيمة عظيمة في الحوار مع الآخرين.

٣- تكثيف الجانب التوعوي من خلال المحاضرات والدورات التدريبية والبرامج الإعلامية

(١) الإسلام والغرب، الصنقري، مرجع سابق (٣٠- ٤٨) باختصار وتصرف.

(٢) ((الحوار بين الأديان ضوابطه وآدابه)) د. ماجد بن محمد الماجد، ضمن أبحاث المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار بمكة المكرمة، مرجع سابق (١/ ٢٢٣).

والنشرات وتقوية هذا الجانب لدى الأسرة من خلال الوالدين بإعطائهما دورات تدريبية في الحوار، فمتى ما نجح الوالدان في حوارهما كان لهذا النجاح أثره على الأسرة.

٤- نقل الحوارات المثمرة والبناءة للأجيال من خلال وسائل النقل المختلفة، وإبراز نماذج الحوار الصحيح، كما أبرزها القرآن والسنة، لتكون بمثابة القدوة أمام الناشئة.

٥- إنشاء مراكز الحوار والجمعيات التي تهتم بهذا الجانب، وتتولى إقامة المؤتمرات والدورات وتطبع الكتب.

وقد كان للغرب قصب السبق في إنشاء هذه المراكز أو المعاهد أو الجمعيات التي تعنى بجانب الحوار، وأحياناً تكون هذه المراكز ضمن الجامعات أو الأنشطة الطلابية [١].

وفي هذا السياق لابد من مراعاة متغيرات العصر، فآليات وأدوات الحوار لم تعد هي الصورة السابقة التي يلتقي بها أشخاص مقابل أشخاص بأجسادهم، فيتحاورون أو يختلفون، فوسائل العصر الحديث كالإعلام بصوره المتعددة وتكنولوجيا الاتصالات المختلفة كالإنترنت والأقمار الصناعية وخلافه، فرضت صورة أخرى من عمليات التحاور التي تتطلب منا إعادة تقييم وبناء ثقافة جديدة لها، ليكون التعاطي معها تعاطياً صحيحاً يخدم ثقافة الحوار [٢].

٦- المنصفون من الغرب لهم دور كبير في نشر ثقافة الحوار الصحيح بين أبناء جنسهم، وهؤلاء نفتقر إليهم، ونحتاج إلى التعاون معهم «فإذا اخترق أحد منهم جدار الصمت، وصدع بكلمة الحق، وأنصف الإسلام بالمنطق والحجة البالغة وبصوت الحكمة، كان ذلك مكسباً من المكاسب التي نعتز بها، ولكن المسألة ليست مكسباً وخسارة فحسب، إذ يتطلب الأمر استثمار هذه المكاسب عل الوجه الصحيح، والترويج لها في ساحة الفكر الإنساني، لأن المواجهة بين العالم الإسلامي والغرب، هي مواجهة فكرية ثقافية في الصميم»[٣].

---

(١) يوجد مجموعة من هذه المراكز في العالم العربي والعالم الغربي، ومنها في المملكة مثلاً مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني وموقعه على الشبكة www.kacnd.org ، وهناك مركز عربي في واشنطن يهدف إلى الحوار العربي العربي، والحوار مع الغرب في واشنطن وهو مركز الحوار وموقعه www.alhewar.com وله أنشطة عديدة، وقد استفدت من أبحاثهم ومراسلاتهم لي على مدى عامين.

(٢) «الحوار بين الأديان» بحث د. ماجد الماجد، بحث سابق (١/٢٢٣).

(٣) حدث فريد لحوار الحضارات، مقال د. عبد العزيزالتويجري، جريدة الحياة، ٢٠٠٨/١١/٣٠.

٧- أن يكون للقدوات الكبار أثر في نشر ثقافة الحوار، وأهم هؤلاء هم القادة في العالم الإسلامي، فإن ما نلحظه في بعض المؤتمرات العربية والإسلامية على مستوى القيادات أو الوزراء يفتقد أحياناً إلى ثقافة الحوار الصحيح، وهذا يؤثر سلباً على المتلقين، فكيف يقتنع الناس بثقافة الحوار وهم يرون كبار الساسة لا يطبقون هذه الثقافة.

٨- تشجيع ثقافة الاعتذار حال الخطأ سواء على المستوى الحكومي أو المؤسسي أو الفردي، وقد ثبت أن للاعتذار أثره الكبير على المتلقي فهو يزيد عنده درجة احترام الآخر، ويؤسس في المستقبل لحوار صحيح، وهو دليل قوة وليس دليل ضعف، وقد ملئت كتب السنة من هذا الخلق العظيم بين النبي r وبين أصحابه، بل لقد كان الاعتذار أساس التوبة لأبينا آدم وأمنا حواء عليهما السلام حين أكلا من الشجرة: â**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**á [الأعراف: ٢٣].

٩- دور المؤسسات الدينية في العالمين دور كبير جداً، فمتى ما أخلت هذه المؤسسات بثقافة الحوار كان لذلك أثره الكبير لدى الناس، ومتى ما تبنت بناء ثقافة حوار سليم على أسس صحيحة أثمر هذا سلوكاً ثقافياً مفيداً لدى المتلقي.

١٠- تفعيل بعض المبادئ العامة لحوار الحضارات الصادرة من الأمم المتحدة – بما يتفق مع الإسلام- وبخاصة ما صدر منها في الكتاب الأبيض حول حوار الحضارات، فقد تضمن عشرات المبادئ والوسائل لنشر ثقافة الحوار[1].

# # #

---

(1) الكتاب الأبيض حول الحوار بين الحضارات، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، (١٤٢٣هـ) (٥٣- ٥٩).

المبحث الثاني: توجيه الثقافة والسلوك

التدافع بين الحضارات سنة ماضية، وهو في جوهره صراع معتقدات وتدافع أفكار، فأصحاب الطبقة الواحدة، والمنتمون إلى قومية واحدة، بل إلى قبيلة واحدة قد يقتل بعضهم بعضاً إذا اختلفت معتقداتهم، في حال لم يقوموا سلوك التفاهم بينهم.

ويكاد دارسو الحضارات من الغربيين أن يكونوا مجمعين على أن الحضارة وإن تكونت من عناصر كثيرة إلا أن أهم عنصر فيها هو العنصر الثقافي، وأن أهم عنصر في الثقافة هو الدين[١].

وعند الحديث عن توجيه الثقافة في المجتمعات، لابد من الإشارة إلى مصطلح ظهر في العالم، وكان لظهوره أثر كبير على الثقافة، ألا وهو مصطلح (العولمة)، فما المراد بالعولمة؟

- العولمة، أو (الشوملة) كما يطلق عليها البعض هي ترجمة للكلمة الإنجليزية (Globalization) والكلمة الفرنسية (Mondialisation) فهي تعني وضع الشيء على مستوى عالمي، وتصيير المحلي عالمياً، وهذا هو الحد الأدنى للتعريف نظراً لاختلافهم في المدلول[٢].

فالعولمة: اصطباغ العالم بصبغة واحدة شاملة لجميع من يعيش فيه، وتوحيد أنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية من غير اعتبار لاختلاف الأديان والثقافات والجنسيات والأعراف أو الأثنيات - كما يقولون - وكل هذا لا يخرج عن اعتبار العولمة - في دلالتها اللغوية - جعل الشيء عالمياً، بما يعني ذلك من جعل العالم كله وكأنه في منظومة واحدة متكاملة، وهذا التوجه هو توجه الليبرالية الجديدة التي تركز على حرية مطلقة في كل شيء[٣].

وتظهر مشكلة العولمة في غموض التعريف، فطالما أن الأعراق والثقافات والأديان

---

(١) ((العولمة وصراع الحضارات)) مقال د. جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، لندن، شوال ١٤٢٢هـ عدد ١٧٠.

(٢) ((النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين)) هشام شرابي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١ (١٩٩٩م).

(٣) ينظر: ((رسالة المسلم في حقبة العولمة)) د. ناصر العمر دار طويق، الرياض، ط١ (١٤٢٩هـ) ص(٧- ٩)، وينظر: بحث ((قوة الثقافة لا ثقافة القوة)) د. عمر عبيد حسنة، ضمن أبحاث مركز البحوث والدراسات، الدوحة (١٤٢٤هـ).

والأهواء متباينة فمن يحكم هذه الصبغة الواحدة؟ لا شك أن الغرب قد استفاد من الغموض ليفسر المصطلح على حسب ما تقتضيه المصالح تفسيراً مغشوشاً في كثير من الأحيان، وذلك من أجل الترويج للأيديولوجيا الفكرية الغربية وفرضها في الواقع من خلال الضغوط السياسية والإعلامية[1].

- علاقة العولمة بصدام الحضارات !

العولمة تزامنت مع تفجر حروب وصراعات دولية وأهلية وبالتحديد في منطقتنا العربية، بل تزامنت مع تشرذم العالم ثقافياً وأيدبولوجياً، وهذه المفارقة عكستها كتابات المفكرين الأمريكيين السابقين - فوكوياما في نهاية التاريخ - و - هنتنجتون في صدام الحضارات - فنظرية نهاية التاريخ - لفوكوياما - التي تحدثت عن قبضة الليبرالية الجديدة في الغرب على العالم وإقصاء أي مؤثر آخر، وبالتالي لا بد من استخدام كافة الوسائل لتعميم النموذج الغربي على الأرض.

أما العلاقة بين العولمة وصدام الحضارات - هنتنجتون - فهي كالعلاقة بين طرفي الترغيب والترهيب من جهة تحقيق الأهداف المرجوة من العولمة التي تمثل جانب الترغيب للشعوب التي تسلم بمنطق الرؤية الواحدة والحضارة الأمريكية الواحدة السائدة، أما الصدام الحضاري فهو الكمين الأمريكي لمن ينازع في التفرد الحضاري الوحدوي لأمريكا بدعوى امتلاكه الخصوصية الحضارية المكافئة، أو البديل الثقافي والفكري والديني[2].

-علاقة العولمة بالاستعمار:

كان الاستعمار للبلاد الإسلامية يفرض رؤيته وثقافته بقوة السلاح، ويغير أنماط الحياة في تلك المجتمعات لتتناسب وتتماشى مع المستعمر الذي يسعى لهدم القيم وتفتيت الثقافة من جذورها، فالاتجاه نحو دمج العالم في منظومة واحدة قديم قدم الحركات والتوسعات الإمبراطورية وهي في مرحلتنا القريبة المرحلة الاستعمارية وما صحبها من آليات التغيير.

ولقد وعى القوم درس التاريخ فقدموا القوة الناعمة على القوة الضارية، لأنها أقل

---

(1) (عالمية الإسلام ومادية العولمة) سميح عاطف الزين، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط1 (2002) ص(12 وما بعدها).

(2) العولمة والعولمة المضادة، عبد السلام المسيري، سلسلة كتاب منظور، تونس (1999م) [9- 12].

استفزازاً للآخرين، وأقل ظهوراً أمامهم، وأقدر على شل قدراتهم على المقاومة، وأقتل لروح الاستبسال والمواجهة في صدورهم.

وإذا كان الأسلوب التقليدي - لدى القوم - قد تمثل في حمل الآخرين على فعل ما تريد - ولو باستخدام القوة المسلحة - فإن الأسلوب الأمثل اليوم يتمثل في حمل الآخرين على إرادة هذا الذي تريد، وإقبالهم عليه عن طواعية واختيار، وهذا يتوقف بطبيعة الحال على حسن تسويقه وجاذبية عرضه من ناحية، كما يتوقف على حجم الإغراء الذي تحمله الجوائز التي تقدم ثمناً لمن يتعاونون مع القوم ويلقون لعولمتهم السلم من ناحية أخرى[1].

فقد خرج الاستعمار من بلدان العالم الإسلامي، لكنه رجع إلى بعضها، يشاركنا السكن في بيوتنا وليقضي على الدين واللغة والأخلاق، كان يقيم بيننا بالكره، ولكنه رجع لنستقبله بالحب والترحاب، كنا ننظر إليه فنمقته، أما الآن فنتلذذ بمشاهدته والجلوس معه، إنه الاستعمار الجديد، لا كاستعمار الأرض، وإنما استعمار القلوب، فهو خطر يهدد الشعوب في دينها وأخلاقها وحياتها[2].

- العلاقة بين العولمة والثقافة:

يتفق أغلب من كتب حول الثقافة في العالم على أهمية العقيدة ودور الدين في صنع الثقافة وتوجيه سلوك الإنسان[3]، وما تهدف إليه العولمة الثقافية هو إيجاد ثقافة عالمية، تعنى بتوحيد القيم وحصر الثقافات في ثقافة واحدة وهي الثقافة الغربية وبالذات الأمريكية، وجعلها النموذج العالمي، مستغلة التقدم التكنولوجي في مجال الاتصالات، وما ترسله عبر الفضائيات من سيل جارف من المواد الإعلامية، وتفريغ العالم من الهوية الوطنية والقومية والدينية. ومن

---

(1) ((وحدة العمل الإسلامي في مواجهة أعاصير العولمة)) مقال د. صلاح الصاوي، منشور على موقع www.islamselect.com . وينظر: (الحوار الحضاري في عصر العولمة) السيد ياسين، دار نهضة مصر، القاهرة، ط1 (2005م) أشار إلى الحملة الفرنسية على مصر، وما حققته العولمة في هذا العصر أكبر مما حصل من الحملة (161).

(2) مقال ((الاستعمار والبث التلفزيوني)) فهمي هويدي، جريدة الأهرام المصرية، 27/6/1989م.

(3) ((معالم على طريق تحديث الفكر العربي)) د. معن زيادة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ضمن سلسلة عالم المعرفة، ط1 (1987م).

مظاهر ذلك[1]:

- يوجد في العالم ستة آلاف لغة، لكن ٩٠٪ من برامج الإنترنت تبث باللغة الإنجليزية، مما يسبب تهميشاً للغات الأخرى حتى الحية منها، مما دعا الرئيس الفرنسي شيراك إلى الدعوة لإقامة تحالف بين الدول التي تعتمد لغات من أصل لاتيني للتصدي بشكل أفضل لهيمنة الإنجليزية لدى افتتاح منتدى حول تحديات العولمة في ٢٠/٣/٢٠٠١م.

  كما أشارت دراسة لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة نشرت في ٨/١/٢٠٠١م أن نصف اللغات المحلية في العالم في طريقها للزوال، وحذرت الدراسة من أن ٩٠٪ من اللغات المحلية سوف تختفي في القرن الحادي والعشرين.
- استخدام بعض الصكوك الدولية والقوانين عند بعض الدول للضغط من أجل تغيير الهويات وحصر الثقافات، مثل قانون (التحرر من الاضطهاد الديني) الأمريكي الذي تستخدمه للتدخل في شئون العال الإسلامي.
- الاعتداء على الخصوصيات الثقافية وتغيير مناهج الدول والتدخل في بعض قيم المجتمع.
- الخطر الأخلاقي المحدق عبر شبكات الإعلام المختلفة ونشر الرذيلة في المجتمعات عبر بوابة العولمة.
- تهديد العولمة لأصل العقيدة الإسلامية، وذلك لأن العولمة تشتمل على الدعوة إلى وحدة الأديان باعتبار الأديان سواء ولا يصح اعتبار دين معين هو الصحيح وما عداه باطل[2].
- تهديد العولمة للمفاهيم الأساسية في العقيدة الإسلامية مثل الحكمة من خلق الإنسان وتسخير الكون له وكل ما يتعلق بالأديان والرسل والثواب والعقاب وإلغاء الولاء للدين والبراء من الكافرين.
- تحمل العولمة في طياتها نقضا لمبادئ الشريعة بفرضها مبادئ تخالف الشريعة الإسلامية، وفرض أنظمة التحكيم الوضعي، وإلغاء تعاليم الشريعة وما جاءت النصوص به.

- وبناء على ذلك فزع كثير من العلماء لمواجهة العولمة والتقليل من آثارها وكشف

---

(١) ((العولمة مقاومة واستثمار)) د. إبراهيم بن ناصر الناصر من إصدارات مجلة البيان، ط١ (١٤٢٦هـ) ص(٢٧).

(٢) (خطر العولمة الثقافية) بحث د. حامد عبد الله العلي، ضمن سلسلة أبحاث العولمة على موقع www.islamselect.com وجميع النقاط الآتية مستفادة من البحث المذكور.

عوارها وكذب حملتها الذين وعدوا العالم ((بأن القنوات الفضائية التي ستتوافر عليها كل عائلة، ستحقق في المستقبل التنوع المطلوب: وهذا وعد كاذب، ففي الواقع هناك قلة تهيمن على السوق، وتكتفي في الكثير من مناطق البث بصياغة برامجها وإعادة صياغة ما استهلك منها بطريقة تضمن تغطية أكبر عدد من الفئات المستهدفة.

إن ثمة جهوداً خارقة تبذل لكي يتخذ العالم صورة واحدة، ولا ريب أن المحصلة النهائية لمثل هذا التطور ستكون في المجال الثقافي سيادة الصراخ والزعيق الأمريكي بمفرده في العالم أجمع))[(١)].

لقد أصبحت العولمة موجهاً للسلوك من خلال الإعلام، ومغيراً للقيم، ومبدلاً للقناعات، وهذا ما يريده دعاة العولمة ويبشرون به، بل وصل الأمر إلى تهميش اللغات - كما سبق - وهي واحدة من أهم مكونات الثقافة ومحددات السلوك[(٢)].

ومع هذا فإن بوادر الفشل الغربي، بل الاعتراف منهم بصعوبة توحيد العالم بهذا الأسلوب، أصبح أمراً بيناً هم يعترفون به، إذ لا يمكن للمجتمعات أن تتخلى عن ثقافتها وخصوصاً المجتمعات ذات الثقافات العريقة[(٣)].

الموقف من العولمة:

يمكن تلخيص مواقف الناس من العولمة في أربعة مواقف:

الأول: الموقف القابل للعولمة الذائب فيها والمؤيد لها تأييداً مطلقاً، حتى يقول أحدهم: ((إن العولمة هي ظاهرة التوحد الثقافي والاقتصادي التي يشهدها العالم اليوم، مع عدم إغفال النواحي السياسية والاجتماعية، وإن الحداثة الغربية عموماً والعولمة المعاصرة خصوصاً، وما أفرزت من ثقافة في طريقها إلى أن تصبح ثقافة عالمية أو كونية شاملة بكل ما في الكلمة

---

(١) ((فخ العولمة - الاعتداء على الديمقراطية والرفاه)) هانس بيتر مارتن، وهارالد شومان، ترجمة د. عدنان عباس علي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط١ (١٤٢٠هـ). وينظر: ((ما العولمة؟)) بول هيرست، وجراهم طوبسون، ترجمة فالح عبد الجبار، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (٢٠٠١م).

(٢) ((العولمة ومجتمع الإعلام)) يحيى اليحياوي، دار الطليعة، بيروت، (٢٠٠١م).

(٣) ((الدولة الوطنية وتحديات العولمة في الوطن العربي)) شوقي جلال وآخرون، مجموعة أبحاث من منشورات مكتبة مدبولي، القاهرة، (٢٠٠٤م). وينظر: ((المجتمع العربي المعاصر)) حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١ (١٩٨٤م).

من معنى، فلا شيء قادر على الوقوف في طريقها، ولن تستطيع الثقافات التقليدية أن تصنع شيئاً أمام ثقافة العولمة التي لا تصدها الحدود، أحببنا ذلك أو كرهنا، وافقنا أو رفضنا»[1]، وهذا الموقف موقف تابع، جلب ومازال يجلب سلبيات الحضارة الغربية إلى مجتمعاتنا الإسلامية[2].

الثاني: الموقف الرافض لها جملة وتفصيلاً، وهو موقف خاسر غير واقعي وسيؤدي إلى الانكفاء والانعزال فالموت الحضاري، وتعامل مثل هؤلاء مع هذه الظواهر تعامل بسيط بل يعتبر البعض أن التوقف في التعامل مع الثقافة الغربية يعني أننا لا نتيح لأنفسنا الفرصة لمراجعة ما عندنا[3].

فمع كل هذا الخطر الغربي فإن بعض الدعاة عندنا يتصرفون وكأنه لا وجود للغرب نفسه؛ فلا يتتبعون أخباره ولا يهتمون بمعرفة سياساته ومخططاته ولا يفكرون في الرد على أفكاره[4].

الثالث: الموقف الملفق الذي يتزعمه بعض من يسمون أنفسهم بالليبراليين في عالمنا العربي والذين يعتبرون أنفسهم معتدلين لأن المتطرفين منهم هم أصحاب الموقف المؤيد تأييداً مطلقاً للعولمة، وأما أهل التلفيق فيضيعون وقت الأمة بممارسات عملية يقومون من خلالها ببتر بعض قيم الأمة وعزلها من سياقها المتكامل لإخضاعها لعملية التلفيق مع الأطروحات الغربية.

الرابع: الموقف المتفاعل معها على أساس الانتقائية المشوبة بالحذر، والقائم على التفاعل الحضاري الناقد، بعد الفحص والتدقيق وتقليب الشعارات والتنقيب عن المسميات، فيكشف ما تحت العولمة من الظلمات ليرفضها، ويأخذ ما فيها من الحسنات والمقومات

---

(1) تركي الحمد، صحيفة المدينة السعودية، ملحق الأربعاء، ١٥ أبريل (١٩٩٨م).

(2) بحث د. حامد العلي، مرجع سابق وتقسيم الموقف من العولمة من بحثه، وينظر: «نظرة سريعة إلى مواقف الكتاب العرب من العولمة» مقال: ناديا أبو زاهر، موقع مجلة حيفا لنا.

(3) (المسألة الثقافية في العالم العربي/ الإسلامي) رضوان السيد، دار الفكر، دمشق، ط١ (١٤١٨هـ) ص١٤.

(4) د. جعفر شيخ إدريس، مقال سابق، وينظر مقال: «خطأ في التشخيص والعلاج» فهمي هويدي، الشرق الأوسط ٢٤ ديسمبر ٢٠٠١م.

ليستعملها لنصرة دينه.

وهذا الموقف هو الموافق لدلالة النصوص، وأصله في الشريعة الإسلامية قول النبي r : (**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**)[1]، وفي لفظ: (لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم)[2]، وهنا أذن النبي r بالتواصل الثقافي معهم، غير أن هذا التواصل مبني على أسس شرعية، من أهمها أن لا يعارض ما عندهم نص شرعي ثابت عندنا، مع الحذر والتثبت مما لا يعلم صدقه أو كذبه حتى يتم التبين منه.

والعولمة كغيرها من قضايا العصر فيها جوانب إيجابية يمكن استغلالها ومن تلكم الجوانب[3]:

١ -مجال الإعلام والاتصالات:

إن سهولة الاتصالات ونقل المعلومات ستحدث نقلة نوعية في أساليب الإدارة والعمل، وأساليب التواصل والتأثير، وذلك من خلال سرعة تدفق المعلومات، ويمكن تسخير هذه الخدمة لنفع البشرية عبر نشر الحقائق الإسلامية وتوصيل الثقافة الإسلامية وترسيخها لأن ثقافتنا الإسلامية قابلة للنمو والتأثير في الآخرين أكثر من الإذابة والتبعية، لذا نؤمن بالتفاعل والتبادل الذي يتيح لثقافتنا فرصة النمو والانتشار.

فالتقنية المعلوماتية كسرت احتكار الغرب للمعلومات وأتاحت الفرصة للوصول إلى أي معلومة، فإذا أحسنا استخدام العولمة، وعرفنا الطرق السليمة للوصول إليها فسنستطيع أن نقلل من الهوة بيننا وبين الغربيين في مجالات عدة.

كذلك الإنترنت هذا المنبر الحر الذي يهيئ لأي مفكر أو داعية مسلم أن يطرح ما يريد وأن يصل إلى العالم لنشر الإسلام، ويمكن أن يصدر الصحف والمجلات الدورية وينشر الحق،

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح(٣٤٦١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي r : ((لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء))، ح(٧٣٦٢).

(٣) ((العولمة وأثرها على الهوية)) مقال د. خالد القاسم، موقع المختار الإسلامي ضمن ملف العولمة www.islamselect.com. وينظر: ((الإسلام والعولمة)) د/ سامي الدلال، من إصدارات كتاب البيان الرياض، ط١ (١٤٢٥) [٤٧- ٩٦] وينظر: ((العولمة مقاومة واستثمار)) د. إبراهيم الناصر، مرجع سابق ص(٤٥- ٥٣).

ويدافع عن الإسلام، ويدفع الباطل والشبه والضلالات عن المسلمين وأيضاً استخدام تقنية غرف (PALTALK) لنقل المحاضرات وخطب الجمعة والكلمات، وإجراء الحوارات والردود بشكل مباشر، ولنا أن نتصور مقدار النفع الذي سيتحقق من استخدام مثل هذه التقنية في نشر الإسلام والدخول في حوار حضاري راق.

- كذلك يستطيع المسلمون أن يحدثوا عولمة للغة العربية في أوساط المسلمين غير الناطقين بها، وذلك بما يضخون من مواد علمية وفكرية وشرعية مكتوبة أو مسموعة.

وإن الإفادة من هذه التقنية وما ينتج عنها لن يؤتي أكله في العالم العربي إلا بتعريب هذه التقنية وتوطينها والاهتمام باللغة العربية ليتم التعامل مع عصر المعلوماتية من منظور عربي يستجيب لاحتياجات كل فرد من أفراد الأمة، ولا يكون ذلك إلا بلغة موحدة منضبطة[1].

٢- إن أدوات العولمة ربما ساعدت في الحفاظ على الهوية حيث يتاح للمسلم في الغرب الحفاظ على هويته وتقويتها عبر مواقع الإنترنت الإسلامية بل ويتفاعل معها ومع الفضائيات، حتى إن الجيل الأول من المهاجرين أو الجاليات العربية بقيت محافظة على ثقافتها رغم أنها تعيش في مجتمعات إباحية حيث وجود الثقافات المتنوعة[2].

٣- العولمة المعاصرة أفرزت تهديداً ثقافياً، وهذا التهديد الثقافي والديني قد يؤدي إلى فرار الناس إلى الدين، يلوذون به ويحتمون بعقائدهم لدرجة التعصب، لأنهم يشعرون أنهم مهددون في أعز شيء عندهم، كما قال أحد المستشرقين: ((في العالم الإسلامي يوجد ميل متواتر لدى المسلمين في أوقات الأزمة، لأن يبحثوا عن هويتهم الأساسية وانتمائهم في المجتمع الإسلامي))[3].

٤- فضحت ممارسات الأعداء وكشفت كثيراً مما هو مستور في السابق سواء من أسلوب التعسف والقمع، أو الحروب، أو الأنظمة الاستبدادية، وكل هذا أصبح مكشوفاً عبر وسائل العولمة الحديثة.

---

(1) اللغة العربية في عصر العولمة، د. أحمد بن محمد الضبيب، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1 (١٤٢٢هـ) [١٨٦- ١٨٧].

(2) ((عولمة الإسلام)) أوليفيه روا، ترجمة: لارا معلوف، دار الساقي، لندن (٢٠٠٦م).

(3) القائل برنارد لويس، ينظر: ((صدام الحضارات)) هنتنجتون، مرجع سابق، ص(١٦١).

- العلاقة بين الثقافة والسلوك:

سبق لنا تعريف الثقافة واتضح من جملة التعاريف أنها تجمع بين السلوك والمعرفة، فهي تهيئ الإنسان للحضارة الإنسانية وتعينه على التطور الاجتماعي المطلوب، وهذه الثقافة تأخذ الشق الإسلامي من خلال التركيز على المفاهيم الصحيحة عن الله والكون والإنسان والحياة فالإنسان في هذا الجانب مسؤول عن تصرفاته الحسنة والسيئة وهو يعيش حياته وفق مجموعة من التعاليم الثقافية التي تلقاها في حياته[1].

وبناء على هذا التراكم المعرفي (الثقافي) يتكون السلوك الفردي الذي يعتبر محصلة لتطور الإنسان الفكري والاجتماعي، ويعكس بشكل واضح تعامله مع المحيط به من أفراد أو مقومات حياة، كما قال r : **(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء)**[2].

والحال كذلك فإن السلوك هو مُنتَج الثقافة ومحدد اتجاه الحركة، وهو مختلف حسب أطواره، ويتداخل في تكوينه الدين والفلسفة والمحيط وكل أشكال وممارسات الثقافة الأخرى، وعملية تطور هذا السلوك مترابطة جدلياً مع القيم (الثقافة) فالبيئة الاجتماعية هي بشكل ما تمثل الثقافة المعاشة، وتتطور عندما تبرز ممارسات سلوكية قيمية (ثقافية) جديدة يتم اصطفاؤها من خلال ثقافة مختارة.

ولا أدل على ذلك من مجتمع العرب قبل الرسالة كيف كان سلوكه؟ ثم بعد النبوة كيف أصبح؟ فالأقوام الذين كانوا يعيشون جاهلية كبيرة، ويتقاتلون على أتفه الأسباب، ويعبدون الحجارة، تحولوا إلى صناع للحياة، عظماء في الدنيا بفضل الله تعالى ثم بالقيم الثقافية العظيمة التي سلكوها: â**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**á [الجمعة: ٢].

وقد أيقنت أمنا الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق رضي الله عنها أن جانب السلوك هو المؤثر الأكبر على المتلقي وهو الصورة الحقيقية للثقافة التي يتبناها الإنسان، وذلك حين سئلت عن خلق رسول

(١) (محاضرات في الثقافة الإسلامية) أحمد محمد جمال، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٦ (٢٠٠١م) ص١٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ح(١٣٨٥)، واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة...، ح(٦٧٥٥).

الله r فقالت: (**كان خلقه القرآن**)[1]، والمعنى: ((العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته))[2].

فالسلوك إذاً تطبيق تام لما يتلقاه الإنسان من ثقافة محيطة به مع تأثير واضح لمؤثرات أخرى، مثل طبيعة الإنسان ونفسيته، والمحيط المؤثر فيه، وطبيعة المجتمع إلى غيرها من المؤثرات ومن أعظم محركات الثقافة (الدين) فهو العنصر الأهم في مكونات ثقافة الأفراد والمجتمعات، ولقد قام التدين عند الأفراد بدور كبير في سلوكياتهم في الحياة، وخير مثال على ذلك الرسل وهم قدوة البشر: â**فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**á [الأنعام: ٩٠]، فمتى كان التدين صحيحاً كان السلوك قويماً سليماً بإذن الله والقرآن الكريم والسنة السنوية تزخران بنماذج عديدة تعرض صوراً لالتزام الفرد بالدين وكيف يؤدي ذلك إلى تغير سلوكه وتعامله مع من حوله بإيمان وثبات وصبر على ما يلقاه في سبيل دينه الذي اعتنقه.

بل إن التدين يغير سلوك الإنسان الاعتيادي الذي ولد وشب عليه، إذا كان تدينه عن ثبات وقوة، فهاهم العرب الذين أمضوا جل حياتهم في شرب الخمر (وهو سلوك) يتحولون إلى رفضه حال تحريمه، يقول أحدهم - واصفاً رسوخ هذا السلوك لدى عامة الناس وتعلقهم به - ((حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أحب منها، وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر))[3]، ولكن عندما جاء الأمر من الله بتحريمها تركوها جميعاً حتى سالت شوارع المدينة منها، وهذا يعكس درجة التدين التي تمتع بها القوم، حيث جاء الأمر فكان التنفيذ والطاعة المباشرة دون تردد أو تباطؤ... قال أنس t : ((كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة وكان خمرهم يومئذ الفضيخ، فأمر رسول الله r منادياً ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فقال

---

(1) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ح (٧٤٦) بلفظ: (فإن خلق نبي الله كان القرآن).

(2) النووي شرح مسلم (٣/ ٢٦٨)، ينظر شرح صحيح مسلم، الإمام يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

(3) ذكره السيوطي مبهماً عن قوم، وعزاه إلى ابن المنذر (٤٥٨/٥)، وعزاه في موضع آخر إلى قتادة عن ابن جرير وابن المنذر (٤٦٧/٥). ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط١ (١٤٢٣هـ).

لي أبو طلحة أخرج فأهرقها فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة»[1].

ولقد ثبت من خلال دراسات متكررة في أوساط مختلفة أن التدين سبب رئيس لقلة الجريمة وضبط السلوك، والمحافظة على شخصية الإنسان من الانسياق وراء المغريات، وهذا ما يؤكد أثر الثقافة على سلوك الفرد[2].

بل إن التدين الإسلامي كان سبباً واضحاً في تغير سلوك بعض المساجين في سجون الولايات المتحدة الأمريكية حتى عينت الشرطة الفيدرالية مندوباً خاصاً بالدعوة في بعض سجونها، وقد أكد المندوب تغير أوضاع كثير من المساجين وتحول سلوكهم العدواني إلى سلوك هادئ متزن، بل إن بعضهم اعتنق الإسلام داخل السجون وأصبح عضواً فاعلاً في المجتمع بعد خروجه، وهذا يثبت الدور الكبير الذي يحدثه التدين في سلوك الأفراد[3].

- كيف نوجه الثقافة في عصر العولمة؟

إن هذه الأمة هي أمة الوسط، ورسالتها عالمية، والدين الإسلامي هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ومما يزيد المسلم اقتناعاً بعالمية دينه أنه أثبت في الواقع أنه ليس بالدين الذي تحده ظروف جغرافية أو مناخية أو زمانية أو ثقافية، فقد اعتنق هذا الدين أناس بينهم كل أنواع الاختلافات، فلم يجدوا شيئاً يحول دونهم ودون الإيمان به، بل إن تطور العلوم الطبيعية الذي يقف حجر عثرة في طريق بعض الأديان الباطلة أو المتحولة والمحرفة، فإنه يقف شاهداً على صدق هذا الدين، لأنه لا يجد فيه ما يخالف شيئاً من حقائقه، بل يجد فيه تقريراً لبعض تلك الحقائق، فإذا ما شعر الناس بأهمية هذا الدين وقوته فلابد أن يعملوا من أجل نشره والتصدي لكل ما يخالفه[4].

فهذه الأمة لم تعقم، ولن تعقم بإذن الله، والطريق أمامها مفتوح لمواصلة نشر وتوجيه

---

(1) رواه البخاري، كتاب المظالم باب صب الخمر في الطريق، ح (٢٤٦٤).

(2) (التدين علاج الجريمة) د. صلاح إبراهيم الصنيع، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢ (١٤١٩هـ) [٣٣- ٣٨].

(3) هو الشيخ يوسف استبس مندوب الشؤون الدينية بالسجون الأمريكية وله موقع خاص www.islamtomorrow.com وقد أجريت معه مقابلة مطولة ضمن برنامج (صفحات من حياتي)، بثت بتاريخ ١٣/٦/١٤٢٧هـ، قناة المجد.

(4) جعفر شيخ إدريس، العولمة وصراع الحضارات، مقال سابق.

ثقافتها في كل مكان، ولكي يتحقق هذا الأمر لابد من العمل من خلال مجموعة من الأسس[1]:

١- قيام مشروع حضاري إسلامي يصنع داخل الأمة يكون قادراً على تعبئة جميع الطاقات والفعاليات الروحية والبشرية والمادية مما يضمن لها مواجهة الأزمة من كافة جوانبها، وهذا المشروع هو إستراتيجيتها العليا والتي على أساسها تتحدد كل أهداف عملها ووسائله «فالأمة الإسلامية اليوم تعاني من غياب المشروع الحضاري الذي يحدد مجرى أهدافها ووسائلها في كل مناحي الحياة، وبخاصة الثقافية منها... لأن الحلول الكبرى ليست في أيدي الشعوب المستضعفة، كما لا يجوز ولا يمكن الانتظار حتى نصلح شأننا، ونقوم اعوجاجنا، ولكن الحل بأيدي ولاة أمور المسلمين على مد أقطارهم فهم أصحاب السلطة المادية والسياسية والتنفيذية، وهم القادرون على التجمع والاتفاق على خطة للمواجهة الجماعية وبناء الحضارة الصحيحة»[2].

ويؤسس هذا المشروع على تعزيز الهوية الإسلامية بأقوى عناصرها وهو العودة إلى الإسلام، وتربية الأمة عليه بعقيدته القائمة على توحيد الله، والتي تجعل المسلم في عزة بدينه، متمسكاً بشريعة ربه مستجيباً لأمره، ساعياً لإبراز محاسن الدين وعالميته وحضارته وثقافته وتاريخه، لأن الرد الحقيقي على العولمة يكون في إبراز النموذج الصحيح الذي يجب أن يكون عليه الإنسان من خلال هذا الدين العالمي، وأن العولمة إن لم تخدم الإنسان فليست نموذجاً صالحاً للحياة، وبهذا يقدم المسلمون النموذج الإسلامي في كل جوانبه وبخاصة الثقافي [3].

٢- مواجهة مساوئ العولمة بالتعليم والتثقيف والتدريب والتحصين ورفع كفاءة المجتمعات ومحاربة الجهل ودفع السلوك إلى أن يكون صورة حقيقية للإسلام، وتكوين الشخص المسلم الذي يستوعب حضارة عصره في ضوء معرفة الوحي في الكتاب والسنة، أي المسلم

---

(١) «العولمة والعالم الإسلامي: أرقام وحقائق» عبد سعيد عبد إسماعيل، دار الأندلس الخضراء، ط١ (١٤٢٢هـ) ص(٢٣٤- ٢٤٨)، و«رسالة المسلم في حقبة العولمة» د. ناصر العمر، مرجع سابق، والعولمة وأثرها على الهوية، مقال د. خالد القاسم، مرجع سابق.

(٢) أحمد محمد جمال، مقال: العولمة والدور الشرعي، مجلة التضامن الإسلامي مكة المكرمة، شوال ١٤١٠هـ.

(٣) «المسلمون والعولمة» محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١(١٤٢٠) ص: ٤٩. وينظر: «خطابنا في عصر العولمة» د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط١ (٢٠٠٤م).

الذي يفقه الدين ويفهم العصر.

٣- العناية بإصلاح وتوجيه وسائل الإعلام لتسهم في نشر وتوجيه الثقافة والسلوك بين المسلمين، ولتكون أداة فاعلة لنقل الثقافة الإسلامية إلى الغرب بشكل صحيح ومناسب للعصر، ويتولى هذا الإعلام تصحيح الأخطاء والافتراءات التي ألصقت بالإسلام، ويكون باللغات المختلفة، مع إعادة تقويم شبكات البث الفضائي وما تقدمه من مواد إعلامية[1].

مع العناية التامة باللغة العربية في وسائل الإعلام ومناهج التعليم، وتفعيل نقل وكتابة المعلومات عبر مواقع الإنترنت باللغة العربية، وزيادة المحتوى المعلوماتي الإعلامي في العالم باللغة العربية لأنها إحدى أهم وسائل نشر الثقافة في العالم.

٤- تقليص الخلافات بين المسلمين حكومات وشعوباً وجماعات بالاعتصام بالكتاب والسنة: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ثم التعامل معها - إن وجدت - بثقافة إيجابية فاعلة ناصحة حتى لا يجد الأعداء ثغرة من خلالها.

ومن الخلافات المستطيرة ظهور تيار الغلو الذي ينخر في جسد الأمة ويستخدم أساليب الإرهاب من تفجير وتدمير، فإن هذا السلوك ينقل صورة سيئة عن ثقافة المسلمين، فالواجب التعامل معه بالفكر، وقمع الحجة بالحجة، ونشر ثقافة الوسطية والاعتدال ونبذ الغلو بين المسلمين.

٥- ضمان الحرية الثقافية وتدعيمها، حيث إن حرية الثقافة، وإن كانت تنبع من العدالة في توزيع الإمكانات والإبداعات الإنسانية على الأفراد، فإنها في الوقت نفسه عامل أساس في إغناء الحياة الثقافية وزيادة عطائها، وهذه الحرية هي المنضبطة بضوابط الشرع.

٦- بيان ما في العولمة الثقافية الوافدة من مثالب وما فيها من ثغرات، لبيان الحلول الشرعية والبرامج الإسلامية لمواجهتها، أو الإفادة مما فيها، مع دراسة سلبياتها وإيجابياتها برؤية إسلامية متفتحة، غايتها البحث والدراسة العلمية[2].

---

(١) ((حوار الحضارات بين الواقع والطموح)) رجاء حسين، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط١ (١٤٢٧هـ) ص(١٧٤ وما بعدها).

(٢) ((صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة)) د. محمد الثبيتي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١ (٢٠٠٢م) ص ٢٥١. وينظر: ((العالم من منظور غربي)) د. عبد الوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، (٢٠٠١م) =

٧- التنسيق والتعاون والتكامل بين وزارات التربية والتعليم والمؤسسات التعليمية في الوطن الإسلامي لإيجاد عملية تعليمية تربوية متكاملة تهتم بالمنهج بكل مقوماته وتصنع مستقبلاً تعليمياً مشرقاً بإذن الله، يهتم القائمون عليه بأخذ أصوله وضوابطه من شريعة الله، ومعاصرته بمتطلبات الحياة واستغلال جوانب العولمة المثمرة لإيصال النشء إلى بر الأمان، وليكونوا أعضاء فاعلين في الأمة الإسلامية.

٨- تكامل أدوار الوزارات المعنية والمؤسسات المهتمة بالجانب الثقافي، مثل وزارات العدل والشؤون الإسلامية والثقافة والإعلام وهيئات الفتوى ومنابر التوجيه للمحافظة على الهوية الإسلامية من أي مؤثرات سلبية عليها، مع القيام بالدور الواجب المناط بها لنشر وتوجيه الثقافة والسلوك.

٩- تنشيط التفاعل والحوار الثقافي الإسلامي مع ثقافات الأمم الأخرى، وأن نثري ثقافتنا العربية الإسلامية بما نراه ينفعنا ولا يضرنا مع الثقافات الكونية الأخرى، وفي الوقت نفسه نعرف تلك الثقافات العالمية بما لنا من تراث وتقاليد وقيم اجتماعية عريقة(١).

١٠- تشجيع المؤسسات الدعوية داخل البلاد الإسلامية وخارجها على ممارسة عملها ودعمها بكل طريق مادي ومعنوي، ويدخل ضمن إطارها مكاتب الدعوة والمراكز الإسلامية في العالم الغربي التي تتولى توجيه الأقليات الإسلامية، لما لهم من دور في الحفاظ على الهوية الثقافية لأبناء المسلمين في الغرب.

١١- الاهتمام التام ببناء لبنة المجتمع الأولى (الأسرة) إذ هي مغذية السلوك الأولى، ويكون ذلك بالاهتمام التام بتأهيل الزوجين من خلال الدورات التدريبية حول التربية والتعامل داخل الأسرة، مع قيام مؤسسات متخصصة بدورها في المحافظة على الأسرة والتواصل معها داخل وخارج المجتمع الإسلامي(٢).

١٢- الدور الكبير والفعال للمسلمين في الأوطان الغربية سواء كانوا أبناء تلك الدول أو

= ص[٢٥٣].

(١) صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، د. محمد الثبيتي، مرجع سابق (٢٥١).

(٢) وهنا أشيد بالجمعية الخيرية لرعاية الأسر السعودية في الخارج (أواصر) والتي تقوم بدور كبير في رعاية الأسر السعودية في الخارج ومتابعة أوضاعها، وبخاصة مما يحيق بها من خطر الذوبان الثقافي.

مهاجرين إليها، وهؤلاء هم الرسل الحقيقيون للثقافة الإسلامية، وعليهم مسئولية نشر وتوجيه السلوك الثقافي من خلال تمسكهم بالإسلام عقيدة وشريعة حياة، مع المحافظة على انتمائهم لوطنهم والسعي الدءوب لتقديم صورة الإسلام تقديماً صحيحاً في مجتمعاتهم.

هذه بعض اللمحات حول ضرورة المساهمة في توجيه الثقافة والسلوك بين المسلمين لدخول ميدان الحوار الحضاري بحصانة إسلامية كبيرة.

# # #

الفصل الثالث: الأهداف الاجتماعية

المبحث الأول: المحافظة على بنية المجتمع الإسلامي

أولاً: المجتمع وأبعاده:

- المجتمع مشتق من (جَمَعَ)، وهي أصل تدل على تضام الشيء، والجمع ضم الأشياء المتفرقة، وضده التفريق والإفراد، فيقال: تجمع القوم اجتمعوا من هاهنا وهاهنا، ومنه المسجد الجامع الذي يجمع أهله، وسميت الجمعة لاجتماع الناس للصلاة فيها[١].

والمجتمع في اصطلاح العلماء هو: عدد كبير من الأفراد المستقرين، تجمعهم روابط اجتماعية ومصالح مشتركة، تصحبها أنظمة تضبط السلوك وسلطة ترعاها[٢].

بينما يكون المجتمع الإسلامي وفقاً لهذا التعريف يجتمع تحت رابطة أخرى أكثر دقة وهي رابطة الإسلام، وتضبطهم في أمورهم الشريعة الإسلامية وفق نظام إسلامي يرعاه ولاة أمر منهم.

- إن أي مجتمع باعتباره كياناً قائماً بذاته، لابد له من أسس يبنى عليها، وهذه الأسس تكاد تكون في جميع المجتمعات، إلا أن المجتمع الإسلامي تميز عن غيره بكون العقيدة الإسلامية هي الأساس الأكبر والأهم في بنائه، وهي الركيزة التي يبنى عليها كل أساس بعد ذلك، ثم تأتي بقية الأسس وهي[٣]:

<u>الأساس الأول:</u> الإنسان، فقد عني الإسلام بالإنسان عناية عظيمة، إذ قرر أن الإنسان مكرم على كل الخلائق ومستخلف في الأرض لعمارتها وله من المنزلة والمكانة والتكريم ما لم

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق (١/٤٧٩)، لسان العرب، مرجع سابق (٨/٥٨- ٦٠).

(٢) ((المجتمع الإسلامي))، د. مصطفى عبد الواحد، دار البيان العربي، جدة، ط٢(١٤٠٤هـ) ص(١٤).

(٣) ((الإسلام وبناء المجتمع)) د. حسن أبو غدة وآخرون، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣ (١٤٢٧هـ).

يحظَ به في أي دين أو ملة.

الأساس الثاني: الروابط الاجتماعية، وهي عبارة عن فكر وسلوك يدفع الإنسان إلى البحث عن صلات وروابط اجتماعية مثل الصداقة والمصاهرة والجوار، وهي ظواهر نمت في ظل الاجتماع وتولدت منه بسبب شعور كل فرد بحاجته إلى التعاون مع الآخرين، والارتباط بهم تحقيقاً للمصالح المشتركة.

وهذه الروابط قد تكون مشتركة في كل المجتمعات مثل روابط الصداقة والمصاهرة ونحوها، لكن المجتمع الإسلامي يزيد عليها رابطة قوية تدفع بها إلى الاستمرار وتزيد من تواصلها ألا وهي رابطة العقيدة الإسلامية.

الأساس الثالث: الضبط الاجتماعي حيث يؤثر الأفراد بعضهم في بعض عندما يضمهم مجتمع واحد، فينشأ عن هذا مجموعة من السلوكيات والأحاسيس والتصورات، تختلف عما يفكر فيه الفرد ويحس به أو يريده لنفسه، وربما اتخذت الجماعات قرارات لم يردها بعض الأفراد لو كانوا بمعزل عن الجماعة، وهذا هو ما يسمى بالضبط الاجتماعي ويعني الوعي بشعور الآخرين واحترامهم، هذا الوعي أسس له الإسلام ووضع له الضوابط، وبنى من أجله العلاقة بين الأفراد على أساس من المحبة والصفاء والود.

الأساس الرابع: الأرض إذ لا يتخيل أن تعيش جماعة إلا على أرض ينتسبون إليها ويحبونها، ويضمنون فيها القيام بحياتهم واستمرار معيشتهم، فالأرض أساس لقيام المجتمع وكيان الدولة في كل مكان[1].

والمجتمع الإسلامي مجتمع ملتزم بالشرع مرجعيته العليا الكتاب والسنة، وهو مجتمع يهتم بالعلم النافع والعمل الجاد الصالح الذي يؤسس لحياة دنيوية منتجة وحياة أُخروية سعيدة، ومع عمله فهو مجتمع متسامح متواد يحترم صغيره الكبير، ويعطف كبيره على الصغير، ويطبق أفراده تعاليم الشرع حتى أصبح مجتمعهم مجتمع أمن وأمان.

- هذا وقد شرع الإسلام أسباباً لتقوية بنية المجتمع وزيادة الروابط فيه حتى لا يخبو نور التواصل بين أفراده، ولا يضعف دور البناء عندهم، ومن هذه التشريعات العبادات بعامة، والتي تعين على تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ويظهر من خلالها معنى الجماعة

---

(1) سبقت الإشارة إلى الوطن وأهميته الأدلة على ذلك في الباب الأول.

جلياً ومن أمثلة هذه العبادات:

أ- تشريع صلاة الجماعة والجمعة والعيدين وغيرها، فهي لقاءات متجددة بين اليوم والليلة أو الأسبوع أو العام، لزيادة التواصل وتقوية الروابط ومعالجة المشكلات وإزالة الإحن، وزيادة المودة والصلات بين الأفراد[1].

ب- تشريع الإسلام للواجبات الاجتماعية الخاصة تقوية لروابط المجتمع وزيادة في الألفة بين أتباعه، وذلك مثل بر الوالدين وطاعتهما وصلة الأرحام والإحسان إليهما، وحق الجوار وتجنب إيذائهم، وحق الزوجين والأولاد والحقوق العامة للمسلمين.

كل هذه الحقوق تبني في المجتمع تواصلاً قوياً وتؤدي إلى المحافظة على بنيته وترابط أفراده.

ج- دعوة الإسلام لأسباب التآلف الاجتماعي العام ومنعه لأسباب القطيعة والتناحر، ففي الإسلام من التعاليم التي تؤدي إلى الألفة والمودة الشيء الكثير بدءاً من إفشاء السلام بين المؤمنين واحترام بعضهم بعضاً وتحريم الكلام المؤذي لهم بحضورهم أو حال غيابهم ومنع كل سبل الإيذاء القولي والفعلي في حقهم.

د- قيام المجتمع المسلم على الأخلاق الفاضلة والاهتمام بها ومحاربة كل الوسائل التي تهدم القيم أو تقوض بناء الفضيلة، لأن الإسلام دين الأخلاق العالية والكمال في التعامل: **âالْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًاá** [المائدة: ٣].

ثانياً: نظرة الأعداء للنظام الاجتماعي في الإسلام:

منذ بدأت المجتمعات الغربية بالاحتكاك المباشر - بكل صوره - بالمجتمعات الإسلامية، ظهرت دعوات مشبوهة تتهم المجتمع الإسلامي بالتخلف بسبب التزامه بتعاليم الدين، وقام بعض السياسيين والكتاب الغربيين يرددون أن سبب التخلف هو الإسلام، ويقولون أنه دين ساذج إن صلح لتنظيم حياة نفر من البدو البدائيين، فهو لا يصلح لتنظيم المجتمع الجديد في العصر الحاضر، حتى قال أحدهم: إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين، ولكنه فاشل كنظام اجتماعي، فقد وضعت قوانينه لتناسب الجزيرة العربية في القرن الأول الهجري،

(١) ((المجتمع والأسرة في الإسلام)) د. محمد الطاهر الجوابي، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣ (١٤٢١هـ) ص٥٣.

ولكنه مع ذلك دين جامد لا يسمح بالمرونة الكافية لمواجهة تطور المجتمع الإنساني[(١)].

ولذا شرع الغرب في تنفيذ خطته لصبغ المجتمعات الإسلامية بالصبغة العلمانية والمادية، وإحلال القيم الغربية مكان القيم الإسلامية، فاستخدم شتى الطرق والوسائل فجعلوا مثلاً الاختلاط سمة من سمات التقدم، والعري سمة من سمات الحرية والرقي، وأم الخبائث سموها بالمشروبات الروحية وأصبح شربها من التطور والتقدم، وأفسحوا المجال للرقص والخلاعة والانحلال بكل صوره، وأبرزوا أهل هذا التوجه على أنهم القدوات الذين يجب الاقتداء بهم والسير خلف طريقتهم[(٢)].

وفي سبيل تحقيق هذه الغايات استخدم الغرب وسائل عدة من أجل سبغ المجتمعات المسلمة بالصبغة المادية وزعزعة بنية المجتمع وتقويض بنيانه ومن أهم وأخطر تلك الوسائل عولمة المجتمع المسلم - كما سبق - من خلال الإعلام والسياسة والاستعمار وكل وسائل الهدم، كما ركزوا على عقد المؤتمرات والندوات التي كان هدفها الأول الضغط على المجتمعات المسلمة وهدم بنيتها، ومن هذه المؤتمرات[(٣)]:

- المؤتمر الدولي الثالث للسكان والتنمية بالقاهرة في المدة من١٥ إلى ١٣ سبتمبر ١٩٩٤م ومن أبرز قراراته:

١- تسهيل وتنظيم التوعية الجنسية تحت اسم (الحرية الجنسية).

٢- تسهيل وتوزيع حبوب منع الحمل والعازل المطاطي على نطاق واسع لتسهيل الممارسات الجنسية قبل الزواج.

٣- تسهيل عملية الإجهاض، وتهيئة المراكز الطبية في العالم.

٤- حماية الأسرة الشاذة، زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة.

---

(١) ((الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر)) د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨ (١٤٠٧هـ) [١/٢٥٩- ٢٦١] بتصرف.

(٢) ((مجتمعنا المعاصر)) د. عبد الله المشوخي، مكتبة المنار، الأردن، ط١ (١٤٠٧هـ) ص(٣١٤).

(٣) ((قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية: دراسة نقدية في ضوء الإسلام))، د. فؤاد العبد الكريم، رسالة دكتوراه، مقدمة لكلية الشريعة - جامعة الإمام بالرياض، مخطوطة، (١٤٢٢هـ)، ملحق المؤتمرات والقرارات الدولية (١١٨٥ وما بعدها).

٥- رفع ولاية الآباء عن أبنائهم مع الدعوة إلى المساواة التامة بين الجنسين.

٦- تشغيل المرأة المسلمة، وربط الدول الغربية الدعم المادي للبلاد الإسلامية بمدى تحقيق التقدم في عمل المرأة.

هذا وقد تحركت الجمعيات والهيئات الإسلامية ضد هذه المؤتمرات، فقد أصدرت رابطة العالم الإسلامي بياناً حول مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة بينت فيه أن وثيقة المؤتمر قد صيغت لنشر الإباحية وإغفال الدين والأخلاق وردت على جميع بنود الوثيقة[١].

ومع هذه النظرة العدائية من الغرب للإسلام، إلا أن هناك من بينهم منصفين يعترفون للنظام الإسلامي الاجتماعي بالنجاح والتفوق، حتى قال أحدهم: «إن الإسلام بوسعه تلبية كافة حاجات الإنسان في العصر الحاضر، فليس هناك أي دين كالإسلام يستطيع أن يقدم أنجح الحلول للمشكلات والقضايا المعاصرة»[٢]، ويقول آخر: «إن انعدام الجانب الروحي وعدم الأخذ بالتعاليم الروحية والأخلاقية في حضارتنا المادية جعلنا أكثر من مجرد خنازير مطيعة، وهل المسار الذي تسلكه الحضارة الغربية الآن لا يعتبر سوى تأكيد للمادية القاتلة»[٣].

وعندما يشعر هؤلاء بالخلل في مجتمعاتهم فإنهم ينادون بالحلول في زمن حوار الحضارات لكن وفقا لرؤية مجتمعاتهم من أجل صبغ العالم كله بنفس صبغتهم، حين أثار وزير الخارجية البريطاني، ديفيد ميليباند قضية ثقافية حضارية عندما قال: «إن كثيراً من وزراء الخارجية الأوروبيين يشعرون بأن هناك فرصة قد تكون الأخيرة، لوضع إطار لحل خلافات العالم بناء على القيم الأوربية الأمريكية... إن هناك رغبة أوربية لتحديد وضع العالم الجديد بناء على القيم الموجودة عبر الأطلسي»، وهذا الغرض منهم يتنافى مع حق الحرية الذي يزعمونه وينادون به، بل إنه يؤسس لثقافة العولمة التي تصادر حرية الآخرين سوى ما يفرضه عليهم الغربي[٤].

---

(١) المرجع السابق (١١٩٤) وكذلك قرارات هيئة كبار العلماء وردود مجمع البحوث بالأزهر، ساقها المؤلف في آخر الرسالة مع الرد على كل وثيقة.

(٢) «تسامح الغرب مع المسلمين» مرجع سابق (١٩٦) (١٩٧).

(٣) المرجع السابق (١٩٧).

(٤) (حل مشاكل العالم بالقيم المشتركة لا بالقيم الأطلسية) مقال: د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، جريدة =

ثالثاً: جوانب الالتقاء بين الإسلام والمنصفين في الغرب حول بنية المجتمع:

هناك نقاط اتفاق ينطلق منها المنصفون في الغرب لدعوة مجتمعاتهم إلى العودة إلى القيم والمحافظة على بنية المجتمع، وهذه النقاط يجب استغلالها والتعاون معهم فيها للوصول إلى نقاط مشتركة تسهم في تقليص الخلاف حول قضايا المجتمع في ظل حوار الحضارات[1].

وقد ظهرت آثار هذه الجوانب المشتركة في المؤتمرات الدولية، والمنظمات الأهلية والعالمية حيث كانت نقاط الاتفاق بينهم وبين المحاور المسلم كثيرة في مجال الأسرة، مما جعل المنصفين في الغرب يشتركون مع المحاور المسلم في صياغة وإعداد مجموعة من الوثائق الحضارية المتعلقة بالأسرة لتكون منطلقاً مشتركاً مع جميع الأطياف في شأن الأسرة والمجتمع.

ومن أهمها: محاربة الشذوذ والإباحية، والاهتمام بالجوانب الصحية، ومحاربة الجريمة، والتأكيد على الترابط الأسري والتواصل المجتمعي، ومحاربة الفقر والبطالة، وحماية البيئة، وغيرها من المشتركات التي سيأتي تفصيلها.

رابعاً: كيف حافظ الإسلام على بنية المجتمع؟

أرشد الإسلام إلى مجموعة من الأمور للمحافظة على بنية المجتمع الإسلامي وصيانته من التمزق والانحلال والسير به إلى عمارة الحياة والنجاة يوم القيامة، ومن أهمها:

١- الاهتمام باللبنة الأولى للمجتمع وهي الأسرة من خلال ترغيب الإسلام في الزواج بذات الدين والخلق، وحث الشباب إلى المبادرة بالزواج لحفظ أنفسهم من الوقوع في الحرام، بل إن نظرة الإسلام إلى الغريزة الجنسية البشرية تتمثل في الاعتراف بوجودها وبحاجة الإنسان إلى تلبية هذه الرغبة وذلك عن طريق الزواج الشرعي وبهذا لا يخالف الفطرة، ولا يتناقض مع نفسه ولا يتصادم مع الكون من حوله، ويسمو بإنسانيته ويرتفع عن مستوى الإسفاف والانحطاط.

يقول النبي ﷺ: **(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر**

= الحياة، لندن، ٢٠٠٨/٢/٦م. وقد ساق كلام الوزير البريطاني ورد عليه.

[1] وستأتي الإشارة إليها في الباب القادم حول مجالات حوار الحضارات.

وأحفظ للفرج)[1].

ومع أن إشباع هذه الغريزة واستخراجها بالحلال لذة ومتعة، إلا أن الإنسان المسلم يؤجر ويعتبر في عبادة إذا قصد بفعله العفة وإنجاب الولد، وفي ذلك يقول رسول الله r : (**وفي بضع أحدكم صدقة**) قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: (**نعم أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**)[2].

وأمر الإسلام أولياء المرأة أن يحفظوا حق من تحت أيديهم من النساء ويحرصوا على تزويجهن لمن يرضون دينه وخلقه، بل حرم الإسلام منع المرأة من الزواج وإمساكها عن حقها فيه.

كما حث القرآن على تزويج من لا زوج له، لأنه طريق الستر والصلاح، وتكوين الأسرة والاستقرار [3]، كما قال تعالى: â**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** á [النور: ٣٢].

وبعد ا لزواج يحث الإسلام الزوجين على إحسان العشرة واحترام كل واحد منهما الآخر والصبر على ما يلاقيه: â**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**á [النساء: ١٩].

بل حث الإسلام الرجال على إكرام زوجاتهم أعظم الإكرام والإحسان إليهن، وهذه التعليمات العظيمة هي التي تتمناها المرأة في الغرب[4].

وفي سبيل قطع علائق الشيطان عن الفرد جاء الإسلام بتعاليمه العظيمة للمحافظة على بنية المجتمع، فحرم كل ما من شأنه أن يفتح الباب أمام الانحلال والتفسخ ومن ذلك أنه حرم النظر المؤدي إلى الوقوع في الحرام، وأمر بغض البصر فقال سبحانه: â**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ**

---

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم ح(٤٦٧٨) ورواه مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ح (٢٤٨٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ح(١٦٧٤).

(٣) تجربة جمعيات المساعدة على الزواج في البلاد العربية تجربة رائدة ربما تكون سبيلاً من سبل الحوار الحضاري مع الغرب، وهي مشترك يسعى له الجميع.

(٤) سيأتي الحديث عن المرأة مفصلاً في المبحث الآتي.

أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ [النور: ٣٠]، كما أمر سبحانه النساء بما أمر به الرجال من غض البصر فقال: **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** [النور: ٣١].

كما حدد الإسلام الضوابط الدقيقة من أجل لقاء المرأة بالرجل الأجنبي، وحذر أشد الحذر من الخلوة بالمرأة الأجنبية لما في ذلك من الخطر الذي تعاني منه وما زالت تعاني جميع المجتمعات، بل إن أصحابها ينادون بالخلاص من هذا الوبال، حتى قالت إحدى الطبيبات الغربيات: ((إني أعتقد أنه ليس في الإمكان قيام علاقة بريئة من الشهوة بين رجل وامرأة ينفرد أحدهما بالآخر وقتاً طويلاً...))[1].

ولذا حرم الإسلام الزنى أشد التحريم وعده من الكبائر وعظائم الأمور فقال سبحانه: **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** [الإسراء: ٣٢].

- كما وقف الإسلام سداً منيعاً أمام أي محاولة لهدم بناء المجتمع أو الإضرار به أمنياً أو خلقياً أو اجتماعياً أو ثقافياً، فوضع الحدود الكفيلة بضبط أصحاب الشهوات والمنفلتين من القيم حتى لا ينطلقوا دون رقيب، ولا يتركوا لشهواتهم العنان لترتع في المجتمع مفسدة هادمة، فجعل للزنا وأنواع الشذوذ والمنكرات حداً شرعياً من الجلد أو النفي أو القتل - وهي مبسوطة في كتب الفقه الإسلامي - .

٢- قرر الإسلام لأعضاء المجتمع الإسلامي حقوقاً وفرض عليهم واجبات، وبين حدود التعامل بين الجميع، وأولهم ((ولي أمر المسلمين)) وهو الحاكم الأعلى والرئيس الأول في السلطة، فرض الإسلام عليه مجموعة من الأمور التي تحفظ بنية المجتمع وتضمن استقرار الحياة فيه، ومن أهم هذه الواجبات عليه أن يسعى لحفظ الدين على أصوله المستقرة، وينشر العلم والمعرفة بكل سبيل يضمن تقدم الأمة مع توفير الحياة الكريمة لأبناء الدولة، وإقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك وتحفظ حقوق عباده عن الضياع مسترشداً بما كان عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون وما استقر في التاريخ الإسلامي من صور العدل وتحصين الثغور

[1] ((المرأة ماذا بعد السقوط)) بدرية العزاز، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط١ (ب ت) ص١٢١.

واختيار الأكفاء لوظائف الدولة[1].

ومن ثم يأتي الحق له من اتباعه كما قرره الإسلام من طاعة بالمعروف ونصيحة بالخير وتعاون على البر والتقوى، ونصرة للأمة في كل حين.

ثم تأتي الحقوق والواجبات في المجتمع الإسلامي تباعاً، فللأب حقه، وللأم حقها، وللأولاد حقوق وللأقارب والجيران، ولكل فرد في الأمة حق بينه الإسلام ورسم حدوده لحفظ بنية المجتمع من أن تخترق أو أن ينالها من أعدائها ما يفت قوتها، حتى أن النبي r قرر هذه الحقوق في عدد من أقواله ومنها: (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**)[2].

ولتحقيق أعظم هدف في بناء المجتمع أمر الإسلام أفراده بلزوم الجماعة ونهاهم عن التفرق والفرقة فقال سبحانه: â**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**á [آل عمران: ١٠٣].

٣- اعتنى الإسلام عناية كبيرة بالصحة، وجعل من مبادئه السامية الحفاظ على الجسم السليم المعافى من الأمراض، وقرر أن المحافظة على البدن جزء من الواجب المطلوب من الإنسان كما قال رسول الله r: (**إن لجسدك عليك حقاً**)[3].

والإسلام يختلف عن غيره من الأديان والملل فقد جاء لموازنة حياة الإنسان بين الدين والدنيا ومن الأمور المتعلقة بهذه الموازنة الحفاظ على صحة الإنسان وما هو له من خلال سنه مجموعة من الأسس والضوابط التي تضمن بإذن الله تعالى بقاء المجتمع الإسلامي مجتمعاً صحياً وأهم هذه الأسس هي[4]:

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردي، مرجع سابق (١٨- ٢٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يسلمه، ح(٢٤٤٢)، ورواه مسلم كتاب الأدب، باب تحريم الظلم، ح(٢٥٨٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ح (١٩٧٥)، ورواه مسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به...، ح (١١٥٩).

(٤) ينظر: ((الوقاية من الأمراض قيمة إسلامية)) د. عبد الرحمن لطفي، دار ناشري للنشر الالكتروني، وهو موجود على موقعهم (www.nashiri.net) وينظر: كذلك أبحاث - المؤتمر العالمي الأول عن =

- الإنسان مجموع من جسد وروح ولكل منهما مقوماته وحدوده ، لذا جاء الإسلام ليؤكد إعطاء كلاً من الجسد والروح حقهما ، لضمان المحافظة على عطاء الإنسان في مجتمعه والمحافظة على بنية هذا المجتمع ، ونهى الإسلام عن أتعاب الجسد أو إنهاكه حتى في العبادة مخافة أن يتأثر الجسد بما يقطع عليه مواصلة العطاء في دنياه.
- كما اهتم بالنظافة العامة والطهارة والوضوء واعتبرها (الطهارة) شطر الإيمان كما قال r : (**الطهور شطر الإيمان**)[1] كما أمر بالاغتسال (الاستحمام) لسبعة أسباب موجبة وستة عشر سبباً مستحباً ، وحث على نظافة الجسم وعلى سنن الفطرة وهي الواردة في قوله r : (**عشر من الفطرة: قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وخلق العانة ، وانتقاصُ الماء**) ، قال مصعب - وهو ابن شيبة أحد رواة الحديث- : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة)[2].
- الوقاية من الأمراض ومكافحة الأوبئة حيث أمر الإسلام بعزل المريض بمرضٍ معد ، وذلك منعاً لانتشار الأمراض في المجتمع ، كما قال r : (**لا يوردن ممرض على مصح**)[3]، والممرض الذي إبله مراض ، والمصح : الذي إبله صحاح. ومعنى : لا يورد عليه : لا يخلط المريضة الجرباء بالصحيحة ، أثناء ورود الماء ، حتى لا تصاب بالجرب.

وقال عليه الصلاة والسلام بشأن الطاعون : (**إذا سمعتم به بأرض: فلا تدخلوا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها: فلا تخرجوا منها فراراً منه**)[4].

- التحذير مما يؤذي الناس في صحتهم أو يلوث بيئتهم ، ومن هذه الأعمال البول في الماء وبخاصة الراكد أو الاغتسال وهو جنب في ماء راكد لا يجري.

= الطب الإسلامي ، الكويت ، (١٩٨١م) وأبحاثه منشورة على موقع ببليو إسلام.

(١) رواه مسلم ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، ح(٢٢٣).

(٢) رواه مسلم كتاب الطهارة ، باب خصال الفطرة ، ح(٢١٦).

(٣) رواه البخاري ، كتاب الطب ، باب لا هامة ، ح(٥٧٧١) ، ورواه مسلم ، كتاب الطب ، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة... ، ح(٢٢٢١).

(٤) رواه البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ، ح (٣٤٧٣) ، ورواه مسلم ، كتاب الطب باب الطاعون ، والطيرة والكهانة ونحوها ، ح(٢٢١٩).

- كما حث على النشاط والحركة والرياضة واعتنى بجوانب التداوي والطب وفتح باب الأمل أمام الأطباء والمرضى بأن الله تعالى: (**ما أنزل داء، إلا أنزل له شفاء**)[1].

- كما حرم الإسلام المسكرات والمفترات والمضرات وشدد في ذلك حماية للصحة العامة، ومحافظة على بنية المجتمع المسلم[2].

- كما اهتم الإسلام بالغذاء من جوانب متعددة، فبين الأغذية المحرمة كالميتة ولحم الخنزير وذلك لما في هذه المحرمات من أضرار على الإنسان تكشفت للطب الحديث، واعترف علماء الغرب بحكمة تحريمها.

- اهتم الإسلام بالتربية النفسية وعالج التوتر العصبي وحدد أموراً تسهم في تقليل الاضطرابات لدى الإنسان حفاظاً على صحته ومجتمعه.

٤- كافح الإسلام الجريمة بمنهج عظيم من خلال خطين متوازيين ألا وهما: الجانب الوقائي، والجانب العلاجي. أما الجانب الوقائي فيمثل الخط الأهم والأعرض في تعاليم الإسلام، إذ الإسلام لا ينتظر وقوع الجريمة حتى يتصدى لها وإنما يتخذ كل التدابير والإجراءات للحيلولة دون وقوعها، والحق أن البناء العقدي والأخلاقي للفرد يمثل الجانب الوقائي العظيم ضد الجريمة، لأن الإسلام لا يحب وقوع الجريمة ولا يبادر بإقامة الحدود على أهلها، لكنه يسعى حال وقوعها إلى الحد منها وضبط الفاعلين لها حتى لا يتكرر منهم الخطأ.

ومن أهم ملامح الجانب الوقائي الاهتمام بالجاني وإصلاح حاله ومتابعة سلوكه بعد إقامة الحد عليه والحرص على أن يكون عضواً فاعلاً في المجتمع، يقوم بواجباته ويأخذ حقوقه[3].

ومازال العالم يعاني من ويلات الجريمة ويتجرع غصص آثارها، حتى أنشأ الغرب آلاف المراكز التي تهتم بدراسة الجريمة وأبعادها وسبل علاجها، وبذلوا في سبيل ذلك مليارات الدولارات.

٥- عالج الإسلام الفقر والبطالة من خلال أسس كثيرة حث عليها وأكد على المجتمع

---

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ح (٥٦٧٨).

(٢) ينظر: ((السنة مصدراً للمعرفة والحضارة)) د.يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط٢ (١٤١٨هـ) مبحث كامل بعنوان (السنة وعلم الصحة) ص (١٤٨- ١٧١).

(٣) الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بيروت، ط١ (١٩٩٨م).

التعاون من أجل تحقيقها ومن أهمها[1]:

- العمل من أجل كسب الرزق واحترام العامل مهما كان عمله (إذا كان مباحاً) كما قال سبحانه: â**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ**á [الملك: ١٥]، بل إنه يؤكد على العمل لبناء الحياة بعد إتمام العبادة: â**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**á [الجمعة: ١٠].

وقد قال النبي **r**: (**لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه**)[2].

- شرع الإسلام عدداً من وسائل رعاية الفقراء، مثل كفالة الموسرين من الأقارب، والتأكيد على صلة الرحم، والحث على النفقة الواجبة والمستحبة، مع وجوب الزكاة في المال، واستحباب الصدقات والإنفاق قال تعالى: â**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ**á [الحديد: ٧]. وقال تعالى: â**وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ❖ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**á [المعارج: ٢٤- ٢٥].

- إيجاب حقوق غير الزكاة مثل حق الجار والأضحية والكفارات التي تبذل للفقراء، وكذلك الصدقات الاختيارية والإحسان الفردي، وقد تكاثرت النصوص الشرعية الحاثة على هذا الأمر والواعدة للباذل بالأجر والمثوبة والمضاعفة والخير يوم القيامة قال سبحانه: â**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**á [البقرة: ٢٤٥].

- كفالة الخزانة الإسلامية - بيت المال - بمختلف مواردها للمحتاجين من المسلمين، إذ قرر الإسلام أن في بيت المال قدراً مشتركاً لكل مسلم، كما أوجب عناية الدولة المسلمة بذوي الدخل الضئيل والمحافظة عليهم وتوفير فرص الحياة الكريمة لهم.

٦- حث الإسلام على العلم ورفع من شأنه وفرق بين من يعلم ومن لا يعلم، قال

---

[1] ((مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام)) د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط٥ (١٤٠٤هـ) ص(٣٧-١٣٦).

[2] رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ح(١٤٧١)، واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة للناس، ح(١٤٠٢).

سبحانه: â**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**á [الزمر: ٩]، ولهذا نجد كتاب (العلم) في جميع كتب الحديث الشريف، مما يدل على حرص الإسلام على العلم وجعله مرتكزاً لبنية المجتمع الإسلامي، ويمكن بيان أهم ما وضعه الإسلام من معالم لهذا الأمر[١]:

- حث الإسلام على اكتساب العلم النافع في الدين أو الدنيا، كما جاء في الحديث: **(طلب العلم فريضة على كل مسلم)**[٢].

وقد قرر علماؤنا أن طلب العلم منه ما يعتبر فرض كفاية ومنه ما يعتبر فرض عين، أما فرض العين، فهو ما لابد للإنسان منه في دينه أو دنياه، وهنا يتغير حسب العصر الذي يعيش فيه.

- أمر الإسلام المسلم أن يقف عندما يعلم وأن لا يتجاوز إلى ما لا يعلم حتى لا يتسبب ذلك في الإساءة إلى نفسه أو الآخرين: â**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**á [الإسراء: ٣٦].

- الإحالة في كل علم إلى أهله من الخبراء والمختصين، واحترام أهل التخصص لأنهم أعلم وأدرى بما هم متخصصون فيه، قال تعالى: â**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**á [النحل: ٤٣].

- الحث على الاختراع والبحث العلمي الذي يجعل الأمة مستغنية عن غيرها قادرة على أن تعيش بعزتها، متمكنة من شؤون حياتها ومعاشها.

٧- العناية بكبار السن والاهتمام بمرحلة الشيخوخة، وهذه المرحلة من آخر المراحل التي تمر بالإنسان وهي مرحلة لا يلتفت فيها إلى الوراء، إذ يتغير فيها الإنسان تغيراً فسيولوجياً إلى صورة أخرى ليست بأفضل من سابقتها، لأنها يصاحبها ضمور في الجسم والتفكير والنفسية، قال تعالى: â**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ**

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر، دار الخير، بيروت، ط١ (١٤١٣هـ) تحقيق: حسن إسماعيل مروه، وينظر: اهتمام الإسلام وعنايته بالعلم والعلماء في ضوء القرآن الكريم د. عبد الرحمن بن جميل قصاص، كتاب الكتروني، موقع صيد الفوائد، وينظر: ((الرسول والعلم)) د. يوسف القرضاوي، الشركة المتحدة للنشر، بيروت، ط٧ (٢٠٠٢).

(٢) سبق تخريجه، ص().

ضَعْفًا وَشَيْبَةً [الروم: ٥٤]، وهناك مرتكزات تقوم عليها رعاية المسنين في الإسلام[١].

- يؤكد الإسلام أن الإنسان مكرم محترم في جميع مراحل حياته، كما يحث المجتمع المسلم على التراحم والتماسك والتواد، وينهى عن التقاطع أو نكران الجميل، فكبير السن كان يوماً من الأيام شاباً نافعاً لمجتمعه.

- المسن المؤمن له مكانته عند الله ولا يزاد في عمره إلا خيراً له كما قال ﷺ: (**ولا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً**)[٢].

- توقير الكبير وإكرامه وإعطاؤه كافة حقوقه، وهذا من حق المسلم بعامة، والكبير بخاصة، يقول النبي ﷺ: (**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم**)[٣].

- وجوب قيام أهله على رعايته والاهتمام به، بدءاً من الزوجة والأولاد ثم الأقرب فالأقرب، وهو حق من حقوقه بعد كبر سنه.

- تقديم الرعاية الشاملة من قبل الدولة، ذلك أن المسن يدخل ضمن الرعية التي يُعد إمام المسلمين راعياً لهم مسؤولاً عنهم.

والناظر في وضع المسنين في الغرب يجد أنهم يعيشون منفصلين عن المجتمع، وأن أكثر من مليون مسن ومسنة تجاوزت أعمارهم ٦٥ عاماً يتعرضون لإساءات خطيرة من الضرب أو غيره.. مما حدا بهم إلى سن تشريعات وأنظمة لحماية ورعاية المسنين[٤].

٨- اهتمام الإسلام بذوي الاحتياجات الخاصة:

راعى الإسلام الفرد في المجتمع، وأعطى كل ذي حق حقه بغض النظر عن صورته وشكله وهيئته، كما قال ﷺ: (**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**

---

(١) رعاية المسنين في الإسلام، عبد الله بن ناصر السدحان، ط١ (١٤١٨هـ) [٣٣- ٦٤].

(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، ح(٢٦٨٢).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، ح (٤٨٤٣)، وحسنه الألباني في تعليقه على السنن.

(٤) التشريع الإسلامي سبق القوانين الغربية في الاهتمام بكبار السن، جريدة الجزيرة السعودية، عدد (١٣٢٧٣) في ٤ صفر ١٤٣٠هـ.

وأعمالكم)[1]، كما أن الشارع الحكيم نهى عن السخرية لأي فرد من أفراد الأمة مهما كانت إصابته كما قال سبحانه: â**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ**á [الحجرات: ١١].

ويمكن القول إن الإسلام والمجتمع المسلم هو أول من اهتم بذوي العاهات، وقدم لهم الخدمات ورفع عن كاهلهم الحرج والمشقة فيما لا طاقة لهم به، وسعى إلى المساواة بينهم وبين الأسوياء في الحقوق والواجبات لإزالة الصورة الذهنية السيئة عنهم، وبين أن ما أصابهم من إعاقة إنما هو بقدر من الله.

وقد عرف في تاريخ الإسلام من أصحاب الإعاقة من كانت له منزلة عظيمة من أمثال عبدالله بن أم مكتوم (وهو أعمى)، فقد كان مؤذن رسول الله **r** ، وربما استخلفه على المدينة أميراً إذا خرج النبي **r** في غزاة[2].

وأخيراً لابد من التأكيد على وجوب بذل الجهد لأجل التمسك بالبعد العقدي في كل المجالات التي نرى فيها تعزيزاً لدور المجتمع، فالعقيدة هي التي حافظت على ما بقي من استقلالنا وتميزنا، وهي مصدر قوتنا وعزتنا وهي سبيلنا لإقناع القوم بما لدينا، ويمثل استقامة البعد التربوي فيها أهم عامل تجب مراعاته لأجل تدعيم الحفاظ على البعد العقدي وذلك بإيجاد منظومة تربوية فعالة تهدف إلى تكوين أفراد يؤمنون بالجد والعمل وتمدهم بالقيم والعادات السليمة، والمهارات العملية المتطورة في مختلف المجالات للمحافظة على بنية المجتمع الإسلامي[3].

# # #

(١) رواه مسلم، كتاب الأدب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ح(٢٥٦٤).

(٢) ملف كامل في ((مجلة الوعي الإسلامي)) الكويت، عدد (٥١٥) في ٢٠٠٨/٧/١٧.

(٣) بين حضارة القوة وقوة الحضارة، د. غياث بو فلجة، دار الغرب للنشر، وهران، الجزائر، ط١ (٢٠٠٤م) (١١٢).

المبحث الثاني: دفع الشبهات حول الأسرة عموماً والمرأة خصوصاً(١)

أولا: منزلة الأسرة في الإسلام:

تعريف الأسرة: ((الأسرة هي عشيرة الرجل وأهل بيته لأنه يتقوى بهم))(٢).

وقيل هي: ((جماعة اجتماعية أساسية دائمة، ونظام اجتماعي رئيسي، وهي ليست أساس وجود المجتمع فحسب، بل هي مصدر الأخلاق، والدعامة الأولى لضبط السلوك والإطار الذي يتلقى منه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية))(٣).

وقيل: ((مؤسسة فطرية اجتماعية بين رجل وامرأة، توافرت فيها الشروط الشرعية للاجتماع، التزم كل واحد منهما بما له وما عليه شرعاً أو شرطاً أو قانوناً))(٤).

ومن الملاحظ أن التعريف الأول وسّع من دائرة الأسرة لتشمل العشيرة، ولعل المراد الأسرة بمفهومها العام، وإلا فإن الأسرة إذا أطلقت أريد بها ما ينتج من علاقة بين الزوجين.

حث الإسلام على بناء الأسرة وتكوينها ودعا الناس إلى أن يعيشوا في ظلالها إذ هي الصورة المثلى للحياة الشريفة التي تلبي رغبات الإنسان، وهي الوضع الفطري له وللأحياء التي ارتضاها الله لحياة البشر منذ فجر الخليقة حيث قال سبحانه: â **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً** á [الرعد: ٣٨]؛ لأن في فطرة الإنسان الحاجة إلى الأسرة وجوها الظليل وفي طبيعة الحياة أنها لا تواجه بالجهد المفرد الضئيل، بل تحتاج إلى عناصر القوى وتبادل المشاعر

---

(١) سبق الحديث حول بعض قضايا الأسرة في المبحث السابق، وسنكتفي هنا بذكر أهم ما يتعلق بالأسرة والمرأة.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ (١٤١٨هـ) تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة (٥١/١).

(٣) دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة، صلاح الحارثي، مكتبة السوادي، جدة، ط١ (١٤٢٤هـ) (٢٥٠).

(٤) قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، د. فؤاد العبد الكريم، مرجع سابق، (٤٣٩).

والتعاون على حمل الأعباء ومواجهة المصاعب مما لا يفي به إلا نظام الأسرة المتينة. تلك فطرة الحياة والأحياء التي جعلها الله تعالى من سنن خلقه ومن آيات عظمته ورحمته[1]: â**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**á [الروم: ٢١].

والأسرة أصل راسخ من أصول الحياة البشرية ومحضن هادئ من محاضن بناء المجتمع، يفتقر إليها الإنسان في مراحل عمره، فالطفل لابد له من النشأة في أسرة، وإلا نما مبتور العواطف، والشاب يحتاج إلى الأسرة لإرضاء حياته وفطرته، والكهل لا يستغني عن الأسرة فهو أحوج ما يكون إليها.

وفي الأسرة يتحقق النمو الجسدي والعاطفي، وذلك بإشباع النزعات الفطرية والميول الغريزية وتلبية المطالب النفسية والروحية والجسدية باعتدال ووسطية، وهي طريق لإنجاب الأولاد الشرعيين وتربيتهم، وبها يبنى المجتمع، فهي أول وأعظم لبناته[2]، وقد شرع الإسلام جملة من التشريعات التي تحفظ كيان الأسرة ومنها[3]:

١- رغب الإسلام في الزواج وحث على المبادرة إليه، وبين أسس ومقومات بقاء الزوجية وشرع أحكاماً وضوابط للعلاقة بين الزوجين، وتعدى الأمر إلى ضبط الخلاف بينهما - لو حصل - وتضييق دائرته بالنصح وبعث الحكمين: â**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا**á [النساء: ٣٥]، فإذا استمر الخلاف واستعصى الحل فقد شرع الفراق بالمعروف والأدب الجم: â**وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا**á [النساء: ١٣٠]، وإذا كان لهما ولد فقد حرص الإسلام على رعايته بعد الطلاق حتى لا يقع فريسة خلاف التفرق.

---

(١) المرأة المسلمة بين غرائز البشر وهداية الإسلام، د. صابر طعمة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤٢٨) ص(٢٣).

(٢) الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، ط١ (١٤٢٠هـ) [٢١- ٢٣].

(٣) التماسك الأسري في ظل العولمة، د.وليد الرشودي، بحث مقدم ضمن ندوة الأسرة والتحديات المعاصرة التي نظمتها مجلة البيان، الرياض ١٤٢٩/١١/١٥هـ، وهي منشورة على موقع المجلة.

٢- اهتم الإسلام برعاية الأولاد والإنفاق عليهم وحسن تربيتهم، والاهتمام بعقيدتهم وثقافتهم، فأوجب النفقة على الأب والحضانة على الأم، وأوجب تعليمهم حداً معيناً من علوم الدين تقوم به عبادتهم، وشدد على مسؤولية الوالدين تجاه الأسرة وأنها مسؤولية مشتركة ومحاسب عليها يوم القيامة كما قال r : (**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**)[1].

٣- بين الإسلام حقوق وواجبات كل من الزوجين وما له وما عليه، وألزم المرأة بشروط خاصة لحياتها مثل الحجاب والستر والعفاف، وبين لها محارمها الذين يجوز لها الكشف عندهم، وبين أحكام الطلاق والعدة وما يتعلق بها بعد ذلك من أحكام.

٤- أكد الإسلام أن للرجل خصائص تختلف عن المرأة، وأن تفضيل الرجل على المرأة لا يعني انتقاص حقها â**بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**á [النساء: ٣٤]، فالآية تقرر أن البيت كالمجتمع الأول، لابد من حسم الأمور فيه إذا لم يحصل اتفاق، وقد جعل الله ذلك للرجل لأنه هو الذي يتولى الإنفاق ولأن له خصائص خلْقية تختلف عن خصائص المرأة اعترف بها حتى علماء الغرب[2]. ولذا كانت القوامة للرجل من هذا الباب - وسيأتي الحديث عنها - .

- أما ما يتعلق بالمرأة بخاصة فجاء الإسلام بجملة من الحقوق والإكرام لها ومنها[3]:

١- احترام كيان المرأة وإقرار إنسانيتها وأنها مخلوقة من نفس الرجل، وهي إنسانة مثله تماماً في الخلقة وأصل الكرامة، قال تعالى: â**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً**á [النساء: ١]، كما برأها الإسلام من

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ح(٨٩٣)، واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، ح (٤٨٢٨).

(٢) ((المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم)) د. عمر الأشقر، مكتبة السنة، القاهرة، ط١(١٤١٠هـ) [٥٥- ٥٦].

(٣) الجنس الناعم في ظل الإسلام، سعيد عبد العزيز الجندول، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٩٨٠). وينظر: ((حواء التي أنصفها الإسلام)) حسين علي حمدان، دار الإسراء، القاهرة، ط١ (١٩٩١م).

نظرة الشؤم وصورة العار التي ينظر إليها بها بعض القوم في الجاهلية كما هو حال العرب: â**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ❖ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**á [النحل: ٥٨- ٥٩]، بينما كانت عند اليونانيين مسلوبة الإرادة ولا تحظى باحترام، وعند الرومان كانت معدومة الأهلية كالصغير حتى إذا تزوجت دخلت تحت وصاية الرجل بالكامل، بينما يراها اليهود لعنة وأصل الشرور لأنها سبب إخراج البشر من الجنة - كما يزعمون - ثم استخدموها سلاحاً للإفساد والتدمير، ولا تبتعد نظرة النصارى عنهم رغم محاولات دعاة تجديد الفكر عندهم - حسب تسميتهم - إلا أن هذا التجديد حولها إلى حضيض ودرك المتعة والاستغلال[1].

وفي القوانين الغربية تفقد المرأة اسم أسرتها بمجرد زواجها، بل تسمى باسمه وكأنها ملكية انتقلت من الأب إلى الزوج حتى إذا مات أو طلقها عادت إلى اسمها أو أسماء أولادها، فأي سلب للكرامة أعظم من هذا.

٢- أمر الإسلام بإكرام المرأة في أي مرحلة من مراحل حياتها، فالأم مثلاً أوجب الإسلام برها وطاعتها وإكرامها وقرن حقها بحقه تعالى: â**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**á [الإسراء: ٢٣]، وقد سأل رجل النبي r فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: **(أمك)**، قال: ثم من؟ قال: **(أمك)**، قال: ثم من؟ قال: **(أمك)**، قال: ثم من؟ قال: **(ثم أبوك)**[2].

كما كرمها بنتاً وأختاً وزوجة وعمة وخالة، بل كرمها امرأة أياً كانت بالنسبة للرجل.

٣- المرأة في الإسلام مكلفة مثل الرجل تماماً: â**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**á [النحل: ٩٧]، وهي كاملة الأهلية لها حق التصرف في مالها ونفسها، وقبول الزواج أو رفضه وفقاً لما حدده الإسلام ورسمه. ولها حقوق مالية حرمت منها في الشرائع والمذاهب الأخرى، فلها حق المهر والميراث والتصرف،

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، ط٦ (١٤٠١) [١٣- ٢٧].

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، ح(٥٩٧٨)، ورواه مسلم، كتاب الأدب، باب بر الوالدين، ح(٢٥٤٨) واللفظ له.

ويجب على الرجل أن ينفق عليها ويرعى شؤونها.

٤- أوجب الإسلام الحجاب على المرأة حفظاً وإكراماً لها وإجلالاً لمنزلتها، لأن المرأة العفيفة المتسترة تحفظ نفسها من الذئاب الجائرة، وترتفع منزلتها، في مجتمعها، ويعلو قدرها عند أهلها وزوجها ممن فطرهم الله تعالى على الفطرة السليمة، وليس في الحجاب أي إعاقة للمرأة عن دورها أو القيام بشؤون حياتها[١].

ثانياً: أشهر الشبهات المثارة ضد الأسرة والمرأة[٢]:

١- **أن الأسرة في الإسلام نظام تعسفي يحرم المرأة من حريتها** ويضع السلطة بيد الرجل ويسمح له بأمور لا يسمح للمرأة بها، ومن هذا التعسف، الولاية التي يملكها الآباء على بناتهم أو القوامة التي يملكها الزوج على زوجته؛ والرد على شبهتهم ما يأتي:

- **الولاية في اللغة:** تولي الأمر والقيام به أو عليه، وهي في **الاصطلاح**: سلطة شرعية يتمكن بها صاحبها من إنشاء العقود والتصرفات وتنفيذها، أي ترتيب الآثار الشرعية عليها، وهي إما أصيلة بأن يتولى الشخص عقداً أو تصرفاً لنفسه، أو تكون نيابية بأن يتولى عن غيره، والولاية النيابية قد تكون اختيارية بالتفويض من الشخص المنيب لمن أنابه، أو إجبارية من الشرع الحكيم لمصلحة القاصر، كولاية الأب أو الجد أو غيرهما على الصغير رعاية لمصالحه وحفظاً لحقوقه واهتماماً بشؤونه[٣].

وقد سعت منظمات وهيئات أممية إلى سلب ولاية الآباء على الأبناء، وإعطاء الشباب والفتيات الحق في التصرف الكامل في حياتهم، وإقامة العلاقات فيما بينهم بدعوى تعزيز الثقة

(١) لباس التقوى والتحديات المعاصرة للمرأة المسلمة، د. عيادة أيوب الكبيسي، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط١ (١٤٢١هـ) [٧٠- ٧٦].

(٢) شبهات حول الإسلام، محمد قطب، دار القرآن الكريم، (١٩٧٨م) وينظر: ((المؤامرة على المرأة المسلمة)) د. سيد أحمد فرج، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١ (١٩٨٥)، وينظر: ((المرأة المسلمة بين الشريعة الإسلامية والأضاليل الغربية))، فدى عبد الرزاق القصير، مؤسسة الريان، بيروت، ط١ (١٤٢٠هـ)، وينظر: ((ماذا عن المرأة)) د. نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ط٣ (١٣٩٩هـ).

مع العلم أن هذه الشبهات أثيرت في أغلب مؤتمرات الحوارات، وقد رصدها د. العبد الكريم في رسالته السابقة، وذكر جميع المؤتمرات العالمية التي أثارت هذه الشبهات.

(٣) ((الفقه الإسلامي وأدلته)) د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٢ (١٤٠٥هـ) [٤/١٣٩- ١٤٦].

والتكامل لشخصياتهم ، وهذا المسلك أفرز تفككاً أسرياً كبيراً ظهرت نتائجه السيئة على تلك المجتمعات من خلال عيش الشباب أو الفتيات بعد سن الثامنة عشرة في مساكن مستقلة ، وضياع حقوقهم ، وانتشار فقدان الفتيات لبكارتهن قبل الزواج بسبب وقوعهن فريسة في أيدي الشباب.

وتظهر حكمة الولاية على الأبناء في الإسلام من خلال وجوب إنفاق الأب على أبنائه وتقديم هذا الإنفاق على أي نوع من أنواع النفقة أو حتى الصدقات ، كما قال ﷺ : (**اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول**)[1] ، وجعل الإسلام تضييع الأولاد وعدم الإنفاق عليهم من الإثم الشديد ، فقد قال ﷺ : (**كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته**)[2] ، كما أن تربية الأولاد منذ صغرهم وتعليمهم من أهم واجبات الأب ، الذي يأمره الإسلام بالقيام على تربيتهم تربية إيمانية ، وينشّئ فيهم حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ ، ويحبب إليهم العلم والعمل ، ويغرس فيهم الأخلاق الفاضلة والالتزام بالآداب الاجتماعية الحسنة ، وإذا حقق هذه التربية فإنه يؤجر أعظم الأجر ، ويكون له من الأجر مثل أجور من عمل منهم من الخير والحسنات.

هذا من ناحية التربية التي أوكلت إلى الأب باعتباره الولي ، أما من الناحية الأخرى من فوائد وحكم الولاية فهي ما تحققه للأولاد أنفسهم من استقرار نفسي واجتماعي ومالي ، حيث يكون الولي أكثر دراية بأحوال الناس وتعاملاتهم ، فلا يدفع ابنه أو ابنته إلا لما فيه الخير ، بل يقف سداً منيعاً أمامهم من أ ن تختطفهم حبائل السوء في المجتمع.

أما الولاية على المرأة في الزواج فهي تكريم لها ، حيث جعلها الإسلام شرطاً لصحة الزواج لقوله ﷺ : (**لا نكاح إلا بولي**)[3] ، فالرجل أكثر خبرة من المرأة لاختلاطه بالناس ومعرفته بأحوالهم ، إضافة إلى أن المرأة سريعة التأثر مما يسهل معه أن تنخدع لأسباب كثيرة ، فتخطئ في اختيار الأصلح لها ، وفي وجود الولي إكرام لها وإبعاد عن خدش حيائها ، وكم من امرأة ندمت

---

(1) رواه البخاري، كتاب النفقات، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال، ح (٤٩٣٦)، ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، ح (١٧١٦).

(2) رواه مسلم كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، ح(١٦٦٢).

(3) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب النكاح، باب في الولي، ح(٢٠٨٥)، والترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء لا نكاح إلا بولي، ح(١١٠١)، وحسنه الترمذي، ورواه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب لا نكاح إلا بولي، ح (١٨٨١)، وصححه الألباني، وأما اشتراط الولي فهو مذهب الجمهور، ينظر: جامع أحكام النساء، مصطفى العدوي، دار ابن عفان، القاهرة، ط١ (١٤١٩هـ) [٣/٣١٥].

لأنها تزوجت بدون ولي ، فاكتشفت أنها خدعت بمعسول الكلام ولذيذ اللفظ ، إذ تكشفت الحقائق لها بعد الدخول !!

أما القوامة فيرى مثيرو هذه الشبهة أنها تتعارض مع مبدأ حرية المرأة ومساواتها بالرجل ، فكيف يتفرد الرجل بالسلطة ويتسنم مركز القوامة والقيام بشؤون البيت وسلب حق المرأة التي لا يجوز لها أن تخرج إلا بإذنه ، ولا تمارس حياتها الشخصية إلا تحت عينيه ، ولا تتصرف في معيشتها إلا بعد موافقته؟ هذه الشبهة التي أثارها أدعياء التحرير يمكن الرد عليها بأمور :

- القوامة التي بيد الرجل لا تتعارض مع تكريم الإسلام للمرأة ، وإنما شرعت لتنظيم العمل داخل الأسرة ، فكل جماعة وكل تنظيم لابد له من قائد يقوده ويوجهه إلى الطريق الصحيح ، ويجب أن يكون لهذا القائد مكانته بين الجماعة ، حتى يكون مسموعاً ومطاعاً.

- القوامة تكليف ومسؤولية ، وليست تكريماً أو تعسفاً واستبداداً ، ولذلك أمر الله تعالى الرجال بالعشرة بالمعروف مع زوجاتهم ، حيث قال : â**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**á [النساء : ١٩]، كما أن الرجل هو المكلف بالسعي في الأرض أكثر من المرأة ، فالمرأة تتوق نفسها إلى قيام هذه القوامة على أصلها الفطري في الأسرة ، وتشعر بالحرمان والنقص وقلة السعادة عندما تعيش مع رجل لا يزاول مهام القوامة ، وتنقصه صفاتها اللازمة ، فيكل إليها القوامة - وهي حقيقة ملحوظة تُسلّم بها حتى المنحرفات - ولعل من هذه الدلائل أن الأطفال الذين ينشؤون في مؤسسة عائلية ؛ القوامة فيها ليست للأب ؛ قلما ينشؤون أسوياء ، وقل ألا ينحرفوا إلى شذوذ ما في تكوينهم العصبي والنفسي وفي سلوكهم العملي والخلقي[1] .

- القوامة ليست حقاً مطلقاً ، إذ لا تشمل ما يمس كيان المرأة أو كرامتها ، ولا ما فيه معنى الظلم والاستبداد ، بل إن الغاية من هذه القوامة هي الاستقامة على أمر الله ، وحفظ حق الزوجين وصلاح الأسرة. لذلك لا يحق للزوج التدخل بمصلحة الزوجة المالية إلا برضاها ، وليس له أن يمنعها من واجباتها الشرعية.

- ليست القوامة دليلاً على عدم المساواة في كل شيء ، بل إن المساواة بين الرجل والمرأة

---

(١) في ظلال القرآن، مرجع سابق (٢/٣٥٥- ٣٥٦) بتصرف.

ثابتة في أمور كثيرة، كأصل الخلقة والتكاليف الشرعية والمسؤولية والجزاء، والحقوق المدنية والحقوق العامة كالتعليم والعمل فيما يخصها ولا يعرضها للامتهان - إلا ما جاء الشرع باستثنائه - .

- القوامة تحفظ حق المرأة في أمور كثيرة في الحياة - كما هي الحال في الولاية - فكم من امرأة سلبت حقوقها، و ظلمت ووقعت فريسة الظلم والمكر لأنها لا تركن إلى عون رجل يحفظها ويقوم على شؤونها[(١)].

- إن النساء في الغرب ومن خلال التجارب العديدة والدراسات الكثيرة صرن ينادين بعودة قوامة الرجل، ورفض المساواة حسب المبدأ الغربي - مساواة تامة - حتى قالت إحداهن: ((هناك بعض النساء حطمن حياتهن الزوجية عن طريق إصرارهن على المساواة بالرجل، إن الرجل هو السيد المطاع، ويجب على المرأة أن تعيش في بيت الزوجية، وأن تنسى كل أفكارها حول المساواة))[(٢)]، ((وفي دراسة أجريت حول رغبة المرأة في أوربا حول المساواة، أكدت ٤٨٪ منهن معارضتها وبشدة إجراء أي تغيير في أوضاع المرأة أو منحها مزيداً من الحقوق))[(٣)].

٢- **الشبهة الثانية: عمل المرأة** حيث قالوا: إن المرأة في الإسلام لم تمارس ما يمارسه الرجل من الأعمال والوظائف، وبهذا يتعطل نصف المجتمع وتتأثر التنمية، ثم إن في شريعتكم - الإسلامية - ما يؤكد الاحتقار لها من خلال حديث: (**لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة**)[(٤)]. والرد على شبهتهم مما يأتي[(٥)]:

- الإسلام لا يمنع عمل المرأة من حيث المبدأ، لكنه يجعل أهم أعمالها وواجباتها القيام على شئون البيت والاهتمام بالنشء وخدمة الزوج، وهذه مسئولية عظيمة ودور كبير يحقق

---

(١) المرأة في الإسلام، على عبد الواحد، دار نهضة مصر القاهرة، ط٢، (ب ت)، وينظر: ((المرأة في الإسلام)) سامية منسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١ (١٤١٦هـ).

(٢) وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني، على القاضي، دار القلم، الكويت، ط١ (١٣٠٣هـ) ص(١٤١- ١٤٥) باختصار.

(٣) المرجع السابق.

(٤) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر ح(٤٤٢٥).

(٥) ((عمل المرأة في الميزان)) محمد البار، الدار السعودية، جدة، ط١ (١٤٠١هـ) [٥٧- ٨٠] باختصار.

للمجتمع أعظم النتائج من خلال تخريج جيل صالح عامل، وحفظ حق الزوج المنتج في الأمة، فكيف يكون دورها معطلاً وهي تحفظ دور جميع أفراد المجتمع.

- وضع الإسلام ضوابط لعمل المرأة متى ما تحققت فإن لها أن تعمل، ومن تلك الضوابط أن يكون عملها - الثانوي - غير مؤثر على عملها - الأصلي - وهو رعاية الأسرة، أو الإقبال على الزواج إن لم تكن متزوجة أو تضييع حق الزوج والسكن والإنجاب، مع ضرورة أن يكون عملها بإذن زوجها ورضاه إلا إذا اشترطت في العقد، وأن يكون عملها مشروعاً ليس فيه تضييع لحجابها أو اختلاط يؤدي إلى مفاسد[1].

- أن المرأة في الإسلام محفوظة مكفولة ليس عليها أي التزام مالي، عندما كانت بنتاً فهي مكفولة من والدها، وعندما تزوجت فيجب على زوجها أن ينفق عليها، بل حتى عندما كبرت وضعفت يجب على من يعولها من زوج أو أبناء أن ينفقوا عليها ويرعوها ويحفظوا حقها، فهل تسعى المرأة المكرمة المحفوظة إلى الخروج للبحث عن أعمال شاقة مضنية.

- لا يستطيع أحد أن ينكر الفروق الخِلْقية بين الرجل والمرأة، بل هي طبيعة مستقرة يعترف بها كل أحد، فالمرأة يعتريها الحيض كل شهر وهي تحمل تسعة أشهر وتلد، ثم تعقب الولادة مدة النفاس ثم الإرضاع وما يترتب على ذلك من تبعات تمنعها من ممارسة بعض الأعمال.

- وعليه فإن القول بمنع المرأة من تولي الولاية العظمى - رئاسة الدولة وما في معناها - هو القول المعتبر في الفقه الإسلامي[2] لما سبق من دليل مع أسبابه، ولأن في تولي المرأة قيادة الدولة تعسف وخروج عن فطرتها فهي بطبيعتها وتركيبتها النفسية والجسدية ليست كالرجل، إذ المرأة عاطفية لا تتحمل اتخاذ قرارات الدولة من قتل المجرمين والدخول في الحروب والقسوة في مواضع القسوة إلى غيرها من الأمور التي لا يتحملها إلا الرجال.

- لم يعرف حسب استقراء التاريخ حتى في الأمم التي تقول بالمساواة التامة وعدم منع المرأة من الولاية العظمى؛ لم يعرف في تاريخهم إلا نزر يسير من النساء تولت منصب الرئاسة،

---

(1) ((المرأة بين البيت والمجتمع)) محمد البهي الخولي، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ط٣ (١٩٩٥م).

(2) ((ولاية المرأة في الفقه الإسلامي)) حافظ محمد أنور، دار بلنسية، الرياض، ط١ (١٤٢٠هـ) [٢١٧- ٢٥٠] وينظر: ((ولاية المرأة في الفقه الإسلامي)) د. فؤاد العبد الكريم، رسالة ماجستير، على الشبكة، موقع محيط العرب، وهذا القول وهو منعها من تولي الرئاسة هو اتفاق بين علماء الإسلام.

فكيف يطالبون ويعنفون مع أن تاريخهم يشهد بخلاف ذلك، وحتى أولئك النساء على قلتهن فإنهم تخلين عن وظيفتهن الأساس وهي الأسرة، فكيف يُقبل قولهم هذا وهم لم يحققوا نسبة تذكر في مجال رئاسة المرأة؟!

- إن شواهد الغرب من كلامهم تحذر من الانزلاق الخطير في فتح مجال العمل للمرأة على مصراعيه، فقد أجري استطلاع بريطاني حول عمل المرأة وجاءت النتائج لتؤكد أن الأم التي لديها أطفال مكانها البيت وهذا بنسبة ٧٦٪، وأن الأب هو المكلف بالعمل، وفي استطلاع آخر أكد أكثر من ٨٦٪ من البريطانيين أن الأفضل للأمة البريطانية ولمستقبلها، أن تلزم الأم بيتها[1].

كما أكدت نتائج صادرة من المعهد القومي الأوربي للأبحاث على تفضيل المرأة الإيطالية للقيام بدور ربة البيت بدل العمل الخارجي، وأجمع أكثر من ٩٥٪ من النساء على إيمانهن العميق بقيمة الأسرة لتحقيق الاستقرار[2].

- أن الأضرار الناتجة عن خروج المرأة إلى العمل دون حاجة أو ضوابط أكثر من المصالح، فمع ما في خروجها من إهمال الأولاد والزوج وفقدان السكن والراحة النفسية فإن ثمة أضراراً صحية كبيرة أثبتتها الدراسات تحل بالمرأة عند خروجها للعمل ساعات طويلة، ففي النمسا جاءت بعض النتائج الطبية لتؤكد أن العقم المنتشر عند بعض النساء العاملات يرجع إلى خلل في وظيفة بعض الأعضاء الجسدية بسبب عملها واندماجها مع عالم الرجال[3].

٣- **الشبهة الثالثة: قالوا إن الإسلام أوجب الحجاب وفيه تقييد لحرية المرأة** وامتهان لكرامتها واتهام لها وتخوين، والرد على هذه الشبهة[4] بما يأتي:

- الحجاب لم يكن مقصوراً على الإسلام، بل إنه كان في أغلب الأمم والعقائد والملل

---

(١) مجلة الدعوة السعودية، عدد (١١٥٣) في ١٤٠٩/١/٣هـ.

(٢) صحيفة عكاظ السعودية، عدد (١٠٨٢٣) في ١٤١٦/١١/١٢هـ وينظر: ((الإسلام حضارة الغد))، د. القرضاوي، مرجع سابق، حيث خصص الفصل الثالث بعنوان: عقلاء الغرب يدقون أجراس الإنذار (٩٩- ١٢٢).

(٣) إلى غير المحجبات أولاً: محمد سعيد مبيض، مؤسسة الريان، بيروت، (١٤١٥هـ) ص(٥٧).

(٤) ((الحجاب)) أبو الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٩٨١م) وينظر ((المرأة المسلمة)) فدى القصير، مرجع سابق (١١٥- ١٤٩) وينظر: ((المرأة المسلمة)) د. صابر طعيمة، مرجع سابق (٣٤٠- ٣٦٠).

السالفة، وقد جاء في الإصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين والإصحاح الثامن والعشرين ما يدل على أن بعض النساء كانت تلبس البرقع، وتحتجب بلباس ساترة عن الرجال[1]، وفي الشريعة اليهودية كانت المرأة تمنع من السير أمام الناس عارية الرأس[2]، وقد كانت بعض المجتمعات الغربية إلى عهد قريب تعرف الحجاب في بعض أوساطها وإن لم يكن حجاباً كاملاً، لكن الستر في الملابس وترك التبرج كان معروفاً في مجتمعاتهم حتى جاءت المدنية المادية وأخرجت المرأة وساقتها إلى التفسخ[3].

- أن غاية الإسلام من الحجاب حفظ المرأة، وليكون حاجزاً بين الذكور والإناث، ويعمل على إقامة مجتمع سام نظيف بعيد الدنس، وقد خصت المرأة بالحجاب لأنها محط الأنظار، ولا يمكن سد باب الفتن إلا بحجاب يحفظ كرامة المرأة، فالإسلام عندما يلزم المرأة بالحجاب الشرعي والتحلي بالأخلاق الفاصلة لا ينتقص من كرامتها، بل إن هذه الأحكام متمشية مع تعاليم الإسلام الخاصة بالمرأة. فإكرامها يكون بالاعتراف بحقوقها وبالحفاظ علي سمعتها العطرة الشريفة من أن تدنس.

- لما تخلت المرأة عن الحجاب استخدمها تجار الرذيلة في الفساد والإفساد، فصارت سلعة تعلن عن سلعة، وكثرت المفاسد والشرور والويلات، وانتشرت جرائم هتك الأخلاق والرذيلة، وما كان لهذا أن يحصل لو كانت المرأة ملتزمة بحجابها.

- أن دعوى إعاقة الحجاب لعمل المرأة دعوى باطلة، إذ مازالت النساء العاملات المخلصات يعملن في مجالاتهن وهن ملتزمات بالحجاب الشرعي، ولم يقطع ذلك من عطائهن ولم ينقص من إنتاجهن.

- الدعوى القائلة بأن ترك الحجاب يجعل المرأة مألوفة أمام الرجال، ولا يحرك هذا في النفس شيء، وهذه الدعوى باطلة لمخالفتها الفطرة المستقرة في نفوس الناس، إذ لو كان الاختلاط وترك الحجاب يؤدي إلى ألفة تمنح الشهوة لما استمتع الرجل بزوجته، ولكان من

---

(1) ساق هذه النماذج صاحب كتاب ((المرأة في القرآن)) عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، لبنان (٥٧- ٦٠).

(2) قصة الحضارة، مرجع سابق (٣٤/١٤).

(3) يوسف أستس في لقاء أجريته معه، وهو موجود على موقعه الألكتروني - سبق ذكره - بالإضافة إلى قصة حياته التي ذكر فيها واقع المجتمع الأمريكي حسب الصور وإفادة والده وجده قبل مائة عام.

الأفضل أن تحتجب عنه كي يشتاق إليها؟!

- الواقع الغربي يكذب هذه الدعوات، فمجتمعاتهم التي تعيش الاختلاط بكل صوره وعلى جميع مستوياته وأماكنه، تشتكي من السعار الجنسي، وازدياد العلاقات الجنسية المحرمة، والتحرشات الجنسية، بل وصلت أرقام الاغتصاب الذكور والإناث حداً مفزعاً للعقلاء هناك.

- ليس هناك علاقة أو ملازمة بين التقدم والتخلف بشكل عام وبين الحجاب، إذ العمل والأداء يحتاج إلى تأهيل علمي ونفسي وتقني بما يضمن للأمة التقدم والعطاء في كل مكان، وما زالت النساء المحجبات يقدمن أمثلة على هذا العطاء العلمي والبحثي.

- النداءات والصيحات في الغرب تكثر، والدعوات إلى سن قوانين أكثر صرامة حول التحرش الجنسي والانفلات الأخلاقي، كلها تدل على أن القوم يعيشون حالة قلق من هذا الانفلات، ولا يمكن أن يكون الحل البشري ضامناً لسلامة المجتمع، فلا حل أسلم ولا أضمن مما وضعه الشارع: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤].

وقد أكدت الدراسات في الولايات المتحدة أن أعداداً كبيرة من الفتيات في المدارس يتعرضن للتحرش، وأن ما لا يقل عن ٨٩٪ من الفتيات المراهقات أوضحن أنهن تعرضن لمعاملات غير مهذبة من زملائهن الطلاب، وأكدت إحدى الخبيرات الأمريكيات أن هذا السلوك غير الأخلاقي أصبح جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية [١].

- أثبتت الدراسات العلمية أن الاختلاط وعدم احتجاب المرأة يؤدي إلى آثار مدمرة في شتى المجالات، من أهمها المجال الأخلاقي - كما سبق - والمجال النفسي حيث تتأثر الفتيات بشكل واضح من كثرة التعامل مع الرجال، بل إن المرأة تفقد بعض أنوثتها عندما تكون بين الرجال طيلة حياتها دون أدنى ضوابط أو حشمة، بل إن بعض النساء تركت الجامعة أو العمل بسبب ما تلقاه من تعامل الرجال أو تحرشهم، وما سببه هذا الأمر لها من اضطراب نفسي وأثر صحي [٢].

---

(١) جريدة الرياض السعودية، عدد (٩١٥٠) في ١٤١٤/١/٢٦هـ، وينظر: ((إنهم يتفرجون على اغتصابها)) محمد رشيد العويد، ط١(١٤٢٠هـ)، وينظر: للمؤلف أيضاً ((رسالة إلى حواء)) دار الوطن، الرياض، ط٤(١٤١٨هـ)، فقد جمع في كتبه أغلب الدراسات والنداءات الغربية حول واقع المرأة هناك.

(٢) من أجل تحرير حقيقي للمرأة، محمد رشيد العويد، دار حواء للثقافة، الكويت، ط٢ (١٤١٤هـ) [١٤٩-
=

٤- الشبهة الرابعة: يقول مثيروا هذه الشبهة إن الإسلام لا يساوي بين الرجل والمرأة في الإرث، بل إنه يجعل نصيب الذكر مثل نصيب الإنثيين كما قال تعالى: â**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ**á [النساء: ١١]، وهذا احتقار وامتهان للمرأة، وللرد على شبهتهم نبين ما يأتي [(١)]:

- كان واقع المرأة في المجتمعات السالفة لا تعترف بحق المرأة أو الضعفاء في الميراث، فعند الروم كان رب الأسرة مقدساً ويرثه بعد موته أحد أبنائه أو إخوانه شرط أن يبقى في البيت نفسه، أما النساء فليس لهن حق التملك وبالتالي فإنهن لا يرثن شيئاً من المتوفى مهما كانت درجة قرابته لهن، وأما عند الفرس فكانت أحب الزوجات إلى الرجل هي التي ترث وتحرم الباقيات، وعند اليهود فلا يرث إلا الابن الذكر الوحيد لوالده، أو البكر من الأبناء إذا كانوا أكثر من واحد، وأما العرب قبل الإسلام فكانوا لا يرون للمرأة حقاً في الإرث لأنها لا تقدم لهم شيئاً من عون الدنيا في حرب أو مشورة أو حكم، ولا ترث إلا في حالات قليلة جداً.

هذه هي أحوال المرأة في الميراث عند الأمم السابقة حيث كانت محرومة من الميراث إلا في أقل القليل، بينما جاء الإسلام وقرر للمرأة نصيبها لا فضل لأحد عليهن سوى الله، بل إنه يقرر حقها في أي مال كثر أو قل، قال تعالى: â**لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا**á [النساء: ٧].

- ليست جميع حالات المساواة عدلاً، إذ من العدل أحياناً عدم المساواة، فلو أن مديراً ساوى بين جميع موظفيه في العطاء مع اختلاف قدراتهم ودرجاتهم وعطائهم لأصبحت المساواة هنا ظلماً، فلابد من إعطاء كل ذي حق حقه حسب طبيعة عمله وأدائه، وهذا ما يحصل في الإرث.

- زاد نصيب الذكر على الأنثى في الإرث في بعض الحالات لأن الرجل مكلف شرعاً بالإنفاق على أمه وزوجته وأخته ممن هن تحت يده إن كانوا معسرين، فالرجل هو المنفق والمرأة

= ١٦٨]، وينظر: ((عودة الحجاب)) محمد إسماعيل المقدم، دار طيبة للنشر، الرياض، ط١ (١٤١٧هـ).

(١) المواريث في الشريعة الإسلامية، حسن خالد، د. عثمان نجا، دار لبنان للنشر، بيروت، ط٤ (١٩٨٧م)، ((قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية)) د. فؤاد العبد الكريم مرجع سابق (٨١٥- ٨٣٧).

منفق عليها، أما في حال البنت فإن الأب ينفق عليها حتى تتزوج وتنتقل إلى بيت الزوجية، فإذا تقدم لها الرجل لخطبتها فإنه يلزم بدفع المهر، ثم يجب عليه الإنفاق على الزوجة، كما قال ﷺ : (**ولهن عليكم رزقهن وكسوتهم بالمعروف**)[1]، وبهذا تكون المرأة مكرمة دون أن تدفع أي حق ودون أن تلحقها أي مسئولية مالية، فهل من العدل أن يكون نصيبها من الإرث مساوياً لنصيب الذكر؟![2].

- التبعات المالية الكبيرة على الرجل ليست مثل المرأة، فالرجل ملزم شرعاً بالإنفاق على بيته ومن تحت يده ممن تجب عليه النفقة لهم كالوالدين والزوجة والأبناء ومن في حكمهم فهل المطالب بأعباء مالية كثيرة ومتعددة، ومن يقوم بالإنفاق على المرأة حتى تتزوج ليكفلها غيره بالإنفاق، هل يمكن أن يساوى في العطاء مع المرأة المنفق عليها؟!.

- أموال المرأة لا تنقص ـ كما سبق ـ لأنها لا تكلف بإنفاق، وفي حال مات أحد أقاربها ممن ترثهم ويكون معها ذكور يشتركون في الإرث، فإن أي مبلغ ترثه يزيد من مالها الذي لا ينقص بحق الإنفاق، وأما الرجل فإن أي مبلغ يأخذه سيضاف إلى أعباء الإنفاق الأخرى «فالرجال تلحقهم مؤن كثيرة في القيام على العيال، والضيفان والأرقاء والقاصدين ومواساة السائلين وتحمل الغرامات وغير ذلك»[3].

- الذكر أنفع للحي من الأنثى - حسب التكاليف الشرعية- أي أن الذكر ملزم بالإنفاق على بعض الأحياء من أقاربه، ويقوم على شؤونهم ورعايتهم، بينما المرأة تمكث في بيت أهلها مدة ثم تنتقل إلى بيت الزوجية، وهكذا يكون انتفاع الأحياء بواجباتها أقل من انتفاع الذكور، ولهذا كان الذكر أحق بالتفضيل[4].

---

(1) رواه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، ح(٢١٣٧)، وهو جزء من خطبته في الحج التي قرر فيها مبادئ عظيمة، ومنها التأكيد على حق المرأة.

(2) مركز المرأة في الحياة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، دار الفرقان للنشر، الأردن، ط١ (١٩٩٢م) [٢٣-٢٧].

(3) شرح صحيح مسلم للنووي، مرجع سابق (١١/٥٣).

(4) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١ (١٤٢٣هـ)، حققه: مشهور بن حسن آل سلمان (٢/ ٤١٩) وما بعدها بتصرف. وينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الكتب، بيروت (ب ت) (١/ ٣٠٨ وما بعدها).

- أن الميراث لم يتسبب فيه أحد الجنسين وما سعياً في تحصيله، وإنما هو تمليك من الله الحكيم ملكهما إياه تمليكاً جبرياً فاقتضت حكمة الحكيم الخبير أن يؤثر الرجل على المرأة في الميراث للأسباب الظاهرة عندنا حسب تلمس الحكمة، وإيثاراً لمن يترقب نقص ماله على من يترقب زيادة ماله، لجبر بعض نقصه المترقب وهذا من الحكمة الظاهرة [1].

- أن هناك حالات معينة تأخذ المرأة فيها مثل نصيب الرجل وحالات تأخذ فيها أكثر من الرجل، وحالات ترث فيها المرأة ولا يرث الرجل [2].

- من الحالات التي ترث فيها المرأة أكثر من الرجل:

١- الزوج مع ابنته الوحيدة، فلو ماتت امرأة عن زوج وبنت كان نصيب البنت هنا أعلى من نصيب الرجل إذ تأخذ البنت النصف والزوج الربع.

٢- الزوج مع ابنته فلو ماتت امرأة عن زوج وابنتين تأخذ البنتان الثلث والربع للزوج.

٣- البنت مع أعمامها، فتأخذ البنت النصف والباقي للأعمام، إلى غيرها من الحالات.

- وهناك حالات ترث المرأة فيها مثل الرجل:

- الأب والأم في حالة وجود ابن الابن، فللأب والأم لكل واحد منهما السدس، والباقي لابن الابن.

- الأخ لأم والأخت لأم يتشاركان في الثلث بالتساوي.

- البنت مع عمها أو أقرب عصبة للأب، فللبنت النصف وللعم الواحد الباقي.

- أما الحالات التي ترث فيها المرأة نصف الرجل فهي أربع فقط:

١- البنت مع أخوانها الذكور وبنت الابن مع ابن الابن.

٢- الأب والأم ولا يوجد أولاد، ولا زوج أو زوجة.

٣- الأخت الشقيقة مع إخوانها الذكور.

---

(١) عودة الحجاب، محمد إسماعيل المقدم، مرجع سابق (٢/١٣٨).

(٢) ((ميراث المرأة وقضية المساواة)) د. صلاح الدين سلطان، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١ (١٩٩٩م) وينظر: رسالة دكتوراه ((الميراث بين عدالة الإسلام وجور القوانين الوضعية)) د. أحمد عبد القادر محيي، مقدمة لجامعة أمباثدور بالولايات المتحدة وطبعت له رسالة بعنوان ((فقه المواريث)) مكتبة دار العلوم، جدة، ط٢ (١٤١٠هـ) ونكتفي في بحثنا بالإشارة إلى المواضع فقط.

٤- الأخت لأب مع إخوانها الذكور.

وقد فندت دار الإفتاء المصرية إدعاءات بتعرض المرأة للتمييز في مسألة الميراث، وأثبت مركز الأبحاث الشرعية بالدار أنه عند الاستقراء اتضح أن هناك أربع حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل، وأن هناك أكثر من ثلاثين حالة تأخذ فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه، أو ترث هي ولا يرث نظيرها من الرجال[1].

٥- **الشبهة الخامسة: قال مدعوها إن الإسلام انتقص المرأة وعاملها دون الرجل** فجعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل وفي هذا هدر لإنسانيتها وكرامتها، وهم يشيرون إلى قوله تعالى: â**وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى**á [البقرة: ٢٨٢]، وللرد على شبهتهم نشير إلى ما يأتي[2]:

- الشهادة خبر قاطع والشاهد حامل الشهادة ومؤديها لأنه مشاهد لما غاب عن غيره وهي ليست حقاً يتزاحم عليه الناس، وإنما هي عبء ثقيل يتهربون منه، لهذا فقد نهى الإسلام عن التهرب من أداء الشهادة، قال سبحانه: â**وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا**á [البقرة: ٢٨٢]، بل نهى القرآن عن كتم الشهادة: â**وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ**á[البقرة: ٢٨٣]، فليس في الشهادة ذاتها تكريم أو إهانة بل هي تكليف وعبء ثقيل.

- الشهادة في جميع أحوالها تتطلب من الشاهد بذل الجهد في مغالبة هواه وميله، وفي تغلبة على أحاسيسه ومشاعره، وفي ذلك يقول الله تعالى: â**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**á [النساء: ١٣٥]،

---

[1] فتوى صادرة للرد على أساقفة كاثوليك خلال اجتماعهم في روما، والفتوى موجودة على موقع دار الافتاء www.dar-alifta.org .

[2] ((حقوق المرأة في الإسلام)) محمد بن عبد الله عرفة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣ (١٩٨٣م) [٤٠- ٤٥]، وينظر: ((المرأة في الإسلام)) د. محمد معروف الدواليبي، دار النفائس، بيروت، ط١ (١٩٨٩م) ص [٧٠- ٧٢]، وينظر: ((المرأة بين الفقه والقانون)) للسباعي مرجع سابق، (٣٠- ٣٤).

ولذا فإن الإخلال بها أو الجور فيها يعد من الكبائر كما قال ﷺ لما سئل عن الكبائر قال: (الإشراك **بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وشهادة الزور)**[(١)].

- الأمر الوارد في الآية ليس موجهاً للقاضي والحاكم، وإنما هو لصاحب المال، حيث أمره الله بكتابة الدين لحفظه، فإن عجز عن الكتابة أشهد الشهود لحفظ حقه، وقد عللت الآية سبب اشتراط امرأتين مع رجل، وهو مخافة النسيان فتضيع الحقوق. وقد قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله [٦٩١- ٧٥١هـ] في كتابه الطرق الحكمية: «إن البينة في الشرع اسم لما يبين الحق ويظهره، وهي تارة تكون أربعة شهود، وتارة ثلاثة، بالنص في بينة المفلس، وتارة شاهدين، وشاهد واحد، وامرأة واحدة، و... فإن قيل فظاهر القران يدل على أن الشاهد والمرأتين بدل عن الشاهدين، قيل: القرآن لا يدل على ذلك، فإن هذا أمر لأصحاب الحقوق بما يحفظون به حقوقهم، فهو سبحانه أرشدهم إلى أقوى الطرق، فإن لم يقدروا على أقواها انتقلوا إلى ما دونها، وهو سبحانه لم يذكر ما يحكم به الحاكم، وإنما أرشدنا إلى ما يحفظ به الحق؛ وطرق الحكم أوسع من الطرق التي تحفظ بها الحقوق»[(٢)].

- لا علاقة للشهادة - كما سبق - بالأمور الإنسانية أو الكرامة، بل هي خاصة بإثبات الحقوق والجنايات ومشاهد العنف والقتل، وأمور البيع والشراء وأنواع البضائع وصور التبادل التجاري والتعاملات العالمية، وهذه الأمور - غالباً - لا تختص المرأة بها ولا تضبطها بل هي من شؤون الرجال. كما أن المرأة عاطفية بطبعها، فقد تتأثر بالموقف أو تتأثر بالمشهد الذي تراه فينعكس ذلك على شهادتها.

أما إذا كانت شهادة المرأة تتعلق بالذكاء والحفظ وليس بأمور العلاقات مع الآخرين فإن الإسلام يقبل شهادتها فيما هو أخطر من ذلكِ، وهو رواية الحديث النبوي والعلم الشرعي.

- قبل الإسلام شهادة المرأة وحدها فيما يخصها ولا يطلع عليه سواها، بل إن شهادة الرجل ربما لا تقبل في مثل هذه الحالات، وإنما تقبل شهادة المرأة، كالأمور النسائية التي لا يطلع

---

(١) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ح (٢٦٥٣)، واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها، ح (٨٧).

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، مطبعة مدني، القاهرة، تحقيق: د. محمد جميل غازي، (ص١٠٣- ١٠٤).

عليها إلا النساء، مثل إثبات الولادة والحيضة، والرضاعة، وغيرها. قال الإمام أحمد [١٦٤هـ-٢٤١هـ]: «إن شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين فيما هو أكثر خبرة فيه، وأن شهادة المرأة تعدل شهادة رجلين فيما هي أكثر خبرة فيه من الرجل»[١].

- في دراسة قام بها علماء في (سيدني - أستراليا) ونشرت نتائجها على موقع شبكة CNN وشبكة BBC [٢] بعنوان: (الحمل يجعل الذاكرة أقل) أثبتت الدراسة أن الحمل يتسبب بضعف ذاكرة النساء، وأن هذه الحالة تستمر لفترة ما بعد الولادة أحياناً ... وأكد الباحثون: ما وجدناه هو أن المجهود الذهني المرتبط بتذكر تفاصيل جديدة أو أداء مهام متعددة المراحل، يصاب باضطراب.

٦- الشبهة السادسة: قال أصحابها إن السماح بتعدد الزوجات يدل على نزوة الرجال وامتهان النساء، ففي الإسلام تسمحون للرجل بأربع زوجات، ويشيرون إلى قوله تعالى: â**فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**á [النساء: ٣]، والرد على الشبهة من خلال ما يأتي[٣]:

- التعدد ليس خاصاً بشريعة الإسلام، بل إنه كان موجوداً قبل الإسلام وعرفته شعوب كثيرة، وجاء ذكر بعض القصص القديمة في القرآن التي تثبت التعدد عند الأمم الأخرى، مثل قصة إبراهيم u ، وما جاء عن سليمان u في السنة النبوية، كما أن التعدد كان معروفاً عند العرب في الجاهلية، ولكن لما أتى الإسلام أقره مقتصراً على أربع فقط مع وضع الشروط والضوابط لهذا التعدد.

- التعدد في الإسلام مباح، وهو من الشرع العظيم الذي لا يجوز القدح فيه، لكن الإسلام وضع له شروطاً مثل العدل فيما يملك كالسكن والنفقة والمعاشرة، وأما ما ليس في مقدور الإنسان كالميل القلبي فليس مؤاخذاً به لقوله تعالى: â**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ**

---

(١) المرجع السابق (١٠٤).

(٢) وهي موجودة أيضاً في موقع الإعجاز العلمي للقرآن والسنة التابع للأزهر.

(٣) «الإسلام وتعدد الزوجات» إبراهيم النعمة، الدار السعودية للنشر، جدة، ط٢ (١٤٠٤هـ) وينظر «العدل في التعدد» د. عبد الله بن محمد الطيار، دار العاصمة، الرياض، ط١ (١٤١٣هـ).

وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِá [النساء: ١٢٩] ، بل حرم الإسلام أن يميل الرجل إلى إحدى زوجاته على حساب الأخريات، وحذر من ذلك أشد التحذير كما قال **r** : (**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقُّهُ مائل**)(١).

- التعدد فيه فوائد كثيرة للمرأة، فقد تكون مريضة أو عقيماً، فمن الأكرم لها ولزوجها أن يتزوج بأخرى مع بقاء الأولى معه والإحسان إليها، بينما لو لم يشرع التعدد لكان مصيرها الطلاق، ولن يقبل أحد بالارتباط بها، وهذا ظلم في حقها لا ترضاه الشريعة.

كما أن فترة الإخصاب عند المرأة محدودة، فقد تقف عند الخمسين بينما هي عند الرجل تتجاوز عمر السبعين أحياناً، فهناك من متوسط العمر أكثر من عشرين عاماً ليس فيها إنجاب، والرجل بحاجة إلى الولد في بعض حالاته، فهل بقاء الزوجة معه مكرمة وارتباطه بأخرى أولى أم طلاقها للبحث عن زوجة جديدة؟!.

- بعض الرجال لديه من القوة الجنسية ما يجعل المرأة الواحدة لا تكفيه، وبخاصة أنه يعتريها ما يعتري النساء من العذر، ففي هذه الحال هل الحق أن يؤذن له في التعدد أم يفتح الباب على مصراعيه لاتخاذ العشيقات والخليلات، وما يحصل جراء ذلك من المفاسد العظيمة والويلات الجسيمة؟! ((إن التعدد عند الغربيين واقع من غير قانون، بل واقع تحت سمع القانون وبصره إنه لا يقع باسم الزوجات، ولكنه يقع باسم الصديقات والخليلات. إنه ليس مقتصراً على أربع فحسب، بل هو إلى ما لا نهاية له من العدد إنه لا يلزم صاحبه بأية مسئولية مالية نحو النساء اللاتي يتصل بهن، بل حسبه أن يلوث شرفهن، ثم يتركهن للخزي والعار والفاقة وتحمل آلام الحمل والولادة غير المشروعة، إنه لا يلزم صاحبه بالاعتراف بما نتج عن هذا الاتصال من أولاده بل يعتبرون غير شرعيين، يحملون على جباههم خزي السفاح ما عاشوا، لا يملكون أن يرفعوا بذلك رأساً))(٢).

- تؤكد الإحصاءات الرسمية لتعداد السكان بالولايات المتحدة أن عدد الإناث يزيد على

---

(١) رواه أبو داود، كتاب النكاح، باب القسم بين النساء، ح (٢١٣٣)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود.

(٢) المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص(٩٤)، وينظر: ((الإسلام وتعدد الزوجات)) مرجع سابق (٣٨- ٣٩).

عدد الرجال بأكثر من ثمانية ملايين امرأة، وفي بريطانيا تبلغ الزيادة خمسة ملايين امرأة، وفي ألمانيا نسبة النساء إلى الرجال ١ : ٣، وأكدت الدراسات أن العلاقات المحرمة تزداد بين النساء غير المتزوجات، وتقول الدراسات إنه يولد في نيويورك فقط سنوياً طفل غير شرعي من بين ستة أطفال، بل إن هذه النسب في الدول العربية التي تمنع أو تضيق على تعدد الزوجات أصبحت في ازدياد مخيف(١).

- دعوى الانفجار السكاني وتحديد النسل الذي تطلقه المؤتمرات العالمية، وتمنع من تعدد الزوجات لهذا الاعتبار، هذه الدعوى منقوضة، لأن هذه الدعوى تقوم على دراسة تؤكد أن زيادة السكان تقابل نقص الغذاء في العالم وهذا باطل، لأن الله تعالى قدر الأرزاق، لكن العبث العالمي في توزيع الثروات هو السبب وراء هذا النقص، ثم إن دعوى تحديد النسل تلاقي صدوداً عالمياً ورفضاً دولياً، لأن قوة الأمم في كثرة وقوة أهلها، بل إن هذه الدعوات الباطلة في بعض الدول العربية تخدم إسرائيل ففي الوقت الذي تبدي فيه الأمم المتحدة قلقها من زيادة السكان في الدول النامية، فإنها تدق أجراس الخطر منادية باتخاذ إجراءات لزيادة السكان في الدول الصناعية، لأنها تواجه خطر الانقراض(٢).

- الأصوات المتعقلة في الغرب صارت تنادي بالسماح بالتعدد للحد من مشاكل الأخلاق وإيقاف نزيف الفضيلة... ففي مؤتمر الشباب العالمي الذي عقد في مدينة ميونخ الألمانية عام (١٩٤٨) وحضره بعض أبناء المسلمين، وكان من ضمن الأبحاث ما يتحدث عن مشكلة زيادة النساء مقابل الرجال أضعافاً مضاعفة بعد الحرب العالمية الثانية.. وناقشت الحلقة كل الحلول المطروحة من المشاركين الغربيين، وانتهت إلى رفضها جميعها، لأنها قاصرة عن معالجة واحتواء المشكلة، وهنا تقدم باحث عربي مسلم بالحل: وهو ضرورة إتاحة التعدد! في البداية كانت المواجهة الرفض ولكن بعد دراسة الباحثين له انتهى المجتمعون إلى إقراره، وتم تضمينه

---

(١) ((زوجات لا عشيقات: تعدد الزوجات ضرورة عصرية)) وجدي شفيق، مكتبة العلم، القاهرة. وينظر: ((تعدد الزوجات أم تعدد العشيقات)) خاشع حقي، دار ابن حزم، بيروت، ط١ (١٩٩٧م) [٥٠- ٦٣] وللاطلاع على موقف بعض القوانين العربية من التعدد. ينظر: كتاب ((تعدد الزوجات)) سدينة إدريس الزوى، وهو بحث مقدم لجامعة أجدابيا (١٤٢٥هـ)، منشور على موقع صيد الفوائد.

(٢) قضايا المرأة د. العبد الكريم مرجع سابق (٤٩٣- ٥١٤).

التوصيات، ثم بعد عام تناقلت الصحف الألمانية مطالبات سكان المدينة بإقرار النظام رسمياً [(١)].

- موقف العلم الحديث الذي كشف أن سر الحياة السعيدة والطويلة يكمن في الاقتران بزوجة ثانية، وأن الفوائد الحاصلة للزوجين من التعدد كبيرة، كما أشار تقرير صادر من منظمة الصحة العالمية حول البلدان التي تسمح بتعدد الزوجات أن عمر الزوج الذي يقترن بأخرى يزداد أكثر من غيره بنسبة ١٢٪. كما تحدثت الدراسة عن الأثر النفسي للرجل المعدد وبخاصة إذا كبرت سنه، وكيف أن العائلة الكبيرة إذا بنيت على أسس سليمة من التربية تفلح في إيجاد حياة سعيدة[(٢)].

هذه بعض الشبه المثارة ضد الأسرة بعامة والمرأة بخاصة، وهي مدار الحوار في المؤتمرات والملتقيات العالمية، فالواجب على من يسهم في الحوار أن يطلع عليها وأن يتحقق الرد عليها من مصادرها الموثوقة في كتب أهل العلم [(٣)].

ثالثاً: مواضع المشتركات مع الغرب حول الأسرة:

أقرت المؤتمرات العالمية الخاصة بالأسرة والمرأة مجموعة من القرارات الخطيرة التي تسهم في زيادة الانحلال الأسري، وربما مر بعضها مع الرد ـ لكن بعض قرارات هذه المؤتمرات فيه حق ينبغي المساهمة في إبرازه والتعاون عليه ليكون سبيلاً إلى إيصال صوت الإسلام في الحوار الحضاري؛ ومنها[(٤)]:

أ- الدعوة إلى تعليم المرأة وإزالة الأمية عنها، وهذا مطلب يدعو إليه الإسلام ويحث عليه.

ب- الدعوة إلى مكافحة الأمراض السارية عند النساء، خاصة في البيئات الفقيرة، ومما لا شك فيه أن الإسلام يدعو إلى الصحة العامة ويحافظ عليها، والمرأة مكرمة محترمة في هذا الجانب.

---

(١) ((فقه السنة)) السيد سابق، مكتبة الرشد، الرياض، ط١(١٤٢٢هـ) [٢/٢٢٤]، وقد ساق رحمه الله جملة من الحكم لتعدد الزوجات ونقل كلام المنصفين في الغرب.

(٢) دراسة بريطانية، موجود على شبكة الأخبار العربية ((محيط)) www.moheet.com .

(٣) اكتفيت ببعض هذه الشبه، وإلا فهي أكثر من ذلك ولعل المراجع المذكورة سابقاً تغني من أراد الاستزادة حولها.

(٤) العولمة الاجتماعية للمرأة والأسرة، بحث مقدم لمؤتمر البيان ((سبق ذكره)) د. فؤاد العبد الكريم، وهو ضمن أبحاث المؤتمر السابقة.

ويمكن أن تكون ضمن مجالات حوار الحضارات ((المجال الاجتماعي)) الذي سيأتي في الباب الثالث.

ج- الدعوة إلى الرضاعة الطبيعية بالنسبة للأم، وهذه الدعوة العالمية جاء بها الإسلام، ونص القرآن عليها قبل أن يثبتها الطب الحديث، بل إن قرارات المؤتمرات تنطلق في إقرارها من نواحي مادية، بينما يحث الإسلام عليها ويؤكد أن المرأة تؤجر على الحمل والإرضاع، لذا يكون حقها على ولدها أعظم من حق الأب، قال تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**﴾[الأحقاف: ١٥]، وقال تعالى: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾[البقرة: ٢٣٣]، ولا يخلو كتاب من كتب السنة إلا ويتضمن من ضمن أبوابه ما يتعلق بالرضاعة وأحكامها.

بل إن علماء الغرب قد ذهلوا لما اطلعوا على تحديد الرضاعة بعامين في القرآن، وسمعوا بتحريم زواج الأقارب من الرضاعة وأن هذه الأمور موجودة في شريعتنا، مما جعل بعضهم يعترف بالإعجاز في هذا الجانب(١).

د- محاربة الاتجار بالمرأة والطفل، واستغلالهما جنسياً، من خلال شبكات وعصابات دولية متخصصة في هذا المجال، واعتبار ذلك جريمة دولية محرمة ولا شك أن موقف الإسلام واضح من هذه القضية، وأن إبرازه والتأكيد عليه يعطينا القوة في المشاركة في هذه المؤتمرات.

هـ- تشجيع وسائط الإعلام على الامتناع عن تصوير المرأة على أنها مخلوق أدنى منزلة من الرجل، وكذلك عدم استغلالها مادة وسلعة في سوق الجنس.

و- الدعوة إلى إعطاء إجازة أمومة للمرأة العاملة.

ز- مكافحة التحرش الجنسي ضد المرأة من قبل الرجل في مواقع العمل وغيرها.

ح- مسؤولية الوالدين عن تربية الطفل وتنشئته تنشئة سوية.

ط- منع استغلال المرأة جنسياً من خلال النزاع المسلح، أو من خلال استغلال ظروف اللاجئات وفقرهن(٢).

---

(١) موقع الباحث عبد الدائم الكحيل وهو باحث في الإعجاز العلمي، كما نشر د. زغلول النجار مجموعة من الأبحاث حول الموضوع على موقعه الرسمي. www.kaheel7 .com

www.elnaggarzr.com .

(٢) ينظر: ((أجنحة المكر الثلاثة)) مرجع سابق، فصل استخدام عنصر النساء (٣٥١).

ي- التحذير من وأد البنات، والانتقاء الجنسي قبل الولادة.

ك- وجود هيئات ومنظمات عالمية تستنكر بعض القرارات التي تدعو للرذيلة، وتسهم في التفكك الأخلاقي، وهذه الجمعيات كان لها تعاون مثمر مع المسلمين في بعض هذه المؤتمرات.

- وعليه فإن الأهداف الاجتماعية من حوار الحضارات مطلب ملح أثناء المشاركة في الحوار لا يجوز للمسلمين أن يتخلوا عنه، أو أن يتهاونوا بإبرازه، لأنه يمثل صورة قوية عزيزة يجب أن نبرزها بفخر واعتزاز.

رابعاً: سبل حماية الأسرة والمرأة بخاصة في عصر حوار الحضارات:

هناك سبل كثيرة ربما مر بعضها عند الحديث عن الثقافة والسلوك في الفصل السابق وبعضها في الحديث عن المحافظة على بنية المجتمع الإسلامي، وعليه فأشير هنا إلى بعضها إشارة:

١- التمسك بالعقيدة الإسلامية، وإقامة الأسس العظيمة لبناء الأسرة وحمايتها والمحافظة عليها، مع التركيز على المرأة لتصبح مشاركة فاعلة في البناء والحضارة.

٢- الجدية في النظر إلى مشكلاتنا الاجتماعية وما يحصل من إخفاق أو ابتعاد عن المنهج الصحيح، وأن لا نعتد بالعادات والتقاليد على حساب الدين، بل يجب أن نكون أكثر جرأة في معالجة أي خطأ يقع على المرأة والأسرة باسم الدين، وديننا منه براء.

٣- الاهتمام بالأسرة المسلمة في المجتمعات الغربية، والتواصل معهم، وإقامة اللجان والهيئات التي تتابع عدم انقطاعهم عن أمتهم.

٤- المحافظة على الأسرة المسلمة من المخاطر الخارجية التي تحاك ضدها، سواء من قبل المؤتمرات أو الهيئات أو البعثات أو وسائل الإعلام، مع كشف مخططاتهم حتى لا يغتر بهم من لا يعرفهم.

٥- قيام الوزارات والهيئات والمؤسسات الحكومية والأهلية بدورها الكامل في دفع الشبهات عن الأسرة، والمحافظة عليها.

٦- الأدوار الأممية التي يستطيع المسلمون المشاركة فيها من خلال بعض المنظمات مثل منظمة الأيسيسكو - المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - والتي يعلن المسؤولون عنها أنها تسعى لإقامة الأهداف العلمية والثقافية والاجتماعية التي تقضي على عوامل الانحطاط

والتبعية والضعف والتقصير، وتقوم بتقوية عوامل التقدم والنهوض بالمجتمعات الإسلامية[1].

٧- إنشاء جهات نسائية تهتم بتثقيف المرأة وترد على الشبهات، وتخاطب الغرب بقوة الحجة والبيان، مع القيام بمناشط ثقافية للأسرة المسلمة، وطبع الكتب والدراسات وإقامة ورش العمل التي تسهم في بيان حقيقة الشبهات.

٨- الردود العلمية المؤصلة من خلال الإعلام والتعليم بكل فئاته، العالي والعام، وخطباء المساجد والدعاة.

٩- المشاركة في المؤتمرات المذكورة وعدم مقاطعتها، لأن المقاطعة لا تجدي شيئاً مع ضعف المقاطع أما المشاركة بقوة وحجة وبيان فقد أكدت أثرها الكبير[2].

١٠- المشاركة مع الجهات الغربية، وبخاصة النسائية منها في فهم قضايا الأسرة والدفاع عنها وإيصال الصوت الإسلامي.

# # #

(1) دور الايسيسكو في تطوير الثقافة العربية الإسلامية، د. عبد العزيز التويجري، ضمن ندوة مستقبل الثقافة في العالم العربي، التي نظمتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ٢٥- ٢٧ شعبان ١٤٢١هـ، وطبعت ضمن مجلد ضخم.

(2) العالم الإسلامي وتحديات ١١سبتمبر الواقع والمآل، دار الفكر، دمشق، ط١ (١٤٢٧) [٩٢- ١٠٦].

الفصل الرابع: الأهداف السياسية

المبحث الأول: منع تولي غير المسلم المناصب القيادية

المقصود بالحديث في هذا المبحث تولي غير المسلم المناصب القيادية في الدولة المسلمة أو المجتمع المسلم، وهو نطاق الحديث، وعليه يمكن تقسيم الموضوع إلى ما يأتي:

<u>أولاً: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:</u>

هو وثيقة دولية حقوقية تمثل الإعلان الذي تبنته الأمم المتحدة، وصدر عن الجمعية العامة في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨م، والذي يتحدث عن رأي الأمم المتحدة عن حقوق الإنسان المحمية لدى كل الناس، ويتألف من ثلاثين مادة، ويعتبر من الوثائق الدولية التي تم تبنيها من قبل الأمم المتحدة ونالت موقعاً هاماً فيما يسمى بالقانون الدولي.

وتنص المادة الثانية منه على أن «لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات المذكورة في هذا الإعلان، دونما تمييز من أي نوع، ولا سيما التمييز بسبب العنصر، أو اللون أو الجنس، أو اللغة أو الدين أو الرأي سياسياً أو غير سياسي، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو المولد أو أي وضع آخر.

وفضلاً عن ذلك لا يجوز التمييز على أساس الوضع السياسي أو القانوني أو الدولي للبلد أو الإقليم الذي ينتمي إليه الشخص، سواء أكان مستقلاً أو موضوعاً تحت الوصاية أو غير متمتع بالحكم الذاتي أم خاضعاً لأي قيد آخر على سيادته»[1].

غدا هذا الإعلان مرجعية أساسية عند الغرب في التعامل معنا - فقط - فيما يتعلق بحقوق الإنسان والمساواة بين المواطنين، والمطالبة بأحقية غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية

---

(1) موقع الأمم المتحدة www.un.org/arabic .

لتولي المناصب القيادية ، بل إنهم يحكمون على تخلفنا أو تحضرنا بناء على هذا الأساس[١].

والمتأمل في تاريخ الأمة الإسلامية لا يلحظ في بداياتها الإشارة الصريحة لمسألة تولي الكافر للمناصب القيادية في الأمة ، والسبب أن الدولة الإسلامية لم تكن تضم من الكفار داخلها إلا من كان من أهل الذمة والعهد ممن يقيم فيها بحماية وجزية ، لهذا فإن الكفار تجاه المجتمع المسلم على أنواع[٢] :

أولها : الحربي وهو المقيم في بلاد الكفر المحاربة للمسلمين ، المعلنة للعداء عليهم ، وهذا لا يدخل ضمن هذا المبحث ، لأنه لا يتصور أن يتولى القيادة.

ثانيها : المعاهد أو المستأمن على اختلاف في التفريق بينهما ، لكن المعاهد أو المستأمن إما أن يكون من أهل الذمة وهم المقيمون تحت ذمة المسلمين بدفع الجزية ، وإما أهل العهد وهم الذين صالحهم الإمام أو هادنهم ويسمون أهل الصلح ، وأما المستأمنون وهم من أهل الحرب لكن يدخلون البلاد الإسلامية بأمان لغرض ما مثل الرسل والتجار ومن في حكمهم[٣].

وقد جرى العرف الإسلامي على تسمية المواطنين من غير المسلمين في المجتمع الإسلامي بأهل الذمة أي العهد والضمان والأمان ، وذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في حماية الإسلام وفي كنف المجتمع الإسلامي آمنين مطمئنين ، فهم في أمان المسلمين وضمانهم ، بناء على ((عقد الذمة)) فهذه الذمة تعطي أهلها من غير المسلمين ما يشبه في عصرنا ((الجنسية)) السياسية التي تعطيها الدولة لرعاياها ، فيكتسبون بذلك حقوق المواطنين ، ويلتزمون بواجباتهم. فالذمي هنا من أهل دار الإسلام بالتعبير الفقهي عند الفقهاء القدامى[٤] ،

---

(١) الولاية العامة لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، بحث مقدم لندوة ((الشرعية السياسية في الإسلام)) عقدت في بريطانيا عام (١٩٩٧م) وطبع ضمن أبحاث الندوة ، وهو للمحامي المصري: طارق البشري ، ومنشور بالكامل على موقع إسلام أون لاين ، وقد نشر في العدد ٦٩/ ٧٠ من مجلة المسلم العاصر (١٩٩٤م).

(٢) غير المسلمين في المجتمع المسلم ، منقذ السقار ، مرجع سابق ، ص(٤) وغير المسلمين في المجتمع الإسلامي للقرضاوي مرجع سابق (٧).

(٣) أحكام أهل الذمة ، ابن قيم الجوزية ، مرجع سابق (٢/ ٨٧٣).

(٤) المغني ، عبد الله بن أحمد بن قدامة ، دار هجر ، القاهرة ، ط٢ (١٤١٣هـ) تحقيق ((عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو (١٣/ ٢٣٦- ٢٤٩).

وهو من حاملي الجنسية ((جنسية البلد الإسلامي)) حسب تعبير المعاصرين[1].

- ومازال مفهوم الدولة الإسلامية غير منضبط نظراً لعدم تحديد تعريفه تحديداً دقيقاً ولم تنجح منظمة المؤتمر الإسلامي[2] في تحديد مفهوم الدولة الإسلامية وهو ما مثل عائقاً أمام طلبات الانضمام إلى المؤسسة من بعض الدول[3] –وسيأتي الحديث عنها في المبحث القادم- .

ثانياً : كيف وصل غير المسلمين إلى المناصب في الدول الإسلامية؟

- عندما جاءت جيوش المستعمرين الغربيين تقودها عقليات مختلفة، تتمتع بالدهاء والمكر واستولوا على مقاليد الأمور في البلاد الإسلامية مكنوا لكثير من القيادات السياسية التي جاؤوا بها أو ممن رعوها قبل وصولهم، حتى عين بعضهم في مناصب حساسة من التعليم والمالية، بل وصل الأمر في حقب تاريخية إلى أن تسنم بعضهم منصب رئيس الدولة.

ومن هؤلاء اللورد كرومر واسمه الحقيقي ـ أفيلنج بارنج [١٨٤١- ١٩١٧] حيث كان مندوب الاستعمار البريطاني - السامي - في مصر من [١٨٨٣- ١٩٠٧- ٧م] بل كان الحاكم الفعلي لمصر، وكان رمزاً بارزاً لطغيان الاحتلال الإنجليزي، وعرف عنه بغضه الشديد للإسلام، وله المقولة المشهورة [إن المصريين لن يفلحوا أبداً طالما القرآن بأيديهم] وهو من كبار دعاة التغريب والاستعمار في العالم الإسلامي، وله كتابات تمثل خطة عمل للاستعماريين، ومسيرة تنظيم لجهودهم[4].

---

(1) ((أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام)) د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٠٢هـ) (٦٣- ٦٦).

(2) هي منظمة عالمية تضم في عضويتها الدول الإسلامية ولها أهداف عدة منها تعزيز التضامن الإسلامي ودعم الدول الأعضاء، وتنسيق وتفعيل الجهود، تم تأسيسها في جدة ١٨ محرم ١٣٩٢هـ، ينظر ((منظمة المؤتمر الإسلامي: دراسة لمؤسسة سياسية إسلامية)) د. عبد الله الأحسن، ترجمة د. عبد العزيز الفايز، ط٢ (١٤١٤هـ).

(3) من كلمة الرئيس اليمنى علي عبد الله صالح في مؤتمر القمة الإسلامية العاشر في ماليزيا ١٧أكتوبر ٢٠٠٣، ينظر موقع الرئاسة www.yemen-nic.info .

(4) ((اللوردكرومر وتغريب الفكر الإسلامي)) مقال: د. سيد حسين العفافي، موقع لواء الشريعة www.shareah.com وينظر ((حكاية حفيدة اللورد كرومر)) جريدة الشرق الأوسط، عدد (١٠٦١٧) في ١٤ ذي الحجة ١٤٢٨هـ كتبته: صافي ناز كاظم.

أمضى اللورد كرومر قرابة ربع قرن قابضاً على السلطة في مصر، وفي زمنه حصلت حادثة دنشواي عام ١٩٠٦م وهي قرية بين فرعي النيل في المنوفية - إحدى محافظات مصر - ابتدأت الحادثة باعتداء بعض الجنود الإنجليز على أهالي القرية وانتهكت بمحاكمة بشعة لأهالي القرية صدرت أحكامها بالإعدامات الكثيرة، وكان من آثار هذه الحادثة اغتيال بعض القيادات النصرانية في نفس الحكومة، ومنهم بطرس غالي باشا [١٨٤٦- ١٩١٠م] وهو سياسي مصري عين وزيراً للمالية (١٨٩٣م) ثم الخارجية (١٨٩٤م) ثم رأس الوزارة (١٩٠٨م)، وقد اغتاله شاب نصراني أيضاً يدعى: إبراهيم الورداني - أحد قيادات الحزب الوطني - بسبب تعاونه مع الحكومة الإنجليزية وانسلاخه من وطنيته - كما قال- وسكوته على بغيهم في حادثة دنشواي المذكورة[1].

وقام المستعمرون بإظهار بعض الأسباب لتوليهم المناصب العليا، إذا أكدوا أن المسلمين لا يحسنون قيادة الأمور والسياسة العامة، مع تأكيدهم أنهم إنما جاءوا من أجل بسط الديمقراطية والحرية والعدل والمساواة، والتي لا يستطيع أحد ارساء قواعدها إلا إذا كان من الغرب[2]، كما قال كرومر [إن بريطانيا على أتم الاستعداد لمنح جميع مستعمراتها الحرية السياسية حينما يظهر جيل من المفكرين السياسيين المصطبغين بقيم التمدن الإنجليزي، ويصبحون على استعداد للتسليم بهذا التمدن ولكن بريطانيا لن تتسامح ولا تحت أي ظرف من الظروف ولا إلى لحظة واحدة بأن تقوم دولة إسلامية مستقلة][3].

كما كان من مبرراتهم المحافظة على حقوق الأقليات النصرانية وضمان حقوقهم، ومن هذا المنطلق بادرت الدول الغربية بتدخلها تحت مسمى حماية الحريات والأقليات وطالبوا بقيام

---

(1) ((المنجد في اللغة والإعلام)) دار المشرق، بيروت، ط٣٣ (١٤١٣هـ)، وقد أشار أيضاً إلى رئيس الوزراء النصراني الآخر (نوبار باشا) [١٨٢٥- ١٨٩٩م]، وهو أرميني الأصل تولى رئاسة الوزراء في مصر.

(2) وهذا ما فعلته العصبة الأمريكية بعد احتلال العراق عام (٢٠٠٣م) حيث عينت حاكماً إدارياً هو ((بول بريمر)).

(3) في كتابه (مصر الحديثة) وقد نقل عنه مصطفى الغلاييني ينظر ((الإسلام روح المدنية)) د. مصطفى الغلاييني منشورات المكتبة العصرية، القاهرة، (١٩٠٨م) حيث رد في كتابه هذا على كتاب اللورد كريمر السابق والكتاب يسميه البعض ((الدين الإسلامي واللورد كرومر)) وقد وجدته مطبوعاً بالاسم الأول. وينظر سلسلة مقالات كتبها شيخ الصحفيين المصريين - كما يسمى- الشيخ علي يوسف في جريدة المؤيد المصرية عام (١٩٠٨م) وهي موجودة في أكثر من موقع على الشبكة العنكبوتية مثل موقع مشروعات عربية.

الدولة العلمانية على الطراز الأوربي الحديث باسم المساواة والحرية والديمقراطية[1].

- ولكن الحقيقة التي ظهرت بعد ذلك هو أن الغرب قد أقصى صفوة الناس عن أماكن القيادة والتأثير في العالم الإسلامي بعد احتلاله، لأنهم يمثلون الفضيلة والنزاهة والتوجه السليم الذي لا يريده الغرب للأمة الإسلامية، بل إنهم ملؤوا الوظائف بمن يخدم توجههم ويسهل مصالحهم.

ثالثاً: حقوق أهل الذمة في المجتمع الإسلامي:

منح الإسلام غير المسلمين في المجتمع الإسلامي سلسلة من الضمانات والحقوق التي لم تمنح لهم في أي دولة أو ملة أو نحلة، فهي موجودة في مصدري الوحي وموثقة بشهادة التاريخ وتطبيقاته، ومنها[2]:

١-حق الحرية:

يحمي الإسلام حق الحرية لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي، وأول هذه الحريات: حرية الاعتقاد والتعبد، فالإسلام دين عالمي يكرم الإنسان ويقر حقيقة الخلاف والتعدد والتنوع في البشر، إذ طبيعة الوجود أساسها التنوع - كما سبق - ويؤكد أن مهمة المسلم البلاغ: ﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ**﴾ [الرعد: ٤٠]، ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ❖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ**﴾ [الغاشية: ٢١- ٢٢]، ولذلك فإن المسلم لا يشعر بحالة الصراع مع شخص تنكب عن الهداية وأعرض عن أسبابها: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وإنما يسعى في البلاغ رغبة في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولا يكره أحداً على الدخول في الإسلام لأنه دين بين واضح جلي الدلائل والبراهين، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته، دخل فيه على بينة ومن أعمى الله قلبه

---

(1) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مرجع سابق (٢٣/١)، وينظر: ((الإسلام والحضارة الغربية)) د. محمد محمد حسين مرجع سابق (٥٧).

(2) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، القرضاوي، مرجع سابق (٩- ٣٠)، و((غير المسلمين في المجتمع المسلم)) السقار مرجع سابق (٧- ١٦).

وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً[1] ، âوَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاá [الكهف: ٢٩].

ولهذا لم ينقل عن النبي r ولا عن أحد من خلفائه ، أنه أجبر أحداً من أهل الذمة على الإسلام ، ولو أكره أحد منهم فأسلم لم يثبت له حكم الإسلام حتى يظهر منه ما يدل على دخوله فيه بكل اقتناع وإيمان[2].

ويدخل ضمن هذه الحرية أيضاً حرية ممارسة العبادة وضمان سلامة دورها ، فقد كتب النبي r لأهل نجران أماناً شمل سلامة كنائسهم وعدم التدخل في شؤون عبادتهم[3].

كما سار على هذا المنهج خلفاؤه من بعده ، فقد أعطى عمر بن الخطاب t أهل القدس ضماناً مثله وفيه : ((بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم...))[4].

وبنفس فعل عمر استمر عمل الخلفاء والقادة من الصحابة ومن بعدهم في ضمان حق حرية التعبد لهؤلاء القوم وسلامة معابدهم ، بل لقد طبق الفاتحون المسلمون الأولون هذه التوجيهات بدقة[5].

وكل ما يطلبه المسلمون من غيرهم أن يراعوا مشاعرهم ، وحرمة دينهم ، فلا يظهروا

---

(1) تفسير ابن كثير ، مرجع سابق (٤١٦/١).

(2) المغني ، مرجع سابق (٩/ ٢٥).

(3) سبق تخريجه.

(4) سبق تخريجه ، وينظر تاريخ الطبري ، مرجع سابق (٤٤٩/٤).

(5) التسامح والعدوانية ، مرجع سابق (١٢٠) ، وقد نقل كلاماً لعدد من كتاب ومفكري الغرب في الإشادة بموقف التسامح من المسلمين مع أهل الذمة ، وينظر : ((قصة الحضارة)) ، مرجع سابق (١٣١/١٢) ، فقد نقل كلاماً كثيراً للمنصفين من الغرب وليس مجال البحث هذه المواقف الكثيرة ، لأنه يطول المقام بذكرها ، ولكن المقصود ذكر حفظ المسلمين لحقوق أهل الذمة.

شعائرهم، وصلبانهم في الأمصار الإسلامية، ولا يحدثوا كنيسة في مدينة إسلامية، لم يكن لهم فيها كنيسة من قبل، وذلك لما في الإظهار والإحداث من تحدي الشعور الإسلامي، مما قد يؤدي إلى فتنة واضطراب[1].

ويضم إلى هذه الحرية؛ حرية العمل والكسب لغير المسلمين، بالتعاقد مع غيرهم، أو بالعمل لحساب أنفسهم، ومزاولة ما يختارون من المهن والأنشطة التجارية، إذ قرر الفقهاء أن أهل الذمة في البيوع والتجارات وسائر العقود والمعاملات المالية كالمسلمين، واستثنوا من ذلك عقد الربا فإنه محرم عليهم وعلى المسلمين، ويمنعون من بيع الخمور والخنزير وما في حكمهما فلا يسمح لهم ببيعها في بلاد المسلمين، كما لا يحق لهم فتح الحانات لشرب الخمر، أو استيرادها لبلاد المسلمين وتسهيل تداولها لما في ذلك من الفساد والإفساد[2].

كما قرر الفقهاء تأمين أهل الذمة في أيام عبادتهم، فلا يجبر اليهودي بالعمل يوم السبت كما أن له أن يأكل ويشرب ما يراه حلالاً في دينه ما لم يظهر هذا للناس أو يتسبب في إشهاره[3].

٢ -حق الإحسان:

أمر الله تعالى المسلمين بالإحسان والبر مع من خالفهم ممن لم يحاربهم: â**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**á [الممتحنة: ٨].
يدخل في هذا الإحسان كل ما كان من مكارم الأخلاق الإسلامية التي أقرت لغير المسلمين، بل إن الصلة والبر للأقارب غير المسلمين مما أمرت به الشريعة - كما سبق في حق الوالدين- ولا أدل من الصلة الممتدة، والإحسان المستمر من قول الرسول الكريم **r** : (**إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً**)، أو قال:

(١) القرضاوي، المرجع السابق ص(٢٠).

(٢) القرضاوي، المرجع السابق ص(٢٢).

(٣) الكافي، عبد الله بن قدامة المقدسي، دار هجر، مصر، ط١(١٤١٨هـ) تحقيق: د. عبد الله التركي (٦٠٨/٥)، وينظر: ((الإقناع لطالب الانتفاع)) موسى بن أحمد الحجاوي، دار هجر، مصر، ط١(١٤١٨) تحقيق د. عبد الله التركي (١٤٥/٢). وينظر: ((المقنع والشرح الكبير والإنصاف)) طبعه مجموعة بتحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر، ط١ (١٤١٥هـ) (٤٤٠/١٠- ٤٦٠).

(ذمة وصهراً)[١] .

وقد كانت صور الإحسان النبوي في المدينة مع اليهود أكثر من أن تذكر في هذا المعرض ، فقد زار r غلاماً كان يخدمه فمرض الغلام فأتاه النبي r يعوده...[٢]، وقبل r دعوات بعض اليهود وأكل عندهم في مرات عدة[٣].

والمجال في حق الإحسان كبير، من صور إكرام الضيف وإعانة المنقطع و الدعاء لبعضهم بالهداية ، ومواصلة برهم وإهدائهم وقبول الهدية منهم ورد التحية عليهم... وهي صور عظيمة جاءت بها الشريعة السمحة.

٣-حق الحماية و العدل:

أي الحماية من الاعتداء الخارجي أو الداخلي ، فيجب على الإمام حفظ أهل الذمة ومنع من يؤذيهم وفك أسرهم ودفع من قصدهم بأذى ، ويكون منع الأذى حتى ممن أراده بهم من الداخل فهو أمر يوجبه الإسلام ويشدد في وجوبه ، ويحذر المسلمين أن يمدوا أيديهم أو ألسنتهم إلى أهل الذمة بأذى أو عدوان ، لأن هذا ظلم لا يرضاه الله تعالى : â**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**á [المائدة : ٨].

يقول r : **(من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس ، فأنا حجيجة يوم القيامة)**[٤].

بل إنه أكد أن ظلمه سبب للعقوبة فقال r : **(اتقوا دعوة المظلوم - وإن كان كافراً - فإنه**

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب وصية النبي r بأهل مصر ، ح (٢٥٤٣).

(٢) رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات ، هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ ح(١٣٥٦).

(٣) منها في خيبر حديث هدية زينب بنت الحارث في صحيح البخاري ، ح(٢٦١٧)، وفي مسند أحمد أن يهودياً دعاه إلى خبز شعير وإهالة سنخة ، ح(١٢٧٨٩).

(٤) رواه أبو داود ، كتاب الخراج ، باب في الذمي يسلم في بعض السنة هل عليه جزية ، ح(٣٠٥٢)، قال الألباني في تعليقه على سنن أبي داود : (صحيح).

ليس دونها حجاب)[1].

وتتأكد الحماية في صورة تحريم الظلم بالقتل لهم وهو أعظم وأبشع الظلم في حقهم، حيث يقول النبي r : **(من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)**[2].

ويدخل في الحماية أيضاً حماية الأموال والأعراض والممتلكات الخاصة كالبيوت والمزارع ونحوها.

وأكثر من ذلك أن الإسلام ضمن لغير المسلمين في ظل دولته، كفالة المعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونه، لأنهم رعية للدولة المسلمة وهي مسؤولة عنهم، وهو ما يسمى (التكافل أو الضمان الاجتماعي) وهي صفة عظيمة داخلة في العدل والإحسان والبر الذي أمر الله به المؤمنين وهي من الرحمة العظيمة التي اتصفت بها الرسالة وصاحب الرسالة: â**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**á [الأنبياء: ١٠٧]، ويقول النبي r : **(لا يرحم الله من لا يرحم الناس)**[3].

وقد رأى عمر بن الخطاب t شيخاً كبيراً من أهل الجزية يسأل الناس فقال: ((ما أنصفناك إن أكلنا شيبتك ثم نأخذ منك الجزية، ثم كتب إلى عماله أن لا يأخذوا الجزية من شيخ كبير))[4].

هذه بعض حقوق أهل الذمة في بلاد المسلمين، والتي يتضح منها أن الإسلام حفظ لهم الحق، وأكرمهم وجعل من العدل والإحسان ميزاناً في التعامل معهم، لا يبخسون حقاً، ولا يظلمون نقيراً، فكيف يدعي مدعي أن الإسلام لم يحترم حقوق الأقليات الدينية؟ وأين يمكن أن نجد صوراً للإنصاف مثل هذه الصور؟[5].

---

(1) رواه أحمد في المسند عن أنس t ، ح(١٢٥٤٩)، قال المحقق: إسناده ضعيف.

(2) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، ح(٣١٦٦).

(3) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: âقُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىá [الإسراء: ١١٠]، ح(٧٣٧٦).

(4) ((الخراج))، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، المطبعة السلفية، القاهرة، ط١(١٣٤٦هـ) (١٥٠)، وينظر: ((الأموال))، أبو عبيد القاسم بن سلام، دارالفكر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢ (١٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد خليل هراس (١/١٦٣).

(5) ينظر ما كتبه صاحب كتاب ((أهل الذمة في الإسلام)) د. أي سي ترتون، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية =

رابعاً: حكم تقلد غير المسلم المناصب القيادية:

تدور المسألة الخلافية في حكن تقلدهم المناصب والوظائف العامة عدا الإمامة العظمى وهي رئاسة الدولة إذ قرر أغلب الفقهاء على عدم جواز تنصيبهم. إلا أن بعض الكتاب توسعوا في المسألة وانطلقوا من اعتبار الدولة الحديثة ليست دولة دينية، ولا يمكن أن ينفرد فيها الحاكم برأيه؟؟ بل إن بعضهم قال إن الهيئة الاستشارية التي معه جزء منه في الحكم[1].

ويمكن تفصيل الأقوال المعتبرة في هذه المسألة بما يأتي:

١- الأصل أن لا يتولى الوظائف الخاصة والعامة إلا أهل الإسلام، لأن غير المسلمين قوم لا تؤمن خيانتهم، ولا يجوز أن يولى الكتابي شيئاً من ولايات المسلمين على جهات سلطانية ولا أخبار الأمراء، ولا غير ذلك من المناصب الهامة ذات المساس بمصالح الأمة وقوتها[2].

واستدلوا بجملة من الأدلة منها قوله تعالى: â**وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**á [النساء: ١٤١]، ولا أعظم من سبيل الأمرة والولاية والسلطة العامة أو الخاصة، فهي تقتضي أن يكون للكافر على المؤمن سبيل قوي، وهذا منهي عنه.

كما استدلوا بجملة من الآثار عن السلف رحمهم الله جميعاً نذكر منها[3]:

- أن أبا موسى الأشعري t قال: قلت لعمر t: ((إن لي كاتباً نصرانياً))، قال: مالك قاتلك الله! أما سمعت الله يقول: â**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ**

= للكتاب، ط٣ (١٩٩٤م)، فقد أنصف المسلمين في هذا: صفحات (١٣٩+١٥٩+٢١٤).

(١) ((مبادئ نظام الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديث)) د. عبد الحميد متولي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط٤ (١٤٠٨هـ) (٢١٠- ٢١٢)، وكذلك كتاب ((الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين في عصور التاريخ الإسلامي وفي العصر الحديث))، د. عبد المنعم أحمد بركة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١ (١٤١٠هـ)، ص(٢٩٣)، وينظر: ((الولايات العامة لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي)) طارق البشرى، مرجع سابق.

(٢) الفتاوى الكبرى، أحمد بن تيمية، دار المعرفة، بيروت (ب ت) [٦١٠/٤]، وينظر: مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية (٥١٢).

(٣) للاستزادة: أحكام أهل الذمة مرجع سابق (٢١١/١)، واقتضاء الصراط المستقيم، مرجع سابق (٥٠/١).

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ á [المائدة: ٥١]، ألا اتخذت حنيفاً مسلماً، قال: قلت: يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أضلهم الله ولا أدنهم إذ أقصاهم الله))[1]، والآثار عن عمر t في هذا المعنى كثيرة، حيث كان ينهى عن استخدام الكفار في أعمال المسلمين، منها أنه كتب لبعض عماله: ((ولا تستعن في أمر من أمور المسلمين بمشرك))[2]، وقد كان توظيفهم في أول الإسلام قليلاً جداً، لذا لم ترد نصوص صريحة في النهي عن ذلك أو بسط المسألة بسطاً كاملاً، أو أن الأمر كان مستنكراً عندهم فلم يُمكَّن أحد من الكفار من أمرة أو سلطة.

وبهذا يكون أصحاب هذا القول قد قرروا أنه لا يجوز تمكين أهل الذمة من الوظائف التي يحققون من خلالها الاستعلاء على المسلمين، وأن الاستعانة بهم لا تجوز إلا عند الضرورة القصوى وبقدر ضئيل لا يشكل خطراً أو ضرراً على الإسلام والمسلمين[3].

٢- قول من قال إن الوظائف الدينية داخل الدولة لا يجوز أن يتقلدها غير المسلم، أو ما غلب عليه صبغة دينية من هذه الوظائف كالإمامة ورئاسة الدولة، والقيادة في الجيش والقضاء بين المسلمين والولاية على الصدقات ونحو ذلك فهذه مناصب قيادية تمس مصالح المسلمين لابد أن يتولاها أفراد مسلمون، حتى يحكموا بما أنزل الله، وحتى يتحكم في مصائر المسلمين أشخاص مسلمون دون غيرهم[4].

فالإمامة أو الخلافة رياسة عامة في الدين والدنيا، خلافة عن النبي r، ولا يجوز أن يخلف النبي في ذلك إلا مسلم، ولا يعقل أن ينفذ أحكام الإسلام ويرعاها إلا مسلم.

وقيادة الجيش ليست عملاً مدنيا صرفاً، بل هي عمل من أعمال العبادة في الإسلام إذ

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، مرجع سابق (١/ ١٦٥)، قال المحقق: لم أعثر عليه، وقد أشار البيهقي في سننه إلى قصة تشبه ما أورده المؤلف، وهي في ((سنن البيهقي))، كتاب الجزية، باب لا يدخلون مسجداً بغير إذن، (٩/٢٠٤).

(٢) أحكام أهل الذمة (١/٢١١) وما بعدها.

(٣) الموالاة والمعاداة، مرجع سابق، (١/ ٧٩٩)، وينظر: ((الإسلام))، سعيد حوى، دار السلام، (القاهرة، ط١ (ب ت)، ويرى رحمه الله أنه لا يجوز شغل غير المسلمين لأي وظيفة من وظائف الدولة (١٣/٢).

(٤) ((مصر في عصر الفاطميين)) محمد بركات البيلي، دار النهضة العربية القاهرة، ط١(١٩٩٥م) ص٥٠

الجهاد في قمة العبادات الإسلامية.

والقضاء إنما هو حكم بالشريعة الإسلامية، ولا يطلب من غير المسلم أن يحكم بما لا يؤمن به وما عدا ذلك من وظائف الدولة يجوز إسناده إلى أهل الذمة، إذا تحققت فيهم الشروط التي لابد منها من الكفاية والأمانة والإخلاص للدولة، بخلاف الحاقدين الذين تدل الدلائل على بغض مستحكم منهم للمسلمين[1].

٣- جواز توليهم المناصب القيادية ما عدا منصبي الخلافة العامة (رئيس الدولة) ووزارة التفويض (رئاسة مجلس الوزراء في عصرنا) أما سواها فجائز، مثل وزارة التنفيذ وهي الوزارات التنفيذية المعاصرة التابعة لرئيس الوزراء في الأنظمة المعاصرة، فأصحاب هذا القول ينون رأيهم على أن المناصب المذكورة مناصب إدارية تابعة لسياسة الدولة العامة، وتحت رأي وعين الرئيس الأعلى ورئيس الوزراء، فمتى ما تم اختيار أهل الكفاءة والأمانة والخبرة، فإن هذا الأمر جائز[2].

والذي يظهر مما سبق ومن دلائل الواقع وآثاره أن الأصل عدم تقلد غير المسلم المناصب القيادية المؤثرة، ولو لم تكن مناصب دينية لأن تأثيرهم في الإعلام أو التعليم أو الاقتصاد قد يكون كبيراً، لكن تقع الإشكالية الكبرى في الدول الإسلامية التي تكون نسبة غير المسلمين فيها عالية، أي تتجاوز (٢٠٪) وهي نسبة مؤثرة تؤهلهم حسب أنظمة بعض الدول إلى أن يكونوا في مناصب وزارات التنفيد ومن هنا تبقى المسألة مخصوصة بعلماء كل قطر فهم أدرى بمصالحهم ومقاصدهم ومآلات الأحكام في واقعهم.

خامساً: آثار ولاية غير المسلمين في بلاد الإسلام:

المتتبع لما حل بالأمة الإسلامية في حال وجود غير المسلمين في المناصب القيادية يجزم بان وجودهم كان للتخريب والتغريب، ويمكن رصد أهم الآثار التي حصلت للأمة الإسلامية من

---

(١) غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، القرضاوي مرجع سابق (٢٣)، بينما يرى أبو الأعلى المودودي، استثناء المناصب الرئيسية التي يحددها أهل اخبرة، والقاعدة فيها أن الخدمات التي تتعلق بوضع الخطط العملية وتوجيه دوائر الحكومة المختلفة هي ذات المنزلة الخطيرة، ومثل هذه الخدمات التي لا تُسْند في كل نظام مبدئي إلا إلى الذين يؤمنون بمبادئه، ينظر: ((حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية)) أبو الأعلى المودودي، دار الفكر، بيروت (ب ت)، ص(٣٤- ٣٥).

(٢) الأحكام السلطانية، الماوردي، مرجع سابق، ص(٢٥)، وينظر: ((نحو فقه جديد للأقليات)) د. جمال الدين عطية محمد، دار السلام، القاهرة، ط٢ (١٤٢٨هـ) (٩٣- ٩٥).

بعض هؤلاء القيادات:

١- إثارة الشبهات حول الإسلام وأنه دين لا يتناسب مع المدنية وروح العصر، مما يعني أن المسلمين لا يمكنهم أن يتماشوا مع الحضارة المعاصرة ما داموا متمسكين به[1].

٢- إقصاء الشريعة الإسلامية من كل شيء في الحياة، ليس الحكم فحسب، بل حتى من المعاملات والأخلاق والحياة العامة، حتى تصبح الأمة منسلخة عن عقيدتها.

٣- السعي إلى تذويب شخصية أفراد المجتمع، وإقصاء الدين من حياتهم بدعوى التسامح والمعايشة، وبه تهدم عقيدة الولاء والبراء، وتضعف رابطة أخوة الدين، وتنفصم عرى الإيمان في قلوب الناس.

٤- الضغط السياسي لمحاولة تغريب الأمة، وتغيير بعض الأنظمة فيها، وإقصاء المؤسسات الدينية التي لها علاقة بحياة الناس، والتضييق على أي مؤسسة أو هيئة ذات نفوذ وطابع ديني قريب من الناس؛ ومحاولة تغريب المرأة المسلمة بدعوى المشاركة في الحياة السياسية[2].

٥- استهداف الإعلام والثقافة في المجتمع، ومحاولة بسط ثقافة جديدة لها علاقة بدينهم ومعتقداتهم من خلال منابر الإعلام والثقافة في المجتمع، ومن أخطر ما في الثقافة أن ينطلقوا في نشر دينهم والدعوة إليه في صفوف المجتمع المسلم.

٦- غالب غير المسلمين يكون ولاؤهم الأكبر للدولة التي ترعى دينهم، ولذا رأينا في مصر ما حصل مع اللورد كرومر، إذ كان تعيينه لأبناء ديانته دليلاً على هذا الولاء، بل إن هؤلاء صرحوا بولائهم للإنجليز.

٧- إماتة اللغة العربية وإحياء اللغات الأجنبية وبخاصة الإنجليزية، لأنهم يرون أن اللغة العربية ملتصقة بالإسلام، وعليه فلا يمكن الالتفاف حولها لأنها تعيد المسلمين للقرآن.

٨- لا يتخيل من غير المسلم أن يعمل في الدولة الإسلامية ويصدر قرارات يرى فيها مصلحة الإسلام ورفعة شأنه: «ويجب أن لا نتعامى عن الحقائق فنحن لا نتوقع من شخص غير مسلم مهما كان نزيها مخلصا وفيا، محباً لبلاده، متفانياً في خدمة مواطنيه، أن يعمل من صميم

---

(١) اللورد كرومر، سبقت الإشارة إلى قوله.

(٢) «أباطيل وأسمار»، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط١(١٩٧٢م).

فؤاده لتحقيق الأهداف الايديولوجية للإسلام، وذلك بسب عوامل نفسية محضة لا نستطيع تجاهلها)) [1].

وعليه فإن المشاركة في الحوار الحضاري لا تعني أن نعيش الاستكانة والخوف، وأن نخضع في ظل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فندخل بضعف وخور، ونلزم من باب المساواة أن نعين غير المسلمين في مناصب القيادة، بينما هم _الغرب_ أبعد عن تطبيق جزء من العدل في نظام الحكم مع كثرة المسلمين في دولهم.

# # #

(1) منهاج الإسلام في الحكم، محمد أسد، ترجمة وتحقيق: منصور محمد ماضي، دار العلم للملايين، ط٦ (١٩٨٣) ص(٨٣).

المبحث الثاني: تعزيز مفهوم الدولة الإسلامية

أولاً: تعريف الدولة:

كلمة دولة قديماً كانت تدل على وجود مجتمع فيه طائفة تحكم وأخرى تطيع، وقد تشكلت الدولة عبر الزمان من خلال مساحة أرض يقطن بها نفر من الناس، وتتوافر لديهم أسباب المعيشة، فيكوّنون دولة بمفهوم عام، ويحكمهم فرد أو جماعة أو قبيلة، وربما يكونون لهم دستوراً أو أحكاماً معينة يسيرون عليها.

وقد تطورت أشكال الدولة وأنماطها من مجتمع إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن أنظمة إلى أنظمة... هذا التطور والاختلاف شكل صوراً من الحكم والنظر إلى الدولة تختلف باختلاف الثقافة المسيطرة على هذه الدولة.

تعريف الدولة: الدولة في اللغة – بتشديد الدال مع فتحها أو ضمها - : العاقبة في المال أو الحرب، وقيل: بالضم في المال، كما في قوله تعالى: â**كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ**á [الحشر: ٧]، وبالفتح بالحرب، والإدالة الغلبة، أديل لنا على أعدائنا أي نصرنا عليهم، وكانت الدولة لنا، ومن هنا جاء لفظ الدولة للدلالة على الغلبة، وإلا لما صارت دولة[١].

تعريف الدولة اصطلاحاً: شعب مستقر على إقليم معين، وخاضع لسلطة سياسية معينة. فيتضح أن التعريف جمع الأركان الثلاثة للدولة وهي: الشعب، والإقليم، والسلطة[٢].

وتعرف بعض المعاجم الفلسفية الدولة بأنها مجتمع منظم، ذو حكومة مستقلة، ويضطلع بدور شخص معنوي اعتباري مميز تجاه المجتمعات المماثلة الأخرى التي يقيم معها علاقات[٣].

(١) لسان العرب، مرجع سابق (١١/ ٢٥٢).

(٢) الإسلام والدستور، د. توفيق السديري، وكالة المطبوعات والنشر العلمي، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط١ (١٤٢٥هـ)، ص ٣.

(٣) ((المعجم الفلسفي))، إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط١ =

-مفهوم الدولة في الإسلام:

هناك تضارب شديد بين كتاب السياسة الإسلامية، أو (الإسلام السياسي) – كما يسمونه- هذا التضارب منشؤه أن بعضهم يرى أن مفهوم الدولة الإسلامية – كما هو في الخطاب السياسي الإسلامي المعاصر – ليس له معنى، ويجب التخلي عنه، وينادي بتعبير: (دولة المسلمين)[1].

وهناك فئة أخرى ترى أن الإسلام لم يأت لإقامة دولة سياسية، فهو دين بمعزل عن الدولة، وهذه النظرة هي نتاج طبيعي للاستعمار الغربي الذي حكم ديار المسلمين، حيث استطاع أن يغرس في عقولهم وأنفسهم هذه الفكرة، ونجح في خلق فئات تؤمن أن الدين لا مكان له في توجيه الدولة وتنظيمها، وأن الدين شيء والسياسة شيء آخر، وأن هذا يجري على الإسلام كما جرى على النصرانية، وعليه أقاموا الدولة العلمانية في بلاد المسلمين بدءاً بتركيا (الدولة العثمانية)، ثم تتابعت الدولة الإسلامية في تقليد هذا النموذج[2].

بينما شهدت العشرينيات من القرن العشرين عودة إلى الدعوة إلى الخلافة الإسلامية نتيجة هذه الموجة من العلمانية ورد فعل لها، وتبنى هذه الدعوة مجموعة من العلماء الذين أصدروا نتاجاً فكرياً[3].

ويرى أقوام أن نميز بين ما يسمى بالنظام السياسي في الإسلام ومفهوم الدولة الإسلامية،

= (١٩٨٣م)، ص (٨٥).

(١) ((الإسلام والدولة الحديثة))، عبد الوهاب الأفندي، دار الحكمة، لندن، ط١ (٢٠٠١م)، ص (١٨٣).

(٢) ((من فقه الدولة في الإسلام))، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط٥ (١٤٢٧هـ)، [١٤- ١٩].
ومن أبرز مظاهر نجاح هذا الغزو أن تسلل إلى بعض العلماء الشرعيين، حيث أصدر الشيخ علي عبد الرازق كتابه الوحيد: ((الإسلام وأصول الحكم)) الذي أحدث ضجة كبيرة، ورد عليه علماء الأزهر مثل الشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ محمد بخيت المطيعي.

(٣) ((الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر))، عبد الإله بلقزيز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١ (٢٠٠٢م) [٤٢]، وهناك من علق الدين على الخلافة مثل حزب التحرير المعاصر، ينظر: موقعهم على الشبكة العنكبوتية: www. hizb_ut_tahrir.info.، وينظر: ((قراءات في فكر حزب التحرير الإسلامي))، جواد بحر النتشة، مطبعة الهدى، فلسطين، ط١ (٢٠٠٧م)، وينظر: مقال: ((الدولة الدينية لدى الإسلاميين المعاصرين))، رضوان السيد، موقع إسلام أون لاين.

فالنظام السياسي يشير إلى مجموعة القواعد والمبادئ والأهداف التي تحدد نمط ممارسة السلطة العامة في المجتمع، سلطة الحكم، أي أسلوب استثمار الموارد المادية والمعنوية التي ينطوي عليها حقل سياسي معين، بينما ينفي هؤلاء مصطلح: (الدولة الإسلامية) لأنه يعبر عن تأثر الفكر الإسلامي المعاصر الشديد بالفكر القومي الحديث السائد[(1)].

وفي المقابل لا يرى بعض المفكرين غضاضة من استخدام لفظة: (دولة إسلامية) إذ يقر هؤلاء بأن نموذج الدولة الإسلامية ليس فيه نص قرآني أو نبوي يحدد شكله، ولذلك فإن لعلماء المسلمين أن يجتهدوا في شأن هذه الدولة في كل عصر بما يحقق مصلحتهم في عصرهم، ولا يغلق الباب أمام من يأتي بعدهم ليجتهدوا كما اجتهدوا، فيقرر هؤلاء أن مصطلح (الدولة الإسلامية) ليس تعبدياً، وإنما النظام الذي يدعو إليه الإسلام، والأسس التي وضعها الشارع وفق نصوصه المقاصدية الي تهدف إلى تحقيق المثل أو الغايات العليا هي التي يجب تطبيقها وعدم المساس بها، فالدولة في النظام السياسي الإسلامي ليست دولة كهنوت أو ثيوقراطية تتحكم في رقاب الناس، بل هي دولة مدنية تحكم بالإسلام وتقوم على الشورى، فكما أن دولة الإسلام بعيدة عما عرف باسم الدولة الدينية التي ظهرت في العصور الوسطى الأوربية، وتحكمت في الناس باسم الدين، فهي أيضاً ليست دولة علمانية تنكر الدين وتتنصل منه، بل هي دولة مدنية تقيم في الأرض أحكام السماء، وتحفظ بين الناس أوامر الله ونواهيه[(2)].

أما عند الدخول في فهم مصطلح (الدولة الإسلامية) فإن الأصل أنه كان يطلق على الدولة التي غالبية سكانها من المسلمين – في العصر الحاضر – مع أن هذا الإطلاق لم ينضبط، ولم تستطع منظمة المؤتمر الإسلامي أن تحدد له معالم واضحة – كما سبق – وعليه فإن مفهوم

---

(1) النظام السياسي في الإسلام، د. برهان غليون، ود. محمد سليم العوا، دار الفكر، بيروت، ط1 (2004)، وهذا رأي د. برهان غليون، وستأتي الإشارة إلى رأي العوا بعد قليل.

(2) هو رأي د. محمد سليم العوا في المرجع السابق، ود. يوسف القرضاوي: ((من فقه الدولة))، مرجع سابق، وينظر: مقال نقل جميع هذه الآراء تحت عنوان: ((المواطنة ومفهوم الدولة المدنية))، عبد الرحمن الحاج، على موقع الملتقى الفكري للإبداع www.almultaka.net.، وينظر: أبحاث مؤتمر الحركات الإسلامية والمجال السياسي في البلاد العربية، كلية العلوم القانونية – جامعة القاضي عياض، المغرب 21-22 يونيو (2007م)، وهي منشورة على موقع مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية: www.dctcrs.org.

الدولة الإسلامية ينبغي أن يأخذ معياراً بناء على الأسس والضوابط التي جاء بها الشرع مع نقدها وتمحيصها نقداً علمياً من حيث صحتها، ومراد الشارع منها، وغير ذلك من ادوات النقد العلمي، بالإضافة إلى الاستفادة من الخبرات التاريخية، والمعاصرة في وضع أُطر معرفية للنظام السياسي الإسلامي يقوم على العقيدة الصحيحة.

كما أن وضع هذا المفهوم للأمة أو الدولة لا ينفي أهمية الاعتراف بالروابط الإقليمة والقومية، وتأثيرها على تكوين الهوية الفردية والتعاون الاجتماعي، لكنها لا ترتقي في أهميتها إلى مستوى الرابطة العليا، وهي الوحدة الإسلامية التي تجمع الشعوب المسلمة للولاء النهائي، وهو الولاء للأمة الإسلامية، لكنه ولاء لا ينفي قيام ولاءات ثانوية ترتبط على أساس قطري معين(١).

وخلاصة الأمر أن مفهوم الدولة في الإسلام لا بد لها من أمور:

- وجود حاكم مسؤول عن إدارة شؤون الأمة، وحماية الدين، وإقامة الجهاد.
- وحدة الأمة والخضوع لسلطان الإسلام في كل شؤون حياة الناس، وإقامة شرع الله.
- إقامة الدين والدنيا وإصلاح أحوال الناس، والقيام على كل شؤنهم بما ينفعهم(٢).

ثانياً: مكانة الدولة في الإسلام:

جاءت نصوص كثيرة تبين أهمية قيام دولة أو حكم إسلامي بين المسلمين، لأن الناس لا بد لهم من سياسة، ولا يصلح تركهم فوضى لا سراة لهم، وهذا شأن عام في كل بني البشر، قال تعالى: â**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**á [النساء: ٥٨- ٥٩].

((فقد نزلت الآية الأولى في ولاة الأمور؛ عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا

---

(١) ((العقيدة والسياسة: معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية))، لؤي صافي، دار الفكر، بيروت، ط ١ (٢٠٠٢)، ص (١٣- ٤٨).

(٢) النظام السياسي في الإسلام، د. محمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان، ط٢ (١٤٠٧هـ) (ص ١٢).

حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، ونزلت الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم، عليهم أن يطيعوا أولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك، إلا أن يؤمروا بمعصية الله، فإذا أمروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإن تنازعوا في شيء ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ... وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم بالعدل: فهذان جماع السياسة العادلة، والولاية الصالحة»[1].

وقال النبي ﷺ: **(من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)**[2].

وجاءت عشرات الأحاديث الصحيحة عن الخلافة والإمارة والقضاء والأئمة وصفاتهم وحقوقهم من الموالاة والمعاونة على البر، والنصيحة لهم وطاعتهم في المنشط والمكره، والصبر عليهم، وحدود هذه الطاقة وهذا الصبر، وتحديد واجباتهم من إقامة حدود الله، ورعاية حقوق الناس، ومشاورة أهل الرأي، وتولية الأقوياء الأمناء، واتخاذ البطانة الصالحة، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر... إلى غير ذلك من أمور الدولة وشؤون الحكم والإدارة والسياسة[3].

- أما تاريخ الإسلام الدال على أهمية وضرورة الدولة الإسلامية فهو كثير الشواهد والدلائل، ومن هذه الشواهد في عهد النبي ﷺ:

- ١- وضوح المنهج السياسي في دعوة النبي ﷺ منذ الأيام الأولى من بعثته، وهو ما أدركته قريش، فقد ذهبت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها مع الرسول ﷺ إلى ورقة بن نوفل[4] —وقد

---

(١) السياسة الشرعية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، طبع وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط١ (١٤١٨هـ)، [ص: ٦].

(٢) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، ح (١٨٥١).

(٣) من فقه الدولة، للقرضاوي، مرجع سابق (١٦)، وينظر: «السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها»، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣ (٢٠٠٨م)، ولمزيد من النصوص ينظر: «الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة»، د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط٢ (١٤٠٩هـ).

(٤) هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، دلت أغلب الأدلة على أنه تمسك بالحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، ومات قبل دخوله الإسلام على الصحيح من أقوال أهل السير، ورجح بعضهم أنه مات على الإسلام، ويستدلون بحديث رؤيا النبي ﷺ له في المنام وعليه ثياب بيض، وهو عند الترمذي، كتاب الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا =

تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الإنجيل وهو شيخ كبير قد عمي- فأخبره رسول الله r خبر ما رأى، فقال له ورقة: ((هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، ياليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله r: **(أو مُخْرِجِيَّ هم؟)**، قال: نعم، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي))[1]، وقد فهم صناديد قريش أن هذه الرسالة ليست رسالة تعبد فردي فحسب، بل هي رسالة عامة لإقامة الدين والدنيا، لهذا عادوا صاحبها لأنه سيأخذ منهم زمام الحياة السياسية ويوجهها إلى الله بشرع الله.

٢- الأمر بالهجرة إلى الحبشة: فقد كانت الهجرة إلى الحبشة في توجهها الأول سنة خمس من البعثة، ولم تكن إلا إجراء مؤقتاً قصد به حماية الأفراد المسلمين من الأذى المتواصل من قريش، وهذه الهجرة لا تصدر إلا وفقاً لنظام سياسي يحكمه قائد يعرف تحركه وخطواته[2].

٣- عرض رسول الله r نفسه على القبائل: وهذا العمل محاولة ظاهرة لتوسيع نطاق الدعوة إلى الله، وإيجاد ملاذ آمن لإقامة الدولة الإسلامية، وهذا ما قاله r لمن يعرض عليهم نفسه: ((**ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي**))[3].

فهذا العمل من النبي r يعد صورة واضحة تؤكد بحثه عن مكان آمن في أرض العرب حتى يؤدي رسالة ربه، بل إن طلب النصرة والمنعة من القبائل تُعدُّ محاولة منه r لإيجاد منطلقات آمنة للدعوة الإسلامية.

وقد تبع هذا الأمر بيعتا العقبة الأولى والثانية، وهما أساس قيام الدولة الإسلامية في المدينة، حيث أسست هذه الأعمال لقيام فئة مؤمنة بتحضير الناس لقبول التحول الكبير، وقيام

= النبي الميزان والدلو، ح (٢٢٨٨)، وهوضعيف، ينظر: ترجمة ورقة بن نوفل في البداية والنهاية (٢/ ١٨٢).

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيفية كان بدء الوحي إلى رسول الله r، ح (٣).

(٢) النظام السياسي في الإسلام، عبد القادر أبو فارس، مرجع سابق (١٣٤)، وينظر بشأن الهجرة إلى الحبشة: ((سيرة ابن هشام))، مرجع سابق (١/ ٣٢١).

(٣) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في القرآن، ح (٤٧٣٤)، ورواه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب، ح (٢٩٢٥)، وقال: حديث حسن غريب صحيح، وصححه الألباني في التعليق على الكتابين.

نظام إسلامي يتعامل مع عناصر المجتمع المختلفة، ويقيم دولة جديدة[1].

ثم كانت الهجرة النبوية إلى المدينة وهي بداية الفترة الثانية من عهد النبوة والمسماة بالعهد المدني، وفيها تكونت الدولة الإسلامية وأصبح لها كيان، وكان رسول الله ﷺ يتولى جميع ما يتعلق بولاة الأمور، ويولي في الأماكن البعيدة عنه، وكان يؤمر على السرايا والبعوث، ويبعث على الأموال الزكوية السعاة، ويستوفي الحساب على العمال ويحاسبهم[2]؛ وهي أعمال لا يقوم بها إلا صاحب سلطة سياسية.

٤- الأعمال التي قام بها النبي ﷺ في المدينة على أساس الحكم السياسي والإمرة، فهي أعمال تستلزم القائد السياسي، ونظام الحكم، وتقسيم الأعمال والمهام في الدولة، ومن هذه الأعمال: بناء المسجد، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وتوضيح العلاقات بين المسلمين وغيرهم، وإقامة الجهاد، وإبرام العقود والاتفاقيات، وتشريع التنظيم الداخلي في كل المجالات، وإرسال الرسل والرسائل إلى الملوك وغيرهم[3].

هذه أهم الشواهد من تاريخ الإسلام في العهد النبوي لأهمية الدولة وضرورة قيامها.

- طبيعة الإسلام تحتاج إلى دولة: الإسلام دين عام وشريعة شاملة، وشريعة هذه طبيعتها لا بد أن تتغلغل في كافة نواحي الحياة، ولا يتصور أن تهمل شأن الدولة، ولا أن تدعها لاجتهاد البشر وأهوائهم، لأن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، وهذا الرأس يكون للأمور البسيطة اليسيرة، فكيف به في الأمور العظيمة التي تتعلق بالأمة، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وإقامة الحج والأعياد

---

(١) الحياة السياسية في الدولة الإسلامية، محمد جمال الدين سرور، دار الثقافة، مصر، ١٩٩٠م (ص ١١). وأما أحاديث بيعتي العقبة فهما في صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة، وبيعة العقبة ح(٣٨٨٩- ٣٨٩٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، مرجع سابق (٢٨/ ٨١)، وينظر أحاديث الهجرة في: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ح (٣٨٩٧- ٣٩٣٢).

(٣) ينظر للاستزادة: ((النظام السياسي في الإسلام))، د. سليمان العيد، دار الوطن، ط١ (١٤٢٢هـ)، وينظر: ((مجوعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة))، محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت، ط٥ (١٤٠٥هـ).

ونصرة المظلومين وإقامة الحدود[١]... كل هذه الأمور بطبيعتها تقتضي وجود دولة، وإلا ضاعت فإذا ضاعت ضيع الناس جزءاً كبيراً من شرائع الدين.

كما أن الدعوة إلى الإسلام تحتاج إلى دولة تقوم عليها وترعى مصالح أتباعها ودعاتها، وتتبنى قيامها، هذه الدولة المنشودة ضرورة إسلامية وإنسانية لأنها ستقدم للبشرية المثل الحي لاجتماع الدين والدنيا، والتوفيق بين الرقي الحضاري والسمو الأخلاقي، وتطبيق شرع الله تعالى في الأرض وتقديم النموذج المبني على الأسس والضوابط الشرعية في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية، بل وفي كل مناحي الحياة[٢].

فالدولة ضرورة بشرية وفريضة شرعية لازمة، غايتها حراسة الدين، وبسط العدل ورعاية مصالح الناس، وفيها وظيفة اجتماعية ومسؤولية يتحملها كافة المواطنين فيها، فكل فرد مسؤول عنها ومحاسب عليها باعتبارها أداة المجتمع المهمة لتنمية الإنجاز الاجتماعي في خدمة أهدافه المشتركة، وتعزيز رصيده الحضاري والإنساني داخل المحيط الدولي، وهي بهذا المفهوم لا غنى عنها لتحقيق مقاصد الإسلام في حفظ الضروريات، والقيام بالواجبات الجماعية التي لا يستطيع الأفراد أن يقوموا بها[٣].

ثالثاً: تعزيز مفهوم الدولة الإسلامية:

إن إقامة المجتمع الإسلامي بكل معالمه وأصوله الأساسية التي تحددت معالمها في نصوص الشرع يقتضي تحقيق هدفين هما: إقامة الدين، وتحقيق مصالح المحكومين، فالدولة بكل من فيها يجب عليهم أن يسعوا لتحقيق هذين الهدفين اللذين بهما تصلح الدنيا والدين، وشرعية السلطة في الدولة الإسلامية مرهونة في قيامها وفي استمرارها والتزامها بالعمل على تحقيق تلك الغاية، أو ذلك الهدف النهائي للدولة الإسلامية، فمتى ما خرجت السلطة على مقتضى ذلك الشرط انقضت ولايتها[٤].

---

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية، مرجع سابق (١٢٩ بتصرف).

(٢) من فقه الدولة، للقرضاوي، مرجع سابق (١٨- ٢٧).

(٣) ((الإخوان المسلمون ومفهوم الدولة))، بحث منشور على شبكة إسلام أون لاين، د. عصام العريان.

(٤) ((أهداف ومجالات السلطة في الدولة الإسلامية))، د. فوزي محمد طايل، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ١ =

والدولة الإسلامية في نصوص الشرع لم تأت بشكل من أشكال الحكم أو صورة دقيقة لكل صغيرة وكبيرة محددة التفاصيل لأن هذا يجعلها عرضة لأن يجرفها الزمن بتغير أحواله وتبدل حالاته، ولم يُترك الأمر أيضاً مهملاً فارغاً لتملأه الأهواء ومصالح البشر، بل قدم الإسلام للناس مبادئ وقواعد عامة أثبتت التجارب البشرية صلاحيتها؛ وقدمها الإسلام مع تقرير العبودية في كل شأن من شؤون الحياة، فجاءت النظم والتعليمات بشكل عام وخطوط عريضة، وتركت التفصيلات للناس يضعونها كيف ناسب، ويبنون حياتهم حسب مصلحتهم ووقتهم دون الإخلال بالأسس والأصول التي وضعها الإسلام.

ويمكن إبراز وتعزيز مفهوم الدولة الإسلامية في الحوار الحضاري من خلال التأكيد على هذه الأسس والأصول، وبيان محاسن الإسلام في التشريع السياسي ولعلي هنا أذكر بعض المبادئ المهمة لهذا الأمر:

١- وضع الإسلام القواعد العامة، والأسس المهمة التي يقوم عليها الحكم وترك تفصيلاتها للناس مثل:

- **البيعة:** وهي ميثاق الولاء والالتزام من الجماعة المسلمة لإمامهم، وهي تكريم من الإسلام للمسلمين بأن يكون كل واحد منهم يملك حق المشاركة في البيعة، واختيار الحاكم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[الفتح: ١٠].

واشترط شروطاً معينة في من يتقدم أو يختار للبيعة، لأن أمرها عظيم، واختيار الأصلح هو الأسلم لمصالح الناس(١).

- **الشورى:** وتكون بالرجوع إلى آراء أهل الخبرة من أفراد الأمة ممن لهم معرفة وتجربة، أو من أهل الاختصاص بالأمر موضوع الشورى كأن يكون طبيباً أو مهندساً أو عسكرياً أو

= (١٩٨٦م)، ص ٥ وما بعدها بتصرف.

(١) أهل الحل والعقد صفاتهم ووظائفهم، د. عبد الله الطريقي، دارالفضيلة، الرياض، ط١ (١٤٢٥هـ)، وينظر: ((طاعة أولي الأمر))، د. عبد الله الطريقي، دار المسلم، الرياض، ط١ (١٤١٤هـ)، ص (٣)، والأحكام السلطانية للماوردي، مرجع سابق (٢٠ وما بعدها).

إدارياً، كل فيما يجيده، مع وضع ضوابط وشروط لمن يتم أخذ رأيهم في الشورى، وتنظيم الأمور التي تخضع للشورى[1].

فالشورى جزء من الدين، وجزء من الشريعة، وجزء من المنظومة الإسلامية المتكاملة. ولن تحقق هذه المنظومة أهدافها على الشكل الأكمل إلا بتشغيل جميع أجزائها، فإذا طبقت كانت صورة ناصعة للحكم الإسلامي، ومشكاة ينهل منها الآخرون، وصفحة بيضاء تضيء للأمم في حوارهم الحضاري[2].

- **العدل:** وهو مبدأ أصيل في الإسلام – كما سبق بسطه – وأساس في التشريع الإسلامي، ولا يشك العارفون بأن تحقيق العدل ملازم للطمأنينة والأمن والاستقرار في أي مجتمع من المجتمعات، ولذا كان أحد أبرز المثل الأساسية التي جاء بها الإسلام وأكد عليها في نصوصه، وأمر بها أتباعها مع أنفسهم وأهلهم وأعدائهم، بل جعل العدل أساساً لقيام الحياة بكل صورها.

- **المساواة:** وهي عدم التفرقة بين الناس في الحقوق والواجبات على أساس عرقي أو قبلي، أو إقليمي أو طبقي أو غير ذلك من الأمور التي هي خارجة عن إرادته وسعيه.

وقد ساوت الشريعة بين الناس جميعاً، بين الأفراد والجماعات، بين الأجناس والشعوب، بين الحكام والمحكومين فلا قيود ولا استثناءات بل حقوق وواجبات تختلف باختلاف المسؤولية، ويكون التفاضل بينهم بالتقوى، كما قال تعالى: â**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** á [الحجرات: ١٣].

- الحرية: وهي الإذن للإنسان بالتصرف في شؤونه كلها، بما لايخالف الشريعة الإسلامية، وأن يقول كلمة الحق، وأن يطالب بحقوقه كاملة بعد أداء واجباته.

---

(١) ((الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي))، عبد الرحمن عبد الخالق، الدار السلفية، الكويت، ط٢ (١٤٠٨هـ).

(٢) الشورى في معركة البناء، د. أحمد الريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ط١ (١٤٢٨هـ) ص (١٤٥).

- المسؤولية: وهي تكليف كل فرد في الدولة الإسلامية بجزء من المسؤولية يختلف حسب مكانه وقدرته، وأعظم المسؤولية هي مسؤولية الحاكم لهذه الدولة، فهو مطالب بالقيام بالمسؤولية أمام الله ثم أمام شعبه ورعيته، كما قال تعالى: â**فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**á [ص: ٢٦][١].

٢- قعّد الإسلام قواعد التعامل الدولي أو الخارجي من خلال مجموعة من الضوابط والأسس العامة التي جاءت بها النصوص، وترك تفصيلاتها للأحوال والأوقات حسب مصلحة الناس في كل زمان ومكان، وحسب حال السلم أو الحرب التي تمر بها الأمة، وجعل منطلق هذه العلاقات في كل حال من الأحوال الأسس العظيمة التي أقرها حال السلم، أو العلاقة الداخلية مثل: العدل، والحرية، والمساوة، مع مراعاة مصلحة الأمة الإسلامية والوفاء بالعهود والمواثيق الدولية المبرمة وفق ضوابط الشرع، وهذه القواعد العظيمة هي التي جعلت المنصفين في العالم قديماً وحديثاً يعترفون للإسلام بنظمه السياسية العظيمة التي عجزت عنها كل دول العالم الحديث التي تزعم الديمقراطية[٢].

٣- أسس الإسلام للحوار مع أبناء المجتمع الواحد من المسلمين، ومع غير المسلمين في المجتمع المسلم أو المجتمعات الأخرى، وهذا الحوار يعزز مفهوم الدولة الإسلامية ويبرز القوة عندها ويظهر نقاط الضعف لاجتنابها.

وقد أثبتت الدراسات أن الحوار المنضبط بين أفراد الدولة الإسلامية، وإيجاد المناخ الملائم لهذا الحوار دون خوف أو ضغط يؤدي إلى تعزيز الأمن الوطني بكل أشكاله، السياسي والاجتماعي والثقافي والأمني[٣].

---

(١) ((النظم والنظريات السياسية الإسلامية))، فضل الله محمد إسماعيل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط١ (٢٠٠٣م)، (٣٧٩ وما بعدها).

(٢) العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث، د. وهبة الزحيلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٠١هـ) [٥- ١٢].

(٣) ((الحوار الوطني ودوره في تعزيز الأمن الوطني للمملكة العربية السعودية)) رسالة دكتوراه، خليل بن عبيد الحازمي، مقدمة لجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الشرطية، عام (١٤٢٩هـ)، (مخطوطة).

ففي المجال السياسي عزز الحوار الوطني في السعودية المحافظة على الوحدة الوطنية وتعزيز فرص الإنصات للآخر مع تعزيز الجهود الإصلاحية الحكومية، وفي إيجاد تطابق بين العمل السياسي للدولة وعقيدة الأمة ومبادئها، وعدم الخضوع للضغوط الخارجية حفاظاً على سيادة الدولة.

وفي المجال الاجتماعي أعطى الحوار راحة وطمأنينة للمواطن حيال أموره الاجتماعية، وأكسبه الثقة بمسؤوليته الاجتماعية، وضرورة مشاركته في الحفاظ على دولته، وصد أي عدوان داخلي أو خارجي[(١)].

٤- أكد الإسلام على أن الدولة الإسلامية دولة هداية لا جباية أي أن أكبر همها نشر دعوتها في العالمين، وتوصيل رسالتها إلى كل مكان، وإيضاح حقيقة هذا الدين وعالميته، ونشر قيمه العظيمة بين الناس، وإيصال رحمته إلى الأرض: âوَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَá [الأنبياء/١٠٧].

٥- الدولة الإسلامية دولة لحماية حقوق الضعفاء، لا لحماية مصالح الأقوياء، فهي تفرض الزكاة، وتحرم الغش والاحتكار، وتمنع الربا، وتوجب القيام بحقوق الفقراء والمساكين وذوي الحاجات، وتقف في وجوه الطغاة والجبابرة، وتطبق شرع الله تعالى على كل أحد دون مواربة أو مجاملة أو خوف[(٢)]. مع التأكيد خلال المشاركة في حوار حضاري على أن أهم ما يحقق الأمن للمجتمع، ويحفظ حقوق أفراده هو تطبيق الشريعة الإسلامية، بل إن تطبيقها يضمن قيام العلاقات العامة للدولة على أسس سليمة[(٣)].

---

(١) درس الباحث أثر الحوار على أغلب المجالات ورصد آراء المشاركين في أثر الحوار على تعزيز الأمن بكافة صوره وأشكاله، والرسالة مختصرة على موقع الحوار الوطني – سبق ذكره- .

(٢) اشتراكية الإسلام، مصطفى السباعي، سلسلة اخترنا لك، الدار القومية للطباعة، القاهرة، ط٢ (١٩٦٠م).

وقد اعترض على عنوان الكتاب عدد من العلماء، واستغلت الثورة الناصرية هذا الكتاب للترويج لأفكارها، ولعل هذا من أهم أسباب رفض عنوانه. ينظر: ابن القرية والكتاب، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط١ (١٤٢٣هـ)، (٢/ ٨٢) حيث حكى الشيخ لقاءه بالأستاذ مصطفى السباعي رحمه الله،

(٣) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، د. عبد الله التركي، طبع وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، الرياض، ط١ (١٤١٧هـ) (١٢١- ١٢٩).

٦- الدولة الإسلامية هي دولة الحقوق والحريات، إيماناً والتزاماً، فهي توفر كافة الحقوق المتاحة شرعاً وعقلاً لمن يعيش في كنفه حتى لو كان من مخالفيه، وتضمن لهم حرياتهم التامة بما في ذلك حرية النقد والرفض والمطالبة بالحقوق، وتطالب بالواجبات المناطة بالأفراد كل حسب قدرته وطاقته، ولا يمكن للدولة أن تجعل مواطنة أفرادها مبنية على ما يقدمونه، فهذا القياس المادي الذي تنطلق منه الدول الحديثة لا يقره الإسلام، فهو يعترف بالفروق، ويوفر كافة الأساسيات في المجتمع المسلم (الدولة الإسلامية) ليتمتع بها الجميع، وتبقى الفروق العامة بحسب العطاء الفردي كل حسب قدرته ومكانته[١].

٧- الدولة الإسلامية دولة مبادئ وأخلاق، تلتزم بها، ولا تحيد عنها، في داخل أرضها وخارجها، مع من تحب ومع من تكره، في سلمها وفي حربها، فهي تجسد مكارم الأخلاق في كل حين، بينما تلتزم بعض الدول بالأخلاق في سلمها، وتنحيها في حربها بدعوى ظروف الحرب، لكن الدولة الإسلامية لا تتخلى عن هذه القيم في أي وقت أو حال، يقول تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨]،

٨- تعزيز مفهوم الدولة الإسلامية من خلال المشاركة مع العالم في تضميد الجراح، ومد يد العون للمحتاج، والمساهمة في رفض كل ما من شأنه الإضرار بالأخلاق أو البيئة أو حياة الناس على جميع المستويات؛ فإن المشاركة الفاعلة باسم الدولة الإسلامية يبني في نفوس الآخرين احترام هذه الدولة وتعزيز مكانتها في الأوساط الدولية.

٩- الدخول إلى المعترك السياسي والعلمي والبحثي بكل قوة، ودعم جميع التوجهات النافعة للأمة الإسلامية، وإثبات الحضور الفاعل للدولة الإسلامية ورجالاتها في المؤتمرات والمجامع والجامعات ومراكز الأبحاث والدراسات والاختراعات.

١٠- تشجيع القدرات العلمية الفذة والمحافظة عليهم من الهجرة إلى البلاد الأخرى، لأن في هجرتهم ضعف لقدرات الدولة الإسلامية، بينما في المحافظة عليهم تعزيز لقوة الدولة،

---

(١) الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام، محمد رأفت عثمان، دار الضياء، الأردن، ط١ (٢٠٠٨م).

وبقاء لمفهومها في نفوس الآخرين.

هذه بعض الملامح حول تعزيز مفهوم الدولة الإسلامية، ولا يتأتى ذلك إلا بمشاركة فاعلة وقوية في الحوار الحضاري بكل أشكاله وسبله ووسائله بما يخدم مصلحة الدولة الإسلامية ويحقق الأهداف العظيمة من هذا الحوار.



الفصل الخامس: الأهداف الاقتصادية

المبحث الأول: تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي

أولاً: تعريف النظام الاقتصادي الإسلامي:

تطلق كلمة (النظام) ويقصد بها مجموعة القواعد والأحكام التي تنظم جانباً معيناً من جوانب الحياة الإنسانية، ويصطلح المجتمع على وجوب احترامها وتنفيذها[١].

أما تعريف النظام الاقتصادي الإسلامي فهو مجموعة الأحكام والسياسات الشرعية التي يقوم عليها المال وتصرف الإنسان فيه[٢].

ويظهر من خلال التعريف أنه مرتبط بأحكام شرعية نص عليها الشارع، إذ الأحكام هنا من الحلال والحرام ليس الأمر فيها متروكاً للأهواء والأمزجة والعقول المحضة، وإنما هو مقصور على الإله المشرع الذي يحقق المصالح العامة والخاصة للناس، مع عدم إغفال ما يفعله الحاكم مما فيه تنظيم لأمور الناس وضبط لمعاملاتهم شريطة عدم مخالفته لنص شرعي[٣].

ويستمد النظام الاقتصادي الإسلامي قواعده من مصادر الدين الإسلامي، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية، وما أقره أهل العلم من مصادر أخرى كالإجماع والقياس والمصلحة المرسلة ونحو ذلك، مما جعل الاقتصاد الإسلامي قابلاً للتجدد والبناء ومعايشة مشكلات أي عصر يعرض له.

بل إن العلماء في الشرق والغرب يعترفون الآن أنه يوجد لعلم الاقتصاد إطار يتسم

---

(١) النظام الاقتصادي في الإسلام – مبادئه وأهدافه- . د. فتحي أحمد عبد الكريم، ود. محمد العسال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٨ (١٤١٣هـ) ص(٦).

(٢) النظام الاقتصادي في الإسلام، د. عمر المرزوقي وآخرون، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢ (١٤٢٧هـ)، ص (١٣).

(٣) النظام الاقتصادي ومدى ارتباطه بالمنهج الرباني، د. وهبة الزحيلي، دار المكتبي، دمشق، ط١ (١٤١٨هـ)، (١٢- ١٦).

بالصبغة الدينية والأخلاقية والإنسانية، يجب إعادة إدماجه في تلك المادة وفي الدراسة الموضوعية، وإن إنكار العلاقة بين علم الاقتصاد والقيم الدينية الأخلاقية كان فشلاً أو خطأ ارتكبته بعض الدراسات الاقتصادية والأنظمة المالية[١].

ثانياً: الأصول الاعتقادية والقيم الأخلاقية للاقتصاد الإسلامي:

قبل الإشارة إلى هذا الموضوع نمر على أهم نظامين اقتصاديين عرفهما العالم المعاصر وهما:

١ - **النظام الاقتصادي الرأسمالي،** وهو النظام الذي يمتلك فيه الأفراد آحاداً أو جماعات الموارد الإنتاجية ملكية خاصة، ولهم الحق في استخدامها بأية طريقة يرونها، إذ يكفل هذا النظام الحرية الاقتصادية للفرد، فليس لأحدا أن يتدخل في طريقة كسبه للمال، أو صرفه له، كما أن له الحق في تملك أموال الاستهلاك والإنتاج وأي شيء ذي أهمية اقتصادية مع البحث عن أكبر ربح، مما حدا بهم إلى الجشع، وإهمال التفاوت الكبير في الدخول والثروة ورفض الجوانب الأخلاقية والدينية والإنسانية في هذا النظام[٢].

٢ - **النظام الاقتصادي الاشتراكي:** وهو النظام الذي يتميز بتملك الدولة لعوامل الإنتاج ملكية جماعية مثل الأراضي والآلات والمصانع ونحوها، إذ يقوم على الملكية العامة مما يعني تساوي أفراد المجتمع فيما بينهم حيال هذه الملكية، مما يقيد حرية الأفراد الاقتصادية ويقتل الحافز الفردي، ويصيب الناس بفتور بواعث العمل، مع ملاحظة أن هذا النظام يحارب الأديان السماوية، ويمحو مشاعر الإخاء في النفوس البشرية[٣].

- من هنا يتبين أن النظامين «الرأسمالي والاشتراكي» ينطلقان من قاعدة اعتقادية

---

(١) الاقتصاد الإسلامي علم أم وهم، د. منذر القحف، دار الفكر، دمشق، ط١ (١٤٢٠هـ) (٨٦- ٩٠). وينظر: ((دور القيم والأخلاق في النظام الاقتصادي الإسلامي))، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ (١٤١٥هـ).

(٢) النظم الاقتصادية المعاصرة، د. محمد حامد عبد الله، طبع جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٧هـ)، ص(١٥- ٢٤).

(٣) تاريخ الفكر الاقتصادي، د. لبيب شقير، نهضة مصر للنشر، القاهرة، (ب ت)، وينظر: ((تاريخ الفكر الاقتصادي))، د. سعيد النجار، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٧٣م).

واحدة وهي (المادية وتقديس المال)، وهي سبب إقصاء القيم أو القواعد الاعتقادية لتأسيس النظام الاقتصادي، بينما ينطلق النظام الاقتصادي الإسلامي من قاعدة الإيمان بالله I وأنه رب المال، والمعطي له، وأنه أمر عباده بأمور يجب عليهم أن يلتزموها ليتحقق لهم الخير في اقتصادهم، ويمكن وضع أسس عقدية وأخلاقية لهذا النظام[1]:

(١) النظام الاقتصادي الإسلامي مرتبط بعقيدة الإسلام، فهو يقوم على الإيمان بالله تعالى، وأن هذا الكون ملك لله، وأنه هو الخالق الموجد له، المتصرف فيه، مع غناه الكامل عن خلقه، فهو الرازق الباسط المعطي المتفضل من غير حاجة لأحد: â**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**á [العنكبوت: ٦٢].

وإذا آمن العبد بهذا ساقه إيمانه إلى توحيد ربه الخالق، فلا يسأل إلا الله، ولا يطلب إلا من الله، ويوقن أن النفع والضر والعطاء والمنع من الله الواحد، وأنه قدر الأرزاق لعباده، فهو المالك وهو من سيحاسب العباد يوم القيامة على كسبهم المال وإنفاقهم له، بل إن الإيمان باليوم الآخر يوسع الأفق الزمني لأي عمل اقتصادي، فيعلم المتعامل به أن امتداده لا يقف عند الموت، بل يتعداه إلى الحساب والعقاب أو الثواب.

(٢) الله تعالى واحد خالق، وكل أحد آخر إنما هو خلق من خلقه، وعليه فإن جميع الناس ينحدرون من أصل واحد، وجميعهم سواسية، وليس ثمة طبقات للناس بعضها فوق بعض، ولا أشخاص أفضل من الآخرين من حيث حقوقهم على الأشياء أو بالموازنة مع غيرهم.

(٣) الإيمان بالله تعالى وأصول الدين يدفع إلى العمل والسعي في الأرض، فلا تعارض بين أن الله هو المالك المتصرف، وبين ملكيتنا الخاصة للأموال، لأننا عباد الله ونحن مملوكون له، وما نملك يتبعنا في ملكية الله تعالى كما قال سبحانه: â**وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ**á [النور: ٣٣]. فالله هو المالك الحق المتصرف عموماً، والبشر عليهم السعي وطلب الرزق

(١) الاقتصاد الإسلامي، د. منذر القحف، مرجع سابق، (١٠٢- ١٢٥)، دور القيم والأخلاق للقرضاوي، مرجع سابق (٣٧- ٤٤).

وأن يستفيدوا مما سخر الله لهم في هذه الأرض ويضعوا في اعتبارهم أن الجزاء الأخروي هو المقدم على أي مكسب مادي أو دنيوي، فلا يأخذ الواحد منهم إلا حقه، ولا يعتدي على غيره، ويسارع في إبراء ذمته من أي شائبة أو دنس مادي،

(٤) يقوم الاقتصاد الإسلامي على مبادئ أخلاقية عظيمة مثل العدل؛ والذي يكون في التعامل مع الأفراد ومع الأشياء، وتوازن المعاوضات والمبادلات، ومن العدل حرمة الربا والغش والتدليس والإسراف وكل ما من شأنه أن يوغر الصدور ويظلم الآخرين.

ومنها مبدأ التسخير المبني على تكريم بني آدم ورفعهم فوق سائر المخلوقات مما ينتج عن هذا التكريم حق الإنسان في الحياة واحترامها، وحصوله على حاجاته الأساسية فيها حتى ولو لم يتمكن هو من تأمينها، فهو حق ينبغي أن يضمن لكل إنسان، وهذا من أهداف التسخير.

ومن المبادئ الغيرية (من الغير) وهو مما تتفرد به الأخلاق النابعة عن الإسلام، فمن جهة تؤكد على المنافع الفردية للإنسان â**وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**á [مريم: ٩٥] مع حثه على السعي الدؤوب لما ينفعه، ولكن طريق الفلاح للفرد إنما يمر عبر تقديم المنافع للآخرين، ويحصل له الأجر الكبير على قدر نفعه للناس، لأن الإسلام لا يحب الأنانية بل يجعل الغيرية هي طريق تحقيق الفلاح، يقول تعالى: â**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً**á [البقرة: ٢٤٥] فهو يحقق للآخرين النفع، ومع ذلك جعل بمثابة القرض لله تعالى، وهو سبحانه الكريم الذي يوفي الأجور أضعافاً كبيرة، أما المبدأ الرابع فهو مبدأ الإحسان الذي يقوم على رد الجميل وشكر المنعم وطاعته على نعمه وفضله، فيدفع المسلم إلى الصدقات والتبرعات والعطف على الآخرين، وإتقان العمل، ومراقبة الله تعالى في كل الأمور: â**وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**á [القصص: ٧٧].

(٥) يقوم الاقتصاد الإسلامي على مجموعة من المبادئ المرتبطة بالعبودية لله، ومن هذه المبادئ: مبدأ الاستخلاف الذي أكرمنا الله به، فهو المالك للمال لكنه استخلفنا فيه: â**آمِنُوا**

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌá [الحديد: ٧]، وفيه إشارة إلى أن المال متنقل فهو مأخوذ من غيرك إليك، وستتركه إلى من وراءك[١].

والإيمان بهذا المبدأ يجعل الإنسان يدرك أن هذه النعم منة من الله عليه، فلا يسوقه هذا إلى البطر أو اعتقاد قوته في جمع المال، وأنه هو المحقق له دون فضل الله عليه.

ومن المبادئ كذلك مبدأ النظر إلى المال باعتباره وسيلة، فلا هو مرفوض ممقوت كما يعتقده بعض أصحاب الملل المنحرفة المحرمين لكل متع الحياة، ولا هو مقدس معظم فوق كل شيء، بل ينظر المسلم إليه بتوازن، فهو يحبه ويسعى لجمعه: **âوَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌá** [العاديات: ٨] لكن لا يغالي في التعلق به واللهث وراءه مما يجعله تعيساً في دنياه وآخرته كما قال **r** : (**تعس عبد الدينار وعبد الدرهم، وعبد الخميصة...**)[٢]، فالمال وسيلة لتحقيق الحياة السعيدة المؤهلة للآخرة.

ومن المبادئ العظيمة مبدأ كفاية الخيرات لحاجات البشر، فهذه الخيرات المودعة في الأرض كافية لحاجات البشر وجميع الدواب، كما قال تعالى: **âوَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُá** [العنكبوت: ٦٠]. فكل كائن على وجه الأرض له قدر من الرزق، لكن البشر لم يستخدموا التوزيع الأمثل لهذه الموارد،. بل إنهم تصارعوا عليها، وحرموا بعضهم منها[٣].

ثالثاً: صور العدل والمصلحة في النظام الاقتصادي الإسلامي:

(١) أقرت الشريعة الإسلامية الملكية العامة والخاصة، ولم تهمل طبيعة الإنسان في حب التملك، كما أنها لم تحرم الدولة من حقها في التملك العام التي يرجع حقها إلى بيت مال

---

(١) تفسير ابن كثير، مرجع سابق (٤/ ٣٠٦)، وتفسير الطبري، مرجع سابق (٢٢/ ٣٨٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، ح (٢٨٨٧).

(٣) موسوعة تصحيح المفاهيم، د. أحمد شوقي الفنجري، مرجع سابق (١/ ٣٤٠).

المسلمين، مثل تملك المعادن ومصادر الدخل الشرعية كالزكاة والخراج والجزية وما في حكمها.

أما تملك الأفراد فلم تجعل الشريعة حداً لما يتملكه الإنسان ما دام من خلال الوسائل المشروعة، وله حق التصرف فيه على أي نحو كان ما لم يكن ممنوعاً شرعاً[١]، كما أقرت مبدأ الحرية الاقتصادية التي طغت في النظر إليها الأنظمة الوضعية، فأقرها الإسلام بضوابط وحدود.

(٢) حرم الإسلام كل ما من شأنه أن يجعل المال وسيلة للشقاق، أو أن يدفع صاحبه إلى ظلم الآخرين، أو أن يتسبب في زعزعة النظام الاقتصادي والإضرار بالأمة الإسلامية، فحرم الربا بكل صوره وأشكاله، كما قال تعالى: âوَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَاá [البقرة: ٢٧٥].

وقد لعن النبي r : (آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال: هم سواء)[٢]، والسبب في شمول اللعنة لهؤلاء التضييق الكامل وقطع الطرق على مثل هذه الأعمال حتى لا تجد لها في المجتمع المسلم طريقاً[٣].

كما حرم الظلم والجشع والطمع وأكل أموال الناس بالباطل، والاتجار في المحرمات وكل ما من شأنه أن يؤثر على الأفراد أو المجتمعات.

(٣) شرع الإسلام بعض التشريعات المالية التي تجلت فيها صور السماحة والإتقان ونفع المجتمع ومن هذه التشريعات:

أ- الزكاة[٤]: وهي ركن من أركان الإسلام، شرعها الله لحكمة سامية، فهي عبادة وخضوع واستجابة لأمر الله، وتعويد للإنسان على بذل المال ونفع الآخرين وتكافل المجتمع

---

(١) الاقتصاد الإسلامي مدخل ومنهاج، د. عيسى عبده، دار الاعتصام، القاهرة، (ب ت)، (٢٨- ٤٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب بيع الذهب بالورق نقداً، ح (٢٩٧١).

(٣) الربا في المعاملات المصرفية المعاصرة، د. عبد الله بن محمد السعيدي، دار طيبة، الرياض، ط ١ (١٤٢٠هـ)، وينظر: ((الاقتصاد الإسلامي والقضايا الفقهية المعاصرة))، د. علي السالوس، دار الثقافة، قطر، ط١ (١٤١٦هـ).

(٤) فقه الزكاة، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٠ (١٤١٢هـ)، وينظر: ((الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة))، د. عبد الله الطيار، دار الوطن، ط٢ (١٤١٤هـ).

كما قال تعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وهذه الزكاة مفروضة في مال المسلم شكراً لله وتعبداً له ونفعاً للمحتاجين ومساندة لهم، وهي غاية في التنظيم خلافاً للإقطاعات المالية في الأنظمة الوضعية التي تستغل موارد الآخرين، وتفرض عليهم الضرائب العالية، بينما الزكاة قدر يسير في المال حسب نوعه وطريقة تنميته وملك النصاب فيه، مع ضرورة تمام الملك وكونه زائداً عن حاجته الأصلية، وأن يكون المال نامياً مملوكاً ليس مفقوداً أو لا ينتفع به، إلى غيرها من صور السماحة الرائعة التي جاءت في تشريع الزكاة(١).

ولهذه الزكاة دور كبير في علاج الرذائل الاقتصادية وغرس الأخلاق الفاضلة إذا أديت بحق كما أن لها دوراً كبيراً في تحريك عناصر الإنتاج المعطلة «رأس المال —العمل» فقد شدد الإسلام على أولئك الذين يكنزون الأموال ويعطلون حركة نموها ولا ينفقونها في سبيل الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، والاكتناز يشمل منع الزكاة وحبس المال، فإذا خرج منه الواجب لم يبق كنزاً، حيث إن هذا الفعل (الاكتناز) يؤدي إلى الركود الاقتصادي حيث يحول دون نشاط التداول النقدي، وهو ضروري لإنعاش الحياة الاقتصادية في المجتمع، وحبس المال تعطيل لوظيفته في توسيع ميادين الإنتاج(٢).

وللزكاة دور في تحسين أحوال الفقراء والمساكين وقضاء حوائجهم وبقائهم مع المجتمع في لحمة واحدة، كما أنها تؤدي إلى محاربة البطالة، فلا يعني أن تدفع للفقير أنها تؤسس للبطالة! إذ أمر الإسلام بالسعي والمشي في الأرض لقضاء حاجة الإنسان والأكل من رزق الله، أما

---

(١) سماحة الإسلام، د. أحمد محمد الحوفي، مكتبة الأسرة، القاهرة، (١٩٧٧م) (ص ٨٨). وينظر: «مبادئ الاقتصاد في الإسلام والبناء الاقتصادي في الدولة الإسلامية» علي عبد الرسول، دار الفكر العربي، بيروت، ط١ (١٩٦٨م) (ص ٢٠ وما بعدها).

(٢) دور الزكاة في علاج الركود الاقتصادي، مقال: مجدي عبد الفتاح سليمان، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، عدد (٤٤٥)، السنة الثانية.

الزكاة فهي تشجع صاحبها على تعويضها وتدفع مستلمها للسعي في استغلالها وخلق طاقات إنتاجية للمجتمع وتوفير مستلزمات العمل ليتحول العاطل إلى عامل(١).

والزكاة تعالج مشكلة اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء وتقلل الفوارق وتسهم في تحقيق التوازن والاستقرار الاقتصادي وتحد من التضخم النقدي، وقد تكونت بديلاً رائعاً لشركات التأمين حال الكوارث والتعثر والإفلاس.

(ب) الجزية: وهي مال يكلف أهل الذمة بتأديته للحكومة المسلمة نظير حمايتهم وتمتعهم بكافة الحقوق في البلاد الإسلامية، وهي بمثابة الضريبة التي تؤخذ على الرؤوس، ومبلغها زهيد جداً تؤخذ من القادرين حسب ثرواتهم على سبيل العوض، وليست عقوبة لأنها تسقط عن النساء والعاجزين.

وقد كانت الجزية في التاريخ البشري عند الأمم تؤخذ بأبشع الطرق، وتسلب من الآخرين بكل ظلم، بينما هي في الإسلام تشريع عادل لأنها في مقابل الزكاة المفروضة على المسلمين، وهي مساهمة منهم في بناء الدولة ومرافقها، والتي يستفيدون منها، بل إنها تسقط عن الواحد منهم إذا دخل الإسلام، ولا تكلفه هذه الجزية ما يثقل كاهله، بل ربما يفرض له من أموال المسلمين إن كان محتاجاً ما يسد حاجته(٢).

(جـ) الخراج: وهي ضريبة قديمة فرضها الفراعنة على المزارعين بنسبة من المحصول الزراعي، ثم تتابعت في الأمم والشعوب حتى جاء الإسلام ليضع الخراج على الأراضي التي يصالح أهلها عليها قبل أن يشتبكوا معهم في الحرب أو أن يتركوها لهم بعد الحرب صلحاً، ومقداره في الإسلام ضئيل لا يقارن بما عليه الأمم الأخرى من ظلم لأصحاب الأراضي(٣).

(د) الصدقات والكفارات والمشاركة المالية في بناء المجتمع وتحمل الأعباء والمساهمة في نصرة الضعيف والإحسان إلى الفقراء، وبذل الوسع في التخفيف من معاناتهم بصور لم تصل إليها أي أنظمة وضعية، بل حتى الاشتراكية التي تزعم الملكية العامة للدولة وتسهم في تقسيم

---

(١) دور فريضة الزكاة في الإصلاح الاقتصادي، بحث محكم، د. حسين شحاتة، موقع إسلام أون لاين.

(٢) أحكام أهل الذمة لابن القيم، مرجع سابق (١٢٠- ١٢٣).

(٣) الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، المطبعة السلفية، القاهرة، (ب ت)، (٤٠- ٦٠)، وينظر: الأحكام السلطانية، مرجع سابق (١٣٢).

الثروة – كما تزعم – تهاوى نظامها وتساقط بناؤها لأنها خالفت الفطرة ولم تقدم ما يحقق التوازن في حياة الناس[١].

رابعاً: الدور الحضاري في تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي:

من الحقائق المسلمة في جميع الشرائع السماوية أن الربا محرم، ونصوص العهدين القديم والجديد تدل على ذلك صراحة فمنها: «إن أقرضت فقيراً من شعبي المقيم عندك فلا تعامله كالمرابي ولا تتقاضى منه فائدة»[٢]، وأيضاً «إذا افتقر أخوك وعجز عن إعالة نفسه فأعنه سواء كان غريباً أو مواطناً، ولا تأخذ منه رباً ولا ربحاً»[٣].

وقد أجمعت المجامع الكنسية الغربية على تحريم الربا، وصدرت القوانين في ذلك، حتى بدأت أدوار الكنيسة تخفت بعد الثورة الفرنسية، مما أسقط هذا القانون، وجعله موضع رفض من الدول الغربية العلمانية[٤].

بعد ذلك تدرجت الأنظمة الغربية الرأسمالية أو الاشتراكية وغزت دول العالم الإسلامي، وأجبرتها على تطبيق هذه الأنظمة وترسيخ مفاهيمها حتى أصبحت التبعية الاقتصادية للغرب في الدول الإسلامية من أخطر وأكبر المشكلات في عالمنا الإسلامي[٥].

ولإبراز النظام الاقتصادي في العالم المعاصر يمكن المرور على النقاط الآتية:

١- إبراز النقاط المشتركة بين النظام الاقتصادي الإسلامي والأنظمة المالية في الغرب والتي تحقق مصالح الناس وترفع مستوى المعيشة، وتوسع الإنتاج النافع وتنمي الموارد البشرية وتوظفها التوظيف الصحيح مع الأخذ بالوسائل العلمية الحديثة التي تساعد على الإنتاج[٦].

---

(١) الإسلام والمناهج الاشتراكية، محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط١ (١٩٩٧م).

(٢) سفر الخروج (٢٥ : ٢٢).

(٣) سفر اللاويين (٣٥- ٣٦ : ٢٥).

(٤) دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت (١٤٠٠هـ)، وقد ساق رحمه الله التدرج في مسألة إسقاط الربا عندهم، والأنظمة والقوانين التي صدرت في تحريمه.

(٥) سيأتي في المبحث التالي والأخير في هذا الباب.

(٦) الاقتصاد الإسلامي، أسس ومبادئ وأهداف، د. عبد الله بن عبد المحسن الطريقي، ط ١ (١٤٠٩هـ)، =

٢- المساهمة في إبراز محاسن التشريع الإسلامي وإيجاد الحلول المناسبة لمشكلات العصر المالية بالوسائل والسبل والطرق الحديثة التي تقنع الآخر بصحة هذا المنهج، وأنه هو الحل لما يحصل في العالم من ويلات، مع التأكيد على الدول الإسلامية بعامة والعربية بخاصة على أن منهج الاقتصاد الإسلامي ليس صورة شكلية تطبق في البنوك فقط، بل هو منهج يشمل كل صغيرة وكبيرة في الاقتصاد لهذه الدولة، بدءاً بوزارات المالية والبنوك المركزية والمحاكم التجارية والتعاملات الدولية، إلى غيرها من المؤسسات والهيئات الاقتصادية.

٣- التعاون مع المنصفين الغربيين والذين أطلقوا التحذير لمجتمعاتهم من مغبة وشؤم النظام الرأسمالي، وأكدوا أن الحل للأزمات المالية الخطيرة هو في تطبيق الاقتصاد الإسلامي الصحيح، فهذا رئيس تحرير مجلة (تشالينجر بوفيس فانسون) يؤكد في افتتاحية العدد الصادر في الخامس من أكتوبر (٢٠٠٨م) تحت عنوان: «البابا أو القرآن» أن الكنيسة هي التي كرست اتجاه التجاهل والتبرير للفوائد الربوية مشيراً إلى أن هذا النسل الاقتصادي السيئ أودى بالبشرية إلى الهاوية، وقال: «أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقوها ما حل بنا ما حل من كوارث وأزمات، وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري»[(١)].

وفي افتتاحية صحيفة (لوجورنال دي فاينيسي) في ٢٠٠٨/٩/٢٥م تحت عنوان: هل حان الوقت لاعتماد مبادئ الشريعة الإسلامية في وول ستريت أكد الكاتب أنه إذا اراد القادة في الغرب السعي إلى الحد من المضاربة المالية التي تسببت في الأزمة فلا شيء أكبر بساطة من تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية[(٢)].

وقالت إحدى خبيرات المال في أوربا «إن الأزمة المالية تعطي فرصة ذهبية للاقتصاد الإسلامي المنافي للتعاملات الربوية»[(٣)].

= (١٣٥- ١٣٧).

(١) جريدة الوطن الكويتية، تحقيق موسع أعده: سالم عبد الغفور، في ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

(٢) المقال السابق.

(٣) مجموعة من التصريحات على موقع CNN تحت عنوان: «الغرب يرون الملاذ في الاقتصاد الإسلامي».

كما صدر مؤخراً مجموعة من الكتب التي تتحدث عن الأزمات المالية وواقع الاقتصاد العالمي، وقد أشاد كتابها بالنظام الاقتصادي الإسلامي وأهمية التمويل الإسلامي ودوره في إنقاذ الاقتصاد الغربي، وأن المصارف الإسلامية يمكن أن تصبح البديل لهذا التخبط المالي والجشع الربوي في البنوك الغربية[١].

٤- سعي الدول الإسلامية إلى إنشاء تكتلات مالية وبنوك إسلامية تطبق النظام الاقتصادي الإسلامي، وتضمن سلامة التعاملات المالية في هذه الدول، وأن تكون الاستثمارات داخلية لنفع وتقوية الاقتصاد الداخلي.

ويكون هذا التعاون أيضاً داخل منظمة المؤتمر الإسلامي، ويتناول الشؤون المالية والتجارية وإقامة مراكز البحوث الاقتصادية والتدريب وتنظيم اللقاءات بين المسؤولين في الدول الإسلامية في المجالات الاقتصادية وتعيين اللجان المتخصصة.

وأيضاً تعاون خارج إطار المنظمة لكن في إطار ضمان نفع متبادل لهذه الدول[٢].

٥- المساهمة في المؤتمرات الاقتصادية الدولية برؤية إسلامية صحيحة تحمل معها الحلول الجذرية لمشكلات العالم، وتسهم في انتشال الناس من وحل المادية، وتقدم لهم البدائل الصحيحة السليمة، مع الأخذ في الحسبان أن يُختار لهذه المهمة من عرف عنه الإلمام بالاقتصاد الإسلامي ودراسة الأوضاع الاقتصادية العالمية ليكون حجة في الرد والبيان.

هذه أهم ملامح تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي، وأثر هذا التطبيق على الحوار الحضاري المعاصر.

& & &

---

(١) كتاب بعنوان: ((اقتصاد ابن آوى)) للباحثة الإيطالية لووريتا نابليوني، وله عرض باللغة العربية على موقع مكتوب: www.maktoob.com.

(٢) التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، د. محمد الأمين مصطفى الشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١ (ب ت) (٣٣٧).

المبحث الثاني: التحرر من التبعية الاقتصادية، وتعزيز الاستقلال الاقتصادي في العالم الإسلامي

أولاً: معنى التبعية الاقتصادية وكيف تأسست في الأمة الإسلامية[1]؟

- يطلق تعبير التبعية الاقتصادية: على وصف حالة اقتصاد بلد من البلدان، ويعني بذلك مختلف أشكال الالتحاق والخضوع التي تميز علاقة هذا الاقتصاد باقتصاد أقوى يهيمن عليه، ويستغل ثرواته ولو لم يكن التابع فقيراً، بل قد يكون غنياً يملك ثرواتٍ هائلة لكنه تابع لغيره.

ويرى بعض المحللين لظاهرة التبعية الاقتصادية التي تسيطر على أغلب الدول الإسلامية أنها تمثل صورة من صور التبعية السياسية.

وهذه التبعية جزء من صور الاستعمار الذي حل على الدول الضعيفة وجعل منها تابعاً في كل شيء بما في ذلك فرض الرأسمالية الغربية على هذه الدول، والتي جعلت الدولة الضعيفة تتبع للدولة القوية في كل شيء، لأن النظام الاقتصادي هو العصب المحرك لحياة الدول، وهو الذي يفرض المصطلحات ويؤجج الصراعات ويتفرد بالحقائق، بل ويرسم خط الحوار الحضاري حسب الهيئة التي يراها[2].

ولم يختلف اثنان من مؤرخي الغرب المنصفين أن المستعمر الغربي كان ولم يزل ينظر إلى ثروات الشرق يعين الشراهة والحسد، وأن هذه الشراهة وهذا الحسد هما اللذان تحكما قروناً

---

(1) التبعية الاقتصادية في الدول العربية وعلاجها في الاقتصاد الإسلامي، د. عمر بن فيحان المرزوقي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤٢٦هـ)، [وغالب هذا المبحث من هذه الرسالة العلمية المقدمة لنيل درجة الدكتوراه إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤١٦هـ].

(2) الإسلام والرأسمالية وصراع الحضارات، إبراهيم عبد الرحمن زيدان، دار الفرقان، الأردن، ط١ (١٤٢٧هـ) (١٧٥- ١٩٠) ((حيث ربط بين فكرة الصراع والرأسمالية، وأثبت تهافت مستويات الرأسمالية عقدياً وفكرياً، وخلص إلى أن حوار الحضارات المعاصر لا يساوي الحبر الذي يكتب له لأنه في ظل هيمنة واستعلاء غربي)).

طويلة في علاقة الغرب بالشرق في الماضي في فترات الاستعمار الذي فرض بالقوة هذه التبعية[(١)]، ثم في الحاضر من خلال مجموعة من النظم والقوانين الاقتصادية التي جعلت الدول الإسلامية تابعة للغرب اقتصادياً، ومن أهم هذه الأمور وأخطرها:

١- نظرية التبادل الدولي التي تقوم على أساس أن كل دولة لها ميزة نسبية، ومن الأفضل لها أن تتخصص فيما تتميز به، فمثلاً السعودية لديها ميزة في إنتاج النفط الخام، فمن الأفضل لها لتحقيق أكبر المكاسب في تجارتها الدولية أن تتخصص في إنتاج النفط وتصديره، وتكتفي باستيراد ما تحتاجه من الدول الأخرى ذات الميزة النسبية في أشياء أخرى مثل السيارات والطائرات والأجهزة ونحو ذلك، ومن الواضح أن هذه النظرية التي ما زالت تدرس حتى الآن في مدارس الاقتصاد تقوم على أساس تكريس التبعية الاقتصادية.

وتطور الأمر إلى إجبار الدول التابعة (المستعمرات) أن تبقى مصدراً رخيصاً للمواد الأولية وسوقاً للمنتجات الصناعية، لا سيما وأن الأسس التي يقوم عليها الميثاق الاستعماري تساعد على نجاح هذه المهمة[(٢)].

٢- الاستثمارات الأجنبية داخل الدول الإسلامية، حيث تدفقت الاستثمارات بشكل كبير، وأوحى المستعمر لهذه الدول أنها لن تستطيع النهوض والعمل الاقتصادي إلا بمساندة المستثمر الأجنبي، الذي أمسك بزمام الأمور في شركات التنقيب والإعمار والاسثمارات الزراعية والمائية ونحوها.

وظاهر أمر هذه الاستثمارات خدمة الدول الفقيرة لكن الباطن يدل على توجيه التلوث إلى هذه الدول واستغلال العمالة الرخيصة وتوفر مصادر الطاقة الرخيصة التي تسهم بدورها في تخفيض تكاليف الإنتاج الذي يعاد تصديره إلى الدولة الأم، مع أن الصناعات التي تستثمر في الدول التابعة هي صناعات رخيصة (غير حيوية) ومضرة، بينما تستحوذ الدولة القوية بالصناعات الأساسية والحيوية[(٣)].

---

(١) العرب: تاريخ ومستقبل، جان بيرك، ترجمة: خيري حماد، طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف، القاهرة (١٩٧١م)، ص(٤٤).

(٢) قضية التصنيع في إطار النظام الاقتصادي العالمي الجديد، محمد عبد الشفيع، دار الوحدة، بيروت، ط١ (١٩٨١م)، (١٢- ١٧).

(٣) الرأسمالية تجدد نفسها، د. فؤاد مرسي، إصدارات عالم المكتبة، الكويت، ط١ (١٩٩٠م)، (٢٣٦- =

٣- البعد عن تطبيق الاقتصاد الإسلامي، واللهث وراء تطبيق أنظمة بشرية أثبتت الأيام تهالكها وتدهورها، مما جعل الدول الإسلامية أسيرة هذه الأنظمة تابعة لها، تعجز عن الفكاك منها.

بل إن هذا الأمر أحدث عدم استقرار سياسي في هذه الدول (التابعة)، وجعل منها بؤرة للفتن والحروب والمشكلات والويلات، والأمثلة على هذه الدول كثيرة!!.

٤- ضآلة الاستثمارات داخل الدول الإسلامية وضعف استغلال الموارد المتاحة مثل الموارد الزراعية والمائية والمواد الخام، حتى إن بعض القدرات البشرية والمالية غادرت الدول الإسلامية للعمل في دول الغرب بسبب ضعف أو ضآلة الاستثمارات داخل دولهم، وعدم وجود البيئة المناسبة لهذه الاستثمارات حتى أصبحت الهجرات العربية والإسلامية للعقول والأموال في تزايد مخيف[(١)].

٥- التبعية المالية للمؤسسات والهيئات العالمية مثل (صندوق النقد الدولي F.M.I) حيث أصبحت الدول الإسلامية بسبب عجزها المالي مضطرة إلى الاقتراض، مما جعلها عرضة للمديونية المتزايدة باستمرار، حيث أصبحت في عام (١٩٩٢م) مديونيتها أكبر من (١٤٧٠ مليار) وهو مبلغ كبير وضخم، أصبحت الدول الإسلامية عاجزة عن تسديده مما جعلها عرضة للقيود والشروط القاسية تحت وطأة قوة الدول العظمى[(٢)].

٦- الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية في الدول الإسلامية، حيث لا يوجد استقرار سياسي – في بعض هذه الدول- كما تنتشر الأمية والجهل، وتعاني هذه الدول من ضعف في البنية التحتية والهياكل الأساسية، مع عدم وجود أنظمة قانونية تحمي المستثمر وتضمن حقه، بل إن التغير السياسي والتنظيمي أصبح مقلقاً في هذه الدول، مما

= ٢٤٠)، وينظر: ((الشركات الدولية: النشاط وتصنيع الدول النامية)) د. محمد إبراهيم عبد الرحمن، معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، القاهرة، (١٩٨٩م).

(١) برنامج ((بلا حدود)) على موقع الجزيرة، استضاف د. حسان النجار، رئيس اتحاد الأطباء العرب، في ٨/ ٨/ ٢٠٠١م، أثبت بالأرقام هول وضخامة الأرقام حول ظاهرة هجرة الأموال والعقول العربية إلى الغرب.

(٢) الإسلام هو الحل، مقال بقلم: خالد أحمد الشنتوت، موقع مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية – لندن، وقد ساق مجموعة من الأرقام التي تثبت سيطرة الغرب بعامة وأمريكا بخاصة على التجارة العالمية، وتبعية الدول الإسلامية وضعفها في هذا المجال.

حدا بالاستثمارات الحكومية والشعبية إلى الهروب إلى الخارج[١].

٧- احتكار التجارة الخارجية للبلاد الإسلامية ومعظم التجارة الداخلية عن طريق ما يسمى بالسوق العالمية التي فرضت سطوتها على جميع دول العالم الثالث – كما يسمونها- بلا استثناء حتى تلك الدول التي أرادت أن تحيا مستقلة أو حتى تلك التي كانت تعادي الرأسمالية، أصبحت منقادة للسوق العالمية[٢].

٨- التضييق والمنع لأي محاولة من قبل الدول الإسلامية في سبيل الخروج من التبعية الاقتصادية، أو محاولة استغلال أموالها ومواردها وطاقاتها بالأسلوب الذي ترغب فيه، حيث تبادر الدول الغربية إذا رأت مثل هذا التوجه إلى احتواء الموقف إما بالمنع الصريح أو التضييق.

وهذا ما حصل فعلاً عندما قامت ماليزيا بالتصنيع في مجال التكنولوجيا حيث عمدت بريطانيا إلى إغرائها وإيقاعها في الاستدانة من البنك الدولي لإحكام التبعية والسيطرة عليها في سبيل الضغط لمنع توجه هذا الاستغلال لمواردها[٣].

وعليه فإنه من الواضح أن التبعية الاقتصادية تتخذ أشكالاً متعددة، كل منها يساهم في تكريس وتعميق تبعية الدول الإسلامية اقتصادياً للخارج، وهذه الأشكال تتجدد حسب تجدد الأوضاع الاقتصادية، وتزداد حسب ضعف اقتصاد هذه الدول[٤].

ثانياً: تعزيز الاستقلال الاقتصادي في العالم الإسلامي:

يمكن بيان أهم العناصر التي تساهم في تعزيز الاستغلال الاقتصادي، وذلك لدخول العالم الإسلامي في عصر حوار الحضارات بكل قوة واستقلال، وأهم هذه العناصر هي:

١- الرجوع إلى الإسلام والأخذ بتعاليمه، وتطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي في الدول الإسلامية على جميع مناهجها وتوجهاتها دون استثناء، لأن هذا هو البلسم الشافي لما

---

(١) الاقتصاد العربي بين الماضي والمستقبل، د. برهان الدجاني، إصدار اتحاد الغرف العربية، (١٩٩٠م).

(٢) القرن الواحد والعشرون، محسن الموسوي، دار الهادي، بيروت، ط١ (١٤١٢هـ) (١٣ بتصرف).

(٣) تحقيق مجلة المجتمع الكويتية، عدد (١١٤٤) في ٤/ ١١/ ١٤١٥هـ (٣٠- ٣٤).

(٤) للمزيد ينظر: الفصل الأول من كتاب ((التبعية الاقتصادية)) المرزوقي، مرجع سابق، وهو بعنوان: ((مظاهر التبعية الاقتصادية في الدول العربية)) (١٥- ٨٥).

فيه من دقة تنظيم للعلاقات المالية بين الشعوب والحكومات، ولما في هذا الأمر من قوة اللحمة بين المسلمين، وتعزيز المواطنة في بلدانهم، وتقوية وحدتهم وشوكتهم ضد أعدائهم أو من يريد الإيقاع بهم اقتصادياً.

٢- تعزيز التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، وإقامة المشروعات المشتركة واستغلال كافة الموارد المتاحة في البلاد الإسلامية وتكميل بعضها للبعض الآخر، ليصبح التعاون والتكامل هدفاً استراتيجياً لدى الدول الإسلامية(١).

٣- إقامة سوق إسلامية مشتركة والقضاء على التبعية الاقتصادية، من خلال تنويع الأسواق والتعامل مع أكبر عدد من الدول حتى لا تقع تحت وطأة الغرب، مع ضرورة إحداث تراكمات مالية مشتركة من خلال بنك إسلامي موحد.

٤- الاهتمام بالقاعدة الأساسية للاقتصاد، وهو الإنسان من خلال تحسين مستواه المعيشي والصحي والتعليمي، وكذلك تقوية رأس المال الذي يملكه، وتوفير الفرص له، لأن الموارد في الحياة مكفولة مهيأة لكل أحد، لكن الاستغلال البشع هو الذي حرم أناساً منها دون غيرهم(٢).

٥- تفعيل دور الزكاة في الأمة الإسلامية وتحفيزها لدى الأفراد لتحريك رؤوس الأموال ولتكون عاملاً لتقوية الاقتصاد الإسلامي(٣).

وكذلك استغلال الصدقات المختلفة والتبرعات وإقامة الأوقاف وتفعيل دورها في بناء المشروعات التجارية ودفع عملية الاقتصاد الإسلامي في الدول الإسلامية، وإعادة أثرها الكبير الذي كان عند المسلمين في السابق، لكن الأعداء قضوا على هذا الدور للوقف في بعض الدول، وحاولوا التضييق عليه في دول أخرى(٤).

---

(١) التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، للشنقيطي، مرجع سابق (٢٨١- ٣٢٧)، وقد بين المؤلف أشكال التعاون والتكامل الاقتصادي التي تضمن تعزيز الاستقلال لها.

(٢) النظرية الاقتصادية من منظور إسلامي، د. شوقي دنيا، مكتبة الخريجي، الرياض، ط١ (١٤٠٤هـ).

(٣) العائد الاقتصادي والاجتماعي لفريضة الزكاة، مقال: د. سامي رفاعي، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد (١٥٠) شهر ١٤١٤/٥هـ (ص ٢٥).

(٤) الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، د. منذر قحف، دار الفكر، دمشق، ط١ (١٤٢١هـ).

٦- الاهتمام بالبحث العلمي واستغلال التكنولوجيا في كل الميادين من أجل تشغيل أمثل للاقتصاد وإيجاد فرص اقتصادية مختلفة، سواء زراعية أو تجارية أو صناعية من خلال استغلال الطاقات البحثية والعلمية في الدول الإسلامية.

٧- إنشاء بنوك في العالم الإسلامي، تقوم بالمعاملات المصرفية بين المسلمين وفق الشريعة الإسلامية، وتؤدي الخدمات التي تحتاجها الشعوب الإسلامية، مثل إرسال أموال للخارج أو فتح اعتمادات تجارية، مع افتتاح فروع لها في بلاد الغرب(١).

٨- تكوين عملة إسلامية مدعومة وقوية لفك الارتباط والتبعية عن الدولار الأمريكي الذي أصبح رهيناً للتقلبات الاقتصادية الخطيرة في العالم والتي لا تؤثر على الاقتصاد الأمريكي فحسب، بل إنها تجر خلفها جميع الدول المرتبطة بالدولار.

وقد أكد عدد من خبراء المال الغربيين أن فك الارتباط عن الدولار للدول الإسلامية بعامة والخليجية بخاصة سيكون له أثر كبير على انتعاش الاقتصاد، ولا صحة للمخاوف التي تروجها بعض الدول من انهيار اقتصاد البلدان إذا فكت ارتباطها بالدولار(٢).

٩- توجيه رؤوس الأموال الإسلامية إلى داخل البلاد الإسلامية واستثمارها فيها، وإدارتها بأيد إسلامية، والحث على الادخار والاستثمار طويل الأجل والإمساك بزمام المشاريع الكبرى داخل البلاد الإسلامية لقطع الطريق أمام الشركات العالمية الكبرى.

١٠- المساهمة الإسلامية في الاقتصاد العالمي من خلال المشاركة في التصدير والاستيراد، ولكن بواقع القوة لا التبعية، فالإسلام يضع ضوابط معينة لما يجوز تصنيعه أو تصديره أو استيراده، ومتى كنا في موقع القوة كانت المساهمة في حوار الحضارات الاقتصادي وتوقيع الاتفاقيات الدولية منطلقاً من هذه القوة المؤسسة على تعاليم الدين، فلا يمكن أن نسمح بتصدير المحرمات إلى الدول الأجنبية ولا أن نستوردها مهما كانت قوة الضغط أو الدخول في منظمات تجارية إجبارية، لأن المسلم يقدم تعاليم دينه على أي ضغط أو

---

(١) الأنشطة المصرفية وكمالها في السنة النبوية، د. حسن العناني، المعهد الدولي للبنوك والاقتصاد الإسلامي، القاهرة (ب ت).

(٢) فك الارتباط بالدولار نعمة كبيرة للمنطقة، تحقيق موسع على موقع الأعمال العربية، أعده طلال مالك: www.arabianbusiness.com

اتفاقية دولية، ويجعل عقيدته هي الحكم في هذه الاتفاقيات[1].

ويدخل في هذه المساهمة جواز الاقتراض أو الإقراض للدول الأخرى التي لا تحارب المسلمين ولا تعاديهم ولا تضر مصالحهم وفق شروط الإقراض والاقتراض المعروفة شرعاً، كما يجوز تقديم المعونات للدول المتضررة تأليفاً لهم وكسباً ودعوة للإسلام.

& & &

(١) سبق الحديث عن منظمة التجارة العالمية وتحفظ بعض الدول الإسلامية على بعض شروطها.

ينظر: ((دار الإسلام ودار الحرب والعلاقة بينهما))، د. علي حسن الصوا، بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان، الأردن، نشره المجمع في كتاب معاملة غير المسلمين في الإسلام (١٩٨٩م) (٢/ ٢٨٦).

الباب الثالث

مجالات وآثار حوار الحضارات

١- **الفصل الأول: مجالات حوار الحضارات:**

المبحث الأول: المجال الديني.

المبحث الثاني: المجال الثقافي.

المبحث الثالث: المجال الاجتماعي.

المبحث الرابع: المجال السياسي.

المبحث الخامس: المجال الاقتصادي.

٢- **الفصل الثاني: آثار حوار الحضارات على الحضارة الإسلامية.**

المبحث الأول: الآثار الدينية.

المبحث الثاني: الآثار الثقافية.

المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية.

المبحث الرابع: الآثار السياسية.

المبحث الخامس: الآثار الاقتصادية.

٣- **الفصل الثاني: آثار حوار الحضارات على الحضارة الغربية.**

المبحث الأول: الآثار الدينية.

المبحث الثاني: الآثار الثقافية.

المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية.

المبحث الرابع: الآثار السياسية.

المبحث الخامس: الآثار الاقتصادية.

تمهيد:

المجالات: جمع: مجال، وهو من أصل جَوَلَ، من التجوال، وهو التطواف، وتجاول القوم، أي: جال بعضهم على بعض، وكانت بينهم مجاولات، وجال: إذا ذهب وجاء، وجوَّل في البلاد، أي: طوَّف.

فهي دلالة على المكان الرحب الواسع، والطريق المتسع، والفضاء الرحب الذي يتحرك فيه القوم[(١)].

فالمراد هنا أن نسعى إلى حوار حضاري مع الآخرين من خلال مجموعة من المجالات في المساحة الواسعة التي يسمح بها الدين الإسلامي، ونجد معهم فيها مشتركاً يسهل عملية الحوار.

وقد جاءت الإشارة إلى منع بعض المجالات في مسألة الحوار مع الكفار من قريش في سورة كاملة، حيث حاول كفار مكة أن يفتحوا مجالاً للحوار والتنازل مع النبي r ، فطلبوا منه الدخول في حوار معهم يقررون من خلاله عبادة آلهتهم عاماً وعبادة الله تعالى عاماً، فيكون هذا مجالاً من مجالات الحوار معهم، لكن القرآن الكريم أبطل هذا المجال، ورفض فتحه تماماً، فأنزل الله تعالى: â**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ❖ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ❖ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ❖ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**á [سورة الكافرون: ١-٦].

وتسمى هذه السورة، وسورة (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**) المقشقشتين، لأنهما تقشقشان من الشرك، أي: تبرئان منه، فلا مجال للتنازل، ولا طريق للقبول أبداً[(٢)].

فهذه السورة العظيمة تؤسس لمعنى عظيم موجه إلى النبي r بكلمة (قل) للاهتمام بما بعد الكلام، ثم هي موجهة إلى أتباعه من باب أولى؛ إذ لا مجال ولا مفاصلة في دين الإسلام مع الشرك وأهله، إذا هم دعوا إلى الشرك، فالدين الإسلامي لا يخالطه شرك البتة.

وفي المقابل تؤكد السورة العظيمة بأنه لو حصل تنازل – على افتراض – فإن هذا التنازل سيكون من طرف واحد؛ لأن الكفار لن يصدقوا في دعواهم، ولن يعبدوا الواحد

(١) لسان العرب (١١/ ١٣٠- ١٣٣).

(٢) التحرير والتنوير، مرجع سابق (١٥/ ٥٧٩- ٥٨١).

الأحد كما زعموا: â**وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**á.

لذا كانت المفاصلة ضرورية لإيضاح معالم الاختلاف الجوهري الكامل، الذي يستحيل معه اللقاء على شيء في منتصف الطريق، إذ لا يمكن أن يتنازل المسلم عن جزء من دينه في مقابل كسب الحوار مع الآخرين؛ بل هي مفاصلة واضحة في قضية العبودية لله تعالى[1].

وبناء عليه فإن مجالات حوار الحضارات مع الآخرين يجب أن تتم في ظل الثبات على الثوابت والأصول الشرعية وعدم التنازل عنها بحال، فلا حرج من الحوار في مجالات يسمح فيها بالمشتركات، ويظهر فيها التوافق والقبول، وهذه هي ((مجالات حوار الحضارات)) مع الآخرين، أما أن يصل الأمر إلى النكوص والتنازل والانسلاخ عن العقيدة، فهنا تأتي â **لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**á[2].

ولا بد أيضاً أن يؤمن الغربي بالتعددية في المرجعيات الحضارية، لأن أحادية الحضارة الغربية معناها إلغاء الحضارات الأخرى، ومنها المرجعية الإسلامية... وإن فرض مرجعية واحدة على الشعوب كمن يفرض عليها أن تعيش على طعام واحد، ويجبرها أن تنظر بعين واحدة، ويجب على الغرب أن يعترف بقانون تداول الحضارات، واستفادة بعضها من بعض، وأن يعترف بأن حضارة الغرب اليوم هي ناتج من حضارات سبقته، من أهمها الإسلام[3]. بينما لا بد له أن يعلم أن الإسلام مع كونه ديناً عالمياً، إلا أنه يعترف بالتعددية، ويتحاور مع الحضارات الأخرى، ويفتح المجال أمامها ولها في الاستفادة والتبادل الحضاري، لأن الإسلام يقرر أن شرط ازدهار أي حضارة يرتبط أساساً بمدى قدرتها على التفاعل مع معطيات الحضارات الأخرى ومكوناتها، وبالتالي الاعتراف بهذه الحضارات ومحاورتها، وقبول تعدديتها الثقافية، واعتبار الحضارة الإنسانية نتاجاً لتلاقح وتفاعل هذه الحضارات.

وفي هذا السياق لا بد من إلماحة سريعة لأهم المحددات التي تبين العلاقة بين الحضارة

(١) في ظلال القرآن، مرجع سابق (٦/ ٣٩٩٢).

(٢) جميع المجالات التي سيرد ذكرها سبق تأصيلها شرعاً، وذكر رأي علماء الغرب فيها مما يعني الاكتفاء بالإشارة إليها مع صور الحوار فيها فحسب.

(٣) معركة الإسلام والرأسمالية، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ٨ (١٤١٥هـ) (١٣ وما بعدها بتصرف).

المعاصرة والدين، وموقفها منه، وهي[1]:

أ- العلاقة بين الواقع والدين: قام الفكر العلماني الغربي أساساً على تنحية الدين عن الحياة، فهي حضارة دنيوية صرفة، وأصحابها على رؤيتين في النظر إلى الدين، رؤية علمانية مضادة للدين لا تقبل حتى صور الممارسة الشخصية له، وأخرى تسمح بالتدين الشخصي، ولا تمنع رسومه وطقوسه، وهي التي أسست للصراع بين الكنيسة وأتباع الرؤية العلمانية في أواخر العصور الوسطى.

ب- العلاقة بين العقل والدين المتمثل عندهم بالكنيسة: فهناك مشكلة لدى كثير من المفكرين الغربيين في تحديد هذه العلاقة، ومنشأ الخلل أن الكنيسة أبطلت أحكام العقل، ومنعت العلم، وحجرت على المفكرين، بينما رأى الغربي أن العقل هو منشأ التطور العلمي، وإنتاج الحضارة المعاصرة، فحصلت إشكالية في التوفيق بين ما تريده الكنيسة وبين متطلبات العلم والعقل في عقيدة التثليث لدى النصارى.

ج- الخلل المصدري للدين لدى الغربيين: فهم يشاهدون ويقرؤون تناقضاً هائلاً بين المصادر الدينية، ويعترف بعضهم بالتحريف الظاهر الذي نتج عن ضعف التوثيق التاريخي لكتبهم مما حدا ببعضهم إلى الإلحاد المطلق، وبآخرين إلى الالتحاق بأديان أخرى كان من أكثرها الإسلام[2].

د- الحضارة الغربية المعاصرة تقوم على ركائز فكرية ممتدة الجذور إلى عهد اليونان والرومان: وهذا الفكر المعاصر أدار ظهره للنصرانية أو اليهودية، ورجع إلى الفكر القديم (الروماني بخاصة) حيث استقى فكره من العقائد الإلحادية التي أسست ورسمت سمات الفكر الغربي المعاصر.

وبناء عليه، فإن نظرة الغرب للمجالات الدينية تنطلق غالباً من هذه المحددات -إلا عند فئة قليلة- وإذا أردنا خوض غمار حوار حضاري فلا بد أن يسهم فيه من له إلمام بأبعاده الدينية ومجالاته المختلفة حتى لا يكون لقمة سائغة في أيدي المحاورين له، كما يجب أن لا يمكن الآخر من اختيار من يحاورون من المسلمين، لأنهم قد يختارون من يمثل ثقافتهم وتوجههم، فيكون من نوع الحوار مع النفس، وهنا نقع في مأزق التأصيل لهم.

---

(١) حوار الحضارات، تقرير كتبه د. إبراهيم الناصر، ضمن التقرير الإستراتيجي، مرجع سابق (٥١- ٥٣).

(٢) قراءة في الكتاب المقدس، د. صابر طعيمة، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ط (١٤٢٦هـ).

الفصل الأول: مجالات حوار الحضارات

المبحث الأول: المجال الديني

لكل حضارة جسم وروح، كالإنسان تماماً، فجسم الحضارة يتمثل في منجزاتها المادية من العمارات والمصانع والآلات، وكل ما ينبئ عن رفاهية العيش، ومتاع الحياة الدنيا وزينتها، أما روح الحضارة فهو مجموعة العقائد والمفاهيم والقيم والآداب والتقاليد التي تتجسد في سلوك الأفراد والجماعات، وعلاقاتهم بعضهم ببعض، ونظرتهم إلى الدين والحياة، والكون، والإنسان، والفرد، والمجتمع[1].

وفي عصرنا الحاضر يعيش الفكر الغربي بغبش كبير حول رؤية حقيقة الألوهية، فليست رؤية صافية وإنما رؤيته لله وعبادته رؤية مضطربة منكوسة، لم يهتد إلى الإيمان الصحيح بخالق الكون ومدبره، ولذا فإن المجال الديني في حوار الحضارات يأخذ أبعاداً وأشكالاً مختلفة، نختار منها.

١- الوقوف معاً لمواجهة أعداء الإيمان، ودعاة الإلحاد في العقيدة، وهذا الوقوف أولوية يفرضها الشرع، ويؤيدها العقل البشري، وهو أهم وأعظم ما يوجه إلى غير المسلمين؛ لأن التوحيد هو دعوة كل الأنبياء والرسل، مصداقاً لقوله تعالى: â**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** á [الأنبياء: ٢٥]. والدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك بكل صوره هي دعوة نبينا محمد **r** خلال ثلاث عشرة سنة أقامها في مكة بين ظهراني المشركين، وهي الكلمة السواء التي دعا أهل الكتاب إليها في قوله تعالى: â**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**á[آل عمران: ٦٤].

والدعوة إلى التوحيد في أوساط القوم لا تلقى معارضة كبيرة كغيرها من الدعوات، فقد

(١) الإسلام حضارة الغد، للقرضاوي، مرجع سابق (١٣- ١٤).

كفلت المواثيق الدولية ذلك، مثل ميثاق حقوق الإنسان، إذ لا تعترض الدول على حق الاعتقاد والتدين[1].

وعلينا ونحن نشارك في الحوار الحضاري أن نؤكد حقيقة عظيمة، وهي أن الأديان الثلاثة: اليهودية، والنصرانية، والإسلام هي من مشكاة واحدة، وأنها تتفق في الأصول العامة، لكن اليهودية والنصرانية طالها التحريف والتبديل الذي غير مسارها، وعند البحث في كتب القوم وأصولهم نجد الدلالات الكبيرة للتوحيد، والتي تؤكد أن نصوصهم تمنع تعدد الآلهة، وتوجب توحيد الرب سبحانه، ومن هذه النصوص[2]:

- جاء في إنجيل مرقس (١٢/ ٢٨- ٣٢) أن أحد اليهود الكتبة سأل المسيح u فقال: ((أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك، وهذه هي الوصية الأولى... لأن الله واحد، وليس آخر سواه....)).
- في إنجيل يوحنا (١٧/ ١- ٣): ((تكلم يسوع بهذا، ورفع عينيه نحو السماء، وقال: أيها الأب قد أتت الساعة... وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته)).
- في سفر النبي إشعيا u (٤٥/ ١٨): ((أنا الرب وليس من رب آخر... أليس أنا الرب، ولا إله غيري؟)).

وهناك نصوص كثيرة يبين فيها المسيح u بكل وضوح أن الله تعالى إلهه ومعبوده، وأنه هو المسيح المرسل من الله عبداً له، وهذه النصوص تبين إكثار المسيح u من العبادة

(١) الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد، تأليف نخبة من الباحثين، إعداد مركز البحوث والدراسات، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، الدوحة، ط ١ (٢٠٠٠م) (٢٩٩- وما بعدها بتصرف).

وقد ظهر في العالم طائفة تطلق على نفسها (الموحدون)، وهم نصارى من مختلف الشعوب والثقافات، ولهم كنائس منتشرة في أوروبا وأمريكا، ولهم مواقع على شبكة المعلومات.

ينظر: ((طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون)) أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ (١٩٩٨م).

(٢) التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا، سعد رستم، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط٢ (٢٠٠٧م) (٣٥- ٥٠).

والصلاة لله تعالى والخضوع بين يديه[1].

بل إن من نقاط الالتقاء ما يتعلق بماهية الله تعالى في النصرانية (غير المحرفة) وفي الإسلام، وأنه تعالى الخالق المعبود الحي الأعلى ﷻ[2].

- ومن أعظم وأكبر ما يمكن الولوج للقوم منه مسألة التثليث، والاختلاف الكبير الذي وقعوا فيه، بل إن التثليث عندهم حادث، وهم فيه على ملل ونحل مختلفة، ما بين مؤمن به، وكافر، وأن الأثر الذي حل بهم إنما هو نتيجة فلسفات دخيلة، واضطهادات مرّت بهم على مرّ القرون حرفت مسار النصرانية[3].
- وقد كانت قضية التثليث[4] عندهم من أعظم المداخل التي سلكها دعاة الإسلام ومحاور النصارى لإثبات تناقضهم، وزعزعة عقيدة التثليث الباطلة – نصاً وعقلاً- عندهم.

بل أثبتت الدراسات والأبحاث أنه كلما وجدت الحرية الدينية، وتوقفت السلطات الحاكمة من التدخل في معتقدات الناس والحجر عليهم، وعلى تفكيرهم، وجد بين النصارى من يؤمن بالتوحيد، ويرفض فكرة التثليث، وينبذ الدعوة إليها، وهؤلاء هم أقرب فرق النصارى إلى قبول دعوة الإسلام، وبخاصة إذا سمعوا حديث القرآن الكريم عن المسيح وأمه[5].

٢- من مجالات الحوار معهم إثبات أن الخلق والإبداع في الكون من صنع الله الواحد الأحد، وأنه تعالى هو المتصرف في الكون، خالق كل شيء من العدم، وهذه القضية مسلمة في

---

(١) المصدر السابق ص - ص (٥١- ٨٠).

(٢) محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والإسلام، غسّان سليم سالم، دار الطليعة، بيروت، ط١ (٢٠٠٤م) ص – ص (٧٦- ١٠٠) (وقد ساق المؤلف نصوص العهد القديم والعهد الجديد وقارنها بنصوص الوحيين الكتاب والسنة).

(٣) المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، د. عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١ (١٤٢٤هـ) ص- ص (٦٧- ١٣٩) حيث ساق بدايات الاختلافات بينهم ومنشأ هذا التفرق.

(٤) تقوم فكرة التثليث على الإيمان بإله واحد مؤلف من ثلاثة أقانيم، أو ثلاث خواص، وهي: الأب، والابن، والروح القدس، وهذه الأقانيم هي الذات، وهو الله الموجود، فإذا نطق فهو ينطق بكلمة الابن، والحياة هي الروح القدس. المرجع السابق (٢٢٧).

(٥) في الموقع الخاص بالشيخ أحمد ديدات رحمه الله مواقف كثيرة في محاورة هؤلاء وسرعة رجوعهم، وإذعانهم عند الحديث عن التثليث. www.ahmed-deedat.net.

كتبهم وعند المنصفين غير المنحرفين منهم، ففي سفر التكوين نصوص كثيرة عن بدء الخلق وعظمة الخالق، بل إنه سمي سفر التكوين لأنه يتحدث عن تكوين الكون وخلقه وعظمته وتكوين جميع الكائنات[1].

- ثم يأتي تبعاً لذلك التأكيد على وحدة الأصل البشري، وما قرره الإسلام من احترام الإنسان وتكريمه، وهذا التكريم ليس خاصاً بإنسان دون غيره، ولا بلون دون آخر، إنما الجميع سواسية في حق التكريم، ولهذا التكريم صوره الكثيرة من خلال العلاقات البشرية الممتدة بين أبناء الدين الواحد وبينهم وبين غيرهم من أصحاب الملل الأخرى.

٣- الموقف من الأنبياء والرسل وما قرره الإسلام من الإيمان بهم، بل إنه جعل الإيمان بهم ركناً من أركان الإيمان، من أخل به خرج من دائرة الإسلام، كما قال I : â**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**á [البقرة: ٢٨٥]. ((بل إنه عدّ من جحد بنبي واحد من الأنبياء جعله الإسلام في عداد الكافرين، كما قال سبحانه: â**كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ**á [الشعراء: ١٢٣]. ومعلوم أنهم لم يكذبوا إلا رسولهم فقط، ومع ذلك عدّهم مكذبين للمرسلين، لأن من كذب برسول واحد كذب بهم جميعاً.

وهذه العقيدة قررها عيسى u وأنه جاء مكملاً لشريعة من قبله، وهذا ما ورد في إنجيل متى (٦ : ١٧): ((لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس والأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل))، وهذا ما قرره القرآن الكريم: â**وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ**á [آل عمران: ٥٠]. إلا أن التحريف الذي أصاب النصرانية هو ما جرفها عن الطريق، ونكص بها عن الجادة[2].

---

(١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤٢٢هـ)، ص (١٣٤).

(٢) الإسلام بين البداوة والحضارة، د. قاسم حبيب جابر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٢٣هـ) (٦٣).
وينظر: محاور الالتقاء، غسان سليم، مرجع سابق، حيث ساق النصوص في العهدين القديم والجديد حول موضوع النبوة (١٢٢- ١٤٢).

وقد جرت محاورة بين الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله (١٩١٥- ١٩٦٤م)[١] وبين أحد رؤساء الكنائس في إيرلندا، حيث قال د. مصطفى: ((كان من حديثي مع رئيس اليسوعيين أن سألته: لماذا لا تزال كتبكم وبخاصة الكتب التي تدرس للطلاب في مدارسكم مليئة بالطعن البذيء الفاحش على نبينا محمد r؟ فأجاب: إننا نحن (المسيحيين) لا نحترم رجلاً يعدد زوجاته! فما كان من السباعي إلا أن قال له: هل سليمان u عندكم من الأنبياء المحترمين أم لا؟ قال: بلى. فقال مصطفى السباعي: إن التوراة التي بين أيديكم أثبتت أنه كانت له سبعمائة من الحرائر، وثلاثمائة من الجواري، وهنا أفحم هذا القس))[٢].

٤- الإيمان بالمعاد يعتبر ركناً اعتقادياً مهماً لكافة الأديان السماوية، إنه من المبادئ الاعتقادية التي لا تقبل الجدل والنقاش، وهو لا يعرف إلا عن طريق الوحي، وما أخبر به الأنبياء، تصديقاً لهم، لأنه من الأمور الغيبية التي لا تقع تحت سلطة العقل، ومع ذلك فإن العقل الفطري، إذا تخلص من معمياته وسلك سبيل البحث والروية في آيات الكون توصل إلى حقيقة مؤداها أن الإنسان لم يخلق عبثاً في هذا الوجود، وإنما لأجل غاية يحقق بها ذاته وهو مسؤول عنها، والمسؤولية تتطلب الحرية، والحرية تقتضي الثواب والعقاب، والجزاء نهاية حتمية لمثل هذا الكون[٣].

ولا بد من الإشارة إلى المسؤولية الفردية لكل أحد، والحوار معهم في مسألة الخطيئة المزعومة (الكفارة)، فعقيدة التثليث عند النصارى أساسها الكفارة، وهي أن الله الابن اختار الصلب لتطهير بني آدم من الخطايا والآثام، وأنه لولا صلبه لبقي الإنسان إلى يوم القيامة نجساً غير طاهر من الخطايا[٤]، وهي نظرية مستحدثة لا توجد إلا عند بعضهم وهم في خلاف شديد حولها، لذا فإن الحوار في هذا الموضوع يزعزع بعض المعتقدات عندهم.

---

(١) هو مصطفى بن حسني السباعي، ولد في حمص عام (١٩١٥م)، ونشأ في أسرة علم، وشارك في مقاومة الاحتلال الفرنسي في سورية، بالإضافة لأعماله الجهادية في فلسطين، درس في عدد من الجامعات، وله مؤلفات كثيرة في فنون مختلفة، توفي عام (١٩٦٤م) في حمص.

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد الصواف، دار الاعتصام، الدمام، (ب ت) ص (١٠٤).

(٣) الإسلام بين البداوة والحضارة، مرجع سابق (٢٢٨ وما بعدها بتصرف).

(٤) دراسات في اليهودية والمسيحية، الأعظمي، مرجع سابق (٥٠٢).

وقد تكاثرت النصوص في العهدين حول موضوع الجزاء والعقاب فمنها[1]:

- في سفر دانيال (١٢/٤): ((وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي)).

- وفي السفر الثالث من التوارة: ((واحفظوا رسومي وأحكامي، فإن جزاء من عمل بها أن يحيا الحياة الدائمة)).

- وجاء في سفر التكوين: ((وغرس الله جناناً في عدن ... وكان نهر يخرج من عدن)).

٥- موقفنا من الإسرائيليات موقف مختلف تماماً عما هم عليه تجاه غيرهم، فنحن لنا منهج إسلامي عظيم في التعامل مع الإسرائيليات، ولعلي أشير إلى شيء من هذا:

أ- تعريف الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب u ، وهذه الإسرائيليات لها مصادرها المعروفة، فإما أن تكون من كتبهم أو من تراثهم المنقول، وللعلماء تفصيل حول تحديد الإسرائيليات ينظر في مظانه[2].

ب- الموقف من الإسرائيليات:

يقسم العلماء الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام:

الأول: صحيح مقبول، وهو ما يشهد له القرآن أو السنة الصحيحة.

الثاني: كذب مرفوض، وهو ما يخالف الكتاب والسنة.

الثالث: مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من ذاك القبيل[3].

فأما الصحيح المقبول فيروى عنهم ولا حرج فيه، وأما المردود فلا تجوز روايته، وأما المسكوت عنه فهذا نحكيه عنهم دون جزم بصحة أو كذب لقول النبي r : (**لا تصدقوا أهل**

---

(١) اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، د. فرج الله عبد الباري، دار الوفاء، القاهرة، ط١ (١٩٩١م)، وقد ساق أدلة كثيرة وقرر هذه الحقيقة.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط ٤ (١٤٠٨هـ).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، مرجع سابق (١٣/ ٣٦٦).

الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: â**آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**á [البقرة/١٣٦][(١)]، وفي الحديث الآخر قال **r** : (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)[(٢)]، وحسب التقسيم الماضي يجمع بين الأحاديث في النقل عنهم.

٦- القيم العامة المتفق عليها كالعدل والمساواة والحرية والتسامح، وبعض الأوامر الخاصة بالحياة الدينية مثل تحريم السرقة والغش والزنا والمفاسد وشهادة الزور، وهي أمور يقرها القوم ويؤمنون بها في تعاليمهم، وهي موجودة في بعض كتبهم وتسمى المحكمات في الشرائع السماوية قبل تحريفها وهي عندهم تحت اسم الوصايا مثل: ((ثم نطق الله بجميع هذه الأقوال:

أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، ديار عبوديتك، لا يكن لك آلهة أخرى سواي.

لا تضع لك منحوتاً ولا صورة... ولا تسجد لها ولا تعبدها.

لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً، لأن الرب يعاقب من نطق باسمه باطلاً.

اذكر يوم السبت لتقدسه...

أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك في الأرض.

لا تقتل.

لا تزنِ.

لا تسرق.

لا تشهد زوراً على جارك.

لا تشته بيت جارك، ولا زوجته، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئاً مما له))[(٣)]، وهذه هي المسماة بالوصايا العشر[(١)]. وقد جاء في القرآن الكريم ذكرها كما في قوله

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)، ح (٤٤٨٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح (٣٤٦١).

(٣) سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، نقلاً عن محاور الالتقاء، مرجع سابق (١٥٤).

تعالى: âقُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ❖ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَá [الأنعام: ١٥٢].

٧- التعاون لإعادة جمرة الإيمان المختفية في الغرب، حيث يعيش الناس فراغاً روحياً أوجدته النظرة المادية، وهي النزعة التي تؤمن بالمادة وحدها، وتفسر بها الكون والمعرفة والسلوك، وتنكر الغيبيات وكل ما وراء الحس، هذه النظرة التي جعلت الغربي يعيش دوامة الحياة، ويعبد الدولار، حتى لو فتحت قلبه لوجدت فيه صورة الدولار، وكما قال أحد الصحفيين الغربيين: ((أن الإنجليز إنما يعبدون بنك إنجلترا ستة أيام في الأسبوع، ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة))[٢].

وها هم العقلاء في الغرب يدقون أجراس الإنذار، ويؤكدون خطورة تفشي المادية، وزوال القيم الروحية، وجعل الإنسان لفظاً بلا معنى، وجسداً بلا روح.

وهنا لا بد من التركيز على تحرير الإنسان من المادية المقيتة، وتعليقه بالله، والتأكيد على أن الراحة الحقيقية والطمأنينة لا تكون إلا حين يؤمن بخالق هذا الكون، ويتوجه إليه في كل حياته[٣]، وهنا يأتي الحديث عن التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، والذي هو المقوم الرئيس للحضارة الإسلامية، والذي لا يملك الآخرون فيه شيئاً مقنعاً، بل تتخبط الثقافات والأفكار في الخوض فيه، بينما يملك المسلمون فيه إجابات مقنعة عن الأسئلة الكبرى للإنسان في هذا الوجود، وهو مدخل مهم لتحول كثير منهم إلى الإسلام، واستخراج بعضهم من دوامة المادية القاتلة التي يفزع إليها هرباً من هذه الأسئلة الكبرى.

---

(١) الحضارات الصراع أو الحوار نظام المصارحة، د. مخايل مسعود، د. ساجيع الجبيلة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، ط١ (٢٠٠٩م).

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار القلم، الكويت، ط ١٣ (١٤٠٢هـ) ص (١٥٧).

(٣) الإسلام حضارة الغد، للقرضاوي، ساق فصلاً كاملاً عنوانه: ((عقلاء رجال الغرب يدقون أجراس الإنذار)) ص ص (٩٧- ١٢٢).

٨- التعاون في صد أي اعتداء على الأنبياء، فقد كان موقف الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر مع المسلمين حين تعرض النبي ﷺ للإهانة من الصحف الدانماركية موقفاً جيداً، دعا إلى فتح موقف حواري وتعاون مستمر، حيث أثمر إلى موقف آخر هو صمود الاتحاد المصري لحقوق الإنسان (وهو اتحاد نصراني) ضد فيلم فتنة[1].

وأخيراً، أشير إلى بعض ما ورد في مؤتمر الحوار الحضاري والثقافي الذي عقد في مكة المكرمة في ٦/ ١٢/ ١٤٢٥هـ، والذي بين فيه المؤتمرون موقف الإسلام من الحوار، وقواعده التي تضمن التعاون والحرية، والإحسان إلى الناس، والسلام والأمن للبشرية، حيث جاءت فيه الإشارة إلى الأصول الإنسانية المشتركة للحوار.

١- الإيمان بأن أصل البشر واحد، فكلهم يعودون إلى أب واحد، وأم واحدة، فلا تفاضل بين الأجناس، ولا استعلاء بالأنساب.

٢- رفض العنصرية والعصبية وادعاء النقاء العنصري.

٣- سلامة الفطرة الإنسانية في أصلها، وأن الإنسان خلق محباً للخير مبغضاً للشر، يركن إلى العدل، وينفر من الظلم.

٤- التعاون في مجالات الخير والبر والمصالح المشتركة المشروعة.

ثم أوصى المؤتمر رابطة العالم الإسلامي والمنظمات الإسلامية الرسمية والشعبية بأمور، منها:

١- دعوة مؤسسات الحوار الدولية ولجانه ومنتدياته للانطلاق في الحوار من المبادئ التي نصت عليها المواثيق والاتفاقات الدولية لتحقيق التكافؤ بين الشعوب في الحقوق، وضمان حريتهم وحماية ثقافتهم.

٢- مطالبة المؤسسات الدولية، وفي مقدمتها هيئة الأمم المتحدة بالقيام بواجباتها.

---

(١) نظرية العيش المشترك، د. نجيب جبرائيل، رئيس منظمة الاتحاد المصري لحقوق الإنسان، بحث مقدم لمؤتمر الحوار في مدريد، عقد من ١٣- ١٥ /٧/ ١٤٢٩هـ.

أما فيلم فتنة، فهو من إنتاج السياسي الهولندي غيرت فيلدرز قائد حزب الحرية، حيث اتهم القرآن والإسلام بالإرهاب، وأصدره أول مرة على الإنترنت في عام ٢٠٠٨م.

ومن العجيب أنه بعد عرضه في هولندا بيومين نفدت جميع نسخ ترجمة معاني القرآن في هولندا، وفتحت المراكز الإسلامية أبوابها للرد على الأسئلة الكثيرة عن الإسلام والقرآن. (العربية نت).

٣- مطالبة المؤسسات الغربية التي تمارس نشاط التنصير بعدم التدخل في عقائد المسلمين أو تشكيكهم في دينهم[١].

# # #

(١) مؤتمر الحوار، نظمته رابطة العالم الإسلامي في ٦/ ١٢/ ١٤٢٥هـ، وهو موجود على موقع الرابطة، وجميع أبحاث المؤتمر.

المبحث الثاني: المجال الثقافي

سبق التقرير إلا أن الحوار يقوم على الأسس الثقافية، كما أن الصراع في جوهره الحقيقي هو صراع ثقافي، لهذا فإن مجالات الحوار الثقافية تتسع وتضيق حسب مفهوم المجال، فأحياناً قد يكون المجال في ظاهره دينياً أو سياسياً لكنه في حقيقته وجوهره ثقافياً.

وهذا ما جعل كتاب الغرب يركزون بشكل كبير على العولمة الثقافية، ويعتبرونها المحك الرئيس لحوار الحضارات، والمحرك الأقوى لتوجيه الشعوب[١].

وفي المجال الثقافي تتلاقى الشعوب وتتلاقح الأفكار، ويستفيد كل واحد منهم من الآخر، ففي مجال العلوم مثلاً عرف المسلمون المنهج العلمي في البحث وطبقوه على العلوم التجريبية التي ارتبطت بهم، وعرفها العالم كله عن طريقهم، ولقد استطاع علماء المسلمين أن يؤكدوا مكانتهم العلمية، وأن يخطوا بالعالم الإسلامي خطوات واسعة في طريق التأصيل والتقدم بدرجة جعلت منهم رواداً سباقين في مجالات شتى من مجالات العلوم.

وقد استطاع أيضاً مفكرو الإسلام أن يجعلوا من اللغة العربية لغة العلم التي تسيدت على اللغات كلها، وأصبحت وسيلة التعبير الفكري في العلوم والآداب[٢].

إن اللغة هي الوعاء الثقافي الأول والأساس، وهي مصدر وصول الثقافة وقوة مضمونها، ولقد استطاع علماء الإسلام في الماضي أن يوصلوا ثقافتنا إلى كل مكان عبر وعاء هذه اللغة العظيمة.

وكان للغة دورها في بروز حضارة الإسلام، وانبثاق فجر التقدم الحضاري في الأمم المجاورة للمسلمين. فالحضارة الإسلامية حضارة لا تنفك عن دين الإسلام، والإسلام يصل إلى الناس بكل لغة، لكن لغته الأولى والعظمى هي اللغة العربية.

---

(١) العولمة الثقافية الحضارات على المحك، جيرار ليكلرك، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١ (٢٠٠٤م).

(٢) تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، د. فتحية النبراوي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط٧ (١٤٢٦هـ)، ص ١٨٢.

وقد قام الدين الإسلامي بدور حاسم في انبثاق هذه الحضارة وتطورها وازدهارها، فالإسلام هو الذي وحّد العرب في جزيرتهم، فاندفعوا في الفتوح التي جعلتهم خلال بضع سنين يهزمون دولتين كبيرتين... فيمتد الإسلام إلى أواسط آسيا وأطراف الصين، وهذه الدولة – الفتية – حملت الدين واللغة العربية إلى الحدود التي بلغتها، ولكن الدّين لم ينتشر في زمن الفتوح – فحسب – بل انتشر عبر التجار ورجال الدين والعلماء، وهكذا غطى العالم الإسلامي المساحة من حدود الصين إلى شاطئ الأطلسي، وانضوت تحت رايته شعوب لا حصر لها في هذا العالم، الذي انبثقت فيه حضارة تتبنى الإسلام... وتشارك في ازدهارها كل عطاءات الشعوب التي دخلت في هذا المدعى الحضاري، لم تكن الحضارة الإسلامية تقتصر على شعب واحد هو العرب، بالرغم من دور اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم، فقد ساهم في بناء هذه الحضارة الفرس والهنود والترك والبربر والأفارقة والقوط وغيرهم من الشعوب التي ساهمت في إغناء هذه الحضارة، ولم تقض العربية على الفارسية أو الأوردية أو التركية... بالرغم من أنها أثرت فيها بالعمق، واغتنت الحضارة الإسلامية بتراث كل من هذه اللغات، وبعطاءات الشعوب التي دخلت في الإسلام[١].

لقد كان العرب والمسلمون أثناء حضارتهم الزاهرة يولون وجوههم شطر الشرق حيث الصين والهند دون الغرب، وفي حين أثمر اتصال المسلمين بالحضارة اليونانية القديمة كثيراً من الأفكار والآراء والمعارف في مجال العلم والفلسفة، وفي ظل دولة الأمويين في الأندلس لم تعد بغداد عاصمة العلم والتحضر، بل احتلت قرطبة مكانها عن جدارة، حيث كان هناك اللقاء بين الإسلام والنصرانية – بل واليهودية – التي لم تعرف تسامحاً وازدهاراً كالذي لقيته على أيدي المسلمين في الأندلس، مروراً بإفريقيا ومصر، وفي العصور المتأخرة أسهمت الشعوب الآسيوية إسهاماً هائلاً في استمرار حضارة الإسلام على أيدي الأتراك العثمانيين والمغول في الهند وأصقاع آسيا المختلفة[٢].

وقد كان لقيام الدول المستقلة في شرق الدولة الإسلامية، ووسط آسيا، أثره في ازدهار

---

(١) التبصر بالتجارة، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، (١٩٦٦م)، ص ١٩١- ١٩٢.

(٢) Lane Pool: Medieval India under Mohammedan Rule, New York, 1952, p18.

الحياة الثقافية فيها، فقد نافست حواضر هذه الدول بغداد، بعد أن كانت أكبر مراكز العلوم والآداب، وأصبح لهذه الحواضر شخصية متميزة في علومها وآدابها، تعمل على تجميل نفسها بالعلماء والأدباء، وتعتز بهم، وتيسر لهم سبل الحياة الهادئة[١].

وفي كل مراحل الازدهار التي عاشتها الحضارة الإسلامية شرقاً وغرباً، لم يكن لأوروبا –الغرب- أن تحتل أهمية تذكر عند العرب، ولم تكن مدركة عندهم – كوحدة جغرافية- ولم تكن لتشكل وحدة سياسية، فهي موزعة عند علماء الجغرافيا المسلمين بين الإقليم الخامس والسادس والسابع، ومشتتة عند المؤرخين إلى ممالك وإمارات لا حصر لها، ولم تكن أوروبا مصدراً لأية سلعة مهمة، لكن حضور الإسلام في شبه جزيرة إيبيريا (إسبانيا والبرتغال حالياً) أحدث خطاً تجارياً بين شرق أوروبا وغربها. إن هذا الحضور الإسلامي في الأندلس هو الذي أيقظ الحركة الثقافية بكل صورها، وعززت وجود الحضارات الأخرى حتى صارت الأندلس مشعل العلم والحضارة التي نشرت العلم والتنوير في أوروبا، حتى بعد سقوط غرناطة عام ٨٩٨ هـ- ١٤٩٢م آخر معاقل المسلمين في الأندلس[٢].

كما قامت الحروب الصليبية التي شنها الغرب الأوروبي بزعامة الكنيسة، تحت دعاوى باطلة تهدف إلى استرداد الأماكن المقدسة في الشرق من أيدي المسلمين، قامت بدور في إحداث التقاء فكري وثقافي بين الشرق والغرب أثناء تلك الحروب؛ حيث استفادت أوروبا استفادة شاملة من العلوم الإسلامية، وتعلم شعوبها صنائع وزراعات وفنون وأنماط عيش، أثرت تأثيراً كبيراً في تطورها.

إن الحداثة الأوربية تدين في انطلاقتها للمسلمين والعرب بالشيء الكثير... عبر قرطبة وطليطلة وإشبيلية، تسربت العلوم الإسلامية والمخطوطات العربية إلى جامعات أوروبا، التي كانت تدرس العربية، وتكتشف الفلسفة وعلوم الرياضيات والطب، ومن خلال هذه المراكز تعلم الأوروبيون أنماط العيش وفنون العمارة، وآداباً عديدة.

إن أوساط الاستشراق تعترف بالأثر الحاسم للعلوم الإسلامية في النهضة الأوروبية، في

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، محمد جمال الدين سرور، دار الثقافة: مصر، ط١ (ب.ت)، ص ٢٠٨.

(٢) سقوط غرناطة وأثر ذلك على المغرب الأقصى في عهد بني وطّاس، عبد الله حامد الحيد، جامعة أم القرى، (١٩٩٨م)، ص ٢٧.

حين ينكر الآخرون أثر الإسلام على أوروبا، خاصة بعد اقتحام أورروبا وحضارتها المعاصرة أرجاء المعمورة[1].

وجملة القول، إن حوار الحضارات – الذي تعدى المجال الثقافي- أظهر إلى أي مدى كانت الحضارة الإسلامية شعلة ومنبراً لإرهاصات العديد من الحضارات الحالية. وكذلك، هي نفسها نهلت من معين حضارات سابقة ولاحقة، لا سيما حضارة الفرس والروم والهند، ولا سيما في المجال الثقافي والعلوم والفنون المختلفة كما سيأتي.

ويمكن الإشارة إلى بعض الجوانب التي تدخل في المجالات الثقافية لحوار الحضارات – مع ما سبق ذكره - :

١- تعزيز اللغة العربية من خلال التفاوض والتحاور لإدخال الترجمات العربية والموسوعات العلمية إلى المحافل الدولية، والمواقع العلمية في كافة العلوم، إذ العلوم الطبيعية وثيقة الصلة بحياة البشر، وقد كان للعرب قصب السبق في تقدمها ووصولها إلى الغرب في مجالات مختلفة، وما تزال بعض المصطلحات العلمية في الغرب من أصول وجذور عربية[2].

لقد كانت العربية مهداً للعلم، وموئلاً له، لكن تأخر أبنائها عن اللحاق بركب الحضارة في هذا الزمن جعل منها لغة بعيدة عن العلم الحديث، بيد أنها قادرة على احتضان كل جديد، كما قال الشاعر العربي على لسان العربية:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات[3]

فاللغة العربية هي إحدى أكثر اللغات استخداماً في العالم، يتحدث بها أكثر من أربعمائة مليون نسمة، وتعدها بعض الموسوعات ثاني لغة في العالم، وهي إحدى اللغات

(١) الحضارة والفكر العالمي، مصطفى غنيمان، الوراق للنشر، الأردن، ط١ (٢٠٠٥م)، (ص ٢٧٨).

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، أبو زيد شلبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ (١٤٢٧هـ)، ص ٣٠٥.

(٣) القائل هو الشاعر المصري حافظ إبراهيم (١٢٨٨- ١٣٥١هـ) في قصيدة مشهورة، بعنوان: اللغة العربية تنعى حظها، ينظر: ((ديوان حافظ إبراهيم))، ضبطه وصححه: أحمد أمين بك، وآخرون، المطبعة الأميرية، القاهرة، (١٩٤٨م)، ص (٦٤).

الست المعتمدة لدى منظمة الأمم المتحدة[١].

وقد امتد تأثير العربية على لغات مختلفة حتى أصبحت حروف بعض اللغات شبيهة بالعربية، وبعض اللغات ما زالت تستخدم مصطلحات عربية تأثرت بها بسبب انتشار العلوم العربية قديماً، والتجارة الإسلامية التي كانت تطوف العالم؛ حتى تغير وجه الثقافة الأوروبية على وجه الخصوص تغيراً كاملاً بعد دخول الترجمات العربية لكثير من العلوم والفنون إلى أوربا، وقد طغت الحضارة العربية اثني عشر قرناً على الأقطار الممتدة من شواطئ المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، والعرب كانوا أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وأن الجامعات الغربية لم تعرف لها مدة خمسة قرون مورداً علمياً سوى مؤلفاتهم، وأنهم هم الذين مدنوا أوربا[٢].

إن توفير المصطلحات العلمية والمراجع ومصادر التقنية للعالم العربي بنفس لغتهم هو مطلب مشروع في ظل حوار حضاري أسهمت أمتنا العربية في صناعته على مر العصور، فكيف نحرم منه الآن.

هذا المشروع الكبير والجبار يستلزم تظافر الجهود، والتحرك الرسمي والشعبي من أجل إحلال اللغة العربية حاضرة في جميع العالم ووسائل التقنية، لتصبح واحدة من أهم وأقوى اللغات في هذا العصر، وبخاصة إذا علمنا أن اللغة العربية لا تدخل ضمن اللغات العالمية العشر ذات المحتوى الأعلى على الإنترنت!!!. إذ إن نسبة الوجود العربي (اللغوي) على الإنترنت لا يزيد عن (١ ٪) فقط من الوجود العالمي.

وقد بدأت أدوار مختلفة على المستوى الرسمي والشعبي في تحريك هذا الدور، وتعزيز الوجود العربي على شبكة المعلومات، أو في المعاجم والمصطلحات والدوريات العلمية[٣].

---

(١) موسوعة إنكارتا (٢٠٠٦م) على شبكة المعلومات، وينظر: تقرير حول اللغة العربية على موقع المعرفة.

(٢) حضارة العرب، غوستاف لوبون، مرجع سابق (٢٦- ٢٧).

(٣) المحتوى العربي على الإنترنت... نقطة في بحر، مقال: هناء الرملي، موقع ميدل إيست أونلاين www.middle-east-online.com.

وينظر: ((الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام)) نور الدين بليبل، سلسلة كتب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ط١ (١٤٢٢هـ).

وفي المقابل تأتي الترجمة العكسية لكثير من العلوم والفنون التي يفيد منها العربي من خلال نقلها إلى العربية، ولكن لا بد من أن نضع في الحسبان أهمية المادة المترجمة وسلامتها من الإخلال بالثوابت في ديننا، ومدى الحاجة إلى هذه الترجمة.

وقد أنشئت مجموعة من المنظمات والهيئات التي تُعنى بالترجمة في الوطن العربي، كما أُسست مجموعة من الجوائز العلمية والحوافز المادية في الجامعات والمنظمات للقيام بالترجمة المفيدة للمجتمع العلمي العربي(١).

وقد أنشأت بعض الدول معاهد وهيئات لتعليم العربية لأبنائها بعد مطالبات قوية من الجاليات المسلمة هناك، وبعضها خصص كرسياً علمياً ومسارات للدراسات العليا باللغة العربية، وقد قام الباحث بزيارة لمعهد اللغات الأفروآسيوية في البرازيل، والتقى بعدد من المسؤولين الذين أكدوا أن دخول العربية إلى مقاعد العلم البرازيلية كان نتيجة حوار حضاري متقن مع الجاليات الإسلامية هناك، وامتد الأمر ليصل إلى عدد من الباحثين والدارسين في مجال الدراسات الإسلامية والعربية في أعرق الجامعات البرازيلية وهي جامعة سامباولو(٢).

٢- التصدي لخطر العولمة الذي يتجلى تأثيره أساساً على الثقافات والعقائد، حيث أجمع معارضوها من المسلمين وغيرهم لاسيما الفرنسيون والألمان أن العولمة يراد لها أن تبتلع كل الانتماءات والهويات والقيم، أو يراد لهذه الانتماءات الدينية والهويات الثقافية والقيم الاجتماعية أن تمر عبرها لتواجه الشعوب بعد ذلك قنوات وآليات محددة تقرر نمط ما يجب أن يكون وما لا يكون منها.

وقد تنبهت الحكومات الغربية — وبخاصة فرنسا — لهذا الخطر، وأكدت أنها مهددة ثقافياً بمواجهة هذا الغزو الثقافي الذي يتحرك تحت غطاء العولمة الاقتصادية، وأصدرت الأوساط الثقافية هناك مجموعة من الكتب، وعقدت المؤتمرات للتحذير من أخطار العولمة، ومن هنا يبدو أن عقلاء المثقفين في العالم لم يرحبوا بالعولمة، ومنهم عقلاء المسلمين الذين

(١) مثل: المنظمة العربية للترجمة، ومنظمة الكسو، والجامعات العربية الكبرى، ومؤسسات الأفراد في الخليج مثل: مؤسسة شومان وأبابطين، والمكاتب التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وغيرها كثير. وينظر: قرارات الاجتماع المشترك لوزراء الثقافة للدول العربية ودول أمريكا الجنوبية، بالجزائر (٢- ٣ فبراير ٢٠٠٦م).

(٢) ومنهم: أ.د. محمد حلمي نصر أستاذ الدراسات الإسلامية بالجامعة نفسها.

يحدوهم وازع ديني عظيم لحماية ثقافة الأمة، وتحصين الأجيال المسلمة، لاسيما في جوانبها المستهدفة ثقافياً[(١)]، مما جعل التحرك الرسمي والشعبي في هذا الجانب يلقى قبولاً من أصحاب الرؤية المناهضة للعولمة، حيث شاركت هيئات ومؤسسات إسلامية في مؤتمرات مناهضة للعولمة، وسارت مظاهرات عالمية عارمة ترفض هذه الدعوة، وتحاربها بكل أشكالها[(٢)].

وكثير من الذين يحاربون العولمة ينطلقون من رؤية عدم مشاركتهم حضارياً في تطوير مفهوم العولمة، فهم يرون أنه مفهوم غربي ابتكره الغرب، وحدد له مضامينه وهويته ومكوناته، وهو الذي يقود حركة العولمة، ويروج لها في العالم كله.

وأمام هذا الاتجاه والسيطرة تجد الحضارات والثقافات نفسها في موقف المدافع الرافض، أو المتفاعل بحذر مع هذا الوافد دون أن تخسر هويتها[(٣)].

ولذا فإن الموقف من العولمة يستلزم معرفة أبعادها، والمشاركة في الحوار الحضاري الرافض لأضرارها المدمرة، والوقوف مع المناهضين لها في هذا المجال المتفق عليه، وتوقيع الاتفاقيات الدولية التي تضمن التصدي لهذا المد العولمي الخطير على الثقافات.

٣- تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام من خلال المناهج الغربية، فقضية التعليم من أهم القضايا التي يجب أن يتم التركيز عليها، فعندما يُغذى الطفل منذ الصغر بروح العداء والكراهية والبغض وسوء الظن، لن تستطيع مهما استخدمت من وسائل أن تغير هذه الاقتناعات بسهولة؛ لذا فإن التدخل الحضاري في تصحيح صورة الإسلام في المناهج الغربية مطلب ملح في هذا الزمن[(٤)].

ويتم هذا بعدة وسائل من خلال اللقاء بالأساتذة والطلاب وتعريفهم بالإسلام

---

(١) الحضارة المعاصرة، تجارب وممارسات، بحث مقدم من الشيخ محمد بن ناصر العبودي، ضمن كتاب ((الإسلام وحوار الحضارات))، مرجع سابق، (٢/ ٤٩٣- ٤٩٥).

(٢) أجرت الفايننشال تايمز دراسة حول الجمعيات والهيئات والأفراد الرافضين للعولمة في عددها الصادر ٢٣/ ٤/ ٢٠٠١م.

(٣) الموقف العربي والإسلامي من العولمة والشرق أوسطية، بحث من د. محمد خليفة حسن، ضمن كتاب ((الإسلام وحوار الحضارات))، مرجع سابق، (٢/ ٥٥٠- ٥٥٤).

(٤) وهذا ما حصل فعلاً من بعض الأساتذة الزائرين للغرب من أمثال أ. د. محمد وقيع الله، وسبق ذكر دراسته حول (صورة الإسلام في المناهج الغربية).

الصحيح، وعقد اللقاءات العلمية بالمكاتب الوزارية الغربية المسؤولة عن التعليم وطبع الكتب، وتوفيرها لهم بشكل ميسر.

٤- تعزيز التعاون في المجالات العلمية مثل الطب، فقد اطلع الأطباء الأوربيون على الموسوعات الطبية الإسلامية، وناقشوها وحاوروها محاورة ذاتية، وكانت فتنتهم شديدة بالطب الإسلامي وكتبه، واستفادوا من الخبرات الطبية الإسلامية قديماً وحديثاً، وهؤلاء يشكلون ثقلاً حضارياً لدى الغرب – من بقي منهم على دينه – يمكن أن يكونوا رسلاً حقيقيين لإيصال رسالة الإسلام من خلال عملهم الطبي.

وقد صدرت (**موسوعة أعلام الأطباء العرب**) وحوت في بعض أجزائها التعريف بجهود أعلام الأطباء العرب المعاصرين، وإنجازاتهم وأبحاثهم في الغرب، والمناصب القيادية التي تسنموها[١].

ومن مجالات العلم القابلة للتبادل والحوار الحضاري المجال الكيميائي والفلكي والجغرافي والرياضي، وغيرها من مجالات العلم التجريبي التي وجدت جواً رائعاً للحوار من خلال إقامة المؤتمرات وعقد الندوات وتبادل الخبرات العلمية.

وقد يكون من المناسب أن ينقل العالم خلال الحديث عن تجربته أو تخصصه أوجه الشبه بين أخلاقيات المهنة عالمياً وبين الشريعة الإسلامية السمحة التي سبقت العالم بأسره في تأسيس وضبط محاسن الأخلاق ... ويكفي أن يعلم المسلم أن عمليات فصل التوائم السياميين كان لها أثرها الكبير في العالم عندما تولاها فريق طبي سعودي نقل أخلاق الإسلام من خلال الطب[٢].

٥- المجال الإعلامي، وهو أقوى مجالات الثقافة تأثيراً، إذ يعد أهم الأدوار التي تستطيع أن تغير واقعاً أو تبدل به اقتناعاً .. وعليه تجد العديد من الأحزاب الغربية تعمل على امتلاك أكبر قدر ممكن من وسائل الإعلام، مما يؤكد ضرورة تطوير وسائل إعلامنا، والرقي ببرامجنا الإعلامية حتى تكون عاملاً مؤثراً في دعم مسيرة الحوار، فكلما تملكت من الوسائل

---

(١) WWW.papencyclopedia.net.

وينظر: لقاء مطول بعنوان (هجرة الأطباء العرب) على موقع الجزيرة نت، تاريخه ٢٩/ ٦/ ١٩٩٩م.

(٢) تجربتي مع التوائم السيامية، د. عبد الله الربيعة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١ (١٤٣٠هـ)، والدكتور هو رئيس الفريق الطبي، وقد ساق تجربته ومشاهده وتأثر بعض المتابعين لمثل هذا الحدث.

الإعلامية المؤثرة، سعى الآخرون للتفاهم والحوار معك[1].

ويمكن المشاركة في المجال الإعلامي بأمور عدة، منها:

أ- ضرورة رصد ما يكتب وينشر ويبث في وسائل الإعلام المختلفة، وتصحيح ما هو مغاير للحقيقة، والرد عليه بصورة علمية قوية.

ب- السعي إلى الإنتاج الإعلامي المتكامل المناسب لعقول الغرب في جميع المجالات الإعلامية ليعلم الغرب أننا نملك رؤية علمية ثقافية في كافة مجالات الحياة.

ج- توثيق العلاقة مع المنصفين من رجال الإعلام الغربيين، ودعوتهم إلى البلدان الإسلامية والمشاركة معهم في إنتاج برامجهم لتصحيح الصورة عن الإسلام، واللقاء ببعض قادة الرأي في العالم الإسلامي.

د- التعاون مع بعض القنوات الفضائية الغربية بإمدادهم ببعض البرامج المناسبة لهم، وبخاصة في المجال الوثائقي، وتقدم لهم إهداء.

هـ- إنشاء قنوات وإذاعات وصحف بلغة القوم والتعاون مع المراكز الإسلامية في الغرب لتتولى مخاطبة أبناء جلدتهم، فهم أقدر على معرفة ما يناسب القوم.

٦- تأصيل الحوار معهم حول مصادر المعرفة والتي تحدد مضامين الحوار، وهي مدار جدل كبير في أوساطهم مثل الحديث عن الوحي والعقل والواقع، وعلاقة بعضها ببعض، وموثوقية المخرجات لها، وعلاقة العقل بالنقل، والفرق بين المسلمين وغيرهم في حجية هذه المصادر[2].

٧- الاهتمام بجوانب الأدب واللغة بعامة من الشعر والقصة والرواية والمسرحية، وما إلى ذلك فهي تشكل عند القوم محطة ثقافية مهمة، ومنها أدب الطفل ليقدم لهم بمنظور إسلامي شامل موجه يحمل رسالة الإسلام إلى أطفال العالم، وهو وسيلة لنقل فكر وجوهر هذه الرسالة الخالدة إلى القلوب اليانعة والعقول النامية إلى كل الأجيال بعد ذلك.

فأدب الأطفال الإسلامي يحتوي على مناشط عدة تعمق جذور الإسلام في النفوس، وتساعد على التواصل والحوار الحضاري، مع نقل الصورة الحقيقية عن المجتمعات المسلمة،

(١) الحضارات صراع أم حوار، صلاح الدين جعفراوي، ضمن كتاب ((الإسلام وحوار الحضارات)) (٣/ ٤٥٧) وما بعدها بتصرف.

(٢) حوار الحضارات، د. إبراهيم الناصر، بحث سابق (٥٠).

وهذا يساعد في تصحيح الصورة عن الإسلام والمسلمين مع إشباع رغبات الأطفال المختلفة روحية ومادية وعقلية ووجدانية ،وهي ما عجز الأدب الغربي الموجه إلى الطفل عن أشباعها(١).

٨- التعاون لكسر احتكار حبس العلم والتقنية الذي اتخذه الغرب ضد العالم الإسلامي، حيث صدر لهم فتات التقنية –كما سبق- وحبس العلوم والتكنولوجيا المتطورة، لذا لا بد من التعاون في إطار نقل التكنولوجيا إلى الدول الإسلامية، والاستفادة المتبادلة في المجالات العلمية والتقنية، في علوم الفضاء والطاقة المتجددة والزراعية وعلوم الحياة وتقنيات الحاسب والمواصفات الفيزيائية المتطورة والأجهزة العلمية وغيرها من المجالات.

وكذلك التعاون في مجال خدمات الإنترنت وشبكات الاتصال، وجمع المعلومات ونشرها بين الدول والحضارات المختلفة، ودعم مراكز الأبحاث العالمية في مختلف دول العالم.

ولتحقيق حوار فعال في المجال الثقافي لا بد من تفعيل دور الوسائل، والطرق المختلفة التي من خلالها يمكن الوصول إلى الحوار في المجال الثقافي ومن أهمها:

١- استخدام وسائل الإعلام المختلفة، والحوار عن طريق الفضائيات ومواقع الإنترنت، وبث روح الثقافة الإسلامية.

ومن خلال هذه الوسيلة يتم إعداد تعريف عام بالإسلام موجه لغير المسلمين، يشرح العديد من القضايا التي تشغل بالهم، ولا بد أن يشارك في إعداده عدد من العلماء المسلمين المقيمين في الغرب.

وكذلك وضع دليل لشرح الكلمات والمصطلحات الإسلامية التي قد تحدث بعض اللبس أو البلبلة أثناء الحوار(٢).

٢- توسيع دائرة الاتصال الثقافي من خلال إعداد قوائم بعناوين السياسيين والإعلاميين والمثقفين في كل بلد غربي، وتوجيه المؤسسات الإسلامية في تلك البلدان بالتواصل معهم، بالإضافة إلى فتح أبواب المراكز الإسلامية لاستقبال الوفود والزائرين، وفتح مجال التواصل

---

(١) أدب الأطفال الإسلامي نقطة أساسية في الحوار مع الحضارات الأخرى، بحث د. إسماعيل عبد الكافي، ضمن كتاب ((الإسلام وحوار الحضارات))، مرجع سابق (٣/ ٢١٥- ٢٤٠).

(٢) وضعت منظمة الإيسيسكو دليلاً لهذا الغرض حسب ما ذكر على موقعهم.

معهم[1].

٣- التعاون الجامعي عن طريق كراسي البحث العلمي والمنح الدراسية والأساتذة الزائرين، وترجمة الكتب الجامعية والتبادل العلمي والبحثي، ونقل المعارف ومسارات التدريس في الدراسات العليا الجامعية.

٤- تشجيع أقسام الثقافة الإسلامية وما في معناها للقيام بدورها العلمي في الدراسات الثقافية، وإنشاء مراكز معلومات وبحث علمي متخصصة تعنى بشؤون الجوانب الثقافية للحوار الحضاري، وإقامة المؤتمرات والندوات واللقاءات والمنتديات العلمية الثقافية في كل مكان، والتعاون المثمر للخروج بنتائج منصفة لجميع الأطراف.

إلى غيرها من الوسائل والأدوات التي سبق ذكرها في الفصول السابقة بشيء من التفصيل.

---

(١) الحضارات صراع أم حوار؟ صلاح الدين جعفراوي، مرجع سابق (٣/ ٤٦٣).

المبحث الثالث: المجال الاجتماعي

وهذا المجال يختص بالمسألة الاجتماعية المتعلقة ببناء المجتمع وانضباطه الأخلاقي والقيمي، وما يتعلق باحترام الإنسان والبيئة والقضايا الاجتماعية الخاصة، وهذا المجال من أوسع وأنشط القضايا التي يجري فيها حوار بين الأمم من خلال مؤتمرات أممية وإقليمية، ومفردات هذا المجال كثيرة تتعلق بطبيعة العلاقة بين المرأة والرجل، ومفهوم الأسرة، ومكانة عقد الزواج، وقضايا الإجهاض والشذوذ والجنس، وقضايا الطفل والرضاعة والصحة العامة، ومكافحة الجريمة والإباحية، وتثبيت الأخلاق في المجتمع إلى غيرها من المجالات الكثيرة التي تدخل في شأن الحوار الحضاري الاجتماعي.

وقد جاءت بعض النصوص لدى اليهود والنصارى في كتبهم وتعاليمهم تحث على جوانب مختلفة في الشأن الاجتماعي، وما زال بعض القوم ينادي بها، حيث تنادي بعض أسفارهم بالتزام الأخلاق في كل شؤون الحياة «سمعتم أنه قيل للأقدمين: لا تقتل! ومن قتل يستحق المحاكمة، أما أنا فأقول لكم: كل من هو غاضب على أخيه يستحق المحاكمة. وسمعتم أنه قيل: لا تزن! أما أنا فأقول لكم: كل من ينظر إلى امرأة بقصد أن يشتهيها فقد زنى بها في قلبه»[1].

والحضارة الغربية في هذا الزمان تعيش آفات وآثاراً سيئة حلت بمجتمعاتهم، من أخطرها ما أكده المنصفون منهم، وهي مسألة الانحلال الأخلاقي والتفسخ العائلي، والانفصال الهائل في الأسر، والنفور من الإنجاب والإعراض عن فكرة الزواج أصلاً، وانتشار القلق النفسي وحالات الانتحار المزعجة، وظهور حركات التمرد على الحضارة المادية لدرجة خروج فئات أغرقت في الانحلال النفسي، وظهرت جماعات (الخنافس) و (الهيبز)، وهي جماعات دينية تهتم بتحضير الأرواح وعبادة الشيطان، كما انتشرت الجريمة والمخدرات والأمراض الجنسية[2]،

---

(١) محاور الالتقاء ومحاور الافتراق، غسان سليم، مرجع سابق (١٥٢).

(٢) الإسلام حضارة الغد، للقرضاوي، حيث خصص فصلاً بعنوان «آفات الحضارة المعاصرة وآثارها على الحياة البشرية» ص - ص (٢٧ - ٩٥). أما الجماعات المذكورة فلها مواقعها وأنشطتها المنشورة على شبكة المعلومات، وجمعياتها المنتشرة في الغرب. وينظر: الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مرجع سابق (٢/١٠).

بالإضافة إلى قضايا المتاجرة بالرقيق، حيث يوجد أكثر من (١٣ مليون) رقيق تتم المتاجرة، بهم في العالم، ومنها انتشار ألعاب الميسر والقمار والدعارة، وهي مشكلات تزداد، وينفق عليها مليارات الدولارات في العالم؛ بل أصبحت تسهل للأجيال من خلال الأقراص المدمجة ومواقع الانترنت[١] .

ويمكن ذكر بعض المجالات الاجتماعية للحوار الحضاري:

١- محاربة الإباحية والشذوذ الجنسي بكل صورة والوقوف في وجه الدعوات السافرة للسماح بهذه الأمور وتقنينها من خلال المؤتمرات المختلفة التي تُعقد من أجل فرض الإباحية على المجتمعات، والتي عانت من ويلات هذا الانفلات بما جنته من أمراض فتاكة أو أبناء غير شرعيين أو خسائر فادحة في مجال الصحة والرعاية الاجتماعية والتي كان من الممكن أن تصرف الأموال بدلاً عنها إلى زيادة ناتجها وصناعتها، لكن هذه الدول لما أبعدت عن المنهج الفطري بليت بهذه الرزايا.

وقد هب العقلاء في الغرب للوقوف في وجه هذه الدعوات وذلك الانفلات وعارضوا هذه المؤتمرات، وأقاموا جمعيات تناوئ الرذيلة وتحارب الانحلال في مجتمعاتهم، ولابد من التعاون المثمر مع هؤلاء.

٢- الإسلام يهتم بالجوانب الصحية في حياة الأفراد، وهذا مطلب إنساني يتفق معنا فيه كل عاقل، وقد يكون هذا مدخلاً مهماً من أجل محاربة كثير من المفسدات في المجتمعات مثل المخدرات والمسكرات والشذوذ الجنسي والتي جلبت على الأمم كثيراً من الأمراض الخطيرة والمزمنة.

فهناك دراسات مخيفة تنذر بالخطر على العالم يقف عقلاء الغرب أمامها محذرين مجتمعاتهم ومنادين بضرورة الإصلاح والتصدي، وهذا مطلب يتفق عليه الجميع.

فمثلاً بعض الأمراض المتعلقة بالدم بسبب انتشار القبلات بين الشباب والفتيات وصلت معدلاته إلى خمسين إصابة لكل ألف شخص في العالم، ويعتقد أنه منتشر في الجامعات والمعاهد بنسبة ٨٠٪، وهو بداية خطيرة لأمراض أعنف[٢].

---

(١) الواقع الأخلاقي في المجتمع الإنساني المعاصر، نهاد عوض، بحث مقدم لمؤتمر مدير للحوار، سبق ذكره.

(٢) ((الأمراض الجنسية)) د. سيف الدين حسين شاهين، دار الفرزدق، الرياض، ط٢ (١٤٠٧هـ) ص(٦١).
=

أما الإيدز وهو شبح العصر فخطره أكبر وأشد حيث أكدت منظمة الصحة العالمية (WHO) أن عدد المصابين بمرض الإيدز يزداد سنوياً، وأنه تجاوز (٣٥ مليون) شخص في منتصف عام (٢٠٠٨م) والرقم قابل للزيادة، وبخاصة في الأطفال. في كل دقيقة يصاب خمسة أشخاص ممن تتراوح أعمارهم بين ١٠ سنوات و٢٤ سنة بعدوى فيروس الإيدز.

ويموت سنوياً أكثر من مليوني مصاب بفيروس الإيدز، وينتقل الفيروس بشكل مخيف ومذهل وسط ذهول العالم وعدم قدرته على احتوائه[١].

بينما يموت أكثر من ستة عشر مليون شخص بأمراض لها علاقة بفيروسات الانحلال الجنسي، ويحذر الخبراء أن الدول النامية هي الأكثر عرضة للإصابة بفيروس الإيدز ويشهد كل يوم جديد إصابة حوالي ستة آلاف وثمانمائة شخص بفيروس الإيدز أو فيروسات شبيهة بسبب الأمراض الجنسية.

ويعقد العالم سنوياً عشرات المؤتمرات لبحث الأمراض الجنسية وصرف مليارات الدولارات لمكافحة انتشاره، بل تم تخصيص يوم عالمي لمكافحة الإيدز، وهو اليوم الأول من ديسمبر/ كانون الأول من كل عام، وقد أعربت الجمعية العامة للأمم المتحدة عن قلقها الشديد إزاء تفاقم هذه الأمراض، ودعت المجتمعات إلى وضع السبل للحد من انتشاره والوقوف في وجهه بكل السبل[٢].

كما حذر علماء الغرب من هذا الخطر ودعوا المجتمعات إلى العودة للفضيلة وحذروا من الانفلات وإطلاق الغرائز الجنسية وأن العودة إلى الأخلاق هي الحل السليم لمثل هذه الأمراض[٣].

وقد شارك عدد من علماء الإسلام في هذه المؤتمرات والندوات وكان لحضورهم الأثر

= وينظر: ((الأمراض الجنسية عقوبة إلهية)) عبد الحميد القضاة، دار عالم الكتب، الرياض، ط ٢ (١٤٠٦هـ).

(١) نشرة تصدرها منظمة الصحة العالمية/ المكتب الإقليمي للشرق الأوسط (وهي موجودة على موقعهم).

(٢) موقع الأمم المتحدة (الجمعية العامة) www.un.org/arabic .

(٣) ((الأمراض الجنسية عقوبة إلهية)) عبد الحميد القضاة، مرجع سابق (٢٢)، وقد أحصيت على عجل المواقع التي خصصت على شبكة المعلومات باللغة العربية للتحذير من الأمراض الجنسية والدعوة إلى العودة للفضيلة وأصلها لجهات غربية فوجدتها تجاوزت الألف موقع!!!.

الكبير في إيصال موقف الإسلام من محاربة الانحلال الأخلاقي، بل إن مدير مكتب منظمة الصحة العالمية بالشرق الأوسط د. حسين الجزائري يبذل جهوداً كبيرة لتوضيح أهمية الدين والمحافظة على العفة والمبادرة بالزواج المبكر، حتى أصدر مكتبهم كتاباً بعنوان: ((دور الدين والأخلاقيات في الوقاية من الإيدز ومكافحته)) رغم أنهم كتبوا في المقدمة أن الكتاب ليس من المنشورات الرسمية وإنما هو وجهة نظر أصحابه[١].

ومن المشكلات التي يعانيها العالم مشكلة المخدرات والمسكرات والتي ينفق عليها العالم مليارات الدولارات، كما ينفق أضعاف المبلغ على معالجة آثارها، وأما ما يخسره الدخل القومي العالمي نتيجة إضاعة أوقات العمل وأجرة علاج المدمنين فيتجاوز مائتي مليار دولار في دولة أوربية واحدة فقط أما الولايات المتحدة الأمريكية فتخسر ما يقرب من ثلاثين مليار دولار في كل عام بسبب الخمور فقط، ولا يدخل في ذلك الخسائر التي لا تقدر بثمن من العذاب والشقاء النفسي وتدمير الأسرة وتحطيم العائلة[٢].

ويعترف علماء الغرب أن الإسلام يستطيع تحرير الإنسان من ربقة الكحول عن طريق الاعتقاد الديني العميق، واستطاع الإسلام أن يحقق مكاسب كبيرة في أمور أخلاقية لم تستطع أن تحققه القوانين المفروضة بالقوة ومن خارج النفس، فالإسلام يستطيع أن ينقذ الإنسانية من تأثيرات المجتمعات المدنية الغربية التي بثت شباكها في أنحاء العالم أجمع[٣].

وقد أثبتت دراسات غربية أن علاج الإدمان في الغرب علاج فاشل حتى الآن، إذ إن أعلى نسبة للنجاح لم تتجاوز (٣٠٪) من المدمنين، وأوضح بعض المختصين أنهم بحاجة إلى البحث عن سبل جديدة وطرق حديثة لعلاج المدمنين وتوعيتهم للإقلاع عن هذه السموم، بل إن الاعتبار بنتائج الأمور وتجربة السابقين دليل على العقل والحكمة، والتهاون في أخذ العبرة والتعلم من دروس الماضي مؤشر على نوع من الغفلة، ومن العبر التي يجب الوقوف عندها في هذه المرحلة، ما تعانيه المجتمعات الغربية ومن سار على منوالها في التحلل الأخلاقي وحرب

---

(١) ((الإيدز ومشاكله الاجتماعية والفقهية)) د. محمد علي البار، دار المنارة للنشر، جدة، ط١ (١٤١٦) (٤٠-٤٢) وقد ساق في الملاحق المؤتمرات التي شارك فيها علماء مسلمين ومدى تأثيرهم في هذه المؤتمرات.

(٢) ((الخمر بين الطب والفقه)) د. محمد علي البار، الدار السعودية، جدة، ط٧ (١٤٠٦هـ) (٩٩).

(٣) القائل هو أرنولد توينبي في كتابه ((محاكمة الحضارة)) نقلاً عن المرجع السابق (١١١).

الأسرة والفضيلة والإباحية المفرطة والمخدرات وغيرها.. ولابد من الاعتبار بهذا الواقع المؤلم للبحث عن الحلول[1].

٣- مكافحة الجريمة بكل صورها، حيث سد الإسلام أبواب الجريمة وحاربها، ووضع الضوابط المشددة لصدها، بل شرع الحدود لمعاقبة المجرمين والتخفيف من شرورهم وأذاهم على المجتمعات.

والغرب يعيش حالة استنفار شديد من وطأة الجريمة وهي شأن يزعزع بنية المجتمع، ولابد من التعاون المثمر معه للحد من هذه الظواهر والتقليل منها. وقد نشرت مواقع الكترونية غربية نسباً مخيفة حول زيادة معدلات الجريمة ومنها:

- تسجل برلين أكثر من ثمان عمليات إجرامية لكل مائة ألف شخص من سكانها.
- تسجل لندن أكثر من أربعة وعشرين عملية إجرامية لكل مائة ألف شخص.
- باريس بها أكثر من ألف ومائتي عملية نشل لكل مائة ألف شخص.
- لندن تسجل الرقم القياسي في عمليات السرقة والسطو بمقدار ألف وثلاثمائة عملية لكل مائة ألف شخص.
- نسبة العنف في التلفزيون الفرنسي تجاوزت ستين بالمائة من المشاهد[2].
- يقوم الأدب الغربي والروايات وكثير من المشاهد الدرامية على العنف، مما سبب زيادة واضحة في نسب الجريمة[3].
- ثلث الأمريكيات يتعرضن للضرب والاعتداء الجنسي، وأصبح العنف داخل البيوت الأمريكية وباءاً يهدد المجتمع إذ يبلغ الاعتداء في كل خمس عشرة ثانية اعتداء على امرأة

---

(١) ((مطالبات سيداو والاعتبار بالغرب)) مقال: أسامة شحادة، جريدة الغد، الأردن، ١٤٢٠/٢/١٩هـ.

(٢) نقلاً عن موقع مفكرة الإسلام www.islammemo.com .

(٣) ((أدب الجريمة كمدخل لنقد الغرب)) مقال: محمد إسماعيل زاهر، جريدة الخليج الإماراتية، الشارقة، ٢٠٠٨/٣/١٨م، وينظر: كتاب كشف عن ملامح وانعكاسات العنف على الفن وأبرز كثرة هذه الظاهرة لديهم وهو كتاب (العنف والحضارة الغربية.. الإسلام كبداية جديدة للتاريخ) د. ملازم كراستشي، ترجمه عن الألبانية، د. زياد عبد الله، دار المنتقى، سوريا، ط١ (٢٠٠٨)، وقد أشاد بحلول الإسلام وأبرزها ودعا الغرب إلى تبنيها بالتفصيل (٦٨- ٩٠).

أمريكية.

- عدد النساء اللواتي قتلن من قبل أزواجهن منذ بداية العقد المنصرم أكثر من أربعين ألف امرأة في أمريكا فقط.

زادت نسبة ((الانتحار في المجتمعات الغربية وبالذات بين النساء لأسباب نفسية بعضها يتعلق بالعنف والجريمة))[1].

ولا بد من تقديم النموذج الإسلامي لعلاج الجريمة، حيث عجزت كل النظم العالمية عن معالجة الجريمة أو منعها من خلال ما ظهر جلياً من الأرقام الهائلة لمستويات الجريمة في العالم الغربي، لكن المنصفين من العالم الغربي يؤكدون أن العلاج الحقيقي للجريمة هو العلاج الإسلامي المتمثل في القرآن والسنة وتطبيق الشريعة الإسلامية، وتنشئة الجيل على مثل القيم العظيمة التي جاء بها الإسلام[2].

٤- الترابط الأسري مطلب اجتماعي للحفاظ على بنية المجتمع باعتبار الأسرة اللبنة الأولى والأساس في بناء المجتمع، وقد كان لهجر حياة الأسرة - بسبب الانفلات الأخلاقي - أثره السيئ على بعض الدول الغربية، ولهذا تكاثرت أقوال ساسة الغرب ومفكريه حول خطورة ترك الأسرة حتى قال أحدهم: ((زنوا خطاكم فإنها ثقيلة في الميزان، إنكم نبذتم الفضيلة وكل المبادئ الروحية، ولم تريدوا أطفالاً، فهجرتم حياة الأسرة، وانطلقتم وراء الشهوات تطلبوها في كل مكان، فانظروا إلى مصيرٍ قادتكم إليه الشهوات))[3]، وقد أشارت التقارير الرسمية والإحصاءات الغربية إلى كارثة كبيرة تحل بالأسرة في الغرب، حيث أعلن المعهد البريطاني للإحصاء أن أكثر من ربع العائلات في بريطانيا تتكون من أحد الأبوين فقط، أي ٢٦٪ من العائلات تتكون من أب أو أم فقط، وهي في ازدياد مستمر إذ يتوقع المعهد أن تتضاعف في نهاية عام (٢٠١٠م).

وتقود النساء وحدهن ٢٣٪ من العائلات في بريطانيا، بينما في أستراليا ارتفعت نسبة العائلات الوحيدة من ٥٨٪ عام (١٩٩٠م) إلى ٧٦٪ مطلع (٢٠٠٠م)، وفي ألمانيا تقول

---

(١) دراسة مترجمة عبر موقع مفكرة الإسلام عرضت بتاريخ ٢٣ محرم ١٤٢٧هـ.

(٢) علاج القرآن الكريم للجريمة، د. عبد الله بن الشيخ محمد بن الأمين الشنقيطي، ط١ (١٤١٣هـ).

(٣) ((الإسلام والمرأة المعاصرة)) البهي الخولي، دار القلم، بيروت، ط٤ (١٤٠٤هـ) ص٤٨.

الإحصائيات أن ٦٠٪ من الرجال الشباب يعيشون وحدهم ويفضلون الرحلات وممارسة الهوايات على الزواج وتكوين الأسرة.

ويتوقع في أمريكا وأوربا أن نصف حالات الزواج الرسمي تنتهي بالطلاق[١].

وفي الدول المستقرة أمنياً واقتصادياً مثل سويسرا والسويد وغيرهما تزداد نسب التفكك والطلاق والعلاقات العابرة بشكل ملحوظ ومخيف، وتظهر الدراسات أن عدد المتزوجين في تراجع مطرد[٢].

كما تشير الإحصائيات إلى تزايد الولادات خارج إطار الزوجية في كل أوربا، حيث تصل النسبة في بعض الدول إلى ٤٠٪ من حالات الولادة؟!؟[٣].

وهذا الموضوع (تكوين الأسرة) موضوع تتفق عليه جميع الفطر السليمة وهو مطلب حضاري يجب أن يشارك المسلمون فيه لإبراز رؤية الإسلام حول الأسرة وتكوينها وأنها أساس بناء المجتمع.

٥- التصدي للفقر والبطالة والمجاعة وما ينتج عنها من المشكلات والويلات، وهذا ما دعا العالم إلى إقامة الجمعيات والبنوك العالمية وعقد المؤتمرات للبحث حول سبل مساعدة الفقراء في العالم والحد من الظواهر المخيفة التي تهدد بنية المجتمعات[٤].

٦- يقدم الإسلام للإنسان نظاماً اجتماعياً متكاملاً، يضم في تناسق تام المصلحة العامة والمصلحة الخاصة، الدينية والدنيوية، ويرفض رفضاً باتاً الفصل بين الدنيا والدين، وبالتالي فلا يقبل المنهج الغربي التغريبي، ويحث الإسلام على طلب العلم ويعتبره فريضة على كل قادر وذلك لبناء مجتمع متعلم يهتم ببناء الحياة من أجل بناء الآخرة. وكذلك الحضارة الغربية تشجع العلم وتؤمن بضرورة تطوير حياة الإنسان إلى الأفضل، إلا أن الإسلام يفرض ضوابط خلقية واجتماعية للعلم والبحث العلمي من شأنها أن تبقي العلم خادماً للإنسان، وتحفظ كيان المجتمع من العبث والسقوط، وتجعل من مسيرة المواءمة بين العلم والحياة سبيلاً أفضل لتحقيق

---

(١) ((العائلة ومصيرها مستقبلاً)) مقال: فهد عامر الأحمدي، جريدة الرياض السعودية، ٢٠٠٣/٢/٢٣م.

(٢) تقرير المكتب الاتحادي السويسري للإحصاء، مترجم عبر موقع مفكرة الإسلام.

(٣) جريدة الرياض، تقرير حول واقع الأسرة الغربية، عدد (١١٤٧٦) في ١٤٢٠/٨/١٧م.

(٤) سبق الحديث حول الموضوع مفصلاً.

جميع المكاسب.

ومن هنا نشير إلى جزئية بسيطة يعاني منها الغرب ومن سار على شاكلتهم في الشرق، وهي مسألة الاختلاط الفاضح في التعليم ومواطن البحث العلمي والإنتاج العملي، والتي جعلت بعض العقلاء من الغربيين يصيح بضرورة الفصل بين الجنسين ويحذر من الآثار الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية التي جنتها الدول الإباحية في هذا الجانب.

بل إن الدعوات إلى فصل الجنسين في التعليم وفرض ملابس ساترة للفتيات، وتفضيل النساء وأهلهن المدارس غير المختلطة أصبح ذائع الصيت في الغرب وله مؤسسات وجمعيات تطالب به(١).

وهذا المطلب المشروع فطرياً لابد من المشاركة فيه، وتأكيد أسبقية الإسلام إلى وضع الضوابط والشروط حول مسألة اختلاط النساء بالرجال أو المشاركة بين الجنسين في مكان عام.

٧- كل من الإسلام والغرب يحمي حقوق الفكر ويحترم الملكيات الخاصة، ويسعى إلى أفضل استثمار للطاقات والموارد الطبيعية، ويشترط الإسلام ألا يتأتى ذلك على حساب فئة من البشر أو عنصر من عناصر الطبيعة، لذلك حرم الربا وأحل البيع، كما حرم الاستنزاف للموارد الطبيعية (الإسراف).

٨- يحرص الإسلام - كما الغرب - على سلامة البيئة والمحافظة عليها، ويجعل الإسلام الإنسان مستخلفاً في الأرض مسؤولاً يوم القيامة عن أفعاله حيال البيئة، وما جناه في حقها، ويحثه على أن يكون عنصراً فاعلاً في بناء الحياة(٢).

وقد أصبحت البيئة ومشكلاتها الشغل الشاغل للمفكرين والباحثين في العالم لما يحيط بها من مشكلات وويلات، سواء في عناصر ومكونات البيئة كالماء والهواء والأرض وما يعتريها من التلوث والضجيج، أو العناصر الحية للبيئة كالإنسان والحيوان والنبات وقد حفظ الإسلام - وسبق كل الأنظمة - حق البيئة ورعاها أشد الرعاية وأمر أتباعه بجملة من الأوامر التي تحفظ

(١) جريدة الرياض، عدد (٩٢٥٤) في ١٤١٤/٥/١٠هـ، ومجلة المجتمع، الكويت، عدد (٩١٦) في ١٤١١/٧/١٩.

(٢) الإسلام والغرب، الصنقري، مرجع سابق (٨٣ وما بعدها).

بقاء البيئة سليمة من كل سوء[1]. فيقرر الإسلام حفظ البيئة ورعايتها من كل ما يضر بها صغيراً كان أو كبيراً بدءاً بالأضرار الضخمة التي تلحق الحياة عامة باتلاف الغابات والأشجار والطرق والمياه وما في حكمها، ومروراً بكل أنواع الأضرار،

بل إن رفع الصوت في الإسلام جزء من منكرات الأصوات لما يسببه من ضوضاء تؤثر على مسامع الناس: â**وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**á [لقمان: ١٩]، ويحث الإسلام أتباعه على إماطة الأذى عن الطريق ويعتبره صدقة من الصدقات كما قال **r** : (**إماطة الأذى عن الطريق صدقة**)[2]، وينهى عن تلويث الماء أو الظل الذي ينتفع به الناس ويحرم كل أشكال الأذى الذي يلحق بالبيئة، وهذه أمور حررها علماء الإسلام وألفوا حولها الكتب التي تبين عظمة هذا الدين وموقفه الكريم من البيئة[3]. بل إن الإسلام قد سبق الأنظمة المعاصرة في تأكيده على المفهوم الواسع للبيئة، بحيث يشمل هذا المفهوم الموارد الاجتماعية والموارد المادية المتاحة لإشباع حاجات الناس. وقد أنشأت بعض الدول وزارات خاصة باسم (وزارة البيئة) لما تشكله البيئة من أهمية كبرى في حياة المجتمعات.

كما عقدت مؤتمرات دولية عالمية ومحلية حول البيئة صدرت بعدها قرارات كثيرة تدعو للمحافظة على البيئة وتجرم كل عمل جماعي أو فردي يضر بالبيئة وتدعو الدول إلى المشاركة في تنفيذ هذه القرارات واحترامها وسن الأنظمة والقوانين التي تسهم في حماية البيئة والمحافظة عليها[4].

بالإضافة إلى إقامة المعارض الدولية المتنقلة والمسابقات العالمية لإجراء الأبحاث حول البيئة ورصد لها جوائز كبيرة.

---

(١) ((رعاية البيئة في شريعة الإسلام)) د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط١ (٢٠٠١م). وينظر: ((القرآن وتلوث البيئة)) محمد عبد القادر الفقي، مكتبة المنار الإسلامية، جدة، ط١ (١٤٠٦هـ).

(٢) رواه البخاري معلقاً، كتاب المظالم، باب إماطة الأذى.

(٣) ينظر: ((الإسلام والبيئة)) د. السيد الجميلي، مركز الكتاب للنشر، ط١ (١٤١٧هـ). وينظر: ((الإسلام وحماية البيئة)) د. آمنة نصير، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط١ (١٤٢٢هـ).

(٤) وهناك مؤتمرات خاصة بالدول الإسلامية وكان آخرها المؤتمر الإسلامي لوزراء البيئة الذي عقد في الرباط أواخر عام (٢٠٠٨)، وكذلك مؤتمرات عالمية مثل المؤتمر العالمي للبيئة ومصادر المياه الذي سيعقد في الولايات المتحدة في مايو (٢٠٠٩م) www.ag.unr.edu .

إن العالم اليوم بأسره يعيش مشكلة البيئة وتهدده قضايا متنوعة، ثقب الأوزون، التغير المناخي، التلوث البيئي، النفايات العسكرية.... إلى غيرها من الأمور التي تثبت أن الطغيان البشري وظلم الإنسان للإنسان بلغ حداً أغرى بعض الدول إلى استخدام المهلكات البيئية، وجعل من الدول الفقيرة أو الضعيفة مرتعاً ومقبرة لنفاياتهم، وهذا من أعظم الظلم والإفساد، مما حدا بالمنصفين في الغرب إلى إطلاق الدعوات والتحذيرات من تفاقم المشكلة واستمرار الكارثة، وهذه الدعوة المنصفة لابد لها من مساندة يتبناها المسلمون من منطلق رؤيتهم الشرعية لحماية البيئة والتي جاءت بها النصوص في الكتاب السنة وتراث الأمة، ولا شك أن المساهمة في هذا الأمر يدعم الحوار الحضاري لصالح المسلمين ويحافظ على بنية المجتمعات الإسلامية.

ولعلنا نشير إلى بعض المعاهدات الدولية في ميادين متعددة تعبر عن علاقات متعددة الأطراف.

ومن أبرزها معاهدة (كيوتو) التي وقعتها أكثر من مائة دولة، والهدف الرئيس لها ضبط أحوال المناخ على الكوكب من خلال وضع معايير لقياس الغازات المنبعثة من كل دولة، ووضع سقوف لهذه الغازات لا ينبغي تعديها. وبعد أن وقعت الولايات المتحدة الأمريكية المعاهدة بعد مقاومة شديدة لها باعتبارها الدولة صاحبة أعلى معدل في العالم لانبعاث الغازات منها، قامت الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس بوش بالانسحاب منها، مما أدى إلى سخط عالمي على المستهلك الأمريكي، وقد أرادت الولايات المتحدة الأمريكية بهذا الانسحاب اللاأخلاقي تفادي التكاليف المالية الباهظة التي كانت ستتحملها في حالة القيام بتعديل مصانعها حتى تتفق مع المعايير الدولية المقترحة[1].

٩- يهتم الإسلام بمحاربة كل أمر يسيء إلى بنية المجتمع، ولذا قرر مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستحدث بعض خلفاء المسلمين مؤسسة اجتماعية تعمل بالتعاون مع المؤسسات الأمنية في كيان الدولة تسمى (هيئة الحسبة)[2]، وقد يكون من الصعب أن يتفق الغرب مع المسلمين في إنشاء جهاز الحسبة، بل إن هذا الجهاز يلقى معارضة شديدة في بلاد

---

(١) الغرب الكوني والشرق المتفرد، دراسة تحليلية لحوار الحضارات، د. السيد ياسين ضمن كتاب (الإسلام وحوار الحضارات)، / مرجع سابق، (١/ ٣٨٨- ٣٩٦).

(٢) (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ)، د. سليمان الحقيل، ط٤ (١٤١٧هـ).

الإسلام فكيف بغيرها، لكن من الممكن أن ننطلق معهم في حوار حضاري حول اهتمام الإسلام بالمحافظة على القيم والاحتساب على الحياة العامة بما يضمن رعاية الناس وحفظ شئونهم ودرء الأسباب التي تؤدي - إذا أهملت - إلى وقوع المخالفات القانونية في الأماكن العامة مثل مخالفات الآداب، ومحاولات الغش بشتى أنواعه التجارية والإدارية، وما شابه ذلك من أمور قد تخفى على الجهات التقليدية المسؤولة.

كما تسعى إلى منع كل أنواع الظلم الاجتماعي وتأكيد المساواة التامة بين البشر من حيث أصولهم، على اختلاف ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم ومستوياتهم الاجتماعية، وهو ما يتفق عليه جميع العقلاء في العالم.

١٠- يهتم الإسلام كما تهتم النصرانية ببعض المبادئ العامة مثل المساواة والعدل والتسامح والتواد والتراحم والتكافل بين كل أفراد المجتمع، وهذه الأمور أنشأ الغرب لها مجموعة من الجمعيات والهيئات العاملة والتي ينطلق بعضها من منطلق (إنساني)- كما يقولون - وأما المسلمون فينطلقون فيها من منطلق التصور الإسلامي لجوانب التشريع للحياة، ويضمن ذلك أن تطبق وفق نظام دقيق لتوزيع الحقوق والواجبات داخل دوائر اجتماعية تبدأ من الأسرة ثم الأقارب ثم الجيران ثم البلدة ثم تتسع إلى أن تشمل كل أفراد المجتمع بل والأمة الإسلامية كلها بمن يعيش فيها من غير المسلمين[(١)].

ومن الأمثلة على ذلك رعاية الأيتام والاهتمام بالمعاقين، وعلاج المرضى الفقراء، وإغاثة الملهوفين، وسقيا الماء، ونصرة المظلوم في السجون أو خدمة الأعمال العامة للناس، هذه الأمور وغيرها مجال خصب للدخول مع الغرب في حوار حضاري يوضح رؤية الإسلام للحفاظ على بنية المجتمع، ورؤية الإسلام أيضاً للعمل التطوعي وأبعاده وأهدافه.

- إن ثقافة العمل التطوعي لدى الغرب مرت بمراحل عديدة، لكنها استقرت في خدمة مجتمعهم وقيام الدولة مع الإفراد بهذه المهمة حتى إن أنظمة الدولة في الضرائب وما في حكمها تسقط عن العمل الخيري، أو عن الأفراد إذا أرادوا دعم العمل الخيري، وتسمى مثل هذه

---

(١) واجه العمل الخيري في البلاد الإسلامية بعامة والخليج بخاصة حملة تشويه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر غيرت مسار بعض هذه الأعمال، وأقصت بعضها، لكن الخير باق ومستمر، ينظر: ((القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب)) د. محمد بن عبد الله السلومي، من إصدارات مجلة البيان، ط١ (١٤٢٤هـ).

المؤسسات أو المنظمات (منظمات غير ربحية) ففي أمريكا وحدها أكثر من مليون ونصف المليون جمعية ومنظمات كلها معفاة من الضرائب، كما أن لها حق الحصول على نسبة كبيرة من الضرائب المستحقة على الشركات والأفراد والمنشآت، حيث يتم خصم الاستحقاق من الضرائب التي يجب دفعها للحكومة في حالة التسديد للمنظمات غير الربحية.

كما تبلغ التبرعات والهبات للمنظمات غير الربحية في الولايات المتحدة وحدها عام (٢٠٠١م) أكثر من ٢١٢ مليار دولار، بالإضافة إلى مصادر العطاء من خلال المؤسسات الوقفية التي أسهم بها رجال الأعمال والشركات الكبرى في الغرب مثل مؤسسة (بيل وملندا غيتس) الوقفية ((باسمه واسم زوجته))، وهو مالك مايكروسوفت، ويبلغ رأسمالها أكثر من (٢٤ مليار دولار) [١].

ولعل المسلمين من خلال تجربتهم وثقافتهم العالية في العمل التطوعي يقدمون الرؤية الإسلامية لمثل هذه الأعمال من خلال المؤتمرات واللقاءات والمكاتبات لتسهم في إيصال دعوة الإسلام إلى مجتمعات الغرب، وهو هدف أسمى من أهداف الحوار، ويتم ذلك عن طريق التعريف بالعمل التطوعي في الإسلام، وعلاقته بالإغاثة والنصرة، وضرب الأمثلة للعمل التطوعي مما جاء في القرآن والسنة وفعل السلف الصالح، مع رسم فقه العمل التطوعي وتقسيماته وثقافته التي حددها علماء الإسلام في دراساتهم [٢].

هذه بعض المجالات الاجتماعية التي جاء بها الإسلام وأصلها ووضع لها الأسس، وهي معمول بها في الغرب وينادي بها المنصفون من أبنائه، ويحذرون من خلافها أو الإخلال بها.

ولا شك أن التعاون المثمر من خلال إبراز الدور الإسلامي لمثل هذه المجالات سيجعل من الحوار الحضاري مع الغرب حواراً مثمراً يؤتي أكله بإذن الله.

وقد انتبه عدد من كتاب الغرب للقيم الإنسانية العظيمة في الإسلام، وأشادوا بها، وتحدثوا عن إلغاء الطبقية، وقيام المجتمع على العدل والمساواة، فعلى سبيل المثال، كان المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي (**ARNOLD TOYNBEE**) بعد أن ذكر في كتابه (**Civilization on Trial**) أنه: ((بدراسة التاريخ، نجد أنه - حتى الآن- أعاد نفسه

(١) المرجع السابق، وقد خصص مبحثاً لهذه الأرقام والجداول والاحصائيات [٤٣٩- ٤٦٤].

(٢) العمل التطوعي في ميزان الإسلام" أحمد محمد الجمل، دار السلام، القاهرة، ط١ (١٤٢٨).

حوالي عشرين مرة في إيجاد حضارات من نوع حضارتنا المعاصرة، كلها بادت أو انهارت. وحينما ندرس تاريخ هذه الحضارات بالتفصيل، نجد ما يشبه النموذج المتكرر لانهيارها وسقوطها»[١]... «لقد استيقظنا على حقيقة، أن حضارتنا ليست محصنة ضد هذا المصير؛ ولا أدري كيف كان يمكن أن نعمى عن هذه الحقيقة))[٢].... ((كل هذه الحضارات المعروفة للمؤرخين الغربيين، كلها دون استثناء، بادت بسبب الحرب أو الطبقية أوكليهما))[٣]. بعد ذلك قال: ((إن إنعدام الطبقية في المجتمع الإسلامي، كان واحداً من الإنجازات الأخلاقية بالغة الروعة للإسلام. وفي عالمنا المعاصر، توجد حاجة ملحة **Crying Need** للإفادة من هذه الفضيلة الإسلامية))[٤].

وقال في كتابه الآخر **A study of History**: ((إن الأخوة الإسلامية بين مختلف الأعراق، ليست مجرد دعوى نظرية؛ بل هي واقع عملي في المجتمع المسلم، حيث الزنجي المسلم يقف على قدم المساواة مع الأبيض أو الأحمر أو الأصفر، وهنا - في هذا التصور النبيل- الأخوة البشرية ليست مجرد فرضية، بل حقيقة تثبتها اكتشافات العلم الحديث؛ فالعلم الحديث، يتقبل إلى أدقّ التفاصيل التصور الإسلامي للوحدة البشرية))[٥].

وقال المستشرق النمساوي محمد أسد: ((إن النظام الخلقي للإسلام، وتصوره للسلوك الخلقي والاجتماعي والشخصي، هو - بلا حدود- أرفع وأعظم كمالاً من مثيله في الحضارة الغربية؛ فالإسلام ألغى الكراهية الإنسانية، وفتح الطريق للأخوة والمساواة بين بني الإنسان، ولكن الحضارة الغربية لا تزال عاجزة عن أن تنظر أبعد من الأفق الضيق للشقاق العرقي والقومي.. الإسلام لم يعرف قط الطبقية أو حرب الطبقات، ولكن التاريخ الأوربي - منذ عهد الإغريق والرومان- مملوء بالصدام الطبقي والكراهية الاجتماعية))[٦].

(١) Civilization on Trial ، Arnold Toynbee, P. 38.

(٢) Ibid. p.21.

(٣) Ibid. p.23.

(٤) Ibid. p.205.

(٥) A study of History ،Arnold Toynbee, p. 228.

(٦) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٨٧م)، ص ٧٢- ٧٣، وهو عالم وكاتب نمساوي، ولد في بولندا عام (١٩٠٠م)، وتوفي عام (١٩٩٢م)، كان يهودياً ثم =

وقال المستشرق البريطاني **H.A.R. GIBB**: ((الإسلام لا يزال قادراً على أن يمنح خدمة جلّى للهدف الإنساني؛ إن لدى الإسلام تقليداً رائعاً من التعاون والتفاهم بين مختلف الأعراق، لا يوجد مجتمع آخر - كالإسلام- كان مثل سجله في النجاح، في أن يوجد في المساواة في المركز الاجتماعي والفرص، في العمل والنجاح، مثل هذه العدد والتنوع من الأجناس البشرية))(١).

وعلى المسلمين المقيمين في بلاد الغرب اليوم أن يتحملوا مسؤولية توسيع دائرة الحوار الاجتماعي، والتفاعل، والاندماج، والتآخي، ونبذ العنصرية بجميع أشكالها وصورها؛ فالاحتكاك المقنن يدفع كثيرًا من المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين، ويمكن الإشارة إلى خطوات داعمة لهذا التوجه:

١- الاهتمام ببرنامج اليوم المفتوح، الذي تقيمه المؤسسات الإسلامية في الغرب: وهو عبارة عن فتح أبواب المسجد أو المؤسسة أحد أيام الشهر، لاستقبال الجيران، وموظفي الدوائر الرسمية، للتعرف على المؤسسة ومرافقها؛ وتلقي بعض النشرات التعريفية بالإسلام.. وهذا النشاط له أثر كبير في نفوس الجيران.

٢- إشراك بعض الأصدقاء من غير المسلمين في رحلاتنا الأسرية الترفيهية الهادفة؛ للتعرف على أخلاقياتنا وعاداتنا(٢).

٣- من الضروري، تهنئة الأحزاب التي تفوز في الانتخابات البرلمانية والمحلية؛ وكذلك تهنئة الأشخاص الفائزين، مع التنويه ببعض ما عرضوه في برنامجهم الانتخابي، والسعي لإجراء حوار معهم منذ البداية، وقبل انشغالهم بالأعباء البرلمانية أو الوزارية.

٤- ضرورة مواساة الجيران في أي حدث يلمّ بهم، وتهنئتهم إذا مرّ بهم حدث سار.

= أسلم، طاف العالم، وألف عدداً من الكتب، واستقر في إسبانيا وتوفي بها، وللرجل آراء غريبة في القرآن وبعض قضايا الفقه تدل على عدم تمرسه في العلم، واستقراره في حياض الإسلام.

(١) Wither Islam ،H.A.R. Gibb, p. 379.

(٢) صلاح الدين جعفراوي، الحضارات صدام أم حوار ضمن كتاب الإسلام وحوار الحضارات، مرجع سابق، (٣/ ٤٦٤).

٥- التفاعل مع أي عارض يلمّ بالمنطقة، والتعامل معهم لتخفيف وطأة هذا الحدث؛ والشعور بأننا جزء طبيعي من هذا المجتمع[١].

وقد ذكر بعض المهتمين بهذا الشأن حادثتين في الغرب كان لهما أثر في الشأن الاجتماعي:

الحادثة الأولى:

في مدينة ((أوتريخت)) الهولندية، عندما اجتاحت الفيضانات المنطقة، وأصبحت كارثة تهدد بعض مناطق المدينة، قام الأستاذ الهادي أحمد علي، مدير مركز جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بطرح الأمر على جموع المصلين، وتم جمع بعض التبرعات لتسلم إلى مسؤولي البلدية... كما أبلغهم أن مرافق المركز مهيأة لاستقبال أي عدد من المتضررين الذين لا يجدون ملجأ، في ضيافة كاملة، حتى تحل المشكلة[٢].

ولا أحد يستطيع أن يتصوّر كيف كان وقع هذا التصرف الحضاري، الذي ينمّ عن تفهم واستيعاب كامل لتعاليم الإسلام، وشعور بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقنا.

لقد خرجت الصحف، تكتب عن هذا الموقف، وانهالت تصريحات المسؤولين تثني على هذا التصرف الحضاري المسؤول. وأصبح مركز الدعوة منارة في المنطقة، ومحل تقدير واحترام وحبّ المحيطين به، بل والمدينة بأسرها، وتمت الموافقة على توسعة المركز.

الحادثة الثانية:

في مدينة باريس - العاصمة الفرنسية- عندما قامت الإغاثة الإسلامية (فرع فرنسا) بتوزيع وجبات غذائية يوم الجمعة على الفقراء من المسلمين وغير المسلمين، ونظرًا إلى أن أكثر أبناء الأقلية المسلمة من المغرب العربي، أطلق على هذه الوجبة ((كسكس المحبة)). وكان لهذا الموقف أثر كبير في نفوس الباريسيين؛ حيث لم يقتصر عمل الإغاثة الإسلامية على تقديم الدعم للمسلمين في الكوارث التي تحل بهم، بل كان يشمل المسلم وغير المسلم دون تمييز[٣].

---

(١) صلاح الدين جعفراوي، المرجع السابق، ص ٤٦٤- ٤٦٥.

(٢) صلاح الدين جعفراوي، المرجع السابق، ص ٤٦٤- ٤٦٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٦٥.

وقد حضر الباحث مشروع توزيع السلة الغذائية على فقراء سامباولو بالبرازيل، والتي يقوم بها مركز الدعوة هناك، حيث يحتشد مئات الفقراء أمام الجامع يوم الجمعة، ويشاهدون صلاة الجمعة، ويحضرون الخطبة، ثم يرون مدى التكافل والتعاون بين المسلمين الذين يقومون بتوزيع الأغذية على الفقراء من المسلمين وغير المسلمين.

إن الإسلام - عند طرح هذه النماذج- إنما يؤكد دائمًا على أن رسالة الإسلام هي رسالة الحياة للناس دون تمييز: â**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**á [الأنفال:٢٤]، وأن الآخرة هي ميدان التفاضل بينهم عند الله، أما الحياة الدنيا، فهي للجميع... كل حسب جهده وعمله ومهارته، من غير بخس ولا نقص؛ بل ويؤكد الإسلام على أن الناس جميعًا - على اختلاف مللهم وشرائعهم- لابد أن يتنافسوا في عمل الخير، وليدخلوا في ميادين التسابق والتحاور الاجتماعي بشكل يحقق النفع والفلاح في الحياة الدنيا[(١)].

# # #

(١) الإسلام ومنطلقات المشترك الحضاري البشري، أ.د/ حامد أحمد الرفاعي، سلسلة (لتعارفوا)، ٢٠٠٥م العدد٢٢، ط١، ص٧٠.

المبحث الرابع: المجال السياسي

من خصائص الحضارة الغربية أنها حضارة تقوم على الصراع، لحمتها وسداها الصراع المتغلغل في كل النواحي، بدءاً بالإنسان الذي يصارع فطرته، ويحارب الفضيلة، ويقاسي صراعاً مع المادة، ومروراً ببعض الصور الظاهرة في صراع الحياة والفصام بين الروح والجسد، هذه النظرة جعلت الحضارة الغربية تعيش مع الآخرين وفقاً لرؤية بعيدة عن الإنصاف تتمثل في أمور، منها[1]:

أ- الاستعلاء على الآخرين، الذي يسري ويتحكم في عقول الغربيين كافة، فهم يعتقدون أنهم أفضل من غيرهم عنصراً وأنقى دماً، وأنهم خلقوا ليقودوا العالم ويسوده، ولهذا سادت عندهم نظرية (تفاضل الأجناس)، وأن الناس ليسوا سواسية، بل هناك تفاوت واختلاف، هذه النظرية هي التي قادت إلى الاستعمار وسرقة الموارد، وحصر تطبيق القيم الحضارية على مجتمعاتهم فقط، وقد أكد علماء ومفكرون مسلمون أن السبب في تعثر الحوار الحضاري القائم حالياً بين العالم الإسلامي والغرب يكمن في أن الحضارة الغربية تعاملت مع الحضارة الإسلامية بشكل استعلائي.

جاء ذلك في المؤتمر العام الرابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة الذي عقد في ٢١/ ٥/ ٢٠٠٢م.

ب- نفي الآخرين سياسياً واقتصادياً وثقافياً، وبخاصة المسلمين، والأمثلة على هذا النفي كثيرة، منها: حق العضوية في مجلس الأمن، حق الفيتو في المجال السياسي، المؤتمرات الكبرى التي تُحصر على السبع الكبار.

وهذه النظرة هي التي أصلت العنف في الغرب، فهو عنصر داخلي في الحضارة الغربية، وعلاقة الغرب بثابت العنف ليست علاقة طارئة، وإنما هو آلية مشروعة سياسياً، ونموذج ثقافي وأخلاقي تكشف عنها مشاهد وتعبيرات في تلك الحضارة، ولا يمكن تغيير أي مفهوم أو قيمة حضارية ما لم يتم تغيير أساس البنية الإيديولوجية والفلسفية التي تأسست عليها القوة المادية

(١) الإسلام حضارة الغد للقرضاوي (٢٣- ٢٦)، حوار الحضارات، دار إبراهيم الناصر (٥٢- ٥٣).

لهذه الحضارة[(١)].

جـ- ازدواجية المعايير: وهذا الموقف ظاهر في طبيعة الموقف الغربي من العرب وإسرائيل، وكذلك يظهر كيفية التعامل الغربي مع المشكلات التي بين طرف مسلم وطرف غير مسلم، وهو ظاهر في تعاملهم مع حركات الانفصال من البلدان الإسلامية إذا قام بها طرف يؤيدونه.

د- اتهام الإسلام بتشجيع الإرهاب والدموية ضد الآخرين، وتكثيف المصطلحات المسمومة (الملغمة) ضد المسلمين، وتفسيرها حسب رؤيتهم، ومحاولة إلزام الأمم المتحدة، والعالم كله بهذا التفسير، من أمثال كون حركات المقاومة حركات إرهابية، وجعل الإسلام تطرفاً.

هـ- البحث عن عدو، والركون إلى الإيديولوجيا الغربية إذا احتاج الأمر إلى ذلك، ولم يجد الغرب أهم ولا أخطر – في نظره- من الحضارة الإسلامية ليتخذها العدو في حربه المعلنة – رغم ضعفها الحالي- ولعلها مفارقة غريبة أن تستهدف حضارة ضعيفة بهذا الزخم الهائل من التجييش والتحرك[(٢)].

ها هو مساعد وزير الخارجية الأمريكي السابق لشؤون الشرق الأوسط –إدوارد جيريجيان- يقول بوضوح إن ((الولايات المتحدة بوصفها القوة العظمى الوحيدة الباقية، والتي تبحث عن إيديولوجية لمحاربتها، يجب أن تتجه نحو قيادة حملة صليبية جديدة ضد

(١) العنف والحضارة الغربية... الإسلام كبداية جديدة للتاريخ، د. ملازم كراستنشي، ترجمة: د. عبد الرحمن حللي، دار الملتقى، سوريا، ط١ (٢٠٠٨م)، (١٨- ٢٢).

وينظر: جريدة العرب بتاريخ ٧/ ٤/ ٢٠٠٨م، تحقيق بعنوان: : ((الاستعلاء الغربي يصور الرجل الأبيض سيد الكون وإله البشر))، وهو موجود على موقع الجريدة: www.alarab.co.uk.

ويسميها بعض الكتاب: ((وقاحة الاستعلاء)) حيث أصدر كتاباً بهذا الاسم، د. خالد حاجي، وهو موجود على موقع موازين الثقافي.

(٢) لمحات عن منهجية الحوار والتحدي الإعجازي للإسلام في هذا العصر، رشدي فكري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ (١٩٨٢م) (ص ٥٥).

الإسلام))[١]، وهو التعبير نفسه الذي استخدمه – بوش الابن – في بداية الحملة الأمريكية الجديدة على العالم الإسلامي[٢].

و- القيادات الغربية تشكل رؤيتها عن الإسلام والعالم الإسلامي من خلال المرجعيات الاستشراقية المغرضة المعادية، أو من خلال دراسات استخباراتية مبنية على مثل هذه الرؤى، مما يجعل هؤلاء الباحثين يعطون لصناع القرار الغربي صورة مكذوبة عن العالم الإسلامي، ويحرفون آيات القرآن، ويحذفون من كتب المسلمين ما لا يروق لهم، ويقتطعون من النصوص ما يخدم توجههم، ويشوهون صورة الحضارة الإسلامية لتستقيم لهم حضارتهم[٣].

وقد حدث في اجتماع المؤتمر الدولي للتعاون الأورومتوسطي الذي عقد في فرنسا، حيث قامت نائبة فرنسية في البرلمان الأوروبي تدعى (فرانسواز جروستيت)، واتهمت الإسلام بمعاداة المرأة وتكريس دونيتها بالمقارنة بالرجل، وتحدثت في قضايا كثيرة ... فقام الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية عصمت عبد المجيد، ورد عليها قائلاً: ((إن الإسلام الذي تتحدثين عنه، ليس هو إسلامنا الصحيح، وإنما هو إسلامكم، أنتم الذين صنعتموه لأنفسكم من محض افتراءات وأكاذيب لا علاقة لها بواقع الدين الإسلامي، ولا بحياة المسلمين... ثم تحدث عن ازدواجية المعايير لدى الغرب، فقال: لماذا لم نسمع أحدكم معشر الباحثين الأوروبيين يتحدث عن الأصولية والتطرف عند الصرب الذين فتكوا بمسلمي البوسنة، واستباحوا لأنفسهم من دمائهم، وعرضهم ما لا يقره عقل أو دين أو منطق سوي!!؟ أم أن الأصولية والتطرف والتعصب هي – في شريعتكم المغلوطة – ليست إلا من نصيب الإسلام والمسلمين فقط؟!.

بعد ذلك قامت هذه النائبة إلى المنصة وقالت: أعتذر إليكم، فقد استندت في كل ما

---

(١) حرب الخليج: أوهام القوة والنصر، محمد حسين هيكل، مركز الأهرام للترجمة، القاهرة، ط١ (١٤١٢هـ) (ص ٢١٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المستشرقون والتاريخ الإسلامي، علي حسن الخربوطلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٨م) ص(١٠٩).

قلته إلى دراسة أعدها أحد الباحثين خصيصاً للاتحاد الأوروبي))[1].

ز- تهييج وإذكاء الصراعات الحدودية وعدم الالتفات للتردي الخطير في العلاقات الدولية، والذي ينذر بالخطر، ففي دراسة إحصائية أنجزها المعهد الفرنسي لعلم الحرب (**Polemologie**) أحصى نشوب أكثر من ثلاثمائة نزاع مسلح، منها ما هو حدودي، ومنها ما هو طائفي داخل دولة واحدة، وقد كلفت هذه النزاعات أكثر من خمسمائة وثمانين مليون قتيل[2]!!.

هذه الرؤية السياسية الغربية تختلف من دولة إلى أخرى، بل وتختلف من سياسة داخل الدولة إلى أخرى، لكنها في الغالب تقترب من أغلب السمات المذكورة في تعاملها مع القضايا السياسية في العالم الإسلامي.

ومع ما سبق، فلا بد من التأكيد على أنه عندما يهاجم الغرب أحوال المسلمين السياسية والاجتماعية، يجب أن لا ندافع دفاعاً ساذجاً عن هذه الأوضاع القاسية، وأن نقر بفساد أوضاعنا السياسية والاقتصادية والحقوقية، ولكن نعي أن الغرب لم يكل التهم لنا من أجل إصلاح أحوالنا وإنقاذ الشعوب المستضعفة، وإنما يريد إحلال قيمه الغربية، وابتزاز الحكام، واستنزاف الشعوب ومقدراتهم – وما التدخل في العراق عنا ببعيد- .

وهنا أشير إلى أهم المجالات السياسية في الحوار الحضاري:

(١) الشورى والديمقراطية وما يتعلق بهما، كعلاقة السلطات بعضها ببعض، ونظرة السياسة الشرعية للفصل بينها، والتأكيد على أن السلطة التشريعية حق لله تعالى - أي إنشاء التشريع- لقوله تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾ [الأنعام: ٥٧]، وأما تبني حكم وإظهاره، واستصدار أحكام قضائية (تشريعية)، فإن الله تعالى أمر عباده بالرجوع إلى الكتاب والسنة لاستنباط الحكم، وإعمال العقل في الاستدلال والاجتهاد في معرفة الدلالات.

---

(١) مواقف وتحديات في العالم العربي، د. عصمت عبد المجيد، دار الشروق، القاهرة، ط١ (٢٠٠٣م) ص ٣١.

(٢) مقال بعنوان: ((معهد غاستون بوتول لدراسة ظاهرة الحرب)) خالص جلبي، جريدة الاقتصادية، وهي منشورة على موقع جريدة آفاق بشكل مفصل بتاريخ ٧/ ١٠/ ٢٠٠٧م.

وقد صدر عن المعهد كتاب بعنوان ((الحروب والحضارات)) تأليف عدد من المدرسين في المعهد الفرنسي، دار طلاس، دمشق، ط١ (١٩٨٤م).

فالشريعة الإسلامية تجعل السلطة التشريعية في أصلها لله، وبذلك تفصل أهم سلطة، وهي أم السلطات كما يسمونها، وفي هذا ضمان لقيام النظام السياسي في الإسلام على أسس تمنع الفساد والاستبداد، وتجعل هذه السلطة تقوم على ضمانات تحقق العدل والحرية لجميع أفراد المجتمع.

أما السلطة القضائية في الإسلام - وهي السلطة الثانية- فتقوم بتطبيق الأحكام الشرعية بالفصل في الخصومات، وتوقيع العقوبات وفقاً لهذه الشريعة، لذا جعل الإسلام القضاء من أعظم الولايات، وحذر من التهاون فيه، وشدّد على من يتولاه، ووضع الضوابط والشروط الكبيرة لمن يتسنم منصب القضاء، كل هذا من أجل المحافظة على هذه السلطة نزيهة بعيدة عن الشبهات.

أما ثالث السلطات، فهي التنفيذية، وهي ما يقوم به الوالي، ومن ينوب عنه من الوزراء ومن في حكمهم من أعمال التنفيذ والرعاية للبلاد وأهلها[1].

وبناء على ذلك، فإن هذا المجال - وهو المتعلق بالإنسان والتنظيم السياسي - يعد من أهم وأخطر المجالات السياسية في هذا العصر، نظراً لتجاذب قوى مختلفة لرايات متباينة بين الديمقراطية والشورى وحقوق الإنسان والحرية والمجتمع المدني، إلى غيرها من المصطلحات السياسية التي تحتاج إلى حوار حضاري يوضح رؤية الفقه السياسي الإسلامي[2].

(٢) حقوق الإنسان وما يتعلق بهذه المسألة، مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وما دعا إليه من قضايا التمييز والمساواة والتوازن بين حق الفرد والمجتمع، وما صدر عن الإعلان المذكور من تعداد حقوق الإنسان، ودعوة الدول إلى تطبيقها، والواقع الذي يعيشه العالم والذي يثبت خللاً كبيراً في إيجاد مثل عليا لحفظ حقوق الإنسان، رغم هذه الاتفاقات الدولية، مع التأكيد من الجانب المحاور من المسلمين أن منهجية تفعيل حقوق الإنسان

---

(١) السلطات الثلاث في الإسلام، بحث د. عبد الوهاب خلاف، مجلة القانون والاقتصاد، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، السنة السادسة ص(٤٥٨ وما بعدها)، وينظر ((الشورى وأثرها في الديمقراطية دراسة مقارنة)) د. عبد الحميد الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، ط٣ (١٤٠٠هـ)، وينظر: ((أصول نظام الحكم في الإسلام)) د. فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (١٤١١هـ).

(٢) الإسلام والحضارة: صراع أم حوار، د. صالح بن بكر الطيار، ضمن كتاب ((الإسلام وحوار الحضارات)) مرجع سابق، (١/١٢٧_١٢٩).

الفريدة التي يمتلكها الإسلام هي وحدها الكفيلة بحماية حقوق الإنسان على الوجه الأمثل... تلك المنهجية المتألفة من شقين:

أ- المنظومة الثلاثية من الأحكام الخاصة بنظام العقيدة الإسلامية، ونظام الأخلاق الإسلامية ونظام العبادات، والتي تصلح الإدارة والسلوك والتعامل مع الآخرين مما يحقق نظاماً اجتماعياً وسياسياً يحافظ على حقوق الإنسان.

ب- خصائص أحكام حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية من حيث كونها وحياً إلهياً كاملاً شاملاً متوازناً يحقق الخير والمصلحة للجميع.

وكذا تأثير بقية الخصائص لأحكام حقوق الإنسان التي تشكل ضمانات فعالة ومنتجة لحماية حقوق الإنسان، كتقرير مبدأ (ثنائية المسؤولية) المتمثل بوجوب تطبيق المسلم أحكام حقوق الإنسان على نفسه، وحمل غيره على تطبيقها أيضاً، وهو مبدأ لا تعرفه القوانين الوضعية، مع التأكيد على مبدأ (ثنائية الجزاء) في الدنيا والآخرة على انتهاك حقوق الإنسان، وهو ما يخلو منه القانون الوضعي.

ومن هذين الشقين تتألف منهجية تفعيل حقوق الإنسان في الإسلام، والتي خلت منها جميع الأنظمة العالمية بسبب غياب أو تغييب المسلمين أثناء صياغة هذه الوثائق والصكوك الحقوقية، مما جعلها تظهر بصورتها العلمانية للدولة الغربية[(١)].

ولعل هذا السبب هو الذي دفع المملكة العربية السعودية للتحفظ على وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أساس أن مصدر حقوق الإنسان علماني غربي، لم يأخذ في الاعتبار القيم المطروحة في الأديان السماوية. ولعل أبرز نقاط الاختلاف والخلاف التي رصدها بعض الباحثين هي[(٢)]:

- إن حقوق الإنسان بالمعنى الغربي للكلمة هي علاقة بين الفرد والمجتمع والدولة. ولكن

(١) حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون، د. منير حميد البياتي، سلسلة كتاب الأمة رقم (٨٨)، مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، الدوحة، ط١ (١٤٢٧هـ).

وينظر: ((حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وقواعد القانون الدولي))، د. محمد عبد العزيز أبو سخيلة، عمان، الأردن، ط١ (١٩٨٥م).

(٢) بحث د. صالح الطيار، مرجع سابق، وينظر ((حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي)). محمد فتحي عثمان، دار الشروق، بيروت، (١٩٨٢م)، والنقاط مأخوذة منه.

بالمعنى الإسلامي هي علاقة الإنسان بالله مع علاقته بالمجتمع والدولة. أما المفهوم الغربي فهو مفهوم علماني يفصل بين الدين والدولة.

- إن المفهوم في الإعلان العالمي يركز على الحقوق، ولا يعطي اهتماماً كافياً لمسألة واجبات المواطن إزاء المجتمع، بينما هناك توازن في الإسلام بين الحقوق والواجبات[(١)].

ولكن ينبغي على المفكرين المسلمين أن يحرصوا على توضيح صورة الاختلاف بين الإعلان العالمي ورؤية الإسلام مع إبراز جوانب التميز لدينا، وأن يحرصوا على بلورة برنامج لصون هذه الحقوق، وبخاصة الحقوق السياسية، فالبريق الذي يلف حرص الغربيين على حقوقهم السياسية يجعل حملة المشروع الإسلامي يتوهمون أنهم في موقف ضعف في مواجهة المشروع الحقوقي الغربي في الوقت الذي لا يرقى فيه ذاك المشروع الغربي - رغم بهرجته- لمطاولة القمة السامقة التي يبلغها المشروع الإسلامي الحقوقي[(٢)].

(٣) العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أو بين الدولة والمواطن، ويدخل في ذلك مفهوم البيعة أو العقد الاجتماعي والمسألة الدستورية، ومفهوم المواطنة والحقوق والواجبات المتبادلة، والتوازن بين السلطات داخل المجتمع، وحقوق المواطن على الدولة والواجبات المطلوبة منه، وصفات تعيين الحاكم والقيام بحقوقه وحدود تصرفاته داخل الدولة ومدى الحرية الممنوحة للمواطن في التعبير عن حقه، والمطالبة بماله، إلى غيرها من القضايا المتعلقة بهذه المسألة[(٣)].

(٤) قضايا الحرب والسلام والعلاقات الدولية وما يتبعها من الأعراف السياسية والدبلوماسية، ومسائل الصراع والنزاعات الحدودية؛ ويدخل ضمن هذا الحوار ما يتعلق بالصراع مع الدولة الصهيونية، وهذا الصراع يتميز أنه صراع بين المسلمين بعامة مع دولة إسرائيل المغتصبة، وهو أيضاً صراع دولي بحكم نشأة هذه الدولة خدمة للمشروعات الدولية

---

(١) محاضرة ألقاها د. محمد النجيمي بمركز الملك فيصل بالرياض بعنوان ((الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الدواعي والواقع وإشكاليات التطبيق))، ونشرت جريدة الرياض مقتطفات منها عدد (١٣٦٨٩) في ١٤/ ١١/ ١٤٢٦هـ.

(٢) حقوق الإنسان... بون شاسع بين الطرحين الغربي والإسلامي، بحث: وسام فؤاد، منشور على موقع إسلام أون لاين.

(٣) سبق الحديث عنها تفصيلاً في الفصول السابقة من الباب الثاني والباب الأول.

الاستعمارية، وارتباطها وعلاقاتها بالدول الغربية، وفي ظل مثل هذه المعادلة المعقدة، فإن أحد الطرفين (الإسلامي والعربي) في الصراع ثابت وأصيل تاريخياً، ولا يتوقع أن يتغير جوهرياً مهما تغيرت الظروف، إذ سيظل منطلقهم الديني كما هو، وسيظل عداؤهم للمغتصب كما هو، وعليه فلا بد من السعي الدؤوب للدخول في تحالفات دولية جديدة للمسلمين ضد هذا المستعمر، واستغلال الحوار الحضاري للتأثير على هذه القضية[١].

ويتبع هذه القضية قضايا أخرى لا تقل أهمية، ومنها: قضية أمن الخليج والصراع فيه على الثروات الهائلة، وتدخل الولايات المتحدة في أراضيه، وتأجيج الصراعات الداخلية من أجل تفكيك وحدته، وأيضاً الحديث عن قضية التسلح النووي، وهي من القضايا الشائكة في المنطقة الإسلامية، وبخاصة بعد امتلاك بعض الدول في المنطقة لهذه الأسلحة، والمناداة الغربية - خاصة الأمريكية- بضرورة التوقيع على معاهدات نشر الأسلحة النووية، والضغط على بعض الدول، واتخاذ الأمر ذريعة لاحتلال دول أخرى - كما حصل في العراق- .

ويمكن أن يدخل في هذا الصدد قضية الخلافات الحدودية؛ حيث تعتبر المنطقة الإسلامية من أكثر المناطق التي توجد بها خلافات على الحدود في العالم، وذلك بسبب الاستعمار الغاشم لها حيث خرج وخلف وراءه الانقسامات الحدودية، وأجج الصراع عليها دون حل، وقد أحصيت بعض هذه الخلافات المنشورة، والتي عليها مطالبات رسمية عالمية، فتجاوزت الثلاثين خلافاً، فضلاً عن الخلافات الداخلية الحدودية، أو المياه الإقليمية التي لم يصل الأمر فيها إلى مطالبات دولية.

ومن مجالات الحوار هنا ما يتعلق بدور الممثليات الدبلوماسية، وتوقيع الاتفاقيات على القيام بأنشطة العمل الموكلة بها، وتحديد مهام الملحقيات الثقافية لكل دولة.

ولعل من نتائج هذه الاتفاقيات الاتجاه نحو التعاون الدولي، فمن الواضح أن العالم يتجه نحو التكامل في المجالات السياسية والاقتصادية والعلوم التجريبية، لأسباب كثيرة، منها استحالة أن تواجه دولة بمفردها أعباء التطورات العلمية المذهلة، ومنها الحاجة إلى فتح الأسواق العالمية أمام الإنتاج الوطني والحصول على ما تحتاج إليه.

---

(١) مدخل إسلامي لحوار الحضارات، د. محمد السعيد عبد المؤمن، ضمن كتاب ((الإسلام وحوار الحضارات))، مرجع سابق (٢/٣٩- ٤١).

ويدخل في التعاون الدولي ما يتعلق بالجانب العسكري والعقود السياسية الطويلة، والانضمام للهيئات والمنظمات الدولية التي تخدم مصالح المسلمين ولا تضر بهم، مع التأكيد على احترام إرادة الشعوب، والمحافظة على وحدة الوطن، والدعوة إلى إعادة صياغة التنظيم الدولي، وتغيير بنود بعض الهيئات لرفع الظلم والاستبداد باعتبار حقوق المسلمين غالباً هي المسلوبة في هذه الأنظمة، كذلك إعادة النظر في المواثيق والصكوك الدولية التي لم تراع ثوابت المسلمين، بل ظهر فيها التعصب الأوربي الديني[1].

ولعل من المناسب هنا التأكيد على ضرورة تفعيل دور منظمة المؤتمر الإسلامي - ثاني المنظمات الكبرى في العالم- حيث إن دورها مقارنة بأدوار المنظمات الأقل منها لا يكاد يذكر، فلابد من إدخال المنظمة إلى المحافل الدولية بكل قوة، والتركيز على تطبيق مواثيقها المقيدة، وتفعيل دور المكاتب ومراكز البحوث والجامعات والهيئات والاتحادات والبنوك واللجان التابعة لها.

وقد أكدت رابطة العالم الإسلامي أهمية التنسيق لإنجاز برامج الحوار الحضاري، وتحقيق أهدافه الإسلامية، وأهمية التشاور والتعاون بين المنظمات الإسلامية الشعبية والرسمية، والتنسيق فيما بينها في مجال الحوار، والتواصل مع المنظمات والمنتديات الدولية المهتمة بالحوار وبقضايا الإنسان، وأوصت بضرورة التعاون مع الجهات الحضارية الآسيوية والإفريقية لتوحيد الصف، وصد نزعات السيطرة، والتحكم بمقدرات الشعوب الضعيفة، وكذلك تعزيز التواصل مع المنظمات الدولية والإقليمية والمحلية التي تؤمن بالقيم والآداب العامة[2].

(٥) التعاون مع الدول في الحد من ظاهرة الإرهاب الدولي، ولكن مع ملاحظة ضرورة ضبط المصطلح، فهو من المصطلحات التي ينبغي أن يجري الاتفاق على تعريفها في الحوار بين الحضارات، ذلك أن الإرهاب في الأصل ليس مقيداً بهوية، أو محصوراً بجنس، أو متعلقاً بطائفة، وإنما هو من الظواهر التي وجدت في أكثر من مكان، وفي كل زمان، ولكن الذي شجع على الإرهاب ممارسة عدد من القوى الدولية والإقليمية للإرهاب دون وازع من دين

---

(١) مبادئ القانون الدولي العام، د. عبد العزيز محمد سرحان، دار النهضة العربية، مصر، (١٩٨٠م). وينظر: ((حقوق الإنسان بين العرب والأمريكان)) د. محمد الهرفي، دار المعالم الثقافية، ط١ (١٤٢٦هـ).

(٢) مؤتمر (الحوار الحضاري والثقافي: أهدافه ومجالاته) مكة المكرمة في ٦/ ١٢/ ١٤٢٥هـ، وهو منشور على موقع الرابطة، موقع سابق.

أو أخلاق، وهذا ما حدث في البوسنة والهرسك وكوسوفا وكشمير وغيرها، مما يمكن أن يطلق عليه اسم الإرهاب الدولي.

أما الأوصاف التي يحاول بعضهم إلصاقها بالمسلمين مثل (الإرهابيين)، فهي تدل إما على عدم معرفة بحقيقة الإسلام، لأن صورة الإسلام عندهم مستقاة من المراجع التي تسعى إلى التشويه[١] - كما سبق - وإما إلى عداء مستفحل، ورفض لقبول الحق.

وقد دعا هذا الأمر الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن تضع معظم المنظمات الإسلامية في العالم على قائمة المنظمات الإرهابية، مع أن بعض هذه المنظمات تقوم بمقاومة الاحتلال، وتدافع عن وجودها، وبعضها الآخر قائم على مساعدة المحتاجين من أبناء العالم الإسلامي، ولا علاقة له مطلقاً بأي عمل إرهابي أو حتى سياسي[٢].

وقد تناولت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة مصطلح الإرهاب بالدراسة والتحليل، وعقدت لذلك أكثر من مؤتمر تناولت الحديث عن معظم جوانبه الشرعية والقانونية والسياسية، وكذلك الأحكام الشرعية المترتبة على من يقومون بأعمال إرهابية تضر بأمن المجتمعات، وقد أصدرت الرابطة ما عرف باسم «بيان مكة» الصادر عن المجمع الفقهي بالرابطة [٣].

ولابد للمسلمين في حوارهم الحضاري أن يكونوا أكثر شجاعة في رفض الحالات الإرهابية التي تظهر على الساحة السياسية في بعض البلدان، ويتورط فيها أبناء المسلمين، فهي حالات فردية لا تعبر عن الرؤية الإسلامية، كما أنها نتيجة طبيعية -أحياناً- لبعض الممارسات القمعية في بعض الدول التي تمارس ضد المسلمين.

ومن عدم الإنصاف الظاهر في هذا الموضوع أنه إذا وقع إرهاب من أناس يعتنقون

---

(١) الحضارات المعاصرة، الشيخ العبودي، ضمن كتاب ((الإسلام وحوار الحضارات))، مرجع سابق، (٤٩٨/٢ وما بعدها) وينظر: ((الإرهاب: المفهوم، الأسباب، العلاج)) محمد الهواري، بحث علمي على شبكة الإسلام، وقد ساق تعريف الإرهاب في المنظومات العربية والهيئات العالمية، كما ساق الأسباب العالمية لهذا الفعل، والتي يتضح منها أن الغرب يسهم بشكل كبير في هذا الإرهاب.

(٢) مفاهيم الإرهاب والعنف واختلاف وجهات النظر حولها، د. محمد الهرفي، بحث علمي على شبكة الموسوعة الشاملة، وقد عقدت المملكة العربية السعودية مؤتمراً دولياً عن موقف الإسلام من الإرهاب، سعت من خلاله إلى إقرار تعريف لمفهوم الإرهاب، لكن بعض الدول المشاركة حالت دون الوصول إلى إقرار كامل للمفهوم.

(٣) مجلة الوعي الإسلامي، عدد (٤٣٧) سنة (٢٠٠٢م) ص٨٨.

النصرانية، كالجيش الجمهوري الايرلندي والانفصاليين الباسك في إسبانيا والثوار في كولومبيا أو غيرهم، لم يعدوه إرهاباً نصرانياً، أو ممن يعتنقون مللاً أخرى كالتاميل الهندوس، إذا وقع من هؤلاء إرهاب لم يعدوه إرهاباً هندوسياً، لكن إذا وقع من أناس منتسبين إلى الإسلام عدوه إرهاباً إسلامياً؟!

بل إنهم يرون أن أي صورة للدفاع المشروع، أو محاولة امتلاك وسائل القوة أو الحماية الفكرية والثقافية، أو التمسك بالدين والعقيدة وتطبيق الشريعة كل هذا عندهم إرهاب[1].

وهذا ما أكده الدكتور عصمت عبد المجيد في مؤتمر عالمي حيث قال: ((لماذا لم نسمع أحدكم - معشر الباحثين الأوروبيين- يتحدث عن الأصولية والتطرف عند الصرب الذين فتكوا بمسلمي البوسنة والهرسك، واستباحوا لأنفسهم من دمائهم وأعراضهم ما لا يقره عقل أو دين أو منطق سوي، أم أن الأصولية والتطرف والتعصب هي في شريعتكم المغلوطة، ليست إلا من نصيب المسلمين فقط))[2].

ولعل الافتراءات والشهادات الغربية هي التي تظهر قدم وتجذر ثقافة العداء للإسلام، والكراهية للمسلمين في التراث الغربي التي صنعت هذا التلفيق، وحضت على اتخاذ الإسلام عدواً وإلصاق التهم به في كل ميادين العمل السياسي[3].

وقد أكدت منظمة المؤتمر الإسلامي من خلال وثيقتها الأصلية أنه لا تعد جريمة إرهابية حالات الكفاح ضد الاحتلال والعدوان الأجنبي والاستعمار والسيطرة الأجنبية[4].

إن على المسلمين أن يستغلوا مثل هذه الرؤى في حوارهم الحضاري لمكافحة الإرهاب الدولي الحقيقي، والخروج بمكاسب سياسية تضمن لهم وجوداً قوياً في المنظمات الدولية.

---

(١) الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة، زكي علي السيد، دار الوفاء، مصر، ط١ (١٤٢٣هـ) (ص٢١).

(٢) مواقف وتحديات، د. عصمت عبد المجيد، مرجع سابق، ص(٣٢ وما بعدها).

(٣) الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، د. محمد عمارة، دار الشروق، ٢(١٤٢٧هـ) [٤٥_٦٢] حيث أكد تجذر هذا العداء من خلال الشهادات الغربية الكثيرة، ثم ساق بعدها الإنصاف من علماء الغرب (٧٣- ٣١٩).

(٤) ينظر موقع المنظمة، سبق ذكره، وفيه تفصيل لجميع بنود هذه الاتفاقية.

المبحث الخامس: المجال الاقتصادي

يمر العالم بأسره في فترات مختلفة بأزمات مالية، وعواصف تجارية تجعله يعيش في ذهول كبير، لا يدري معه ما يفعل، وهذا ما حصل بالفعل عند الأزمة المالية الأخيرة التي ازدادت حدتها في عام (٢٠٠٨م)، وهي الأزمة التي فتحت مجالاً كبيراً للحوار الحضاري مع من يملك حلاً أو رؤية قوية.

ومما لا شك فيه أن من يملك زمام الاقتصاد يملك القوة، فالمال هو عصب الحياة، وهو القوة المحركة والفاعلة لجميع السياسات، وهذا ما جعل التكتلات الدولية تضم الدول الأغنى والأقوى في الصناعات.

ويمكن الإشارة إلى أهم المجالات الاقتصادية التي تدخل في إطار حوار الحضارات ومنها:

(١) بيان حقيقة الاقتصاد الإسلامي، وإظهاره وإبراز محاسنه، وعرض الحلول المناسبة للأزمات المالية التي تعترض الأمم، وطرح البديل الإسلامي في السياسة النقدية والمصرفية والتي ترفع مستوى الأمة اقتصادياً، لأن هدف السياسة النقدية في ظل النظام الاقتصادي الإسلامي ذو أبعاد متعددة في عملية تنمية الإنسان في جانبه الاقتصادي والمادي والروحي، وأن محور السياسة النقدية هو المشاركة في الأرباح، مما يزيد فعالية السياسة النقدية في مجال تنمية الاقتصاد التي تتجه إلى إيجاد المشروعات النافعة للمجتمعات[١].

ولابد من بيان مخاطر النظام الرأسمالي العلماني الذي تسلل إلى كافة نواحي الحياة في العالم، وأخذ الاقتصاد في البلاد الإسلامية منه صوراً مريعة مخيفة، مثل النظام الربوي بكافة صوره وأشكاله، والفوائد المصرفية، وفوائد التوفير والادخار، ونظم التأمين القائمة على الغرر والجهالة والربا ومسابقات اليانصيب والقمار والضرائب الظالمة وغيرها من بوادر الحرب المعلنة اقتصادياً[٢].

---

(١) السياسة النقدية والمصرفية في الإسلام، عدنان خالد التركماني، الشركة المتحدة للنشر، دبي ط١(١٩٨٨م).

(٢) دراسة عن مقومات ومحددات التطبيق المعاصر للاقتصاد الإسلامي، د. حسين حسين شحاتة، وهي منشورة على موقعه الخاص، وسبق أن استضاف الباحث د. حسين وطرح مشروع البديل الإسلامي في الاقتصاد في برنامج ساعة حوار في أوائل شهر شوال عام ١٤٢٩هـ.

ويمكن أن يبدأ العالم الإسلامي في تطبيق نظام اقتصادي سليم من كل الشوائب يقوم على مجموعة من المحاور منها[1]:

- التوقف عن إصدار أي قانون أو قرار، أو وضع أي سياسة تتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.
- تنقية القوانين القائمة من كل ما يتعارض مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.
- وضع اللوائح التنفيذية لتطبيق فقه المعاملات بشكل معاصر ومرن.
- وضع صيغ العقود والاتفاقيات بما يتفق مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية.
- إنشاء معاهد تعليمية وتدريبية لتطبيق اللوائح التنفيذية للاقتصاد الإسلامي، وتدريس علوم فقه المعاملات، ونظم المؤسسات الاقتصادية الإسلامية في جميع مراحل التعليم بأسلوب يتفق مع مستوى كل مرحلة.
- تطوير المؤسسات الحكومية الحالية المعنية بأمر الاقتصاد والمال بما يتواءم مع طبيعة تطبيق الاقتصاد الإسلامي.
- دعم التوسع في إنشاء المؤسسات المالية الإسلامية، مثل المصارف الإسلامية وهيئات الاستثمار الإسلامي وهيئات التأمين والتكافل الاجتماعي الإسلامي وغيرها، اللازمة لتطبيق الاقتصاد الإسلامي.
- الاهتمام بالجوانب الأخلاقية في النظام الاقتصادي، وتكريس مبادئ الأخلاق لدى النظم الأخرى التي ألغت هذا الجانب تماماً.
- تفعيل دور البنوك الإسلامية والمعاملات المالية النقّية.

(٢) التأكيد على حسن استغلال الأموال وتنميتها لدى جميع الدول، وفتح الفرص لهذا، وأن لا يكون حكراً على الغرب، والتأكيد على ضرورة التعاون المالي بين الأغنياء والفقراء، لذا لابد من إثارة هذه القضية في الحوار الحضاري، ذلك أن من الأمور المقررة في الشريعة الإسلامية أن المال مال الله استخلف فيه الإنسان، كما استخلفه في الكون كله، مما يؤكد أن المال وسيلة لإشاعة التعاون بين الناس، وتنمية المجتمع الإنساني، لهذا جاءت الفرائض الشرعية كالزكاة، وجاء الحث على الصدقات والإنفاق.

---

(١) البحث السابق د. حسين ص٢١.

ويدخل في هذا الإطار أهمية تنمية الموارد البشرية والمالية، فهي الوسيلة الأمثل لحسن استغلال المال، وذلك بزيادة المستوى العلمي والمعرفي للإنسان، والعمل المستمر على تدريبه وتأهيله منذ مراحل التعليم الأولى مروراً بدخوله إلى سوق العمل وحتى خروجه منه[1].

ولهذا عقدت سلسلة من الاجتماعات والأنشطة الاقتصادية العالمية، وبعضها على هامش المؤتمر الدولي للحوار بين الحضارات عام ٢٠٠١م، حيث استضافت حكومة النمسا حوار الحضارات، وأصدرت وثيقة بعنوان «أفكار سلزبورج» حيث قامت الوزارات والممثليات المشاركة من ألمانيا باختيار تسعين مشروعاً لتمثل مساهمة ألمانيا في التنمية والاستغلال الأمثل للثروات[2].

(٣) الفقر والمجاعات والكوارث من المجالات الاقتصادية التي تُعقد لها الاجتماعات والمؤتمرات، وقد كان للإسلام نظرته العظيمة وحلوله الجذرية لهذا الأمر، فالإسلام يعتبر الفقر مشكلة تتطلب الحل، بل آفة خطرة تستوجب المكافحة والعلاج، ويبين أن علاجه مستطاع، وليس محاربة للقدر، ولا لإرادة الإله سبحانه.

والإسلام يرفض نظرة الذين يقدسون الفقر، ويرحبون بمقدمه، ويعدون الغنى ذنباً عجلت عقوبته، ويرفض نظرة الذين يعدون الفقر قدراً محتوماً، لا مفر منه ولا علاج له إلا الرضا والقناعة، ويرفض نظرة الذين يقتصرون في علاج الفقر على جانب الإحسان والتصدق الاختياري وحده.

وهو كذلك ينكر نظرة الرأسمالية المطلقة إلى الفقراء وحقوقهم على الأغنياء وعلى الدولة، ويتجاوز بعلاجه الترقيعات التي أدخلتها الرأسمالية المعدلة وما شابهها من أنظمة. كما يرفض بشدة نظرة الذين يحاربون الغنى، وإن كان مشروعاً، والملكية وإن كانت حلالاً، ويرون علاج الفقر في تحطيم طبقة الأغنياء، وإيقاد تنور الصراع بينهم وبين الفقراء، وسائر الطبقات

---

(١) أيهما أولى تنمية الموارد البشرية أم حسن استغلالها، مقال: د. سالم القظيع، جريدة الاقتصادية عدد (٤٥١٠) في ٢٠٠٦/٢/١٥م.

(٢) General Assembly ,Distr. General15 October 2000, Fifty- Fifteen. The Session Agenda Item 32 United Nations Year of Dialogue Among civilizations.

وينظر: «إدارة الموارد البشرية المعاصرة: بعدٌ استراتيجي» د. عمر وصفي عقيلي، دار وائل للنشر، الأردن ط١ (٢٠٠٥م).

الأخرى.

الإسلام يرفض هذه النظرات المتطرفة الحائدة عن الصراط المستقيم، الجانحة إلى الإفراط أو التفريط، ويتقدم في علاج مشكلة الفقر بخطوات إيجابية ووسائل عملية واقعية وبنصوص شرعية ثابتة[1].

فقد حث الإسلام على العمل وكفالة الموسرين من الأقارب وتضامنهم وتكافلهم، وفرض الزكاة، وجعل لها ضوابط وشروط، كما أكد الإسلام على كفالة الخزانة الإسلامية، وقيام الدولة على الفقراء والموسرين كما أوجب حقوقاً غير الزكاة وحث على الصدقات والإحسان، إلى غير ذلك.

وضمن هذا المجال يمكن الحديث عن البطالة، وما يعانيه العالم في شأنها، وطرح الحلول الإسلامية[2].

إذ تعد البطالة من أكبر التحديات التي تواجهها الإدارة العامة المعاصرة والدولة الحديثة، ومن أجلها تُعقد المؤتمرات والقمم الاقتصادية الكثيرة، لكن لابد من المشاركة الإسلامية التي تبين المنهج الإسلامي في معالجة هذه المشكلة، مع بيان دور الوقف والزكاة وصور التكافل والتعاون الإسلامي العظيم[3].

بينما انتهج الاقتصاديون الغربيون للتصدي لهذه المعضلة المستعصية رغم تطورها المذهل سبلاً غير كافية، مثل الضمان الاجتماعي الذي تدفعه الدولة، والتأمين الاجتماعي والصحي، وتخصيص الشركات العامة، وبيعها للقطاع الخاص، ومحاربة العمالة الدخيلة إلى البلاد الغربية من الخارج، ومنح إعانات للعاطلين عن العمل، وقروض ربوية، وسن تشريعات وتنظيمات

(١) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥ (١٤٠٦هـ) (٣٠-٣١).

(٢) الحل الإسلامي لمشكلة البطالة: دراسة مقارنة، كمال الدين عبد الغني المرسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة، بيروت ط١ (٢٠٠٤م).

(٣) البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها: دراسة مقارنة، د. محمد عبد الله مغازي، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، مصر، ط١ (٢٠٠٥م).

وينظر: ((البطالة مشكلة لا يعرفها الإسلام)) أحمد محمد عبد العظيم الجمل، دار السلام، القاهرة، ط١ (٢٠٠٨م).

لم تسهم في الحل.

بينما جاء الإسلام بحلول جذرية من خلال تأسيس مجتمع البنيان المرصوص، المجتمع المنظم المتكاتف المتآلف الذي لا تفصل أفراده فوارق لون أو شكل أو جنس، وكذلك من خلال العمل، وتهيئة الفرص الحلال، وتكامل العطاء والقيام بالأدوار المناطة بكل فرد، وتهيئة الموارد المالية غير الاستغلالية[1].

وتعد المجاعات والكوارث نتيجة طبيعية للفقر والحروب والانقسامات الدولية، ولذا فقد دعت المنظمات العالمية إلى حوار حضاري يقلل من آثار الفقر والمعاناة البشرية، حيث أكدت منظمة الأغذية الزراعة (الفاو)[2] أنه يموت مائة ألف شخص يومياً من الجوع وسوء التغذية، كما يوجد أكثر من (٨٥٠) مليون شخص يعانون بشكل مزمن وخطير من سوء التغذية، وتصفه بـ(الجوع الفتاك)، ولا تزيد حصتهم اليومية من الغذاء عن (٣٠٠ سعر حراري)، وهي لا تكاد تكفي لبقائهم على قيد الحياة.

كما يوجد تفاوت كبير من حيث توزيع الثروة بين الأثرياء والفقراء، إذ أشارت إحصاءات الأمم المتحدة لعام ٢٠٠٢م إلى أن حوالي ٢٠٪ فقط من سكان الأرض يستحوذون على أكثر من ٨٠٪ من الأموال ويملكون أكثر من ٨٠٪ من السيارات ويستهلكون أكثر من ٢٠٪ من الطاقة، بينما لا يحصل أكثر من مليار نسمة من الرجال والنساء والأطفال إلا على (١٪) فقط من الدخل العالمي، مع نقص حاد في الأدوية والأطعمة ومستلزمات الحياة. [3]

وفي هذا الوضع فإن الحوار الحضاري لا يمكن أن يحقق أهدافه، بل إن الخطر الاقتصادي الجماعي قد يصل بالشعوب إلى حد الحروب الاقتصادية.

فكيف يمكن إجراء حوار حضاري في المجال الاقتصادي والعالم يشاهد نقضاً واضحاً للنظم العالمية الاقتصادية وخرقاً للقوانين الدولية التي تمنع استخدام التجويع كأسلوب قتال ضد السكان، أو تدمير الممتلكات والأراضي، أو الحظر الاقتصادي الظالم، أو منع التطور

(١) مشكلة البطالة وعلاجها في الإسلام، د. سامر مظهر قفطقجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (٢٠٠٥م) ص- ص [٣١- ٦٠].

(٢) موقع المنظمة www.fao.org/arabic

(٣) مجلة السياسة الدولية، القاهرة، مؤسسة الأهرام، العدد ١٥١، يناير (٢٠٠٣م) ص(١٠٥- ١٠٧).

والاستثمار الاقتصادي في بعض الدول.

ومن هنا تبرز أهمية تطعيم التوجهات الاقتصادية بالأخلاق والمبادئ العظيمة التي أقرها الإسلام، والتأكيد على الغرب أن يستفيد من الحضارات الأخرى، وأن يسعى مع العالم إلى إيجاد منظومة أخلاقية تحرس النشاط الاقتصادي، وتمنع كل صور العدوان على حقوق الآخرين ومصالحهم، وإيجاد قيم أخلاقية مشتركة يتوافق عليها أتباع الحضارات المختلفة، وهو ما يجعل الحوار بين الحضارات مدخلاً طبيعياً وضرورياً لتحقيق هذا التوافق[١].

وقد كان للأدوار الكبيرة التي تقوم بها الهيئات والمنظمات الإسلامية للدول المنكوبة أثر كبير في تحسين وتصحيح النظرة للعمل الإغاثي الخيري للمسلمين، بل إن العرب أكثر المتبرعين لإغاثة ضحايا الكوارث الإنسانية - من الزلازل الآسيوية، إلى المجاعات الإفريقية، وحتى الأعاصير الأمريكية- هذه حقائق أعلنها متحدثون أمميون في منظمة الأمم المتحدة، واعترفوا أن كثيراً من العرب يدفعون أموالهم لهيئات ومنظمات وأفراد لا يتبعون للأمم المتحدة؛ لأنهم لا يثقون بها، مما يجعل تبرعاتهم أكبر بكثير من غيرهم[٢].

ففي عام (٢٠٠٦م) تخطت التبرعات التي تقدمها السعودية لبرنامج الغذاء العالمي، والتي تبلغ (١٥ مليون دولار) المساعدات التي تقدمها كل من فرنسا وأستراليا مجتمعة، وهي أكبر من مثيلتها الأمريكية بحساب النسبة السكانية للدخل القومي، وليس بالمبلغ المدفوع.

وقد تبرعت الحكومة السعودية والمواطنون السعوديون بأكثر من ٨٣ مليار دولار خلال الثلاثين عاماً الماضية[٣].

ومواضع أثر هذا المجال في الحوار الحضاري أكثر من أن تحصر؛ إذ هي سبيل محبة الناس للإسلام، وطريق دعوتهم إليه بالحسنى، دون إذلال أو إجبار، كما يفعل بعض أهل الأديان الأخرى من جعل تبرعات أموالهم سبيلاً للضغط على المحتاجين لدخول دينهم، بل إنهم جعلوا

---

(١) هل تؤدي العولمة إلى صدام الحضارات، مقال: أحمد كمال أبو المجد، مجلة وجهات نظر، مصر، السنة الثانية العدد (١٤) مارس ٢٠٠٠م، ص(٣٥ وما بعدها).

وينظر: ((مشكلتا الجوع والخوف وكيف عالجها الإسلام)) د. حسين حسين شحاتة، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١ (١٩٨٨م).

(٢) ذكرته وكالة أنباء (أسو شييتدبرس) في موقعها الرسمي، ونقلها موقع إسلام أون لاين.

(٣) موقع اليونيسيف: www.unicef.org/arabic/

من أعمالهم سبيلاً لتشويه العمل الإغاثي الإسلامي، ووصمه بالإرهاب، وهو بريء من هذه التهمة.

لذا فإن دورنا في الحوار الحضاري إبراز هذه الجهود، وتقديم الرؤية الإسلامية الصحيحة للعمل الإغاثي، ودفع الشبهات، بل إظهار الحقائق، والمساهمة الكبيرة في إجلائها للناس، مع رسم الخطة الدقيقة والمتقنة للعمل الإغاثي، والمساهمة فيها بشراكات دولية مختلفة.

(٤) قضية السكان والتنمية والدعوات الغربية إلى تحديد النسل، وندرة الموارد، وأن العالم يعيش على حافة كارثة بسبب قلة الموارد وعدم كفايتها للبشر، وهذا المجال من المجالات التي تتحدث عنها مؤتمرات السكان غالباً - وقد سبق بيان موقف الإسلام منها- [١].

ويحسن عند دخول المعترك التنموي الخاص بهذه الدعوات بيان المنهج الإسلامي لإعداد العنصر البشري ليكون منتجاً، واهتمام الإسلام بالجانبين الروحي والجسدي من خلال التكوين الإيماني، وغرس الأخلاق الفاضلة، والاهتمام بسلوكيات العامل، وتزويده بأساليب التقنية الحديثة لرفع الإنتاج، وتحقيق الأمن والأمان له، والتأكيد على كفاية الموارد البشرية في الكون إذا أُحسن استغلالها، مع الاقتصاد في الاستهلاك بكافة صوره، وربطه بالإنتاج، ويجب على الحكومات اتخاذ كافة الأساليب والإجراءات اللازمة لمنع الإسراف والتبذير والإنفاق الترفي والمظهري، واستهلاك المحاكاة والتقليد من خلال إعادة النظر في النفقات الحكومية ولا سيما المتعلقة بالمظاهر والشكليات، والتي لا تساهم في التنمية أو البناء، مع التشديد على الاستهلاك الترفي الفردي، وتنمية الوعي الادخاري لدى الأفراد، وتبصيرهم بحق الأجيال القادمة، ودعم المشروعات الصغيرة، وتشغيل الموارد غير المستغلة، وحتمية التعاون والتنسيق والتكامل بين البلاد الإسلامية، مع الاهتمام بالتربية الاقتصادية الإسلامية للنشء حتى يشب على مفاهيم اقتصادية تنموية صحيحة[٢].

وقد أعلنت المنظمات الدولية عن برامج التنمية العالمية، وأسهمت فيها بعض الدول الإسلامية، وكان لإسهامها أثر كبير على الحوار الحضاري وإبراز الدور المهم لها في المسيرة

(١) قضية السكان والتنمية في ضوء الاقتصاد الإسلامي، د. حسين حسين شحاتة، مجمع بحوث الأزهر، القاهرة، (ب ت) وهو بحث مقدم ضمن ندوة الفكر الاقتصادي الإسلامي، ينظر موقع الدكتور حسين (الخاص).

(٢) المرجع السابق (١٧- ٢٤).

العالمية.

(٥) يتنادى العالم اليوم لإعمار الأرض، إلا أن هناك ازدواجية في الممارسة بين النظرية والتطبيق، إذ إن العديد من القوى الكبرى نفذت كثيراً من البرامج التي أفسدت مناخ الأرض ولوثت مياهها، وأسهمت في الدمار الاقتصادي، وليس الإعمار الحقيقي، ومن واجب المحاور المسلم تعريف ممثلي الحضارات بوظيفة الإنسان في الأرض، ليعرفوا أن الإسلام حدد رسالة الإنسان على هذا الكوكب في الإيمان بالله الواحد وعبادته أولاً، ثم في إعمار الأرض واستغلال ثرواتها، واقتران الإيمان بالإعمار هو وسيلة للحد من شر الإنسان، والسيطرة على ميوله الجامحة للتملك، ومقاومة المادية المفرطة على حساب المشاعر الإنسانية. قال سبحانه: â **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** á [الملك: ١٥]، والآيات في القرآن الكريم التي تحث على إعمار الأرض، والإحسان إلى الخلق، وعدم الإضرار بالحياة، أكثر من أن تحصى في هذا المجال، مما يدعو المسلم إلى الإسهام المهم في الحوار الحضاري، وإبراز ما يقدمه الإسلام للعالم المعاصر في إعمار الأرض من خلال الربط بين العلم والإيمان، بحيث لا ينعزل الإيمان أو ينكمش عن أداء دوره في إنماء الحياة الإنسانية، أو ينفلت العلم من قيود الإيمان والقيم والأخلاق، ويصبح طاقة شريرة، تدمر الأسر والمجتمعات، وتطلق القوي على الضعيف ليغتال حريته وينهب ثرواته [(١)].

إن إعمار الأرض وتسخير الكون، وتمكين البشر في الدنيا، وتسهيل المهمة أمامهم من الغايات الحضارية الكبرى التي يتغياها الإسلام للإنسان، إذ ليس في حضارة الإسلام عجز في التعامل مع الكون الميسر لنا، أو كسل عن الاستكشاف والهجرة، وفك رموز السعي والعمل، بل فيها دعوة إلى السعي والسير في الأرض لإعمارها، وتنويع مشارب العطاء والعمل، وهذا ما أقره الإسلام ودعا إليه، واعتبر إعمار الأرض هدفاً دينياً وليس دينوياً.

(٦) أزمة المياه العالمية، حيث أعلنت الأمم المتحدة سنة ٢٠٠٣م سنة دولية للمياه العذبة، حيث

(١) الحضارة المعاصرة: تجارب وممارسات للعبودي، ضمن كتاب ((الإسلام وحوار الحضارات)) مرجع سابق (٤٨٦/٢). وينظر: ((إعمار الأرض في الاقتصاد الإسلامي واستثمار خيراتها بما ينفع الناس)) محمود محمد بابللي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط١ (١٩٨٨م).

يعيش العالم قلقاً من المياه، إذ يشكل الحصول على المياه الآمنة مصدر خوف في العالم بأسره، فالمياه هي التي تديم صحة البشر والإنتاج الغذائي والتنمية الاقتصادية، ويعتقد بعض المحليين أن الحروب القادمة هي حروب على المياه.

وقد خصصت الأمم المتحدة يوم ٢٢مارس من كل عام يوماً عالمياً للمياه، وحذرت من مخاطر نقص المياه في العالم، وعقدت مؤتمرات دولية للمياه.

فإذا علمنا أن نسبة سكان منطقتنا الإسلامية تزداد بشكل كبير، بينما نسبة المياه الصالحة للشرب تقل، فإن هذا يدعونا إلى الدخول في مجال الحوار الحضاري حول هذه القضية الخطيرة، والبحث عن السبل العلمية والتكتلات التي تحقق لنا مصلحة الحصول على المياه الصالحة للشرب[١].

وقد بدأ التعاون المثمر من خلال كراسي البحث العلمي في بعض الجامعات العربية حول المياه وإقامة الجوائز الدولية والمؤتمرات والأبحاث التي تخدم هذا الموضوع، فضلاً عن التحرك الرسمي للحصول على أفضل السبل لضمان استمرار الحصول على موارد المياه العذبة أو السبل البديلة للدول التي لا تملك هذه المصادر.

(٧) التأمين الصحي الذي تتنادى إليه دول العالم، وتختلف أساليب تطبيقه من دولة إلى أخرى، وتعظم أهميته في كل حين، وأهميته تكمن في أنه يقود إلى ثورة في القطاع الصحي من الناحية الطبية والاقتصادية والاجتماعية، إلا أن الملاحظ أن أساليب التأمين في العالم مازالت متباينة، وأن سلوك شركات التأمين أقلقت المواطنين، وظهرت صيحات عالمية لتغيير أنماط هذه الشركات في العالم، وعقدت مؤتمرات دولية كثيرة في شأن التأمين الصحي، لذا لابد من إبراز التأمين الصحي القائم على القواعد والضوابط الإسلامية، والذي يحقق أفضل النتائج، ويقيم أهم الأسس والمكاسب، ولا يظلم الفرد في مجتمعه، وهذا هو دور المحاور المسلم في المجال الاقتصادي[٢].

(٨) التعاون الاقتصادي الدولي من خلال التجارة والاستثمار والتعاون في مجال الطاقة والتعاون

(١) حروب المياه، مقال: سعد محمد رحيم، مجلة الحوار المتمدن، العدد (٢١٣٩) في ٢٠٠٧/١٢/٢٤م.

(٢) التأمين الصحي في مجتمع إسلامي، د. مسفر بن عتيق الدوسري، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط١ (١٤٢٩هـ).

العلمي والتكنولوجي والمشاريع التنموية والزراعية والمقاولات والبنى التحتية، وتشجيع المؤسسات العمالية للتعاون العمالي، وتبادل الخبرات الاقتصادية، والاهتمام بجانب الإحصاءات وتبادل البيانات والمعلومات الالكترونية، وتعزيز التعاون في مجال النقل الجوي والبحري والسياحة[١].

(٩) التعاون مع الدول المناهضة للعولمة الاقتصادية، ودعم الدول الإسلامية لتكوين تكتلات مالية كبرى، بالإضافة إلى إنشاء سوق مالية إسلامية مشتركة، وبنوك إسلامية دولية، وتطوير الصناعات، وتشجيع الغرف التجارية الإسلامية، وتفعيل دور البنك الإسلامي للتنمية وصندوق التضامن الإسلامي الذي أقرته قمة المؤتمر الإسلامي في عام ١٣٩٤هـ[٢].

ويتبع ذلك المساهمة العالمية في محاربة الفساد المالي والرشاوى، وإظهار موقف الإسلام من مثل هذه الأمور، وإبراز النماذج الإسلامية العظيمة في التعامل مع المال، وعدم النكوص عن الاعتراف بالحقيقة، وإصلاح أحوالنا إذ ظهرت تقارير عالمية تشير إلى انتشار الفساد المالي في بعض دولنا، بل يجب علينا أن نسعى جاهدين إلى الخلاص من هذه المخاطر والمفاسد العظيمة.

بالإضافة إلى الوقوف مع الدول المظلومة، وبخاصة الإسلامية، في حال الحصار الاقتصادي الذي تفرضه دول كبرى بمبررات عقيمة مرفوضة، وهذا المجال يجب أن تدخله الدول الإسلامية بقوة لنصرة إخوانهم المظلومين.

# # #

(١) موقع جامعة الدول العربية، حيث نشر أكثر من برنامج عمل للتعاون العربي والدولي في مجال الاقتصاد.

(٢) ينظر قرارات منظمة المؤتمر الإسلامي حول الاقتصاد وإنشاء البنوك والهيئات الخاصة بها على موقعها www.oic-oci.org

الفصل الثاني: آثار حوار الحضارات على الحضارة الإسلامية

تمهيد:

الآثار جمع أثر، والهمزة والثاء والراء لها ثلاثة أصول: تقديم الشيء، وذكر الشيء، ورسم الشيء الباقي.

والمعنى في حديثنا هو الثالث، وهو يعني بقية ما يرى من كل شيء، وما لا يرى بعد أن تبقى فيه علقة، فالآثار الأثر الباقي من الشيء.

فأثر السيف ضربه، وأثر الشيء حصول ما يدل على وجوده، قال تعالى: â**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا**á [الحديد: ٢٧]، وقوله: â**وَآثَارًا فِي الأَرْضِ**á [غافر: ٢١]، ومن هذا يقال للطريق المستدل به على من تقدم: آثار، كما قال تعالى: â**فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ**á [الصافات: ٧٠]، وقال سبحانه: â**قَالَ هُمْ أُولاَءِ عَلَى أَثَرِي**á [طه: ٨٤][١].

أما معنى الآثار في هذا الفصل، فهو ما خلّفه حوار الحضارات، وأثر به على الحضارة الأخرى؛ سواء كان هذا التأثير حسناً أو سيئاً، ومعلوم أن الحضارات حصل بينها تلاقح وحوار، وأنتج هذا التواصل أثراً وتأثيراً فيما بينها، وهذا هو موضوع الحديث هنا، ولكن على سبيل الإشارة، إذ الحديث عن آثار الحضارات هو موضوع علم مستقل ألّف فيه العلماء وبسطوا فيه الحديث[٢].

وقبل البدء في الحديث عن آثار حوار الحضارات على الحضارة الإسلامية لابد من القول وبكل إنصاف: إن للحضارة الغربية آثاراً إيجابية، وثماراً طيبةً في الحياة الإنسانية، وهذا ما يلمسه كل إنسان في نفسه ومن حوله.

---

(١) المفردات للأصفهاني مرجع سابق (١٩) ولسان العرب (٥/٤- ٨).

(٢) دراسات في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي، د. عبد الواحد طه، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١ (٢٠٠٥م).

لقد استطاعت هذه الحضارة - بوساطة تقدم العلوم الرياضية والطبيعية وتطبيقاتها التكنولوجية- أن تمنح الإنسان قدرات وإمكانات لم يمنحها أحد قبله، وما كان يحلم بها في نوم، أو يجول بها خياله في يقظة.

لقد اختصرت الحضارة للإنسان المسافات، فقربّت له المكان، ووفرت له الزمان، عن طريق المواصلات الحديثة، والاتصالات، وشبكات الفضاء والإعلام، ومن ثم جاءت الصناعات المختلفة التي جعلت من الآلة خادماً للإنسان، توفر له المعلومات، وتضبط له الحياة، وتسهل عليه ممارسة أموره اليومية بكل يسر وسهولة.

وميزة هذه الحضارة أنها لا تقف جامدة، بل إنها تنتقل من طور إلى طور، ومن أسلوب إلى آخر، يسعى فيه الإنسان في كل حين إلى التقدم العلمي والتكنولوجي بكل الوسائل.

إلا أن هذه الحضارة يستخدمها الإنسان في جانبيها المختلفين: الشر والخير، بل إن بعض الاستخدامات طغى فيها جانب الشر على الخير، وجلبت للعالم السوء والدمار، مع أن جانب الخير فيها هو الأولى والأحق[(١)].

وقد كتب أقوام عن التأثر والتأثير الحاصل بين الحضارات وأصحابها من جهة، وبين حضارات أخرى وأفرادها من جهة أخرى، ويكفي أن نعلم أن جملة ممن ألّفوا في الغرب يؤكدون على أن أعظم الحضارات تأثيراً هي الحضارة الإسلامية، وليس المراد بالتأثير مجرد التأثير الدنيوي الذي أدى إلى صناعة أو اكتشاف، فهذا لا شك في أهميته، لكنه ليس أهم أنواع التأثير، وإنما المراد التأثير الذي يغير الأديان، ويقلب المعتقدات، ويصحح مسيرة الأفراد، ويحول الأمم والشعوب من حال إلى حال، وهذا لا يملكه إلا العظماء - بعد توفيق الله- .

ألّف الكاتب والمخترع والمحلل الأمريكي ((مايكل هارت)) كتاباً بعنوان [الأشخاص المائة الأكثر تأثيراً في التاريخ][(٢)]، فجعل أولهم ومقدمهم محمد ﷺ .

وهو بحق أعظم الناس تأثيراً، إذ بعث في أمة متناحرة، وظروف صعبة، وحياة بدائية،

---

(١) الإسلام حضارة الغد للقرضاوي مرجع سابق (٢٩- ٣١) بتصرف.

(٢) عمل المؤلف في وكالة ناس، وهو الآن أستاذ فيزياء وعالم فلكي رياضي.

الكتاب صادر عن دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ترجمة: أنيس منصور، ط٧ (١٩٨٩م)، ولكنه سماه (الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ).

وجهل منتشرٍ، فألّف الله به بين القلوب، وأصلح الله به الأحوال، وهدى القلوب **﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾** [الأنفال: ٦٣]، ثم سار هذا التأثير بعد مماته ليصل إلى أقاصي الدنيا في مدة زمنية قصيرة، وليصل دينه إلى أقاصي المشرق والمغرب بكل يسر وسهولة، لأنه دين عظيم تأثيره فيه، وسره منه، وعظمته في ذاته.

قال عنه هارت: «إن اختياري لمحمد ليتصدر قائمة (أشد الناس تأثيراً في التاريخ) قد يفاجئ بعض القراء، وقد يشكك فيه البعض الآخر، لكن محمداً هو الرجل الوحيد في التاريخ الذي حقق نجاحاً ساحقاً في الوجهين: الديني والدنيوي... ورغم وجود قرابة ضعف عدد المسلمين من النصارى في العالم، قد يستغرب البعض من علو ترتيب محمد على عيسى، هناك سببان أساسيان لهذا القرار:

١- أن تأثير محمد في النهوض بدينه كان أكبر من تأثير عيسى في الإتيان بالنصرانية.

٢- أن محمد لم يكن قائداً دينياً فحسب (مثل عيسى)، بل كان أيضاً قائداً في شؤون الدنيا»[(١)].

إن تأثيرات الحضارات السابقة على الحضارة الإسلامية منها ما حدث في شكل إيجابي، ومنها ما كان في صورة سلبية؛ وإيجابية التأثير تقوم على وجود توافق أو التقاء في العناصر والأفكار بين حضارة سابقة من ناحية، والحضارة الإسلامية من ناحية ثانية، وهنا يكون دور الحضارة الأخيرة هو إضافة المزيد لتوضيح العناصر الموروثة، وتعميق الأفكار السابقة، وهذا المستوى من التأثير يعتبر إسهاماً للحضارة الإسلامية لا يمكن إنكاره أو تجاهله، فقد تكتسب عملية الشرح والتعميق للأفكار والعناصر الموروثة صبغة جديدة تجعل ارتباطها بالحضارة الإسلامية أكثر منه بالحضارة السالفة.

أما سلبية التأثير فإنها تنشأ من وجود تنافر أو تضاد حول فكرة أو نظرية أو قضية، وبتأثير هذا التضاد تركز الحضارة الإسلامية على البديل الصحيح، تدعمه بالأدلة والبراهين، وترفض البديل السيئ وتقمعه بالأدلة والبراهين أيضاً[(٢)].

أما إذا تسلل البديل السيئ وجاء الأثر المضاد، فإن جوانب الفائدة فيه تكون في التأصيل والتحصين والتقوية، كما حصل من تأثيرات المذاهب الهدامة والخرافات والأباطيل والشعوذة

(١) ص(١٣- ١٨) بتصرف.

(٢) مراكز الحضارة الإسلامية، د. حامد غنيم أبو سعيد، دار السلام، القاهرة، ط١(١٤٢٨هـ) ص٤٣.

التي تسللت إلى بلاد المسلمين، فتصدّى لها العلماء بالرد والتأليف.

ولذا فإن الحديث عن الآثار السيئة لن يتم التطرق إليه هنا، إذ الأصل أن الحوار الحضاري يحقق الجوانب الإيجابية، وهو ما يرجوه أصحاب الحضارات.

المبحث الأول: الآثار الدينية

يزعم بعضهم أن للنصرانية تأثيراً على الإسلام، وأن بعض تعاليم الإسلام إنما أخذت من النصرانية، وهذا كذب وافتراء، إذ المفاصلة الواضحة في مسألة الشرائع والعبادات في دين الإسلام عن غيره من الأديان واضحة بينة، بل إن النبي r أمر بمخالفة أهل الأديان الأخرى في مواضع كثيرة حتى لا يختلط الأمر، أو يعتقد بعض الجهال أن هناك تداخلاً بين الإسلام وغيره من الديانات في مسائل مستفادة منه، بل وصل الأمر ببعضهم إلى الزعم أن النبي r أخذ من النصارى عندما التقى بعضهم في رحلاته التجارية، â**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**á [الفرقان: ٥]، وقال سبحانه: â**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**á [النحل: ١٠٣]، فلا يمكن بحال أن يكون هناك تأثر بالأديان الأخرى، لكن هناك تكامل جاء الإسلام ليقره ويتمه - كما سبق- وهذا ليس دليلاً على التأثر.

وأما الآثار المرفوضة[١]، والتي سرت بين المسلمين فهي كثيرة في الفرق المنتسبة إلى الإسلام، فهناك فرق أخذت الادعاء القائل بأن للإسلام ظاهراً وباطناً، وأن لكل تنزيل تأويلاً، وبالغت في هذا التأويل حتى جعلته هو الأصل والقاعدة، حتى سميت فرقة «الباطنية»، وهي متأثرة بعقائد الشرك القديمة[٢].

كما عقد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بداية كتابة «منهاج السنة» مقارنة بين عقائد الشيعة واليهود[٣].

---

(١) الحديث في هذا الباب منصب على الآثار الإيجابية بين الطرفين بحكم قبولها حضارياً، أما الآثار المرفوضة، فليست مجالاً للحديث، لذا أعرض الباحث عنها، ولأنها أكثر من أن تحصر، فقد صدرت مجلدات كثيرة فيها.

(٢) وقد فضحهم الغزالي رحمه الله في كتاب «فضائح الباطنية» المكتبة العصرية، جدة، ط١ (٢٠٠١)، تحقيق: محمد قطب، وينظر: «الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها» د. محمد الخطيب مكتبة الأقصى، عمان، ط١ (١٤٠٢).

(٣) منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مؤسسة قرطبة، الرياض، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١ (١٤٠٦هـ) (١/ ١٠- ١٢).

وفي عقائد الصوفية تأثر واضح ببعض الأديان والمعتقدات الباطلة، بل إن مصادر التلقي عند بعض فرقهم الغالية ليست من الإسلام في شيء، بل هي متأثرة بغير المسلمين[1].

أما الآثار من حيث كونها وضعت حداً للرد والمفاصلة، فهي كثيرة، إذ حاور المسلمون أهل الديانات والملل والعقائد الباطلة، وردوا عليهم، وحذروا من تسلسل شيء من معتقداتهم إلى الإسلام.

أما الحوار الإسلامي مع الحضارة النصرانية، فلا يمكن بحال القول بأن الآثار الدينية للطرف الإسلامي (الإيجابية) كانت موجودة، بل إن الإسلام دين مكتمل من عند الله تام الشريعة منضبط العقائد كما قال تعالى: â**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**á [المائدة: ٣]، فلا يقبل الإسلام أي إضافة في شرائعه، بل إنه يرفض كل صور الابتداع والتبديل كما قال r : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[2].

أما الآثار المتعلقة بالوسائل فهي كثيرة جداً، إذ هيأت الحضارة الغربية للمسلمين سبلاً جديدة في مجال نشر العلم الشرعي، وتسهيل وصوله، ومن أجلِّ ذلك وأعظمه القرآن الكريم؛ حيث انتشر في الآفاق عن طريق التسجيل الصوتي والطباعة، كما إن كتب العلم الشرعي أصبحت سهلة ميسرة من خلال تحميلها على الأقراص المدمجة، فضلاً عن ثورة الإنترنت التي كان لها أثر كبير في نقل الآثار الدينية إلى الآخرين.

كما تم توظيف تقنية المعلومات في تدريس العلوم الشرعية في المدارس والجامعات والمعاهد في العالم الإسلامي.

= وينظر: تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة، د. عفاف مختار، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤٢١هـ).

(١) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، د. صادق سليم صادق، الرياض، ط٢ (١٤٢٧هـ) وينظر: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية، إدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤١٩هـ).

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ح(٢٦٩٧)، ورواه مسلم، كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ح(١٧١٨).

المبحث الثاني: الآثار الثقافية

التحاور بين الثقافات والحضارات، و نتائجه الفكرية والثقافية. هو - في حقيقته- قد بدأ منذ بواكير الحضارات الإنسانية الأولى. فهيردوت[1] المؤرخ اليوناني المشهور في مؤلفه عن مصر – مثلا – يشير إشارات كثيرة إلي حجم التحاور بين المصريين القدماء و اليونانيين . لدرجة يمكننا معها القول إن الحضارة اليونانية تربت في مهد شرقي و خاصة مصر القديمة . فقد نشأ – مثلا –: ((حوار حضاري فكري بين مصر واليونان في عصر إبسماتيك الأول[2]- فرعون مصر- .. وسمح لليونانيين - بفضل ذلك الحوار- بإقامة محطة تجارية عند مدينة نقراطيس، على فرع النيل، ونتيجة لذلك الحوار الحضاري، جنَّد الكثيرين من اليونانيين في الجيش المصري.

كما أن أحمس الثاني، منحهم قسطًا كبيرًا من الحكم الذاتي؛ ونتج عن ذلك الاختلاط، حوار فكري ثقافي ديني. فانتقلت معارف مصر الثقافية والعلمية، وطقوسها الدينية، وعمارتها ونحتها، وعلومها الطبيعية إلى بلاد اليونان. وفي نفس الوقت، دخلت اللغة المصرية الكثير من الألفاظ اليونانية، وأساليب اليونان في المعيشة))[3].

حتى إذا ما أشرق الوجود بنور الإسلام الحنيف ((كان من البديهي أن يقوم تحاور بين الإسلام وما كانت عليه الشعوب من أديان وثقافات. فقام تحاور بين المسلمين وبين الفرس، ونتج عن ذلك التحاور أن تمثل حكماء العرب بالحكم الفارسية، وتأثرت الثقافة العربية بالثقافات الأخرى. إن للحضارة الفارسية أثراً كبيراً في الحضارة الإسلامية، وكذلك في الحياة الاجتماعية للمسلمين؛ مما أوجد حركة إسلامية من الحوار الحضاري بين المسلمين والفرس، أو

---

(١) هو المؤرخ الإغريقي هيرودوت (٤٨٤- ٤٢٥ ق.م) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، يلقب بأبي التاريخ لأنه من أوائل من كتب عن التاريخ بشكل علمي تحليلي بعيد عن الخرافات.

(٢) إبسماتيك الأول: أحد فراعنة مصر، ينسب إلى الأسرة ٢٦، وقد استخدم الإغريق - اليونانيين- كجند مرتزقة في الجيش المصري. أما مدينة نقراطيس فهي من أقدم المدن التي شيدها اليونانيون، وهي الآن في محافظة البحيرة المصرية.

(٣) الحضارات، صراع أم حوار، د. هيثم الكيلاني، ضمن كتاب: ((الإسلام وحوار الحضارات))، ص ٥٩٨.

أما أحمس الثاني فهو أمازيس فرعون مصر (٥٧٠- ٥٢٦ ق.م) حكم مصر بعد انقلاب عسكري، وقد استطاع طرد الغزاة والمرتزقة من مصر، وله إسهامات حضارية كبيرة في مصر، ويوصف بأنه سياسي محنك.

بين العرب والفرس. وقد كان ذلك التحاور سببًا في تسرب ألفاظ فارسية إلى اللغة العربية، وكان منشأ التحاور من فرعين: الأول: الفرس الذين أسلموا أو لم يسلموا؛ والثاني: العرب الذين كانوا يرغبون في الاطلاع على أدب الفرس وعلومهم. ولذا، فقد نشطت الحركة العلمية في العصر العباسي نشاطًا كبيرًا، فازدهرت حركة التحاور التاريخي في تطوره وثرائه))[١].

ثم تحاور المسلمون مع الثقافة الهندية؛ فلما تم فتح الهند، أذن بعض كبار القواد لأنفسهم أن يتحاوروا مع العلماء. وكان من أشهر أولئك العلماء: الربيع بن صبيح البصري[٢] - وكان من المحدثين- وأوّل من دوّن الحديث في الهند؛ حتى الموالي الذين جيء بهم من الهند وأسلموا، كان من بينهم علماء دخلوا في مناقشات مع العلماء المسلمين... فكان منهم اللغويون والمحدثون وعلماء في الرياضيات، ولقد تحاور المسلمون مع الهنود في الرياضيات، وتأثروا بهم كثيرًا.. لاسيما فيما يتعلق بحركات الكواكب وحسابها، وإن كانوا - بالمحاورة والمناقشة- تغلبوا عليهم، وتوصلوا إلى نظريات جديدة، وحقائق فلكية كانت غائبة[٣].

و لم يقتصر الحوار على حضارات الشرق؛ بل امتد ليصل إلى حضارات الغرب، فقد اتصل وتحاور العرب مع الحضارة اليونانية والرومانية، و يظهر لنا ذلك من خلال الترجمات الكثيرة لكتب اليونان و الرومان في مجال الفلسفة و العلم ... إلخ. ثم جاءت الثقافة اليونانية الرومانية، وكانت مدينة حَرَّان مصدرًا رئيسًا من مصادرها في العهد الإسلامي، فقام الحوار العلمي بين علمائها وعلماء الخلفاء العباسيين... وقد مرّت حركة الترجمة خلال العصور الإسلامية بمراحل عدة، كتب عنها أهل التأريخ والرصد، وأبرز بعضهم ما فيها من المكاسب، أو ما حصل جراءها من المساوئ، وبخاصة عند ترجمة كتب الزندقة والبدع والفلسفة المغرقة في الإلحاد، وهذا أثر على المسلمين بظهور فرق كثيرة بسبب هذه الترجمات[٤].

(١) المرجع السابق، ص (٥٩٩ - ٦٠٠).

(٢) هو الربيع بن صبيح البصري العابد، الإمام مولى بني سعد، من أعيان مشايخ البصرة، محدث كبير الشأن، قال عنه أحمد: ((لا بأس به))، وقال عنه شعبة: ((هو من سادات المسلمين))، توفي بالسند في وقعة (بارتل)، أو(باربد) سنة (١٦٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، مرجع سابق (٧/ ٢٨٨ وما بعدها).

(٣) الكيلاني، مرجع السابق، (ص ٦٠١ وما بعدها).

(٤) حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، رشيد الجميلي، طرابلس، (ب. م) (١٩٨٢م).

ومـن هـذه المراحـل تم نقـل آثـار ثقافيـة كـثيرة مـن الحـضارات الأخـرى إلى الحـضارة الإسلامية، ومنها:

- ترجمة العلوم الطبيعية كالطب والكيمياء، وتعريب الدواوين [وهي كلمة فارسية معناها السجل أو الدفتر الذي تدون فيه الأسماء والأموال]، وأول من أنشأ هذا الديوان هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نظراً لكثرة الأموال التي تدفقت إلى الدولة الإسلامية، ثم تتابع الخلفاء على إنشاء الدواوين، مثل ديوان الخراج، وديوان البريد، وديوان الخاتم، وديوان الرسائل، وديوان العمال، إلى غيرها من الدواوين التي استفادها المسلمون والحضارة الإسلامية من الأمم الأخرى، بالإضافة إلى تعريب النقود وسكّها لتصبح للدولة الإسلامية عملة جديدة[١].

- وقد استفادت الحضارة الإسلامية وتأثرت ببعض الترجمات، مثل علم الفلك والآداب والرياضيات والفلسفة والصيدلة وطب الأعشاب وغيرها من العلوم، بل أنشأ بعض الخلفاء مراكز للترجمة، وفرغ عدداً من المهتمين بهذا الجانب ليكونوا قائمين على شؤون الترجمة فحسب[٢].

- ولم تكتف الحضارة الإسلامية بالنقل فحسب، بل إنها نقلت بأمانة، واستفادت وأفادت غيرها من الأمم، دون أن تتنكر للآخرين، ومع نقلهم وترجمتهم لكثير من العلوم، فإنهم أضافوا وشرحوا وألفوا في مختلف المعارف التي عربوها، مما انعكس إيجابيّاً على الحضارة العربية، فأدت إلى تقدمها وازدهارها، ومن النماذج على ذلك[٣]:

١- الطب: عندما قام الأطباء العرب على ترجمة العلوم الطبية للأمم الأخرى، خاصة طب اليونان، اهتموا بتدوين الملاحظات، وأضافوا الشيء الكثير إلى ما نقلوه، بحيث أصبحوا قروناً طويلة هم أهل الصدارة في الطب، فلم يوسعوا آفاق الطب فحسب، بل وسعوا

(١) تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، حسان حلاق، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط١ (١٩٨٦م). وينظر: ((دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية))، حسان حلاق، دار النهضة العربية، بيروت، ط١ (١٩٩٩م).

(٢) ظهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (٢٠٠٤م) [٢/١٢٠- ١٤٦].

(٣) آفاق الحضارة العربية الإسلامية، الحسيني، مرجع سابق (٨٤- ٩٢) باختصار.

المفاهيم الإنسانية لهذا العلم، واكتشفوا مجموعة من الأمراض التي لم يكن أهل الطب قبلهم على دراية بها.

٢- الرياضيات: أدت الرياضيات دوراً حاسماً في العلم العربي، فبعد التجربة المستمرة التي قام بها علماء العرب على العلوم الرياضية التي نقلوها واستفادوا منها، تمكنوا من تطويرها، والتأسيس الحقيقي لعلم الرياضيات بعد ذلك، فقد طوروا علم الرياضيات عبر الترجمة من مرحلة بدائية إلى مرحلة علمية استفادت منها الحضارات الأخرى.

ويدخل مع علم الرياضيات علم الهندسة، وما أبدعه العلماء المسلمون في هذا العلم.

٣- الفيزياء والكيمياء: تأثرت الثقافة العربية والإسلامية بما تم نقله من العلوم الأخرى، واستفادت منه بشكل كبير، ولكن لم يقف علماء الإسلام عند قبول كل شيء دون فحص وتأكد، بل إنهم رفضوا بعض النظريات التي تلقاها الناس عن اليونان عبر مئات السنين دون فحص، حتى جاءت الحضارة الإسلامية فاستفادت من المسائل الصحيحة، ورفضت الباطلة وصححتها.

٤- الجغرافيا والتاريخ وتحليل الأحداث: حيث استفاد علماء الحضارة الإسلامية ممن سبقهم في الخرائط والاكتشافات، والتحليل التاريخي ودراسة الأحداث.

وما تزال الآثار الثقافية لحوار الحضارات على الحضارة الإسلامية إلى يومنا هذا، فالعلم المعاصر يشهد بخطوات كبيرة، ومكاسب عظمى حصلتها الحضارة الإسلامية من الحضارات الأخرى.

فهاهي الجامعات ومراكز الأبحاث والمستشفيات والمعامل والمصانع ووسائل الثقافة العلمية المختلفة تنتقل من دولة إلى أخرى في أثر واضح لآثار الثقافة الحضارية والتبادل المعرفي في العالم، مما يجعل الحوار الحضاري مبنياً على أسس ثقافية، ومنطلقاً من هذه الأسس.

والعلم هو ثقافة عالمية، متاحة في عصرنا للجميع، والتواصل الثقافي جزء من الحوار العالمي المطلوب دون أن تتنازل أمة عن ما يميزها أو تعتز به، لكن المراد أن الاستفادة من ثقافة وعلوم الأمم الأخرى أصبح سهلاً للغاية، ويبني جسوراً من التواصل العلمي والثقافي[١].

---

(١) حوار الحضارات، أحمد زويل، دار الشروق، القاهرة، ط١ (١٤٢٨هـ) [٢٣- ٢٨] حيث حكى تجربته في الاستفادة الثقافية من الحضارات الأخرى.

المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية

أما في الميدان الاجتماعي، فقد تأثرت الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى، سواء أكان سبب ذلك عامل الحوار - مثل حضارات الفرس والروم المجاورة للعرب- أو من خلال التجار العرب، الذين ارتحلوا إلى أصقاعٍ بعيدة، بهدف التجارة، فعادوا محملين بعادات وتقاليد تلك الحضارات المغايرة لأهل الحضارة الإسلامية.

فقد نقل العرب عن الفرس الكثير من عاداتهم وتقاليدهم في المأكل والمشرب ومجالس الطرب، والغناء، والاحتفالات، وطريقة الملابس الفارسية المُزينة، وكذلك التحلي بالحلي وتزين النساء ... وازداد تأثيرهم عندما أصبحوا داخل حوزة الدولة الإسلامية وسموا بالموالي؛ حيث كان لهم أثر كبير في تغيير حياة أهل الحجاز الاجتماعية - لاسيما في العصر الأموي- إذ امتزجت الدماء العربية بالدماء الأعجمية - عن طريق الزيجات التي تمت بين العرب وغيرهم من الأمم المفتوحة- [1]. ولقد ترتب على هذه الزيجات، نشوء جيل من التابعين، خليط من العرب والموالي، وكانت صلتهم وثيقة بالحضارة الأجنبية. لأن الموالي - في الأصل- رقيق يقومون على خدمة ساداتهم من العرب؛ لذلك نقلوا كثيراً من ألوان الحضارة التي كان يجهلها العرب، كالأطعمة والأشربة والأبنية والفرش، وكثير من عاداتهم وتقاليدهم في الأفراح، والفكاهة[2].

أما عن حضارة الهند، فقد نقل عنها العرب - عن طريق التجارة- بعض صفات الملبس المصنوع من المنسوجات الهندية، والمشغولات الحريرية ذات الألوان المزركشة بألوان زاهية، لم يعرفها العرب من قبل.

وقد تأثرت الحياة الاجتماعية في الحضارة الإسلامية بعد دخول عدد من الموالي في الإسلام، وضم بعض دول المشرق والمغرب إلى حظيرة الإسلام، حيث نقل هؤلاء إلى الحياة الاجتماعية بعض صور العادات والملابس والمأكل وفنون الحياة والتعامل الأسري إلى مجتمعات المسلمين، بل إن بعض مظاهر الترف والبذخ لدى الروم انتقلت إلى عواصم المسلمين (دمشق

(١) عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٨) ص٨.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص ١٥٤.

- وبغداد)، ثم بدأت في الازدياد بشكل كبير.

كما تأثرت الحياة الاجتماعية في شقها السكاني والعمراني إذ قامت الدولة الإسلامية في بعض عصورها على أكتاف الوافدين من الفرس أو الروم أو غيرهم، حيث تركوا بصمات واضحة على الحياة الاجتماعية في الحضارة الإسلامية.

كما ظهرت بعض المؤسسات الخدمية والمنشآت الاجتماعية التي حفل بها المجتمع الإسلامي تطبيقاً لتعاليم الشرع التي تحض على رعاية اليتيم والمسكين وكبار السن وغيرهم، إلا أن صور التطبيق في إقامة الدور والمنشآت والمؤسسات تمت الاستفادة فيها من تجارب الأمم الأخرى، وطبقها المسلمون وطوروها وجعلوا لها أوقافاً خاصة[1].

كما استفاد المسلمون من المؤسسات العامة، والمرافق التي تخص الأغراب (المسافرين) والمحتاجين والمنقطعين - وهي مثل الفنادق في عصرنا - بالإضافة إلى المرافق العامة- الحمامات - والخدمات الاجتماعية المختلفة التي يحتاج الناس إليها مع توسع حركة الحياة الاجتماعية وكثرة السكان.

كما تخلى أهل الحضارة الإسلامية عن بعض الملبوسات القديمة بعد تأثرهم بأهل الحضارات الأخرى، حيث ازدهرت صناعة النسيج في البلاد الإسلامية، وعرفت مصانع النسيج بالطراز، والطراز كلمة فارسية الأصل مشتقة من كلمة (ترازيدان) أي التطريز وعمل المدبج أو الزخرفة التي تزين الثوب.

ودخل تبعاً لذلك لبس القلنسوة والتنويع في العمامة، ولبس التاج والدراريع والطيالسة والطرح والأقنعة النسائية، وغيرها من الملابس التي وفدت إلى الحضارة الإسلامية.[2].

---

(١) دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط١ (٢٠٠٤م). وقد ساق المؤلف أكثر من أربعين معلماً اجتماعياً ظهر في الحضارة الإسلامية، وطوره المسلمون بشكل كبير، واستفادت منه الحضارات الأخرى (٢٥١- ٣٠٤).

(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية، د. سلامة النعيمات وآخرون، مرجع سابق (٢٥١- ٢٥٩) حيث ساق أنواع الملابس الوافدة وعرفها.

المبحث الرابع: الآثار السياسية

عرف العرب - نتيجة احتكاكهم بالفرس- العديد من نظم الحكم والإدارة الفارسية، والتي صبغت بها الإدارة والنظم السياسية في الدولة العربية الإسلامية؛ حيث نقل العرب عنهم فكرة الدواوين في الحكم، ثم نظام ولاية العهد - التي ظهرت في العصرين الأموي والعباسي- فقد قام الخليفة عمر بن الخطاب t بمحاكاة الفرس، عندما تم فتح فارس، وسقوط عاصمتهم المدائن عام ٢١هـ/ ٦٤١م عقب موقعة نهاوند (فتح الفتوح)، فظهر ديوان الجند، لدفع مرتبات لهم لانشغالهم فترة طويلة في الحروب دون عائد مادي ينفقون به على أسرهم، فأراد الخليفة عمر بن الخطاب t تأمين هذا الجانب لهم، وهناك أيضًا ديوان الرسائل، وديوان الخراج، وديوان الخاتم (خاتم الخليفة) الذي يحمل شارة خليفة المسلمين ليختم به الرسائل الصادرة من الخليفة مباشرة، لمنع تزوير الرسائل والخطابات الصادرة عن خليفة المسلمين — كما سبق في الآثار الثقافية- .

- كذلك عرف العرب عن الفرس الوزارة والحجابة[١]؛ والتي لم يعرفها العرب من قبل، وإن كانت الوزارة قد وجدت دون أن تعرف تطبيقاً وتعييناً، لكن مهام الوزير - بصفته الساعد الأيمن للخليفة أو الحاكم- كانت موجودة منذ عصر النبي r، فقد قيل: ((إن أبا بكر الصديق وزير محمد r» لملازمته ومصاحبته للرسول r؛ وكان يشد من أزره وقت الشدائد والصعاب. أيضًا عندما أصبح أبو بكر t خليفة للمسلمين (في الفترة بين ١١- ١٣هـ) كان ساعده في حله وترحاله عمر بن الخطاب؛ فقيل: ((إن عمر هو وزير أبي بكر)).. .وفي زمن الأمويين، كان الوزير يطلق على (الكاتب)؛ أما لفظ وزير فقد عرف لفظًا ومعنى في الدولة الإسلامية منذ عهد العباسيين[٢].

---

(١) الحجابة: هو منصب في الأصل فارسي، ويطلق على من يعمل به مسمى «حاجب»، وهو الشخص الذي يدخل الناس على الخليفة؛ وقد دخل هذا المنصب الدولة الإسلامية زمن الأمويين، بدأه معاوية بن أبي سفيان.

(٢) الدولة العباسية، عطية القوصي، دار الثقافة العربية، القاهرة (١٩٩٣م)، ص ٢٥.

وللمؤلف: ((تاريخ دولة الكنوز الإسلامية))، دار المعارف، مصر، ط١ (١٩٨١م).

=

ولفظ الوزير ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ❖ هَارُونَ أَخِي ❖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ [طه: ٢٩- ٣١]. لكن المراد هنا تقسيم مهام الوزير، وظهور وزير التفويض ووزير التنفيذ – كما سبق- .

وقد توسعت النظم السياسية في الدولة الإسلامية، وظهرت تنظيمات جديدة داخل البلاط الحاكم ابتداء بتعيينات الوزراء ومسؤولي الجيوش ومنظمي الأسواق وأمراء المناطق ومن ينوبهم، وترتيب شؤون القضاء والشرطة بأنواعها، والترتيب الإداري مع شيء من الاختصاصات التي لم تكن موجودة في السابق [(١)].

- كما تم ترتيب الكتابة من خلال تعيين الكُتَّاب وفق مواصفات عالية، وتنظيم أغراض الكتابة وما يلحقها من المراسلات والترجمات والتدوين، ولهؤلاء العاملين يوم يتمتعون فيه بالإجازة والراحة من كل أسبوع.
- أيضاً شهد منصب القضاء تطوراً إدارياً سريعاً من خلال التنظيمات الإدارية - وليس الشرعية - وضم الجند إلى اختصاصات التنفيذ القضائي في بعض الأوجه - مساندة القبض والسجن- .
- الحسبة من الوظائف المميزة التي أنجبها النظام السياسي في الإسلام، وهي من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، ولا يعني كونها من اختصاص هذه الحضارة أنها لم تشهد تطوراً وتأثراً بأنظمة أخرى، فقد استفاد الخلفاء من بعض الأنظمة الرقابية في الأسواق وشرط الآداب في حضارات أخرى، وقد أنيط بهذه الوظيفة عدد من المهام منها:

١- المراقبة للأسواق والإشراف عليها، وهذا يشمل أسعار البضائع والمقاييس والموازين والمكاييل وغيرها.

٢- مراقبة أرباب الحرف وأصحاب المهن المختلفة، مثل الأطباء والقائمين على البناء

= وينظر: ((السلوك في معرفة دول الملوك))، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط١ (١٩٤١م) (٢/ ٢٥٩).

(١) ((النظم الإسلامية)) عبد العزيز الدوري، مركز دراسات الوحدة، بيروت، ط١ (٢٠٠٨م).

ومسؤولي الطرق، فيراقب المحتسب الأبنية، ويحافظ على النظام العام في الطرقات.

٣- متابعة العبادات من خلال حث الناس على الصلوات، ومنع الفطر في رمضان، ومتابعة نظافة المساجد.

٤- مراقبة الأخلاق العامة، ومنع الإخلال بالدين أو الأكساب الفاجرة مثل السحرة، ومراقبة أماكن التجمعات، كالحمامات والفنادق، ومرافئ السفن ونحوها [(١)].

- كما برزت أنظمة جديدة للشرطة لإقرار الأمن الداخلي، وتم تحديد المهام التي يقومون بها، وأماكن وحدود تصرفاتهم وما يمكن أن يحملوه معهم، واستحدثت وظائف لهذه المهمة، وقسمت إلى شرطة كبرى وشرطة صغرى، ولكل واحدة منهما أعمال واختصاصات.

- الأنظمة البحرية، حيث لم يكن المسلمون على اطلاع كبير بشأن السفن والبحر والحروب، حتى أن عمر بن الخطاب t منع المسلمين من خوض البحر للمعارك؛ خوفاً على أرواح المسلمين؛ لأنهم لم يكونوا على خبرة ودراية بالبحر، ولكن بعد التوسع والاحتكاك بثقافات أخرى استفاد المسلمون من غيرهم بشأن البحر، وأسسوا جندية البحرية، وزاولوا تجارة البحر، وخصصوا للبحرية موظفين معينين، وامتلكوا أساطيل مستقلة.

- تطوير أنظمة الجيوش وإعادة بنائها الإداري والتقني؛ حيث استفاد المسلمون من الأمم الأخرى التي كانت تعرف الخنادق والمنجنيق في الحروب، بالإضافة إلى تقسيمات الجيوش إدارياً، وتعيين الوظائف لها، وظهرت أنواع أسلحة جديدة، كالأسلحة الفردية والجماعية، والأسلحة الوقائية التي تصمم لوقاية الجسم أو الخيل أو المباني[(٢)].

وقد استخدم المسلمون النفط منذ زمن مبكر، مستفيدين من الروم قبلهم في استخدامه، كما استخدموا البارود (وإن كان بعض المؤرخين يرون أنهم هم من اكتشفوه)، وعرفوا استخدام الفيلة، وصفحوا الخيول ببعض الصفائح من القصدير، كما تطورت لديهم

---

(١) ((الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة)) شوقي أبو خليل، دار الفكر، ط١ (١٩٩٤م) (١٦٠- ١٦٧).

(٢) تاريخ الإسلامي وحضارته، عصام الدين الفقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١ (١٤١٦هـ) [٣٥٥-٣٦٣].

أساليب الكر والفر، وتنظيم الجيوش [1].

- كما طوّر المسلمون نظم المدن وتقسيمها، وطريقة بنائها، ووضع الخدمات العامة فيها، وأماكن المساجد والدور الرسمية والقضائية، وطرق إيصال المياه إليها والخدمات الأخرى، وكذلك المستشفيات والمكتبات، والمصانع، ودور التجارة [2].

# # #

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، د. عبد المنعم ماجد، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط٧ (١٩٩٦م) [٦١- ٧٧] بتصرف واختصار.

(٢) المرجع السابق (٩٦- ١١٠).

المبحث الخامس: الآثار الاقتصادية

كان انفتاح العالم الإسلامي على الثقافات والحضارات الأخرى له آثاره الاقتصادية على الحضارة الإسلامية في فترات مختلفة من عمرها، فعندما فتحت بلاد الهند وفارس، أصبحت منتجات هذه البلاد - سواء المنسوجات أو الأواني الهندية والفارسية- تغزو المنتجات العربية الإسلامية، سواء في أسواق الحجاز أو العراق أو الشام أو مصر... فوجدت في أسواق المسلمين الشيلان الهندية، والمناديل الروسية، وكساوات الصوف الهندية.. إلخ. وفي القرنين الخامس حتى السادس عشر، واجهت الدول الإسلامية تهديدًا كبيرًا من دول غرب أوروبا، فقد تنامت تجارة وإنتاج المدن الأوربية، ونافست المنسوجات التي يصدرها التجار من البندقية وجنوة منتجات مدن العالم الإسلامي[1].

كما تعرف المسلمون على مقاييس وموازين وأطوال جديدة لم تكن معروفة لديهم في السابق، وتعاملوا معها بكل دقة لما سبروا غورها، والفضل في ذلك يعود إلى الرحالة والتجار المسلمين، الذين نقلوا أفكار ومعارف أهل هذه الحضارات، ووضعوها داخل جسم الحضارة الإسلامية، وقد تحكم التجار في المدن الإسلامية في الطرق البرية الكبرى في المغرب وغرب ووسط آسيا، وأيضًا طرق المحيط الهندي؛ حتى فتح البرتغاليون الطريق حول رأس الرجاء الصالح - في نهاية القرن الخامس عشر- وكان معظم هؤلاء التجار من المسلمين.

- وقد عرف العرب التجارة منذ زمن بعيد، لكنهم تأثروا بغيرهم في طرق التجارة وأنواعها وأساليبها، حتى امتن الله تعالى على قريش برحلتي الشتاء والصيف التجاريتين، فقال سبحانه: â**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ❖ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ❖ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ❖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**á [قريش: ١- ٦]

وهذا الإيلاف هو تحالف تجاري أمني عقده زعماء قريش مع القبائل التي تمر القوافل التجارية في أراضيها، لضمان أمنها وعدم الاعتداء عليها، مقابل خدمات تجارية تؤديها

(١) تاريخ الشعوب العربية، ألبرت حوراني، ترجمة: نبيل صلاح الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٩٧م) ٢/ ١٢٩.

القوافل لهذه القبائل. بالإضافة إلى محالفات تجارية، وتسهيل إقامة التجار العرب وقوافلهم، وبيع بضائعهم مع السلطات البيزنطية في الشام ومصر، ومثلها مع فارس في العراق، وكذلك في الحبشة واليمن.

- كما استفاد العرب من الطرق التجارية الممهدة، وعملوا على تطويرها، والاتفاق مع تجارات أخرى للتبادل التجاري عن طريق مثل هذه المسالك، وأيضاً المسالك والطرق البحرية، حيث استرشد التجار المسلمون بالخرائط القديمة وطوروها.

- أما الصادرات والواردات فقد كانت تختلف باختلاف البلدان أو الحضارات التي تأثر بها المسلمون، فقد استورد المسلمون الورق من سمرقند، والأنسجة الحريرية والمسك والعقاقير من الصين، والتوابل والأحجار الكريمة من الهند.

كما نظموا الأسواق الداخلية، وهو ما يعرف بالأسواق الثابتة، أما الأسواق الخارجية فهي إما برية أو بحرية - كما سبق- .

- أما الزراعة والصناعة وتخطيط المدن، فتطورت في البلاد الإسلامية تطوراً كبيراً حيث استفادت الحضارة الإسلامية ابتداء من بعض الحضارات، ثم نشرت هذا التطور في كل مكان [1].

- أما النقود فقد أدرك الخلفاء أهمية العملة الاقتصادية منذ وقت مبكر، لأنها وسيلة لإعلان سيادة الدولة، فأخذوا بعض العملات الحضارية في دول مجاورة، وقاموا بسك عملة جديدة، وحرصوا على نقشها بالعبارات الإسلامية الموجزة التي تعبر عن عقيدة التوحيد، المكتوبة باللغة العربية، كما نقشوا عليها اسم الخليفة، ومن هذه العبارات: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله - الأمر كله لله - لا غالب إلا الله - وما النصر إلا من عند الله)، وتحفل متاحف العالم اليوم بنماذج من النقود الإسلامية التي تعتبر بحق إحدى مصادر التاريخ الاقتصادي الإسلامي.

وقد استعمل المسلمون النقد الثنائي كقطعتين نقديتين رئيستين: الدينار الذهبي، والدرهم

---

(١) موسوعة في الحضارة الإسلامية، حنان قرقوتي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط١ (٢٠٠٦م)، وهي في خمس مجلدات بحثت في كل واحد منها موضوعاً مستقلاً، مثل: الزراعة والصناعة والتجارة/ تخطيط المدن/ فن العلوم عند المسلمين/ التدوين والترجمة.

الفضي، بالإضافة إلى عملات صغيرة من أجزاء الدينار والدرهم، مثل الدانق والمثقال.

كما كانت الدولة تضرب على أيدي المزيفين وتعاقبهم، واستفادت من دول أخرى في طريقة سك النقود، ثم طورت هذه النقود[1].

- وقد استفاد المسلمون من غيرهم نتيجة الاحتكاك المتواصل، وبالأخص في النواحي التجارية الاقتصادية التي يعتقد أكثر الباحثين أنها كانت من أهم أسباب الحروب وتحرك الأساطيل، من أجل الاستيلاء على المنافذ البرية والبحرية، واحتكار بعض المنتجات والصناعات، ومع ذلك فقد كانت الاستفادة التجارية لبعض الأساليب والطرق التجارية ظاهرة رغم ضراوة وصعوبة بعض الحروب التي تحل بالمسلمين[2].

# # #

(١) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري، تحقيق: أحمد بن جعفر الناصري وآخرين، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، (٢٠٠٢م). وينظر: ((تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية)) عطية القوصي، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٨٦م).

(٢) الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧ (١٩٩٧م) [٢/٩٩٩].

الفصل الثالث: آثار حوار الحضارات على الحضارة الغربية

تمهيد:

المنصفون من العالمين الإسلامي وغير الإسلامي يعترفون بحق أن الحضارة الإنسانية المعاصرة كانت وما تزال مدينة للحضارة الإسلامية وإسهاماتها الكبيرة في التقدم الحضاري، ويؤكدون أن الإسلام هو الرافد الأعظم لهذه الحضارة «فالدارس لبنيان الحضارات الإنسانية المختلفة، لا يمكنه أن يتنكر للدور الحضاري الخلاق الذي لعبه العرب والمسلمون في النهضة العلمية لأوربا الحديثة»[1]، بل إن بعضهم يعترف للإسلام بقدرته العظيمة، وأن عبقرية الإسلام وقدرته الروحية لا يتناقضان البتة مع العقل، كما هو الحال في الأديان الأخرى، بل ولا يتناقضان مع الفلسفة الوضعية نفسها؛ لأن الإسلام يتمشى أساساً مع واقع الإنسان، كل إنسان، بماله من عقيدة مبسطة، ومن شعائر عملية مفيدة [2].

ويقول آخر: «إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد r إليها، إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً، أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيون أسعد ما نكون، لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة»[3]، ويقول آخر: «إن أوربة مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية... بل إن قانون نابليون منقول عن كتاب فقهي في مذهب الإمام مالك»[4]، وقبل الإشارة إلى بعض الآثار التي حصلت للحضارة الغربية، لابد من ذكر بعض خصائص الحضارة العربية الإسلامية (حضارة الحضارات) التي احتلت الأخلاق فيها مكانة بالغة الأهمية بوصفها إحدى أهم الغايات الأساسية التي استهدف تحقيقها، وذلك لكي يرتفع الإنسان

---

(١) نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع خلال القرن الرابع عشر الهجري، رشدي فكري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ (١٩٨٠م) ص: ٣١، والقائل لما بين القوسين هو المستشرق (سان سيمون).

(٢) المرجع السابق (٣٢)، والقائل هو (أوجست كونت).

(٣) معالم الحضارة الإسلامية وأثرها في النهضة الأوربية، عبد الله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ط٢، (١٤٠٤هـ) ص(١٥)، والقائل هو عميد كلية الحقوق بفيينا (شبرل).

(٤) المرجع السابق ص(٥٦).

بإنسانيته إلى المنزلة اللائقة به ومن هذه الخصائص :

١- حضارة إيمانية ، فهي تستند إلى ربط هذا الوجود بأسره بخالق واحد I ، وأنه هو الموجد لهذا الكون من العدم ، فأساس هذه الحضارة هو العقيدة التي تتعاقب الأجيال على حمل رايتها ، وتسعى لإحيائها في نفوس أتباعها[1] .

٢- أنها حضارة أصيلة تعتمد على الأخلاق والعقيدة واللغة العربية مهما تعرضت للهجمات ، أو حاول أحد تدنيسها فهي أركان عظيمة لهذه الحضارة.

٣- أنها حضارة إنسانية : فالإنسان محور اهتمامها لتحقيق سعادته في الدنيا والآخرة ، وهي إنسانية النزعة والهدف ، عالمية الأفق والرسالة كما قال سبحانه : â**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**á [الحجرات : ١٣]، وهي تسعى لمنع استغلال الإنسان لأخيه الإنسان وتجنيبه كل ما ينزل به الضرر.

٤- أنها حضارة تقدمية بكل معاني الكلمة ، لا جمود فيها ولا رجعية ، وهي متصفة بالمرونة وسعة الأفق ، شبت وترعرعت واستفادت من غيرها وأفادت ، وهي تحمل نزعة السلمية والتسامح والمحبة ، فما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب ، ولا عرفت البشرية أسمح من الإسلام.

حضارة لا حقد فيها ولا كراهية ، تكره التدمير وتحارب الظلم ، وتأمر بالعفو ، وتقيم العدل بين الناس.

٥- أنها حضارة شورية تعمل بالشورى ، وحضارة عملية تحترم العمل ، وتأمر بعمارة الأرض وتحنو على الضعيف ، وتقوم على العطف ، وتتصف بالحيوية والاستمرار ، فلا تقف عند حد ، ولا تمنع الابتكار ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

٦- أنها حضارة تتصف بالأمانة المطلقة ، وهي صفة ميزتها عن كثير من الحضارات السابقة عليها واللاحقة بها ، فإذا كان علماء هذه الحضارة قد ترجموا ونقلوا الكثير من علوم اليونان وغيرهم ، فإنهم لم ينسبوها إلى أنفسهم ، وهذا يؤكد الفرق بين حضارتهم وحضارة

---

(١) هذه الخصائص مختصرة من المراجع الآتية : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، سعيد عاشور ، مرجع سابق (١٦- ٢٠)، الحضارة والفكر العالمي ، غنيمات ، مرجع سابق (٢٦٢- ٢٧٨).

غيرهم[1].

- ولابد أن أشير إلى أهم الفروق بين الحضارة الإسلامية، وبين الحضارة الغربية، مع ما تم ذكره في الخصائص من أمور تعد من أهم الفوارق:

أ- الحضارة الإسلامية حضارة انطلقت من أصول ثابتة غير متغيرة، وهي القرآن والسنة، التقت بثقافات أخرى عليها غبار الهجران والإهمال والعطب، فنقلوها نقل اليد العليا استوعبوها وأضافوا إليها، وردوا منها ما لا يصلح بكل أمانة.

ب- العرب كانوا موضوعيين في نقلهم، أمناء في استفادتهم، خلافاً للأوربيين الذين نسبوا كثيراً مما نقلوه عن العرب والمسلمين إلى أنفسهم، وأنكروا جميل غيرهم.

جـ- الأوربيون حاولوا طمس الآثار العربية الإسلامية على حضارتهم بربطها باليونان والرومان مباشرة، واعتبروا العرب مجرد قنطرة لم يكن لها أي دور!!

د- الحضارة الإسلامية في أوج عزها لم تستعل على الآخرين، ولم تظلم المستضعفين، بخلاف حضارة الغرب المستعلية [2].

- أما طرق انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، فهي كثيرة، لكن أكثر الباحثين اجتمعوا على ذكر أهمها، ومنها[3]:

أ- الأندلس (إسبانيا) فتحها المسلمون في أوائل القرن الثامن للميلاد، وكانت في جهل وتخلف مثلها مثل باقي دول أوربا، فانصرف المسلمون نحو العناية بالآداب والعلوم والعمارة والتخطيط، وأنشأوا الجامعات والمراكز العلمية ودور الترجمة، ونظموا الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأقاموا العلاقات مع الدول المجاورة، فتغيرت الحياة في هذه الدولة لتصبح واحدة من أغنى دول العالم حضارة في وقتها.

---

(١) دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١ (١٩٩٦م)، وسأنقل عنه جملة من الآثار في ثنايا هذه المباحث.

وينظر: ((الإسلام حضارة)) د. حسين مؤنس، الدار السعودية للنشر، جدة، ط١ (١٤٠٧هـ) (٣١٧-٣٢٦).

(٢) الحضارة، غنيمات، مرجع سابق (٢٨٠ وما بعدها).

(٣) الحضارة الإسلامية، ياغي، مرجع سابق (٦٧- ٨٠)، تاريخ الإسلام وحضارته، الفقي، مرجع سابق (٣٩٥- ٣٩٩)، تاريخ الحضارة الإسلامية، عبد المنعم ماجد، مرجع سابق (٢٨٧- ٢٩٤).

ب- صقلية وهي التي فتحها العرب الأغالبة حكام تونس عام (٢١٢هـ)، وانتقلت عبرها علوم المسلمين إلى غرب أوربا، حيث كان لهذه الدولة أثر كبير في الزراعة والصناعة والتجارة، بالإضافة إلى العلوم والمعارف المختلفة التي شهدت تطوراً كبيراً في ظل الحكم الإسلامي وانتقلت إلى أوربا من هذا الطريق.

جـ- بلاد الشام: فقد كان لبلاد الشام شأن في نقل بعض مظاهر الحضارة الإسلامية إلى الغرب في العصور الوسطى، وبخاصة من خلال الحروب الصليبية التي هيأت للغرب إقامة صلات سياسية وحضارية بين المشرق والمغرب، فأخذ الأوربيون عن العرب الكثير من الكلمات والمصطلحات العربية، كما نقلوا عنهم الفنون المختلفة في جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والعمرانية.

والغريب أن يتحول هذا الصراع إلى حوار حضاري، إذ عرف الأوربيون خلال هذه الحروب زراعة العديد من المحاصيل لأول مرة، كالسمسم والذرة والأرز والليمون وغيرها[(١)].

كما عرفوا كثيراً من الصناعات كصناعة الأنسجة والأقمشة السورية والعقاقير والأدوية.

د- حركة الترجمة: حيث استفادت أوربا من التراث اليوناني والإسلامي من خلال الترجمة التي قامت بها الحضارة الإسلامية وقومتها بكل دقة وأمانة.

ونشطت حركة الترجمة بشكل كبير في المناطق المتاخمة لأوربا، مثل الأندلس (إسبانيا) وبعض بلدان الشام والعراق، وانتقلت العلوم المترجمة إلى بلاد أوربا وأفادوا منها بشكل كبير.

هـ- امتداد الدولة الإسلامية العثمانية في شرق أوروبا: حيث وصلت الدولة العثمانية إلى شرق أوربا، ونشرت الإسلام في أصقاع شتى من الأقاليم الأوربية، وتركت بصماتها قوية واضحة في مجالات العلم المختلفة، واستفادت أوربا من الحضارة العثمانية بشكل كبير وواضح [(٢)].

---

(١) من المؤلفين من يعزو إلى تلك الحروب تطورات ذلك العصر، ومنهم (هانن بروتس)، ومنهم من يقلل من هذه الأهمية لأن الأوربيين جاءوا للحرب لا للعلم والثقافة، ينظر لجمع هذه الآراء: ((الحضارات صراع.. أم حوار)) محمد جمال الدين بدوي، ضمن كتاب ((الإسلام وحوار الحضارات)) مرجع سابق (٥١١/١ وما بعدها).

(٢) الدولة العثمانية دولة إسلامية معتدى عليها، د. عبد العزيز الشناوي، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط١
=

وقد كان لهذه الطرق أثرها البالغ في نقل آثار الحضارة الإسلامية إلى الحضارة الغربية ، وإن أنكر الغرب هذه الآثار، وزعموا أنها مجرد قنطرة لم تقدم شيئاً، وهذا من عدم إنصافهم الذي أظهروه تجاه الحضارة الإسلامية.

# # #

= (٢٠٠٤م) (١/١٤- ١٦).

المبحث الأول: الآثار الدينية

بدأت الآثار الدينية للحوار الحضاري مع غير المسلمين منذ فجر الدعوة الإسلامية، بل إن نتائج الدعوة هي ثمرة لهذا الحوار الذي جاءت النصوص الكثيرة في القرآن لأمر النبي r به: **âادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ á** [النحل: ١٢٥]، وقد أخذت الآثار في الازدياد بحسب طبيعة ونوعية الحوار، فكان الأثر الداخلي كبيراً في مكة والمدينة المنورة، ثم تبعه أثر آخر عندما قام النبي r بإرسال أصحابه بكتب ورسائل إلى ملوك وأمراء البلاد المجاورة يدعوهم فيها للإسلام والإيمان بالله.

وقد صنع الرسول r لنفسه خاتماً من الفضة، ونقش عليه عبارة «**محمد رسول الله**» وختم به رسائله إليهم[١].

وقد كان لهذه الرسائل أثر كبير على الملوك والأمراء ومن حولهم، ثم بدأت الدعوة تأخذ أشكالاً أخرى، مثل إرسال الرسل لتعليم الناس، كما حصل عندما بعث النبي r مصعب بن عمير t إلى المدينة - وهو أول سفراء الإسلام- وأرسل معاذ بن جبل t إلى اليمن، وأرسل دحية بن خليفة الكلبي[٢] إلى هرقل في خطاب مشهور دعاه إلى الإسلام.

وبدأ الإسلام يتغلغل في نفوس أبناء الحضارة الغربية في قسمها الشرقي البيزنطي، منذ عهد رسول الله أثناء فترة حكم هرقل.

ثم جاءت الفتوحات الإسلامية لتقوم بدور رائد في نشر الإسلام، حتى توجت بفتح القسطنطينية (٨٥٧هـ- ١٤٥٣م)، وجعلت المساجد وأصوات الأذان، محل دق النواقيس في تلك المناطق من جسم الحضارة الغربية حتى امتد إلى جنوب أوربا، أما في الجانب الآخر من أوربا «غرب أوربا» فقد بدأت حركة الفتوحات الإسلامية في الأندلس حتى وصل المسلمون

---

(١) سيرة ابن هشام، مرجع سابق (١٨٨).

(٢) من صحابة رسول الله r شهد جميع الغزوات بعد بدر، وعاش حتى خلافة معاوية، كما شهد اليرموك، وكان من أجمل الصحابة، حيث كان جبريل يأتي في صورته أحياناً. ينظر: أسد الغابة، مرجع سابق (٢/١٣٠)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٤/٢٥٠).

إلى حدود فرنسا متوقفين بعد معركة - بلاط الشهداء- عام (١١٤هـ- ٧٣٢م).. وهذا التوسع وتلك الفتوحات أوصلت أثراً كبيراً من آثار الحضارة الإسلامية إلى أوربا مع الطرق التي سبق ذكرها [١].

- وبهذا يمكن القول إن أعظم وأهم الآثار الدينية للحوار الحضاري هو دخول عدد من النصارى في الإسلام، وقد أثنى الله عليهم بعد دخولهم في الإسلام في قوله تعالى: â**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ❖وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ❖ وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ❖ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ**á [المائدة: ٨٢- ٨٥].

وما تزال آثار الدعوة الإسلامية بالحوار الحضاري تؤتي أكلها من ناحية الآثار الدينية في العالم، فقد كشفت مصادر صحفية بريطانية أن عدد المسلمين في بريطانيا تضاعف عشر مرات، وزاد بنحو خمسمائة ألف مسلم ليصل إلى مليونين وأربعمائة ألف خلال أربعة أعوام فقط، وأن تضاعف دخول الناس في الإسلام أكثر من غيره من الأديان حسب مكتب الإحصاءات الوطنية[٢]، بل إن إعداد القساوسة والمنصرين الذين يدخلون الإسلام أصبح يشكل ظاهرة عند الغرب، ففي بلد إسلامي أفريقي واحد دخل أكثر من ستين قسيساً جنوبياً (جنوب السودان) الإسلام، ووصل عدد الذين أسلموا خلال عامين فقط أكثر من ثمانين ألف شخص [٣].

- ومن الآثار الدينية العظيمة ما شهده أهل الأديان في ظل حضارة الإسلام من تسامح وعدم إكراه، مع تقديم يد العون لهم في ظل حكومة إسلامية عادلة، كان لها أثر كبير في محبة الإسلام وأهله، ونقل الصورة الحسنة عنهم حتى دخل الناس في دين الله لحسن التعامل والمسامحة.

---

(١) المغرب والأندلس، محمد بركات البيلي، وهو موجود على الشبكة موقع أهل الحديث.

(٢) صحيفة التايمز البريطانية، منقول من موقع الإسلام اليوم.

(٣) صحيفة الخبر السودانية، ٢/٩/٢٠٠٥م، وهو موجود على موقع الشبكة الدعوية.

كما تلقى أولئك القوم بعض التعاليم الإسلامية من خلال الاختلاط التعليمي في بلاد المسلمين، بل إن بعض أبناء أهل الذمة كانوا يجلسون مع الصبية المسلمين وهم يحفظون القرآن الكريم ويرددون خلفهم حتى حفظ بعضهم آيات من كتاب الله تعالى.

كما كان اليهود يذهبون إلى القدس لأداء طقوسهم من دون خوف على أنفسهم، كما كان المقيمون منهم ينعمون بحياة هادئة مستقرة، ولم يتعرضوا لأي أذى [١].

- بعد فتح الأندلس تسامع اليهود في أوربا بالسماحة الإسلامية والتطور العظيم الذي تعيشه الأندلس، فتقاطرت هجراتهم على هذه البلاد الفتية، واختلطوا بالمسلمين واستمتعوا بحرية الرأي والدين، وتأثروا بشكل كبير وواضح ببعض تعاليم الإسلام، حتى إن عدداً منهم دخل الإسلام قناعة وطواعية بعظمة هذا الدين، ودخل في الإسلام في عصرنا الحالي عدد من اليهود - وإن كانوا قلة مقارنة بالنصارى- إلا أنهم تحدثوا عن أثر هذا الدين وتعامل أهله، وبعضهم تأثر بقراءة الكتب التي قرأها في مصر أو سماعه للأذان في هذه الدولة [٢].

كما كشفت تقارير جزائرية عن دخول مجموعة من اليهود إلى الإسلام بعد بحثهم واستقصائهم لمسائل العقيدة في الدين الإسلامي وقراءتهم لعدد من الكتب العقدية في هذا الشأن[٣].

كما نشرت صحيفة ((معاريف)) اليهودية تقريراً حول إرسال المنظمات اليهودية الفرنسية تقارير مكثفة إلى الوكالة اليهودية الدولية من أجل التدخل فيما أسمته بالإقبال اليهودي الكبير على اعتناق الإسلام... وأشارت إلى أن من الأسباب دراسة بعض الطلاب اليهود في جامعات بها مسلمون واحتكاكهم بهؤلاء الطلبة[٤].

- التأثر عن طريق علم العقائد، فقلما نجد مفكراً عاش في أوساط الحضارة الإسلامية

(١) سماحة الإسلام ودوره في تقدم الحضارات، د. شعبان محمد سلام، ضمن كتاب ((الإسلام وحوار الحضارات)) مرجع سابق (١/٢٣١- ٢٣٧) بتصرف.

(٢) شهادة يهود دخلوا الإسلام، أحمد عبد الباري شراب، موقع دنيا الوطن، نشر في ٢٠٠٨/٢/٥م
www.alwatanvoice.com

(٣) تقرير بعنوان: ((رغم حملات التنصير.. يهود يعتنقون الإسلام في الجزائر)) موهوب رفيق، موقع لذيذ:
www.lazeeez.com

(٤) التقرير منشور على موقع بكرا الإخباري www.bokra.net في ٢٠٠٥/١٢/٢٢م.

إلا وقد تأثر بالفكر الإسلامي العقدي، واطلع على كتب العقائد، ونقل منها، وكذلك التأثر بالفقه الديني، وبخاصة فقه الإمام مالك بن أنس رحمه الله لانتشاره في المغرب والأندلس.

كما تأثرت الحضارة الغربية بعلم الفرائض حيث نقلت بعض الأنظمة الغربية القديمة شيئاً من تقسيمات الفرائض وأساليبه وطرقه في تقسيم التركة(١).

- حطم التأثير الديني الإسلامي جدران الكنيسة في وقت من الأوقات، والتي كانت من شدة جهودها وتخلفها كأنها أبراج عاجية يصعب اختراقها، فهي الأخرى لم تسلم من تأثير الحضارة الإسلامية واللغة العربية، فقد كان أساس الترقي في المراتب الدينية لرجال الدين فيما يسمى بنظام الإكليروس، بقدر تمكنه من علوم المسلمين وإتقانه للغة العربية، لذلك كان رجال الدين النصارى أنفسهم يذهبون للتتلمذ في المدارس الإسلامية المنتشرة في كل مكان، ويأخذون العلم من الكتب الإسلامية التي كانت تترجم إلى اللغات الأوربية؛ لأنهم كانوا يترقون في مناصب الإكليروس بقدر ما يحصلون عليه من تلك الثقافة(٢).

- التأثير الكبير الذي خلّفه بعض المستشرقين أثناء كتاباتهم عن الإسلام، حيث أراد بعضهم تشويه صورة الإسلام، لكن الله تعالى أراد أن يكون لعملهم أثر كبير في سؤال الناس عن الإسلام وبحثهم فيه، بل إن بعض أعمال المستشرقين كانت بمثابة الإنجاز العلمي للتراث الإسلامي مثل المعجم المفهرس للسنة النبوية التي ألفها بعض المستشرقين، كما ترجم بعضهم معاني القرآن الكريم قبل أن يترجم على أيدي المسلمين - وإن كان في بعض ترجماتهم أخطاء- حيث صدرت أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن سنة (١١٤٣م)(٣).

- كما امتد التأثير الديني في الحضارة الغربية عن طريق الجامعات التي أمّها عدد من

---

(١) سماحة الإسلام، شعبان سلام، مرجع سابق (٢٤٤- ٢٤٦) بتصرف.

(٢) مفاهيم خاطئة يجب أن تصحح نظرتنا للغرب، سلسلة مقالات، مصطفى إنشاصي، موقع الركن الأخضر www.grenc.com

وقد تحدث في الحلقة الثالثة حول موضوع التأثر الثقافي.

أما الإكليروس فهم مجموعة من رجال الدين النصراني، وهم أقوام اختاروا الرب نصباً لهم - سبقت الإشارة إلى المعنى مفصلاً - .

(٣) لتفصيل الموضوع ينظر: ((الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف)) محمد القاضي، بحث على شبكة المعلومات، موقع الطريق العربي.

الطلاب المسلمين، وكان لهم أثرهم الكبير في نقل الإسلام وتعاليمه من خلال التجمعات الطلابية والملتقيات العلمية والمشاركة في الحياة العامة، كما كان لأبناء المسلمين الغربيين أثر كبير على الحياة العامة الغربية، مما حدا ببعض الجامعات إلى إدخال تخصص دراسي حول الدراسات الإسلامية، وأقيمت كراسي بحث علمي في الجامعات الغربية متخصصة في الشأن الإسلامي.

وما تزال الآثار الدينية في الحضارة الغربية تتجدد وتظهر بشكل أكثر من خلال مجموعة من الوسائل والآليات المستخدمة في الغرب، والتي تظهر بوضوح مدى التأثر الكبير الذي حل بالحضارة الغربية من الحضارة الإسلامية.



المبحث الثاني: الآثار الثقافية

يعترف المنصفون من أبناء الغرب أن الحضارة الأوروبية كانت تعيش في ظلام دامس وجهل وتخلف، بينما كانت الحضارة الإسلامية تقود العالم، وينهل الناس من علومها في كل مكان، وهذا الأمر وإن حاول إخفاءه بعض الغربيين، إلا أنه أصبح معلوماً عند المطلعين الباحثين، حيث أكدوا أن الحضارة التي يعيش آفاقها إنساننا اليوم ما هي إلا ثمرة لجهود حضارة عربية إسلامية متواصلة منذ وقت قديم وحتى نهاية العصور الوسطى في أوربا عندما بدأ الأوربيون ينهلون من معين الحضارة الإسلامية، والذي نجم عنه التطور التاريخي لأوربا وانتقالها إلى عصر النهضة، وهو ما سأشير إلى بعض نواحيه[1]:

١- الاهتمام باللغة؛ حيث انتشرت اللغة العربية وتعلمها أبناء علية القوم في الحضارة المجاورة لأنها مسلك دخولهم الجامعات ونبوغهم وتمكنهم من العلوم، لأن العلوم تدرس بهذه اللغة، ولا يمكن للإنسان أن يصبح مطلعاً ملماً بشؤون العلم إلا إذا أتقن اللغة العربية، ولعل هذا السر في تأثر اللغات الأوربية ببعض الكلمات العربية التي تسللت إليهم، وأصبحت من مفردات لغتهم العلمية والعادية. كما تأثر الأدب الأوربي بموضوعات الأدب العربي، ونقلت بعض الفنون الأدبية من العربية إلى الأوربية، كما هو الحال في الشعر الأندلس الذي امتاز بنوع خاص من الشعر الرقيق بدا واضحاً في صورة الموشحات والأزجال. وهي التي انتقلت إلى الأدب الأوربي بعد ذلك.

ومما يدل على هذا الأثر الكبير - مع وجوده في الشعر وغزل الفروسية ومواضع النثر المختلفة - ما ظهر في الشعر العاطفي الأوربي خلال الشطر الأخير من العصور الوسطى، وهي العناية بالقافية، والمعروف أن الشعر الأوربي الكلاسيكي لم يهتم بالقافية، ولم يعطها

(١) هذه الآثار ألفت لها كتب وموسوعات مما يدل على كثرتها، لكني هنا سأكتفي بالإشارة إلى بعضها لأن مجال البحث تغني الإشارة فيه عن الإسهاب، ينظر: ((دراسات في حضارة الإسلام)) هاملتون جب، ترجمة د. إحسان عباس وآخرين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١ (١٩٦٤م). وينظر: ((معالم الحضارة الإسلامية)) مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣ (١٩٧٨م). وينظر: المراجع السابقة ((حضارة العرب)) غوستان لوبون، وينظر: آفاق الحضارة، الحسيني، تاريخ الإسلام وحضارته، الفقي.

عناية تذكر في مختلف أدواره، حتى تأثر بالشعر العربي بعد ذلك.

أما في مجال النثر، فليس ثمة مجال للشك على وجود الأثر الكبير للنثر العربي على النثر الغربي، فاهتمام الأوربيين بالدراسات والكتب العربية العلمية صحبهُ اهتمام آخر بالمؤلفات الأدبية عند العرب، مما جعل بعض الباحثين يلحظ أوجه شبه واضحة بين القصص العربي الخيالي وبين بعض القصص التي عرفتها أوروبا[١].

٢- التراث المخطوط: فلقد قدمت الحضارة الإسلامية للحضارة الحديثة وللتراث الإنساني عموماً فتوحاً في عدد من العلوم والمعارف، وخلفت تراثاً مدوناً يربو على ثلاثة ملايين مخطوطة موجودة في المكتبات العالمية الكبرى في العالم، وحافظت هذه الحضارة على تراث الحضارات الأخرى، ونقلته بأمانة وموضوعية، وما زالت هذه المخطوطات شاهدة على مدى الفائدة الكبرى التي جنتها الحضارة الأوربية منها من خلال العلم والترجمة وبناء نهضتها المعاصرة[٢].

٣- الطب: حيث تمثل إسهامات الأطباء المسلمين في تقدم الطب جانباً كبيراً من الإسهامات التي تقوم عليها الحضارة الإنسانية في مجال الطب في هذا العصر، ورغم أن الأطباء المسلمين برعوا في كثير من مجالات الطب، وقدموا اختراعات واكتشافات طبية لا زالت تشرب من معينها الحضارة المعاصرة في هذا المجال، إلا أنهم عانوا من الجحود والإنكار الغربي.

وقد تمثلت الإسهامات الطبية في ترجمة الكتب اليونانية وتطبيق المنهج التجريبي الطبي، واعتماد التشخيص والاهتمام بشأن العدوى واكتشاف مجموعة من الأمراض لم تكن معروفة، بالإضافة إلى الكشوفات الطبية الدقيقة مثل الدورة الدموية وبعض دقائق علم الجراحة.

ويدخل في هذا الجانب ما سماه العرب «الصيدلة أو الصيدنة» وهو علم العقاقير والأدوية، ويسمى من يقوم عليه أيضاً باسم العشابين، حيث ارتبط هذا العلم بعلم النبات، وطوره علماء مسلمون واكتشفوا الأدوية والعقاقير الطبية التي أسهمت في تطور علم الطب

---

(١) حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى، د. سعيد عاشور، دار النهضة العربية، بيروت، ط١ (١٩٧٦م) ص- ص (٢٧٢- ٢٧٥) بتصرف.

(٢) (تاريخ التراث العربي) فؤاد سزكين، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، (١٩٩١م). وينظر: «تطور إستراتيجية الحوار في الحضارة الإسلامية مع الحضارات: قديماً وحديثاً»د. بكر مصباح ضمن كتاب «الإسلام وحوار الحضارات» (٢/٣٢٢).

والحد من الأمراض، وما تزال بعض العقاقير تحمل أسماء عربية مما يدل على أثر هذه الحضارة على الحضارة الغربية، ولعل السبب في براعة المسلمين في علم العقاقير أنها قائمة على علم الكيمياء الذي برز فيه من المسلمين عدد كبير، ودرسوه في جامعات الأندلس وبعض جامعات المشرق[١].

٤- علم الفلك والرياضيات، وهو علم الحساب والجبر والهندسة وعلم المثلثات وعلم الفلك أو ما يعرف بعلم الهيئة، وهي علوم لم يكن للعرب اهتمام بها قبل الإسلام، وبظهور الإسلام واتساع دولته، واستقرارها، والاختلاط الذي حدث بين المسلمين والأمم الأخرى، والشعور بالحاجة إلى علوم تلك الأمم وقيام حركة الترجمة تعرف المسلمون على هذه العلوم وأضافوا عليها الكثير والمفيد الذي أفاد منه علماء أوربا.

ففي الحساب بدأ علم الترقيم (نظام الترقيم) الذي انتقل إلى أوربا، وكان يسمى عندهم بالأرقام العربية، ثم أدخلوا الصفر والإحصاء العشري وعرفوا الكسر العشري، كما ابتكروا علامة الفاصلة للكسر العشري، وأحدثوا بذلك ثورة ضخمة في علم الحساب.

ولم تتوقف إسهامات علماء المسلمين في مضمار الرياضيات على الحساب بل امتدت إلى الجبر والهندسة وعلم المثلثات حتى أصبحت هذه العلوم أساساً كبيراً لقيام الحضارة المعاصرة، بل بناء عليها انطلقت النظريات الرياضية والفيزيائية التي حققت للحضارة المعاصرة هذه المنجزات[٢].

٥- التاريخ والجغرافيا: فيدرك كل من قرأ شعر العرب وما نسب إليهم من أقوال وأمثال أنهم على دراية بأخبار الأمم السابقة، وأن التاريخ ملاصق لحياتهم، وبالأخص ما جاء في القرآن الكريم أو السنة النبوية، وما ألف فيه علماء التاريخ من المسلمين من كتب الأخبار والمرويات والأحداث والطبقات والسير وقيام الدول وسقوطها، حتى استمر الأمر ليصل إلى الدقة في قراءة الأحداث وقيام مدارس التحليل والرصد والتحقق التي لا تكتفي بالأخبار وإنما

---

(١) العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، تاج السر أحمد حران، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣ (١٤٢٨هـ) [٦٧- ٩٣].

(٢) العلوم والفنون، تاج السر مرجع سابق (٩٦_١٠٧)، الإسلام بين البداوة والحضارة، قاسم حبيب، مرجع سابق (٤٢٠- ٤٣٠).

تدرسها في سياق علم الاجتماع مع تمحيص الأخبار والاهتمام بتعليلها.

أما الجغرافيا فقد اهتم العرب بهذا العلم لحاجتهم الماسة إلى معرفة الطرق والبلاد والمسالك التي كانوا يسلكونها في تجاراتهم وغزواتهم وحروبهم وممارسة شعائرهم الدينية، حتى أبدعوا في التأليف ورسم الخرائط والحديث عن تضاريس البلدان وما فيها من حياة بشرية، كل هذا أسهم في فتح المجال أمام الحضارة الأوربية إلى أن تستفيد من هذا العلم وبالأخص في مجالات التجارة التي اعتمدت كثيراً على خرائط ورحلات الكشافة المسلمين[1].

٦- إنجازات علماء المسلمين في العلوم الطبيعية مثل علم الميكانيكا الذي أسهم في تطور علم الآلات المتحركة بنفسها كآلات الرفع والساعات والموازين وغيرها.

ومن هذه الإنجازات ما يخص علم الضوء والصوت ويسميه علماء المسلمين علم «المناظر» وعلم «البصريات» وما تزال النظريات المتعلقة بهذا العلم تدرس إلى يومنا هذا في الجامعات الغربية، ومن أشهر العلماء الذين تدرس كتبهم العالم المسلم الحسن بن الهيثم الذي ولد في البصرة عام (٣٥٤هـ) ونشأ بها ثم ارتحل إلى القاهرة وأقام فيها حتى وفاته عام (٤٣٠هـ)، فهو أول مكتشف في علم البصريات، وله كتب تدرس في الجامعة الغربية إلى نهاية القرن السادس عشر الميلادي، أما نظرياته فهي الأساس الذي قامت عليه النظريات المعاصرة في علم البصريات.

ويتبع هذه العلوم علوم الأحياء وعلم النبات وعلم الحيوان وغيرها من العلوم التي تعتبر بحق أساساً علمياً لقيام الحضارة الأوربية المعاصرة[2].

٧- المؤسسات التعليمية: إذ لم تقم عملية التعليم لدى المسلمين بشكل عشوائي، بل ارتبطت بأماكن محددة تتم فيها عملية تعاليم الطلاب والتلاميذ، حيث يتلقى الطلاب العلم من أساتذة متخصصين في أماكن معدة للعلم - بخلاف المسجد المحضن الأول للعلم- فقد بدأ ظهور الكتاب أو الكتاتيب، ثم افتتحت الربط وهي أماكن مخصصة للعلم فتحها الموسرون لطلبة العلم، وبعدها ظهرت المدارس النظامية وانتشر بناؤها فبلغت أعداداً كبيرة في مدن المسلمين، وأصبحت دور العلم وبيوت الحكمة مراكز إشعاع ثقافي يؤمها الطلاب من داخل

---

(١) المرجع السابق (٤٣١- ٤٣٩).

(٢) تاج السر، (١١٣- ١٣٢).

وخارج العالم الإسلامي[1]... وما زالت كتب التاريخ تنقل لنا رسالة بعثها جورج الثاني ملك إنجلترا والنرويج والسويد إلى السلطان هشام الثالث في الأندلس فيها: ((إلى صاحب العظمة خليفة المسلمين هشام الثالث الجليل المقام... بعد التعظيم والتوقير، فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الضافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل، لتكون بداية حسنة لاقتفاء أثركم لنشر العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة... خادمكم المطيع جورج الثاني))[2].

٨- المستشفيات الإسلامية: وهي فأل في اسمها الذي اختاره المسلمون، خلافاً لما كان سائداً من تسميات قديمة (بيت المرض - مأوى الله ...) إذ اتخذ المسلمون هذا الاسم للتفاؤل بالشفاء، وخصصوا أماكن معدة ومهيأة لتقديم العلاج والأدوية مجاناً.

وقد عرفت الحضارة الإسلامية المستشفيات الكثيرة الثابتة والمتنقلة، والتي تقوم على أفضل وسائل النظافة والعلم في عصرهم، ويؤمها كبار الأطباء والعطارين، كما كانت بعض هذه المستشفيات متخصصة مثل مستشفيات الرمد والعيون، وأخرى للجراحة وثالثة للباطنية، ونتج عن ذلك وجود أطباء تخصصوا في كل علم دقيق من هذه العلوم.

ولم يغفل المسلمون كذلك الطب البيطري، بل أبدعوا فيه تأليفاً وعلماً وتحضيراً مخبرياً حتى نقلت عنهم الحضارة الأوربية الشيء الكثير من هذه العلوم[3].

وقد عقدت ندوات ومؤتمرات طبية عن أثر الطب الإسلامي على العلوم الطبية المعاصرة وقدمت فيها أبحاث كثيرة ونشرتها صحف ومواقع الكترونية، ومن الضروري أن تصل إلى وسائل الإعلام الغربية لتكون شاهداً على الأثر الحضاري الإسلامي[4].

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية، د. سلامة النعيمات وآخرون، مرجع سابق (٣٢٤- ٣٣٢).

(٢) دور المساجد التاريخي في التثقيف العلمي، محمد الشاذلي الخولي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ط١ (١٩٦١م) (٣٢).

(٣) العلوم العملية في العصور الإسلامية، عمر رضا كحالة، المطبعة التعاونية، دمشق (ب ت). وينظر: ((أثر العرب في الحضارة الأوربية)) عباس محمود العقاد، نهضة مصر، القاهرة، ط٢ (٢٠٠٥) (٨٦).

(٤) جريدة الشرق الأوسط، العدد (٨٥١٧) في ١٤٢٣/١/١١هـ.

المبحث الثالث: الآثار الاجتماعية

لم يقف تأثير الحضارة الإسلامية عند حد العلوم والثقافة ونحوها، بل تعداه ليشمل الحياة والسلوكيات في مجالات عدة، منها على سبيل المثال:

١- المظهر الخارجي: بدأت بعض الشعوب التي احتكت بالمسلمين تتأثر بهم في الملبس والنظافة حيث فرضت عليهم البيئة الإسلامية النظافة والسلوكيات الطيبة، حتى إن بعض أهل الأديان صاروا يقلدون المسلمين في ملابسهم، وأصبحوا يلبسون الأحذية. بل إن غطاء الرأس الذي كان عادة من عادات المشرق تسلل إلى بعض اليهود[١].

كما انتقلت إلى أوربا بعض العادات والتقاليد العربية والإسلامية مع نقل العلوم والثقافة، أو من خلال الحروب الصليبية، حيث عاش الصليبيون مدة طويلة في المشرق، وحدث التقاء واحتكاك كبير بينهم وبين مسلمي الشرق والحضارة الإسلامية، وعندما عادوا إلى أوروبا، عادوا محملين بأفكار وعلوم ومعارف الشرق الإسلامي، فحاكوا المسلمين في المأكل والمشرب والملبس[٢].

وفي صقلية ذات الصبغة الإسلامية بعد أن فتحها المسلمون شاعت ألوان الحياة الإسلامية من حيث رؤية هلال رمضان والاحتفال بالعيدين والتزيي بالزي الإسلامي، وظهور الأسماء العربية الإسلامية على سكان هذه الجزيرة، وانتقلت تلك العادات الاجتماعية من جنوب أوربا وصقلية إلى شمال أوروبا وغربها، والتي ظهرت عليها الصبغة الإسلامية في الملبس والعادات وكثير من النظم الاجتماعية السائدة إلى يومنا هذا؛ أما الأندلس فقد كان التأثر فيه أكبر حيث حصل تزاوج بين العرب المهاجرين وأهل أسبانيا، وانتقلت العادات والنظم الاجتماعية لتصبح مستوطنة في أسبانيا[٣].

٢_ معاملة المرأة: حيث شاهدت بعض الفئات التي لا ترى للمرأة قدراً ولا قيمة

(١) سماحة الإسلام، د. شعبان سلام، مرجع سابق (١/ ٢٥٠).

(٢) الحركة الصليبية، سعيد عاشور مرجع سابق (٢/ ٥٠٦).

(٣) الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦- ١٧، محمد رزوق، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط١ (١٩٨٩م) (ص٢٠).

شاهدت تعامل المسلمين مع المرأة واحترامهم لها مما جعل النساء يتأثرن بهذا التعامل ويطالبن بحقوقهن.

بل إن اليهود، وبتأثير من الحضارة الإسلامية سمحوا للمرأة بالذهاب إلى المعبد وهي محتشمة، وخصص لها مكان في آخره كي لا يراها أحد، ولم يعاقب اليهود من يضرب زوجته إلا من القرن التاسع الميلادي حينما تأثروا بالمسلمين، وفرضوا على الزوج أن يعطيها ما يكفيها من حقها متأثرين بحق النفقة لدى المسلمين[١].

٣- انتقال بعض أنماط البناء والزخرفة الإسلامية وتصميم المنازل إلى بلدان أوروبا، وذلك بعد أن عاشت البلاد الإسلامية - وبخاصة الأندلس- نهضة عمرانية كبرى إذ قامت مدن إسلامية جديدة، ونشطت حركة البناء والعمارة في المدن، وبنيت حولها الأسوار والحصون وأقيمت بها المساجد والدور والقصور والأسواق والأربطة وخزانات المياه، وظهر أثر الفن المعماري الإسلامي من خلال الزخرفة والنقوش والتصاميم الفريدة على هذه المباني.

أما الحمامات فلم تكن من ابتكار المسلمين، لكنهم طوروها وجعلوا لها ضوابط اجتماعية تحفظ الخصوصية، فقد اهتموا فيها بالطهارة والنظافة، وأسسوا لها الآداب العامة التي تحفظ العورات، مع تخصيص حمامات للنساء، وتخصيص غرف مستورة للملابس، مع وجود نساء متخصصات لتصفيف الشعر وصبغه بالحناء وهن (المشاطات)[٢].

# # #

---

(١) سماحة الإسلام، د. شعبان سلام، مرجع سابق (١/٢٤٩).

(٢) العلوم والفنون، تاج السر، مرجع سابق (١٧٥_٢٤٧) حيث تحدث عن العمارة الإسلامية وطرق البناء وما يتعلق بالفن الإسلامي والخط والنقش والنحت والرسم إلى غير ذلك.

المبحث الرابعة: الآثار السياسية

وضع الإسلام الأسس العامة للدولة، وأكد على ترسيخ مبادئ أساسية للنظام السياسي، وجعل تطبيق هذه الأسس من الأصول العظيمة التي يقوم عليها النظام السياسي في الإسلام، ولم يتعرض في كثير من الأحيان للتفاصيل، وكان من جراء ذلك أن تطورت نظم الحكم والإدارة والتشريع في الدولة الإسلامية حسب الظروف التاريخية ومقتضيات العصر وتقاليد الأمم التي دخلها الإسلام، ولكن في إطار أحكام الإسلام ومبادئه الأساسية، ومن ثم حظيت الحضارة الإسلامية بنظم ووظائف ومراسيم تطورت إلى درجة رفيعة من الدقة والتنسيق، ومن أهم هذه النظم وأكثرها شمولاً:

١- الخلافة؛ حيث وضع الفقهاء لها أو ما في حكمها (الإمارة) شروطاً وضوابط تدل على دقة الاختيار، بل إن ثمة أموراً تسبب عزل الخليفة أو الوالي حال إخلاله بها، وقد تأثرت النظم الغربية إلى حد كبير ببعض مبادئ نظام الحكم في الإسلام مثل الشورى والعدل والحرية والمساواة، بل إن من ألف في واجبات الرعية تجاه الحاكم أو حقوقهم على الحاكم أشار إلى أن نظم أوروبا قد أخذت بعض هذه الأحكام وطبقتها في نظامها السياسي[(١)].

٢- القضاء، وهو النظام الذي قام على أساس العدل وتطبيق شريعة الله في الناس، وبه كانت الصورة المشرقة للحضارة الإسلامية، وذلك أن الغرب لم يكن يصدق أن الوالي أو الأمير يمثل أمام القاضي ليحاكم على خطأ ارتكبه في حق أحد المواطنين، وهذه الصورة المشرقة هي التي جعلت الأوربيين يتأثرون بنظام القضاء في الإسلام. ويتناقلون بعض صوره، ويؤكدون على أن شروط تولي القضاء وإثبات الدعوى، وأسس الحكم في الإسلام ليس لها مثيل في الأنظمة الوضعية[(٢)].

٣- الدبلوماسية الإسلامية: حيث كان المسلمون يتخذون منها أسلوباً مهماً لإيصال الرسالة الخالدة، وليس تحقيق مصالح دنيوية فقط، ولهذا تأثر الآخرون بعدد من الرسل الذين

(١) نظم الحضارة الإسلامية، حسن محمد جودة، دار النشر الدولي، الرياض، ط١ (١٤٢٣هـ) (٢٤- ٤٩).

(٢) النظام القضائي الإسلامي مقارناً بالنظم القضائية الوضعية وتطبيقه في المملكة العربية السعودية، رسالة دكتوراه، عبد الرحمن عبد العزيز القاسم، موجودة على الشبكة، موقع شبكة المحامين العرب.

اتخذهم الحكام المسلمون، وعلى رأسهم أول سفير في الإسلام - مصعب بن عمير- فقد كان تأثيره كبيراً جداً في أوساط المدينة النبوية.

وبعد عصر الخلافة الراشدة تواصل دور الدبلوماسية من خلال عقد المعاهدات وإرسال الرسائل وتحسين العلاقات مع كون ذلك كله وسيلة للدعوة إلى الإسلام من خلال امتثال أخلاق الإسلام العظيمة.

وكان السفير في الأندلس يختار على أقصى غاية من الدقة بحيث يكون ذكياً، ومتصفاً بصفات خلقية وعقلية، وأن يكون واسع الثقافة، ذا رأي نافذ وحصيف العقل يجعله يستنبط غوامض الأمور ويستشف سرائر القلوب، ويجب أن يكون فصيحاً ليعجب السامع بحديثه ويسحره بحلاوة لسانه، ليكون كلامه مؤثراً[1].

٤- إعلانات حقوق الإنسان أو ما في حكمها من الإعلانات والمواثيق الدولية لا تخلو من وجود أثر واضح لبعض القيم العظيمة التي جاء بها الإسلام وأقرها قبل أن تعرفها الحضارة الأوربية المعاصرة، فمثلاً إعلان الأمم المتحدة عن حقوق الإنسان - سبق الحديث عنه- تكلم عن الحق في حرية الرأي والاعتقاد والتملك وغير ذلك، وهي أمور أقرها الإسلام، بل سبق غيره بها وجاءت في صور عظيمة بشكل نظري، وفي صور عظيمة بتطبيق عملي في عهد الرسول r ومن بعده من خلفائه الراشدين ومن سار على نهجهم من المسلمين.

٥- أما فكرة الدستور والأنظمة وحق المواطنة والعقد الاجتماعي، وغيرها من القضايا السياسية، فإن للإسلام فيها سبقاً وتنظيماً شهد به المنصف من الغرب، واستفادت منه الحضارات المتعاقبة، وجعلت من الدساتير والأنظمة الإسلامية نبراساً تهتدي به، وتنقله إلى أبنائها.

وعندما قام المختصون في أوربا بوضع دستورهم، قاموا بترجمة كتب المسلمين في السياسة والإدارة وأفادوا منها، وجعلوا كثيراً من دساتيرهم تنطلق من أسس النظام السياسي الإسلامي العامة[2].

---

(١) فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، د. عز الدين فراج، دار الفكر العربي، القاهرة، (١٩٨٨م) (٢٣٣- ٢٣٦).

(٢) المغرب والأندلس، محمد بركات البيلي، مرجع سابق (٥٧).

المبحث الخامس: الآثار الاقتصادية

نتيجة التبادل التجاري الكبير بين الشرق والغرب، والتواصل العلمي المتبادل كانت الآثار الاقتصادية كبيرة ومتداخلة، بحكم أنها تقوم على المنافع العامة المباحة، لذا لا يمكن التأكيد على دقة الأثر بشكل كبير، لكن يمكن القول إن هناك آثاراً عامة أفادت منها الحضارة الغربية ونقلتها من الحضارة الإسلامية ومن أهمها:

١- الزراعة: حيث عرف الأوربيون من الحضارة الإسلامية فكرة «النواعير» أو «السواقي» لرفع المياه من المنسوب المنخفض لري الأراضي المرتفعة، كما نقلوا من أرض العرب أنواعاً عديدة من الزراعات لم تكن معروفة عندهم، خاصة المحاصيل الباردة التي من الممكن أن تستمر في الأراضي الأوربية، وتحول المجتمع الأوربي إلى مجتمع زراعي[١].

كما نقل المسلمون إلى صقلية والأندلس زراعة القطن وقصب السكر والتوت، ووضع الأمويون في الأندلس تقويماً للزراعة عرف بالتقويم القرطبي الذي أصبح دليلاً يسترشد به الزراع في غرس النباتات المختلفة في مواعيدها وقد أخذه عنهم غيرهم[٢].

كما استفاد الأوربيون من العلوم الزراعية العربية بعد أن ترجموها إلى لغاتهم إذ أن العرب قد طوروا أساليب الفلاحة وشيدوا السدود والترع وحفروا الآبار واستخدموا وسائل للري لم تكن معروفة في إسبانيا.

كما أمد العرب الحدائق والبساتين بأنواع نباتاتهم المفيدة والتي لم تكن معروفة لدى الأوربيين من قبل[٣]، وبعضها ما زال يحمل اسمه العربي مثل (السكر sugar) و(القطن cotton).

٢- في مجال الصناعة مارس المسلمون كثيراً من الصناعات ومن أهمها (العمارة) وما استخدم في هذه العمارة من أدوات جديدة مزخرفة أضفت عليها رونقاً جديداً.

كما اهتم المسلمون بصناعة النسيج التي ارتقت وتقدمت في العصر العباسي ذلك العصر

(١) الحضارة، د. حسين مؤنس، مرجع سابق (٢٠٣).

(٢) تاريخ الإسلام وحضارته، الفقي، مرجع سابق (٣٦٨).

(٣) آفاق الحضارة للحسيني، مرجع سابق (٦٠).

الذي اشتهر بصناعة النسيج الذي تشرف عليه الدولة، وكان القطن والكتان من أهم ما يستخدم في النسيج وبمصانع محلية إسلامية.

واشتهرت بعض المدن السورية بصناعة الزجاج، وأقيم في بغداد عدد من المصانع لصنع الزجاج المزخرف والخزف، وازدهرت صناعة المعادن ومنها صناعة السيوف والرماح والخناجر والدروع والتروس وغيرها، وكذلك صناعة الحلي بمختلف أشكالها.

وأخذت أوربا منهم مع ما سبق صناعة الخشب المطعم بالعاج وصناعة الزجاج والبلور الصخري كالمصابيح وصناعة الجلود وصناعة السجاد والورق، وقد أطلق الأوربيون على النوع الممتاز من الجلود اسم الجدلد القرطبي.

ومن الصناعات التي ظهرت في الدولة الإسلامية وانتقلت عبر التجارة إلى أوربا صناعة المراكب التي تسير في النيل حاملة حاصلات البلاد بين جهات الوجهين القبلي والبحري، ولذا سميت «المراكب النيلية».

كما حرصت الدولة على استغلال ثرواتها من الحديد والذهب والفضة والنحاس وغيرها، وأنشأت بعض المناجم التي صارت تصدر لدول أوربا.[١]

٣- المجال التجاري: حيث سيرت قوافل التجارة من البلاد الإسلامية إلى كل بلاد الدنيا فنشروا مع بضاعتهم الأمن والطمأنينة، وأقاموا المحطات والآبار في الطرق، وانتفع منهم جميع من مروا عليه من أهل البلدان، وكان لعملهم هذا أثر كبير في إنعاش حركة التجارة ونقل الأخلاق الإسلامية عبر التعامل التجاري، والتي كان لها أثر كبير في دخول الناس إلى الإسلام عندما شاهدوا تعامل التجار المسلمين وما تميزوا به من الصدق والأمانة والوفاء.

هذه بعض ملامح هذه الحضارة التي دعا إليها الإسلام، وهي التي تجسدت في نصوصه مشاريع عمل، وتصاميم خطط اضطلع بها أبناؤه، من مسلمين ومن عاش في كنفهم من غير المسلمين، في وقت عم فيه الخطب وكثر الظلم وأطبق على العقول الجهل، وما المنجزات الحضارية التي شهدتها هذه الحضارة إلا دليل على سعة هذه الحضارة ودعمها وبذلها لكل أحد، دون احتكار لعلم أو حرمان أحد من حضارة، بل قامت على بذل الجهد، وامتلاك ناصية العلم والتخلق بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب.

---

(١) الفقي (٣٦٧- ٣٦٩) والحسيني (١٠٢)، والخطيب (٣٠٨).

وما تزال الآثار العظيمة التي تشهد لهذه الحضارة بادية في كل مكان وإن أنكرها المنكرون، لكنها كالشمس في رابعة النهار.

ومع ذلك فإن الحديث عن الماضي والبكاء على الأطلال لا يصنع حضارة ولا ينهض بأمة، بل لابد من النهوض كما نهض السلف والسعي كما سعوا، لنسهم في إعادة بناء حضارتنا في ظل حوار حضاري مفتوح، وسعي دؤوب من جميع الأمم لتسنم مراكز القيادة العالمية.



الباب الرابع

أهم مراكز ومؤتمرات حوار الحضارات في العالم

الفصل الأول

أهم مراكز حوار الحضارات في العالم

المبحث الأول

أهم مراكز حوار الحضارات في العالم الإسلامي

المطلب الأول

المركز الأردني للدراسات والمعلومات

النشأة والصفة[1]:

أنشئ المركز الأردني للدراسات والمعلومات كمؤسسة ثقافية بحثية عامة غير ربحية عام ١٩٨٧م. ويشرف على المركز عدد من الشخصيات العامة والمتخصصين في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية.. ويجتمع المجلس مرة كل شهرين لمتابعة نشاطات المركز وتوجيهها.

مجالات اهتمام المركز:

يولي المركز اهتمامًا خاصًّا بكثير من القضايا والمحاور أهمها المحور السياسي؛ وهو المحور الذي يهتم بدراسة القضايا السياسية والمنازعات الدولية وسبل حلها عبر الحوار، وهو المحور الذي يعنينا في إطار الحوار بين الحضارات. كما أن المحور الإعلامي يعمل على تعزيز دور وسائل الإعلام لتنمية هذا الحوار ونشر مفاهيم المجتمع المدني ونشر المعلومات كحق من حقوق الإنسان.

أما المحاور الأخرى فتتمثل في: محور المجتمع المدني الذي يعنى بآليات بناء المجتمع المدني

---

(١) ينظر موقع جريدة اللواء: www.al-liwa.com

وترسيخ مفاهيمه، ومحور حرية التعبير والديمقراطية وحقوق الإنسان، حيث يعمل المركز من خلاله على ترسيخ حق حرية التعبير ونشر الثقافة المتعلقة بحقوق الإنسان ومفاهيمها، والمحور الاقتصادي الذي يدرس آليات بناء اقتصاد متطور وسبل حل المشكلات الاقتصادية بالطرق العلمية وبناء فكر اقتصادي متطور ومفاهيم اقتصادية معاصرة، والمحور التعليمي الذي يهتم بسبل تطوير التعليم بما يتماشى مع معطيات العصر والتطورات العلمية، والمحور الثقافي الذي يُعنى بتعزيز دور الثقافة في المجتمع وحق الإنسان في الاطلاع على مصادر الثقافة بحرية، والمحور الاجتماعي يهتم بالبناء الاجتماعي وسبل تطويره ومعالجة المشكلات الاجتماعية التي تواجه تطور المجتمع، ومحور القضاء وسيادة القانون يختص بتعزيز دولة المؤسسات وسيادة القانون، ومحور البيئة يُعنى بالحفاظ عليها بهدف سبل نشر الوعي البيئي، ومحور قضايا السكان، وكذا محور المرأة الذي يهدف إلى تعزيز دور المرأة في المجتمع، ومحور الطفولة والعناية بها، وأخيرًا محور الإدارة الذي يهدف إلى مناقشة القضايا الإدارية وسبل تطوير الإدارة.

وهكذا تتعدد المجالات التي يعمل المركز على تطويرها وإثرائها في سبيل بناء المجتمع بناءً صحيحًا من الداخل بما يتواكب ومتطلبات العصر، مع دعم الحوار الداخلي بين مختلف فئات المجتمع، إضافة لمواجهة التحديات الخارجية بدعم الحوار والتفاهم بين الثقافات من خلال مناقشة القضايا المختلفة في هذا السياق.

آليات عمل المركز

يمارس المركز عمله من خلال عدد من القنوات أهمها:

- **تداول المعلومات ونشرها؛** حيث يحتوي المركز بنكًا متكاملاً للمعلومات يسد احتياجات صانع القرار والباحث الإعلامي والدارس وطلبة الدراسات الجامعية المختلفة في مختلف القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية وقضايا الثقافة والإعلام والتعليم والسكان، على امتداد العالم، حتى يمكن للباحثين والخبراء العمل على ضوء معلومات حقيقية وحديثة بصورة مستمرة. ولدى البنك الآن ما يزيد عن العشرة ملايين مادة جاهزة لاستعمال الراغبين موزعة على دوائر البنك المختلفة.
- **النشر والإصدارات:** يُصدر المركز عشرات الكتب والدراسات التي غطت محاور نشاطاته المختلفة.

- **الندوات والمؤتمرات وحلقات النقاش العلمية:** وقد عقد المركز أكثر من ثلاثمائة وخمسين ندوة ومؤتمرًا وحلقة نقاش علمية غطت جميع المحاور التي يهتم بها، وشارك في هذه الندوات والمؤتمرات وحلقات النقاش مئات الباحثين والمختصين والمهتمين من الأردن والخارج، حيث تم خلالها مناقشة مئات أوراق العمل والدراسات والبحوث.

البرامج المدعمة للحوار:

يمارس المركز الحوار من خلال مجموعة من البرامج المتخصصة التي تساعد في خلق حالة حوارية داخلية وخارجية؛ وأهم هذه البرامج هي:

- **برنامج الرواد:** يشارك في هذا البرنامج بصورة منتظمة مجموعة من الشباب من الجنسين؛ وهو يهدف إلى خلق حالة حوار بين جيل الشباب وبين بعضهم مع بعض، وبينهم وبين صناع القرار في القطاعين العام والخاص، وفي مختلف الحقول بهدف تدريب الشباب على القيادة، وصناعة القرار، وإتاحة الفرصة أمام المبدعين منهم للتقدم في المجتمع واحتلال المواقع التي تناسب قدراتهم، وإتاحة الفرصة أمامهم للمشاركة في برامج عملية تهدف إلى تطوير المجتمع من خلال دراسة قضايا ومشكلات المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية...إلخ.
- **برنامج الأردن رؤية مستقبلية:** وهو منبر حر يجري فيه النقاش بصورة منتظمة بين عدد من المفكرين والباحثين من أصحاب الرؤية المستقبلية في مختلف المجالات، يضاف إليهم في كل مرة مجموعة من طلبة الجامعات وأساتذتها، حيث يخصص النقاش في كل أسبوع لتناول موضوع محدد والوصول فيه إلى خلاصات تعين على وضع رؤية واضحة حول هذا الموضوع.
- **برنامج الملتقى الإعلامي:** وهو لقاء منتظم يضم عددا من الإعلاميين العاملين في مختلف وسائل الاتصال المرئي والمسموع والمقروء. ويهدف هذا البرنامج إلى خلق حالة حوار بين الإعلاميين العاملين في الصحف والإذاعة والتلفزيون بهدف الوصول إلى فهم مشترك للقضايا، والسعي لطرح القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والتربوية بهدف تسليط الضوء عليها وخلق رأي عام حولها.

- **المنتدى الثقافي:** وهو لقاء منتظم يضم مجموعة من المبدعين في مختلف حقول الإبداع الثقافي، ويناقش في كل مرة قضية ثقافية بهدف تحريك الحياة الثقافية وتعزيز دور الثقافة في المجتمع والوصول إلى قواسم مشتركة بين المبدعين حول قضايا الإبداع على وجه الخصوص وقضايا المجتمع بشكل عام.
- **الملتقى الاقتصادي:** وهو ملتقى منتظم يضم مجموعة من الباحثين والمختصين في الاقتصاد ويهدف إلى مناقشة ودراسة القضايا الاقتصادية والحوار حول سبل حل المشكلات الاقتصادية وخلق حالة من الوعي الاقتصادي والرؤية الاقتصادية الواضحة.
- **الندوة الأسبوعية:** وهي حلقة نقاش أسبوعية يلتقي فيها كل مرة مجموعة من المختصين والمهتمين بالقضية المطروحة للنقاش، وعادة ما تكون هذه القضية من القضايا الهامة والساخنة ويساعد هذا الحوار في الوصول إلى رؤى متوافقة بخصوص هذه القضايا سعيًا لحلها.
- **الدورات التدريبية:** يتولى المركز تنظيم الدورات التدريبية في مختلف المجالات بهدف إكساب المشاركين في هذه الدورات للمهارات والمعلومات وبناء المفاهيم لديهم في المجالات التي تعقد من أجلها هذه الدورات.

علاقة المركز بالباحثين:

يحتفظ المركز بقائمة تضم أسماء وعناوين مجموعة من الباحثين في مختلف المجالات بهدف الاستعانة بهم في دراساته ونشاطاته المختلفة، كما يقوم بترشيح هؤلاء الباحثين للجهات والمؤسسات التي ترغب بالاستفادة من الباحثين وتستعين بالمركز لهذه الغاية، ويوفر المركز المظلة للباحثين المستقلين لتنفيذ مشروعاتهم التي يحصلون على تمويل لها وفق اتفاقيات خاصة بينهم وبين المركز.

الجمهور المستهدف:

يستهدف المركز في نشاطاته الجمهور العام بهدف رفع وعيه وبناء رأي عام مستنير حول الموضوعات والقضايا التي يتبناها أو يطرحها للنقاش، مع التركيز على صنّاع القرار في القطاعين العام والخاص بهدف تزويدهم بالمعلومات لتوجيه الرأي العام واحتياجات المجتمع، وكل ذلك بهدف ترشيد القرار، كما يستهدف المركز في نشاطاته الباحثين والدارسين في مجالات

اهتمام المركز.

التمويل:

يتم تمويل المركز من خلال :

- مردود النشاطات التي يقوم بها ، وخاصة بيع إصداراته ونشراته.
- بدل قيامه بالدراسات للجهات التي تطلبها منه.
- بيع المعلومات والخدمات المعلوماتية.
- المشاركة مع جهات محلية وخارجية في تمويل بعض النشاطات.
- رعاية بعض النشاطات من قبل مؤسسات محلية وخارجية.
- التبرعات المالية والعينية غير المشروطة.

# # #

المطلب الثاني

مركز الدراسات السياسية (برنامج حوار الحضارات بالقاهرة)

النشأة والصفة[1]:

أنشئ في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في إبريل عام ٢٠٠٢م كمؤسسة أكاديمية لحوار الحضارات؛ وذلك كرد مهم وضروري على التحديات الحضاريةِ والثقافيةِ التي تواجهُ الدوائر العربيةَ والإسلاميةَ في بداية القرنِ الجديدِ. فقد رأى المؤسسون أن مثل هذه التحديات يجب أَن تُعالج على نحو علمي مُنظَّم يحقق كلاًّ من أهداف البحث الأكاديمي والحركة السياسية.

وهذا البرنامج يعمل على صياغة وعي متجدد بالتراثِ الحضاريِ العربيِ والإسلامي، وحضاراتِ وثقافاتِ الآخرين، ويسعى إضافة لذلك إلى تطوير خطاب عربي وإسلامي لا يتخذ موقفًا اعتذاريًّا أَو دفاعيًّا بقدر ما يُعنى بحقيقة الذات الحضارية من جانب، والمبادرة تجاه الآخر في نطاق حوار يحقق المصالح المشتركة للطرفين دون الفصل بين الثقافي والحضاري من ناحية، وبين السياسي والعسكري والاقتصادي من ناحية أخرى.

إنّ البرنامج يهتم بمعرفة خصائص كل حضارة، ويأخذ المبادرة نحو تأسيس الحوارِ داخل حضارتنا وبينها وبين الحضارات الأخرى.

ويعمل المركز في إطار كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ويشرف عليه بشكل عام عميد الكلية، ويتولى الإشراف الفعلي على البرنامج الدكتورة نادية محمود مصطفى أستاذ العلاقات الدولية بالكلية، في حين يتولى الدكتور سيف الدين عبد الفتاح أستاذ النظرية السياسة والفكر السياسي الإسلامي بالكلية مسئولية التنسيق التنفيذي للبرنامج. وكان البرنامج تابعا لمركز الدراسات والبحوث السياسية في الكلية في الفترة من ٢٠٠٢م حتى ٢٠٠٦م، ولهذا فإن تسميته مركزاً بناء على إلحاقه بمركز الدراسات السالف الذكر.

ويضم البرنامج في هيئته الاستشارية نخبة من أساتذة الكلية، بالإضافة إلى بعض

---

[1] ينظر موقع برنامج حوار الحضارات: www.hewaronline.net

وسبقت الإشارة إلى أغلب إصداراتهم المطبوعة أثناء هذا المبحث.

الشخصيات العامة المهتمة بقضية الحوار الحضاري.

مجالات اهتمام المركز:

يعالج المركز قضية الحوار الحضاري من جانبين:

- مستوى التأصيل النظري حول الاتجاهات السائدة للحوار، والقضايا التي تعالج من خلاله، والمستويات المختلفة التي يتم في إطارها، والقواعد والمحددات التي تحكم عملياته.
- مستوى التفعيل العملي لفرص الحوار، سواء بالمساهمة في التدريب على ممارسة الحوار أو المشاركة في ملتقيات تمارس الحوار فعليًّا ولا تكتفي بالحديث عنه أو حوله.

آليات عمل المركز:

يمارس المركز عمله من خلال مجموعة من الآليات:

- المشروعات البحثية الجماعية؛ التي يقوم بها نخبة من المتخصصين والمهتمين بقضايا الحوار.
- عقد اللقاءات العلمية والحلقات النقاشية للخبراء والمتخصصين في قضايا الحوار.
- عقد الندوات والمؤتمرات ومناقشة القضايا المختلفة للحوار.
- المحاضرات التي يلقيها كل من له باع في قضايا الحوار على كافة المستويات الأكاديمية والعملية.
- عقد ورش عمل للشباب الباحثين، ومساعدتهم في تكوين وبناء رؤية ذاتية حضارية، كي يكونوا قادرين على الدخول في فعاليات الحوار من منطلقات وأسس ثابتة.
- متابعة ورصد ملتقيات الحوار وأهم الدراسات النظرية المتصلة بالموضوع.
- التعاون مع المراكز العلمية والمؤسسات المناظرة المعنية بالموضوع إقليمياً وعالميًّا.
- نشر وإصدار الكتب المختلفة المهتمة بقضايا الحوار الحضاري.

علاقة المركز بالباحثين:

يهتم المركز بالتفاعل والتعاون مع كل الباحثين المهتمين بقضايا الحوار على المستوى الداخلي وعلى مستوى العالم، ويحاول تقديم ما يستطيع من وسائل الدعم الممكنة، سواء تقديم المعلومات التي يحتاجون إليها أو محاولة التشبيك بينهم وبين المؤسسات الأخرى الداعمة للحوار.

الجمهور المستهدف:

يستهدف المركز في نشاطاته كل المهتمين بقضايا الحوار الحضاري على المستوى النظري الأكاديمي أو على المستوى العملي الحركي؛ سواء في داخل مصر، أو في الدائرة العربية الإسلامية، أو الدوائر الغربية، سعيًا منه لتقديم صورة مشرقة للذاتية الحضارية العربية الإسلامية التي تساهم في الوصول مع الحضارات العالمية لعالم أكثر أمنًا وتعاونًا.

التمويل:

يتم تمويل المركز من خلال:

- التمويل الحكومي من خلال الجامعة وكلية الاقتصاد والعلوم السياسية.
- مردود النشاطات التي يقوم بها، وخاصة بيع إصداراته ونشراته.
- بدل قيامه بالدراسات للجهات التي تطلبها منه.
- رعاية بعض النشاطات من قبل مؤسسات محلية وخارجية.
- التبرعات المالية والعينية غير المشروطة.

أهم إصدارات البرنامج:

- **مسارات وخبرات فى حوار الحضارات.. رؤى متنوعة فى عالم متغير:** ويتضمن الكتاب رصدًا وتحليلاً لتجارب وخبرات لحوار الحضارات على مسارات شتى؛ وهى خبرات التفاعل على المستوى الأكاديمي في المؤتمرات وفي قاعات الدرس، والتفاعل من خلال العيش المشترك في مناطق مختلفة من العالم؛ في فرنسا والهند وسنغافورة والبوسنة والهرسك، إضافة إلى خبرات التفاعل عبر منتديات العولمة البديلة وعلى المستوى الفردي. ويمثل هذا الكتاب تراكمًا مضافًا لاهتمام برنامج حوار الحضارات بالخبرات النوعية؛ حيث يعرض الكتاب لمجموعة جديدة من الخبرات النوعية ذات الامتدادات غير الإقليمية، والتي شارك في تقديمها مجموعة من الأساتذة والخبراء العرب والأجانب.
- **خصائص الثقافة العربية والإسلامية فى ظل حوار الثقافات:** يضم الكتاب مجموعة المحاضرات التي عُقدت في إطار أنشطة الموسم الثقافي لبرنامج حوار الحضارات لعام ٢٠٠٣/٢٠٠٤م. وقد انعقد هذا الموسم في موضوع "خصائص الثقافة العربية والإسلامية في

ظل حوار الثقافات: إشكالية الثابت والمتغير".. وقد استضاف البرنامج ستة من أعلام الفكر والإعلام هم: الدكتور علي جمعة، الدكتور محمد سليم العوا، الدكتور نبيل علي، الأستاذ أحمد فراج، الأستاذ فاروق جويدة، والدكتور إسماعيل سراج الدين. وقد تناولت أعمال الموسم ثلاثة مستويات وهي: مستوى التأصيل لخصائص الثقافة العربية والإسلامية من مصادرها، ومستوى معالم وخصائص الواقع الراهن لهذه الثقافة وأسباب ما أصابها من تدهور، وأخيرًا مستوى التصورات عن مصادر وإجراءات تجديد هذه الثقافة، باعتبار أن هذا التجديد في قلب عملية التجديد الشاملة لقوة الأمة. وإذا كان المستوى الأول قد تصدى أساسًا للثابت في هذه الثقافة، فإن المستويين الثاني والثالث تصديا للمتغير فيها[١].

---

(١) وقد قام الباحث بزياة المركز مرات كثيرة، والتقى بالمسؤولين فيه، وحصل على جميع الأبحاث والمؤتمرات، وطرح مجموعة من الأسئلة على قيادات المركز استفاد منها في ثنايا البحث.

المطلب الثالث

المركز الدولي لحوار الحضارات في إيران

النشأة والصفة(١):

أسسته الحكومة الإيرانية في فبراير ١٩٩٩م بهدف العمل على دعم الحوار ليس فقط على المستوى الدولي؛ وإنما أيضًا على المستوى الداخلي القومي، وتدعيم التعايش السلمي ومنع انتهاكات حقوق الإنسان وتأسيس وتوسيع المجتمع المدني الدولي، وتقوية الثقافة الدينية والخلقية والروحية.

مجالات اهتمام المركز:

يهتم المركز بنظريات الحوار والحضارات المتضمنة في الفلسفة والاجتماع والأنثربولوجيا، والتي تعمل على تدعيم التفاهم والتواصل بين الحضارات والثقافات بعضها وبعض، والتي يقوم بها كل من يملك قوة الفهم والإفهام حتى يستطيع أن يكون قادرًا على تمثيل حضارته التي قد تضم عدة دول وتعبر عن مناطق بأكملها.

آليات عمل المركز:

يمارس المركز عمله من خلال مجموعة من الآليات تساعد في قيامه بدوره كأكبر مؤسسة تُعنى بالترويج لفكرة الحوار وتدعمها داخل إيران وعلى مستوى العالم، وتتمثل في:

- المؤتمرات.
- الندوات.
- المحاضرات
- الدورات التدريبية.
- معارض الكتب.
- السيمينارات (حلقات تدريبية أو تعليمية أو دراسية).

---

(١) ينظر موقع المركز على الإنترنت: www.dialoguecenter.org

- أنشطة الترجمة والنشر

ويلاحظ تصاعد كثافة هذه الأنشطة التي يمارسها المركز وتزايدها من عام لآخر؛ مما يؤكد مكانة هذه المؤسسة ودورها في بلورة الرؤية الإيرانية في حوار الحضارات[١].

البناء المؤسسي للمركز:

يقوم بالأنشطة المختلفة للمركز تسع مجموعات علمية تهتم كل واحدة منها ببعد من أبعاد وجوانب حوار الحضارات كعملية وكموضوع، وهذه المجموعات هي:

١. المجموعة الفلسفية للمركز؛ وهي تمثل أحد أبعاد الشق الأكاديمي لأنشطة المركز؛ وقد عملت على دراسة الأبعاد الفلسفية والنظرية للحوار بين الحضارات.

٢. اللجنة العلمية للعلوم السياسية؛ وهي تهتم بالأبعاد التي تخص إيران وإقليمها والعالم، بالإضافة لمناقشة أبعاد الفكر السياسي والحقوق الدولية؛ وذلك بهدف عرض وتقديم الحلول الدبلوماسية، ومداخل نظرية خاصة بحوار الحضارات للدوائر العالمية، ولتحضير وتوفير خطة استراتيجية قائمة على الحوار بين الحضارات من أجل السياسة الخارجية الإيرانية، كما تعمل على دراسة المجالات الثقافية والتفاعلات الإقليمية الثقافية لإيران ونتائجها، فهو برنامج يعمل لصالح إيران في المقام الأول، ويخدم الأهداف الخارجية لإيران.

٣. اللجنة العلمية للفن؛ وهي تهتم بفلسفة واجتماع الفن والسينما والموسيقى، وكافة أنواع الفنون؛ بهدف القيام بدراسات مقارنة، والبحث عن الأرضيات المشتركة بجانب نشر مراجع حول الفن في إيران، وأبحاث حوله للتعريف به، ودعوة فنانين أجانب، والقيام بتجمعات لمناقشة الأعمال الفنية، إلى جانب إقامة المهرجانات والتجمعات البحثية القومية والدولية للفن.

٤. اللجنة العلمية للفقه والأديان؛ وهي تهتم بالتأكيد على دور الدين في حوار الحضارات؛ حيث إن الحوار بين أتباع الديانات المختلفة بهدف الفهم المتبادل يساعد على حل مشاكل هذا العالم، وتقوم هذه اللجنة بعمل أبحاث عن المصادر الدينية الرئيسية والنصوص

(١) وقد قام الباحث برصد أهم الأبحاث على شبكة المعلومات حول حوار الحضارات، فخلص إلى أن ما تظهر فيه الرؤية الإيرانية يكاد يكون هو المسيطر، بل إن المراجع المتعلقة بالأبحاث في المواضيع الحوارية أغلبها لكتاب إيرانيين!!.

الموجودة وترجمتها إلى الفارسية، وتأسيس علاقات مع مفكري الديانات الأخرى، وعرض التأثير المتبادل بين الأفكار الغربية والإسلامية، ووسائل كل طرف وآثارها على طرق دراسة الطرف الآخر، خاصة منذ العصر الحديث. وتنقسم هذه اللجنة العلمية إلى أربعة أقسام تعبّر عن رؤية المركز لدور الدين في عملية حوار الحضارات؛ وهي: قسم لقواعد وأساسيات الحوار بين الأديان، قسم للحوار بين الأديان، وقسم للإصلاحيين الدينيين والحركات الدينية الجديدة، وقسم للإسلام والحداثة ومراجعة التفسيرات المختلفة للقرآن. وهذه اللجنة تولي اهتمامًا كبيرًا للتفسيرات الإصلاحية داخل الأديان المختلفة؛ لأن هذه الفئة تقبل الحوار وتحمل في طياتها احتمالات التطور، كما تعمل على دراسة تأثير الحداثة على المفكرين المسلمين والتعاليم الإسلامية.

٥. لجنة تاريخ الحضارات؛ وهي تركز على الحضارة الإسلامية، وتنقسم لجانها الداخلية إلى: لجنة الحضارة الإيرانية القديمة، ولجنة تاريخ الحضارة الإسلامية، وتاريخ ما بعد الحضارة الإسلامية الإيرانية. وتعمل هذه اللجنة على تمهيد الأرضية لحوار الحضارات ودراسة تأثير الحضارة الإيرانية على العالم، خاصة في مرحلتها الإسلامية، ومساعدة الباحثين في الدراسات العليا، وقد دعمت تأسيس أقسام تاريخ الببليوجرافيا في كل من جامعات شيراز ومشهد وتبريز الإيرانية.

٦. لجنة العمارة والتخطيط المدني؛ وهي تهتم بالحوار بين الثقافات فيما يخص الهندسة المعمارية والتنمية المدنية، وقد سعت إلى تأسيس قاعدة للتعاون بين الشعوب والمنظمات لفهم أفضل لدور العمارة في تجميع الشعوب وإغلاق الفجوة بين الحضارات، خاصة وأن المدن تلعب دورًا رئيسيًّا في العلاقات الثقافية بين الأمم. وتقوم اللجنة المختصة في هذا السياق بتشجيع المهندسين ومخططي المدن والمصممين والمديرين من جميع أنحاء العالم للمشاركة في برامجهم البحثية والسيمينارات والمؤتمرات وتقديم الكتب والمقالات المرتبطة بهذه الموضوعات.

٧. لجنة العلوم الاجتماعية؛ وهي تعمل على تحليل عناصر ومعوقات حوار الحضارات وتوفير الحلول النظرية والعملية له، وتم تمثيل كثير من الفروع المعرفية في اللجنة العلمية الرئيسية (الأنثروبولوجيا، علم النفس الاجتماعي، الديموجرافيا، علم الاجتماع، الاقتصاد، الاتصال الاجتماعي، علم الاجتماع المعاصر، الشباب، المرأة، الإثنيات)، بالإضافة إلى التعاون مع الأقسام الجامعية المختصة لتطوير منهاجية حوار الحضارات، وهي تقوم بعقد

اللقاءات والمؤتمرات والمشاريع البحثية لوضع خطة تفاهمية للحوار بين الحضارات من منظور العلوم الاجتماعية من حيث النظرية والمنهاجية والجدوى والحلول التنفيذية والعملية، وتهتم بإجراء استطلاعات الرأي لعلماء الاجتماع في إيران والعالم، واستطلاع رؤى الشباب في المدارس والجامعات وتحليل الكتب الدراسية، كما تدرس علاقة الحوار بالتنمية السياسية والمعوقات الاقتصادية للحوار.

٨. جماعة الجغرافيا؛ وهي تتكون من أربع لجان علمية تتمثل في لجنة الجغرافيا السياسية، ولجنة الجغرافيا الثقافية، ولجنة الجغرافيا التاريخية، ولجنة البيئة والجغرافيا. وتهدف هذه الجماعة إلى خلق خلفية لتعاون الجغرافيين مع المركز والتعريف بمكانة الجغرافيا في حوار الحضارات، ولمبادرة الأفكار على أسس الجغرافيا في الحوار من أجل فكر جغرافي جديد موازٍ في الخط مع حوار الحضارات، ولتطوير نظرية حوار الحضارات من وجهة النظر الجغرافية من خلال الخبراء الإيرانيين والأجانب، وتطوير التبادل العلمي حول إبستمولوجيا المنهاجية الجغرافية للحوار محليًّا وإقليميًّا وعالميًّا، ومحاولة تأسيس اتحاد إسلامي جغرافي عالمي من خلال التعاون مع منظمات دولية جغرافية مختلفة.

٩. جماعة الأدب، وتنقسم إلى ست لجان: الشعر، أدب الدراما والخيال العلمي، أدب الأطفال، الأساطير والقصص الفولكلورية والنقد والترجمة. وهي تهدف إلى خلق أعمال أدبية جديدة وتشجيع نشر وترجمة الأعمال القيِّمة على المستوى المحلي والدولي، وتأسيس علاقات دولية في مجال الثقافة والأدب والقيام بالمؤتمرات والمهرجانات والمشاريع البحثية.

أما مكتب العلاقات العامة، فعليه مهمة مواكبة القنوات الجديدة ومعرفة آخر الأنشطة والمشاريع بالمركز والإشراف على دورة البيانات بالمركز، وعمل نشرة بعنوان "التقرير والحوار"، ومتابعة البريد الإلكتروني للمركز، وتعد وحدة السمع والرؤية جزءًا من قسم العلاقات العامة، وهناك مجلة إلكترونية على الموقع تسمى dialogue on line تحتوي مقالات تخص حوار الحضارات.

علاقة المركز بالباحثين والمهتمين بقضايا الحوار:

أنشئ عام ٢٠٠١م مكتب لدعم وتنسيق التجمعات والمشاريع وأنشطة المنظمات غير الحكومية والطلابية المرتبطة بالحوار، وأصبح على جميع التنظيمات غير الحكومية المرخصة أن

ترسل نسخة من مشاريعها المرتبطة بحوار الحضارات إلى المركز حتى تتم دراستها في اللجان المتخصصة.

كما يقوم قسم الشئون الدولية بتنسيق الأنشطة الدولية وتأسيس علاقات منسقة بين المستوى القومي والدولي ومع التنظيمات الحكومية وغير الحكومية والمراكز العلمية الدولية، وإقامة علاقات مباشرة أو غير مباشرة عن طريق وزارة الخارجية وغيرها بالدوائر الدولية مع تحضير تقارير خاصة حول المسائل الدولية والمحلية المرتبطة بحوار الحضارات لتقدم إلى مؤسسة الرئاسة، وتقوم بدعوة المتخصصين الدوليين للقيام بمحاضرات وحلقات نقاش وتجمعات للتواصل مع المتخصصين الإيرانيين.

الجمهور المستهدف:

يستهدف المركز بأنشطته المختلفة كل المهتمين والعاملين في مجال الحوار بين الحضارات على جميع المستويات المحلية والإقليمية والدولية.

التمويل:

التمويل الأساسي تقوم به الحكومة الإيرانية، ويلاحظ من خلال متابعة أنشطة المركز ضخامة الموارد المالية والمؤسسية الداعمة للمركز وأنشطته وقوة الصلات الحكومية، وتأسيسه لبنية تحتية مؤسسية تخدم ربطه بالسياق المحلي والإقليمي والدولي(١).

# # #

(١) أكد لي المشرف (حفظه الله) أنه ما شارك في مؤتمر حول الحوار إلا وجد كبار الساسة والمنظرين الإيرانيين وبقوة، مع ضعف شديد في حضور القيادات الخليجية وبخاصة السعودية.

المطلب الرابع

مركز آدم لحوار الحضارات

النشأة والصفة(١):

تأسس مركز آدم لحوار الحضارات بمبادرة من المهتمين بالتطور والتواصل الحضاري بين الشعوب والحضارات المختلفة، من منطلق إيمانهم بالدور الحضاري والتاريخي لفلسطين، ولوفرة مخزونها الحضاري سواء داخل فلسطين أو في الثقافات والحضارات الأخرى، حيث كانت ولا زالت فلسطين محضن للديانات السماوية الرئيسة في العالم وهي: الإسلامية، والمسيحية، واليهودية، واحتضانها الكثير من المظاهر والتراث الحضاري والتاريخي لهذه الحضارات بما يؤهلها لأن تلعب جسرا للترابط بين الحضارات والشعوب المختلفة، إضافة إلى أن كثيراً من السلم العالمي، والتفاهم بين الشعوب والحضارات والتراث العلمي والثقافي والحضاري الذي عرفته البشرية عبر مراحلها التاريخية المختلفة مر من فلسطين، وأخذ منها وأعطاها بما أسهم في إغناء هذا التراث وإعطائه صفة العالمية في الهوية والانتماء.

كما جاء تأسيس هذا المركز من منطلق رغبة المؤسسين المساهمة في التقريب بين الحضارات، وتعزيز قيم التفاهم والحوار بين الحضارات والشعوب والثقافات المختلفة، خصوصا في عصر باتت فيه الحاجة إلى التقارب بين الحضارات مسألة ذات أولوية لتحقيق الاستقرار وتعزيز .

أهداف المركز:

يهدف المركز إلى ما يلي:

١. استنهاض الدور التاريخي والحضاري لفلسطين كبوابة لعبور الديانات والحضارات والتواصل مع الشعوب الأخرى.

---

(١) ينظر موقع المركز على الإنترنت:

http://adam.ps/adam/index.php?option=com_mamboezine&Itemid=7.

٢. المساهمة في تعزيز التفاهم والتقارب بين الحضارات والشعوب بما يعزز أجواء التفاهم والتقارب ويمنع التصادم وأسباب الصراع بين الحضارات.

٣. فتح آفاق الحوار، والدراسات والبحث البناء الذي يسهم في تقديم فهم مشترك للقضايا الحضارية، والمسائل ذات الاهتمام.

٤. المساهمة في تأهيل الكوادر الوطنية القادرة على تحمل مسئولياتها نحو مجتمعها وتاريخها وحضارتها.

٥. نشر الوعي الحضاري والثقافي في أوساط الشباب بما يسهم في خلق جيل قادر على التواصل والتفاهم.

٦. إقامة علاقات وتعاون مع المراكز والمؤسسات الشبيهة في العالم، والتعاون في تعزيز التفاهم بين الشعوب والجماعات المختلفة.

الوسائل والآليات:

١. عقد اللقاءات والحوارات المختلفة حول قضايا الحضارات والتراث الإنساني.

٢. إقامة المؤتمرات وورش العمل التي تعزز التفاهم، وتتيح مناقشة القضايا المحورية، وتعمق التفاهم بين الشعوب المختلفة.

٣. عقد المسابقات والندوات التي تعمق الفهم والبحث الحضاري وتنشر الوعي بين الشرائح الاجتماعية المختلفة.

٤. عمل دراسات ميدانية حول الظواهر التي تؤثر على التفاهم بين الشعوب والجماعات المختلفة.

٥. المساهمة في تقديم المساعدات والمنح للشباب.

٦. إعداد وطباعة البرشورات والوسائل الدعائية التي تعرّف بالمعالم التاريخية والحضارية لفلسطين.

٧. إقامة الندوات والمحاضرات الثقافية للشباب والمثقفين في داخل الوطن وخارجه حول الموضوعات التاريخية الدينية.

٨. إصدار ونشر الكتب والدراسات والبحوث والوثائق التاريخية والفكرية والدينية والتراثية.

المطلب الخامس

مركز الأبحاث والدراسات في حوار الحضارات والأديان المقارنة

النشأة و الصفة(١):

تمّ إحداث مركز البحوث والدّراسات في حوار الحضارات والأديان المقارنة بقرار رئاسيّ وبمقتضى الأمر عدد ١٨٥٥ المؤرّخ في ٢٧ يونيو ٢٠٠٥م الذي يضبط مهامّه وتنظيمه الإداريّ والمالي وطرق سيره، حيث حدّد مقرّ المركز بسوسة في تونس، وهو مركز يخضع للإشراف المزدوج لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي والتكنولوجيا ووزارة الشؤون الدّينيّة.

كما يشتمل المركز على مجلس علميّ ومجلس إدارة ووحدات بحث ومخابر بحث، إضافة إلى وحدة إعلام وتوثيق علميّ مكلّفة بنشر المعلومات العلميّة والتقنية وتنظيم التّوثيق.

مهامّ المركز ووظائفه:

١. القيام بالبحث المعمّق والدّراسات العلميّة في حوار الحضارات والأديان المقارنة.

٢. الإسهام في إثراء الموروث الفكريّ من خلال دعم البحث العلميّ والقيام بالدّراسات التّقييميّة والاستشرافيّة في مجال الحضارات والأديان المقارنة.

٣. تنظيم التّظاهرات والنّدوات والملتقيات العلميّة بالتعاون مع المؤسّسات والهيئات الوطنيّة والدّوليّة المختصّة.

٤. تنظيم الدّورات التكوينيّة والأيّام الدّراسيّة في مجال حوار الأديان والحضارات في نطاق شراكة بين المركز والمؤسّسات الأخرى ذات العلاقة.

٥. تجميع الإنتاج الفكريّ والوثائق المكتوبة والمرئيّة والمسموعة المتعلّقة بمجالي الأديان والحضارات قصد معالجتها واستغلالها وتيسير نشرها.

٦. إحداث مرصد وبنوك وقواعد معلومات في مجالات الحضارات والأديان المقارنة.

٧. إقامة المعارض ذات الصّلة بأهداف المركز.

---

(١) ينظر موقع المركز على الإنترنت: http://www.ceredicrec.rnrt.tn

٨. نشر البحوث والدّراسات المنجزة من قبل المركز في شكل كتب ونشريّات وإصدارات مرئيّة أو مسموعة أو إلكترونية.

٩. القيام بكلّ الأعمال العلميّة الأخرى التّي يتمّ تكليفه بها في نطاق مهامّه.

# # #

المطلب السادس

منتدى الوسطية للفكر والثقافة

النشأة و الصفة(١):

يُعتبر منتدى الوسطية للفكر والثقافة نادياً ثقافياً إسلامياً يضم في عضويته صفوة مثقفة من المؤمنين بأن الإسلام عقيدة وشريعة قائم على مبدأ الوسطية بوصفها عنوان العدل والخيرية والآدمية، والحقيقة العلمية، والسداد الفكري، والممارسة المبصرة، والعلاج الشامل لحاجات الناس المادية وأشواقهم الروحية.

وينطلق المنتدى من إدراكه أن إعادة إحياء منهج الوسطية، هو إبراز للصورة الحقيقية للإسلام، وهذا واجب الوقت الذي لا بد من النهوض بحمله، من خلال تعميق منهج التوازن والاعتدال في فهم الإسلام والدعوة إليه، ونشر قيمه الإنسانية الراقية.

ويعتبر المنتدى أن العالم الإسلامي خاصة يجد نفسه أمام مرحلة تاريخية ينبغي أن يؤصل فيها للثقافة الإسلامية ويتقدم نحوها حتى يمكن لوجود الأمة أمام الثقافات الأخرى، وذلك من خلال التأكيد على صلاحيتها ومنفعتها للبشرية جمعاء، مع استيعاب مفردات الحراك الثقافي العالمي من تواصل وتكامل، ودون الدخول في دوامة الاستلاب والانكسار والانبهار بالغير.

ويضع المنتدى ضمن أسباب إنشائه إيمانه "بالتواصل مع كل المؤمنين بهذا الفكر على قاعدة التعاون والتسامح والحوار الهادف البناء لخدمة الإنسانية".

وفي ظل الظروف الصعبة التي تحياها الأمة الإسلامية، والمسؤولية التاريخية لكل المخلصين والغيارى من أبنائها. وانطلاقاً من الدور الطليعي الذي يضطلع به الأردن في ظل قيادته الهاشمية، والحاجة في مثل هذا الوقت لنشر الفكر الإسلامي الأصيل الذي يقوم على الانتماء للأصل والاتصال بالعصر، والثبات في الأصول والكليات، والتيسير في الفروع والجزئيات، والجمع بين فهم الماضي، ومعايشة الحاضر واستشراف المستقبل. وإيماناً بضرورة إبراز سماحة الإسلام وإنسانيته فكراً ومنهجاً وسلوكاً، واستشعاراً بالمسؤولية وفرض الوقت

(١) ينظر موقع المركز على الإنترنت: http://www.wasatyea.org

جاء تأسيس منتدى الوسطية للفكر والثقافة في عام ٢٠٠٢م.

رؤية منتدى الوسطية:

يهدف منتدى الوسطية إلى نشر رسالة الاعتدال في فهم الإسلام ديناً وحضارة، وكذا تعميم الهوية الفكرية والثقافية لإنسانية الإسلام، إضافة إلى بثّ روح التسامح والحوار الإنساني انطلاقاً من وسطية الإسلام فكراً وثقافة، ورفضاً لمفاهيم التطرف والغلو بكل صوره ومفرداته. كما يعتبر أن رسالته هي " السعي لتأكيد وتأصيل منهج الوسطية والاعتدال في المجتمع الأردني والأمة الإسلامية، وإبراز صورة الإسلام الحقيقية فكراً وثقافة وسلوكاً".

أهداف المنتدى:

يهدف المنتدى، بحسب القائمين عليه، إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- المساهمة في تطوير الثقافة الوطنية والعمل على تعزيز الروابط مع الهيئات المحلية والعالمية.

٢- إظهار الدور الحضاري والإبداعي للتراث أردنيا، عربياً وإنسانياً.

٣- الاهتمام بالقران الكريم حفظاً وتلاوة وتفسيراً.

٤- رعاية وإنتاج الأنشطة والفعاليات والبرامج الثقافية.

٥- رعاية الموهوبين والمبدعين في حقول الفكر والثقافة والفن.

٦- التواصل مع المجتمع المحلي والمساهمة بتنميته ثقافياً واجتماعيا.

٧- نشر الفكر المعتدل في مختلف القضايا التي يتعاطى معها المنتدى.

٨- العمل على ربط الثقافة والفكر بالأخلاقيات الأساسية المنطلقة من الثقافة الإسلامية.

٩- ترسيخ منهجية البحث العلمي والتحليل المستند إلى معطيات علمية صحيحة تقوم على قاعدة بيانات موثوقة.

١٠- ترسيخ مفاهيم الحرية والعلم والعدل.

الأهداف المستقبلية(١):

في إطار سعي المنتدى لإيجاد المناخ المناسب لتفاعل آراء وطروحات أصحاب المشاريع الفكرية والفنية مع القاعدة العريضة من المجتمع، كشف عن أهدافه المستقبيلية التي جاءت كما يلي:

١. تشكيل لجنة علمية تكون مهمتها جمع جميع الأدبيات والأبحاث التي طرحت حول الوسطية والاعتدال وملفات مختلفة ووضع خطة لتوزيعها على الجاليات الإسلامية.

٢. إطلاق حملة تصحيح مفاهيم حقوق الإنسان في الإسلام وحقوق المرأة في الأحوال الشخصية وبيان دور المرأة المسلمة المعاصرة في حركة النهضة الإسلامية.

٣. التعاون مع الفنانين العرب والمسلمين في إنتاج مسلسلات وأفلام تخدم المنهج الوسطي، بحيث يعقد مؤتمر في القاهرة في صيف ٢٠٠٩م لدور الفنانين في نشر قيم الاعتدال.

٤. تأسيس برامج دراسية موجهة لخدمة البحث العلمي، حتى تلعب دوراً أساسياً في صياغة الفكر العلمي وبناء مناهج تعالج الإشكالات المعاصرة.

٥. تبني المبدعين والمخترعين والعلماء والمفكرين في العالم العربي والإسلامي للإستفادة من علومهم وتجاربهم برعاية (١٠٠) متفوق من هؤلاء المبدعين والمتفوقين.

٦. إنشاء محطة فضائية (الوسطية) وإنشاء محطة إذاعية كذلك باسم صوت الوسط.

٧. وضع منهاج للوسطية يتم تدريسة في كليات المجتمع والجامعات الأردنية كمتطلب إجباري.

٨. إطلاق صحيفة الوسطية (صحيفة إسبوعية) تنطق بلسان المنتدى لنشر مبادئ وقيم الوسطية والإعتدال في المجتمع الأردني.

٩. إنشاء مركز دراسات الوسطية وأبحاثها وتكوين مكتبة عالمية لأدبيات الوسطية.

١٠. استقرار الفروع وتأمين مستلزماتها من الأجهزة والمعدات وتامينها بمعدات متخصصة إلكترونية.

١١. تكليف الفروع ببلورة وإنتاج برامج تدريبية وعقد دورات للأعضاء خارج الأردن.

١٢. تكليف الفروع بعمل برامج تربوية وإقتصادية لمشروع النهضة.

---

(١) ينظر: http://www.wasatyea.org/web/index.php?c=155&a=1470

١٣. عقد مؤتمرين أحدهما في أوروبا حول دور الأقليات العربية والإسلامية في نشر قيم التواصل والاعتدال في المجتمعات الغربية والآخر في السودان عن مستقبل الإسلام في أفريقيا.

١٤. إقامة ورشة عمل متخصصة عن مشروع النهضة الإقتصادي يشارك فيه (١٠) شخصيات اقتصادية من العالم العربي والإسلامي لصياغة مشروع متكامل للنهضة الإقتصادية.

١٥. إقامة ورشة عمل متخصصة عن مشروع النهضة التربوي يشارك فيه (١٠) شخصيات تربوية من العالم العربي والإسلامي لصياغة مشروع متكامل للتربية والتعليم في العالم العربي والإسلامي.

١٦. دعوة شخصيات محددة لها قبول لدى الشباب وفئات المجتمع، لإلقاء محاضرات ثقافية إسلامية في عدة مدن أردنية وفي فروع المنتدى العالمي للوسطية في العالم العربي.

١٧. العمل لإقامة مؤتمر خاص بالشباب (يدعى إليه الشباب فقط)، لبلورة آلية عمل واضحة لتفعيل طاقات الشباب في المجتمعات الإسلامية.

١٨. العمل لإقامة مؤتمر خاص بالمرأة (تدعى إليه النساء فقط)، من أجل تفعيل دور المرأة الحقيقي في نهضة الأمة بعيداً عن التأثيرات الخارجية واللافتات الإعلامية.

١٩. إقامة مؤتمر خاص للجاليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا يعقد في فرنسا، لدراسة أحوال هذه الجاليات وطرق تفعيل اندماجها في مجتمعاتنا ووسائل الإستفادة من هذه الجاليات لرفد النهضة في العالم العربي والإسلامي.

٢٠. إقامة المؤتمر الدولي الخامس (دور الصحافة والسينما والتلفزيون في نشر قيم فكر الاعتدال والوسطية).

وللحقيقة فقد وجدت من أعضاء المنتدى تجاوباً كبيراً في أي مؤتمر عالمي حول الحوار، فمشاركتهم الدائمة، وتواصلهم المستمر مع أي فعالية عالمية يدل على حضور قوي لهم.

# # #

المبحث الثاني

أهم مراكز حوار الحضارات في العالم الغربي

المطلب الأول: مشروع حوار الحضارات في اليونسكو

النشأة والصفة(١):

تأسست منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في نوفمبر ١٩٤٥م، وهي تعمل على إيجاد الشروط الملائمة لإطلاق الحوار بين الثقافات والحضارات والشعوب على أساس احترام القيم المشتركة والتقيد بحقوق الإنسان ومكافحة الفقر.

إن الهدف الذي حددته المنظمة لنفسها هو هدف كبير وطموح وهو: بناء حصون السلام في عقول البشر عن طريق التربية والعلم والثقافة والاتصال؛ فالميثاق التأسيسي لليونسكو في ديباجته ينص على ما يلي: "لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر، ففي عقولهم يجب أن تُبنى حصون السلام".

والسلام لا يعني مجرد عدم وجود نزاعات؛ وإنما يعني: وجود ميزانيات تخصص للبناء وليس للقتل والتدمير، وبنى أساسية ومرافق تعمل بصورة جيدة وتحسّن خدماتها دائمًا، وشعوب تنهض بمشروعات من أجل المستقبل، ونفوس متحرّرة من صدمات العنف وأفكار الانتقام، ومنفتحة على أفكار التضامن. فالسلام هو توجّه طوعي يقوم على احترام الاختلاف والحوار. واليونسكو تريد أن تكون صانعة لهذا الحوار وعاملا مشجعا للتعاون بين الشعوب، ورفيقة للدول على طريق التنمية المستدامة الساعية إضافة إلى تحقيق التقدم المادي إلى تلبية جميع أماني البشر دون الإضرار بتراث الأجيال القادمة، وكذلك عن طريق بناء ثقافة للسلام تقوم على أساس حقوق الإنسان والديمقراطية. هذه المهمة هي مبرّر وجود المنظمة ومادة عملها اليومي.

ولكي تتاح الفرصة لإقامة سلام دائم وصادق يقبل به الجميع؛ تعلن الديباجة أن الدول الموقعة على الميثاق التأسيسي: "تعتزم تأمين فرص التعليم تأمينًا كاملاً متكافئًا لجميع الناس،

---

(١) ينظر موقع اليونسكو على الإنترنت: www.unesco.org

وضمان حرية الانصراف إلى الحقيقة الموضوعية والتبادل الحر للأفكار والمعارف".

وحُدد الهدف من إنشاء المنظمة على النحو التالي: "المساهمة في صون السلم والأمن بالعمل عن طريق التربية والعلم والثقافة على توثيق عرى التعاون بين الأمم؛ لضمان الاحترام الشامل للعدالة والقانون وحقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس كافة، دون تمييز بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين، كما أقرها ميثاق الأمم المتحدة لجميع الشعوب".

مجالات اهتمام المنظمة:

تضطلع اليونسكو ضمن ما تضطلع به من أنشطة ومشاريع بمهام متعددة طبقًا لدورها كوكالة رائدة في مجالات التربية والعلم والثقافة والاتصال، وقد صدر ضمن مجالاتها مجموعة من القضايا التي أقرتها ونشرتها على موقعها الرسمي، منها:

- **مختبر للأفكار:** فهي تُعنى بفهم أصول ونتائج التغيّرات التي تهز أركان العالم المعاصر، وفهم الدور الذي تضطلع به التربية والعلم والثقافة والاتصال في هذا المجال مع السعي لتحديد أهم المشكلات التي تطرأ في مجالات اختصاصها، وتحديد الاستراتيجيات والسياسات الملائمة لمواجهتها.
- **مركز لتبادل المعلومات:** يشتمل دور اليونسكو أيضاً على عمليات جمع ونقل ونشر وتقاسم المعلومات والمعارف، وأفضل الممارسات القائمة في مجالات اختصاص المنظمة؛ لذا تقوم المنظمة بتشجيع، وتنسيق، وأحياناً إدارة شبكات إقليمية أو عالمية تعنى بثلاثة مجالات هي: البحوث، وتبادل النتائج، والتدريب. وتشكّل المؤتمرات الكبرى لليونسكو مناسبات مهمة يستخلص فيها الخبراء نهجًا مشتركًا بشأن المواضيع الكبرى التي تواجه المنظمة، وتعبئ فيها الدول الأعضاء طاقاتها من أجل بلوغ أهداف مشتركة.
- **هيئة معيارية:** يمكن للدول، بصرف النظر عن اختلافات ثقافاتها وتقاليدها، حين تتفق على قواعد مشتركة؛ أن تضفي طابعًا رسميًّا على ما تتفق عليه من خلالها، عبر صياغته في شكل وثيقة معيارية دولية قد تكون اتفاقًا أو اتفاقية، ويكون لها في هاتين الحالتين قوة القانون، كما قد تكون توصية أو إعلانا، فالمنظمة منتدى تجري فيه مواجهة المشاكل الأخلاقية والمعيارية والفكرية لعصرنا من أجل تعزيز المبادلات الجامعة بين التخصصات، وتعزيز التفاهم من أجل العمل على إبرام اتفاقات عالمية بشأن هذه المسائل، وتحديد

الأهداف المطلوب بلوغها وتعبئة الرأي العام الدولي لها. ويشمل دور اليونسكو إعداد النصوص أو مراجعتها، واعتمادها، مع إمكانية الإشراف، والقيام أحياناً بتقديم المساعدة إلى الدول من أجل تطبيقها. وللمجلس التنفيذي لليونسكو هيئة مؤهلة لتلقي البلاغات المتعلقة بانتهاكات حقوق الإنسان التي تندرج في مجالات اختصاص المنظمة.

- **هيئة لتنمية القدرات في الدول الأعضاء:** توفر اليونسكو إمكانات للتعاون الدولي لخدمة الدول الأعضاء عن طريق تنمية القدرات البشرية والمؤسسية في جميع مجالات اختصاص المنظمة. فعندما تريد أي دولة تجديد نظامها التعليمي، أو إعداد تشريع عن حرية الصحافة مثلاً، أو تنظيم تدريب (مدني) لقوات الأمن مثلاً، فإنها جميعًا تطلب مساعدة تقنية من اليونسكو. وهذه الوظيفة الخاصة بإسداء المشورة، تتعلق عموماً بإعداد السياسات والاستراتيجيات الوطنية والمشاريع، وبدراسة مدى إمكانية تنفيذها، والبحث عن طرق تمويلها، وتقييمها.
- **عامل تنشيط للتعاون الدولي:** تضطلع اليونسكو بدور التحفيز والتشجيع في مجال التعاون من أجل التنمية في مجالات اختصاصها. وتحقيقاً لهذه الغاية، فإنها تحرص على أن تتبنى البرامج الأخرى (الثنائية والمتعددة الأطراف) المبادئ والأولويات التي تدافع عنها، وأن يرتكز تنفيذ المشاريع (ولا سيما على الصعيدين الإقليمي والوطني) على أساليب محددة وتدخلات فعّالة وممارسات أثبتت خبرتها. واليونسكو تعمل دائمًا وبصورة منهجية كمركز متخصص لجمع المعلومات ونشرها في مختلف ميادين نشاطها، عن طريق المواد المكتوبة، وبصورة متزايدة بواسطة الطرق الإلكترونية. وتقوم اليونسكو بنشر دوريات، وتضطلع كل عام إما وحدها وإما بالاشتراك مع هيئات أخرى بنشر قرابة مائة كتاب، وتصدر تقارير عالمية عن أحوال التعليم والعلم والثقافة والاتصال.

جهود المنظمة في مجال الحوار بين الثقافات:

إن دور اليونسكو في رعاية حوار الحضارات يعود إلى عام ١٩٤٩م عندما اجتمعت "لجنة الخبراء في الدراسات المقارنة للحضارات" في مقر اليونسكو وأصدرت تقريرًا يوضح أهداف الحوار بين الحضارات ودور اليونسكو في هذا الحوار؛ وقد جاء فيه: "إن مشكلة التفاهم الدولي هي مشكلة علاقات بين حضارات، ومن هذه العلاقات يجب أن يظهر مجتمع عالمي جديد على

أساس من التفاهم والاحترام المتبادل، ويجب أن يتبنى هذا المجتمع نزعة إنسانية جديدة؛ بحيث تتحقق فيه العالمية من خلال الاعتراف بالقيم المشتركة في الحضارات المختلفة".

بعد ذلك توالت أنشطة اليونسكو في مجال حوار الحضارات، وكان من أبرزها المشروع الرئيسي لليونسكو (من عام ١٩٥٧م حتى عام ١٩٦٦م) عن «الفهم المتبادل للقيم الحضارية للشرق والغرب»، والذي غطى موضوعات متعددة مثل: تعريف القيم في الشرق والغرب، ودور العوامل الدينية في الحياة الثقافية والقيم الأساسية في الحضارات الكبرى في الشرق والغرب، والمشاكل العامة المتعلقة بتطور التبادل الثقافي وإسهامات الجامعات في مجال التفاهم المتبادل بين الشرق والغرب والعوامل التي تعوق الاتصال والتعاون والمشاكل بين الحضارات والتي تتعلق بتنمية دول العالم الثالث.

وقد صدر عن اليونسكو «إعلان المبادئ للتعاون الثقافي الدولي» عام ١٩٦٦م، والذي أصبح أحد المحاور الأساسية لليونسكو في مجال الثقافة، كما أصبح موضوع عالمية الثقافة موضوعًا أساسيًّا في اجتماعين تناولا الأبعاد الثقافية لحقوق الإنسان، وذلك في المائدة المستديرة حول حقوق الإنسان (أكسفورد ١٩٦٠م)، واجتماع عن الحقوق الثقافية باعتبارها من حقوق الإنسان (باريس ١٩٨٩م).

وقد أعلنت الأمم المتحدة عام ٢٠٠١م سنة للحوار بين الحضارات، وقد نظمت اليونسكو مؤتمرات على الأصعدة العالمية والإقليمية والجهوية، بحضور بعض رؤساء الدول والوزراء والمفكرين؛ حيث تدارست خلالها مجموعاتُ عمل مختلطة مختلفَ الطرق الكفيلة بتطوير التبادلات والحوار بين الثقافات.

وقد تم إعادة اعتماد الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي في الدورة ٣١ للمؤتمر العام عام ٢٠٠١م، وأعادت الدول الأعضاء في اليونسكو التأكيد على قناعتها بأنّ التنوع الثقافي يشكل أحد جذور التنمية، وأنّ أهميته بالنسبة إلى الجنس البشري شبيهة بأهمية التنوع البيولوجي بالنسبة للطبيعة. كما رفضت هذه الدول رفضًا قاطعًا فكرة أنّ لا مناص من وقوع صدام بين الثقافات والحضارات.

وتأكد هذا الأمر باعتماد الإعلان من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٢٠٠٢،

والتي أعلنت يوم ٢١ أيار/مايو «اليوم العالمي للتنوع الثقافي من أجل الحوار والتنمية»[١].

# # #

(١) وقد عقدت اليونيسكو مجموعة من المؤتمرات واللقاءات، وأصدرت عدداً من الكتب والأبحاث، وهي موجودة على موقعهم، ومطبوعاتهم على موقع المعلومات والاتصال: www.portal.unesco.org

المطلب الثاني

مجلس برلمان أديان العالم

النشأة و الصفة[١]:

عُقد مجلس برلمان أديان العالم للمرة الأولى في شيكاغو عام ١٩٨٣م باجتماع قيادات واتباع مختلف الطوائف الدينية والروحية في العالم؛ حيث احتشدوا ناشدين السلام والتنوع والمساندة ليتناقشوا ويبحثوا مجالات الدين وأثرها في التفاهم والتعاون بينهم.

وتمثلت مهمة البرلمان في رعاية الانسجام والتفاهم بين مختلف الأديان والطوائف الروحية في العالم، وتعزيز الترابط مع المجتمعات والمؤسسات الدينية من أجل تحقيق السلام والعدل، ومساندة البشرية، فهذا البرلمان يساعد في دعم التعارف والتعاون بين الناس من مختلف الأديان والطوائف الروحية.

((وقد اجتمع في هذا اليوم زعماء دينيون ومدنيون، وروحيون ومؤمنون بالإرادة الإلهية من حوالي ٨٠ بلدًا في أكبر اجتماع من نوعه في العالم من أجل الأهداف التالية:

§ تبنّي حوار ديني مدني وثقافي مشترك في مختلف القضايا العالمية المهمة وتحقيق مجتمع منسجم وسلمي وعادل.

§ توجيه نداء عالمي لمواجهة المخاوف الاجتماعية، وضمان الفهم والاحترام المتبادل والتنوع، ومساندة السلام والمصالحة بين البشر.

§ العمل على إيجاد الحلولِ العملية للمشكلات العالمية من خلال الحوار.

§ تشجيع التماسك الاجتماعي محليًّا وفي كافة أنحاء العالم))[٢].

ويجتمع أكثر من ١٠،٠٠٠ شخص من كل الأديان كل خمس سَنَوات منذ عام ١٩٩٣م، والمهتمين بقضايا الأديان للتعارف والتفاعل بعضهم مع بعض ومناقشة أهم القضايا العالمية، وتعزيز الفَهْم والتعاون والاحترام المتبادل، وتشجيع التدين وإبراز آثاره الحسنة على

---

(١) ينظر موقع البرلمان على الإنترنت: www.cpwr.org

(٢) النص من الموقع الخاص بالمجلس.

البشر.

وينعقد برلمان أديان العالم كل خمس سَنَوات في مدينة دولية رئيسية (شيكاغو ١٩٩٣م، كيب تاون ١٩٩٩م، برشلونة ٢٠٠٤م، مكسيكو سيتي ٢٠٠٧م)، وذلك في أي مدينة متعددة الثقافات والأديان، كما أن برلمان ٢٠٠٩م سيُعقد في ملبورن في أستراليا.

مجالات اهتمام المجلس:

في رسالة المجلس المعلنة، واهتماماته الظاهرة أمور، منها:

- § تحقيق التفاهم والتوافق بين الطوائف الدينية والروحية التي تَعِيشُ لتساهم في إيجاد عالم أفضل مِن خلال استثمار ما تحتويه الأديان من ثروات الحكمةِ والرحمة.
- § استبدال المخاوف الدينية والثقافية والكراهية بالفهم والاحترام.
- § التعارف بين الناس واهتمام بعضهم ببعض.
- § احترام التنوع الإنساني والديني والعرقي، وتفاعل هذه التنوعات في الحياةِ العالميةِ والاجتماعية والحضارية والمدنية.
- § تحريك مؤسسات العالم الأقوى والمؤثرة لإدراك ما وراء المصالح الشخصية الضيقة، وإدراك الصالح العام.
- § حماية الأرض والحياة عليها ومواجهة المشكلات المشتركة.
- § أن يعيش الناس قيمهم العليا وتطلعاتهم الروحية.

آليات عمل المجلس:

يعمل المجلس في شراكة مع مجموعة متنوّعة مِن الأفرادِ والجالياتِ والمؤسساتِ لكي يتمكنوا من تجسيد التطلّعاتَ الدينية والروحية التي تُلهمُهم، ويُظهروا القِيَمَ الأخلاقيةَ التي توجههم من خلال:

- **التعاطف والتعاون بين أشخاص متنوّعين وطوائف وثقافات مختلفة.**
- **الترويج لحقوقِ الإنسان والعدالةِ الاجتماعيةِ وزرع ثقافة السلامِ ضمن الجاليات الدينية حول العالم.**
- **عقد المنتديات المفتوحةَ التي يجيء فيها الأفراد والجاليات والمؤسسات الدينية.**

التمويل:

تم إنشاء برلمان أديان العالم في شيكاغو، ويدار مِن قِبل مجلس إدارة محلي، كما يموّل من خلال حكومات الدول التي يُعقد بها، بالإضافة إلى المتبرعين من الشركات والمؤسسات الدينية والمدنية والأفراد.

وقد صدر في الولايات المتحدة الأمريكية كتاب بعنوان (**New World Rellgion**) [عقيدة العالم الجديد]، وهو صادر عن دار هنتنجتون هاوس بيلشرز في عام (١٩٩٩م) لمؤلفه قاري إتش أشار فيه المؤلف إلى الأطماع التي يخفيها المجلس المذكور، وهي جزء من أطماع الأمم المتحدة ومفوضياتها المختلفة في سبيل إنشاء نظام عقدي عالمي جديد، وقد تجاوز هذا النظام طور العمل في الخفاء، وبلغ طور العمل المعلن... حيث قدم عدد من السياسيين والمفكرين أثناء افتتاح مجلس برلمان الأديان العالمي في شيكاغو (١٩٩٣م) أوراق عمل حمل بعضها عنوان: (نحو عقيدة عالمية: إعلان مبدئي) ثم تحولت إلى كتاب.

ويعتقد المؤلف (قاري إتش) أن إنشاء المجلس المذكور ما هو إلا سبيل لوحدة الأديان[١].

وفي كتاب آخر بعنوان: «ما أبعد التسامح: البحث عن التفاهم بين الأديان في أمريكا» لمؤلفه الدكتور: غوستاف نايبور، وهو أستاذ بجامعة سيراكيوز في ولاية نيويورك، حيث تحدث فيه عن الهجرات الدينية للولايات المتحدة، والدعوة إلى إيجاد اتحاد ديني يجعل هدفه الوصول إلى الرب مهما كان الدين، وقد تحدث عن بعض الجهود والمجالس والهيئات في الولايات المتحدة، ومنها مجلس الأديان هذا[٢].

---

(١) قراءة في كتاب (عقيدة العالم الجديد)، نزار محمد عثمان، بحث منشور على شبكة المشكاة الإسلامية، موقع سابق.

وينظر: المبحث السادس في كتاب دعوة التقريب بين الأديان للقاضي، مرجع سابق. وهو بعنوان: (محاولات التقريب في الولايات المتحدة الأمريكية).

(٢) ترجمة للكتاب وأهم أفكار المؤلف على موقع: www.America.gov

وهو موقع يحكي قصة أمريكا بأكثر من عشر لغات.

وقد ذكر المؤلف مسار الحوار في الولايات المتحدة وكيف بدأ، وهل له قبول في أوساط الأمريكيين؟.

المطلب الثالث: منظمة التحالف العالمي في برشلونة

النشأة والصفة[١]:

تأسست المنظمة في مدينة برشلونة الإسبانية عام (١٩٩٣م) كتكتل عالمي يربط بين مؤسسات المجتمع المدني المحلية والإقليمية، بهدف تعزيز مشاركة المواطن في اتخاذ القرار، وتحقيق مجموعة من القيم الأكثر تعبيراً عن إنسانية الإنسان مثل العدالة والمشاركة السياسية والحرية... إلخ.

فالتحالف عبارة عن منظمة دولية مخصصة لتعزيز عمل المواطنين والمجتمع المدني في جميع أنحاء العالم، والتي تشكل شبكة من المنظمات على المستويات المحلية والوطنية والعالمية، وتغطي طائفة عريضة من شبكات المجتمع والمنظمات المهنية والعقائدية غير الحكومية والمؤسسات الخيرية، وانضم لهذا التحالف عدد من المسؤولين والمهتمين في العالم ما بين متطوعين وموظفين رسميين من أجل مصاهرة ومواءمة مع مجموعة من الرابطات الوطنية.

الرؤية:

المنظمة تمثل مجتمع العلم والعمل، ومصدر السعي والإلهام للمواطنين المحتاجين لها في مواجهة التحديات التي تواجه البشرية.

والتحالف يسعى إلى إسماع صوت وآراء الناس العاديين، وهو يعترف بأن فعالية واستدامة المشاركة لأفراد المجتمع المدني يجب أن يحدث في جو من الحرية والشراكة الحضارية والإنسانية.

القيم:

ينطلق التحالف من مجموعة من القيم، فيرى في المساواة والتحالف والكرامة مصدراً لإعطاء كل إنسان حقه في العيش.

وينادي أن يتعامل الناس بعضهم مع بعض باحترام، وأن يشكلوا تحالفاً حضارياً يستفيد منه كل مجتمع من الآخر.

---

(١) ينظر موقع المنظمة: www.civicus.org

وأكد التحالف على إستراتيجية واضحة، وهي دعم فعالية المجتمع المدني بكونه الأداة الرئيسة للوصول إلى مشاركة حقيقية للمواطن في تقرير مستقبل مجتمعه؛ وتركزت هذه الإستراتيجية في الاستحقاقات الآتية:

- العمل على إيضاح التصورات والمفاهيم المتعلقة بالمجتمع المدني.
- إيجاد مناخ ملائم ومساند في مستوى التشريعات والسياسات والإجراءات.
- تطوير موارد ذاتية ومستدامة للمؤسسات الأهلية.
- إيجاد منتدى منفتح للحوار بين منظمات العمل الأهلي يسمح بتبادل المعلومات فيما بينها، ويساعد على تنمية فهم مشترك يؤدي إلى التعاون والتواصل فيما بين مكونات المجتمع المدني من مختلف مناطق العالم.

الأهداف والمشروعات:

بين التحالف أهدافاً ثلاثة لبلوغ مهمته، وهي:

الهدف الأول: وجود ودعم المجتمع المدني، ومساندة برامجه قانونياً وإعلامياً من خلال التواصل مع المجتمعات التي تربطها بالتحالف روابط وصلات.

الهدف الثاني: توفير وسائل ومناهج تستفيد منها المؤسسات التطوعية بشكل مباشر في سبيل زيادة فعالية وتحسين إدارة منظومات العمل في المجتمع، وتأصيل التواصل المشترك بينها.

الهدف الثالث: العمل على تشجيع المشاركة الفاعلة وإدراج بعض الفئات الاجتماعية في العمل الأهلي[1].

الهيكل التنظيمي والعملي:

انضم إلى التحالف - كما سبق – عدد من الهيئات والأفراد من كل أنحاء العالم، ويصل عدد الاشتراكات لنشراتها الأسبوعية أكثر من خمسة وثمانين ألف مشترك، ويأخذ الهيكل التنظيمي والبرامج المدرجة في الاعتبار التنوع الثقافي والحضاري في المجتمعات.

ويضم الهيكل العملي للتحالف مجموعة من الهيئات المتعلقة بالقضايا السياسية

---

(1) التحالف العالمي لمشاركة المواطن، مقال د. طارق عبد الله، موقع شبكة التطوع الكويتية.

والاقتصادية والاجتماعية العالمية والتي يسعى التحالف فيها إلى تطوير الحوار الحضاري بين هذه المنظمات وتفعيل دور التعاون العالمي في المشتركات الإنسانية.

المواردالمالية:

يؤكد القائمون على المنظمة أنها منظمة غير ربحية، وأنها تجمع مواردها من خلال تحالفات كبيرة من مؤسسات المجتمع المدني، بالإضافة إلى تبرعات الأعضاء، وبعض الموارد المالية التي تحصل عليها من خلال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ودراسات البحث والتقويم والمشاركة في الأهداف الإنمائية العالمية.

وقد قامت المنظمة من خلال برنامج (Resource Mobilization) تقديم نماذج عن إستراتيجيات جلب الدعم المالي وطرق الاستثمار واستدامة تمويل المنظمات الأهلية، كما أصدرت كتاباً لهذا الغرض يقدم بشكل مبسط أمثلة من هذه الإستراتيجيات يجري تطبيقها في مختلف بلدان العالم.

المنظمة والعولمة:

تمثل منظمة التحالف العالمي أحد الأمثلة المعبرة عن عولمة القطاع التطوعي، ودخول التكتلات الأهلية ذات الصبغة الدولية مرحلة متقدمة في هذا القرن لمتابعة التغييرات القانونية والتشريعية، ومحاولة صنع شركات عالمية في ظل منظومة حوار الحضارات.

الفصل الثاني

أهم مؤتمرات حوار الحضارات في العالم

المبحث الأول

أهم مؤتمرات حوار الحضارات في العالم الإسلامي

المطلب الأول: مؤتمر حوار الحضارات في القاهرة (٢٠٠٢م) (٢٠٠٣م)

موضوع الندوة وهدفها[١]:

جاءت هذه الندوة كواحدة من أنشطة الحوار والتفاعل الحضاري التي اضطلع برنامج حوار الحضارات في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة بعقدها كاستجابة فكرية وأكاديمية للتحديات الحضارية والثقافية التي تواجهها الساحة العربية الإسلامية، في ظل بروز الأبعاد الثقافية والحضارية في مجال العلاقات الدولية، سواء على صعيد الحركة أم على صعيد الدراسة والبحث.

وتناولت الندوة قراءات رصدية وتقويمية لنماذج من لقاءات الحوار على الصعيد العالمي والإقليمي والمصري.

وتمثل الهدف من هذه القراءات في الآتي:

---

(١) ينظر: من خبرات حوار الحضارات.. مرجع سابق.

وسيعرض الباحث لهذا المؤتمر والمراكز بشيء من التفصيل لعلاقاته الدولية وأثره الكبير في الأبحاث المنشورة حول حوار الحضارات. وقد أقيمت الندوات والمؤتمرات في عامي (٢٠٠٢م، و٢٠٠٣م). وصدرت في مطبوعات كثيرة سأعرض لها دون تحديد وقت صدورها.

- الحديث في الحوار من حيث مستوياته وآلياته وأجندة قضاياه بدلاً من الحديث حوله وعنه، وإمكانية وجوده من عدمها.
- رصد النتائج التي تحققت على الصعيدين العربي والإسلامي في ظل الأهداف المرجوة من لقاءات الحوار، مع تحديد طبيعة هذه الأهداف والدوافع وراءها، وتحديد الأهداف الأصيلة للحوار باعتباره نشاطًا إنسانيًّا وفكريًّا متصلاً بين الشعوب والثقافات، والأهداف السياسية له في ظل توازنات القوى الدولية.
- تحديد متطلبات استراتيجية فاعلة للحوار على صعيد الدائرة العربية الإسلامية، ترتيبًا على الخريطة الراهنة لجهود الحوار على المستويات الوطنية والإقليمية وعبر الإقليمية والعالمية، ومحاولة وضع نواة لشبكة عربية إسلامية للحوار.

المحاور الأساسية التي تناولتها الندوة:

تناولت الندوة خمسة محاور أساسية:

المحور الأول يتناول خبرات حوارية لبعض المنظمات العالمية والإقليمية، والمحور الثاني يتناول خبرات بعض ملتقيات حوار الأديان العالمية والإقليمية، والمحور الثالث يتناول خبرات المبادرات الإسلامية ممثلة في المبادرة الإيرانية للحوار، وأحد نماذج الحوار البيني بين القوميين والإسلاميين العرب، ويتناول المحور الرابع الخبرة المصرية في مجال الحوار، على المستوى الرسمي والمستوى المدني. أما المحور الأخير فيتعرض لبعض قضايا وآليات الحوار[1].

المحور الأول[2]

موضوعات البحوث:

عرضت بحوث المحور الأول لخبرات الحوار في المنظمات الدولية والإقليمية التالية:

تناولت ورقة الدكتورة زينب عبد العظيم خبرة الأمم المتحدة في إعلانها عام ٢٠٠١ عامًا

---

(١) سبقت الإشارة في المقدمة إلى أن اهتمام هذه الندوة بالآليات والنتائج السياسية والثقافية والاقتصادية، لذا فإن دراسة الجوانب العقدية ليست ظاهرة في هذه الندوة، لذا فإن الباحث يعرض هنا الموضوعات كما هي في الندوة.

(٢) من ص ٢٧- ١٦٦.

للحوار بين الحضارات، ورصدت ما تم من أنشطة خلال هذا العام رصدًا تقويميًّا. أما ورقة الدكتورة وفاء الشربيني فقد تناولت الأبعاد الثقافية للشراكة الأوروبية المتوسطية، أما ورقة الأستاذ أمجد جبريل فقد رصدت دور الجامعة العربية في حوار الحضارات ، أما الأستاذ مدحت ماهر فقد رصدت ورقته جهود المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

أولاً: الأمم المتحدة وعام حوار الحضارات:

تناولت الدراسة بداية تاريخ دور الأمم المتحدة في دعم الحوار بين الحضارات، وأكدت أنه دور قديم يعود إلى عام ١٩٤٩م، حين اجتمعت لجنة الخبراء في الدراسات المقارنة للحضارات في مقر اليونسكو في نوفمبر ١٩٤٩م وأصدرت تقريرًا يحدد أهداف الحوار بين الحضارات ودور اليونسكو فيه، وأنه منذ ذلك الحين توالت أنشطة اليونسكو في مجال الحوار بين الحضارات، وأبرزها مشروع الفهم المتبادل للقيم الحضارية للشرق والغرب الذي استمر من عام ١٩٥٧م إلى عام ١٩٦٦م، وقد صدر عن اليونسكو عام ١٩٦٦م «إعلان المبادئ للتعاون الثقافي الدولي» الذي نص على أن لكل حضارة اعتبارها وقيمتها التي يجب المحافظة عليها واحترامها، وأن كل الحضارات هي جزء من الإرث العام للبشرية، وكان موضوع عالمية الثقافة موضوعًا أساسيًّا في اجتماعين تناولا الأبعاد الثقافية لحقوق الإنسان.

وأمام دعاوى الصدام بين الحضارات التي علت في الواقع الدولي الراهن، علت أصوات مقابلة من مختلف الحضارات تطالب بالحوار بين الحضارات وتؤكد قيمته بديلاً لهذا الصدام لصياغة النظام العالمي الجديد. ومن أبرز هذه الأصوات تلك المبادرة التي أطلقها الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي لتأكيد أهمية هذا الحوار، وقد استجابت الجمعية العامة للأمم المتحدة ووافقت على مبادرته بالإجماع، وجاء قرارها باعتبار عام ٢٠٠١م عام حوار للحضارات، وتحولت الفكرة إلى سياسة ثقافية عالمية.

لقد أكدت الدراسة أهمية هذا القرار من قبل الأمم المتحدة، وكيف حوّل حوار الحضارات من مجرد فكرة إلى سياسة ثقافية عالمية تتبناها الأمم المتحدة، وكيف أنها بهذا القرار بدأت تتجه نحو مرحلة جديدة تلعب فيها دورًا ثقافيًّا أوسع، وتعمل على إحلال السلام والاستقرار من خلال معالجة القضايا الثقافية العالمية إضافة للقضايا السياسية وقضايا التنمية وحقوق الإنسان. لكنّ الدراسة تساءلت - في ضوء اعتماد المنظمة للأيديولوجية الليبرالية

باعتبارها الأيديولوجية المهيمنة بعد الحرب الباردة ـ عمّا إذا كانت هذه الأيديولوجية ستصبح الأيديولوجية الرسمية للمنظمة العالمية، وهل ستخضع الأمم المتحدة للضغوط التي يمكن أن تمارسها الولايات المتحدة لتعديل مسار حوار الحضارات بما يتماشى مع أهدافها في المرحلة الحالية وفرض هيمنتها الثقافية إضافة إلى هيمنتها السياسية والاقتصادية، خاصة بعد أحداث١١ سبتمبر وإعلانها الحرب ضد "الإرهاب".

كما رصدت الدراسة الأنشطة والجهود التي قامت بها الأمم المتحدة في عام الحوار، وأكدت التزام المنظمة بالحوار كهدف استراتيجي. وفي هذا الإطار صدر التحديث الأخير للإعلان العالمي لليونسكو بشأن التنوع الثقافي في ٢٠٠٢/١/٢٥م، وأكد الأمين العام في هذا الوقت الالتزام من المنظمة بحوار الحضارات والاستمرار فيه باعتباره الرد الأمثل على الإرهاب، لكن الدراسة لاحظت مرة أخرى تبنّي المنظمة مفهوم الولايات المتحدة للإرهاب الذي يؤكد الثنائية التي أصبحت تحكم العالم منذ أحداث ١١ سبتمبر، والتي ترى أن الغرب المتسامح والمدافع عن الحوار والمؤيد له قد تعرض للإرهاب الذي يرفض الحوار ويدعي امتلاك الحقيقة ويسعى لبث الفرقة بين بني البشر، ويقوم على استبعاد وإقصاء الآخرين، وهذا الطرف الثاني من الثنائية ليس سوى الإسلام. ومن ثم فقد رأت الدراسة أن هذا الفهم الذي يكمن في ذهنية الأمم المتحدة كمؤسسة عالمية وهي تتبنى حوار الحضارات إنما يُعرّض عملية الحوار برمتها للخطر، ويُفرغها من مضمونها الحقيقي ويُفقدها القدرة على تحقيق أي أهداف معلنة لهذا الحوار، ويجعل الولايات المتحدة هي المسيطر على مفهوم الحوار ومساره وأهدافه بما يخدم مصالحها على المستوى الثقافي، إضافة للمستويات الأخرى السياسية والاقتصادية التي تملك فيها الهيمنة.

وعن مفهوم المنظمة لحوار الحضارات، بيّنت الدراسة أن المنظمة ترى أن الحوار بين الحضارات إنما يتم بين هؤلاء الذين يُدركون التنوع كتهديد وهؤلاء الذين يدركون التنوع كعنصر للتقدم والنمو، وأن الحوار سيمكّننا من تغليب النظرة الثانية، وإقناع أصحاب الرؤية الأولى أن التنوع هو مصدر ثروة حيوية، فالحوار هو أداة أساسية لتمكين المنظمة من تحقيق دورها في القضاء على الصراعات المختلفة في العالم، وتعزيز التنمية، وتوزيع فوائد التنمية على الجميع بالتساوي.

وفي تقييم لعام حوار الحضارات في الأمم المتحدة والآفاق المستقبلية للحوار، أكدت

الدراسة أنه برغم الزخم الكبير الذي حفل به عام الحوار من المؤتمرات والأنشطة على المستويات المختلفة، فإن مجموع تلك الأعمال يدور في حلقة مفرغة؛ فالحوار الدائر هو حوار حول الحوار نفسه (تعريفه وأسسه المفاهيمية وفلسفته وأهدافه النبيلة والعوائق التي تواجهه، وعوامل تفعيله) وليس بين الحضارات، ومن ثمّ فقد تساءلت الدراسة عن جدوى دوران الحوار في هذه الحلقة المفرغة، وأكدت أهمية أن يكون الحوار مرتبطًا بالواقع والمشكلات الواقعية بقدر ما هو حوار فلسفي معرفي، وأن يكون له منهج واضح وأجندة محددة من القضايا التي يدور بشأنها حوار فعلي.

وأكدت الدراسة أن الحوار بطبيعته ينطوي على أبعاد سياسية، ومن ثمّ فإنه بعد أحداث ١١ سبتمبر وما تلاها، وبعد أن باتت لغة القوة هي المسيطرة في الساحة الدولية فكيف ستواجه المنظمة هذه اللغة وتواصل في ظلها الحوار؟ وبأي شروط سيستمر هذا الحوار ولمصلحة من؟ كما تساءلت عن مدى تأثير الوضع الدولي على هذا الحوار لتفريغه من مضمونه.

ثانيًا: ملتقيات البُعد الثقافي في الشراكة الأوروبية المتوسطية:

وضّحت الدراسة أن مفهوم الشراكة الأوروبية المتوسطية يُعبّر عن السياسات المعاصرة للاتحاد الأوروبي تجاه منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط "صيغة برشلونة"، وهذه السياسات المتوسطية المعاصرة انبثقت عن الطرف الأوروبي في تحركه الجماعي اقتصاديًّا وسياسيًّا نحو المنطقة العربية منذ السبعينيات، ودوافع أوروبا من هذه السياسات تتصل بالتحديات التي تواجه الأمن الأوروبي في حوض المتوسط من ناحية، والإطار الدولي المحيط من ناحية أخرى، وأهدافها تتصل بوضع أوروبا التنافسي في النظام العالمي، وتتفق مع طبيعة القوة الأوروبية المعاصرة التي تهتم بإرساء أنماط من التفاعلات السلمية التعاونية. فمشروع الشراكة الأوروبية أو ما يطلق عليه "صيغة برشلونة" هو مشروع للتعاون وقّعت عليه دول الاتحاد الأوروبي الخمس عشرة، مع اثنتي عشرة دولة من دول حوض البحر الأبيض المتوسط للشراكة في ثلاثة مجالات:

- المجال الاقتصادي والمالي.
- المجال السياسي والأمني.
- المجال الاجتماعي والثقافي والإنساني.

وقد ركزت الدراسة على الأبعاد الثقافية للشراكة من ناحية، ومفهوم الحوار بين الثقافات

كبعد من أبعادها الأساسية من ناحية أخرى.. من خلال المقارنة بين كيفية تناول هذه الأبعاد في مشروعات التعاون الأوروبي/ المتوسطي قبل وبعد صيغة برشلونة لاستنتاج الإضافة التي أوجدتها هذه الصيغة في هذا الإطار.

وحين رصدت الدراسة الأنشطة الثقافية في منطقة البحر المتوسط قبل إقرار صيغة برشلونة، تبين أن هذه الأنشطة كانت مجرد أنشطة تطوعية غير رسمية أو منظمة، ولا تتسم بالاستمرارية وتقتصر على التعاون في مجالات محددة خاصة بالتراث الثقافي والأحداث الثقافية والفنية والإنتاج الفني والترجمة؛ أي اقتصرت على التعاون الثقافي بمفهومه الضيق.

وتناولت الدراسة الأبعاد الثقافية لإعلان برشلونة الذي نص على: أن "الهدف العام الذي يقضي بجعل البحر المتوسط منطقة حوار وتبادل وتعاون من شأنه تأمين السلام والاستقرار والازدهار؛ يفرض توطيد الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، ونموًّا اقتصاديًّا واجتماعيًّا مستديمًا متوازنًا، ومكافحة الفقر، وتنمية أفضل للفهم بين الثقافات، وكلها جوانب رئيسية للمشاركة".

وقد جاءت الإشارة للأبعاد الثقافية في القسم الثالث من الإعلان بعنوان "شراكة في المجالات الاجتماعية والثقافية والإنسانية، وتشجيع التبادلات بين المجتمعات المدنية"، حيث يعترف المشاركون بأن تقاليد الثقافة والحضارة على جانبي المتوسط والحوار بين هذه الثقافات والتبادلات الإنسانية والعلمية والتكنولوجية تشكل عاملاً رئيسيًّا في التقارب والتفاهم بين الشعوب وتحسين الإدراك المتبادل، لذا فهم يوافقون على خلق مشاركة في المجالات الاجتماعية والثقافية والإنسانية. لكنّ الدراسة نبهت على أن هذا الإعلان هو إعلان سياسي وليس وثيقة قانونية ملزمة؛ ولهذا فإن قيمة ما جاء فيه أن نصوصه لا تحمل سوى التزامات أدبية، فكل ما جاء فيه عبارة عن مبادئ وأهداف عامة.

كما لاحظت الدراسة أن الجوانب الثقافية (التفاهم بين الشعوب، وحوار الحضارات والثقافات) حازت أهمية أقل من غيرها في التعاون الأوروبي المتوسطي، كما أن الإشارة إليها جاءت في صورة مخففة باعتبارها ليست جوانب أساسية للشراكة، كما أن التعبيرات الخاصة بهذه الأبعاد التي استخدمت في الإعلان تميزت بالعمومية والغموض، بما يفتح الباب للتفسيرات والتأويلات المختلفة حول مضمونه الحقيقي وأهدافه، وحقيقة الدعوة للتعاون الثقافي من المنظور الأوروبي.

وأوضحت الدراسة أن الاتحاد الأوروبي عقب أحداث سبتمبر نادى بمبادرة جديدة لتشجيع التسامح والمعرفة الأفضل والتفاهم المتبادل بين شعوب منطقة البحر المتوسط، وتنشيط الحوار ما بين المتكافئين في كل من ضفتي حوض البحر المتوسط.

وتناولت الدراسة أعمال ندوتين هامتين عُقدتا عن الحوار بين الثقافات لمعرفة مضمون الحوار وأهم قضاياه من الرؤية الأوروبية، وهما: "ندوة الحوار بين الثقافات: أساس الشراكة الأوروبية المتوسطية" في مركز الشمال والجنوب (مالطا ـ إبريل ١٩٩٧م)، و"ندوة الحوار بين الثقافات" في المفوضية الأوروبية (بروكسل ـ مارس ٢٠٠٢م). ولاحظت الدراسة أن الحوار في إطار الشراكة الأوروبية المتوسطية هو حوار بين الثقافات وليس حوارًا بين الحضارات، فقد كان هناك تجاهل واضح لمفهوم الحضارة، والتي تشكل العقيدة الدينية عنصرًا أساسيًّا في تكوينها؛ وهو أكثر العناصر مقاومة للانتقاص أو الإزالة. فالحوار الأوروبي المتوسطي طبقًا للرؤية الأوروبية هو حوار بين ثقافات حوض البحر المتوسط المتنوعة والمتعددة وليس حوارًا بين حضارتين؛ الحضارة الغربية اليهودية النصرانية بثقافاتها المتعددة، والحضارة العربية الإسلامية بثقافاتها المتعددة أيضًا، فهناك خلط واضح متعمد بين مفهومي الثقافة والحضارة، وهذا الغموض والخلط يظهر في تضمين المبادرة الجديدة للاتحاد الأوروبي التي أعلنت بعد ١١ سبتمبر لبُعدين: بُعد خارجي يتمثل في علاقات أوروبا بدول البحر المتوسط، وبُعد داخلي يتمثل في علاقات أوروبا بعضها ببعض. فهل قضايا الحوار بين الثقافات المتنوعة للمتوسط والتي تنتمي معظمها للحضارة العربية الإسلامية هي ذاتها قضايا الحوار في التعامل مع الثقافات المتنوعة لدول أوروبا والتي تنتمي جميعها للحضارة الغربية اليهودية النصرانية؟

كما لاحظت الدراسة أن دوافع أوروبا للتعامل مع المنطقة من منطلق درء المخاطر وليس من منطلق جلب المنافع، فالحوار كأحد أبعاد الشراكة يرتبط بأهداف سياسية، وتنشيطه نابع من الإدراك الجماعي الأوروبي لما تعتقده من تهديد الأمن الأوروبي خاصة من قبل ما تسميه "الأصولية الإسلامية" و"الإرهاب الإسلامي" فيما بعد أحداث سبتمبر، حيث أصبح الحوار ضروريًّا في إطار المسئولية الجماعية الجديدة لأوروبا بعد هذه الأحداث.

ولاحظت الدراسة أيضًا الربط الدائم بين الحوار بين الثقافات واحترام حقوق الإنسان؛ فالحوار قضية سياسية مرتبطة باحترام حقوق الإنسان والديمقراطية؛ ومن ثم فقد تساءلت الدراسة عما إذا كانت أوروبا ترغب حقيقة في نشر الديمقراطية وقيم حقوق الإنسان وتطبيقها

في دول المنطقة ، أم أن هذا مجرد غطاء لاتهام ثقافات وحضارات وديانات هذه المنطقة بالتعصب والتدني ، ووسيلة للتدخل في شئونها الداخلية؟

واشترطت الدراسة توافر عدد من العناصر الأساسية لإقامة حوار ثقافي فعّال ؛ وهي :

- قبول مبدأ التعددية الثقافية واحترامه في الحوار الأوروبي المتوسطي والنظر إلى جميع الثقافات على أنها متساوية من حيث القيمة والأهمية. وما زال الاتحاد الأوروبي يضع قيمه الثقافية بتفسيراتها وتطبيقاتها العملية كإطار مرجعي للشراكة.
- ضرورة إشراك الجنوب المتوسطي في تحديد قضايا الحوار وبرامجه الثقافية ؛ فالحوار بين الطرفين حوار غير متكافئ لعدم توافر التكافؤ الاقتصادي ، والاتحاد الأوروبي يحدد قضايا الحوار وبرامجه الثقافية في إطار الشراكة ويمولها مع مؤسساته ، وتكتفي الأطراف الأخرى بلعب دور المتلقي.

وفي النهاية ، فإن الدراسة أثارت هذه الأسئلة القلقة : هل هناك معنى للحوار في عالم مليء بالفوارق والفواصل الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية؟ ولكن أيضًا هل يمكن تجاهل الحوار في ظل ثورة الاتصالات والمعلومات التي حطمت الحواجز؟

ثالثًا: الجامعة العربية وحوار الحضارات:

تناولت الدراسة دور الجامعة العربية في إرساء الحوار قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر.

وبالنسبة لما قبل أحداث ١١ سبتمبر، فقد أوضحت الدراسة أن الجامعة العربية لها بعثات دبلوماسية ومكاتب إعلامية في أغلب دول العالم تقوم ضمن واجباتها المتعددة بدور في التعريف بالثقافة العربية وتوطيد العلاقات بين العرب وهذه الشعوب ، إلى جانب المراكز الثقافية ومكاتب الملحقيات الثقافية التابعة لسفارات الدول الأعضاء في الجامعة ، والمؤسسات العربية الثقافية الكبرى في الخارج ، والتي تؤدي دورًا في تواصل العرب مع الثقافات الأخرى ، إضافة إلى زيارات الأمين العام للجامعة للخارج وما يلقيه من محاضرات أو يشارك فيه من مؤتمرات ؛ مما يشكل نافذة للآخرين على الفكر والثقافة العربية. كما أن هناك العديد من الجمعيات والروابط ومجالس الصداقة وتحسين التفاهم بين العرب وغيرهم من الشعوب.

وقد اضطلعت الجامعة بدور مهم في إطار الحوار بين الثقافات ، خصوصًا في الفترات التي امتازت بتحسن العلاقات العربية العربية وانتظام الأوضاع الداخلية للبلدان العربية ، مثل فترة ما

بعد حرب أكتوبر (من أواخر ١٩٧٣م وحتى ١٩٧٧م)، وقد ظهرت وقتها تجربتا الحوار العربي الأوروبي والتعاون العربي الإفريقي، حيث ظهرت فكرة الحوار العربي الأوروبي بعد الحظر النفطي الذي فرضته الدول المصدرة للنفط على الدول الغربية المنحازة لإسرائيل، وقد تجاوب العرب المجتمعون في قمة الجزائر في أواخر نوفمبر ١٩٧٣م مع البيان الأوروبي الذي صدر عن دول المجموعة الأوروبية (وكان عددها في ذلك الوقت تسع)، والذي عكس تحسنًا في موقفها من الصراع العربي الإسرائيلي، وقد قامت قمة الجزائر بصياغة موقف عربي من الحوار عبر الاستعانة بخبراء عرب في شئون الحوار، كما قامت الأمانة العامة للجامعة بالتنسيق والاتصال مع المنظمات العربية المتخصصة، وعهدت إليها بمهام في أعمال لجان الحوار الفنية السبع (كان من بينها لجنة الثقافة والعمل والشئون الاجتماعية).

وقد أسفر الحوار، خاصة في جولاته الأولى، عن نتائج محدودة لكنها إيجابية فيما يخص مضمون البيانات الأوروبية وموقفها من الصراع العربي الإسرائيلي ؛ حيث بدأ الحديث عن أخذ الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في الاعتبار، ومشاركة ممثلين عن الشعب الفلسطيني في أي مفاوضات للحل السلمي للصراع، مع إشارات أقل وضوحًا إلى حق تقرير المصير. لكن الحوار تجمد خلال الفترة ما بين ١٩٧٨م و١٩٨٢م، وعندما استؤنف عام ١٩٨٣م بدأت الدول الأوروبية تتجاوب مع الضغوط الأمريكية الراغبة في احتكار إدارة عملية التسوية، إضافة إلى أن الحوار فقد زخمه بعد تفكك الموقف العربي وتحرر الدول الأوروبية من آثار الأزمة البترولية. وهكذا جرى الحوار العربي الأوروبي بصورة متقطعة منذ منتصف السبعينيات وحتى أواخر الثمانينيات.

لكنّ عقد التسعينيات شهد العديد من المتغيرات في نطاق العلاقات الدولية التي أكدت أهمية الحوار بين الحضارات وضرورته بعد انتهاء الحرب الباردة وانفراد القطب الأمريكي بقيادة النظام الدولي ومحاولة فرض هيمنته على كافة المستويات، مما جعل دولاً عديدة تتبنى فكرة الحوار بين الحضارات كمقابل لتيار الهيمنة، وبعد إعلان الأمم المتحدة عام ٢٠٠١ عامًا للحوار بين الحضارات تحقق ما يشبه الإجماع بين الدول على أهمية الحوار بين الحضارات وضرورة تفعيله.

وتتمثل الرؤية العربية للحوار في إيمان الدول العربية جميعها بالحوار ونبذها للصراع، ودعوتها للسلام العادل والشامل وحق الشعوب في تقرير مصيرها. فهي تربط بين الحوار وثقافة

السلام والوصول لتسوية عادلة شاملة دائمة للأوضاع في الشرق الأوسط وفقًا للقرارات الدولية العادلة لقضيتهم.

وبمجرد وقوع أحداث ١١ سبتمبر أصبحت فكرة حوار الحضارات بندًا أساسيًّا في نشاط الأمين العام وتصريحاته وخطبه، وقد دعا لتشكيل هيئة من المفكرين العرب للتصدي للهجوم على الثقافة العربية والحضارة الإسلامية.

وقد قامت الجامعة العربية في هذا الإطار بعقد مؤتمر "حوار الحضارات: تواصل أم صراع" عام ٢٠٠١ في ظل الهجمة الشرسة على الثقافة العربية والحضارة الإسلامية من الغرب عقب أحداث سبتمبر.

وفي محاولة لتقويم نتائج هذا المؤتمر في إطار ما أعلن له من أهداف، فإن الدراسة بيّنت أن الهدف القريب المتمثل في إجراء حوار داخلي عربي بين المثقفين العرب وبلورة تصور للتعامل مع الحملة القائمة في الغرب لتشويه صورة العرب والمسلمين قد تحقق في إطارها نجاح لا بأس به.

أما النجاح على المدى المتوسط، فمن الممكن قياسه بمدى الاستمرارية في طرح فكرة الحوار والقدرة على التعاون مع المنظمات الدولية المعنية به، ويمكن أن يُدرج النشاط الإعلامي والسياسي للأمين العام في هذا المستوى، ولكنّ التحدي الحقيقي يكمن في تحويل هذا الخطاب إلى آليات عملية وسياسات تصب في مصلحة تدعيم فكرة الحوار، ولكن النهوض بهذه الفكرة ونجاحها في تغيير صورة العرب والمسلمين يستلزم بنية إعلامية لا تتوفر لدينا حاليًّا.

أما التقويم على المستوى البعيد، فإنه يعتمد على إمكانية أن تؤلف الجهود في المستويين السابقين إستراتيجية عربية متكاملة لتجاوز آثار أحداث سبتمبر وتفعيل النظام العربي وتدعيم قدرته على الانتقال من خانة رد الفعل إلى مستوى الفاعلية والمبادرة، فإذا حدث ذلك يُمكن للحوار أن يحقق أهدافه.

رابعًا: جهود المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

بيّنت الدراسة أن مفهوم الحوار بين الحضارات لدى المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إنما ينبني على فرضية مضمرة بأن جميع الحضارات الكبرى المعاصرة هي في أصلها تعترف بالآخر وحقوقه في الاختلاف وفي الاحتفاظ بذاتيته الثقافية، وتقر بخصوصيته الحضارية وضرورة التعايش السلمي والإيجابي بين البشر. وتساءلت الدراسة عما إذا كانت هذه الفرضية

بدهية لا تحتاج إلى الوقوف عندها، أم أنها تحتاج لإعادة نظر؟

ثم تناولت الدراسة المنطلقات والمبادئ العامة التي تناولتها البيانات والمواثيق الصادرة عن الإيسيسكو في إطار حوار الحضارات، لكنها تساءلت عما يميز هذه المبادئ عن المقدمات الطويلة التي ازدانت بها كافة العهود والمواثيق الدولية طوال الحقبة الماضية، وما معنى الجدة التي تجعل الحوار بين الحضارات بديلاً للأسس الحالية للمنظومة الدولية إذا كانت المنظمة تتبع نفس الخط المنتقد وتضمن مثل هذه المبادئ الفضفاضة في التشريعات الدولية؟ وما الذي يدفع الدول لقبول مقتضيات هذه المبادئ ومستلزماتها والتمسك بالحوار الذي تشترك فيه الشعوب، بينما لم يكن لمثل هذه المبادئ من قبل أي تأثير على المنظومة الدولية وتحريك علاقاتها؟

وبينت الدراسة أن مجالات وقضايا الحوار توزعت بين ما هو ثقافي بالأساس وبين ما هو سياسي بالأساس، وبين ما هو متقاطع بينهما، وأن المنظمة في تحديدها لتلك الأجندة انفعلت بأحداث ١١ سبتمبر. أما دوافع الحوار فقد تمثلت في تحقيق المصالح الإسلامية العليا، ومواجهة التحديات العالمية المشتركة بين الأمم والحضارات.

وأشارت الدراسة إلى احتمال تعرض القيمة الحوارية نفسها للتسييس والانتقاء، وتركيزها على جوانب للحوار دون أخرى.

وبالنسبة لمسألة الذاتية الحضارية الإسلامية، فقد بينت الدراسة أن خطاب المنظمة للحوار انصب على البعد الدفاعي عن هذه الهوية وتحصينها ولم يستعرضها كما هي كمظلة كبيرة تكتنف البشرية كافة.

ثم بينت الدراسة أن أجندة الحوار من قبل المنظمة تم توجيهها لكي تقتصر على التركيز على قضية الإرهاب والتبرؤ منه ومحاولة فصله عن المقاومة المشروعة، والبحث عن مخرج من الهجمة الغربية المتصاعدة، مما جعل الحوار مجرد تكرار لا جديد فيه، وهذا يبرز تأثير أبعاد السياسة الدولية على قضايا الحوار.

المحور الثاني[1]:

موضوعات البحوث:

رصدت موضوعات المحور الثاني بعض خبرات ملتقيات حوار الأديان العالمية والإقليمية؛ فقد نقلت دراسة الدكتور أحمد محمد عبد الله خبرة وملاحظات واقعية لبعض من ملتقيات حوار الأديان، وعرضت دراسة الأستاذ سمير مرقس خبرة مجلس كنائس الشرق الأوسط (الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي).

أولاً: ملتقيات حوار الأديان.. ملاحظات نظرية وخبرة واقعية:

بيّنت الدراسة أن حوار الأديان عالم متنوع الأهداف والمستويات، وأن هذا التنوع يتضمن الأطراف المتحاورة (رجال دين، وأكاديميين، ومتخصصين في الأديان، وناشطين في العمل الخيري، ومهتمين بدور الأديان في نواحي الحياة)، ويشمل أهداف الحوار (حوارات تبحث عن الفهم المتبادل والتعارف، وحوارات تبحث عن موقف مشترك من قضية بعينها، وحوارات ذات أغراض سياسية.. إلخ)، وأساليب الحوار تختلف وطريقة استدعاء الدين تختلف؛ فهو يُستدعى كتجربة روحية أحيانًا وكتاريخ وممارسة أحيانًا أخرى أو كنصوص مقدسة أو كقيم مجردة، أو كواقع حي يومي يتحرك على أرض الواقع، كما يختلف الحوار في نطاقه واتساعه الجغرافي بين المحلي والإقليمي والدولي، وفي تحديده للأديان؛ فقد يقتصر على الأديان السماوية، وقد يتضمن ديانات أخرى مثل الهندوكية والبوذية وغيرها، وقد يكون داخل دين واحد بين مذاهب وطوائف شتى، أو بين دين وآخر أو بين عدة أديان في وقت واحد.

وذكرت الدراسة نماذج من أنواع ومستويات الحوار الديني: تجربة اللجنة المصرية للعدالة والسلام (مصر)، وتجربة الهيئة الإنجيلية (مصر)، وتجربة الفريق الإسلامي المسيحي للحوار، وتجربة المنتدى العالمي للدين والسلام **WCRP** (تجربة الحوار من أعلى)، وتجربة المجلس العالمي للمسيحيين واليهود **ICCJ**، وتجربة جمعية التسلح الخلقي، وتجربة الحوار العربي/ الأوروبي الشعبي (تجربة الحوار من أسفل).

وتعرضت الدراسة للتحفظات التي تثار ـ خاصة في صفوف المسلمين ـ تجاه الاهتمام بحوار

---

[1] من ص ١٦٩ إلى ١٩٣.

الأديان والدخول في دائرته. وأوضحت أنه يجب إعادة النظر في الأسس التي تبنى عليها هذه التحفظات، ووضع حوار الأديان في سياقه الأنسب وهو حوار الحضارات.

ودعت الدراسة لبعض المقترحات العملية في هذا الخصوص:

- تأليف كتاب مرجعي عن الأديان كثقافة وتجليات مشتركة أو مختلفة في الأقطار والأجناس المختلفة على مستوى الممارسة اليومية (أزياء، أطعمة، احتفالات).
- دعم تدريب فريق من الناشطين والباحثين في الجوانب العملية والنظرية المتعلقة بحوار الأديان، ونقله إلى فضاء حوار الحضارات.
- دراسة وتقييم وتطوير الحركات الدينية بوصفها حركات اجتماعية وثقافية، لا مجرد حركات معارضة سياسية، والمساهمة في جذب اهتمامها لحوار الأديان والحضارات.
- عقد ندوة مشتركة مع الجهات المعنية لتقييم التجارب السابقة لحوار الأديان والبحث في تطويرها والتنسيق بينها لتعظيم العائد منها.
- تنشيط الدعوة التي تبناها الأمين العام للأمم المتحدة لتكوين مفوضية أو مستشارية للأمم المتحدة تكون خاصة بالأديان والقيادات الروحية مع أهمية أن يشمل التمثيل الناشطين في المجال الثقافي والاجتماعي أهليًّا.
- السعي لإصدار إعلان عالمي على غرار إعلان حقوق الإنسان يتناول إبراز وتوجيه دور الأديان في حوار الشعوب وتعاونها من أجل الحرية والعدالة والتنمية المتوازنة.

ثانيًا: مجلس كنائس الشرق الأوسط (خبرة الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي):

تناولت الدراسة تاريخ تأسيس الفريق العربي للحوار الإسلامي (المسيحي) عام ١٩٩٥م؛ حيث نادى عدد من الشخصيات العربية الإسلامية (المسيحية) من مفكرين وعلماء دين وعاملين في المجال العام إلى اجتماع عُقد في بيروت وقام بتيسيره مجلس كنائس الشرق الأوسط، وقد أكد هذا الاجتماع على ضرورة تكاتف المسلمين (والمسيحيين) معًا لمواجهة الأخطار التي تهددنا جميعًا، وضرورة وجود حوار حياة إضافة للحوار الفكري من خلال برامج عملية في المجالين التربوي والاجتماعي، وأن تكون قضية القدس نقطة انطلاق عملية تلتف حولها جهود الجميع للتوحد ومجابهة الخطر الإسرائيلي.

كما عرضت الورقة للأنشطة الحوارية للفريق، والندوات والمؤتمرات الإقليمية والدولية التي نظمها وتناولت قضايا الحوار والعيش المشترك.

وتناولت الدراسة أهم الأفكار التي عُرضت وطرحت في هذه اللقاءات؛ وهي:

- الإنسان هو نقطة الانطلاق، وهو القيمة العظمى في هذا الكون.
- دعم الاندماج الوطني بين المسلمين و(المسيحيين).
- التطرف لا يتلازم مع الدين بالضرورة ولا يختص به، بل تُنتجه جملة من الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، والفهم الخاطئ للدين هو الذي يؤدي من الاعتدال للتطرف، فيجب توجيه الدين لتحقيق المصالح العامة والتصدي للمشكلات الاجتماعية والتنموية التي يواجهها المجتمع بكل فئاته.
- عدم قبول أي تمييز على أساس الأصول العرقية، أو إعطاء فئة دينية نفسها الحق في اغتصاب الأرض.
- رفض التدخل الأمريكي في العالم، وفي العالم الإسلامي خصوصًا، تحت دعوى الحرية الدينية، فضمان هذه الحرية هو التفاهم بين أبناء الوطن على قاعدة الانتماء المشترك.
- وأكدت الدراسة في النهاية أن مسيرة الحوار بين الفريق والتلاقي الحي بين أعضائه قد ساهم في حل كثير من الاشتباكات الفكرية التي ظلت تؤرق واقعنا العربي المعاصر، وساعدت في مد الجسور بين فئات مختلفة من المهتمين بالحوار الإسلامي (المسيحي)، وأتاحت حرية الحركة والتعبير للجميع دون تقيد بأي مؤثرات أو توازنات مؤسسية[١].

المحور الثالث[٢]:

موضوعات البحوث:

تقدم بحوث المحور الثالث خبرات المبادرات الإسلامية ممثلة في الخبرة الإيرانية بتقديم طرح حوار الحضارات في مواجهة الطرح القائل بصدام الحضارات، وقدم الورقة د. باكينام

---

(١) ذكر في نهاية الدراسة أسماء المشاركين في الاجتماع الأول والمؤسسين للفريق من المسلمين والنصارى، ص (١٩٣).

(٢) من ص ١٩٧ إلى ٣٠٢.

الشرقاوي، وكذلك بحث حول القوميين والإسلاميين العرب، إشكالية الحاضر وتحديات المستقبل للأستاذ عوني فرسخ.

أولاً: حوار الحضارات.. خبرة إيرانية رائدة:

أبرزت الدراسة كيف أن إيران من أوائل الدول في المحيط الإسلامي في مجال حوار الحضارات، حيث دعا الرئيس خاتمي في مبادرة تاريخية إلى تحويل حوار الحضارات من مجرد فكرة يتداولها الفلاسفة والمؤرخون والعلماء الاجتماعيون إلى سياسة ثقافية عالمية تتبناها الأمم المتحدة؛ وهو الأمر الذي مثل لحظة فاصلة في مفهوم حوار الحضارات، وساعد على رواجها وتقبلها وأنها توافقت مع مزاج عالمي يستنكر الإرهاب والعنف في العلاقات الدولية. ومن المفارقات التاريخية الداعية للتأمل أن يكون عام حوار الحضارات هو نفسه العام الذي شهد ما سُمي بأول حروب القرن، وهو الأمر الذي ألقى بظلال قاتمة على مشروع الحوار في معناه وتنفيذه.

وأوضحت الدراسة أن قيام إيران بتبني مشروع حوار الحضارات يدعم من بحثها عن مكانة مستقلة لها في العالم، كما أن إيران ترى نفسها ملتقى لثقافات الغرب والشرق، لذا هي الأولى بطرح هذا الحوار. وهناك من يرى أن الدافع لتبني إيران لهذا الشعار هو إقناع العالم بتحسن الحالة الأيديولوجية والسياسية وحالة حقوق الإنسان على أرضها؛ مما يؤدي لإنهاء العزلة السياسية وفتح باب التعاون الاقتصادي والتجاري والتكنولوجي مع العالم الخارجي، مع التأكيد على ريادتها الإسلامية رغم انتمائها الشيعي، وضمان دور عالمي لها.

وتوضح الدراسة أن عملية حوار الحضارات في الخطاب الإيراني الرسمي تقوم على افتراض التعددية الثقافية وضرورة المشاركة المتساوية لجميع الأمم في كافة المجالات الدولية، وأن الحوار هو الوجه الإنساني للعولمة، وهو البديل لأسلحة الدمار الشامل والمنافسة الاقتصادية المادية اللامحدودة، وهو مدخل لفهم المواقف السياسية والاجتماعية والاقتصادية للآخرين واحتياجاتهم.

والهدف الرئيسي من حوار الحضارات هو تدعيم السلام والتفاهم وتأمين التقدم السياسي للجميع، بغض النظر عن الخلفيات التاريخية والثقافية، خاصة وأن المسافات أصبحت أقل من ناحية الانفصال المادي، ولكن ليس بين الآراء ووجهات النظر.

أما أهم آليات الحوار من المنظور الإيراني، فهي تتمثل في عقد المؤتمرات والندوات وتشجيع المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية لتطوير البرامج التربوية والتعليمية، وهناك دور للمطبوعات والمواد الإعلامية خاصة في ظل التطور التكنولوجي وتشجيع السياحة الثقافية والتاريخية. وتدافع إيران عن الخصوصية الثقافية لقيم حقوق الإنسان، كما تدافع عن مفهوم الديمقراطية الدينية كأحد محاور الحوار، وأكد خاتمي أن خطاب حقوق الإنسان الحالي خطاب علماني ولا يرتبط بالنظرة الدينية في حين أن المعايير المادية لا تكفي كدعامة لحقوق الإنسان، خاصة وأن جذور حقوق الإنسان كمفهوم من الناحية العملية والنظرية والتاريخية ترتبط بالفكر الديني.

كما أوضحت الدراسة كيف جعلت إيران مبدأ الحوار واحدًا من المبادئ الأساسية التي تشتمل عليه سياستها الخارجية، واستعرضت الدراسة أنشطة المركز الدولي لحوار الحضارت الذي أنشئ عام ١٩٩٩م وجهوده لتدعيم الحوار، ليس فقط على المستوى الدولي ولكن أيضًا على المستوى الداخلي القومي، وتأسيس وتوسيع المجتمع المدني الدولي وتقوية الثقافة الدينية والخلقية والروحية.

كما تناولت الدراسة الخطاب الإيراني الرسمي فيما بعد ١١ سبتمبر، حيث أبرزت زيادة اهتمامه بالحوار كأداة ثقافية في مواجهة النفوذ الأمريكي والتقليل من المخاطر الموجهة للدولة وأمنها القومي. وأوضحت الدراسة كيف بدا في هذا الخطاب السعي الحثيث لإحياء الحضارة الإسلامية حسب الرؤية الإيرانية، والإدراك الواضح لخطورة التحديات الخارجية على هذه الحضارة، ولمكامن الضعف الداخلية التي تحول دون تكوين جبهة إسلامية ثقافية موحدة تقدم طرحها الإسلامي لحلول كثير من المشكلات المعاصرة، ودعوته لحوار داخلي في إطار الحضارة الإسلامية إضافة للحوار مع الغرب.

وبالرغم من وجود رؤية عامة غير تفصيلية وأهداف طموحة لمشروع حوار الحضارات وفق الرؤية الإيرانية، إلا أن الدراسة لاحظت افتقادها لأجندة محددة للموضوعات التي ينبغي أن يدور حولها الحوار للوصول إلى لغة مشتركة حسب تعبير خاتمي. فالخطاب الإيراني ما زال لا يقدم جديدًا نظريًّا يخترق به الدائرة المفرغة التي يدور الجدل فيها حول حوار الحضارات، فما قدمه المفهوم لإيران من مكاسب سياسية يفوق بكثير ما طرحه الخطاب الإيراني من شيء مبتكر لمنظور حوار الحضارات عامة.

وتشير الدراسة إلى طغيان العلاقة المتوترة بين الحضارة الإسلامية من جانب وبين الحضارة الغربية من جانب آخر، وكيف أنها غطت على أي اهتمام بالعلاقة بين الحضارات غير الغربية والتفاعل فيما بينها.

وتلخص الدراسة الخبرة الإيرانية في مجال الحوار إلى بعدين: بعد نظري يتم في إطاره معالجة الشروط والأهداف والآليات والمنطلقات، وبعد تطبيقي يمثل حجم ما تم تحقيقه من أهداف المشروع على مستوى السياسات والمؤسسات ودرجة النجاح الإيراني في ذلك[1].

ومن حيث الأهداف، فالرؤية الإيرانية تقوم على تكوين لغة مشتركة للحوار لا تشكيل ثقافة عالمية، وتدعيم السلام والتفاهم الدولي وإعلاء قيم الحرية والعدل وتكريس الديمقراطية على المستوى الدولي، وأن التفاعل الإيجابي في إطار التعددية الثقافية يؤدي لتدعيم الوجه الإنساني للعولمة، فالغرب يحتاج لتدعيم البعد الروحي والشرق يحتاج لتحرير الدين والاستفادة من التكنولوجيا، والحوار سيساعد في ذلك.

أما آليات التنفيذ فالبرناج الإيراني يؤمن بدور المثقفين وتنظيمات المجتمع المدني والمنظمات الإقليمية والدولية.

أما على مستوى القضايا، فيتم التركيز على قضايا حقوق الإنسان والديمقراطية والتفرقة بين الإرهاب والمقاومة وجميعها قضايا يتم ربطها بخصوصية الرؤية الإسلامية؛ فالديمقراطية هي دينية تربط النظام السياسي بالإسلام ولا تنفصل عنه.

أما بعد السياسات والمؤسسات، فإن المركز الدولي لحوار الحضارات بطهران يلعب دور الآلية المؤسسية الإيرانية الرئيسية العاكسة للنشاط الإيراني في هذا المجال. ثم تشير الدراسة للدور الذي أسهم به برنامج حوار الحضارات في تدعيم الصورة الدولية لإيران كدولة تتغير بشكل يرحب به العالم الغربي، والنجاح في هذا المشروع مثّل نجاحًا للسياسة الخارجية الإيرانية[2].

---

(1) وقد بسطت الدراسة الحديث على طرح مفهوم الديمقراطية الدينية باعتباره ممثلاً للخبرة الإيرانية السياسية عقب الثورة ص ٢٠٨ وما بعدها.

(2) يوصي الباحث بتخصيص دراسة مستقلة للمركز والأبحاث المتعلقة به، لأنها تزداد وتنتشر في ظل ضعف واضح للحضور الخليجي وبقية الدول الإسلامية.

ثانيًا: القوميون والإسلاميون العرب.. إشكاليات الحاضر وتحديات المستقبل:

تبدأ الدراسة بالحديث عن انعقاد المؤتمر القومي / الإسلامي الأول، وكيف أنه لقاء تاريخي مثّل نقلة نوعية في الحراك والحوار السياسي العربي قُطريًّا وقوميًّا. ثم تتناول الدراسة معوقات التفاعل بين الطرفين (الإسلامي والقومي) وكيف يمكن التغلب عليها حتى يحدث الحوار البنّاء بينهما. لتحاول الدراسة بعد ذلك من خلال قراءة لتجربة الأمة تقديم أوجه الاتفاق والتلاقي بين كل من الإسلام والعروبة.

تتبعت الدراسة تاريخ العلاقة بين الإسلام والعروبة منذ ظهور الإسلام وأوضحت أن العلاقة بين الإسلام والعروبة تتميز عن علاقة أي دين بأي أمة؛ مما يجعل أي محاولة للتضاد مع أي منهما تؤدي إلى نتائج كارثية، فالمنطقة العربية تتميز عن سائر ديار المسلمين بالتصدي لقوى الاستعمار والتبشير بكفاءة ملحوظة، كما أن العرب يعودون دائمًا إلى الإسلام كدين وحضارة لمواجهة التحديات الخارجية السياسية والفكرية من منطلق "إذا عز العرب عز الإسلام، وإذا ذل العرب ذل الإسلام"[١].

وعن الإسلام والانقسام القومي، أكدت الدراسة في ضوء التجربة التاريخية عبر القرون الهجرية التالية لسقوط الدولة الأموية أن القول بالوحدة الإسلامية إنما يعني في الواقع العملي تضامن المسلمين؛ لأن أقصى ما يمكن أن يتحقق بين المسلمين دولاً وحركات سياسية إنما هو التضامن والتناصر والاعتماد المتبادل، وبالتالي فلا يتعارض ذلك مع الدعوة للوحدة العربية والمواقف القومية التي تؤمن بأن التكامل القومي والتفاعل وحدوي الدوافع والغايات أدنى ما هو مطلوب من شركاء المسيرة والمصير المنتمين قوميًّا وإن تعددت أصولهم وأديانهم ومذاهبهم[٢]، كما تحدثت الدراسة عن موقف القوميين تجاه الدين بشكل عام والإسلام بشكل

---

(١) يروى هذا الأثر حديثاً، والصواب أنه لايصح. قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: فيه محمد بن الخطاب ضعفه الأزدي وغيره (١/ ١٤٥).

وقال الذهبي في الميزان عن الأزدي: منكر الحديث، وقال الشيخ ابن باز: والحديث ضعيف لا يصح... وفيه علي بن زيد بن جدعان. (ينظر: مجموع فتاوى ابن باز، مرجع سابق (١/ ١٤٦).

(٢) وقد صدرت كتب كثيرة في الحديث عن الدعوة القومية العربية، منها: نقد القومية العربية لابن باز، وهو ضمن مجموع الفتاوى السابق ج١، وينظر القومية العربية تاريخها وقوامها، مصطفى الشهابي، بين الدعوة القومية والرابطة الإسلامية، لأبي الأعلى المودودي، فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، صالح بن =

خاص، وعن القوميين وموقفهم من تطبيق الشريعة.

وتناولت الدراسة الإسلاميين العرب ومواقفهم من العروبة والوحدة العربية والدعوة والحركة القومية.

المحور الرابع[1]:

موضوعات البحوث:

يعالج المحور الرابع الخبرة المصرية في مجال حوار الحضارات، على كل من المستوى الرسمي والمستوى المدني.

وتعالج دراسة السفير نبيل بدر خبرة وزارة الخارجية المصرية في حوار الحضارات من خلال مشاركتها في مشروع حوار حضارات العالم القديم، وتتناول دراسة الدكتورة حنان يوسف دور الإعلام المصري في الحوار بين الحضارات، وتتناول دراسة الدكتور مصطفى منجود خبرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في حوار الحضارات. أما دراسة الدكتور فوزي خليل فقد عرضت لخبرة اللجنة الدائمة في الأزهر للحوار بين الأديان السماوية، وهذا كله على المستوى الرسمي. أما على المستوى المدني؛ فقد عرضت دراسة الأستاذ سمير مرقس لخبرة المركز القبطي للدراسات الاجتماعية، وتناولت خبرة الهيئة الإنجيلية للخدمات الاجتماعية ورقة القس الدكتور أندريه زكي والأستاذة سميرة لوقا، أما خبرة حركة حقوق الإنسان في مصر فقد تناولته ورقة الدكتورة أميمة عبود.

أولاً: زوايا الاقتراب من حوار الحضارات ومشروع حوار حضارات العالم القديم:

تؤكد الدراسة بداية أهمية الدور الحضاري لمصر تاريخيًّا، وأن القاسم الثقافي عميق الأثر الذي امتد عدة قرون يغطي مساحات واسعة من التوجهات الثقافية والدينية والعلاقات بين حضارات وثقافات العالم يؤهل مصر لمكانة متميزة لإدارة الحوار الحضاري والديني، وأن مصر تتمتع بمزايا نسبية في المجال الثقافي بالذات تسبق جوانب أخرى في منظومة علاقاتها الدولية؛

= عبد الله العبود، وغيرها كثير.

(1) من ص ٣٠٥ إلى ٥٠٨.

الأمر الذي يترتب عليه ضرورة التوصل لاستراتيجية ثقافية مصرية تمتد لتشمل دوائر الحوار وتعكس الآفاق العريضة للدور المصري، وتفرد الاهتمام الذي يتناسب مع تحقيق هذا الدور.

ثم تتناول الدراسة مشروع حوار حضارات العالم القديم؛ وكيف أنه كان تطبيقًا عمليًّا من إيران للطرح النظري للرئيس خاتمي عن حوار الحضارات؛ الذي أكد فيه أهمية الحوار للحضارات التي ساهمت في تشكيل الحضارة الإنسانية من خلال استخلاص الجذور والقيم المشتركة وغيرها من العناصر التي من شأنها تعزيز نقاط الالتقاء، ودعت إيران لعقد اجتماع يضم دول الحضارات الأربع القديمة في المنطقة (اليونان، مصر، إيطاليا، إيران) على مستوى الخبراء والأكاديميين والمتخصصين تحت مظلة سياسية كخطوة أولى، واتفقت الدول المشاركة على التركيز على ميراث هذه الحضارات القديمة بهدف التوصل إلى الجوانب الإيجابية التي تحدد التعاون الدولي وتدعمه وتوفر مناخًا أفضل له، كما عكست المناقشات خلال المؤتمرات أبعادًا أخرى للبحث في الموضوع مثل:

- اتفاق الدول المشاركة على أهمية التوثيق والمعلوماتية ومواصلتها.
- الاهتمام بتجارب التفاعل بين الحضارات القديمة ومساهمتها في تشكيل الحضارات المعاصرة (مساهمة الحضارة الإسلامية في مصر وإيران، ومساهمة الحضارة الغربية في اليونان وإيطاليا).
- انتشار ثقافات وحضارات الدول الأربع في مناطق أخرى ودلالات ذلك من حيث التفاعل الحضاري.
- العلاقات بين هذه التطورات والعولمة في جوانبها المتعددة، بما في ذلك منظومة القيم والأخلاق.

ثانيًا: الإعلام المصري: السياسات ونماذج من الخبرات في إطار حوار الحضارات:

تبدأ الدراسة بالتأكيد على أنه في ظل عصر الوفرة الاتصالية التي يشهدها العالم، فإن وسائل الاتصال تلعب دورًا كبيرًا؛ فهي إما أن تكون خير أداة للحوار المتبادل الداعي إلى تحقيق الاستقرار، أو تصبح أقوى وسيلة لتدعيم فرضيات الصدام والصراع بين الحضارات؛ وذلك من خلال تأثيرها الضخم بالفضائيات ووسائل الإعلام على تشكيل الآراء والأفكار

والمعتقدات؛ فهي من الممكن أن تساعد في التغيير الإيجابي وخلق مزيد من التفاهم والود، أو تقوي من الأنماط التحيزية التي يقدمها العالم الغربي عن المناطق والحضارات التي يدرجها في أجندته التصادمية الحضارية، وأن الإعلام المصري ليس ببعيد عن تلك الأطروحات نظرًا للخصوصية المصرية الشديدة، والمزايا النسبية والاستراتيجيات التي تشكل الموقع والدور السياسي المصري التي تعطي لها ثقافة بينية مختلفة، لها ثقلها على الصعيد الداخلي والعربي والدولي؛ مما يجعل المسئولية المصرية القدرية تفرض ملامحها على كافة أوجه الحراك الاجتماعي والثقافي والسياسي للدولة، وفي مقدمتها النموذج الإعلامي المصري.

وفي تناولها لمفهوم الحوار في النموذج الإعلامي المصري، توضح الدراسة أن الحوار في هذا النموذج يمثل أداة مشتركة تمكننا من تحقيق فهم أعمق للذات وللآخر الشريك في الحوار.

وتوضح الدراسة دور الإعلام المصري في التمسك بالذاتية الثقافية لمواجهة القوى الغربية التي تحاول السيطرة والهيمنة العالمية، وتستخدم في ذلك آلية تشويه الصورة العربية الإسلامية عبر التاريخ في وسائل إعلامها المختلفة، محاولة بذلك إشعارنا بالعجز والدونية لنرتمي في أحضان الثقافة الغربية، واتخاذها المثال والنموذج، ونستسلم للهيمنة الثقافية الغربية كما استسلمنا سياسيًّا واقتصاديًّا، وتؤكد الدراسة أن التمسك بالذاتية الثقافية هو أفضل الوسائل لمواجهة الغزو الفكري والقدرة على التفاعل والتعاطي معهم ندًّا لند، في إطار ضوابط ديننا وأخلاقنا ومجتمعنا وثقافتنا الخاصة.

وتتناول الدراسة التحديات التي تواجه وسائل الإعلام العربية الإسلامية، من خلال دراسة الصورة النمطية المشوهة للشخصية العربية الإسلامية في وسائل الإعلام الغربية، وتتبع جذورها التاريخية في العقل الغربي.

كما تتناول الدراسة تحديًا آخر أمام الإعلام يتمثل في حالة التشتت وانعدام الرؤية والهدف التي تعيشها الأمة العربية وتتطلب من كافة الجهات وأهمها الإعلام محاولة تغيير هذه الحالة.

وتوضح الدراسة أهمية الإعلام في تزويد الشعوب بالقيم الثقافية وتشكيل الملامح الحضارية للمجتمع العربي، عن طريق تقديم المعارف وتفسيرها والتعليق عليها مع تكوين الذوق الفني والحضاري، ومع التسليم بأن القضية ليست في رفع مستوى البرامج الاتصالية والإعلامية فقط؛ وإنما في قضية التوجه السياسي والفكري والأيديولجي لهذه الرسائل، وفي

البنية الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يتشكل بها النظام العربي السائد؛ فهذه الوسائل ما هي إلا أدوات أيديولوجية لإعادة إنتاج هذه الأبنية. وتدعو الدراسة إلى ضرورة عمل المؤسسات الرسمية جنبًا إلى جنب مع الفعاليات الأهلية الناشطة فيه؛ فاحتكار المؤسسات الرسمية يضر الحوار ولا ينفعه، كما أن التضارب وعدم التنسيق يبدد الطاقات ويشتت الجهود وينخفض بالنتائج إلى ما دون مستوى المقدمات والتوقعات.

ثالثًا: خبرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية:

وضحت الدراسة أن تأسيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية جاء بهدف نشر الدعوة الإسلامية، وحفظ مصدريها (القرآن والسنة)، والإفاضة بخيرها بما يحقق مصالح الإسلام والمسلمين ويربط بينهم في شتى أنحاء المعمورة، ويحفظ للأقليات المسلمة في الخارج حقوقها وحريتها، ويدفع في الوقت ذاته عن الإسلام الاتهامات الباطلة، لذا فإن تنظيم المجلس بهيئاته ولجانه العلمية المتخصصة معبرًا عن هذه الرسالة، ومن ينعم النظر فيما قام به المجلس عبر مسيرة عطائه التي امتدت قرابة عقود أربعة وما تم تخطيطه لمتابعة ذلك يدرك مدى ثراء هذا العطاء وتنوعه، ويدرك أن بعض لجانه مارست الحوار بشكل أو بآخر، ولكنه ظل حوارًا مرتبطًا برسالة المجلس وغايته.

ولما علا ضجيج نظرية صراع الحضارات في أوائل التسعينيات كان طبيعيًّا أن يتردد صداها في كل مؤسسات العمل الإسلامي المعنية بالحوار مع الآخر، فلا عجب أن نرى موقعًا للحوار بين الحضارات كرد على فكرة الصدام في أنشطة المجلس، وبرزت آلية المؤتمرات العالمية السنوية كأبرز وأهم هذه الأنشطة؛ بل تكاد تكون الآلية الوحيدة في هذا الصدد في ترجمة اهتمام المجلس بقضية الحوار دوليًّا ليس على مستوى المعالجات الفكرية لقضايا الحوار بأبعادها الكثيرة، بل وعلى مستوى ممارسة الحوار ذاته بين الوفود المشاركة في هذه المؤتمرات، على ما هي عليه من تنوع في الجنسيات واللغات والمذاهب الفقهية والفكرية والطوائف والأجناس والنحل، ناهيك عن الأماكن وموطن الإقامة.

وبالنسبة لمفهوم ودلالات الحوار بين الحضارات في رؤية المجلس، فقد وضحت الدراسة أن الحوار مثل القيمة التي ينبغي أن تسود العلاقة بين أبناء كل حضارة في مقابل قيم الصدام والصراع، وأن الدين لا يمكن عزله بحال من الأحوال من هذا الحوار؛ لأن الحوار إذا كان

ظاهرة اجتماعية مركوزة في الفطرة والوجود الإنساني فإن الدين كحقيقة منزلة يرتكز أيضًا فيهما ، كما أن الحوار يُقصد به غالبًا تصحيح الفهم الخاطئ للأديان ، كما أن جوهر أطراف الحوار في رؤية المجلس يدور حول الأنا المسلمة والآخر غير المسلمة ، والمجلس يعتبر الحوار مرادفًا للحياة كما أرادها الله من البشر وللبشر ، فلا حياة إلا بطمأنينة وتعاون وتعارف وقبول للآخر.

وأوضحت الدراسة مبادئ الحوار ومنطلقاته الأساسية في رؤية المجلس ، والشروط التي يجب أن يلتزم بها المتحاورون ، وأهم القضايا التي يرى المجلس ضرورة تناول الحوار لها.

رابعًا: خبرة اللجنة الدائمة للأزهر للحوار بين الأديان السماوية (الفاتيكان ــ الكنيسة الأسقفية):

أبرزت الدراسة أن الحوار بين أصحاب الأديان السماوية يعني تناول القضايا والمشكلات التي تثور فيما بينهم بالتفاهم والإقناع الذي يلفه حسن النوايا لدى كل طرف عن الآخر ، وعلى أساس القيم والمبادئ الأخلاقية التي تتفق عليها هذه الأديان ؛ فهذه هي المساحة المشتركة فيما بينهم ، والتي يمكن أن يستفيد بها المؤمنون بهذه الأديان ويؤسسوا عليها التفاهم والتعاون بينهم لصالح البشرية جميعًا.

فالحوار بين الأديان لا يمس ثوابت الأديان ولا الموقف العقيدي لأصحابها ، وإنما يمس الإنسان ذاته في أعماق نفسه ليزيل الحواجز النفسية التي تعيق قبوله للآخر والتعامل معه فيما يمسهما من مشكلات واقعية.

ثم تناولت الدراسة تاريخ العلاقة بين الأزهر والفاتيكان ، وكيف تأسست اللجنة الدائمة للحوار في الأزهر لتكون أداة مؤسسية تقوم على إدارة وتنسيق علاقات الحوار والتعاون بين الأزهر ، ومؤسسات الحوار بين أصحاب الديانات السماوية ومن بينها الفاتيكان. وبعد تشكيل الأزهر لهذا الإطار المؤسسي اتفق الطرفان (الأزهر والفاتيكان) على تكوين لجنة حوار مشتركة بين كل من "لجنة العلاقات الدينية مع المسلمين بالمجلس البابوي للحوار بين الأديان" ، وبين "اللجنة الدائمة للحوار بالأزهر."

وتمثلت أهم أهداف ومهام اللجنة في الآتي:

- تدعيم المعرفة السليمة للديانتين ؛ لكي يتحقق الفهم الصحيح لعقائد كل ديانة وعباداتها من الطرف الآخر.

- العمل على تحقيق القيم والأهداف المشتركة للأديان السماوية.
- ترسيخ احترام الأديان، خاصة في ظل ازدياد الإلحاد يومًا بعد يوم.
- تشجيع الحوار بين الشعوب كافة من أجل تحقيق السعادة للبشرية، فالحوار هو السبيل لمستقبل السلام بين البشرية.

ثم تتناول الدراسة تاريخ الحوار والتعاون بين الأزهر والكنيسة الإنجليكانية في المملكة المتحدة، وتبرز أهم أهدافها التي تمثلت في الآتي:

- تشجيع (المسيحيين) الأسقفيين على فهم الإسلام الحق، وتشجيع المسلمين على فهم الإيمان (المسيحي) كما يراه الأسقفيون.
- المساهمة في حل المشكلات وإنهاء الصراعات التي تحدث بين المسلمين و(المسيحيين) في بعض أماكن العالم، وتشجيع المصالحة والسلام.
- العمل سويًّا من أجل تحقيق الكرامة الإنسانية ومنع الظلم والاعتداء على الحقوق المشروعة للشعوب.
- تشجيع المؤسسات التابعة للطرفين على القيام بدورها الإيجابي في تحقيق التنمية.

وتدعو الدراسة في النهاية إلى الخروج بهذه الحورات من الدائرة الرسمية العلمية وتفعيلها اجتماعيًّا وتوسيع قاعدتها.

خامسًا: الحوار على قاعدة المواطنة.. خبرة المركز القبطي للدراسات الاجتماعية:

تتناول الدراسة تاريخ تأسيس المركز القبطي للحوار ودوافع تأسيسه؛ حيث قامت مجموعة من الشباب تحت دافع تأثرها بأحداث الفتنة الطائفية في مصر في السبعينيات بتأسيس مجموعة التنمية الثقافية التي عملت تحت مظلة أسقفية الشباب بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية عام ١٩٨٦م؛ وهذه المجموعة هي التي مثلت الأساس للمركز القبطي للدراسات الاجتماعية الذي أنشئ عام ١٩٩٤م؛ حيث إنهما (المجموعة والمركز) يمثلان ذراعي النشاط الثقافي والحواري في الكنيسة القبطية، يكمّل كل منهما الآخر؛ فالمجموعة تعمل بين الشباب على المستوى القاعدي تحت مظلة أسقفية الشباب ويعمل المركز مع النخبة الفكرية والجماعة البحثية المصرية تحت مظلة أسقفية الخدمات.

ثم تتناول الدراسة بعد ذلك الأعمال التي قام بها كل منهما في مجال الحوار بين أفراد المجتمع المصري على قاعدة المواطنة التي تربط فئات الشعب المصري (مسلمين ومسيحيين) بعضهم ببعض.

سادسًا: خبرة الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية.. منتدى حوار الثقافات:

تناولت الدراسة خبرة الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية في حوار الثقافات من خلال إنشاء منتدى حوار الثقافات.

وبينت الدراسة المراحل المختلفة التي اجتازها المنتدى منذ إنشائه والأهداف الاستراتيجية من وراء إنشائه، وأسس ومناهج العمل فيه، والأساليب التي يعمل من خلالها المنتدى ودوره الهام في تفعيل الحوار الثقافي في مصر.

سابعًا: قراءة في خبرة حركة حقوق الإنسان في مصر:

تناولت الدراسة خبرة أربعة مراكز لحقوق الإنسان في مصر؛ وهي المنظمة العربية لحقوق الإنسان، والمنظمة المصرية لحقوق الإنسان، ومركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، ومركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان.

وأوضحت الدراسة أن الخبرة المحلية لمراكز حقوق الإنسان عكست اهتمامها واستعدادها للتعامل مع فكرة حوار الثقافات على المستويين الفكري والحركي، لكن هذه الخبرة لا تعكس مفهومًا متماسكًا لحقوق الإنسان ومبادئها بعيدًا عما هو متعارف عليه في الخبرة الغربية للمفهوم المتمثلة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، لأن مراكز حقوق الإنسان لديها قناعة بأن حقوق الإنسان عالمية حتى وإن كانت نشأتها غربية، ولكنها تشير إلى أهمية ألا يتعارض هذا المفهوم العالمي مع القيم الأساسية التي وردت بالأديان السماوية والثقافة والهوية العربية الإسلامية لسد الفجوة بين عالمية حقوق الإنسان وخصوصيتنا الثقافية العربية[1].

أما فيما يتعلق بفكرة حوار وصدام الحضارات فقد بينت الدراسة أن مراكز حقوق الإنسان أجمعت على وجود خلط في المفاهيم وعدم وضوح وتحديد للمصطلح؛ مما أدى

([1]) سبقت الإشارة إلى الموقف من رؤية الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

للتشخيص الخاطئ الذي ترتبت عليه حلول جوفاء، كما أشارت مراكز حقوق الإنسان في تعرضها للفكرة إلى المغالطات والتأويلات والدعوات الصريحة للكراهية والعداء ضد الإسلام، وأن القضاء على ثقافة الكراهية وإشاعة ثقافة الحوار يكمن في آليات التغيير الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية في العالم الغربي والإسلامي على حد سواء انطلاقًا من مفهوم التراث المشترك والمسئولية المشتركة للإنسانية.

وتوصلت الدراسة إلى أن جميع مراكز حقوق الإنسان تنطلق من قناعة بأن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، ينزع للتعاون وتبادل الأفكار مع غيره من البشر؛ لذا فهم ينادون بالحوار بديلاً عن الصراع.

ومن ناحية فكرة الحوار/ الصدام من حيث مستواها الحركي؛ فقد كان لجميع مراكز حقوق الإنسان مواقفها تجاه العديد من القضايا من خلال مشاركتها في المؤتمرات العالمية ولقاء العديد من الشخصيات الدولية وممثلي المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية.

المحور الخامس[1]:

موضوعات البحوث:

يتناول هذا المحور بعض قضايا الحوار وآلياته؛ حيث تعرض ورقة الدكتورة أماني أبو الفضل قضية المرأة وكيف يتم تناولها في الحوار بين الحضارات، وتتناول دراسة الدكتور محمد يونس الحملاوي قضية اللغة في حوار الحضارات، وتعرض ورقة الدكتورة هبة رءوف للإنترنت كآلية من آليات الحوار بين الحضارات.

أولاً: قضية المرأة في حوار الحضارات.. خبرة لجنة المرأة والطفل بالمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة:

تناولت الدراسة جهود لجنة المرأة والطفل بالمجلس الإسلامي للدعوة والإغاثة في فرض المنظور الإسلامي ذي الخصوصية الشديدة للمرأة والطفل في حوارات الأديان والحضارات، في مقابل فلسفة الجندر (الجنس) السائدة الآن في المنظور الغربي، والتي تسعى إلى الخصوصية والتمايز بين كل جنس عن الآخر وتحول الإنسان إلى مجرد مسخ مشوه فردي خارج عن إطار

([1]) من ص ٥١١ إلى ٥٥٢.

الزمان والمكان والمجتمع ووظيفته البيولوجية.

ثانيًا: اللغة وحوار الحضارات:

توضح الدراسة الدور المهم الذي تلعبه اللغة في العملية الحوارية، وأنه كي نستطيع تمثيل حضارتنا تمثيلاً صحيحًا في هذا الحوار فإننا ينبغي أن نفهم لغتنا ومفرداتها وكيفية تعبيرها عن حضارتنا، واختلاف هذه المفردات عن مفردات أخرى يظن أنها تشابهها في المنظور الغربي. فيتعرض مثلاً للمدلول الدقيق لمفهوم الإرهاب في أصله العربي، وكيف أنه يستخدم في معنى مغاير لهذا الأصل بما يعني الترويع كي يتوافق مع المدلول الغربي له، وهكذا بنفس الطريق يتناول بعض المفاهيم الأخرى (الشورى والديمقراطية، العدل، التراث، الإيمان، التقنية والتكنولوجيا والاحتلال والاستعمار).

وتوضح الدراسة أن معرفة الذات والآخر معرفة جيدة هي الأساس العلمي لحوار فعال ومثمر، وكيف يمكن أن تكون الأقوال آلية مهمة في المواقف السياسية المختلفة، وأن المحاوِر حينما لا يعي مفردات لغة الآخر وثقافته؛ فإنه يلجأ إلى تفسير المواقف من وجهة نظره هو، مما يجعله يصل لنتائج لا تفيده في موقفه أو تعضد رأيه، وهو ما له أكبر الأثر في عدم تفعيل الحوار.

كما تبين الدراسة أهمية فهمنا للغة العربية بصورة موحدة تجمعنا في إطار جامع يشكل هويتنا حتى نستطيع التعبير عن حقيقة ثقافتنا وحضارتنا للآخر، فاللغة هي "وعاء الثقافة".

ثالثًا: حوار الحضارات على شبكة الإنترنت.. تجربة ذاتية ورؤية إنسانية (موقع إسلام أون لاين):

تبين الدراسة دور الإنترنت المهم في عصرنا الحالي في مجال الحوار بين الحضارات من خلال عرض الكاتبة لتجربتها الذاتية وعملها في مجال التحاور مع البشر عبر العالم عن طريق شبكة "إسلام أون لاين" والدور الذي قامت به في تحسين الصورة العربية والإسلامية بعد أحداث ١١ سبتمبر.

وتؤكد الدراسة على أهمية استغلال كل الإمكانات الموجودة في التكنولوجيا في تقديم صورة الإسلام الصحيحة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وتبين أن نهج الحوار الحضاري عبر

الإنترنت أفق مفتوح يحتاج لجهد مخطط للاستفادة منه وتوظيف إيجابياته ودرء سلبياته[1].

(1) ذكر د. الأحمري بعض الحالات الإيجابية للحوار الحضاري عبر الإنترنت، وحذّر من الحالات السلبية التي راح ضحيتها بعض أبناء المسلمين ممن دخلوا بدافع الحوار الحضاري، فارتدوا عن دينهم ((حوار سابق مسجل)) لذا يوصي الباحث بتخصيص هذا الموضوع بدراسة مستقلة، ووضع الأسس والضوابط والآليات للحوار الحضاري عبر الإنترنت.

المطلب الثاني: مؤتمر (نحو إسهام عربي إسلامي في الحضارة الإنسانية المعاصرة) (الأردن ٢٠٠٧م)

موضوع الندوة وهدفها(١):

عقد منتدى الوسطية مؤتمره الدولي الثالث (من ٨ إلى ١٠ من شهر سبتمبر عام ٢٠٠٧م)، وشارك فيه أكثر من (٨٠) شخصية إسلامية عالمية من المفكرين والعلماء من ٢٥ دولة، وقدمت فيه أوراق عمل تناولت محاور المؤتمر. وقد أصدر الباحثون والعلماء والمفكرون في نهاية المؤتمر إعلان عمان للحوار الحضاري.

وكان عقد هذا المؤتمر والعالم يمرُّ بتحولات كبيرة ومتسارعة، وهو ما اقتضى حسب القائمين عليه، طرح الرؤى والخيارات والمسالك الحضارية الملائمة، بعيداً عن أجواء الانفعالات الوقتية أو الحلول الجزئية أو الحماسة المؤقتة التي تندفع بالعاطفة بعيداً عن العقلانية والموضوعية.

وجاء هذا المؤتمر ليؤكد دور الأمة في بناء مشروع حضاري معاصر يستند إلى الأصل ويواكب العصر في متطلباته، لا في أهوائه وشهواته، مشروع الإنسانية التواقة إلى حياة كريمة تصون عزة الإنسان وكرامته، كما جاء هذا المؤتمر لِيُسهم في وضع أسس النهوض بالأمة ويرسم خطط البناء مسترشداً بالأصول والمبادئ الإسلامية.

محاور المؤتمر:

تناول المؤتمر بالبحث والدراسة عدة نقاط أساسية في قضية حوار الحضارات وإسهام الحضارة الإسلامية في الحضارة الإنسانية، حيث تمحورت الجلسة الأولى حول **"مفاهيم المشروع النهضوي"**، وتناولت ورقة العمل الأولى المفاهيم التي أصبحت رائجة في قاموس الصراع الفكري العالمي، مثل (النهضة، الإصلاح، الأصالة، المعاصرة، الحداثة)، ثم تناولت الورقة

---

(١) ينظر:

http://www.wasatyea.org/wasatNew/index.php?option=com_content&task=view&id=٥٤٢&Itemid=٨٠

كما يشكر الباحث اللجنة التحضيرية للمؤتمر التي زودتني بجميع أبحاث المؤتمر وتوصياته.

الثانية موضوع المفاهيم الملتبسة بـ(الديمقراطية، المواطنة، الدولة المدنية، العولمة، العلمانية، في حين كان موضوع الورقة الثالثة (التراث، المرجعية الإسلامية، العقل والنقل).

أما الجلسة الثانية، فقد كانت عبارة عن **"قراءة في واقع العالم الإسلامي ومعوّقات مشروع النهضة"**، حيث تناولت الورقة الأولى المعوقات الداخلية مثل (التخلف العلمي، الفرقة والتجزئة، غياب الحريات، المشكلة الاقتصادية)، وكذا (ضعف الوازع الديني والأخلاقي، التغريب، الجمود الفكري)، وتناولت الورقة الثانية المعوقات الخارجية مثل (العولمة، الاحتكار التكنولوجي والهيمنة الغربية).

كما تناولت الجلسة الثالثة قضية **"مرتكزات مشروع النهضة"**، حيث تناولت الورقة الأولى (مرجعيات مشروع النهضة الإسلامي "القرآن والسنة")، وتناولت الورقة الثانية: (تأصيل العلاقة مع الذات "المسلمون وغير المسلمين في العالم الإسلامي")، كما تناولت الورقة الثالثة موضوع (تأصيل العلاقة مع الآخر خارج نطاق العالم الإسلامي).

أما الجلسة الرابعة، فتناولت بالدراسة **"محددات المشروع الحضاري"**، حيث ارتكزت الورقة الأولى: على بناء التصور السليم (المنطلقات والمقاصد وترتيب الأولويات)، وتناولت الورقة الثانية (الوسائل العملية التطبيقية في مشروع النهضة).أما الورقة الثالثة فتمحورت حول (بناء منهجية البحث العلمي لدى الأجيال الجديدة).

ودارت الجلسة الخامسة حول **"معالم مشروع النهضة"**. فعالجت الورقة الأولى (مشروع الإصلاح التربوي)، في حين عالجت الورقة الثانية (مشروع الإصلاح الإعلامي).

واستكملت الجلسة السادسة أيضا مناقشة موضوع الجلسة الخامسة **"معالم مشروع النهضة"**، فعرضت الورقة الأولى (مشروع الإصلاح السياسي والإداري)، وعرضت الورقة الثانية (مشروع الإصلاح الاقتصادي).

أما الجلسة السابعة، فقد كانت **"قراءة في تجارب نهضوية حية في العالم الإسلامي"**، حيث تناولت الورقة الأولى: (قراءة في تجربة تركيا)، أما الورقة الثانية فكانت (قراءة في تجربة السودان)، في حين كانت الورقة الثالثة (قراءة في تجربة ماليزيا).

هذا، وقد تكونت اللجنة التحضيرية للمؤتمر من: المهندس مروان الفاعوري رئيساً، والأستاذ الدكتور محمد الخطيب نائباً للرئيس. والأستاذ الدكتور محمد القضاة رئيسا للجنة

العلمية، والدكتور ناصر الخوالدة عضوا للجنة العلمية. والدكتور هايل داود رئيسا للجنة الإعلامية. والدكتور ياسين المقوسي عضوا للجنة العلمية.

نتائج المؤتمر

أسفر المؤتمر على إنشاء أرضية بهدف التعايش والحوار الإنساني، وقد سميت (إعلان عمان للحوار الحضاري)، حيث تم التأكيد على أن الإسلام "هو دينُ الحوار والانفتاح على الآخر"، وعلى أنه "ورد في القرآن الكريم دعوات متكررة ومتنوعة للتعارف بين الشعوب وللتعاون على البر والتقوى وكل ما فيه خير الإنسان"، وأن "البشر جميعاً يعيشون على هذه الأرض وينعمون بخيرها ويتفيّؤون ظلها، على اختلاف أجناسهم وألوانهم وعقائدهم".

وأطلق الإعلان باسم "العلماء والمفكرين الذين التقوا في عمّان" ما أسموه "دعوةً واضحةً وصريحةً موجهةً لكل القوى والفعاليات الرسمية والشعبية في العالم العربي والإسلامي وفي العالم أجمع، (من) أن ينطلق الجميع في أفكارهم وممارساتهم من الحرص على تحقيق المصلحة الإنسانية العليا، وأن يجعلوا التعاون على ما فيه خير الإنسانية جمعاء شعاراً لهم، وأن يعملوا بكل جهدهم ليكون الحوار البناء هو السبيل للإفادة من كل الطاقات الإنسانية الخيّرة، وتوظيفها لرفعة البشرية وسعادتها في كل مجال".كما أكد العلماء والمفكرون في هذا الإعلان "أن التنوع الثقافي والاختلاف الديني يجب ألا يكون مانعاً من التواصل والانفتاح بين أبناء المجتمعات الإنسانية، بل يجب أن يكون عامل تنوعٍ وتكامل، ودافعاً للسعي قدماً نحو تحقيق الأهداف المشتركة لما فيه خير البشرية جمعاء"، ودعوا بناء على ذلك كل القوى الفاعلة في الغرب وفي العالم العربي والإسلامي للاستجابة لهذه الدعوة، ولأن يلاقي هذا الإعلان قبولاً لديهم على المستوى النظري والعملي، وذلك من أجل بناء حضارةٍ عالميةٍ راشدة، تَحملُ في جوهرها وتُعبّرُ في تجلياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية عن القيم الإنسانية المشتركة الأصيلة، بعيداً عن جميع ألوان الصراع والتعصب والعنصرية والهيمنة، لتحقيق مبادئ العدل والإحسان على هذه الأرض، ولتنعم البشرية المعاصرة بالوئام والأمن والسلام والاستقرار لأن البشرية بحاجة إلى البقاء والنماء والرخاء والطمأنينة".

كما أوضح الإعلان أن "تاريخ الأمة العربية والإسلامية يؤكد أن هذه الأمة كانت منارةً للتعايش السلمي بين الشعوب والحضارات، عن طريق التواصل الثقافي والحضاري بين

الشعوب المختلفة ، واحترام حقوق الإنسان وكرامته أياً كان دينه أو لونه أو جنسه. ولقد كان الإسلام على الدوام مصدر ذلك النور الذي أضاء طريق البشرية. وسيبقى بحكم خلوده وصلاحيته لكل زمان ومكان مصدراً له إلى يوم الدين[١].

(١) ينظر موقع المنتدى : http://www.wasatyea.org ، وموقع "مداد القلم" الذي نشر الإعلان كاملا على هذا الرابط :

http://www.midadulqalam.info/midad/modules.php?name=News&file=article&sid=٥٣٦

المبحث الثاني

أهم مؤتمرات حوار الحضارات في العالم الغربي

المطلب الأول

مؤتمرات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) في الدول الغربية

التعريف بالمنظمة[1]:

أنشئت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بقرار من مؤتمر القمة الإسلامي الثالث الذي عقد في مكة المكرمة والطائف في يناير عام ١٩٨٢م، وقد تم التصديق النهائي على ميثاقها في مؤتمرها العام التأسيسي بفاس عام ١٩٨٢م ومقرها الرباط بالمملكة المغربية. وتعمل المنظمة الإسلامية في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، وهي منظمة متخصصة في ميادين التربية والعلوم والثقافة.

وتهدف المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إلى نشر القيم التربوية والعلمية والتقنية والثقافية والإنسانية، وكذلك المثل الإسلامية الخالدة، وتسعى في الوقت نفسه إلى مواجهة ما يطرحه العصر من تحديات والحفاظ على الوحدة الثقافية والمميزات اللغوية لشعوب العالم الإسلامي، كما تُسهم في إقامة حوار متوازن بين مختلف الثقافات من شأنه أن يساعد على بناء حضارة عالمية تحترم الهوية الثقافية للجميع.

أبرز مؤتمرات الإيسيسكو في الدول الغربية:

ساهمت "الإيسيسكو" في عقد عدة مؤتمرات مرتبطة بحوار الحضارات في العالم الغربي، لتصحيح الصورة الخاطئة المتعلقة بالإسلام ونظرة الغرب إليه، ومن تلك المؤتمرات نذكر ما يأتي:

---

(1) ينظر: موقع المنظمة (سبق ذكره).

١. مؤتمر الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات (برلين ١٩٩٩م)، وبيان برلين (٢٠٠٠م)[١].
٢. مؤتمر الحوار بين الحضارات والثقافات: الفهم والتفاهم (ليشتنشتاين ٢٠٠٢م).
٣. التنوع في إطار التكامل، ولاية هيسن ـ (ألمانيا ٢٠٠٣م).

مؤتمر الحوار بين الحضارات والثقافات: الفهم والتفاهم (ليشتنشتاين ٢٠٠٢م):

عقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة مؤتمر الحوار بين الحضارات والثقافات: الفهم والتعايش بعد أحداث ١١ سبتمبر الشهيرة، والتي استدعت تحرك كثير من الدول من أجل إرساء معالم حوار حقيقي بين الحضارات من أجل تجنب الصدام الذي بدى موجها من طرف أمريكا وحلفائها من العالم الغربي نحو العالم الإسلامي، بسبب الحرب المزعومة على "الإرهاب".

و سعت الإيسيسكو من خلال هذا المؤتمر إلى تحويل الخطابات النظرية المرتبطة بالحوار بين الثقافات والحضارات إلى واقع عملي، عن طريق ربط القرارات بآليات تسهر على تنفيذ التوصيات.

وخلص المؤتمر إلى إعلان "بيان ليشتنشتاين حول الحوار بين الحضارات والثقافات: الفهم والتفاهم".

بيان ليشتنشتاين حول الحوار بين الحضارات والثقافات: الفهم والتفاهم (٢٠٠٢م) (٢):

استناداً إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بإعلان سنة ٢٠٠١م سنةً للحوار بين الحضارات،

---

(١) ستأتي الإشارة إليه في المطلب القادم.

(٢) ينظر:

http://www.isesco.org.ma/arabe/dialogue/liechtenstein2002/dialogue2002.php?page=/

وتنفيذاً لقرارات مؤتمر القمة الإسلامي، والمؤتمرات الإسلامية لوزراء الخارجية بشأن مساهمة العالم الإسلامي من خلال مؤسساته المتخصصة وهيئاته الحكومية وغير الحكومية، في أنشطة هذه السنة، من أجل إبراز ما يحثّ عليه الإسلام من مبادئ التسامح والتعاون على ما فيه الخير للبشرية، وإظهار ما تزخر به الثقافة والحضارة الإسلاميتان من قيم الإنصاف والعدل والتواصل البنّاء مع الثقافات والحضارات جميعاً،

وانطلاقاً من أهداف المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ التي تدعو إلى التقارب بين الثقافات والتعايش السلمي بين الشعوب، ومواصلةً لجهودها في هذا المجال،

واستلهاماً للمبادئ والرؤى المعبّر عنها في الندوات والبيانات والإعلانات السابقة حول موضوع الحوار بين الحضارات، خاصةً منها (بيان برلين ٢٠٠٠م).

وإيماناً من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ بأن القيمة العملية للخطاب النظري، لا يمكن أن تتحقّق، إلاّ من خلال ربطها بآليات تنفيذية، توظّف المضامينَ السامية والمثلَ العليا لهذا الخطاب، وتترجم مقاصده وأهدافه إلى خطط وبرامج ذات أبعاد ملموسة ونتائج ميدانية،

انعقدت في إمارة ليشتشنتاين يومَيْ ٢٣ و٢٤ من أكتوبر سنة ٢٠٠٢م، الندوة الدولية حول (الحوار بين الحضارات والثقافات: الفهم والتفاهم)، وذلك بالتعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والأكاديمية العالمية للفلسفة، تحت الرعاية السامية لصاحب السمو الأمير ألويس ولي عهد إمارة ليشتنشتاين،

وإذْ يأخذ المشاركون في هذه الندوة هذه المبادئ والأهداف والمعاني والحيثيات بعين الاعتبار،

وإذْ يُراعون المتغيّرات الدولية التي يشهدها العالم، ويدركون جيداً، التحدّيات التي تواجه الحضارات الإنسانية الراهنة،

وإذْ يستشعرون مسؤولياتهم الأخلاقية وواجباتهم الثقافية والتزامهم الفكري تجاه الإنسانية في هذه المرحلة من التاريخ،

يدعون ويؤكدون على:

ـ <u>تعزيز مبادئ الحوار بين الحضارات والثقافات، وترسيخ أسس التعايش السلمي بين</u>

الشعوب والأمم، باعتبار أن الحوار هو اختيار العقلاء ومنهج الحكماء والوسيلة الفعالة لفضّ النزاعات وحلّ المشكلات وإنهاء الأزمات التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية المعاصرة،

- **تأكيد مفهوم التعاون الإنساني القائم على الاحترام المتبادل لتقوية نسيج علاقات التبادل الحضاري والتضامن بين الأمم**، في إطار احترام الخصوصيات الثقافية والاختيارات السياسية والاجتماعية للدول والشعوب طبقاً لمبادئ القانون الدولي،

- **البحث عن صيغ طيّعة ملائمة لربط الأهداف والمضامين النظرية للحوار بين الحضارات، بآليات تنفيذ ووسائل عملية تحقّق الأهداف الإنسانية الشاملة للحوار بين الحضارات**، وذلك في إطار الالتزام بمقتضيات ميثاق الأمم المتحدة والمواثيق والإعلانات والعهود والأوفاق الدولية ذات الصلة،

- **العمل من أجل إضفاء الشرعية القانونية على الحوار بين الحضارات** بحيث يصير الحوار الحضاري أساساً من أسس العلاقات الدولية، وليس مجرد اختيار ثقافي غير ملزم للمجتمع الدولي،

- **يهيبون بالنخب الفكرية والشخصيات الثقافية العالمية، إلى تضافر جهودها لتعميق مفاهيم الحوار بن الحضارات وتوسيع نطاق الدعوة إليه**، والسعي لدى مختلف الدوائر من أجل التأثير على صانعي القرار في دول العالم، للالتزام بالحوار بين الحضارات والثقافات بديلاً عن الصراع بينها الذي يؤدي إلى زعزعة استقرار العالم ويهدّد الأمن والسلام الدوليين،

- يُشيدون **بجهود المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - في مجال إشاعة قيم الحوار بين الحضارات** بإقامة جسور التعاون مع المنظمات والمؤسسات والهيئات الدولية والإقليمية ذات الاهتمام المشترك.

- يوجهون الشكر للأكاديمية العالمية للفلسفة على احتضانها لهذه الندوة وتوفير أنسب الظروف لنجاحها.

مؤتمر "التنوع في إطار التكامل"، ولاية هيسن ــ (ألمانيا ٢٠٠٣م) [1]:

وعقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة مؤتمر "التنوع في إطار التكامل" بمدينة فرانكفورت ، في ولاية هيسن بألمانيا ، وذلك في ٢٩ ـ ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٣م ، وسعى المؤتمر إلى تحقيق الأهداف التالية :

١. تأكيد دور حوار الحضارات في تحقيق التنوع الثقافي.

٢. تأكيد قيم التكامل بين الحضارات باعتباره إطاراً للتنوع.

٣. إبراز المنظور الإسلامي لأهمية التنوع الثقافي في بناء مجتمع إنساني متكامل.

محاور المؤتمر:

كما تم تحديد محاور المؤتمر وفق المواضيع التالية :

١. حوار الحضارات بين النظرية والتطبيق.

٢. التنوع الثقافي والحوار الحضاري من أجل التكامل.

٣. دور الإعلام في دعم الحوار الحضاري بين الثقافات.

٤. تفعيل الحوار بين الحضارات عبر الشراكة في المجال التربوي والثقافي.

٥. المنظور الإسلامي للحوار في خدمة التكامل وتعزيز التواصل الإنساني البناء.

أهداف المؤتمر:

وهدف المؤتمر إلى تحقيق النتائج التالية :

١. توفير وثائق علمية تثري المعرفة الإنسانية في مجال ثقافة الحوار.

٢. إتاحة الفرصة لالتقاء عدد من المفكرين والمختصين من ذوي العناية بموضوع الندوة فكرياً وعلمياً.

---

(1) ينظر :

http://www.isesco.org.ma/arabe/dialogue/germany2003/dialogue2003.php?page=/

- هذا، وقد ساهمت الأيسيسكو في عقد "ندوة دولية حول حوار الحضارات"، في إطار الحوار العربي الأوروبي في مقر اليونسكو بباريس (٢ أكتوبر ٢٠٠٣م)، وذلك بالتعاون مع اليونسكو والألكسو والمجلس الأوروبي واللجنة الوطنية الألمانية لليونسكو.
- كما شاركت الأيسيسكو في الاجتماع التحضيري للمنتدى السنوي للتحالف بين الحضارات المنعقد في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، وذلك يوم ١٤ ديسمبر ٢٠٠٧.
- وشاركت الأيسيسكو في المنتدى الأول لتحالف الحضارات بمدريد، في إسبانيا، يومي ١٥ و١٦ يناير ٢٠٠٨م، وقد ألقى المدير العام للمنظمة كلمة في الجلسة الوزارية للمنتدى، كام قام بتوقيع مذكرة تفاهم وبرنامج عمل مع المندوب السامي للأمم المتحدة لتحالف الحضاراتجورج سامبايو[1].

([1]) لمزيد من الإطّلاع على نشاطات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، تراجع وثيقة المنظمة (دور المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في تعزيز الحوار بين الحضارات)، وتوجد منه نسخة على الرابط التالي:

%http://www.isesco.org.ma/arabe/dialogue/documents/Dialogue%20paper Arabe%202008.pdf02

المطلب الثاني

مؤتمر برلين (١٩٩٩م)، وبيان برلين (٢٠٠٠م)

دعا الرئيس الألماني (رومان هيرتسوج) إلى عقد مؤتمر دولي استجابة لنداء المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وذلك في العاصمة الألمانية برلين للحوار بين الحضارات والثقافات، ووجه الدعوة إلى عدد من رؤساء الدول والسياسيين والمفكرين في العالمين الإسلامي والغربي، وتم عقد اللقاء في ٢٣/ ٤/ ١٩٩٩م على مستوى المراكز البحثية المتخصصة توطئة لعقد اللقاء في عام (٢٠٠٠م)، والذي صدر عنه بيان برلين.

وهذا المؤتمر الذي لقي دعماً سياسياً كان برعاية ونداء من المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، حيث سعت من خلاله لإبراز أهمية الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات، والدور الإيجابي الذي ستعكسه على ازدهار العالم بأسره، بإشاعة ثقافة السلم والتسامح البعيدة عن التطرف والهادفة إلى فهم "الآخر" بإرساء معالم الحوار الموضوعي.

وقد خلص المؤتمر إلى إصدار "بيان برلين حول الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات"، وسأشير إلى هذا البيان لارتباطه الكبير بموضوع المبحث.

<u>بيان برلين حول الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات [1]:</u>

استناداً إلى قرارَيْ الجمعية العامة للأمم المتحدة بإعلان سنة ٢٠٠٠م، سنةً لثقافة السلام، وسنة٢٠٠١م، سنةً للحوار بين الحضارات.

وبالتعاون بين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ ، ورابطة العالم الإسلامي، ومؤسسة الإمام الخوئي الخيرية، وتحت إشراف المنظمات الثلاث، وبدعوة منها، تم في برلين عاصمة جمهورية ألمانيا الاتحادية، يوم الخامس من يوليو سنة ٢٠٠٠ م، عقد ندوة دولية حول موضوع (الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات).

---

(1) ينظر:

http://www.isesco.org.ma/arabe/dialogue/berlin2000/dialogue2000.php?page=/

وإننا نحن المشاركين في هذه الندوة.

وتعزيزاً لمفهوم الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات، وسعياً من أجل بناءٍ حضاريٍّ متكامل، وتأكيداً للإرادة المشتركة التي تحدونا جميعاً في الإسهام، من خلال تضافر جهودنا، في سبيل صناعة المستقبل المزدهر للإنسانية.

وانطلاقاً من تشبّعنا بالقيم الإنسانية وتشبّثنا بمبادئ القانون الدولي التي تستلهم روح الحضارات والثقافات الإنسانية المتعاقبة عبر العصور.

والتزاماً منا بالواجب الإنساني تجاه أجيال المستقبل وكفالةً لحقها في الحياة الحرة الكريمة على هذا الكوكب في ظل قيم الحق والخير والسلام.

وإسهاماً منا في دعم جهود المجتمع الدولي المبذولة على أكثر من صعيد، من أجل إقرار الأمن والسلم في العالم، وإشاعة روح التسامح والتعايش بين الشعوب والأمم، من خلال تعزيز الحوار الموضوعي النزيه بين الحضارات والثقافات.

فإننا نؤكد على المبادئ التالية:

أولاً: إن **الحوار ضرورةٌ حتميةٌ وواجبٌ إنساني وشرطٌ مؤكدٌ للتعايش السلمي بين البشر**، وهو يتطلب، فضلاً عن التكافؤ بين الإرادات، الالتزامَ بالأهداف التي تعزّز القيم والمبادئ الإنسانية، التي هي القاسم المشترك بين جميع الحضارات والثقافات.

ثانياً: إن **الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات، يُسهم، بدرجة كبيرة، في التقارب بين الشعوب والأمم**، وفي إزالة الحواجز المتراكمة من سوء الفهم المتبادل ومن الأفكار المسبقة القائمة على أسس غير صحيحة، والتي تختزنها الذاكرة الشعبية لثقافة شعب من الشعوب عن ثقافة شعب آخر، **مما يجعل من مواصلة الحوار وتوسيع دائرته، رسالةَ النخب الفكرية والكفاءات الثقافية والعلمية، ومسؤوليةَ المهتمين بالمصير الإنساني**.

ثالثاً: إن تحقيق فعالية أكبر وجدوى أعمق للحوار بين الحضارات والثقافات **يقتضي التوسّع في إقامة منتديات عالمية تتوزَّع على أكثر من منطقة وإقليم**، تقوم على مبادرات من المؤسسات والمنظمات ذات الاهتمام المشترك، ومن الجامعات والمحافل الثقافية

والأكاديمية، على أن تُكرِّس جهودها لإشاعة قيم الحوار والتعايش، بما يمهد السبل نحو التقارب والتفاهم، تعزيزاً للروابط الإنسانية التي تجمع بين الشعوب والأمم.

رابعاً: ضرورة مواصلة التعاون في إقامة المزيد من الندوات الإقليمية والدولية حول الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات، ومدّ أسباب التواصل مع المنظمات والهيئات والجامعات الغربية، للمشاركة في هذا التعاون، تحقيقاً للمصلحة الإنسانية المتبادلة، وتعميقاً للتعاون الدولي في هذا الاتجاه الفكري والثقافي الحيويّ.

خامساً: إنَّ الحوار بين الثقافات والحضارات، لا ينبغي أن تطغى عليه النزعة التاريخية، بحيث يبقى محصوراً في معالجة القضايا التي لا تمتّ إلى روح العصر بصلة، وإنما على هذا الضرب من الحوار، أن يهتم بالموضوعات التي تشغل الإنسانية وتؤرّق ضميرها، ويبحث لها عن حلول وتسويات مستلهمة من روح الحضارات والثقافات.

سادساً: الحرص على أن يقوم الحوار بين الحضارات والثقافات على قاعدة الاحترام المتبادل بين المنتسبين لهذه الثقافات والمنتمين لهذه الحضارات جميعاً، ويحمي مبادئ الحق والعدل والإنصاف، ويكون دافعاً مساعداً لمساعي المجتمع الدولي من أجل تعميق التسامح واستتباب الأمن والسلام والتعايش الثقافي والحضاري الشامل بين البشر.

وقد أثمرت هذه المؤتمرات – كما سبق – في تغيير بعض النظرات الغربية إلى العالم الإسلامي، بل إن ألمانيا عينت السفير جونتر مولاك مفوضاً خاصاً لحوار الحضارات بوزارة الخارجية الألمانية والذي دعا إلى إشراك الإعلام في الحوار الحضاري، والاهتمام بالشباب، وأكد أن عدداً من الدول الغربية ستحذو حذو ألمانيا في تعيين مندوبين لها في وزارات الخارجية من أجل حوار لحضارات[١].

ويمكن القول إن أحد أهم الشواغل لهذا المؤتمر هو التغلب على التحيز والقوالب النمطية وصور العداء الموهومة، بل إن أغلب ما دار في المؤتمر يؤكد على الرفض التام لصدام الحضارات، كما طرح المؤتمرون من المسلمين عدداً من القضايا والاهتمامات الكبرى التي أدت إلى السؤال

---

(١) لقاء موسع في جريدة الأهرام المصرية ١٦/٤/ ٢٠٠٥م.

ينظر أيضاً: موقع المؤتمر:

www.web_fu_berlin.de.

والبحث، مثل العلاقة بين الدين والدولة، وماهية العلمانية، وحالة الأقليات المسلمة وغيرها من الأمور التي جعلت كتاباً غربيين ينقلون رؤية هؤلاء العلماء والمفكرين المسلمين عبر مقالات طويلة في كبرى الصحف الغربية[١].

# # #

(١) مقال للدكتور: هانير بيلفيلدت، وهو منشور ومترجم، حيث أشاد ببعض أوراق العمل التي قدمها مسلمون مشاركون في المؤتمر، ينظر المقال باللغة الإنجليزية على موقع:

www.flwi.ugent.be

وعنوان المقال: ((مستقبل العلاقات بين المجتمعات الغربية والإسلامية)).

المطلب الثالث

منتدى براغ (٢٠٠٠م)

براغ عاصمة جمهورية تشيكوسلوفاكيا، وينسب المؤتمر إليها لأنه عقد فيها، إذ تأسس المنتدى في عام (١٩٩٦م) كمبادرة مشتركة من الرئيس التشيكي فاكلاف هافل، والياباني يوهي ساساكاوا، والفائز بجائزة نوبل للسلام إيلي ديزل.

بعد ذلك عقد المؤتمر الأساس عام (٢٠٠٠م) فسمي منتدى براغ بذلك العام لأن أشهر وأهم المؤتمرات عقدت فيه[١].

يجتمع سنوياً في هذا المنتدى مجموعة من المثقفين والمفكرين والعلماء على اختلاف مشاربهم وتنوع تخصصاتهم لكي يتحاوروا بشكل نقدي حول مشكلات الديمقراطية والصراع الحضاري، كي يصلوا إلى الإجابات المناسبة للأسئلة التي تطرح تلك المشكلات.

وقد حاولت مؤتمرات منتدى براغ (٢٠٠٠م) استطلاع المشكلات الخفية والبحث عن التنمية والقيم الروحية والمشتركات الإنسانية كما استطاع المنتدى أن يصوغ نهجاً جديداً لمناقشة مشكلات العولمة يتسم بالتركيز على القيم الروحية والثقافية والدينية[٢].

هذا وقد ناقش المؤتمر أربع مشكلات رئيسة هي[٣]:

١- **ضرورة صياغة حد أدنى أخلاقي:** يتميز القرن العشرين بظاهرة العنف التي يخشى أن تمتد لقرن آخر، لذا كان من الضروري تحديد حد أدنى من القيم والتعامل ينبغي أن تلتزمه الحكومات والشعوب لإزالة صور متعددة من المعاناة الإنسانية وتحويل الموارد من شراء السلاح

---

(١) www.osce.org

(٢) مقال باللغة الإنجليزية بعنوان: (The Prague Declaration). (إعلان براغ).

وقد قمت بترجمة بعض بنود الإعلان وأوردت أهمها:

www.old.hrad.cz.com

(٣) الحوار الحضاري في عصر العولمة، السيد ياسين، مرجع سابق (١٢- ٢٢) وقد عرض مبادئ المؤتمر، وشرح أهم الإيجابيات فيه.

والاستهلاك الترفي لتصب في مكافحة الفقر والمرض.

٢- **الفعالية لاقتصاد العولمة:** رأسمالية العولمة خلقت العديد من المشكلات من بينها أن المستفيدين منها هم خمس سكان العالم على حساب استغلال أربعة أخماس سكان العالم.

٣- **الديمقراطية على النطاق العالمي:** ويقصد بها المشاركة في التعبير والحقوق السياسية وفي معناها العام احترام حقوق الإنسان وعدم التمييز ضد الأقليات.

٤- **رأس المال الاجتماعي والتنمية البشرية:** اقتصاد العولمة يكون ضاراً إذا لم يسهم في زيادة رأس المال الاجتماعي، ويوسع فرص الحياة المتاحة أمام الناس.

وقد انتهى المؤتمر بإعلان براغ الذي تضمن ستة عشر مادة لتصحيح مسار العولمة في الجوانب الثقافية والحضارية، ومن أهم هذه المواد:

- التضامن والعدالة بحيث تُضمن حقوق من لا يستطيعون الاشتراك في عملية العولمة والمنافسة العالمية مع تأكيد الحصول على الحد الأدنى.
- التسامح وحماية الاختلاف والتنوع الثقافي والديني وحماية الضعفاء من السكان والأقليات.
- البحث عن القواسم المشتركة بين الأديان لأنها توفق بين الثقافات وتساعد في بناء الأخلاق.
- التعليم للجميع، وإشاعة ثقافة الحوار، واحترام الثقافات الأخرى.
- الدعوة إلى إصلاح الهيئات والمنظمات العالمية لتقوم بدورها الفاعل في حماية حقوق المستضعفين.
- مسؤولية وسائل الإعلام في عدم نشر وتكريس المعلومات الكاذبة، والصور النمطية عن الأديان.

وما تزال المؤتمرات واللقاءات تعقد في منتدى براغ، ويحضرها عدد كبير من المفكرين والسياسيين والمهتمين بالشأن الحضاري، وإن كانت بعض المؤتمرات تأخذ طابع التخصص، مثل المؤتمرات الاقتصادية أو غيرها[١].

---

(١) تسجيلات الفيديو للمؤتمر ومناقشات وتقرير المؤتمر متاحة على موقع المنتدى لعام (٢٠٠٠م):

www.forum2000.cz.com

الخاتمة

وأهم التوصيات

الخاتمة

من خلال أبواب هذا البحث الأربعة، حاول الباحث أن يوضح مفهوم "حوار الحضارات" وان يعرض لآراء الناس فيه، حيث بيّن أن النزاع الحاصل في حكمه الشرعي وما ارتبط به من أحكام ولوازم كان الخلافُ في تصوره وتحديد ماهيته هو سَبَبَهُ الرئيس، ولهذا انطلق البحث من مشكلة مفادها "محاولة بيان وتوضيح مفهوم حوار الحضارات والعمل على كشف المواقف المتنوعة تجاهه تبعاً للاختلاف في تحديد مفهومه"، ورأينا كيف التبس مفهوم "حوار الحضارات" إلى درجة جعلت بعضهم يخلطون بينه وبين "تقارب الأديان"، مما استدعى وضع ضوابط وفوارق يمكن من خلالها إدراك أوجه المغايرة بين الفكرتين بما ينفي عنهما صفات التلازم والتطابق.

ومن جانب آخر، أدت دعوات الانفتاح وضغط الواقع إلى بروز طائفة تدعو إلى "حوار الحضارات" دون ضوابط عقدية شرعية، وفق ما ورد مفصلا في الكتاب والسنة وتفصيل أئمة العلم الذين تناولوا بالحديث مفاهيم الولاء والبراء وأسس الحوار مع المخالف وضوابط مجادلة أهل الكتاب وكذا "الآخر" بصفة عامة، وقد أردفت هذه الخاتمة بتوصيات من شأنها أن تساهم في تحديد التصور الصحيح لهذا المفهوم وتضبطه بالضوابط الشرعية، حتى لا يضيع بين الغالين والجافين.

وبناء على هذا، سعى الباحث إلى تحرير مفهوم حوار الحضارات وإزالة كثير مما أحاط به من اللبس والشبهات، وذلك ببيان أصوله وضوابطه الشرعية ومجالاته وآثاره، كما تعرّض لشرح المصطلحات التي لها ارتباط وثيق بالموضوع، مثل "الحوار" و"الحضارة" إفرادا وتركيبا. ثم عرج بالحديث على بيان الأهداف المرجو تحقيقها من الدعوة إلى حوار الحضارات، وكذا توضيح أصول هذا الحوار العقدية، وضوابطه، ومجالاته، والآثار الناتجة عنه، سواء تعلق الأمر بالعالم الإسلامي أو العالم الغربي، ثم الحديث عن أبرز

مراكز حوار الحضارات في العالمين الإسلامي والغربي، وأبرز المؤتمرات التي عُقدت من أجل ذلك. كما اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي في بيان حقيقة حوار الحضارات، والمنهج النقدي في الحديث عن ضوابط هذه الحوار وأصوله وأهدافه ومجالاته، والمنهج الاستقرائي في سرد الأدلة الشرعية ذات الارتباط بالموضوع.

وقد ذكرن الباحث في بدايات البحث أن موضوع الدراسة هذا جديد نسبيا، ولهذا كانت المصادر التي تناولته بالبحث والدراسة قليلة، إضافة إلى غياب المزاوجة بين العمق الشرعي والفكري بالنسبة لكثير منها، ولهذا كان تصحيح المفاهيم وضبطها بالضابط الشرعي هنا مدعاة إلى دفع كثير من التهم التي ألصقت بالإسلام، بسبب سوء تأويل بعض المنتسبين إليه، وسوء نية بعض الدوائر الغربية المعادية له، إضافة إلى محاولة البحث عن بديل ينضبط بالضوابط الشرعية لمواجهة ما عُرض في دوائر صناعة الرأي الغربي باسم "صراع الحضارات"، حيث أُقحم الإسلام في قلب هذا الصراع بدعوى "محاربة الإرهاب".

خصص الباحث الباب الأول من البحث لدراسة "الأصول والضوابط العقدية لحوار الحضارات"، حيث تناول في الفصل الأول الأصول العقدية لحوار الحضارات، وبيّن جواز الحوار مع الكافر بضوابط، ومبدأ عدم الإكراه في الدين كما قررته نصوص الشريعة، كتابا وسنة، وتحدث عن وحدة الأصل الإنساني بما يقتضي العدل والمساواة المبدئية بين البشر، وهو ما يعني حقهم في الحرية، بضوابطها المفصلة في مكانها من البحث. كما تناول في الفصل الثاني المباحث المتعلقة بـ"الضوابط العقدية لحوار الحضارات"، وعرّج إلى ذكر مفهوم الولاء والبراء كما تقرره العقيدة الإسلامية، وأهميته بالنسبة للمسلم كشكل قوي من أشكال المناعة الداخلية لتجنب ذوبان الثقافة الإسلامية في الثقافات الغربية التي تتناقض في جوانب مع المفهوم الإسلامي الأصيل، وأكد أهمية العدل في حوار الحضارات وكذا الأخوة الإيمانية والعزة والمداهنة، وضوابطها الشرعية أثناء الحوار مع الآخر.

أما الباب الثاني، فخصص لدراسة "أهداف حوار الحضارات"، وقسمت الأهداف إلى دينية وثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية، مع تناول كل هدف بالتفصيل.

لقد اتضح من خلال البحث أن من وراء حوار الحضارات أهدافا شرعية مميّزة يجب

أن لا تغيب عن أعين كل مُحاوِر مسلم، ومن ذلك تعزيز مفهوم الولاء والبراء في قلوب المسلمين، والتركيز على الدعوة إلى الإسلام وإبراز محاسنه ودفع ما علق به من شبهات، ومن أبرز هذه الشبهات في عالم اليوم مفهوم "الجهاد" الذي تعمدت كثير من قوى الهيمنة الغربية ربطه بـ"الإرهاب"، كما أن هذا الحوار يجب أن يُستغل في مواجهة الحملات التنصيرية بأشكالها الجديدة التي تهدد العالم الإسلامي، ومن ذلك مختلف أنواع الغزو الثقافي والفكري واللغوي والنفسي الذي يُصدّر إلينا من خلال وسائل الإعلام، وعبر الفضائيات تحديدا.

كما اتضح في هذا الباب أهمية الأهداف الأخرى في حوار الحضارات، ومن ذلك الأهداف الثقافية التي ينبغي أن نسعى من خلالها إلى نشر ثقافة الحوار الصحيح بين المسلمين فيما بينهم أولا، وبين المسلمين وغير المسلمين ثانيا. وكذا الأهداف الاجتماعية التي تركّز أساسا على المحافظة على بنية المجتمع الإسلامي ودفع الشبهات المثارة حول الأسرة والمرأة على وجه التحديد، والتي يطلقها خصوم الإسلام في صورةحملات دعاية مغرضة تهدف إلى تشويه سمعة الإسلام والحط منه والوقوف صفا في وجه الجحافل الباحثة عن السلام النفسي، والتي لا تجد في غير الإسلام الملجأ الصحيح والسند القويّ. وركّزالباحث في مبحث الأهداف السياسية على قضية منع تولي غير المسلم مناصب قيادية بين المسلمين، وهذا من شأنه أن يعزز مفهوم الدولة الإسلامية بمعناها الصحيح، لا المعاني التي ألصقت بها من الغلاة والجُفاة.

وفيما يخص الأهداف الاقتصادية، تحدّث عن تطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي الذي يرتكز على تحريم الربا ومنع الاحتكار وتعميم الاستفادة من الثروات وكذا التكافل الإنساني، وذلك بغرض التحرر من التبعية الاقتصادية للعالم الغربي وتعزيز الاستقلال الاقتصادي في العالم الإسلامي. وقد شاهدنا كيف بدأ الخبراء الاقتصاديون أنفسهم يطرحون بعض مفاهيم الاقتصاد الإسلامي كبديل عن الاقتصاد الرأسمالي الذي قاد العالم نحو أزمة مالية خانقة وأثبت هشاشته وفتح الباب واسعا أمام كوارث اقتصادية قد تؤدي إلى كوارث اجتماعية وسياسية.

وفي الباب الثالث من هذا البحث، تناولت الدراسة "مجالات وآثار حوار الحضارات"، حيث تحدث

عن المجال الديني والثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي التي تندرج كلها كمحاور مهمة في موضوع "حوار الحضارات". ثم انتقل بعدها للحديث عن "آثار حوار الحضارات على الحضارة الإسلامية" أولا، ثم "آثار حوار الحضارات على الحضارة الغربية" ثانيا.

وخصص الباب الرابع للحديث عن "أهم مراكز ومؤتمرات حوار الحضارات في العالم الإسلامي" وكذا "العالم الغربي"، وتناول بالعرض المركز الأردني للدراسات والمعلومات، ومركز الدراسات السياسية والإستراتيجية في القاهرة، ومركز حوار الحضارات في إيران، ومركز آدم لحوار الحضارات، ومركز الأبحاث والدراسات في حوار الحضارات والأديان المقارنة، وكذا منتدى الوسطية للفكر والثقافة، وهذا فيما يخص العالم الإسلامي. أما في العالم الغربي، فعرض مشروع حوار الحضارات في اليونيسكو وكذا مجلس برلمان أديان العالم، ومنظمة التحالف العالمي في برشلونة.

كما تناول في هذا الباب بالعرض أهم مؤتمرات حوار الحضارات التي عُقدت في العالمين: الإسلامي والغربي، مثل مؤتمر حوار الحضارات في القاهرة، ومؤتمر حوار الحضارات في الأردن، ومؤتمرات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة "الإيسيسكو" التي عقدتها في الدول الغربية، مثل مؤتمر الحوار والتعايش بين الحضارات والثقافات (برلين ٢٠٠٠)، ومؤتمر الحوار بين الحضارات والثقافات: الفهم والتفاهم (ليشتنشتاين ٢٠٠٢)، و"التنوع في إطار التكامل"، ولاية هيسن ـ (ألمانيا ٢٠٠٣).

ثم عرض لبعض المؤتمرات المتخصصة في حوار الحضارات التي نظمتها الدول الغربية، وذكر على سبيل التمثيل مؤتمر برلين (١٩٩٩) ومنتدى براغ (٢٠٠٠).

وبعدما تحدث الباحث عن الجوانب المشار إليها في هذا العرض، خلص إلى توصيات يرى أنها أبرز ما يمكن اتخاذه كأرضية تحدد المفاهيم الملتبسة بـ"حوار الحضارات"، والطرق المثلى التي تمكّن العالم الإسلامي من الاستفادة منه لدفع الشبه وعرض حقائق الإسلام

ورفع الضرر عن المسلمين مع التأكيد على جملة من الوسائل والاساليب التي تعتبر توصيات عامة سيقت في المجالات والأهداف والأسس .

والله الموفق ، وهو نعم المولى ونعم النّصير. والحمد لله رب العالمين.

التوصيات

بعد عرض فصول البحث، يَخلُصُ الباحث إلى جملة من التوصيات التي يعرضها هنا على النحو التالي:

أولاً: من الناحية الشرعية:

١. مصطلحا "حوار الحضارات" و"حوار الأديان" حادثان ولم يكونا معروفين لدى العلماء القدماء، ولهذا لمّا ظهرا إلى الوجود وقع الخلاف الشرعي في حكمهما، بسبب الخلاف في تحديد تصورهما وماهيتهما، حيث كان لفظ "الحوار" يختلط ضمنا بلفظ "تقارب الأديان"، وهو ما جعل كثيرا من العلماء يقفون موقف الرافض، أو المتحفظ على الأقل، من هذه الدعوة، حيث اعتبروها دعوة مصادمة للشريعة الإسلامية لما فيها من مظاهر تقديم التنازلات لغير المسلمين، مع أن عقيدة الإسلام قطعية. وبسبب هذا التداخل والغموض الذي شاب المصطلح، نُشرت دراسات رافضة لكل شكل من أشكال الحوار، باعتباره أمرا مخالفا لشريعة الإسلام، كما نُشرت بالمقابل دراسات مجيزة للحوار والتقارب بإطلاق، دون أن يُحرر كلا الفريقين المعنى الحقيقي لهذه المصطلحات الحادثة، ليتم بناء الأحكام الشرعية الصحيحة عليها. وبناء على هذا، **يوصي الباحث بضرورة تبني المجامع العلمية الشرعية المعتمدة لتعريف دقيق وواضح يرفع الالتباس ويبيّن الفرق بين هذه المصطلحات الحادثة، من أجل التوصل إلى معرفة الأحكام الشرعية الصحيحة المرتبطة بها، وما ينبني عليها.**

٢. "حوار الحضارات" يتقاطع مع دعوات التقارب بين الأديان، في الشكل، بسبب اجتماع مختلف الحضارات وأتباع الديانات على طاولة الحوار لمباحثة القضايا المشتركة، لكنّ الحوار لا يعني بحال تقديم تنازلات فيما هو من صلب عقيدة الإسلام وشريعته، بقدر ما هو محاولة مدّ الجسور بين مختلف البشر الذين يجمعهم عالم واحد،

من أجل فهم دقيق للمشاكل التي تعاني منها البشرية، والعمل على إيجاد حلول متوازنة لقضايا الأمم والحضارات المشتركة.

لذا يرى الباحث ضرورة التأكيد الشرعي على ثوابت العقيدة حال الحوار، وبيان أهم أهداف الحوار ومجالاته لتكون مرجعاً يهتدى به حال الحوار مع الآخرين.

٣. التواصل بين الحضارات أمر لا يُصادم الشريعة، بل يتماشى معها بشدة، لأن إحدى الغايات الإلهية في تنوع الأجناس والثقافات هي التعارف والتواصل، وقد قال الله تعالى: â**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**á [الحجرات: ١٣]. قال ابن كثير: «فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضًا، منبها على تساويهم في البشرية: â**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**á؛ أي: ليحصل التعارف بينهم، كلٌ يرجع إلى قبيلته»[(١)].

فيوصي الباحث علماء الشريعة والمهتمين بجوانب الحوار أن ينشروا ثقافة الحوار الصحيح المبني على أسس شرعية وقواعد منضبطة.

٤. دعوات "حوار الحضارات" غالبا ما كانت تأتي بأوامر فوقية غربية، ولذلك تفقد كثيرا من مصداقيتها بسبب محاولة القوي فرض تصوراته للحياة على الضعيف، ولا تكون جلسات الحوار إلا تجمعات يفرض فيها القوي على الضعيف مزيدا من التنازلات، **ولهذا يوصي الباحث بتبني الدول الإسلامية لمؤتمرات الحوار والعمل على وضع**

(١) تفسير ابن كثير، مرجع سابق (٦/ ٢٠٨).

تصورات إستراتيجية من شأنها توجيه الحوار إلى معانيه الصحيحة، لا مجرد شكليات يريدها الغرب لفرض قناعاته.

٥. كذلك، يرى الباحث أن في اللقاءات التي تُعقد من أجل حوار الحضارات خيرٌ كثيرٌ، **حيث تتوفر إمكانية استغلال هذه المنابر لدعوة الناس إلى الدين الحق، عن طريق تقديم الإسلام بوضوح وبلا وسائط قد تتعمد التشويه أو الإجحاف في عرضه**، وهو ما يفتح قلوب الناس وعقولهم إلى معرفة الإسلام الذي يتعرض إلى تشويه كبير من طرف الدعاية الغربية التي تربط بينه وبين الإرهاب.

٦. يوصي الباحث أيضا بإدراج وزارات التربية والتعليم في العالم الإسلامي لمقررات دراسية تبيّن أهمية الحوار في العالم، مع مختلف الحضارات، وفق المنظور الإسلامي، حتى تنشأ ثقافة جماعية هادفة وراشدة تزن موضوع الحوار بميزانه الشرعي الصحيح، فلا تنساق وراء الدعوات المتطرفة التي ترفض الحوار جملة وتفصيلا، كما لا تنساق وراء دعاوى الحوار التي تفتح الباب على مصراعية من أجل تقديم التنازلات بطريقة لا يُقرها الإسلام، وهو المحرك الحضاري الأول والأساسي للعالم الإسلامي.

٧. الحوار مع الآخر، وهو غير المسلم، يستدعي بالضرورة، وكخطوة أولية، الحوار مع المسلمين داخل المجتمعات الإسلامية من مختلف المذاهب، من أجل إيجاد صيغة للتعايش في إطار المجتمع الواحد، بعيدا عن الفرقة والعنف والحروب الطائفية التي تزعزع استقرار الدول وتوقف مسيرتها التنموية.

٨. التأكيد على أهمية القيم الإسلامية في تحقيق كرامة الإنسان وإقامة العدل وتحقيق التعايش الآمن بين المجتمعات البشرية من الكوارث، والفقر، والجهل والتدهور الأخلاقي، وهي آفات تهدد المجتمعات العالمية بأسرها.

٩. توظيف الرصيد الشرعي لدى المملكة العربية السعودية لكونها بلد الحرمين الشريفين، لتكون قائدة العالم الإسلامي نحو حوار حضارات فعّال يستمد قيمه من عمق الشريعة الإسلامية والرصيد التاريخي للمسلمين.

ويوصي الباحث أن يتم تبني ورقة عمل مؤصلة تصدر عن المملكة لتكون مرجعاً لحوار الحضارات، ولعل رابطة العالم الإسلامي هي الجهة المناسبة لإصدار هذه الوثيقة الثابتة.

ثانياً: من الناحية الإعلامية:

١٠. يعتبر الباحث أن الإعلام هو عصب الحياة اليوم، لأنه الأرضية التي تُدار فيها جميع المعارك الفكرية والأيديولوجية في العالم، وقد كان لتداعيات ١١ سبتمبر بُعد إعلامي كبير ساهم في إعادة تشكيل الثقافة الذهنية في العالم، ولهذا يوصي بضرورة متابعة قضايا الحوار في العالم الإسلامي والغربي عبر تخصيص حصص تلفزيونية عبر شاشات الفضائيات، وكذا المتابعات الميدانية في الصحف والمجلات، وعلى شبكة الأنترنت، وعبر أمواج الأثير الإذاعي، لتوعية الناس بأهمية هذا الموضوع وتوجيه الرأي العام إلى التعامل معه بإيجابية.

١١. كما يوصي الباحث بضرورة فتح الإعلام أمام المرجعيات الدينية من العلماء والدعاة، لتوضيح القضايا الشرعية لمثل هذه المبادرات، من أجل ضبطها بضوابط الشرع الحنيف، تجنبا لأي انزلاق في اتجاه الإفراط أو التفريط.

١٢. إنشاء قناة فضائية عربية إسلامية بلغات حية، يبث إرسالها في كل من أوربا وأمريكا، وتخصيص القناة في دعم المشروع الحضاري والحوار بين الحضارات.

١٣. إنشاء مجلة دورية باللغات الحية، تنشر في كل من أوربا وأمريكا، وتكون لسان حال المشروع العربي الإسلامي لحوار الحضارات.

١٤.تأسيس موقع حوار الحضارات العربي الإسلامي العالمي باللغات الحية على شبكة المعلومات يتضمن بنك معلومات (الكتب والأبحاث، المقالات والتقارير، الوثائق والملفات، المؤتمرات و المنتديات)، لتكون في متناول الباحثين والقرّاء، وذلك من أجل مواكبة النشاطات العالمية في هذا المجال.

ثالثاً: من الناحية التنظيمية والتقنية:

١٥.وضع إستراتيجية بعيدة المدى لتفعيل الحوار بين الحضارات والثقافات، وذلك من خلال استخدام معطيات التقنية الحديثة لتدعيم هذا الحوار الحضاري وتشجيع مجالات الترجمة في هذا الخصوص.

١٦.تكثيف اللقاءات والمؤتمرات والندوات ومعارض الكتب مع الحضارات الأخرى لدراسة المسائل التي تهم الطرفين من أجل تشكيل مفاهيم مشتركة حولها وتحرير النفوس والعقول من وطأة الصراع التاريخي فيما يخدم الاستقرار والاحترام وانتشار قيم التسامح، وفيما يتماشى مع ضوابط الشريعة الإسلامية في التعامل مع الآخر.

١٧.دعم العلماء والباحثين والأكاديميين في الجامعات ومراكز البحوث لإنجاز بحوث ميدانية وتطبيقية تتعلق بحوار الحضارات ، وفق المنظور الشرعي الصحيح.

١٨.اجتماع قادة الدول العربية والإسلامية من خلال منظمة المؤتمر الإسلامي للبدء في تنفيذ المشروع العربي الإسلامي لحوار الحضارات، ووضع اللمسات الأخيرة على معالم هذا المشروع.

١٩. إنشاء صرح معماري ليكون مقر مشروع الحوار الحضاري العربي الإسلامي، ويقترح الباحث أن يكون مقر هذا الصرح في مدينة الرياض، بحكم الثقل الثقافي والسياسي للملكة في قضايا العالم الإسلامي.

٢٠.إنشاء مركز أبحاث عربي إسلامي عالمي متخصص في حوار الحضارات.

٢١.إعلان جائزة عالمية سنوية لأفضل بحث يساهم على نحو متميز في إغناء جانب من مسألة "الحوار بين الحضارات"، شريطة الالتزام بالعمق الحضاري والثقافي الإسلامي.
٢٢.ترجمة البحوث الأجنبية الجيدة المتصلة بحوار الحضارات إلى العربية واللغات التي يتحدث بها المسلمون؛ حتى يتيسر للباحثين المسلمين الإطلاع عليها.
٢٣.تفعيل ومساعدة المؤسسات العربية والإسلامية الناشئة التي تعنى بحوار الحضارات، مثل المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، بهدف إشاعة قيم الحوار بين الحضارات، ودعوة النخب المفكرة والمثقفة في العالم إلى المشاركة في الندوات الدولية التي تعقدها حول هذا الموضوع.
٢٤.العمل على إعادة استخراج المكنون العلمي والفكري الكبير للحضارة العربية والإسلامية والعمل على التعريف بدور المسلمين في تأسيس الحضارات الإنسانية المختلفة، من خلال الندوات والمحاضرات والمؤتمرات، وكذا تبادل الزيارات العلمية للمتخصصين في تاريخ العلوم والحضارة العربية والإسلامية بين الجامعات العربية والإسلامية والعالمية.
٢٥.استغلال السياحة في دول العالم الإسلامي إلى تفعيل دور الحوار كتطبيق ميداني من خلال الاحتكاك المباشر بين المسلمين وغيرهم.
٢٦.ضرورة استثمار وتوجيه نشاط الجاليات المسلمة في العالم الغربي من أجل أن تكون همزة وصل فعّالة في حوار الحضارات، عبر توجيههم ليكونوا قدوة حسنة، وتخصيصهم بندوات ودورات من أجل توعيتهم بأهمية الدور الذي يقومون به لإعطاء تصور صحيح وسليم عن المسلمين وعلاقاتهم بالآخر.

هذه بعض التوصيات التي يراها الباحث، ولعل ما ذكر في صلب البحث من خلال الإشارة إلى الوسائل الفاعلة في دفع حوار الحضارات ما يضاف إلى هذه التوصيات لتكون في إطار واحد.

الفهارس العامة

١- فهرس الآيات القرآنية

م	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة الفاتحة		
١ -	âاهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَá	٦	٢٢١
	سورة البقرة		
٢ -	(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا)	٢٩	١١٣
٣ -	â وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ á	٣٠	١١٦
٤ -	âوَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَá	٤٢	٨٥
٥-	âإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَá	٦٢	١٨٣
٦-	â وقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً]	٨٣	٦٢ ، ٦٣ ، ٢١٨
٧-	âوَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْá	٨٤	١٣٣
٨-	âوَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّá	١٠٩	٢٠٧
٩-	âوَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ	١١٣	١٨٣

م	الآية	رقمها	الصفحة
	الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَá		
١٠-	[وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ]	١٢٠	٥٧
١١-	âآمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَاá	١٣٦	٣٣٧
١٢-	âوَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًاá	١٤٣	١٥٨
١٣-	â وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا á	١٤٣	٦٧
١٤-	âالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ á	١٤٦	٨٥
١٥-	âوَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَá	١٩٠	١٩٧
١٦-	âوَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِá	٢٠٦	١٧٦
١٧-	â كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ ...á	٢١٣	أ
١٨-	âوَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَá	٢٣٣	٢٧٨
١٩-	âمَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَá	٢٤٥	٢٥٣ ، ٢٥٣
٢٠-	âأَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ	٢٤٦	١٣٣

م	الآية	رقمها	الصفحة
	قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ...á		
٢١-	[وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ]	٢٥١	٧
٢٢-	âلاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ á	٢٥٦	٨٨، ١٠٨
٢٣-	(لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)	٢٥٦	٩٢
٢٤-	âلَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ á	٢٧٢	٢٨٥
٢٥-	âوَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَاá	٢٧٥	٣١٤
٢٦-	âوَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىá	٢٨٢	٢٧٢
٢٧-	âوَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُواá	٢٨٢	٢٧٢
٢٨-	âوَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُá	٢٨٣	٢٧٢
٢٩-	âآمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ á	٢٨٥	٦٩
٣٠-	âآمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُá	٢٨٥	٢٢٢، ٣٣٤

سورة آل عمران

م	الآية	رقمها	الصفحة
٣١-	âإِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُá	١٩	١٨٩
٣٢-	âفَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍá	٢١	٢٠٦

م	الآية	رقمها	الصفحة
٣٣-	âلَـا يَتَّخِـذِ الْمُؤْمِنُـونَ الْكَـافِرِينَ أَوْلِيَـاءَ مِـنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُá	٢٨	١٤٧
٣٤-	(إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً)	٣٥	١٠٣
٣٥-	âوَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ á	٥٠	٣٣٤
٣٦-	âقُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ á	٦٤	٦١ ، ٦٩ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ٣٣١
٣٧-	[وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً]	٧٥	٦٥
٣٨-	âوَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَá	٨٥	١٨٤
٣٩-	â يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون á	١٠٢	أ
٤٠-	âوَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواá	١٠٣	٢٣٩، ٢٥٠
٤١-	(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)	١٠٤	١٠٩
٤٢-	[لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ	١١٣	٦٥

م	الآية	رقمها	الصفحة
	اللَّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ]		
٤٣-	âيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَá	١١٨	١٤٨
٤٤-	âإِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ وَوَصَّى بِهَا ...á	١٣١ - ١٣٢	١٨٩
٤٥-	(وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)	١٣٩	٨٩
٤٦-	âوَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَá	١٥٩	٢١٨
٤٧-	âوَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَá	١٨٧	١٧٩

سورة النساء

م	الآية	رقمها	الصفحة
٤٨-	â يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً á	١	٩٨، ٢٥٩
٤٩-	â يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًاá	١	أ، ١١٧
٥٠-	âفَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا á	٣	٢٧٤

م	الآية	رقمها	الصفحة
٥١-	âفَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ á	٦	٧
٥٢-	âلِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًاá	٧	٢٦٩
٥٣-	âيُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ á	١١	٢٦٩
٥٤-	âوَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِá	١٩	٢٤٨
٥٥-	â وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًاá	١٩	٢٦٣
٥٦-	â وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا á	٢٨	١٠١
٥٧-	â وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ á	٣٢	١١٨
٥٨-	âبِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍá	٣٤	٢٥٩
٥٩-	âوَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا á	٣٥	٢٥٨
٦٠-	âمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًاá	٥٨	١٥٩
٦١-	âإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ❖ يَا ... á	٥٨- ٥٩	٢٩٨
٦٢-	âيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ	٥٩	١٣٩

م	الآية	رقمها	الصفحة
	وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْá		
٦٣-	âإِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّá	١٠٥	١٦٠
٦٤-	â إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ á	١٠٥	١٠٥
٦٥-	âإِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ... á	١٠٥- ١١٣	١٥٩
٦٦-	[هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]	١٠٩	١٥
٦٧-	âوَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِá	١٢٩	٢٧٥
٦٨-	âوَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا á	١٣٠	٢٥٨
٦٩-	âيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا ...á	١٣٥	١٥٩، ٢٧٢
٧٠-	âفَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًاá	١٣٥	١٦٧
٧١-	âالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاá	١٣٩	١٧٧
٧٢-	âأَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاá	١٣٩	١٧٦
٧٣-	âوَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ	١٤٠	١٨٨

م	الآية	رقمها	الصفحة
	اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًاá		
٧٤-	âوَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًاá	١٤١	٢٩٠
٧٥-	âوَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَá	١٦٤	٢٢٢

سورة المائدة

م	الآية	رقمها	الصفحة
٧٦-	[وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ]	٢	٦
٧٧-	(وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)	٢	٤١ ، ١١٣ ، ١١٨
٧٨-	âالْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا á	٣	ب، ٣٩٤
٧٩-	âيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىá	٨	١٦٣ ، ٢٨٨
٨٠-	âقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ❖ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ á	١٥- ١٦	٦٧
٨١-	âوَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُá	١٨	١٢١
٨٢-	âوَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ	٢٧- ٣٠	٥٩

م	الآية	رقمها	الصفحة
	إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ❖ لَئِن بَسَطتَ ...]		
٨٣-	(سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)	٤٢	٩١
٨٤-	â لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا á	٤٥	ب
٨٥-	âوَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّá	٤٨	١٨٧
٨٦-	âوَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا ...)	٤٨	١٠٥
٨٧-	âوَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَá	٤٩	١٧٩
٨٨-	âيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ á	٥١	٢٩١
٨٩-	âيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَá	٥١	١٤٨
٩٠-	â إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ...á	٥٥- ٥٦	١٤٧
٩١-	âلَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً ...á	٨٢- ٨٥	٤١٤

م	الآية	رقمها	الصفحة
٩٢-	[لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ]	٨٤	٤٨

سورة الأنعام

م	الآية	رقمها	الصفحة
٩٣-	âإِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ á	٧٥	٣٧١
٩٤-	â أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ❖ أُولَئِكَ الَّذِينَ ... á	٨٩- ٩٠	٦٩
٩٥-	âفَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ á	٩٠	٦٠، ٢٣٦
٩٦-	(وَهُوَ الَّـذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ)	٩٨	٩٨
٩٧-	âوَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ á	١٠٨	٩٥
٩٨-	(وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّوا اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)	١٠٨	٩٣
٩٩-	âقُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ...á	١٥١	٣٣٨
١٠٠-	â قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ á	١٦٢	١٧٤

سورة الأعراف

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٠١-	âقَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَá	٢٣	٢٢٦

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٠٢-	âكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَá	٣٢	٢٢٤
١٠٣-	(وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)	٥٧	١١٢
١٠٤-	â وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا ... á	٨٥	٧١
١٠٥-	âرَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَá	٨٩	٢٠٠
١٠٦-	(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ ...)	١٥٨	١٠٧
١٠٧-	âوَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَá	١٦٤	٨٧، ١٩٢
١٠٨-	âوَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَá	١٨١	١٥٨
١٠٩-	â هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا á	١٨٩	٩٨

سورة الأنفال

م	الآية	رقمها	الصفحة
١١٠-	âيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَá	٢٤	٣٦٧
١١١-	â وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ á	٥٨	٣٠٧
١١٢-	âوَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا	٦٣	١٧٠

م	الآية	رقمها	الصفحة
	مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْâ		
١١٣-	âلَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْá	٦٣	٣٩١

سورة التوبة

م	الآية	رقمها	الصفحة
١١٤-	âبَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }	١	١٤٥
١١٥-	â إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَá	٤	١٥٠
١١٦-	(كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)	٧	٩٢
١١٧-	âلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍá	٢٥	١٣١
١١٨-	âهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَá	٣٣	٨٦
١١٩-	âوَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍá	٣٤	٣١٥
١٢٠-	âإِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌá	٤٠	٨٦
١٢١-	â وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ	٧١	١٤٧، ١٧١

م	الآية	رقمها	الصفحة
	الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ...á		
١٢٢	âأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ]	٧٣	٦٣
١٢٣	âوَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْá	٧٩	١٩٦
١٢٤	âخُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَاá	١٠٣	٣١٥
١٢٥	âإِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ...á	١١١	١٩٧
١٢٦	âيَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ]	١٢٣	٦٣

سورة يونس

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٢٧	âكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَá	٢٤	٢٢٤
١٢٨	âوَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَá	٧٢	١٨٩

سورة هود

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٢٩	[قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا]	٣٢	١٥
١٣٠	â وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ á	١١٣	٧٦
١٣١	âوَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ❖ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ á	١١٨- ١١٩	٢١٨

سورة يوسف

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٣٢	âقُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَá	١٠٨	٢١٣

سورة الرعد

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٣٣	âلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا	٣٨	٢٥٧

م	الآية	رقمها	الصفحة
	وَذُرِّيَّةً á		
١٣٤-	âفَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ á	٤٠	٢٨٥

سورة الحجر

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٣٥-	(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)	٢٦	٩٧
١٣٦-	âفَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَá	٩٤	١٧٧

سورة النحل

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٣٧-	â ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ á	٢٥	١٠٨
١٣٨-	âفَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَá	٤٣	٢٥٤
١٣٩-	âوَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ❖ يَتَوَارَى ... á	٥٨- ٥٩	٢٠٦، ٢٦٠
١٤٠-	âإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِá	٩٠	١٥٦
١٤١-	âإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَá	٩٠	١٥٨
١٤٢-	âمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ á	٩٧	٢٦٠
١٤٣-	âوَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌá	١٠٣	٣٩٣
١٤٤-	(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)	١٢٥	٤٦ ، ٤١٣

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٤٥	âوَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُá	١٢٥	١٦ ، ١٧٨

سورة الإسراء

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٤٦	â وكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا á	١١	١٠١
١٤٧	âوَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًاá	٢٣	٢٦٠
١٤٨	âوَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًاá	٣٢	٢٤٩
١٤٩	âوَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًاá	٣٦	٢٥٤
١٥٠	âإِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًاá	٣٦	٢١٨
١٥١	(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)	٧٠	٩٩
١٥٢	(وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)	٧٠	١٠٠
١٥٣	âوَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً á	٨١	٨٥

سورة الكهف

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٥٤	(وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً á	٢٩	١٠٧
١٥٥	[وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً❖ كِلْتَا.....á	٣٢- ٣٨	٥٩
١٥٦	âفَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُá	٣٤	ج

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٥٧	[.... فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً]	٣٤	١٤ ، ١٥
١٥٨	[وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ]	٥٦	١٥

سورة مريم

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٥٩-	âيَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا }	٤٥	١٤٤
١٦٠-	âوَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ❖ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّاá	٨١- ٨٢	١٧٧
١٦١-	âوَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًاá	٩٥	٣١٢

سورة طه

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٦٢-	âوَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ❖ هَارُونَ أَخِي ❖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِيá	٢٩	٤٠٢
١٦٣-	âولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى á	٤٤	٦٣ ، ٦٤
١٦٤-	âقَالَ هُمْ أُولاَءِ عَلَى أَثَرِيá	٨٤	٣٨٩

سورة الأنبياء

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٦٥-	â أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ❖ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ á	٢١- ٢٢	٦٩
١٦٦-	âوَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ á	٢٥	٣٣١
١٦٧-	âإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِá	٩٢	١٣٢
١٦٨-	âوَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ á	١٠٧	ب، ١٤٩، ٢٨٩، ٣٠٦

م	الآية	رقمها	الصفحة

سورة الحج

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٦٩	âيَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ...)	٥	٩٧
١٧٠	âإِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُواá	٣٨	٧
١٧١	(الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ)	٤١	١٠٩
١٧٢	[وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ]	٦٨	١٥

سورة المؤمنون

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٧٣	(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ❖ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ❖ ثُمَّ خَلَقْنَا ...)	١٢- ١٦	٩٧

سورة النور

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٧٤	âوَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْá	٢٣	٣١١، ٣١٥
١٧٥	âقُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَá	٣٠	٢٤٩
١٧٦	âوَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّá	٣١	٢٤٩
١٧٧	âوَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌá	٣٢	٢٤٨

سورة الفرقان

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٧٨	âتَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًاá	١	١٨٩

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٧٩ -	﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾	٥	٣٩٣
١٨٠ -	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾	٣٥	٤٠٢

سورة الشعراء

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٨١ -	﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾	٤٤	١٧٦
١٨٢ -	﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾	١٢٣	٣٣٤
١٨٣ -	﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾	٧٧	٣١٢

سورة العنكبوت

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٨٤ -	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	٤٦	١٦٦
١٨٥	[وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]	٤٦	١٥ ، ٦٣ ، ٩٣ ، ٢٢٣
١٨٦ -	﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٦٠	٣١٣
١٨٧ -	﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	٦٢	٣١١

سورة الروم

م	الآية	رقمها	الصفحة
١٨٨ -	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٢١	٢٥٨
١٨٩ -	﴿ذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	٢٨	٢٢٤

م	الآية	رقمها	الصفحة
	شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ....á		٤٠٩، ٥١٥

سورة الذاريات

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٣٢-	âوَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ á	٥٦	١١٦

سورة الحديد

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٣٣-	âآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌá	٧	٣١٣
٢٣٤-	âوَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَá	٧	٢٥٣
٢٣٥-	âثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَاá	٢٧	٣٨٩
٢٣٦-	â لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِá	٢٥	١٥٨

سورة المجادلة

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٣٧-	âقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ]	١	١٤

سورة الحشر

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٣٨-	âكَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْá	٧	٢٩٥
٢٣٩-	â لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ...á	٨	١٥٣

سورة الممتحنة

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٤٠-	â يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِá	١	١٤٩
٢٤١-	âلَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ	٨	٧١، ٨٣، ١٥٠،

م	الآية	رقمها	الصفحة
	يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْá		٢٨٧
٢٤٢	âعَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌá	٨	١٥٣
٢٤٣	âلا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ❖ إِنَّمَا ...á	٨- ٩	١٣٤

سورة الصف

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٤٤	â لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ á	٢	١٦١

سورة الجمعة

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٤٥	âهُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍá	٢	٢٣٥
٢٤٦	âفَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَá	١٠	٢٥٣

سورة المنافقون

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٤٧	âوَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ á	٨	١٧٦

سورة الملك

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٤٨	âأَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ á	١٤	٢٦٨
٢٤٩	âهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِá	١٥	٢٥٣، ٣٨٦

سورة القلم

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٠	â وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ á	٤	٧١

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥١-	âوَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَá	٩	١٧٨

سورة المعارج

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٢-	â إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا á	١٩	١٠١
٢٥٣-	âوَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ❖ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِá	٢٤- ٢٥	٢٥٣

سورة نوح

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٤-	âقَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً❖ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً❖ وَإِنِّي كُلَّمَا ...á	٥- ٩	٨٦

سورة المدثر

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٥-	âيَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ❖ قُمْ فَأَنذِرْ❖ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ❖ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ❖ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ❖ وَلاَ تَمْنُن ...]	١- ١١	٦٠

سورة التكوير

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٦-	â إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِين á	٢٧	ب

سورة الانشقاق

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٧-	â إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَá	١٠	ج

سورة الطارق

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٨-	**(**فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ❖ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ❖ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ **)**	٥- ٦	٩٧

سورة الغاشية

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥٩-	âفَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ❖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ á	٢٢٢	٢٨٥

سورة العلق

م	الآية	رقمها	الصفحة
٢٦٠-	**(**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ❖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ❖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ❖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ❖ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم**)**	١- ٥	٩٩، ١٠٠، ١٢٣

م	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة الزلزلة		
٢٦١	âوَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌá	٨	٣١٣
	سورة قريش		
٢٦٢	âلإِيلاَفِ قُرَيْشٍ ❖ إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ❖ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ❖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍá	١- ٤	٤٠٥
	سورة الكافرون		
٢٦٣	âقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ❖ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ❖ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ❖ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِá	١- ٦	٨٨، ١٨٤، ٣٢٨
٢٦٤	âلَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ á	٦	١٠٨

٢- فهرس الأحاديث والآثار

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم

٤- ثبت المصادر والمراجع

١ - المصادر والمراجع العربية:

١- آداب الحوار والمناظرة، على جريشة، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١ (١٤١٠هـ).

٢- أباطيل وأسمار، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط١(١٩٧٢م).

٣- أبجد العلوم لصديق حسن خان، مكتبة لبنان، ط١ (٢٠٠١م).

٤- الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان د. بكر أبو زيد، دار المسلم، الرياض، ط١ (١٤١٧).

٥- الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان، سامر رضوان أبو رمان، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط٢ (١٤٢٦هـ).

٦- ابن القرية والكتاب، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، ط١ (١٤٢٣هـ)، (٢/ ٨٢).

٧- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، (١٤٠٧هـ).

٨- أثر العرب في الحضارة الأوربية، عباس محمود العقاد، نهضة مصر، القاهرة، ط٢ (٢٠٠٥).

٩- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط٦ (١٤١٠هـ).

١٠- أحكام الإكراه في الفقه الإسلامي، عيسى شقرة، رسالة ماجستير، إشراف: محمد عبد الرحمن مندور، مخطوطة، الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة، ١٩٨١م.

١١- أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام)) د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٠٢هـ).

١٢- الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية.

١٣- الأحكام السلطانية، أبو يعلى الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٣هـ)، تعليق: محمد حامد الفقي.

١٤- أحكام المال الحرام وضوابط الانتفاع والتصرف به، د. عباس الباز، دار النفائس، الأردن، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٥- أحكام أهل الذمة، لابن قيم الجوزية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، (١٤١٤هـ) تحقيق د. صبحي الصالح.

١٦- إحياء علوم الدين للغزالي، مطبعة الحلبي، القاهرة، تحقيق: د. بدوي طبانة.

١٧- أخوة الإسلام فوق مستوى الخلاف، محمد بن عبد الله الحكمي، دار المجتمع، جدة، ط١.

١٨- إدارة الموارد البشرية المعاصرة: بعدٌ استراتيجي، د. عمر وصفي عقيلي، دار وائل للنشر، الأردن ط١ (٢٠٠٥م).

١٩- أدب الحوار في الإسلام، محمد الطنطاوي، نهضة مصر، القاهرة، (١٩٩٩م).

٢٠- أدب الدنيا والدين، الماوردي، دار الريان للتراث، بيروت، ط١ (١٤١١). (١/ ٢٧٦).

٢١- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، الجبيل، ط ٢، ١٤١٥هـ.

٢٢- الإذاعات الدينية، فهد عبد العزيز السنيدي، دار الوطن، الرياض، ط١(١٤٢٤هـ).

٢٣- الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام، نور الدين بليبل، سلسلة كتب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ط١ (١٤٢٢هـ).

٢٤- الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة، زكي علي السيد، دار الوفاء، مصر، ط١ (١٤٢٣هـ).

٢٥- أزمة الحوار الديني، جمال سلطان، دار الوطن، الرياض، ١٤١٢هـ.

٢٦- أساس البلاغة، محمود الزمخشري، مكتبة لبنان للنشر، بيروت، ط١ (١٩٩٩م).

٢٧- الاستراتيجية والسياسة الدولية، المفاهيم والحقائق الأساسية، إسماعيل صبري مقلد، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥م.

٢٨- الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برنارد لويس، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١ (١٤١٦هـ).

٢٩- الاستشراق، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الرابعة (١٩٩٥م)، ترجمة: كمال أبو ديب.

٣٠- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري، تحقيق: أحمد بن جعفر الناصري وآخرين، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، (٢٠٠٢م).

٣١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسين علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير، دار الشعب للنشر.

٣٢- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط ٤ (١٤٠٨هـ).

٣٣- الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، بيروت، ط١ (١٤٢٠هـ).

٣٤- الإسلام بين البداوة والحضارة، د. قاسم حبيب جابر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٤٢٣هـ).

٣٥- الإسلام حضارة الغد، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٢١هـ).

٣٦- الإسلام حضارة، د. حسين مؤنس، الدار السعودية للنشر، جدة، ط١ (١٤٠٧هـ).

٣٧- الإسلام روح المدنية، د. مصطفى الغلاييني منشورات المكتبة العصرية، القاهرة، (١٩٠٨م).

٣٨- الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٨٧م).

٣٩- الإسلام في العقل العالمي، د. توفيق الواعي، دار الوفاء، مصر، ط١ (١٤١٠هـ).

٤٠- الإسلام في المعترك الحضاري، عمر بهاء الأميري، بيروت (١٣٨٨هـ).

٤١- الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، د. محمد عمارة، دار الشروق، ٢(١٤٢٧هـ).

٤٢- الإسلام منقذ الإنسانية، محمد عطية الأبراشي، المكتبة العصرية، القاهرة، (ب.ت).

٤٣- الإسلام والآخر، د. صابر طعيمة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤٢٨هـ).

٤٤- الإسلام والبيئة، د. السيد الجميلي، مركز الكتاب للنشر، ط١ (١٤١٧هـ).

٤٥- الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، دار الإرشاد، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ.

٤٦- الإسلام والحضارة الغربية، محمد كرد علي، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط٢، ١٩٥٠م.

٤٧- الإسلام وحوار الحضارات، أبحاث مؤتمر حوار الحضارات، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤).

٤٨- الإسلام والدستور، د. توفيق السديري، وكالة المطبوعات والنشر العلمي، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط١ (١٤٢٥هـ).

٤٩- الإسلام والدولة الحديثة، عبد الوهاب الأفندي، دار الحكمة، لندن، ط١ (٢٠٠١م).

٥٠- الإسلام والرأسمالية وصراع الحضارات، إبراهيم عبد الرحمن زيدان، دار الفرقان، الأردن، ط١ (١٤٢٧هـ).

٥١- الإسلام والرسول في نظر منصفي الشرق والغرب، أحمد بن حجر آل بوطامي، مكتبة الثقافة، الدوحة، ط٣ ١٣٩٨هـ.

٥٢- الإسلام والعولمة، د/ سامي الدلال، من إصدارات كتاب البيان، الرياض، ط١ (١٤٢٥).

٥٣- الإسلام والمرأة المعاصرة، البهي الخولي، دار القلم، بيروت، ط٤ (١٤٠٤هـ).

٥٤- الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين في عصور التاريخ الإسلامي وفي العصر الحديث، د. عبد المنعم أحمد بركة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١ (١٤١٠هـ).

٥٥- الإسلام والمناهج الاشتراكية، محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط١ (١٩٩٧م).

٥٦- الإسلام وأهل الذمة، حسن الخربوطلي، دار المعارف، مصر، ١٩٩٠م.

٥٧- الإسلام وبناء المجتمع، د. حسن أبو غدة وآخرون، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣ (١٤٢٧هـ).

٥٨- الإسلام وتعدد الزوجات، إبراهيم النعمة، الدار السعودية للنشر، جدة، ط٢ (١٤٠٤هـ).

٥٩- الإسلام وحماية البيئة، د. آمنة نصير، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط١ (١٤٢٢هـ).

٦٠- الإسلام وخرافة المواجهة، فريد هاليداي، مكتبة مدبولي، القاهرة ط١ (١٩٩٧م) ترجمة: محمد مستجير.

٦١- الإسلام ومنطلقات المشترك الحضاري البشري، أ.د/ حامد أحمد الرفاعي، سلسلة (لتعارفوا)، ٢٠٠٥م العدد٢٢، ط١.

٦٢- الإسلام، سعيد حوى، دار السلام، (القاهرة، ط١ (ب ت).

٦٣- الإسلاميون والحوار مع العلمانية والدولة والغرب، هاشم العوضي، ط١، بدون تاريخ.

٦٤- اشتراكية الإسلام، مصطفى السباعي، سلسلة اخترنا لك، الدار القومية للطباعة، القاهرة، ط٢ (١٩٦٠م).

٦٥- أصول الاقتصاد الإسلامي، د.رفيق يونس المصري، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ.

٦٦- أصول التنصير في الخليج العربي، هـ. كونوي زيجلر، ترجمة د. مازن مطبقاني، طبع الندوة العالمية للشباب، مكتبة المدينة المنورة، ط٢(١٤١٢هـ).

٦٧- أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٦٨- أصول نظام الحكم في الإسلام، د. فؤاد عبد المنعم أحمد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (١٤١١هـ).

٦٩- أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ط١ (١٤١٥هـ).

٧٠- أضواء على مواقف المستشرقين، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط١ (١٤١٥هـ).

٧١- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١ (١٤٢٣هـ)، حققه: مشهور بن حسن آل سلمان.

٧٢- إعمار الأرض في الاقتصاد الإسلامي واستثمار خيراتها بما ينفع الناس، محمود محمد بابللي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط١ (١٩٨٨م).

٧٣- الأعمال الكاملة، لجمال الدين الأفغاني، جمع: محمد عمارة، الناشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (٢٠٠٤م).

٧٤- أعمدة الاستعمار الأمريكي ومصرع الديمقراطية في العالم الجديد، فيكتور بيرلر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ترجمة: أحمد فؤاد.

٧٥- آفاق الحضارة العربية الإسلامية، د. فاضل محمد الحسيني، دار الشروق، الأردن، ط١ (٢٠٠٦م).

٧٦- الاقتصاد الإسلامي علم أم وهم، د. منذر القحف، دار الفكر، دمشق، ط١ (١٤٢٠هـ).

٧٧- الاقتصاد الإسلامي مدخل ومنهاج، د. عيسى عبده، دار الاعتصام، القاهرة، (ب ت).

٧٨- الاقتصاد الإسلامي والقضايا الفقهية المعاصرة، د. علي السالوس، دار الثقافة، قطر، ط١ (١٤١٦هـ).

٧٩- الاقتصاد الإسلامي، أسس ومبادئ وأهداف، د. عبد الله بن عبد المحسن الطريقي، ط ١ (١٤٠٩هـ).

٨٠- الاقتصاد العربي بين الماضي والمستقبل، د. برهان الدجاني، إصدار اتحاد الغرف العربية، (١٩٩٠م).

٨١- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، (١٤١١هـ) تحقيق: د. ناصر العقل.

٨٢- الأقليات المسلمة في الأمريكيتين والبحر الكاريبي، سيد عبد المجيد بكر، (ب ت).

٨٣- الأقليات المسلمة في العالم، دار الندوة العالمية، الرياض، ط١ (١٤٢٠هـ).

٨٤- الإقناع لطالب الانتفاع، موسى بن أحمد الحجاوي، دار هجر، مصر، ط١(١٤١٨) تحقيق د. عبد الله التركي.

٨٥- الإكراه وأثره في التصرفات للدكتور عيسى شقرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ (١٩٨٧م).

٨٦- إلى غير المحجبات أولاً: محمد سعيد مبيض، مؤسسة الريان، بيروت، (١٤١٥هـ).

٨٧- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط٢ (١٤٠٩هـ).

٨٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، د. سليمان الحقيل ، ط٤ (١٤١٧هـ).

٨٩- الأمراض الجنسية عقوبة إلهية ، عبد الحميد القضاة ، دار عالم الكتب ، الرياض ، ط ٢ (١٤٠٦هـ).

٩٠- الأمراض الجنسية ، د. سيف الدين حسين شاهين ، دار الفرزدق ، الرياض ، ط٢ (١٤٠٧هـ).

٩١- أمريكا الكتاب الأسود ، بيتر سكادت ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط١ (٢٠٠٣م).

٩٢- أمريكا بين الهنود والعرب ، د. نبيل خليل خليل ، دار الفارابي ، بيروت ، ط١ (٢٠٠٣م).

٩٣- أمريكا طليعة الانحطاط ، روجيه غارودي ، دار عطية للنشر ، بيروت ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، ترجمة : صباح الجهيم وميشيل خوري.

٩٤- الأمم المتحدة وعام حوار الحضارات من خبرات حوار الحضارات ، زينب عبد العظيم وآخرون ، صادر عن برنامج حوار الحضارات – كلية الاقتصاد – جامعة القاهرة.

٩٥- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام ، د. عبد الله التركي ، طبع وزارة الشؤون الإسلامية السعودية ، الرياض ، ط١ (١٤١٧هـ).

٩٦- الأموال ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، دارالفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط٢ (١٣٩٥هـ) ، تحقيق : محمد خليل هراس.

٩٧- انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء ، نبيل لوقاباوي ، دار بباوى للنشر ، القاهرة ، ط١ (٢٠٠٣م).

٩٨- الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦- ١٧ ، محمد رزوق ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ (١٩٨٩م).

٩٩- الأنشطة المصرفية وكمالها في السنة النبوية ، د. حسن العناني ، المعهد الدولي للبنوك والاقتصاد الإسلامي ، القاهرة (ب ت).

١٠٠- الإنصات فهم ما وراء الكلمات ، مادلين بيرلي ، ترجمة : هالة صدقي ، مركز الخبرات المهنية (بميك) ، القاهر ، ط١ (٢٠٠١م).

١٠١- إنما المؤمنون أخوة ، حسن زكريا ، مكتبة الإيمان ، دمشق ، ط١ (١٤١٠هـ).

١٠٢- إنهم يتفرجون على اغتصابها، محمد رشيد العويد، ط١(١٤٢٠هـ).

١٠٣- أهداف ومجالات السلطة في الدولة الإسلامية، د. فوزي محمد طايل، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ١ (١٩٨٦م).

١٠٤- أهل الحل والعقد صفاتهم ووظائفهم، د. عبد الله الطريقي، دارالفضيلة، الرياض، ط١ (١٤٢٥هـ).

١٠٥- أهل الذمة في الإسلام، د. أي سي ترتون، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، ط٣ (١٩٩٤م).

١٠٦- أوثق عرى الإيمان (مجموع الرسائل)، سليمان بن عبد الله آل الشيخ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، (١٤٢٠هـ)، تحقيق الوليد الفريان.

١٠٧- أوربا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، (١٩٦٤م).

١٠٨- أوروبا ومن لا تاريخ لهم، إريك دولف، ترجمة فاضل جتكر (ب. م).

١٠٩- الإيدز ومشاكله الاجتماعية والفقهية، د. محمد علي البار، دار المنارة للنشر، جدة، ط١ (١٤١٦).

١١٠- الإيمان لابن أبي شيبة، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢١هـ.

١١١- الإيمان، أركانه حقيقته نواقضه، د. محمد نعيم ياسين، دار الفرقان، القاهرة.

١١٢- البحر المتوسط والعالم المتوسط في زمن فيليب الثاني. ترجمة: مروان أبي موسمرة، نشر المؤسسة العربية للجامعات، بيرت ١٩٩٣م.

١١٣- البداية والنهاية لابن كثير، دار هجر، مصر، ط١ (١٤١٨هـ)، تحقيق: د. عبد الله التركي.

١١٤- البطالة مشكلة لا يعرفها الإسلام، أحمد محمد عبد العظيم الجمل، دار السلام، القاهرة، ط١ (٢٠٠٨م).

١١٥- البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها: دراسة مقارنة، د. محمد عبد الله مغازي، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، مصر، ط١ (٢٠٠٥م).

١١٦- بناء المجتمع الإسلامي، د. عبد الرحمن بن مبارك الفرج، دار الفرقان، الرياض، ط١ ١٤١٨هـ.

١١٧- بين حضارة القوة وقوة الحضارة، د. غياث بو فلجة، دار الغرب للنشر، وهران، الجزائر، ط١ (٢٠٠٤م).

١١٨- التاريخ الإسلامي وحضارته، عصام الدين الفقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١ (١٤١٦هـ).

١١٩- تاريخ الأمم والملوك، لابن جرير الطبري، دار سويدان، بيروت، (ب ت).

١٢٠- تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، (١٩٩١م).

١٢١- تاريخ الحروب المقدسة في المشرق، المدعوة حرب الصليب، مكسيموس مونروتد، مطبعة دير الرهبان، أورشليم (١٨٦٥) ترجمة: مكسيموس مظلوم، مودع مكتبة الجامعة برقم (م م ت ٩٤٠,١) .

١٢٢- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، محمد جمال الدين سرور، دار الثقافة: مصر، ط١ (ب. ت).

١٢٣- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، د. عبد المنعم ماجد، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط٧ (١٩٩٦م).

١٢٤- تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، أبو زيد شلبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ (١٤٢٧هـ).

١٢٥- تاريخ الحضارة الإسلامية، د. سلامة النعيمات، وآخرون، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية، الأردن، ط١(٢٠٠٠م).

١٢٦- تاريخ الشعوب العربية، ألبرت حوراني، ترجمة: نبيل صلاح الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٩٧م).

١٢٧- تاريخ الفكر الاقتصادي، د. سعيد النجار، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٧٣م).

١٢٨- تاريخ الفكر الاقتصادي، د. لبيب شقير، نهضة مصر للنشر، القاهرة، (ب ت).

١٢٩- تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، د. فتحية النبراوي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط٧ (١٤٢٦هـ).

١٣٠- تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، دار المعارف، مصر، ط١ (١٩٨١م).

١٣١- تأملات في عادات النجاح السبع، د. أيمن عبده، وهج الحياة للإعلام، ط٢ (١٤٢٩هـ)، وأصل الكتاب مترجم من د. ستيفن كوفي.

١٣٢- التأمين الصحي في مجتمع إسلامي، د. مسفر بن عتيق الدوسري، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط١ (١٤٢٩هـ).

١٣٣- التبر المسبوك في تاريخ الملوك، إسماعيل أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، ط١ (١٩٩٦م)، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي.

١٣٤- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي و د. عمر فروخ، المكتبة العصرية، بيروت (١٤٠٦هـ).

١٣٥- التبشير وقوى الاستنارة في مصر، د. عبد الرحمن جيرة، نشر دار المحدثين، مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، عام ١٤٢٨هـ.

١٣٦- التبصر بالتجارة، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، (١٩٦٦م).

١٣٧- التبعية الاقتصادية في الدول العربية وعلاجها في الاقتصاد الإسلامي، د. عمر بن فيحان المرزوقي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤٢٦هـ).

١٣٨- التبيان، لابن القيم، دار المعرفة، بيروت.

١٣٩- تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلاقة العباسية، عطية القوصي، دار النهضة العربية، القاهرة، (١٩٨٦م).

١٤٠- تجربتي مع التوائم السيامية، د. عبد الله الربيعة، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١ (١٤٣٠هـ).

١٤١- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ط الدار التونسية للنشر.

١٤٢- تحليل وحل الصراعات: الإطار النظري، عبد المنعم المشاط، المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط، القاهرة (١٩٩٥م).

١٤٣- التدين وعلاج الجريمة، د. صالح إبراهيم الصنيع، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢ (١٤١٩هـ).

١٤٤- التراث والمستقبل، محمد عمارة، دار الرشاد، القاهرة، ط٢ (١٤١٨هـ).

١٤٥- التربية الخاطئة للغرب: كيف يشوّه الإعلام الغربي صورة الإسلام، جوكينشلو وَ شيرلي شتايبنرغ، إصدار دار الساقي، بيروت، ط١(٢٠٠٥) ترجمة: حسان بستاني بالتعاون مع مركز البابطين للترجمة، الكويت.

١٤٦- تسامح الغرب مع المسلمين، عبد اللطيف بن إبراهيم الحسين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١ (١٤١٩هـ).

١٤٧- التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صالح بن عبد الرحمن الحصين، طبع كرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة، جامعة الملك سعود، الرياض، ط١ (١٤٢٩هـ).

١٤٨- تسويات المنازعات الدولية دراسة لبعض مشكلات الشرق الأوسط، محمد نصر مهنا، خلدون ناجي، مكتبة أبو غريب، القاهرة، (ب. ت).

١٤٩- التعامل مع الآخر شواهد تاريخية من الحضارة الإسلامية، د. إبراهيم المزيني، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ط١ (١٤٢٧هـ).

١٥٠- التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية، د. محمد الأمين مصطفى الشنقيطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١ (ب ت).

١٥١- تعدد الزوجات أم تعدد العشيقات، خاشع حقي، دار ابن حزم، بيروت، ط١ (١٩٩٧م).

١٥٢- تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، حسان حلاق، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط١ (١٩٨٦م).

١٥٣- تعريف موجز بدين الإسلام مع دفع شبهات المغرضين، عبد الوهاب طويلة، دار السلام، القاهرة، ط١ (٢٠٠٤).

١٥٤- التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار المعرفة، بيروت، (٢٠٠٧م)، اعتنى به: عادل أنور خضر.

١٥٥- التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، محمد الغزالي، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، ط٢، (١٤١٣هـ).

١٥٦- تعليق على التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي، تعليق: محمد العبدة، دار طيبة، الرياض، ط١ (١٤١٦هـ).

١٥٧- تفسير ابن كثير تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٥٨- تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط١ (١٤٢٢هـ).

١٥٩- التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار إحياء التراث، بيروت، ط ١ (١٤١٥هـ).

١٦٠- التقرير الاستراتيجي العربي ٢٠٠٠، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٠١.

١٦١- تقييم تجارب حوار الحضارات، حسن حنفي، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط١ (٢٠٠٢).

١٦٢- تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة، د. عفاف مختار، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤٢١هـ).

١٦٣- التنصير - تعريفه، أهدافه، وسائله، حسرات المنصرين، د. عبد الرحمن بن عبد الله الصالح، دار الكتاب والسنة باكستان، ط١ (١٤٢٠هـ).

١٦٤- التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي، عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، مكتبة العبيكان، الرياض، ط(١٤١٤هـ).

١٦٥- التنصير، مفهومه- أهدافه- وسائله- سبل مواجهته، د. علي النملة، ط٤ (١٤٢٦هـ).

١٦٦- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت: د. عبد الله درويش، مراجعة: محمد علي النجار، (د.ت).

١٦٧- التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا، سعد رستم، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط٢ (٢٠٠٧م).

١٦٨- الجاليات الإسلامية – العوائق والطموحات، طبع دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي – ١٤٢٧هـ.

١٦٩- جامع أحكام النساء، مصطفى العدوي، دار ابن عفان، القاهرة، ط١ (١٤١٩هـ).

١٧٠- جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر، دار الخير، بيروت، ط١ (١٤١٣هـ) تحقيق: حسن إسماعيل مروه.

١٧١- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أبي بكر القرطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٢٧هـ)، تحقيق د. عبد الله التركي.

١٧٢- الجدل في القرآن الكريم، محمد التومي، الشركية التونسية، تونس، ط١، (١٤٠٠هـ).

١٧٣- الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، بيروت، ط١ (١٩٩٨م).

١٧٤- الجنس الناعم في ظل الإسلام، سعيد عبد العزيز الجندول، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٩٨٠).

١٧٥- الجهاد في الإسلام بين الطلب والدفع، صالح بن سعد اللحيدان، دار الصميعي، الرياض، ط٥ (١٤١٨هـ).

١٧٦- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن تيمية، مطبعة المدني، مصر، (ب ت).

١٧٧- حب الوطن، منظور شرعي، د. زيد بن عبد الكريم الزيد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض (١٤١٧هـ).

١٧٨- الحب في الله وحقوق الأخوة، أحمد مزيد، دار ابن حزم، بيروت، ط١ (١٤٢٤هـ).

١٧٩- الحجاب، أبو الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٩٨١م).

١٨٠- حرب أبدية لسلام أبدي، كيف أصبح الأمريكيون مكروهين، جورفايدال، ترجمة د. سعود البشر، غيناء للدراسات والإعلام، الرياض، ط(١٤٢٤هـ).

١٨١- حرب الخليج: أوهام القوة والنصر، محمد حسين هيكل، مركز الأهرام للترجمة، القاهرة، ط١ (١٤١٢هـ).

١٨٢- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، د. محمد الخطيب مكتبة الأقصى، عمان، ط١.

١٨٣- حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، رشيد الجميلي، طرابلس، (ب. م) (١٩٨٢م).

١٨٤- الحركة الصليبية في العصور الوسطى، سعيد عاشور، مكتبة الأنجلو، مصر، ط ٥، (١٩٩٩م).

١٨٥- الحركة الصليبية، د. سعيد عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٧ (١٩٩٧م) [٩٩٩/٢].

١٨٦- الحروب والحضارات، تأليف عدد من المدرسين في المعهد الفرنسي، دار طلاس، دمشق، ط١ (١٩٨٤م).

١٨٧- حرية الفكر في الإسلام، عبد المتعال صعيدي، دار الفكر العربي، ط٣، (د.ت).

١٨٨- حرية الفكر في الإسلام، محمد الصادق عرجون، الأزهر، القاهرة ١٣٧٥هـ.

١٨٩- حصوننا مهددة من الداخل، محمد محمد حسين، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٩٧٩م).

١٩٠- الحضارات الصراع أو الحوار نظام المصارحة، د. مخايل مسعود، د. ساجيع الجبيلة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، ط١ (٢٠٠٩م).

١٩١- الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، جمع: علي الشحود، المركز الثقافي، الدوحة.

١٩٢- الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، أحمد عبد الرزاق أحمد، دار الفكر العربي، القاهرة، (١٩٩٠م).

١٩٣- الحضارة الإسلامية وأثرها في الغرب، د. إسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢ (١٤٢٢هـ).

١٩٤- حضارة العرب، جوستاف لوبون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، (١٣٩٩هـ) نقله إلى العربية: عادل زعيتر.

١٩٥- الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، شوقي أبو خليل، دار الفكر، ط١ (١٩٩٤م).

١٩٦- الحضارة في الميزان، أرنولد توينبي، وزارة الثقافة السورية، دمشق، الطبعة الثانية (٢٠٠٦م)، ترجمة: أمين محمود الشريف.

١٩٧- الحضارة والفكر العالمي، مصطفى غنيمان، الوراق للنشر، الأردن، ط١ (٢٠٠٥م).

١٩٨- حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى، د. سعيد عاشور، دار النهضة العربية، بيروت، ط١ (١٩٧٦م).

١٩٩- الحضارة، أحمد حمدي محمود: - سلسلة «كتابك» - القاهرة ١٩٩٧م.

٢٠٠- الحضارة، حسين مؤنس— سلسلة «عالم المعرفة- الكويت، (١٣٩٨هـ).

٢٠١- حقائق ووثائق: دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي، عبد الودود شلبي، الدار السعودية للنشر، جدة، (١٤٠٩هـ).

٢٠٢- حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي. محمد فتحي عثمان، دار الشروق، بيروت، (١٩٨٢م).

٢٠٣- حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون، د. منير حميد البياتي، سلسلة كتاب الأمة رقم (٨٨)، مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، الدوحة، ط١ (١٤٢٧هـ).

٢٠٤- حقوق الإنسان بين العرب والأمريكان، د. محمد الهرفي، دار المعالم الثقافية، ط١ (١٤٢٦هـ).

٢٠٥- حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وقواعد القانون الدولي، د. محمد عبد العزيز أبو سخيلة، عمان، الأردن، ط١ (١٩٨٥م).

٢٠٦- حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية، د. عبد السلام الترمانيني، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

٢٠٧- حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في النظام الإسلامي بالنظم المعاصرة، عبد الوهاب الشيشاني، مطابع الجمعية العلمية الملكية، عمان الأردن، (١٤٠٠هـ).

٢٠٨- حقوق المرأة في الإسلام، محمد بن عبد الله عرفة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣ (١٩٨٣م).

٢٠٩- حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية، أبو الأعلى المودودي، دار الفكر، بيروت (ب ت).

٢١٠- الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام، محمد رأفت عثمان، دار الضياء، الأردن، ط١(٢٠٠٨م).

٢١١- حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة، سيد سعيد عبد الغني.

٢١٢- حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين، إسماعيل الأنصاري، طبع الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض، (١٤٢٤هـ).

٢١٣- الحل الإسلامي لمشكلة البطالة: دراسة مقارنة، كمال الدين عبد الغني المرسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة، بيروت ط١ (٢٠٠٤م).

٢١٤- الحنين إلى الأوطان، للجاحظ، نشر مكتبة الآداب، بيروت، ط١، (١٩٩٨م).

٢١٥- الحنين إلى الأوطان، محمد بن سهل بن المرزبان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، تحقيق: جليل العطية،.

٢١٦- حواء التي أنصفها الإسلام، حسين علي حمدان، دار الإسراء، القاهرة، ط١ (١٩٩١م).

٢١٧- الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد المغامسي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ط(١٤٢٥هـ).

٢١٨- الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داود عجل، دار قتيبة، ط١ (١٤١٨هـ).

٢١٩- الحوار الإسلامي المسيحي، حسن صعب، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية، بيروت، (١٤١١هـ).

٢٢٠- حوار الحضارات بين المملكة العربية السعودية والفاتيكان، مطيع أحمد على النونو، ((في إطار الحوار الإسلامي المسيحي)) (١٩٧٢ — ١٩٧٤ م)، ط١ (٢٠٠٤ م).

٢٢١- حوار الحضارات بين الواقع والطموح، رجاء حسين، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط١ (١٤٢٧هـ).

٢٢٢- حوار الحضارات، أحمد زويل، دار الشروق، القاهرة، ط١ (١٤٢٨هـ).

٢٢٣- حوار الحضارات، روجيه جارودي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط٥ (٢٠٠٣م).

٢٢٤- حوار الحضارات، منصور الحلو، منشأة المعارف بالإسكندرية، (٢٠٠٧)، ص ٣٠٨.

٢٢٥- حوار الحضارات والمشهد الثقافي العربي، ناصر الدين الأسد وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١ (٢٠٠٤م).

٢٢٦- الحوار الحضاري في عصر العولمة، السيد ياسين، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١ (٢٠٠٥م).

٢٢٧- حوار الدين والدولة، برهان غليون، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١ (١٩٩٦م).

٢٢٨- الحوار الفكري في القرآن الكريم، أمين حلمي أمين، دار النهضة الإسلامية، ط١ (١٩٩٧م).

٢٢٩- الحوار الوطني ودوره في تعزيز الأمن الوطني للمملكة العربية السعودية، رسالة دكتوراه، خليل بن عبيد الحازمي، مقدمة لجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، قسم العلوم الشرطية، عام (١٤٢٩هـ)، (مخطوطة).

٢٣٠- حوار مع أهل الكتاب، محمد عبد الرحيم أبو الوفاء، دار هاني الخراز، مكة المكرمة، ط١ (١٤٢٢هـ).

٢٣١- الحوار وآدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية، خالد محمد المغامسي، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، (١٤٢٥هـ).

٢٣٢- الحوار وآدابه، د. صالح بن حميد، من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٢٣٣- الحياة السياسية في الدولة الإسلامية، محمد جمال الدين سرور، دار الثقافة، مصر، ١٩٩٠م.

٢٣٤- الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، المطبعة السلفية، القاهرة، ط١(١٣٤٦هـ).

٢٣٥- خزانة الأدب للبغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط. مكتبة الخانجي.

٢٣٦- خصائص الثقافة العربية والإسلامية في ظل حوار الثقافات، أحمد فراج وآخرون، دار السلام، القاهرة، ط١ (١٤٢٧هـ).

٢٣٧- خطاب إلى الغرب رؤية من السعودية، إعداد مجموعة من العلماء والمثقفين السعوديين، دار غيناء للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٣٨- خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، السيد ياسين وآخرون، دار السلام، القاهرة، ط ٢ (١٤٢٨هـ).

٢٣٩- خطابنا في عصر العولمة، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط١ (٢٠٠٤م).

٢٤٠- خلق المسلم، محمد الغزالي، نهضة مصر، القاهرة، ط١٤ (٢٠٠٧م).

٢٤١- الخمر بين الطب والفقه، د. محمد علي البار، الدار السعودية، جدة، ط٧ (١٤٠٦هـ).

٢٤٢- دائرة المعارف الإسلامية.

٢٤٣- دار الإسلام ودار الحرب والعلاقة بينهما، د. علي حسن الصوا، بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان، الأردن، نشره المجمع في كتاب معاملة غير المسلمين في الإسلام (١٩٨٩م).

٢٤٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط١ (١٤٢٣هـ).

٢٤٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، دار هجر، القاهرة، ط١ (١٤٢٤هـ)، تحقيق د. عبد الله التركي.

٢٤٦- دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت (١٤٠٠هـ).

٢٤٧- دراسات في الكتب والمكتبات، عبد الستار الحلوجي، مكتبة مصباح، ط١ (١٤٠٨هـ).

٢٤٨- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤٢٢هـ).

٢٤٩- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، د. سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط١ (٢٠٠٤م).

٢٥٠- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، حسان حلاق، دار النهضة العربية، بيروت، ط١ (١٩٩٩م).

٢٥١- دراسات في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي، د. عبد الواحد طه، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١ (٢٠٠٥م).

٢٥٢- دراسات في حضارة الإسلام، هاملتون جب، ترجمة د. إحسان عباس وآخرين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١ (١٩٦٤م)

٢٥٣- دعوة التقريب بين الأديان: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، د. أحمد القاضي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، (١٤٢٠هـ).

٢٥٤- الدعوة بين المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية، دراسة تقويمية للعمل الدعوي في المراكز الإسلامية، د. خالد القريشي (ب م).

٢٥٥- الدعوة في الغرب، ضمن: المسلمون في أمريكا، بواسطة (لاري أي)، تحرير: أيفون يزبك حداد، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مصر (١٩٩٤م).

٢٥٦- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

٢٥٧- دور التربية الإسلامية في مواجهة التحديات الثقافية للعولمة، صلاح الحارثي، مكتبة السوادي، جدة، ط١ (١٤٢٤هـ).

٢٥٨- دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١ (١٩٩٦م).

٢٥٩- الدور الحضاري للأمة المسلمة في عالم الغد، تأليف نخبة من الباحثين، إعداد مركز البحوث والدراسات، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، الدوحة، ط ١ (٢٠٠٠م).

٢٦٠- دور القيم والأخلاق في النظام الاقتصادي الإسلامي، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ (١٤١٥هـ).

٢٦١- دور المساجد التاريخي في التثقيف العلمي، محمد الشاذلي الخولي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ط١ (١٩٦١م).

٢٦٢- الدولة العباسية، عطية القوصي، دار الثقافة العربية، القاهرة (١٩٩٣م).

٢٦٣- الدولة العثمانية دولة إسلامية معتدى عليها، د. عبد العزيز الشناوي، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط١ (٢٠٠٤م).

٢٦٤- الدولة الوطنية وتحديات العولمة في الوطن العربي، شوقي جلال وآخرون، مجموعة أبحاث من منشورات مكتبة مدبولي، القاهرة، (٢٠٠٤م).

٢٦٥- الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر، عبد الإله بلقزيز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١ (٢٠٠٢م).

٢٦٦- ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه: أحمد أمين بك، وآخرون، المطبعة الأميرية، القاهرة، (١٩٤٨م).

٢٦٧- ديوان عنترة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط١ (٢٠٠١).

٢٦٨- ديوان مجنون ليلى، تحقيق عبد الستار فراج، مكتبة القاهرة (١٩٧٩م).

٢٦٩- ديوان يزيد بن الطثرية، جمع وتحقيق ناصر بن سعد الرشيد، دار مكة، ط الأولى (١٤٠٠هـ).

٢٧٠- الذات والغرائز، سيجموند فرويد، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (١٩٥٤م).

٢٧١- الرأسمالية تجدد نفسها، د. فؤاد مرسي، إصدارات عالم المكتبة، الكويت، ط١ (١٩٩٠م)، (٢٣٦- ٢٤٠).

٢٧٢- الربا في المعاملات المصرفية المعاصرة، د. عبد الله بن محمد السعيدي، دار طيبة، الرياض، ط ١ (١٤٢٠هـ).

٢٧٣- ربحت محمداً ولم أخسر المسيح، د. عبد المعطي الدالاتي، مؤسسة الرسالة، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٢٤هـ).

٢٧٤- رجال ونساء أسلموا، عرفات كامل العشي دار القلم الكويت، ط٣ (١٩٨٣م).

٢٧٥- رسالة المسلم في حقبة العولمة، د. ناصر العمر دار طويق، الرياض، ط١ (١٤٢٩هـ).

٢٧٦- رسالة إلى حواء، محمد رشيد العويد، دار الوطن، الرياض، ط٤(١٤١٨هـ).

٢٧٧- الرسول والعلم، د. يوسف القرضاوي، الشركة المتحدة للنشر، بيروت، ط٧ (٢٠٠٢).

٢٧٨- رعاية البيئة في شريعة الإسلام، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط١ (٢٠٠١م).

٢٧٩- رعاية المسنين في الإسلام، عبد الله بن ناصر السدحان، ط١ (١٤١٨هـ).

٢٨٠- روح المعاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤ (١٩٨٥م).

٢٨١- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣ (١٤١٨هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط.

٢٨٢- الزحف إلى مكة: حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي، عبد الودود شلبي، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١ (١٤٠٩هـ).

٢٨٣- الزكاة وتطبيقاتها المعاصرة، د. عبد الله الطيار، دار الوطن، ط٢ (١٤١٤هـ).

٢٨٤- زوجات لا عشيقات: تعدد الزوجات ضرورة عصرية، وجدي شفيق، مكتبة العلم، القاهرة.

٢٨٥- سقوط غرناطة وأثر ذلك على المغرب الأقصى في عهد بني وطّاس، عبد الله حامد الحييد، جامعة أم القرى، (١٩٩٨م).

٢٨٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ومكتبة المعارف، الرياض ١٤١٥هـ.

٢٨٧- سلسلة الأحاديث الضعيفة، للعلامة ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٢٨٨- السلوك في معرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط١ (١٩٤١م).

٢٨٩- سماحة الإسلام، د. أحمد محمد الحوفي، مكتبة الأسرة، القاهرة، (١٩٧٧م).

٢٩٠- السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، د.يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط٢ (١٤١٨هـ).

٢٩١- سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٥ هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٩٢- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن أشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

٢٩٣- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، ت ٢٧٩ هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨ هـ ة مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.

٢٩٤- السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الفكر، بيروت (د. ت).

٢٩٥- سنن النسائي (المجتبى)، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٢٧٩هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٩٦- السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣ (٢٠٠٨م).

٢٩٧- السياسة الشرعية والفقه الإسلامي، عبد الرحمن تاج، دار التأليف، القاهرة، ط١ (١٣٧٣هـ).

٢٩٨- السياسة الشرعية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، طبع وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ط١ (١٤١٨هـ).

٢٩٩- السياسة النقدية والمصرفية في الإسلام، عدنان خالد التركماني، الشركة المتحدة للنشر، دبي ط١(١٩٨٨م).

٣٠٠- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ (١٤٢٢هـ)، حققه: بشار عواد معروف.

٣٠١- سيرة ابن هشام، لعبد الملك بن هشام الأنصاري، مطبعة الحلبي، مصر

٣٠٢- شأن الدعاء، أبو سليمان الخطابي، دار الفكر، بيروت، ط١ (١٤٠٤هـ)، تحقيق: أحمد الدقاق.

٣٠٣- شبهات حول الإسلام، محمد قطب، دار القرآن الكريم، (١٩٧٨م).

٣٠٤- شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٣٠٥- شرح المعلقات العشر المذهبات، ابن الخطيب التبريزي، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت، (د.ت).

٣٠٦- شرح صحيح مسلم، الإمام يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

٣٠٧- الشرق والغرب، محددات العلاقات ومؤثراتها، د. علي النملة، الرياض، ط١ (١٤٢٥هـ).

٣٠٨- شرق وغرب: الشرخ الأسطوري، جورج قرم، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م)، ترجمة: ماري طوق.

٣٠٩- الشركات الدولية: النشاط وتصنيع الدول النامية، د. محمد إبراهيم عبد الرحمن، معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، القاهرة، (١٩٨٩م).

٣١٠- الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي، عبد الرحمن عبد الخالق، الدار السلفية، الكويت، ط٢ (١٤٠٨هـ).

٣١١- الشورى في معركة البناء، د. أحمد الريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ط١ (١٤٢٨هـ).

٣١٢- الشورى وأثرها في الديمقراطية دراسة مقارنة، د. عبد الحميد الأنصاري، ط٣، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٣١٣- الشورى وأثرها في الديمقراطية دراسة مقارنة، د. عبد الحميد الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، ط٣ (١٤٠٠هـ).

٣١٤- الصحاح للجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

٣١٥- صحيح الأدب المفرد، محمد الألباني، دار الصديق، الجبيل، ط٢ (١٤١٥هـ).

٣١٦- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

٣١٧- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٣١٨- صحيح سنن النسائي باختصار السند، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٣١٩- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري االنيسابوري، ت ٢٦١ هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بدون تاريخ، دار إحياء التراث العربي.

٣٢٠- صدام الحضارات، صموئيل هنتنجتون، الدار الجماهيرية، ليبيا، ط١ (١٩٩٩م). نقله إلى العربية: د. مالك أبو شهيوة، د. محمود خلف.

٣٢١- صراع الثقافة العربية الإسلامية مع العولمة، د. محمد الثبيتي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١ (٢٠٠٢م).

٣٢٢- صراع الحضارات أو حوار الثقافات، أوراق ومداخلات المؤتمر الدولي ((حول صراع الحضارات أم حوار الثقافات))، إيف جرينيه، القاهرة ١٠- ١٢ مارس ١٩٩٧م، تحرير فخري لبيب.

٣٢٣- صراع الحضارات وإعادة بناء النظام الدولي، صمويل هنتنجتون، ترجمة: عباس هلال كاظم، دار الأمل، ط ٢٠٠٦.

٣٢٤- صراع الغرب مع الإسلام، آصف حسين، ترجمة د. مازن بن صلاح مطبقاني، مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مكتبة المدينة المنورة، ط١ (١٤٢٠هـ).

٣٢٥- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن الندوي، مطبعة التقدم، القاهرة، ط٣، (١٣٩٧هـ).

٣٢٦- صفة الصفوة، عبد الرحمن بن الجوزي، دار المعرفة، بيروت، ط٢ (١٣٩٩هـ)، تحقيق: محمد فاخوري.

٣٢٧- صفة الغرباء، د. سلمان العودة، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١ (١٤١١هـ).

٣٢٨- صورة الإسلام في المناهج الدراسية الغربية، أ. د. محمد وقيع الله، من مطبوعات جائزة نايف العالمية (١٤٢٧هـ).

٣٢٩- صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية، د. مارلين نصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩٥م).

٣٣٠- الضعفاء الكبير، أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٣٣١- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٣٢- طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ (١٩٩٨م).

٣٣٣- طاعة أولي الأمر، د. عبد الله الطريقي، دار المسلم، الرياض، ط١ (١٤١٤هـ).

٣٣٤- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، (د.ت).

٣٣٥- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، مطبعة مدني، القاهرة، تحقيق: د. محمد جميل غازي.

٣٣٦- ظهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (٢٠٠٤م).

٣٣٧- العالم الإسلامي وتحديات ١١سبتمبر الواقع والمآل، محمد بشاري، دار الفكر، دمشق، ط١.

٣٣٨- العالم من منظور غربي، د. عبد الوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، (٢٠٠١م).

٣٣٩- عالمية الإسلام ومادية العولمة، سميح عاطف الزين، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ط١ (٢٠٠٢).

٣٤٠- عالمية الإسلام، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، (١٩٩٩م).

٣٤١- العدل في التعدد، د. عبد الله بن محمد الطيار، دار العاصمة، الرياض، ط١ (١٤١٣هـ).

٣٤٢- العدل في القرآن الكريم، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير قدمه/ صادق قاسم حسن مصطلح، جامعة الإيمان، صنعاء، (٢٠٠٦م).

٣٤٣- العدل مبدأ وغاية، د. محمد بكر إسماعيل، دار المنار، مصر، ط١ (٢٠٠٤م).

٣٤٤- العرب: تاريخ ومستقبل، جان بيرك، ترجمة: خيري حماد، طبع الهيئة المصرية العامة للتأيف، القاهرة (١٩٧١م).

٣٤٥- عصر الخلافة الراشدة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، (١٤١٩هـ).

٣٤٦- العقيدة والسياسة: معالم نظرية عامة للدولة الإسلامية))، لؤي صافي، دار الفكر، بيروت، ط ١ (٢٠٠٢).

٣٤٧- علاج القرآن الكريم للجريمة، د. عبد الله بن الشيخ محمد بن الأمين الشنقيطي، ط١ (١٤١٣هـ).

٣٤٨- العلاقات الإسلامية المسيحية، مجموعة من الباحثين، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، ط١ (١٤١٥).

٣٤٩- العلاقات الدولية في الإسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث، د. وهبة الزحيلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤٠١هـ).

٣٥٠- العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، الدار القومية للنشر، القاهرة، (١٩٦٤م).

٣٥١- العلمانية، د. سفر الحوالي، دار الهجرة، جدة (ب ت).

٣٥٢- العلمانية، محمد قطب، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٢، وهي جزء من كتابه (مذاهب فكرية معاصرة).

٣٥٣- العلوم العملية في العصور الإسلامية، عمر رضا كحالة، المطبعة التعاونية، دمشق (ب ت).

٣٥٤- العلوم والفنون في الحضارة الإسلامية، تاج السر أحمد حران، مكتبة الرشد، الرياض، ط٣ (١٤٢٨هـ).

٣٥٥- العمل التطوعي في ميزان الإسلام، أحمد محمد الجمل، دار السلام، القاهرة، ط١ (١٤٢٨).

٣٥٦- عمل المرأة في الميزان، محمد البار، الدار السعودية، جدة، ط١ (١٤٠١هـ).

٣٥٧- العنصرية وصدام الحضارات، صبري سعيد، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١ (٢٠٠٧م).

٣٥٨- العنف والحضارة الغربية.. الإسلام كبداية جديدة للتاريخ، د. ملازم كراستشي، ترجمه عن الألبانية، د. زياد عبد الله، دار المنتقى، سوريا، ط١ (٢٠٠٨).

٣٥٩- العنف والحضارة الغربية... الإسلام كبداية جديدة للتاريخ، د. ملازم كراستنشي، ترجمة: د. عبد الرحمن حللي، دار الملتقى، سوريا، ط١ (٢٠٠٨م).

٣٦٠- عودة الحجاب، محمد إسماعيل المقدم، دار طيبة للنشر، الرياض، ط١ (١٤١٧هـ).

٣٦١- عولمة الإسلام، أوليفيه روا، ترجمة: لارا معلوف، دار الساقي، لندن (٢٠٠٦م).

٣٦٢- العولمة الثقافية الحضارات على المحك، جيرار ليكلرك، ترجمة: جورج كتورة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١ (٢٠٠٤م).

٣٦٣- العولمة والعالم الإسلامي: أرقام وحقائق، عبد سعيد عبد إسماعيل، دار الأندلس الخضراء، ط١ (١٤٢٢هـ).

٣٦٤- العولمة والعولمة المضادة، عبد السلام المسيري، سلسلة كتاب منظور، تونس (١٩٩٩م).

٣٦٥- العولمة ومجتمع الإعلام، يحيى اليحياوي، دار الطليعة، بيروت، (٢٠٠١م).

٣٦٦- العيش المشترك الإسلامي المسيحي في ظل الدولة الإسلامية، شهادة من التاريخ، د. محمد منير سعد الدين، المكتبة البولسية، لبنان، ط١، (٢٠٠١م).

٣٦٧- عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٨).

٣٦٨- الغرب ضد العالم الإسلامي من الحملات الصليبية حتى أيامنا، بوندار يفسكيدار التقدم، موسكو، الطبعة الأولى (١٩٨٥م)، ترجمة: إلياس شاهين.

٣٦٩- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، د. يوسف القرضاوي، دار المعارف، القاهرة (د.ت).

٣٧٠- غير المسلمين في المجتمع المسلم، د. منقذ بن محمود السقار، مطابع رابطة العالم الإسلامي، بحث مقدم للملتقى الأول لعلماء المسلمين (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

٣٧١- الفتاوى السعدية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢ (١٤٠٢).

٣٧٢- الفتاوى الكبرى، أحمد بن تيمية، دار المعرفة، بيروت (ب ت).

٣٧٣- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع أحمد الدويش، دار العاصمة، الرياض، ط٣، (١٤١٩هـ).

٣٧٤- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار الكبت العلمية، بيروت.

٣٧٥- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب، بيروت (ب ت).

٣٧٦- الفتوح الإسلامية عبر العصور، د. عبد العزيز العمري، دار إشبيليا، الرياض، ط١ (١٤١٨هـ).

٣٧٧- فتوح البلدان، أبو الحسن أحمد البلاذري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٣٧٨- فخ العولمة - الاعتداء على الديمقراطية والرفاه، هانس بيتر مارتن، وهارالد شومان، ترجمة د. عدنان عباس علي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط١ (١٤٢٠هـ).

٣٧٩- الفرق المعاصرة المنتسبة للإسلام في أمريكا وأثرها العقدي، رسالة ماجستير، فهد السنيدي، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، الرياض (١٤٢٦هـ).

٣٨٠- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أحمد بن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، (١٣٩٧م) تعليق: زهير شاويش.

٣٨١- فضائح الباطنية، المكتبة العصرية، جدة، ط١ (٢٠٠١)، تحقيق: محمد قطب.

٣٨٢- الفضائيات العربية التنصيرية، تركي بن خالد الظفيري، مطبوعات مجلة البيان، ط١(١٤٢٨هـ).

٣٨٣- فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية، د. عز الدين فراج، دار الفكر العربي، القاهرة، (١٩٨٨م).

٣٨٤- الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٢ (١٤٠٥هـ).

٣٨٥- فقه التحضر الإسلامي، د. عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ (١٩٩٩م).

٣٨٦- فقه الزكاة، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٠ (١٤١٢هـ).

٣٨٧- فقه السنة، السيد سابق، مكتبة الرشد، الرياض، ط١(١٤٢٢هـ).

٣٨٨- فقه السيرة، محمد الغزالي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (ب.ت).

٣٨٩- فقه المواريث، أحمد عبد القادر محيي، مكتبة دار العلوم، جدة، ط٢ (١٤١٠هـ).

٣٩٠- فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، لمحمد عابد الجابري، ط. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١ (٢٠٠٢م).

٣٩١- الفكر الإسلامي الحديث وصلة بالاستعمار الغربي، ، د. محمد البهي، دار الفكر، بيروت ط٦، ١٣٩٣هـ.

٣٩٢- الفهرست، محمد بن إسحاق بن النديم، دار المعرفة، بيروت، ط٢ (١٤١٧هـ) اعتنى به: إبراهيم رمضان.

٣٩٣- فوبيا الإسلام في الغرب، سعيد اللاوندي، دار أخبار اليوم، القاهرة، ط١ (٢٠٠٦م).

٣٩٤- في الحضارة وأمراضها والتقدم والتخلف، د. نعمان السامرائي، مكتبة المعارف، الرياض، (١٤٠٨هـ).

٣٩٥- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار العلم للطباعة، جدة، الطبعة ١٢، (١٤٠٧هـ).

٣٩٦- القائد وإدارة الصراع، أنمار لطيف نصيف جاسم، دار الجيل والمكتبة الثقافية، بيروت (٢٠٠٠م).

٣٩٧- القاديانية دراسة وتحليل، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور.

٣٩٨- قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله الزير آل حمد، ط١ (١٤٢٥هـ).

٣٩٩- القاموس السياسي، أحمد عطية الله، دار النهضة العربية، ط٣.

٤٠٠- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدي أبو جيب، دار الفكر، بيروت، ط١ (١٩٨٢م).

٤٠١- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروزأبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (١٣٩٨هـ).

٤٠٢- قراءات في فكر حزب التحرير الإسلامي، جواد بحر النتشة، مطبعة الهدى، فلسطين، ط١ (٢٠٠٧م).

٤٠٣- قراءة في الكتاب المقدس، د. صابر طعيمة، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ط (١٤٢٦هـ).

٤٠٤- قراءة نقدية في خطابات حوار الحضارات، السيد ياسين، دار السلام للطباعة والنشر / ٢٠٠٢.

٤٠٥- القرآن وتلوث البيئة، محمد عبد القادر الفقي، مكتبة المنار الإسلامية، جدة، ط١ (١٤٠٦هـ).

٤٠٦- القرن الواحد والعشرون، محسن الموسوي، دار الهادي، بيروت، ط١ (١٤١٢هـ).

٤٠٧- قصة الحضارة، دي يورانت، مطابع الدجوي، القاهرة (ب ت)، ترجمة: محمد بدران.

٤٠٨- قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية: دراسة نقدية في ضوء الإسلام، د. فؤاد العبد الكريم، رسالة دكتوراه، مقدمة لكلية الشريعة - جامعة الإمام بالرياض، مخطوطة، (١٤٢٢هـ).

٤٠٩- قضية التصنيع في إطار النظام الاقتصادي العالمي الجديد، محمد عبد الشفيع، دار الوحدة، بيروت، ط١ (١٩٨١م).

٤١٠- قضية السكان والتنمية في ضوء الاقتصاد الإسلامي، د. حسين حسين شحاتة، مجمع بحوث الأزهر، القاهرة، (ب ت).

٤١١- القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، د. محمد بن عبد الله السلومي، من إصدارات مجلة البيان، ط١ (١٤٢٤هـ).

٤١٢- القطاع الزراعي في ظل انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية، د. عبد الله العبيد، من مطبوعات وزارة الزراعة السعودية، الرياض، ١٤٢٧هـ.

٤١٣- القطامي التغلبي حياته وشعره، عبد التواب الهواري، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الآداب، (١٩٧٤م).

٤١٤- قوة الثقافة لا ثقافة القوة، د. عمر عبيد حسنة، ضمن أبحاث مركز البحوث والدراسات، الدوحة (١٤٢٤هـ).

٤١٥- قيم حضارية في القرآن الكريم: عالم ما قبل القرآن، توفيق محمد سبع، دار المنار، القاهرة (ب. ت).

٤١٦- الكافي، عبد الله بن قدامة المقدسي، دار هجر، مصر، ط١(١٤١٨هـ) تحقيق: د. عبد الله التركي.

٤١٧- الكامل للمبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار الفكر العربي (القاهرة)، (١٤١٧هـ/١٩٩٧ م).

٤١٨- الكامل في ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، الطبعة الأولى، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤١٩- الكتاب الأبيض حول الحوار بين الحضارات، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، (١٤٢٣هـ).

٤٢٠- كتاب الإخوان، عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م).

٤٢١- الكتب والمكتبات بين القديم والحديث، عبد الستار الحلوجي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٢ (١٤٢٢هـ).

٤٢٢- الكشاف، للزمخشري؛ جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ). تحقيق : خليل مأمون شيحا، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٣هـ.

٤٢٣- كيف تحاور، د. طارق الحبيب، دار المسلم، الرياض، ط٢ (١٤١٦هـ).

٤٢٤- لباس التقوى والتحديات المعاصرة للمرأة المسلمة، د. عيادة أيوب الكبيسي، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط١ (١٤٢١هـ).

٤٢٥- لسان العرب، محمد بن منظور، مكتبة الرشد، الرياض، ط٦ (١٤١٧هـ).

٤٢٦- اللغة العربية في عصر العولمة، د. أحمد بن محمد الضبيب، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١ (١٤٢٢هـ).

٤٢٧- لمحات عن منهجية الحوار والتحدي الإعجازي للإسلام في هذا العصر، رشدي فكري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ (١٩٨٢م).

٤٢٨- لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ (ص ٤٢).

٤٢٩- المؤامرة على المرأة المسلمة، د. سيد أحمد فرج، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١ (١٩٨٥).

٤٣٠- ما العولمة؟، بول هيرست، وجراهم طوبسون، ترجمة فالح عبد الجبار، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، (٢٠٠١م).

٤٣١- المائة الأوائل، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ترجمة: أنيس منصور، ط٧ (١٩٨٩م)، ولكنه سماه (الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ).

٤٣٢- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار القلم، الكويت، ط ١٣ (١٤٠٢هـ).

٤٣٣- ماذا عن المرأة، د. نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، ط٣ (١٣٩٩هـ).

٤٣٤- مبادئ الاقتصاد في الإسلام والبناء الاقتصادي في الدولة الإسلامية، علي عبد الرسول، دار الفكر العربي، بيروت، ط١ (١٩٦٨م).

٤٣٥- مبادئ التعايش السلمي في الإسلام، د. عبد العظيم المطعني، دار الفاروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٤٣٦- مبادئ القانون الدولي العام، د. عبد العزيز محمد سرحان، دار النهضة العربية، مصر، (١٩٨٠م).

٤٣٧- مبادئ النظام السياسي، د. محمد محمد إسماعيل فرحات، دار الشروق، مصر، ط٣، ١٩٩١م.

٤٣٨- مبادئ نظام الحكم في الإسلام مع المقارنة بالمبادئ الدستورية الحديث، د. عبد الحميد متولي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط٤ (١٤٠٨هـ).

٤٣٩- المجتمع الإسلامي، د. مصطفى عبد الواحد، دار البيان العربي، جدة، ط٢(١٤٠٤هـ).

٤٤٠- المجتمع الإسلامي، دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم، محمد نجيب أبو عجوة.

٤٤١- المجتمع العربي المعاصر، حليم بركات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١ (١٩٨٤م).

٤٤٢- المجتمع والأسرة في الإسلام، . محمد الطاهر الجوابي، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣ (١٤٢١هـ).

٤٤٣- مجتمعنا المعاصر، د. عبد الله المشوخي، مكتبة المنار، الأردن، ط١ (١٤٠٧هـ).

٤٤٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٤٥- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن القاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، (١٤١٦هـ).

٤٤٦- مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، جمع: د. محمد الشويعر، طبع الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض.

٤٤٧- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس، بيروت، ط٥ (١٤٠٥هـ).

٤٤٨- محاضرات في الثقافة الإسلامية، أحمد محمد جمال، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٦ (٢٠٠١م).

٤٤٩- محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والإسلام، غسّان سليم سالم، دار الطليعة، بيروت، ط١ (٢٠٠٤م).

٤٥٠- المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد الصواف، دار الاعتصام، الدمام، (ب ت).

٤٥١- مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام، د.سعيد بن سعد مرطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

٤٥٢- المدينة، جورج باستيد، ترجمة: عادل العوا – طبع دمشق.

٤٥٣- المرأة المسلمة بين الشريعة الإسلامية والأضاليل الغربية، فدى عبد الرزاق القصير، مؤسسة الريان، بيروت، ط١ (١٤٢٠هـ).

٤٥٤- المرأة المسلمة بين غرائز البشر وهداية الإسلام، د. صابر طعمة، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤٢٨).

٤٥٥- المرأة بين البيت والمجتمع، محمد البهي الخولي، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ط٣ (١٩٩٥م).

٤٥٦- المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، ط٦ (١٤٠١).

٤٥٧- المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم، د. عمر الأشقر، مكتبة السنة، القاهرة، ط١(١٤١٠هـ).

٤٥٨- المرأة بين نهجين الإسلام أو العلمانية، د. عدنا النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٤٥٩- المرأة في الإسلام، د. محمد معروف الدواليبي، دار النفائس، بيروت، ط١ (١٩٨٩م).

٤٦٠- المرأة في الإسلام، سامية منسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١ (١٤١٦هـ).

٤٦١- المرأة في الإسلام، على عبد الواحد، دار نهضة مصر القاهرة، ط٢، (ب ت).

٤٦٢- المرأة في القرآن، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، لبنان.

٤٦٣- المرأة ماذا بعد السقوط، بدرية العزاز، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط١ (ب ت).

٤٦٤- مراسلات النبي r وبعثاته الدبلوماسية: دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر، سهيل حسين الفتلاوي، دار الضياء، عمان، الأردن، ط١ (٢٠٠١).

٤٦٥- المراكز الإسلامية في الخارج، معالي د. عبد الله التركي، بحث مطبوع بمكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٤هـ.

٤٦٦- مراكز الحضارة الإسلامية، د. حامد غنيم أبو سعيد، دار السلام، القاهرة، ط١(١٤٢٨هـ).

٤٦٧- مراكز النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية، د. علي إبراهيم النملة، الرياض، ط٢، (١٤٢٤هـ).

٤٦٨- مركز المرأة في الحياة الإسلامية، د. يوسف القرضاوي، دار الفرقان للنشر، الأردن، ط١ (١٩٩٢م).

٤٦٩- مسارات وخبرات في حوار الحضارات، أحمد محمد عبد الله وآخرون، طبع برنامج حوار الحضارات، جامعة القاهرة (٢٠٠٤م).

٤٧٠- المسألة الثقافية في العالم العربي/ الإسلامي، رضوان السيد، دار الفكر، دمشق، ط١ (١٤١٨هـ).

٤٧١- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

٤٧٢- المستشرقون والتاريخ الإسلامي، علي حسن الخربوطلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (١٩٨٨م).

٤٧٣- المستشرقون والتنصير، د. علي بن إبراهيم النملة، مكتبة التوبة، الرياض، ط١ (١٤١٨).

٤٧٤- مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي، أحميدة النيفر وموريس بورمانس، طبع دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠٥م.

٤٧٥- مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام، محمد سعدي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١ (٢٠٠٦م).

٤٧٦- المسلمون والعولمة، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١(١٤٢٠).

٤٧٧- مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، (١٤٢٩) بإشراف: د. عبد الله التركي.

٤٧٨- المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، د. عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١ (١٤٢٤هـ).

٤٧٩- مشكاة المصابيح، لمحمد عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان .

٤٨٠- مشكلة البطالة وعلاجها في الإسلام، د. سامر مظهر قفطقجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (٢٠٠٥م).

٤٨١- مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥ (١٤٠٦هـ).

٤٨٢- مشكلتا الجوع والخوف وكيف عالجها الإسلام، د. حسين حسين شحاتة، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١ (١٩٨٨م).

٤٨٣- المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، د. صادق سليم صادق، الرياض، ط٢ (١٤٢٧هـ).

٤٨٤- المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٣٩٨ هـ).

٤٨٥- مصر في عصر الفاطميين، محمد بركات البيلي، دار النهضة العربية القاهرة، ط١(١٩٩٥م).

٤٨٦- المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩١ هـ.

٤٨٧- مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيئ على الأمة الإسلامية، إدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤١٩هـ).

٤٨٨- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، دار الفكر، بيروت، ط١(١٤٠٥).

٤٨٩- معالم الحضارة الإسلامية وأثرها في النهضة الأوربية، عبد الله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ط٢، (١٤٠٤هـ).

٤٩٠- معالم الحضارة الإسلامية، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣ (١٩٧٨م).

٤٩١- معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية، د/ سيد توفيق، دار النهضة العربية، ١٩٩٠.

٤٩٢- معالم على طريق تحديث الفكر العربي، د. معن زيادة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ضمن سلسلة عالم المعرفة، ط١ (١٩٨٧م).

٤٩٣- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، ت: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، ط١٤٠٨، ١هـ ـ ١٩٨٨م.

٤٩٤- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٤٩٥- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، (٢٠٠٠م).

٤٩٦- المعجم الصغير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط ٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٩٧- المعجم الفلسفي، إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط١ (١٩٨٣م).

٤٩٨- المعجم الكبير لأبي القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨م.

٤٩٩- المعجم الوسيط، د.إبراهيم أنيس وآخرون، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط١، ١٩٧٣م.

٥٠٠- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار الجيل، بيروت، تحقيق: عبد السلام هارون.

٥٠١- معركة الإسلام والرأسمالية، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط ٨ (١٤١٥هـ).

٥٠٢- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، محمد عمارة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٣، (٢٠٠٦).

٥٠٣- المغني، عبد الله بن أحمد بن قدامة، دار هجر، القاهرة، ط٢ (١٤١٣هـ) تحقيق: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو.

٥٠٤- مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون معلومات).

٥٠٥- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة، بيروت، ط١ (١٤١٨هـ)، تحقيق: محمد عيتاني.

٥٠٦- مفهوم العولمة بلغة مفهومة تجربة المملكة في منظمة التجارة العالمية، د. فواز العلمي، دار المريخ، الرياض، (٢٠٠٨م).

٥٠٧- مفهوم المساواة في الإسلام، د. رشاد خليل، دار الرشيد، الرياض (ب ت).

٥٠٨- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، د. محمد سعد اليوبي، دار الهجرة، الدمام، ط١، (١٤١٨هـ).

٥٠٩- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، بدون معلومات نشر.

٥١٠- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، د. يوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤١٥هـ.

٥١١- مقدمة ابن خلدون، وهو المجلد الأول من كتاب التاريخ، دار البيان — بيروت.

٥١٢- مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، محمد سماك، دار النفائس، الأردن، ط١.

٥١٣- مقدمة في أصول الاقتصاد الإسلامي، محمد علي القري، دار حافظ، جدة ط١، (١٤١١هـ).

٥١٤- مقدمة في علم الاستغراب، حسن حنفي، الدار الثقافية القاهرة، ط١ (١٩٩١).

٥١٥- المقنع والشرح الكبير والإنصاف، طبعه مجموعة بتحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر، ط١ (١٤١٥هـ).

٥١٦- مقومات النظام السياسي الإسلامي وصياغة علاقاته مع الآخر، د. أحمد عامر، المكتبة العصرية.

٥١٧- من أجل تحرير حقيقي للمرأة، محمد رشيد العويد، دار حواء للثقافة، الكويت، ط٢ (١٤١٤هـ).

٥١٨- من خبرات حوار الحضارات، كلية السياسة والاقتصاد، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م.

٥١٩- من فقه الدولة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط٥ (١٤٢٧هـ).

٥٢٠- من يجرؤ على نقد إسرائيل، باسكال يونيفاكس، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م)، ترجمة: أحمد الشيخ.

٥٢١- المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، ط٣٣ (١٤١٣هـ).

٥٢٢- منظمة المؤتمر الإسلامي: دراسة لمؤسسة سياسية إسلامية، د. عبد الله الأحسن، ترجمة د. عبد العزيز الفايز، ط٢ (١٤١٤هـ).

٥٢٣- منهاج الإسلام في الحكم، محمد أسد، ترجمة وتحقيق: منصور محمد ماضي، دار العلم للملايين، ط٦ (١٩٨٣).

٥٢٤- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مؤسسة قرطبة، الرياض، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١ (١٤٠٦هـ).

٥٢٥- منهج الجدل والمناظرة، عثمان حسن، دار إشبيليا، الرياض، ط١ (١٤٢٠هـ).

٥٢٦- المواجهة بين الإسلام والغرب، د. محمد مورو، الدار المصرية للنشر، القاهرة، ط١ (١٩٩٣م).

٥٢٧- المواريث في الشريعة الإسلامية، حسن خالد، د. عثمان نجا، دار لبنان للنشر، بيروت، ط٤ (١٩٨٧م).

٥٢٨- المواطنة في غير ديار الإسلام بين النافين والمثبتين، د. صلاح الدين سلطان، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ.

٥٢٩- المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، بشير نافع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (٢٠٠١م).

٥٣٠- المواطنة والهوية، أ. د. جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، العدد ٢١١، ربيع الأول، ١٤٢٦هـ.

٥٣١- المواطنة، إبراهيم ناصر، مكتبة الرائد العلمية، عمان، (١٩٩٤م).

٥٣٢- مواقف وتحديات في العالم العربي، د. عصمت عبد المجيد، دار الشروق، القاهرة، ط١ (٢٠٠٣م).

٥٣٣- الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس الجلعود، دار اليقين.

٥٣٤- الموجة الثالثة، صامويل هنتنجتون، ترجمة: د/عبد الوهاب علوب، دار سعاد الصباح، الكويت، ط ١.

٥٣٥- موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، خديجة النبراوي، دار السلام، القاهرة ، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).

٥٣٦- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع الجهني، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط ٤(١٤٢٠هـ).

٥٣٧- موسوعة تصحيح المفاهيم، أ. د. أحمد شوقي إبراهيم، نهضة مصر، القاهرة، ط١ (٢٠٠٨م).

٥٣٨- موسوعة في الحضارة الإسلامية، حنان قرقوتي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط١ (٢٠٠٦م).

٥٣٩- موسوعة نضرة النعيم، إعداد مجموعة من المختصين، دار الوسيلة، جدة، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ).

٥٤٠- ميراث المرأة وقضية المساواة، د. صلاح الدين سلطان، دار نهضة مصر، القاهرة، ط١ (١٩٩٩م).

٥٤١- الميراث بين عدالة الإسلام وجور القوانين الوضعية، د. أحمد عبد القادر محيي، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أمباثدور بالولايات المتحدة.

٥٤٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق محمد علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ.

٥٤٣- نحن والآخر وإشكالية المصطلح والحوار، ا. د / حامد بن أحمد الرفاعي، ط ١ (٢٠٠٦ هـ).

٥٤٤- نحو ثقافة إسلامية أصيلة، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط٣، ١٤١٢هـ).

٥٤٥- نحو فقه جديد للأقليات، د. جمال الدين عطية محمد، دار السلام، القاهرة، ط٢ (١٤٢٨هـ).

٥٤٦- النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير: دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات، محمد عثمان صالح، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، ط١ (١٤١٠هـ).

٥٤٧- النظام الاقتصادي في الإسلام – مبادئه وأهدافه- . د. فتحي أحمد عبد الكريم، ود. محمد العسال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٨ (١٤١٣هـ).

٥٤٨- النظام الاقتصادي في الإسلام، د. عمر المرزوقي وآخرون، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢ (١٤٢٧هـ).

٥٤٩- النظام الاقتصادي ومدى ارتباطه بالمنهج الرباني، د. وهبة الزحيلي، دار المكتبي، دمشق، ط١ (١٤١٨هـ).

٥٥٠- النظام السياسي في الإسلام، د. برهان غليون، ود. محمد سليم العوا، دار الفكر، بيروت، ط١ (٢٠٠٤).

٥٥١- النظام السياسي في الإسلام، د. سعود بن سلمان آل سعود وآخرون، مدار الوطن، الرياض، ط٣ (١٤٢٩هـ).

٥٥٢- النظام السياسي في الإسلام، د. سليمان العيد، دار الوطن، الرياض ط١، (١٤٢٢هـ).

٥٥٣- النظام السياسي في الإسلام، د. محمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان، ط٢ (١٤٠٧هـ).

٥٥٤- نظرات إسلامية في مشكلة التمييز العنصري، عمر الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ (١٤٠٣هـ).

٥٥٥- نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع خلال القرن الرابع عشر الهجري، رشدي فكري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١ (١٩٨٠م).

٥٥٦- النظرية الاقتصادية من منظور إسلامي، د. شوقي دنيا، مكتبة الخريجي، الرياض، ط١ (١٤٠٤هـ).

٥٥٧- النظم الإسلامية، عبد العزيز الدوري، مركز دراسات الوحدة، بيروت، ط١ (٢٠٠٨م).

٥٥٨- النظم الاقتصادية المعاصرة، د. محمد حامد عبد الله، طبع جامعة الملك سعود، الرياض، (١٤٠٧هـ).

٥٥٩- نظم الحضارة الإسلامية، حسن محمد جودة، دار النشر الدولي، الرياض، ط١ (١٤٢٣هـ).

٥٦٠- النظم والنظريات السياسية الإسلامية، فضل الله محمد إسماعيل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط١ (٢٠٠٣م).

٥٦١- النقد الحضاري للمجتمع العربي في نهاية القرن العشرين، هشام شرابي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١ (١٩٩٩م).

٥٦٢- نهاية التاريخ والإنسان الأخير، فرانسيس فوكوياما، مركز الإنماء، بيروت (١٩٩٣م)، ترجمة: حسين أحمد أمين.

٥٦٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ (١٤١٨هـ) تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة.

٥٦٤- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، المكتبة القيمة، مصر، ط٤ (١٤٠٧هـ)، تحقيق: أحمد حجازي.

٥٦٥- الهلينية في مصر، إندرس بيل، ترجمة: عبد اللطيف وفريد (ط١، دار الندى، مصر، بدون تاريخ).

٥٦٦- الوطنية كائن هلامي، سلسلة كتاب المعرفة، مجلة المعرفة، الرياض ، ط١، (١٤٢١هـ).

٥٦٧- وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني، على القاضي، دار القلم، الكويت، ط١ (١٣٠٣هـ).

٥٦٨- الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، د. منذر قحف، دار الفكر، دمشق، ط١ (١٤٢١هـ).

٥٦٩- الولاء والبراء بين الغلو والجفاء، حاتم بن عارف الشريف، المكتبة العصرية، ط١ (١٤٢٧هـ).

٥٧٠- الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد القحطاني، دار طيبة، الرياض، ط١٢، (١٤٢٧هـ).

٥٧١- ولاية المرأة في الفقه الإسلامي، حافظ محمد أنور، دار بلنسية، الرياض، ط١ (١٤٢٠هـ).

٥٧٢- اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، د. فرج الله عبد الباري، دار الوفاء، القاهرة، ط١ (١٩٩١م).

٢ - المراجع الأجنبية:

٥٧٣- **Arnold Toynbee, p.** 228. **،A study of History**

٥٧٤- **Bruno Colson, Le tiers – monde Dane la pensée stratégique americaine hautes etudes strategiques (Paris: Institut de stratégie comparée, Economica) –** 1994**, p** 41**.**

٥٧٥- **cultural Areas, Theoyies About الموسوعة البريطانية** 365

٥٧٦- **Fernand Braudel, la Grammaire des civilisations, Paris: Gallimard**

٥٧٧- **Francis Fukuyama " Contre le Nouveau Pessimisme Cemmentaire, No.** 55**Cété** 1994**, p**273.

٥٧٨- **General Assembly ,Distr. General**15 **October** 2000**, Fifty- Fifteen. The Session Agenda Item** 32 **United Nations Year of Dialogue Among civilizations.**

٥٧٩- **H.A.R. Gibb, p.** 379. **،Wither Islam**

٥٨٠- **Ingmar Karlsso, "El-Choqe de civilizaciones unsenario?" politica exterid, vol,** 8**, No.** 40**cagost setember** 1994**), pl** 161.☐

٥٨١- **Marrin patchen, resolving disputes between nations, duke press, studies duke university. Press, London** 1988 **P**30 **Doticy**

٥٨٢- **P.** 38**. Arnold Toynbee, ،Civilization on Trial Ibid. p.**21**.**

٥٨٣- **Pascal Bruckner " Samuel Hintington ou le retous de la fatalitec de l'histoire.**

٥٨٤- **Roger Mucchielli, Philosophie de l'action, guides pratiques Bordas Baccalauréat Nouveau entièrement remanié et conforme aux nouveaux Programmes (Paris) Bordas,** 1970**, p** 257**.**

٥٨٥- **the ordre A: columbis and somes H. wolfe, introduction to international relations N/. J. Printice hall** 1988**P.**157**.**

٥٨٦- **The Prague Declaration (مقال باللغة الإنجليزية بعنوان (إعلان براغ**

<u>٣ - الدوريات والندوات والمؤتمرات</u>

٥٨٧- الأحكام والضوابط العقدية للحوار مع غير المسلمين د/ سهل العتيبي – جامعة الملك سعود، بحث مقدم لمؤتمر الحوار في الأردن.

٥٨٨- أدب الجريمة كمدخل لنقد الغرب، مقال: محمد إسماعيل زاهر، جريدة الخليج الإماراتية، الشارقة، ٢٠٠٨/٣/١٨م.

٥٨٩- أزمة الحضارات في القرن العشرين روبرت جرين، ترجمة: عمر ديوب، مجلة المجتمع، يوليو (١٩٩٥م).

٥٩٠- أزمة الحضارات في القرن العشرين، روبرت غرين، ترجمة: عمر ديوب، مجلة المجتمع، ١٩٩٥.

٥٩١- الاستعمار والبث التلفزيوني، فهمي هويدي، جريدة الأهرام المصرية، ١٩٨٩/٦/٢٧م.

٥٩٢- الإسلام والآخر، حمدي شفيق، جريدة النور الإسلامية المصرية، بحث مطول على موقع الجريدة.

٥٩٣- الإسلام وحوار الحضارات، كامل الشريف، بحث مقدم إلى مؤتمر مكة في دورته الخامسة، ٤- ٦ / ١٢/ ١٤٢٥هـ.

٥٩٤- الأطروحات الغربية في توصيف علاقة الغرب بالإسلام، د. إبراهيم الناصر، ضمن التقرير الإستراتيجي السنوي، مجلة البيان، الرياض، (١٤٢٩هـ).

٥٩٥- الأمريكيون والإسلام السياسي تأثير العوامل الداخلية في صنع السياسة الخارجية الأمريكية، فواز جرجس– مجلة المستقبل العربي – عدد ٢١٧، مارس ١٩٩٧م.

٥٩٦- أيهما أولى تنمية الموارد البشرية أم حسن استغلالها، مقال: د. سالم القطيع، جريدة الاقتصادية عدد (٤٥١٠) في ٢٠٠٦/٢/١٥م.

٥٩٧- تركي الحمد، صحيفة المدينة السعودية، ملحق الأربعاء، ١٥ أبريل (١٩٩٨م).

٥٩٨- التشريع الإسلامي سبق القوانين الغربية في الاهتمام بكبار السن، جريدة الجزيرة السعودية، عدد (١٣٢٧٣) في ٤ صفر ١٤٣٠هـ.

٥٩٩- التماسك الأسري في ظل العولمة، د.وليد الرشودي، بحث مقدم ضمن ندوة الأسرة والتحديات المعاصرة التي نظمتها مجلة البيان، الرياض ١٤٢٩/١١/١٥هـ.

٦٠٠- توصيات المؤتمر الدولي الأول في تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين، جامعة الشارقة، من ١٦ — ١٩ ربيع الأول ١٤٥٩.

٦٠١- الثورة الفرنسية والفكر العربي، جلال السيد، مجلة الهلال المصرية، عدد سبتمبر ١٩٨٩م.

٦٠٢- جريدة الأهرام المصرية ١٦/٤/ ٢٠٠٥م.

٦٠٣- جريدة الأهرام المصرية في ١٣/ ٨/ ١٩٩٩م.

٦٠٤- جريدة الجزيرة عدد (١٣٢٠٤) ١٤٢٩/١١/٢٤هـ.

٦٠٥- جريدة الرياض السعودية، عدد (٩١٥٠) في ١٤١٤/١/٢٦هـ.

٦٠٦- جريدة الرياض، تقرير حول واقع الأسرة الغربية، عدد (١١٤٧٦) في ١٤٢٠/٨/١٧م.

٦٠٧- جريدة الرياض، عدد (٩٢٥٤) في ١٤١٤/٥/١٠هـ.

٦٠٨- جريدة الشرق الأوسط، العدد (٨٥١٧) في ١٤٢٣/١/١١هـ.

٦٠٩- جريدة العرب بتاريخ ٧/ ٤ / ٢٠٠٨م، تحقيق بعنوان: : «الاستعلاء الغربي يصور الرجل الأبيض سيد الكون وإله البشر».

٦١٠- جريدة القدس العربي، عدد (١٧١٤) في ١٤١٥/٧/١٢هـ

٦١١- جريدة الليموند الفرنسية). Lemonde 29/9/(2001p.5)

٦١٢- جريدة الوطن الكويتية، تحقيق موسع أعده: سالم عبد الغفور، في ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٨م.

٦١٣- جهاد عودة، وأشرف راضي، نزاعات غير تقليدية أشكال جديدة للعنف في الشرق الأوسط، كراسات استراتيجية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، العدد ٣٧، ١٩٩٦م.

٦١٤- جوستاف لوبون وإنصافه للحضارة العربية، فهد السنيدي، بحث مقدم لمؤتمر (الاستشراق) المنية، (١٤٢٧هـ).

٦١٥- حب الوطن، د.عبد السلام بن برجس العبد الكريم، منشور في موقعه كاملاً، وتم نشره في جريدة الرياض، عدد ١٢٧١٩، ١٦/ ٢/ ١٤٢٤هـ.

٦١٦- حدث فريد لحوار الحضارات، مقال د. عبد العزيزالتويجري، جريدة الحياة، ٢٠٠٨/١١/٣٠.

٦١٧- حروب المياه، مقال: سعد محمد رحيم، مجلة الحوار المتمدن، العدد (٢١٣٩) في ٢٠٠٧/١٢/٢٤م.

٦١٨- الحق والخير والجمال في الشعر والأدب بمجلة «الفيصل» - الرياض — ع ١٨- ذو الحجة ١٣٩٨ هـ.

٦١٩- حكاية حفيدة اللورد كرومر، جريدة الشرق الأوسط، عدد (١٠٦١٧) في ١٤ ذي الحجة ١٤٢٨هـ كتبته: صافي ناز كاظم.

٦٢٠- حوار الحضارات أو العلاقة بين أمة الإجابة وأمة الدعوة، د. إبراهيم بن ناصر الناصر.التقرير الاستراتيجي الثاني مجلة البيان، ١٤١٥هـ.

٦٢١- الحوار الحضاري والثقافي: أهدافه ومجالاته، د. عبد العزيز التويجري ص ٥، بحث مقدم لمؤتمر مكة الخامس الذي انعقد بنفس العنوان ١٤٢٥ هـ.

٦٢٢- الحوار المسيحي الإسلامي: قراءة في كتاب: التصورات اللاهوتية المسيحية عن المسلمين منذ مجلس الفاتيكان الثاني د. محمود إيدن، مجلة إسلامية المعرفة، العدد (٤٤) السنة الحادية عشرة، ربيع ١٤٢٧هـ.

٦٢٣- حوار مع د. سلمان العودة، مسجلاً بصوته بتاريخ ٢٠/ ٨/ ١٤٢٨هـ.

٦٢٤- حول حوار الحضارات والثقافات من أين يبدأ؟ وكيف؟ د. سعيد عبد الله سلمان، مجلة الجامعة الإسلامية، لندن، العدد الرابع، (١٤١٥هـ).

٦٢٥- دور الايسيسكو في تطوير الثقافة العربية الإسلامية، د. عبد العزيز التويجري، ضمن ندوة مستقبل الثقافة في العالم العربي، التي نظمتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ٢٥- ٢٧ شعبان ١٤٢١هـ

٦٢٦- دور الزكاة في علاج الركود الاقتصادي، مقال: مجدي عبد الفتاح سليمان، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، عدد (٤٤٥)، السنة الثانية.

٦٢٧- سلسلة مقالات كتبها شيخ الصحفيين المصريين - كما يسمى- الشيخ علي يوسف في جريدة المؤيد المصرية عام (١٩٠٨م).

٦٢٨- السلطات الثلاث في الإسلام، بحث د. عبد الوهاب خلاف، مجلة القانون والاقتصاد، كلية الحقوق، جامعة القاهرة، السنة السادسة

٦٢٩- الشراكة الإستراتيجية الصينية –الروسية، نبيل زكي، جريدة الشرق الأوسط في ٢١/ ٤/ ١٩٩٧م.

٦٣٠- صالح بن حميد، لقاء مجلة الدعوة، العدد (٢١٢٤) ٢٤- ذو الحجة ١٤٢٨هـ.

٦٣١- صحيفة الشرق الأوسط العدد (٥٤٥٧) ١٦ نوفمبر ١٩٩٣م.

٦٣٢- صحيفة عكاظ السعودية، عدد (١٠٨٢٣) في ١٤١٦/١١/١٢هـ.

٦٣٣- صدام الحضارات أم نقار ديكة عمياء؟، خلدون الشمعة ص ١٠، مجلة الشرق الأوسط ٢١/ ١/ ١٩٩٥م.

٦٣٤- العائد الاقتصادي والاجتماعي لفريضة الزكاة، مقال: د. سامي رفاعي، مجلة الاقتصاد الإسلامي، عدد (١٥٠) شهر ١٤١٤/٥هـ.

٦٣٥- العائلة ومصيرها مستقبلاً، مقال: فهد عامر الأحمدي، جريدة الرياض السعودية، ٢٠٠٣/٢/٢٣م.

٦٣٦- العدد ٧٠/٦٩ من مجلة المسلم العاصر (١٩٩٤م).

٦٣٧- العولمة والدور الشرعي، أحمد محمد جمال، مقال: مجلة التضامن الإسلامي مكة المكرمة، شوال ١٤١٠هـ.

٦٣٨- عولمة مقاومة واستثمار، د. إبراهيم بن ناصر الناصر من إصدارات مجلة البيان، ط١ (١٤٢٦هـ).

٦٣٩- العولمة وصراع الحضارات، مقال د. جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، لندن، شوال ١٤٢٢هـ عدد ١٧٠.

٦٤٠- الفايننشال تايمز دراسة حول الجمعيات والهيئات والأفراد الرافضين للعولمة في عددها الصادر ٢٣/ ٤/ ٢٠٠١م.

٦٤١- فتوى د. أحمد عمر، جريدة المصري اليوم، ٢/٤/٢٠٠٦م.

٦٤٢- في التشخيص والعلاج، فهي هويدي، الشرق الأوسط ٢٤ ديسمبر ٢٠٠١م.

٦٤٣- قراءة في فكر مالك بن بني، محمد العبدة، مجلة البيان، العدد ١٧، شعبان (١٤٠٩هـ).

٦٤٤- قراءة للصراع في أفلام هوليود، دراسة قام بها الزميل رجا بن ساير في جريدة الرياض – عدد (١٣٤٧٦) بتاريخ ٩/ ٤/ ١٤٢٦هـ.

٦٤٥- القيادة الإرشادية ومهارة الاتصال بالآخرين، نُظمت بإشراف وزارة الأوقاف الأردنية.

٦٤٦- كلمة معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي د. عبد الله التركي، حفل افتتاح مؤتمر مكة الخامس، بعنوان: (الحوار الحضاري والثقافي... أهدافه ومجالاته) مكة المكرمة ٤ - ١٤٢٥/١٢/٦هـ.

٦٤٧- لقاء مع فضيلة الدكتور/ عبد الرحمن المحمود أجراه الباحث بتاريخ ٧/ ١١/ ١٤٢٨هـ، ونشرته مجلة البيان عدد شوال ١٤٢٩هـ.

٦٤٨- مجلة الدعوة السعودية، عدد (١١٥٣) في ١٤٠٩/١/٣هـ.

٦٤٩- مجلة السياسة الدولية، القاهرة، مؤسسة الأهرام، العدد ١٥١، يناير (٢٠٠٣م).

٦٥٠- مجلة المجتمع الكويتية، عدد (١١٤٤) في ٤/ ١١/ ١٤١٥هـ.

٦٥١- مجلة المجمع العلمي لبحوث القرآن والسنة بمصر، العدد السادس، ١٤٢٩هـ، الحوار الحضاري بين العالم الإسلامي والغرب، أ. د. محمود حمدي زقزوق (٣٥).

٦٥٢- مجلة الوعي الإسلامي، عدد (٤٣٧) سنة (٢٠٠٢م).

٦٥٣- مجلة منبر الإسلام، العدد ٧ (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٣م)، ص ٥٢ قطعة من محاضر الأمير تشارلز في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٩٣م.

٦٥٤- مجلة منبر الإسلام، مصر، شعبان (١٤١٩هـ).

٦٥٥- مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، عدد (٥١٥) في ٢٠٠٨/٧/١٧.

٦٥٦- محاضرة ألقاها د. محمد النجيمي بمركز الملك فيصل بالرياض بعنوان «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الدواعي والواقع وإشكاليات التطبيق»، ونشرت جريدة الرياض مقتطفات منها عدد (١٣٦٨٩) في ١٤/ ١١/ ١٤٢٦هـ.

٦٥٧- محاضرة صوتية للدكتور/ زغلول النجار: (حول الإعجاز العلمي في المؤتمرات الغربية).

٦٥٨- مشاكل العالم بالقيم المشتركة لا بالقيم الأطلسية، مقال: د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، جريدة الحياة، لندن، ٢٠٠٨/٢/٦م.

٦٥٩- مطالبات سيداو والاعتبار بالغرب، مقال: أسامة شحادة، جريدة الغد، الأردن، ١٤٢٠/٢/١٩هـ.

٦٦٠- مقال خطاب الرئيس بقلم: أحمد منصور، مجلة المجتمع، عدد (١١٢٦) في ١٩/ ١٤١٥/٦هـ.

٦٦١- موقف الفكر السياسي الإسلامي من الأحزاب السياسية، نعمان الخطيب، مجلة الإسلام اليوم، عدد إبريل ١٩٨٦م، تصدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ص١٥.

٦٦٢- النظام العالمي في القرن ٢١ ، ألفين توفلر وهايدي توفلر: ترجمة: عصام الشيخ، مجلة الثقافة العالمية، السنة ١٢ العدد ٧٠ مايو ١٩٩٥م.

٦٦٣- نظرية العيش المشترك، د. نجيب جبرائيل، رئيس منظمة الاتحاد المصري لحقوق الإنسان، بحث مقدم لمؤتمر الحوار في مدريد، عقد من ١٣- ١٥ /٧/ ١٤٢٩هـ.

٦٦٤- هل تؤدي العولمة إلى صدام الحضارات، مقال: أحمد كمال أبو المجد، مجلة وجهات نظر، مصر، السنة الثانية العدد (١٤) مارس ٢٠٠٠م.

٦٦٥- هل تثبت الحضارات؟ مجلة الحرس الوطني، عددا ١٦٤ و١٦٥ أبريل ١٩٩٦م.

٦٦٦- ورقة عمل «دورنا في نشر ثقافتنا» فهد السنيدي، مؤتمر الثقافة العربية، جامعة الظهران، ١٢ – ١٤ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ.

٦٦٧- الولاية العامة لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي، بحث مقدم لندوة «الشرعية السياسية في الإسلام» عقدت في بريطانيا عام (١٩٩٧م)، وهو للمحامي المصري: طارق البشري.

٦٦٨- Lemonde 2/9 (2001p. 4).

٤ -مواقع المعلومات على الشبكة العنكبوتية

٦٦٩- http://www.wasatyea.org/web/index.php?c=155&a=0741

٦٧٠- آداب الحوار، د. ناصر العمر، محاضرة مطبوعة، موقع المسلم، شبكة المعلومات.

٦٧١- أبحاث مؤتمر الحركات الإسلامية والمجال السياسي في البلاد العربية، كلية العلوم القانونية – جامعة القاضي عياض، المغرب ٢١- ٢٢ يونيو (٢٠٠٧م)، وهي منشورة على موقع مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية: www.dctcrs.org..

٦٧٢- أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، الكويت، (١٩٨١م) وأبحاثه منشورة على موقع ببليو إسلام.

٦٧٣- الإخوان المسلمون ومفهوم الدولة، بحث منشور على شبكة إسلام أون لاين، د. عصام العريان.

٦٧٤- الأخوة في الله، مقال: حسن عبد الحميد، شبكة المشكاة الإسلامية: www.meshkat.net/new.

٦٧٥- أدب الحوار في الإسلام، مداخلة للمحامي محمد القدوري في مؤتمر الإيسيسكو حول أدب الاختلاف في الإسلام، موقع الإيسيسكو على شبكة المعلومات.

٦٧٦- الإرهاب: المفهوم، الأسباب، العلاج، محمد الهواري، بحث علمي على شبكة الإسلام.

٦٧٧- الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف محمد القاضي، بحث على شبكة المعلومات، موقع الطريق العربي.

٦٧٨- الإسلام هو الحل، مقال بقلم: خالد أحمد الشنتوت، موقع مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والإستراتيجية – لندن.

٦٧٩- الإسلام والآخر حمدي شفيق، بحث على موقعه الخاص في الشبكة المعلوماتية.

٦٨٠- الإسلام والغرب: شقاق أم وفاق، نصر بن محمد الصنقري، بحث في موقعه على الشبكة.

٦٨١- اقتصاد ابن آوى، للباحثة الإيطالية لووريتا نابليوني، وله عرض باللغة العربية على موقع مكتوب: www.maktoob.com.

٦٨٢- انتشار الإسلام بالسيف شبهة لا محل لها، في ٢٠٠١/٢/٤م، موقع إسلام أون لاين.

٦٨٣- برنامج «بلا حدود» على موقع الجزيرة، استضاف د. حسان النجار، رئيس اتحاد الأطباء العرب، في ٨/ ٨/ ٢٠٠١م.

٦٨٤- التعايش الحضاري، مقال د. سلمان العودة، موقع الإسلام اليوم، وهو من ضمن الأسئلة التي أجاب عنها الدكتور مقدمة من الباحث بتاريخ ٢٠/ ٨/ ١٤٢٨هـ. www.islamtoday.net

٦٨٥- تعدد الخلق ووحدة الخالق، عصام البشير، ، مقال على شبكة المعلومات: TV. Net. www.iqraa

٦٨٦- تعدد الزوجات، سدينة إدريس الزوى، وهو بحث مقدم لجامعة أجدابيا (١٤٢٥هـ)، منشور على موقع صيد الفوائد.

٦٨٧- التنصير إفريقيا... جهد كاسح ونتائج كسيحة، أيمن شبانة، مقال على شبكة إسلام أون لاين.

٦٨٨- التنصير في إفريقيا بصحبة د. عبد الرحمن السميط بعنوان: (القارة المنسية)، وهي موجودة على موقع اليوتيوب.

٦٨٩- التواصل الحضاري مع الآخر خصوصية إسلامية، رأفت غنيمي، مقال على شبكة المعلومات: WWW.ALmotamar.net.

٦٩٠- الجهاد، د. سلمان العودة، مقال في موقع الإسلام اليوم.

٦٩١- الحرب المقدسة، علي الريس، وهو كتاب إلكتروني على موقع الجامعة الإسلامية www.aljame3.net.

٦٩٢- حقوق الإنسان... بون شاسع بين الطرحين الغربي والإسلامي، بحث: وسام فؤاد، منشور على موقع إسلام أون لاين.

٦٩٣- حوار الحضارات .. نظرات وخطرات، الأمير الحسن بن طلال، ورقة بحث مقدمة لمؤتمر المشاهير بدبلن، إيرلندا، ٣٠ – ٣٠ مايو / ٢٠٠١م، وهي على موقع منتدى الفكر العربي.

٦٩٤- دراسة بريطانية، موجود على شبكة الأخبار العربية «محيط» www.moheet.com .

٦٩٥- دراسة عن مقومات ومحددات التطبيق المعاصر للاقتصاد الإسلامي، د. حسين حسين شحاتة، وهي منشورة على موقعه الخاص.

٦٩٦- دور فريضة الزكاة في الإصلاح الاقتصادي، بحث محكم، د. حسين شحاتة، موقع إسلام أون لاين.

٦٩٧- الدولة الدينية لدى الإسلاميين المعاصرين، رضوان السيد، موقع إسلام أون لاين.

٦٩٨- رغم حملات التنصير.. يهود يعتنقون الإسلام في الجزائر موهوب رفيق، موقع لذيذ : www.lazeeez.com

٦٩٩- شهادة يهود دخلوا الإسلام، أحمد عبد الباري شراب، موقع دنيا الوطن، نشر في ٢٠٠٨/٢/٥م www.alwatanvoice.com

٧٠٠- صحيفة الخبر السودانية، ٢٠٠٥/٩/٢م، وهو موجود على موقع الشبكة الدعوية.

٧٠١- صلاح الصاوي، لقاء على شبكة المعلومات في موقع مفكرة الإسلام.

٧٠٢- ظهور الأصولية الإنجيلية، د. سفر الحوالي، الموقع الخاص بالدكتور، حيث أشار إلى بعض هذه المعلومات.

٧٠٣- عزة المسلم، محاضرة د. ناصر العمر، موقع المسلم.

٧٠٤- عودة العمل الإسلامي في مواجهة أعاصير العولمة، مقال د. صلاح الصاوي، منشور على موقع www.islamselect.com .

٧٠٥- العولمة الثقافية بحث د. حامد عبد الله العلي، ضمن سلسلة أبحاث العولمة على موقع www.islamselect.com

٧٠٦- العولمة وأثرها على الهوية، مقال د. خالد القاسم، موقع المختار الإسلامي ضمن ملف العولمة) www.islamselect.com.

٧٠٧- الغارة التنصيرية على أصالة القرآن، د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، بحث مقدم لندوة العناية بالقرآن الكريم وعلومه - المدينة المنورة في الفترة من ٣-١٤٢١/٧/٦هـ، وهو موجود على موقع شبكة الدعوة الإسلامية.

٧٠٨- فتوى صادرة للرد على أساقفة كاثوليك خلال اجتماعهم في روما، والفتوى موجودة على موقع دار الافتاء www.dar-alifta.org .

٧٠٩- قناة (AYL) في تقرير بثته في نهاية عام (٢٠٠٧م) في برنامج (AKTUELI) وهو موجود كاملاً على شبكة اليوتيوب.

٧١٠- اللوردكرومر وتغريب الفكر الإسلامي، مقال: د. سيد حسين العفافي، موقع لواء الشريعة www.shareah.com .

٧١١- مؤتمر (الحوار الحضاري والثقافي: أهدافه ومجالاته) مكة المكرمة في ٦/ ١٤٢٥/١٢هـ، وهو منشور على موقع الرابطة.

٧١٢- ما غاية المسلمين في حوارهم مع الآخر وحضارته؟ مقال: هشام منور، مجلة أدباء الشام على شبكة المعلومات www.odabasham.net.

٧١٣- مبدأ المواطنة، ياسر خالد بركات، بحث محكم منشور في موقع مركز المستقبل للدراسات والبحوث: WWW.mcsr.net.

٧١٤- مجلة آفاق، العالم الإسلامي، شبكة الحقيقة الإسلامية، وهذه النشرة لعام (٢٠٠٤م).

٧١٥- مجموعة من التصريحات على موقع CNN تحت عنوان: ((الغرب يرون الملاذ في الاقتصاد الإسلامي)).

٧١٦- المحتوى العربي على الإنترنت... نقطة في بحر، مقال: هناء الرملي، موقع ميدل إيست أونلاين www.middle-east-online.com.

٧١٧- المداراة في الإسلام: دراسة تأصيلية، د. وليد محمد السعد، صفحة خاصة بالدكتور على موقع جامعة الملك سعود.

٧١٨- المستشرقة الألمانية (سيجريد هونكة) نقلاً عن مقال بعنوان (الفارق بين الجهاد والحرب المقدسة) د. محمد عمارة، موقع الشروق الإسلامي: www.alshorok.net.

٧١٩- مصطفى صادق الرافعي، الإسلام والعدالة، WWW.belagh.com.

٧٢٠- معهد غاستون بوتول لدراسة ظاهرة الحرب، خالص جلبي، جريدة الاقتصادية، وهي منشورة على موقع جريدة آفاق بشكل مفصل بتاريخ ٧/ ١٠/ ٢٠٠٧م.

٧٢١- المغرب والأندلس، محمد بركات البيلي، وهو موجود على الشبكة موقع أهل الحديث.

٧٢٢- مفاهيم الإرهاب والعنف واختلاف وجهات النظر حولها، د. محمد الهرفي، بحث علمي على شبكة الموسوعة الشاملة.

٧٢٣- مفكرة الإسلام www.islammemo.com .

٧٢٤- مفهوم الوطن، موسى عبد الشكور، صحيفة الوطن الالكترونية، تصدر من فلسطين WWW.alwatanvoice.com.

٧٢٥- مقال: من هم الإكليروس؟ لنيافة الأنبا موسى، على هذا الرابط: http://www.youthbishopric.com/library/ArticlesLibrary/Arabic/church/CH١/ch١٤.htm.

٧٢٦- المواطنة بين مثاليات الجماعة وأساطير الفردانية، د. هبة رؤوف عزت، موقع إسلام أون لاين، تم نشره (٢٠٠٢م).

٧٢٧- المواطنة ومفهوم الدولة المدنية، عبد الرحمن الحاج، على موقع الملتقى الفكري للإبداع www.almultaka.net.

٧٢٨- المواطنة والوطن، هشام بنحنزار، على شبكة المعلومات: WWW.tanmia.ma/article.

٧٢٩- مواقف الكتاب العرب من العولمة، مقال: ناديا أبو زاهر، موقع مجلة حيفا لنا.

٧٣٠- موسوعة إنكارتا (٢٠٠٦م) على شبكة المعلومات

٧٣١- موقع الأمم المتحدة www.un.org/arabic .

٧٣٢- موقع الأمم المتحدة (الجمعية العامة) www.un.org/arabic .

٧٣٣- موقع الباحث عبد الدائم الكحيل وهو باحث في الإعجاز العلمي.

٧٣٤- www.mercyprophet.com

٧٣٥- نشرة تصدرها المجلة الدولية لأبحاث التنصير (IBMR)، وهي موجودة على موقعهم.

٧٣٦- النظام القضائي الإسلامي مقارناً بالنظم القضائية الوضعية وتطبيقه في المملكة العربية السعودية، رسالة دكتوراه، عبد الرحمن عبد العزيز القاسم، موجودة على الشبكة، موقع شبكة المحامين العرب.

٧٣٧- اهتمام الإسلام وعنايته بالعلم والعلماء في ضوء القرآن الكريم د. عبد الرحمن بن جميل قصاص، كتاب الكتروني، موقع صيد الفوائد.

٧٣٨- هجرة الأطباء العرب، على موقع الجزيرة نت، تاريخه ٢٩/ ٦/ ١٩٩٩م.

٧٣٩- وسائل المنصرين، محاضرة د. سلمان العودة، مفرغة في موقع الإسلام اليوم.

٧٤٠- الوطن والمواطنة، حسن الصفار، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية: WWW.alhikmeh.com/arabic/mktba.

٧٤١- وقاية من الأمراض قيمة إسلامية، د. عبد الرحمن لطفي، دار ناشري للنشر الالكتروني، وهو موجود على موقعهم (www.nashiri.net

٧٤٢- وكالة أنباء (أسو شيييتدبرس) في موقعها الرسمي.

٧٤٣- ولاية المرأة في الفقه الإسلامي، د. فؤاد العبد الكريم، رسالة ماجستير، على الشبكة، موقع محيط العرب.

٧٤٤- www.arabianbusiness.com

٧٤٥- http://adam.ps/adam/index.php?option=com_mamboezine&Itemid=7.

٧٤٦- http://www.ceredicrec.rnrt.tn

٧٤٧- http://www.isesco.org.ma/arabe/dialogue/berlin2000/dialogue2000.php?page=/

٧٤٨- http://www.isesco.org.ma/arabe/dialogue/documents/Dialogue%20paper%20Arabe%202008.pdf02

٧٤٩- http://www.isesco.org.ma/arabe/dialogue/germany2003/dialogue2003.php?page=/

٧٥٠- http://www.isesco.org.ma/arabe/dialogue/liechtenstein2002/dialogue20٣-02.php?page=/

٧٥١- http://www.midadulqalam.info/midad/modules.php?name=News&file=article&sid=٥٣٦

٧٥٢- http://www.wasatyea.org

٧٥٣- http://www.wasatyea.org

٧٥٤- http://www.wasatyea.org/wasatNew/index.php?option=com_content&task=view&id=٥٤٢&Itemid=٨٠

٧٥٥- Lane Pool: Medieval India under Mohammedan Rule, New York, 1952, p18.

٧٥٦- www. hizb_ut_tahrir.info..

٧٥٧- www.ag.unr.edu .

٧٥٨- www.ahmed-deedat.net.

٧٥٩- www.alarab.co.uk.

٧٦٠- www.alhewar.com

٧٦١- www.al-liwa.com

٧٦٢- www.America.gov

٧٦٣- www.bokra.net.

٧٦٤- www.civicus.org

٧٦٥- www.cpwr.org

٧٦٦- www.dialoguecenter.org

٧٦٧- www.elnaggarzr.com .

٧٦٨- www.fao.org/arabic

٧٦٩- www.forum2000.cz.com

٧٧٠- www.grenc.com

٧٧١- www.hewaronline.net

٧٧٢- WWW.islamonline.net.

٧٧٣- www.islamtomorrow.com ٣-

٧٧٤- WWW.Jamea+aleman.org.

٧٧٥- www.kacnd.org

٧٧٦- .www.kaheel 7com

٧٧٧- www.moheet.com .

٧٧٨- www.oic-oci.org

٧٧٩- www.old.hrad.cz.com

٧٨٠- www.osce.org

٧٨١- .WWW.papencyclopedia.net

٧٨٢- www.portal.unesco.org

٧٨٣- www.thetruereligion/converts.

٧٨٤- www.unesco.org

٧٨٥- www.unicef.org/arabic

٧٨٦- www.waqfalwaqt.net

٧٨٧- www.web_fu_berlin.de.

٧٨٨- www.yemen-nic.info .

٥- فهرس الموضوعات